

الْبِدَائِيَّةُ وَالْمَهَلِيَّةُ

الامام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء اسماعيل بن كثير
القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٥٧٧هـ

قَدَّمَ

محمد عبد الرحمن المرعشي

محقق نصوصه وعلق عليه

مكتب التحقيق

والر

لدينا التراث

العربي

الْبُدَائِيَةُ وَالنَّهَائِيَةُ

الامام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء اسماعيل بن كثير
القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٥٧٧٤هـ

قَدَّمَ لَهُ

محمد عبد الرحمن المرعشي

مفتي زسوصه وعلق عليه

مكتب التحقيق

المجلد الثاني

٤ - ٣

دار إحياء التراث العربي مؤسسة سيرة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

دار إحياء التراث العربي

بيروت حارة حريك شارع دكاش بناية كليوباترا - بملكه

هاتف: 836551 - 836696 - 836766

تلكس: 23644 ص. ب: 11/7957 بيروت - لبنان

فاكس: 001 2124783422

marfat.com

Marfat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة. وحكى ابن جرير^(١) عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة.

قال البخاري^(٢): حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها. أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة^(٣) في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح؛ ثم حجب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث^(٤) فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىء. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ - ٥] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد. فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق^(٥)، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة. وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس^(٦) الذي كان ينزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً^(٧)، ليتني أكون حياً، إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ مُخْرَجِيْ هُمْ؟» فقال: نعم. لم يأت رجل^(٨) بمثل ما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً. ثم لم ينشأ ورقة أن توفي وفتر الوحي^(٩) فترة. حتى حزن رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - حزناً

(١) «تاريخ الطبري» ج (٢/٢٠٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٣/١) باب كيف كان بدء الوحي - ح (٣).

(٣) من البخاري - وفي «الأصول»: الصادقة.

(٤) يتحنث: قال ابن حجر في «فتح الباري»: هي بمعنى يتحنف أي يتبع الحنيفية وهي دين إبراهيم.

(٥) نوائب: جمع نائبة وهي الحادثة خيراً أو شراً وإنما قال نوائب الحق لأنها تكون في الحق والباطل.

(٦) الناموس: صاحب السر، وهو ما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء، يقال: نمست السر: كتمته، والمراد هنا جبريل - عليه السلام - لأن الله خصه بالغيب والوحي.

(٧) جذعاً: قال ابن حجر في «فتح الباري»: الجذع هو الصغير من البهائم. كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً ليكون أمكن لنصره.

(٨) من «صحيح البخاري» وفي الأصول أحد.

(٩) هنا تنهي رواية الصحيح.

غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدي له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه. فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك. قال فإذا أوفى بذروة جبل تبدي له جبريل فقال له: مثل ذلك هكذا وقع مطولاً في باب التعبير من البخاري قال ابن شهاب^(١): وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة الوحي - فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض. فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني، زملوني فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدُنُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَيْفَ ﴿٣﴾ وَيَا بَلَّكَ قَطْرًا ﴿٤﴾ وَالرُّجُزَ فَاهْبُجْ ﴿٥﴾﴾ [المدر: ١-٥] فحمي الوحي وتتابع» ثم قال البخاري تابعه عبد الله بن يوسف، وأبو صالح، يعني عن الليث، وتابعه هلال بن رداد^(٢) عن الزهري. وقال يونس ومعمر: - بواده^(٣). وهذا الحديث قد رواه الإمام البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه، وتكلمنا عليه مطولاً في أول «شرح البخاري» في كتاب «بدء الوحي» إسناداً ومتمناً والله الحمد والمنة.

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به، ومن طريق يونس ومعمر عن الزهري كما علقه البخاري عنهما^(٤)، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته والله الحمد وانتهى سياقها إلى قول ورقة: أنصرك نصرأ مؤزرأ.

فقول أم المؤمنين عائشة أول ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، يقوي ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثي أن النبي ﷺ قال: «فجاءني جبريل، وأنا نائم، بنمط^(٥) من ديباج فيه كتاب^(٦) فقال: اقرأ، فقلت ما اقرأ؟ فغطني^(٧)، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني» وذكر نحو حديث عائشة سواء، فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة، وقد جاء مصرحاً بهذا في «مغازي موسى بن عقبة» عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة.

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: في كتابه «دلائل النبوة» حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا جناب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح عن إبراهيم عن علقمة بن قيس. قال: إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد، وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده.

عمره ﷺ وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشَّغْبِي أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرائيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشرأ بمكة وعشرأ بالمدينة. فمات وهو ابن ثلاث

(١) تنمة حديث البخاري المتقدم.

(٢) من البخاري، وفي الأصول ونسخ «البداية» المطبوعة داود وهو تحريف.

وهو هلال بن رداد الطائي أو الكتاني الشامي الكاتب مقبول من السابعة «تقريب التهذيب» (٢/١٣٠، ٣٢٣).

(٣) أي ترجف بواده بدل رواية يرجف فواده والبواد جمع بادرة وهي ما بين العنق والمنكب.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب «التعبير»، وفي «التفسير» وفي كتاب «الإيمان» عن عبد الرزاق وأخرجه مسلم في (١) - كتاب «الإيمان» (٧٣) باب بدء الوحي - والترمذي والنسائي في «التفسير» والإمام أحمد في «مسنده» (٢٦/٢٣٢ - ٢٣٣) وابن حبان في «صحيحه»، كتاب «الوحي» حديث (١١٥/١/٣٤).

(٥) نمط: وعاء كالسقط.

(٦) قال بعض المفسرين: «في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال له: اقرأ «الروض الأنف».

(٧) كذا في الأصول والطبري، ومعنى غطني: حبس نفسي. قال ابن الأثير في «النهاية»: الغت والغط سواء، كأنه أراد عصرتني عصراً شديداً، حتى وجدت منه المشقة، كما يجد من يغمس في الماء قهراً.

وستين سنة. فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن إسرائيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل^(١).

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال: وحديث عائشة لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا. ثم وكل به إسرائيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً إلى أن جاءه جبريل. فعلمه بعدما غطه ثلاث مرات، فحككت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرائيل اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل.

وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً. ومات وهو ابن ثلاث وستين، وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيب^(٢) ثم روى أحمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه القرآن، وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس، قال: أقام النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثمانين سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشر سنين.

قال أبو شامة: وقد كان رسول الله ﷺ يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في «صحيح مسلم» عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن»^(٣) انتهى كلامه. وإنما كان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه، ولما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلو عند مقاربة إجماع الله إليه صلوات الله وسلامه عليه. وقد ذكر محمد بن إسحاق عن عبد الملك بن عبد الله^(٤) بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة^(٥) - قال: وكان واعية^(٦) - عن بعض أهل العلم قال: وكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه. وكان من نسك قريش في الجاهلية، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته [وقضائه]^(٧) لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة. وهكذا روي عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وثورٍ ومَن أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَائِهِ
وراقٍ ليرقى في حراءٍ ونازلٍ

هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمهم الله، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه: وراق ليرقى في حر ونازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم.

- (١) الخبر نقله السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢٢١/١) وابن سعد في «الطبقات» (١٩١/١) وقال ابن سعد بعد إيراده الخبر: «فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر - الواقدي - فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدتنا أن إسرائيل قرن بالنبي ﷺ... لم يقرن به غير جبريل وقد حكى ابن التين القصة لكن وقع عنده ميكائيل بدل إسرائيل.
- (٢) قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٩٩/١٥) الصواب أنه ﷺ بعثه على رأس الأربعين سنة هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء.
- وقال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» بعثه الله - تعالى - على رأس أربعين وهي رأس الكمال؛ قيل ولها تبعت الرسل (٣٣/١).
- وقال السهيلي - معلقاً - في «الروض الأنف» «إنه الصحيح عند أهل السير، والعلم بالأثر» (١٦١/١).
- وقال البلقيني: كان سن رسول الله ﷺ حين جاءه جبريل في غار حراء أربعين سنة على المشهور.
- (٣) كتاب «الفضائل» حديث رقم (٢) ص (١٧٨٢). وأخرجه الترمذي في «المناقب» (٥٩٣/٥) والدارمي في «المقدمة» والإمام أحمد في «مسنده» (٨٩/٥).
- (٤) في «سيرة ابن هشام»: عيد الله.
- (٥) في «سيرة ابن هشام» و«دلائل البيهقي»: جارية وهو الصواب.
- (٦) واعية: التاء فيه للمبالغة. أي حافظاً. من قولهم وعى العلم يعيه إذا حفظه.
- (٧) زيادة من «دلائل البيهقي». وفي «ابن هشام»: فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف...

وحراء يقصر ويمدّ ويصرف ويمنع، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار الماز إلى منى، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج:

فَلا وربّ الأماناتِ القُطُنِ وربُّ رُكنٍ من حِراءٍ مُنْحَنِي

وقوله في الحديث: والتحنث التعبد، تفسير بالمعنى، وإلا فحقيقة التحنث من حيث البنية^(١) فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أي خرج من الحنث وتحوب وتخرج وتأنم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقذر أوردها أبو شامة. وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله يتحنث أي يتعبد. فقال: لا أعرف هذا إنما هو يتحنف من الحنفة دين إبراهيم عليه السلام. قال ابن هشام: والعرب تقول التحنث والتحنف يدلون الفاء من الثاء، كما قالوا جدف وجذف كما قال رؤبة [بن العجاج]:

لَو كان أحججاري مع الأحذاف^(٢)

يريد الأجداث. قال [ابن هشام]: وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول قُم في موضع ثم. قلت: ومن ذلك قول بعض المفسرين وفومها أن المراد ثومها.

وقد اختلف العلماء في تعبده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا؟ وما ذلك الشرع فقيل شرع نوح وقيل شرع إبراهيم. وهو الأشبه الأقوى. وقيل موسى، وقيل عيسى، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع آخر في أصول الفقه والله أعلم.

وقوله حتى فجئه الحق وهو بغار حراء أي جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦] الآية. وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥] وهي أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك في «التفسير» وكما سيأتي أيضاً في يوم الاثنين كما ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ: سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذاك يوم ولدت فيه، ويوم أنزل علي فيه»^(٤) وقال ابن عباس ولد نبيكم محمد ﷺ يوم الاثنين، ونبيء يوم الاثنين^(٥). وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء: إنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين، وهذا ما لا خلاف فيه بينهم.

ثم قيل: كان ذلك في شهر ربيع الأول، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام، في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء، والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ومحمد بن إسحاق وغيرهما.

قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك بما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فقيل في عشره. وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ

(١) في «الأصول» و «نسخ البداية» المطبوعة: من حنث البنية وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.

(٢) في «سيرة ابن هشام»: الأجداف. وزعم ابن جني أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداف انظر «الروض الأنف».

(٣) أول سورة العلق قال صاحب «الظلال»: مطلع هذه السورة هو أول ما نزل من القرآن باتفاق؛ والروايات التي تذكر نزول غيرها ابتداء ليست وثيقة.

هذه البداية حادث ضخم بحقيقته وضخم بدلالته. فدلالته: في أنه تعالى ذو الفضل الواسع بفيض من عطائه ورحمته بلا سبب ولا علة. ودلالته أن الله تعالى أكرم الإنسان كرامة لا يكاد يتصورها. وآثاره في حياة البشرية قد بدأت منذ اللحظة الأولى؛ في تحويل خط التاريخ؛ فقد تحددت الجهة التي يتطلع إليها الإنسان ويتلقى عنها تصورات وقيمه وموازينه.

هذه الحقيقة القرآنية الأولى التي تلقاها قلب رسول الله ﷺ في اللحظة الأولى هي التي ظلت تصرف شعوره، ولسانه وعمله بعد ذلك طوال حياته بوصفها قاعدة الإيمان الأولى (٦١٨/٨) باختصار.

(٤) «صحيح مسلم» في (١٣) كتاب «الصيام» (٣٦) باب حديث رقم (١٩٧) و «مسند أحمد» (٢٩٧/٥، ٢٩٩) «السنن الكبرى» للبيهقي (٢٩٣/٤).

(٥) «مسند أحمد» (٢٧٧/١) وهو في «مجمع الزوائد» (١٩٦/١) ونسبه لأحمد والطبراني في «الكبير» وقال: فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف وبقيه رجاله ثقات من أهل الصحيح.

يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل في الرابع والعشرين منه. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران، أبو العوام، عن قتادة، عن أبي المليح، عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»^(١) وروى ابن مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين.

وأما قول جبريل (اقرأ) فقال: «ما أنا بقارىء» فالصحيح أن قوله «ما أنا بقارىء» نفى أي لست ممن يحسن القراءة ومن رجحه: النووي وقبلة الشيخ أبو شامة. ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد لأن الباء لا تزداد في الإثبات^(٢). ويؤيد الأول رواية أبي نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه: فقال رسول الله ﷺ - وهو خائف يرعده - «ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ» فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً. ثم تركه فقال له: اقرأ. فقال محمد ﷺ: «ما أرى شيئاً أقرأه. وما أقرأ وما أكتب» يروى فغطني كما في «الصحيحين» وغطني ويروى قد غطني أي خنقني «حتى بلغ مني الجهد» يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع. وفعل به ذلك ثلاثاً.

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما فعل ذلك به ليلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتأخذه الرحضاء أي البهر والعرق. وقال غيره: إنما فعل ذلك لأمر: منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقي إليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الإبل ويتفصد جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد.

وقوله فرجع بها رسول الله ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده. وفي رواية: بواده، جمع بادرة قال أبو عبيدة: وهي لحمة بين المنكب والعنق. وقال غيره: هو عروق تضطرب عند الفزع، وفي بعض الروايات ترجف بأدله واحدها بادلة. وقيل بادل، وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الثدي. وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك.

فقال: «زملوني زملوني» فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة؟ «ما لي؟ أي شيء عرض لي؟» وأخبرها ما كان من الأمر. ثم قال: «لقد خشيت على نفسي»^(٣) وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك، ولا كان في خلدته. ولهذا قالت خديجة: أبشر، كلا والله لا يخزيك الله أبداً. قيل من الخزي، وقيل من الحزن، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يخزي في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة. فقالت: إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث - وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق - وتحمل الكل. أي عن غيرك تعطي صاحب العيلة ما يريجه من ثقل مؤنة عياله - وتكسب المعدوم أي تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك. ويسمى الفقير معدوماً لأن حياته ناقصة. فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم:

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء
وقال أبو الحسن التهامي، فيما نقله عنه القاضي عياض في «شرح مسلم»:

(١) «مسند أحمد» (١٠٧/٤).

(٢) قال الطيبي إنه إنما يفيد التقوية والتأكيد والتقدير لست بقارىء البتة فإن قيل لم كرر ذلك ثلاثاً أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولاً ما أنا بقارىء على الامتناع وثانياً على الإخبار بالنفي المحض وثالثاً على الاستفهام ويؤيده قول أبي الأسود في «مغازيه» عن عروة أنه قال: كيف أقرأ وفي رواية ابن إسحاق ماذا أقرأ وفي «دلائل البيهقي»: كيف أقرأ. وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية. وحكى الأخفش جواز دخول الباء بداية - وهو شاذ -.

(٣) قال القاضي عياض: ليس معناه الشك في أن ما أتاه من الله لكنه كأنه خشي أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر. وقال الجافظ ابن حجر: اختلف العلماء في المراد بالخشية على اثني عشر قولاً: الجنون - وهو باطل - الهاجس - وهو باطل أيضاً. الموت من شدة الرعب - المرض - دوام المرض - العجز عن حمل أعباء النبوة - العجز عن النظر إلى الملك من الرعب - عدم الصبر على أذى قومه - أن يقتلوه - مفارقة الوطن - تكذيبهم إياه - تعييرهم إياه. قال: وأولى الأقوال وأسلمها من الارتباب الثالث واللذان بعده.

عَدَّ ذَا الْفَقْرِ مَيْتًا وَكِسَاءً كَفَّنَا بِالْيَأْمِ وَمَأْوَاهُ قَبْرًا
 وقال الخطابي: الصواب (وتكسب المعدم) أي تبذل إليه أو يكون تكسب المعدم بعطيته^(١) مالا يعيش به^(٢).
 واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني أن المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى، أي يعطى المال لمن هو عادمه. ومن
 قال إن المراد أنك تكسب بالتجارة المعدوم، أو النفيس القليل النظير. فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع وتكلف
 ما ليس له به علم، فإن مثل هذا لا يمدح به غالباً، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله أعلم.

وتقري الضيف - أي تكرمه في تقديم قراه، وإحسان مأواه، وتعين على نواب الحق ويروى الخير، أي إذا وقعت
 نائبة لأحد في خير أعنت فيها، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش، وقوله: ثم أخذته
 فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. وقد قدمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن
 عمرو بن نفيل رحمه الله. وأنه كان ممن تنصروا في الجاهلية ففارقهم وارتحل إلى الشام، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن
 الحويرث، وعبيد الله بن جحش فتصروا كلهم، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق، إلا زيد بن عمرو بن نفيل
 فإنه رأى فيه دخلاً وتخبیطاً وتبديلاً وتحريفاً وتأويلاً. فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً، وبشروه الأحبار والرهبان بوجود نبي
 قد أرف زمانه واقترب أوانه، فرجع يتطلب ذلك، واستمر على فطرته وتوحيده. لكن اخترمته المنية قبل البعثة
 المحمدية^(٣). وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله ﷺ كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له،
 وما هو منظور عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات، ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد
 رسول الله ﷺ وجاءت به إليه فوفقت به عليه. وقالت: ابن عم اسمع من ابن أخيك؛ فلما قص عليه رسول الله ﷺ
 خبر ما رأى قال ورقة: سُبُوحٌ سُبُوحٌ^(٤)، هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد
 موسى، لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام، ونسخت بعضها على الصحيح من قول العلماء
 كما قال: ﴿وَلَأُحِثَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] وقول ورقة هذا كما قالت الجن: ﴿يَلْقَوْنَنَا إِنَّا سَمِعْنَا
 كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَّا طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ثم قال ورقة: يا ليتني فيها
 جذعاً. أي يا ليتني أكون اليوم شاباً متمكناً من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك
 قومك يعني حتى أخرج معك وأنصرك؟ فعندها قال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» قال السهيلي وإنما قال ذلك، لأن
 فراق الوطن شديد على النفوس، فقال: نعم! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يُدْرِكُنِي يَوْمَ أَنْصُرَكَ
 نصراً مؤزراً أي أنصرك نصراً عزيزاً أبداً. وقوله: «ثم لم ينشب ورقة أن توفي» أي توفي بعد هذه القصة بقليل^(٥) رحمه الله
 ورضي عنه، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي ونية صالحة للمستقبل.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، عن ابن لهيعة، حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة. أن خديجة سألت
 رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: «قد رأيت فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه
 ثياب بياض». وهذا إسناد حسن لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلأ فالله أعلم وروى الحافظ أبو يعلى عن
 شريح بن يونس عن إسماعيل عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل
 فقال: «قد رأيت فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس». وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل
 فقال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده». وسئل عن أبي طالب فقال: «أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها»

(١) في «الأصول» أو يكون تلبس المعدم بعطية: وهو تحريف؛ والصواب ما أثبتناه من «سيرة ابن كثير».

(٢) قال التيمي في «شرح الكرماني»: لم يصب الخطابي إذ حكم على اللفظة الصحيحة بالخطأ فإن الصواب ما اشتهر بين أصحاب
 الحديث ورواه الرواة (٣٧/١).

(٣) تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل قد عادت عليه لخم فقتلوه وكان ذلك قبل المبعث. راجع «سيرة ابن هشام» (٢٤٤/١) وما
 بعدها.

(٤) في «سيرة ابن هشام»: قُدُوسٌ قُدُوسٌ؛ أي طاهر طاهر.

(٥) قال ابن إسحاق في «السيرة» عن هشام بن عروة عن أبيه (٣٤٠/١) أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وهو يقول: أحد
 أحد... وهذا يقتضي أن ورقة تأخر إلى زمن الدعوة وإلى أن دخل بعض الناس في الإسلام. وعلق ابن حجر قال: فإن
 تمسكنا بالترجيح فما في الصحيح أصح.

وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن - فقال: أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قُصَب لا صُخَب فيه ولا نصب^(١) إسناده حسن ولبعضه شواهد في الصحيح والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة. قالت قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين»^(٢) وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة وهذا إسناده جيد. وروى مرسلًا وهو أشبه.

وروى الحافظان البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة» من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر». قالت: معاذ الله ما كان ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرت له خديجة [حديثه له] فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر فقال: انطلق بنا إلى ورقة قال: «ومن أخبرك؟» قال خديجة فانطلقا إليه فقضا عليه فقال رسول الله ﷺ: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد يا محمد فانطلق هارباً في الأرض». فقال له لا تفعل. إذا أتاك فائت، حتى تسمع ما يقول لك ثم اتني فأخبرني. فلما خلا ناداه يا محمد قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الفاتحة: ١-٢] حتى بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قل لا إله إلا الله. فأتى ورقة فذكر له ذلك، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر. فأنا أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم، وأنت على مثل ناموس موسى، وأنت نبي مرسل، وأنت ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا. ولئن أدركني ذلك لأجاهدك معك. فلما توفي [ورقة]. قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدقني» يعني ورقة. هذا لفظ البيهقي^(٣) وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان وعقده عليه وتأكده عنده، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة وكيف كانت الغمامة تظلمه في هجير القيط. فقال ورقة في ذلك أشعاراً قدمناها قبل هذا، منها قوله:

لأمر طالما بعث التشيجا^(٤)
فقد طال انتظاري يا خديجا
حديثك أن أرى منه خروجا
من الرهبان أكره أن يعوجا
ويخصم من يكون له حجيجا
يقيم به البرية أن تعوجا^(٥)
ويلقى من يسالمه فلوجا
شهدت وكنت أولهم ولوجا

لججت وكنت في الذكرى لجوجاً
ووصف من خديجة بعد وصف
ببطن المكنين على رجائي
بما خبرتنا من قول قس
بأن محمداً سيسود قوماً
ويظهر في البلاد ضياء نور
فيلقى من يحاربه خساراً
فياليتي إذا ما كان ذاكم

(١) روى الأحاديث عن جابر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤١٦/٩) وقال: رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهذا مما مدح من حديث مجالد وبقية رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الحاكم جزءاً منه وصححه في «المستدرک» (٤٣٩/٣، ٤٤٠).

(٢) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤١٦/٩) وقال: رواه البزار متصلًا ومرسلًا. ورجال السند والمرسل رجال الصحيح. وروى عن أسماء بنت أبي بكر أن النبي ﷺ سئل عن ورقة فقال يبعث يوم القيامة أمة وحده. قال: ورواه الطبراني ورجالها رجال الصحيح.

(٣) الحديث في «دلائل النبوة» للبيهقي (١٥٨/١ - ١٥٩) وما بين معكوفين في الحديث من «الدلائل» وعلق البيهقي في آخر الحديث قال: فهذا منقطع؛ فإن كان محفوظاً فيحمل أن يكون خبراً عن نزولها - أي سورة الفاتحة - بعدما نزلت عليه، اقرأ باسم ربك ويا أيها المدثر والله أعلم.

(٤) في «سيرة ابن هشام»: لهم بدل لأمر.

(٥) في «السيرة»: إن تموجا بدل أن تعوجا.

ولو عَجَّثَ بِمَكْتَبِهَا عَجِيجًا^(١)
إلى ذي العرشِ إذ سَفَلُوا عَرُوجًا
يَضِجُ الكافرونَ لها ضجيجًا^(٢)

يخْبُرُهَا عنهُ إذا غَابَ ناصح^(٣)
إلى كِلِّ من ضَمَّتْ عليه الأباطح
كما أُرِيسَلُ العبدانِ هودَ وصالح
بهاءَ ومنشورَ من الحقِّ واضح^(٤)
شبابُهُم والأشيبونَ الجحاجح^(٥)
فلإني به مستبشِرُ الودِّ فارح
عن أرضِكِ في الأرضِ العريضةِ سائح

حديثك إِيانا فأحمدُ مرسل
من اللُّهِ وحيِّ يشرحُ الصِّدرَ مُنزل
ويشقى به العاني الغريزُ المضلل^(٦)
وأخرى بأحوالِ الجحيمِ تعلل^(٧)
مقامعُ في هاماتهم ثمَّ تشعل^(٨)
ومن هو في الأيامِ ما شاء يفعل
واقضاؤه في خَلْقِهِ لا تُبدل

وما لشيءٍ قضاءُ اللُّه من غيرِ
أمرأ أراه سيأتي الناسَ من آخر^(٩)

ولو كانَ الذي كرهتَ قريش
أرجي بالذي كرهوا جَمِيعاً
فإن يَبْقُوا وأبقَ تكنَ أمورُ
وقال أيضاً في قصيدته الأخرى:

وأخبارِ صدقِ خبِرتَ عن محمدٍ
بأنَّ ابنَ عبدِ اللُّه أحمدَ مرسلُ
وظني به أنَّ سوفَ يُبْعَثُ صادقاً
وموسى وإبراهيمَ حتى يُرى له
ويتبغُّه حيالُ لؤيِّ بنِ غالبِ
فإن ابقَ حتى يدركَ الناسَ دهره
ولا فلإني يا خديجةُ فاعلمي
وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال ورقة:

فإن يكُ حقاً يا خديجةُ فاعلمي
وجبريلُ يأتيه وميكالُ مغهُما
يفوزُ به مَنْ فازَ فيها بتوبةِ
فريقانِ منهم فرقةٌ في جنانهِ
إذا ما دَعُوا بالويلِ فيها تتابعثُ
فُسبحانَ من يُهوي الرياحَ بأمره
ومَن عرشُه فوقَ السمواتِ كلُّها
وقال ورقة أيضاً:

يا للرجالِ وصَرفِ الدهرِ والقدرِ
حتى خديجةُ تدعوني لأخبرها

(١) في «السيرة»: ولوجا في الذي كرهت قريش.

(٢) في نسخ «البداية» المطبوعة يكن أموراً وهو تحريف والصواب ما أثبتناه من «السيرة» لابن هشام.

(٣) القصيدة في «دلائل النبوة» للبيهقي (١٢٧/١) وذكرها السهيلي في «الروض الأنف» (١٢٧/١) وقال إنهما: من رواية يونس عن ابن إسحاق وقبله بيتان:

وفي الصدر من إضممارك الحزن فادخ
كانك عنهم بعد يومين نازح

أتبكر أم أنت العشيبة رائح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم
وبعده:

بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
وهن من الأحمال مقص دوالح
وللحق أبواب لهن مفاتح

بفتاك الذي وجهت يا خير حرة
إلى سوق بصرى والركاب التي غدت
يخبرنا عن كل حبر بمعلمه

(٤) في «الدلائل»: في الذكر واضح.

(٥) في «الدلائل»: لؤي جماعة.

(٦) في «دلائل البيهقي»: ويشقى به العاني الغوي المضلل.

(٧) في «دلائل البيهقي»: وأخرى بإخوان الجحيم تغلل وما أثبتناه مناسب أكثر.

(٨) في «دلائل البيهقي»: في هاماتها بدل هاماتهم.

(٩) في البيهقي:

وما لها بخفي الغيب من خبر
أمرأ أراه سيأتي الناس من آخر

حتى خديجة تدعوني لأخبرها
جاءت لتسألني عنه لأخبرها

فيما مضى من قديم الدهر والعصر
جبريلُ أتكَ مبعوثُ إلى البشر
لك الإلهُ فرجى الخيرَ وانتظري
عن أمره ما يرى في النوم والسهر
يقفُ منه أعالي الجلدِ والشعر
في صورةٍ أكملتُ من أعظم الصور^(١)
مما يسلمُ من حولي من الشجر
أن سوف يُبعثُ يتلو مُنزلَ السور
من الجهادِ بلا منٍّ ولا كدر

وخبّرتني بأمرٍ قد سمعتُ به
بأن أحمدَ يأتيه فيخبره
فقلتُ علّ الذي ترجين يُنجزُه
وأرسلية إلينا كي تُسائله
فقال حين أتانا منطلقاً عجباً
إنني رأيتُ أمينَ اللّه واجهني
ثم استمر فكاد الخوفُ يُذعرنِي
فقلتُ ظنّني وما أدري أيصدّقني
وسوف يبليكَ إن اعلنتُ دعوتهم
هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل وعندني في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم^(٢).

وقال ابن إسحاق حدثني عبد الملك بن عبيد الله^(٣) بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي - وكان واعية^(٤) - عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسر عنه البيوت^(٥) ويفضي إلى شعاب مكة وبطن أوديتها، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله^(٦). قال فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة. فمكث [رسول الله ﷺ] كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في [شهر] رمضان قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد، كيف كان بدو ما ابتدء به رسول الله ﷺ من النبوة، حين جاءه جبريل قال: فقال عبيد وأنا حاضر - يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس -: كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء في كل سنة شهراً يتحنث قال وكان ذلك مما يجب به قريش في الجاهلية. والتحنث التبرر. فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به، إذا انصرف من جواره، الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله [تعالى] به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه فيها وذلك الشهر [شهر] رمضان، خرج [رسول الله ﷺ] إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد به، جاءه جبريل بأمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «فجاءني [جبريل] وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب. فقال اقرأ؟ قلت ما اقرأ؟ قال فغطني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ؟ [قال]: قلت ما اقرأ؟ قال فغطني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال اقرأ: قلت ما اقرأ؟ قال فغطني حتى ظننت به الموت ثم أرسلني. فقال اقرأ قلت: ما أقول ذلك إلا اقتدا منه أن يعود لي بمثل ما صنع^(٧) بي فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥]. قال فقراءتها ثم انتهى وانصرف عني وهببت من نومي فكانما كتب

(١) في «الدلائل»: أهيب بدل أعظم.

(٢) قال البيهقي في إيراد الأبيات: يزعمون أن ورقة قال؛ وفيه تشكيك لدى البيهقي في نسبتها لورقة.

(٣) في «نسخ البداية» المطبوعة: عبد الله؛ وما أثبتنا - صواباً - من «سيرة ابن هشام».

(٤) في «نسخ البداية»: داعية، والصواب أثبتناه من ابن هشام.

(٥) في «نسخة البداية» المطبوعة: لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنه، وهو تحريف وأثبتنا الصواب من «سيرة ابن هشام».

(٦) قال السهيلي: الأظهر في هذا التسليم أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الحنين في الجذع... إلى أن قال - ولو قدرت صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم أي ذلك كان: أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمناً، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة، وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة.

(٧) العبارة في «الدلائل» للبيهقي: وما اقرأ وما أقولها إلا تنجياً أن يعود لي بمثل الذي صنع؛ وفي «نسخ البداية» المطبوعة: اقتداء وهو تحريف.

في قلبي كتاباً^(١)، قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء فأنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا [أعلى] مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني. وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً^(٢) إليها؛ فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي. ثم حدثتها بالذي رأيت؛ فقالت أبشر يا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة. ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وأنه لنبي هذه الأمة، وقولي له: فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله^(٣). وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلتئذ ويحتمل أنه كان بعده بمدة والله أعلم.

وقال موسى بن عقبة: عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: وكان فيما بلغنا أول ما رأى - يعني رسول الله ﷺ - أن الله تعالى أراه رؤيا في المنام، فشق ذلك عليه فذكرها لامراته خديجة فعصمها الله عن التكذيب، وشرح صدرها للتصديق، فقالت: ابشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيراً، ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر، ثم أعيد كما كان، قالت: هذا والله خير فأبشر، ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجلسه على مجلس كريم معجب كان النبي ﷺ يقول أجلسني على بساط كهيئة الدرنونك^(٤) فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن رسول الله ﷺ فقال له جبريل اقرأ فقال كيف اقرأ فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ١-٥]. قال: ويزعم ناس أن «يا أيها المدثر» أول سورة نزلت عليه والله أعلم. قال فقبل رسول الله ﷺ رسالة ربه واتبع ما جاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلبا إلى بيته جعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً فلما دخل على خديجة قال أرايتك التي^(٥) كنت حدثتك أني رأيته في المنام فإنه جبريل استعلن إلي، أرسله إلي ربي عز وجل وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه، فقالت: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، واقتل الذي جاءك من أمر الله فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقاً. ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعنبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس، فقالت له: يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علم من جبريل فقال: قدوس قدوس، ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان. فقالت: أخبرني بعلمك فيه. قال فإنه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام. فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل

(١) زاد البيهقي ولم يكن في خلق الله أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون فكنت لا أطيق أنظر إليهما... راجع «دلائل النبوة» (٢/١٤٧-١٤٨).

(٢) مضيفاً: أي ملتصقاً؛ يقال أضفت إلى الرجل: إذا ملت نحوه ولصقت به.

(٣) الخبر بطوله رواه ابن إسحاق في «السيرة» ج (١/٢٥٠) وما بعدها. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ج (٢/١٤٦) وما بعدها. وابن سعد في «الطبقات» (٢/١٥٧) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/٧١) والترمذي في «المناقب» (٥/٥٩٣) والدارمي في «المقدمة»؛ وأحمد في «مسنده» (٥/٨٩).

(٤) الدرنونك: ستر له حنل وجمعه درانك.

(٥) في «دلائل البيهقي»: الذي وهو مناسب أكثر.

فذكرت له ما كان من أمر النبي ﷺ وما ألقاه إليه جبريل . فقال لها ورقة : يا بنية أخي^(١) ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله إن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حي لأبلى الله في طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر . فمات ورقة رحمه الله . قال الزهري فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ﷺ . قال الحافظ البيهقي^(٢) بعد إيراده ما ذكرناه والذي ذكر فيه من شق بطنه ، يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه ، يعني شق بطنه عند حليلة ، ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء والله أعلم .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي . قال : بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقصر ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم في حراء وكان يفر إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله ﷺ مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وطهر قلبه ، يا محمد أبشراً ! فإنك نبي هذه الأمة . اقرأ فقال له نبي الله : وهو خائف يرعد . ما قرأت كتاباً قط ، ولا أحسنه وما أكتب وما اقرأ فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً ثم تركه ، ثم قال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنونك فرأى فيه من صفاته وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له : ﴿ اِقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] الآيات ثم قال له لا تخف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رسول الله ﷺ هم فقال كيف أصنع وكيف أقول لقومي ثم قام رسول الله ﷺ وهو خائف فاتاه جبريل من أمامه وهو في صعرته^(٣) فرأى رسول الله ﷺ أمراً عظيماً ملاً صدره فقال له جبريل لا تخف يا محمد : جبريل رسول الله جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله فإنك رسول الله فرجع رسول الله ﷺ لا يمر على شجر ولا حجر إلا هو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفزعاها ذلك ، فقامت إليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم ، فقال يا خديجة : رأيت الذي كنت أرى في المنام ، والصوت الذي كنت أسمع في اليقظة وأهال منه فإنه جبريل قد استعلن لي وكلمني وقرأني كلاماً فزعت منه ثم عاد إلي فأخبرني أني نبي هذه الأمة ، فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن السلام عليك يا رسول الله . فقالت خديجة : أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً وأشهد أنك نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود ، قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيرى الراهب ، وأمرني أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله ﷺ حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها . قال : ما لك يا سيدة نساء قريش؟ فقالت : أقبلت إليك لتخبرني عن جبريل؟ فقال : سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكر في هذه البلاد التي يعبد أهلها الأوثان جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى ، فعرفت كرامة الله لمحمد ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عداس فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد . قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذي أيده الله به . ثم قامت منه عنده فاتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألتها ما الخبر فأحلفته أن يكتب ما تقول له فحلف لها فقالت له إن ابن عبد الله ذكر لي وهو صادق أحلف بالله ما كذب ، ولا كذب أنه نزل عليه جبريل بحراء ، وأنه أخبره أنه نبي هذه الأمة ، وأقرأه آيات أرسل بها . قال : فذعر ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبي وهو صاحب الأنبياء والرسل ، يرسله الله إليهم وقد صدقتك عنه ، فارسلني إلي ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه فإني أخاف أن يكون غير جبريل فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلهماً مجنوناً . فقامت من عنده وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى

(١) الثابت أن خديجة ابنة عم ورقة ؛ فهي بنت خويلد بن أسد وورقة بن نوفل بن أسد . وما قوله : يا بنية أخي إلا دليلاً على مدى احترامها وتقديرها له ، والمكانة التي له في نفسها .

(٢) «دلائل النبوة» (٢/١٤٦) .

(٣) صعرته : أي عظمته .

رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ورقة فأنزل الله تعالى: ﴿ت وَالْقَلِيمَ وَمَا يَسْتَرْوَنَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِبَشَرٍ مِثْلِكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ١-٢]. فقال لها: كلا والله إنه لجبريل فقالت له أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله ﷺ فقال له ورقة هذا الذي جاءك جاءك في نور أو ظلمة؟ فأخبره رسول الله ﷺ عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه. فقال ورقة: أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشيء تبلغه قومك وإنه لأمر نبوة فإن أدرك زمانك أتبعك ثم قال أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به. قال: وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله ﷺ فشق ذلك على الملا من قومه قال وفتى الوحي. فقالوا: لو كان من عند الله لتابع ولكن الله قلاه فأنزل الله والضحي والم نشرح بكمالها.

وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس عن ابن إسحاق [قال]: حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله ﷺ فيما بينه^(١) مما أكرمه الله به من نبوته: يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك. فقال نعم فقالت: إذا جاءك فأخبرني. فبينما رسول الله ﷺ عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله ﷺ. فقال: يا خديجة! هذا جبريل فقالت: أترأه الآن؟ قال: نعم! قالت: فاجلس إلى شقي الأيمن، فتحول فجلس، فقالت أترأه الآن؟ قال: نعم! قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول [رسول الله ﷺ] فجلس في حجرها فقالت هل تراه الآن؟ قال: نعم! فتحسرت رأسها فشالت^(٢) خاها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها فقالت هل تراه الآن؟ قال: لا. قالت ما هذا بشيطان إن هذا لملك يا ابن عم فائت وأبشر، ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق.

قال ابن إسحاق: فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث، فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أني سمعتها تقول أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام. قال البيهقي: وهذا شيء كان من خديجة تصنعه^(٣) تستبث به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً. فأما النبي ﷺ فقد كان [قد] وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه^(٤) تسليماً.

وقد قال مسلم في [صحيحه] حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن»^(٥). وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن بمكة لحجراً كان يسلم علي ليالي بعثت. إني لأعرفه إذا مررت عليه»^(٦). وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، عن عباد بن عبد الله، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله^(٧). وفي رواية لقد رأيتني أدخل معه [يعني النبي ﷺ] الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمع.

(١) في «دلائل البيهقي»: تثبه.

(٢) في «البيهقي»: فألقت.

(٣) في «البيهقي»: كانت خديجة - رضي الله عنها - تصنعه.

(٤) زاد «البيهقي»: وما كان من إجابة الشجر لدعائه وذلك بعدما كذبه قومه وشكاهم إلى جبريل عليه السلام فأراد أن يطيب قلبه. الحديث أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ص (١٧٢) و (١٧٤) والبيهقي في «دلائله» (١٥١/٢ - ١٥٢).

(٥) تقدم تخريجه فليراجع.

(٦) رواه الترمذي في «المناقب» (٥٩٣/٥) والدارمي في «المقدمة» وأحمد في «مسنده» (٨٩/٥) وابن سعد في «الطبقات» (١٥٧/١) وابن هشام في «السيرة» (٢٥٢/١ - ٢٥٣).

(٧) «دلائل النبوة» للبيهقي (١٥٣/٢ - ١٥٤) وأخرجه الترمذي في (٥٠) كتاب «المناقب» حديث (٣٦٢٦) وفيه: «عباد بن أبي يزيد بن علي بن أبي طالب» وقال: هذا حديث غريب.

فصل

قال البخاري في روايته المتقدمة ثم فتر الوحي حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواحق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك، وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن، يحدث عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال: فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء فجثت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض فجثت أهلي فقلت زملوني زملوني فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۖ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرِ ۖ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرِ ۖ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرِ ۖ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرِ ۖ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ١-٥] قال ثم حمي الوحي وتتابع فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقاً^(٢)، ذاك قوله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۖ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١] وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۖ ﴿١﴾﴾ [المدثر: ١] واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فإن في سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذي عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه. ثم قوله: يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الإيجاء والله أعلم. وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث علي بن المبارك وعند مسلم والأوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أي القرآن أنزل قبل؟ فقال: (يا أيها المدثر) فقلت (واقراً باسم ربك) فقال سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل فقال (يا أيها المدثر) فقلت: (واقراً باسم ربك) فقال: [أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ] قال رسول الله ﷺ: «إني جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارتي نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت، فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أر شيئاً ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء فأخذتني رعدة - أو قال وحشة - فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۖ ﴿١﴾﴾ [المدثر: ١] حتى بلغ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرِ ۖ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: ٤] وقال في رواية - فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجثت منه» وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم. ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة: ﴿وَالضُّحَىٰ ۖ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۖ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۖ ﴿٣﴾﴾ [الضحى: ١-٣] إلى آخرها. قاله محمد بن إسحاق. وقال بعض القراء: ولهذا كبر رسول الله ﷺ في أولها فرحاً وهو قول بعيد يرد ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۖ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرِ ۖ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١-٢] ولكن نزلت سورة والضحى بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة كما ثبت في «الصحيحين»^(٤) وغيرهما من حديث الأسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة ما أرى شيطانك إلا تركك فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ۖ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۖ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۖ ﴿٣﴾﴾ [الضحى: ١-٣] وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس

- (١) البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» (٤) باب «فتح الباري» (٦٧٨/٨) و (٥) باب «مسلم» في (١) كتاب «الإيمان» (٧٣) باب بدء الوحي حديث (٢٥٣) وحديث (٢٥٥) «صحيح مسلم» (١٤٣/١).
- وأخرجه الترمذي في «تفسير سورة المدثر» وأحمد في «مسنده» (٣٢٥/٣).
- فترة الوحي: يعني احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول.
- فجثت: هكذا بالأصول وفي «الطبري»: فجثت وفي رواية: فجثت. وفي «البخاري» فرعبت؛ وفي «مسلم» فجثت: أي فرعت وخفت كما في «نهاية غريب الحديث».
- (٢) أي أن أول ما نزل مطلقاً هو اقرأ.
- (٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١) كتاب «الإيمان» حديث (١٤٤/١/٢٥٧). وفيه: أخذتني رجفة شديدة: قال القاضي: ورواه، السمرقندي وجفة؛ والمعنى الاضطراب. وأخرجه البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» (٧٤) باب حديث (٤٩٢٢) وأعادته في «تفسير سورة العلق» عن سعيد بن مروان في قصة فتور الوحي. وفي كتاب «بدء الخلق» ورواه الطبراني في «تاريخه» (٢٠٨/٢) دار القاموس الحديث.
- (٤) أخرجه البخاري في «أبواب التهجد» الحديث (١١٢٥) «فتح الباري» (٨/٣) وفي (٦٥) كتاب «التفسير» الحديث (٤٩٥٠) «فتح الباري» (٧١٠/٨) وأخرجه مسلم في «الصحيح» (١٤٣/١).

وبالأول حصلت النبوة. وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً، والظاهر والله أعلم أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبي وغيره، ولا ينفي هذا تقدم إيجاء جبريل إليه أولاً: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١] ثم اقترن به جبريل بعد نزول: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِينُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرِ ﴿١﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرِ ﴿٢﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرِ ﴿٣﴾ وَالرُّجُزَ فَاهْبِزْ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: ١-٥] ثم حمى الوحي بعد هذا وتتابع - أي تدارك شيئاً بعد شيء - وقام حينئذ رسول الله ﷺ في الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد، والأحرار والعبيد، فأمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، ومن الغلمان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم^(١). وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي ومات في الفترة رضي الله عنه.

فصل

في منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن

لئلا يختطف أحدهم

منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدْ لَمْ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ٨-١٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٥﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٦﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُؤُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥-٢١٧] قال الحافظ أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد - وهو الطبراني - حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مرزوق، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فأما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زادوا فتكون باطلاً، فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس هذا لأمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين فأتوه فأخبروه فقال: هذا الأمر الذي قد حدث في الأرض^(٢). وقال أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: [ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رأيهم]^(٣) انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا ما لكم؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث^(٤) فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فمر النفر الذي أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢١٦﴾﴾ [الجن: ١-٢]

(١) قال الطبري: اختلف السلف فيمن اتبع رسول الله ﷺ وآمن به وصدقه... بعد زوجته خديجة؛ فقال بعضهم كان أول ذكر آمن برسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام (٢١٠/٢) ونقل عن الواقدي قال: اجتمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب لرسول الله ﷺ خديجة ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفر في أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة أيهم أسلم أول (٢١٥/٢). وقال ابن إسحاق: أسلم علي وكنتم إسلامه ولم يظهره قريباً من شهر وقال القرظي أول من أظهر الإسلام أبو بكر وكان علي يكتب إسلامه...

انظر الطبري (٢١٠/٢) وما بعدها و «دلائل سيرة ابن هشام» (٢٦٢/١) - البيهقي (١٦٠/٢) وما بعدها.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده».

(٣) من «صحيح مسلم» ولم ترد العبارة في البخاري.

(٤) العبارة في «دلائل البيهقي»: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث.

فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيْكَ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] الآية. أخرجه في الصحيحين^(١) وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس. قال: إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد ألقيتها على الصفا^(٢)، قال: فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رؤوسهم حتى ينزل، فإذا نزل قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا الحق وهو العلي الكبير، وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موت أو شيء مما يكون في الأرض تكلموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم فلما بعث النبي محمد ﷺ دحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة، وذا الإبل فينحر كل يوم بعيراً فأسرع الناس في أموالهم فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا فإن كانت النجوم التي يهتدون بها وإلا فإنه لأمر حدث فنظروا فإذا النجوم التي يهتدى بها كما هي لم يزل منها شيء فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا: انصتوا وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه. فقال: هذا حدث حدث في الأرض فأتوني من كل أرض بتربة فأتوه بتربة تهامة^(٣) فقال ههنا الحدث. ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب. وقال الواقدي: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن عمر بن عبدان العبسي، عن كعب قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف. قال: ولم فعلتم ما أرى؟ قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء فقال: إن إفادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا وانظروا: فإن تكن نجوماً تعرف فهو عندنا من فناء الناس وإن كانت نجوماً لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فإذا هي لا تعرف فأخبروه فقال الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبي. فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله فجاء عبد ياليل فذاكره أمر النجوم فقال أبو سفيان: ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل، فقال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها. وقال سعيد بن منصور بن خالد عن^(٤) حصين عن عامر الشعبي. قال: كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث [الله]^(٥) رسول الله ﷺ [فرمى بها]^(٦) فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم. فقال عبد ياليل: أنظروا فإن كانت النجوم التي تعرف فهي^(٧) عند فناء الناس إن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فإذا هي لا تعرف. قال: فأمسكوا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي ﷺ. وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي^(٨) عن ابن عباس قال: لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه. فلعل مراد من نفى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ جالس [في نفر من أصحابه]^(٩) إذ رمى بنجم فاستنار فقال: «ما كتتم تقولون^(١٠) إذا رمى بهذا؟» قال كنا نقول مات عظيم، وولد عظيم فقال: «لا ولكن». فذكر الحديث كما

(١) «صحيح البخاري»: (٦٥) كتاب التفسير تفسير سورة الجن «فتح الباري» (٦٦٩/٨).

«صحيح مسلم» في (٤) كتاب الصلاة (٣٣) باب ح (١٤٩) ص (٣٣٣١/١).

وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الجن وقال: حسن صحيح.

وأخرجه النسائي في «سننه» في كتاب «التفسير».

(٢) في البيهقي: صوت كإمرار السلسلة على الصفوان.

(٣) في البيهقي: بتربة مكة.

رواه البيهقي بتغيير في التعابير والألفاظ في «الدلائل» (٢/٢٤٠ - ٢٤١).

(٤) في «نسخ البداية المطبوعة»: «بن» وهو تحريف وما أثبتناه من «دلائل النبوة» للبيهقي حيث نقل الخبر (٢/٢٤١).

(٥) من «دلائل النبوة».

(٦) من «دلائل النبوة».

(٧) في «نسخ البداية المطبوعة»: «فهو» وهو تحريف؛ وأثبتنا ما في «الدلائل».

(٨) في «دلائل البيهقي» (٢/٢٤١): قال أخبرنا محمد بن سعد بن محمد العوفي، قال حدثني أبي قال: حدثني عمي الحسين بن الحسن بن عطية قال: حدثني أبي عن أبيه عطية بن سعد عن ابن عباس.

(٩) ما بين معكوفين استدركت من «الدلائل».

(١٠) أي ما كتتم تقولون في الجاهلية؟

تقدم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق والله الحمد^(١).

وقد ذكر ابن إسحاق في «السيرة» قصة رمي النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم: إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن سماه عمرو بن أمية^(٢) فالله أعلم. وقال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين الله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رجوا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف. فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقدون أرقاءهم، ويسبون مواشيهم. فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء وإنما هو من ابن أبي كبشة، وإن أنتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء فنظروا فأروها فكفوا عن أموالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فقال: اتنوني من كل أرض بقبضة من تراب فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله ﷺ في المسجد الحرام^(٣) يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله أمرهم على نبيه ﷺ. وقال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني إسحاق - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: لما بعث رسول الله ﷺ أصبح كل صنم منكساً فأتت الشياطين فقالوا له ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً، قال هذا نبي قد بعث فالتمسوه في قرى الأرياف فالتمسوه فقالوا: لم نجده، فقال: أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودي عليك بجنبة الباب - يعني مكة - فالتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج إلى الشياطين فقال: إني قد وجدته معه جبريل فما عندكم؟ قالوا: نزين الشهوات في عين أصحابه ونحببها إليهم قال: فلا آسى إذا. وقال الواقدي حدثني طلحة بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال: أمر قد حدث هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مخرج بني إسرائيل، قال: فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا ليس بها أحد فقال إبليس أنا صاحبه فخرج في طلبه بمكة فإذا رسول الله ﷺ بحراء منحدراً معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال: قد بعث أحد ومعه جبريل فما عندكم؟ قالوا: الدنيا نحببها إلى الناس قال فذاك إذا. قال الواقدي: وحدثني طلحة بن عمرو عن عطاء بن ابن عباس. قال: كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد ﷺ منعوا فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: لقد حدث أمر فرقى فوق أبي قبيس - وهو أول جبل وضع على وجه الأرض - فرأى رسول الله ﷺ يصلي خلف المقام. فقال: اذهب فاكسر عنقه. فجاء يخطر وجبريل عنده، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا فولى الشيطان هارباً. ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبير كلاهما عن رباح بن أبي معروف، عن قيس بن سعد، عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن.

فصل

في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة، وثاني مرة أيضاً وقال مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة^(٤) الجرس - وهو أشده علي - فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً يكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيت رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البارد، فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً أخرجاه في «الصحيحين» من حديث مالك به^(٥). ورواه الإمام أحمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة

(١) راجع الحديث في «سيرة ابن هشام» (٢٢٠/١) وتفسير قوله لا ولكن.

(٢) نقل الخبر ابن سعد في «الطبقات» (١٦٣/١) عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس؛ وفيه عمرو بن أمية.

(٣) في «دلائل البيهقي» من رواية عطية بن سعد عن ابن عباس: بطن نخلة. والخبر في «سبل الهدى والرشاد» (٢٦٧/٢).

(٤) في «نسخ البداية المطبوعة» صلصة وهو تحريف، وما أثبتنا من «صحيح البخاري».

(٥) «صحيح البخاري» - كتاب بدء الوحي (٢) باب حديث (٢) «فتح الباري» (٤١/١). ومسلم في (٤٣) كتاب «الفضائل» (٢٣)

باب ح (٨٧) ص (١٨١٧) وما لك في «الموطأ» في (١٥) كتاب «القرآن» (٤) باب.

به نحوه. وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة، وقد رواه أيوب السخيتاني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله ﷺ فقلت كيف يأتيك الوحي؟ فذكره، ولم يذكر عائشة. وفي حديث الإفك قالت عائشة: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه. فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي نزل عليه. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرني يونس بن سليم، قال: أُمي عليّ يونس بن يزيد، عن ابن شهاب عن عروة عن^(١) عبد الرحمن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل، وذكر تمام الحديث^(٢) في نزول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] وكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق، ثم قال النسائي: منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم، ولا نعرفه^(٣). وفي «صحيح مسلم» وغيره من حديث الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وترتد وجهه. وفي رواية وغمض عينيه. وكنا نعرف ذلك منه^(٤). وفي «الصحيحين» حديث زيد بن ثابت حين نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت: ﴿عَبْرٌ أُولَى الْقَرَرِ﴾^(٥) [النساء: ٩٥]. قال وكانت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت فخذته ترض فخذي. وفي «صحيح مسلم» من حديث همام بن يحيى، عن عطاء، عن يعلى بن أمية، قال: قال لي عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجرعانة، فإذا هو محمر الوجه. وهو يغط كما يغط البكر. وثبت في «الصحيحين» من حديث عائشة لما نزل الحجاب، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلاً، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فسألته وهو جالس يتغشى والعرق في يده، فأوحى الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتك». فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عباد بن منصور، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس. قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي ترتد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكمله أحد منهم. وفي «مسند أحمد» وغيره من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال: «نعم أسمع صلاصلا ثم أثبت عند ذلك، وما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن

= - صلصلة الجرس: في الأصل: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض. وقال الخطابي: يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد.

وقيل هو صوت حفيف أجنحة الملك.

- يفصم عني؛ وعن مسلم: ثم يفصم عني.

قال الخطابي: قال العلماء: الفصم هو القطع من غير إبانة. وأما القصم فهو القطع مع الإبانة والانفصال ومعنى الحديث: أن الملك يفارقه على أن يعود، ولا يفارقه مفارقة قاطع لا يعود.

(١) في «نسخ البداية المطبوعة»: عروة بن عبد الرحمن وهو تحريف؛ وفي «دلائل البيهقي»: عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن.

(٢) تمام الحديث في «مسند أحمد» (٣٤/١).

(٣) عبارة النسائي: لا أعرفه؛ والمعنى هنا يقتضي إدخال الترمذي فيه؛ والحديث رواه الترمذي في «جامعه» (١٥١/٤ - ١٥٢) وقال: من سمع عبد الرزاق قديماً فإنهم يذكرون فيه عن يونس بن يزيد وبعضهم لا يذكر فيه عن يزيد بن يونس ومن ذكر فيه يونس بن يزيد فهو أصح. «ويونس الصنعاني» ذكره ابن حبان في «الثقات»؛ قال في «التهديب» عن النسائي: ثقة. وصحح الحديث الحاكم ووافقه الذهبي وهذا دليل على توثيق يونس بن سليم الذي روى عن يونس بن يزيد.

(٤) «صحيح مسلم» في (٤٣) كتاب «الفضائل» (٢٣) باب ح (٨٨) ص (١٨١٧/٤)؛ وأعادته مسلم في (٢٩) كتاب «الحدود» (٣) باب ح (١٣) ص (١٣١٦/٣).

وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣١٧/٥، ٣١٨، ٣٣١، ٣٣٧).

- ترتد وجهه: يعني تغير وعلته غيرة وإنما حصل ذلك لعظم موقع الوحي وشدته.

(٥) رواه الهيثمي عن زيد بن أرقم في «مجمع الزوائد» (٩/٧) وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات. ورواه أيضاً عن ابن عباس وفيه: أنها في قوم كانوا على عهد رسول الله ﷺ لا يفزون معه لأسقام وأمراض وأوجاع وآخرون أصحاء... فكان المرضى في عذر من الأصحاء وقال: رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما ثقات.

نفسى تفيض منه». وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن الحجاج، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم بن كليب، حدثنا أبي عن خاله العليان بن عاصم. قال: كنا عند رسول الله ﷺ وأنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة، وفرغ سمعه وقلبه، لما يأتيه من الله عز وجل^(١). وروى أبو نعيم من حديث قتيبة، حدثنا علي بن غراب، عن الأحوص بن حكيم، عن أبي عوانة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة. قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء. هذا حديث غريب جداً. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية سنان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد. قالت: إني لأخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة^(٢). وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني جبر بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها^(٣). وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل عن عاصم الأحول: حدثني أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق عنق الراحلة من ثقلها. وهذا غريب من هذا الوجه. ثم قد ثبت في «الصحيحين» نزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم^(٤) وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه ﷺ في أول «شرح البخاري» وما ذكره الحلبي وغيره من الأئمة رضي الله عنهم.

فصل

قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْهُ بِرَأْسِهِ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنِّي عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ﴾ (١٩) ﴿[القيامة: ١٦-١٩] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وكان هذا في الابتداء، كان عليه السلام من شدة حرصه على أخذ من الملك ما يوحى إليه عن الله عز وجل ليساوقه في التلاوة، فأمره الله تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسر عليه تلاوته وتبليغه، وأن يبينه له، ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه. ولهذا قال: ﴿وَلَا تَتَّعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧] أي في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي وأن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ﴾ أي تلاه عليك الملك ﴿فَأَنبَحْهُ﴾ أي فاستمع له وتدبره ﴿ثُمَّ إِنِّي عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ﴾ [القيامة: ١٩] وهو نظير قوله ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [القيامة: ١٨] وفي «الصحيحين» من حديث موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة؛ فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله ﷻ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْهُ﴾ فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنِّي عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ﴾ قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل^(٥).

فصل

قال ابن إسحاق: ثم تتابع الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو [مؤمن بالله] مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله وتحمله منه ما حمله - على رضا العباد وسخطهم - وللنبوة أثقال ومؤنة، لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من

- (١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٧) عن الغلبان بن عاصم وقال رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه والطبراني بنحوه، ورجال أبي يعلى ثقات.
 - (٢) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣/٧) وقال: وفي رواية رواه أحمد والطبراني وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق.
 - (٣) رواه الهيثمي وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة والأكثر على ضعفه وقد يحسن حديثه، وبقي رجاله ثقات.
 - (٤) أخرج الحديث البخاري في «صحيحه» في (٦٥) كتاب «التفسير» الحديث (٤٨٣٣) «فتح الباري» (٥٨٢/٨) عن عبد الله بن مسعود. وأخرجه مسلم عن أنس في (٣٢) كتاب «الجهاد» و «السير» (٣٤) باب حديث (٩٧) ص (١٤١٣).
 - (٥) أخرجه البخاري في كتاب «بدء الوحي» (٤/١) وفي «كتاب التوحيد» (١٨٧/٩) من طريق قتيبة بن سعيد وأخرجه مسلم في (٤) كتاب «الصلاة» (٣٢) باب ح (١٤٨) ص (٣٣٠/١) والترمذي مختصراً في كتاب «التفسير» (٤٣٠/٥) وقال حسن صحيح. والنسائي في «الافتتاح» (١٤٩/٢) وابن حبان في «صحيحه» في (٢) كتاب «الوحي» ح (٣٩).
- ثم إن علينا بيانه: أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة: كما جاء في «تفسير القرطبي» (١٠٦/١٩).

الرسول، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس، وما يرد عليهم مما جاؤوا به عن الله عز وجل فمضى رسول الله ﷺ على ما أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

قال ابن إسحاق: وأمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرتة على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن رسوله ﷺ، لا يسمع شيئاً [مما] يكرهه من رد عليه، وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها وأرضاها.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر [بن أبي طالب رضي الله عنه]. قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب». وهذا الحديث مخرج في «الصحيحين» من حديث هشام^(١). قال ابن هشام: القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف.

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله، قبل أن تفرض الصلاة.

قلت: يعني الصلوات الخمس ليلة الإسراء. فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضي الله عنها كما سنبينه.

وقال ابن إسحاق: وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء به. ثم أن جبريل أتى رسول الله ﷺ [وهو بأعلى مكة]^(٢) حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت له عين من ماء زمزم^(٣)، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صلى^(٤) ركعتين وسجد أربع سجعات، ثم رجع النبي ﷺ وقد أقر الله عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يجب من الله، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجعات، ثم كان هو وخديجة يصليان سراً^(٥).

قلت: صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين، فبين له أوقات الصلوات الخمس، أولها وآخرها، فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة، وعليه التكلان.

فصل

أول من أسلم من متقدمي الإسلام والصحابة وغيرهم

قال ابن إسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان. فقال علي يا محمد ما هذا؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» ج (٢٥٧/١) وما بين معكوفتين في الخبر زيادة من «السيرة» والحديث هنا مرسل، وقد أخرجه عن هشام عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت على خديجة مما كنت أسمع من ذكره لها، وما تزوجني إلا بعد موتها بثلاث سنين، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا صخب. أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «المناقب» (٢٠) باب حديث (٣٨١٧) وأخرجه مسلم في «فضائل الصحابة» حديث (٧١، ٧٢، ٧٣) والإمام أحمد في «مسنده» (٥٨/٦، ٢٠٢، ٢٧٩).

(٢) ما بين معكوفين سقطت من «نسخ البداية المطبوعة» ومن «دلائل البيهقي» واستدركت من «سيرة ابن هشام» ج (٢٦٣/١) من طريق يونس بن بكير.

(٣) في «دلائل البيهقي»: مزين.

(٤) في «دلائل البيهقي»: صلياً. وسجداً.

(٥) الخبر في «سيرة ابن هشام» بالفاظ وتعابير مختلفة، حافظت على سياق معنى ما أثبتناه وقال السهيلي: هذا الحديث مقطوع في «السيرة» ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية؛ ولكنه قد روي مسنداً إلى زيد بن حارثة يرفعه، غير أن هذا الحديث المسند يدور على ابن لهيعة؛ وقد ضعفه ولم يخرج عنه البخاري ومسلم.

وقال السهيلي: «وذكر المزني أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها ويشهد لهذا القول قوله سبحانه ﴿وَسَخَّجَ - بِحَمْدِ رَبِّكَ - بِالْمَشْرِيقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [آل عمران: ٤١] وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم ابن عباس.

باللات والعزى. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب. فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره. فقال له: يا علي إذا لم تسلم فإتكم. فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد» ففعل علي وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكنتم علي إسلامه ولم يظهره، وأسلم ابن حارثة - يعني زيدا - فمكثا قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله ﷺ، وكان مما أنعم الله به علي أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام^(١).

قال ابن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد^(٢). قال: وكان مما أنعم الله به علي [وما صنع الله له، وأراد به من الخير] أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس - وكان من أسير بني هاشم - «يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة^(٣)، فانطلق [بنا إليه] حتى نخفف عنه من عياله». . . فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي وآمن به وصدقته^(٤). وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدثني إسماعيل بن أبي إلياس^(٥) بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه - أنه قال: كنت امرئاً تاجراً فقدمت منى أيام الحج، وكان العباس بن عبد المطلب امرئاً تاجراً، فاتيت أبتاع منه وأبيعه، قال فبينما نحن [عنده] إذ خرج رجل من خباء فقام يصلي تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت [معه] تصلي، وخرج غلام فقام يصلي معه. فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما ندري ما هو فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله [به]، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به. قال عفيف: فليتنى كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانياً^(٦). وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق، وقال: في الحديث إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي. ثم ذكر قيام خديجة وراءه. وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عتبة البجلي عن يحيى بن عفيف [عن عفيف] قال: جئت زمن الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلاً فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة؛ فركع الشاب فرجع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجداً معه، فقلت يا عباس أمر عظيم! فقال أمر عظيم. فقال أتدري من هذا؟ فقلت لا، فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، أتدري من الغلام؟ قلت لا. قال هذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟ قلت لا، قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي. وهذا حدثني أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه، وإيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. وقال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا عيسى بن سودة بن أبي

(١) نقل الخبر عن ابن إسحاق البيهقي في «دلائله» (١٦١/٢) وقال محققه في هامشه في «سيرة ابن هشام» ولم أجده في ابن هشام بنصه.

(٢) وهو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ مولى السائب بن أبي السائب روى عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادة الأربعة مولده سنة (٢١) هـ ووفاته سنة (١٠٤) هـ. وورد في «دلائل البيهقي»: مجاهد بن مجاهد بن جبر وهو خطأ وفي الطبري: مجاهد بن جبر أبي الحجاج «تهذيب التهذيب - كاشف الذهبي» ج (٣).

(٣) الأزمة: الشدة. هنا سنة القحط.

(٤) الخبر في «الطبري» (٢١٣/٢) دار القاموس - و «سيرة ابن هشام» (٢٦٤/١). وما بين معكوفين زيادة استدركت من الطبري وابن هشام.

(٥) في «الطبري» و «البيهقي»: بن إلياس.

(٦) في «الطبري» و «دلائل البيهقي»: ثالثاً. وهو مناسب أكثر؛ وفي رواية أخرى في «الطبري»: رابعاً. والخبر نقله الطبري في «تاريخه» (٢١٢/٢) وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» عن علي بن المديني، والحاكم في «المستدرک» وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي ورواه ابن عبد البر في «الاستيعاب». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والطبراني بأسانيد ورجال «ثقات» (١٠٣/٩) وما بين معكوفين في الحديث زيادة من الطبري.

الجمعة^(١) حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي. قالوا: علي أول من أسلم. قال الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين. وحدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق. قال: أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدقته علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام^(٢). قال الواقدي أخبرنا إبراهيم عن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: أسلم علي وهو ابن عشر سنين قال الواقدي: وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعدما تنبأ رسول الله ﷺ بسنة^(٣). وقال محمد بن كعب: أول من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي، وأسلم علي قبل أبي بكر، وكان علي يكتنم إيمانه خوفاً من أبيه، حتى لقيه أبوه قال أسلمت؟ قال: نعم! قال وازر ابن عمك وانصره. قال: وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام^(٤). وروى ابن جرير في «تاريخه» من حديث شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس. قال: أول من صلى علي. وحدثنا عبد الحميد بن يحيى^(٥) حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء وروى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة - رجل من الأنصار - سمعت زيد بن أرقم يقول: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب قال فذكرته للنخعي فأنكره وقال: أبو بكر أول من أسلم. ثم قال: حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء بن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين وهكذا رواه ابن ماجه عن محمد بن إسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى الفهمي - وهو شيعي من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الأزدي الكوفي - وثقوه، ولكن قال أبو حاتم: كان من عتق الشيعة - وقال علي بن المديني روى أحاديث مناكير والمنهال بن عمرو ثقة. وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو الأسدي الكوفي - فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث، وقال البخاري فيه نظر. وذكره ابن حبان في «الثقات»، وهذا الحديث منكر بكل حال، ولا يقوله علي رضي الله عنه، وكيف يمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين؟ هذا لا يتصور أصلاً والله أعلم. وقال آخرون: أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق، والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السباقات - وقيل الرجال أيضاً - وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب. فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت. وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام وكان محباً متألماً^(٦) يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله. قال يونس عن ابن إسحاق ثم إن أبا بكر الصديق نفي رسول الله ﷺ فقال: أحق ماتقول قريش يا محمد؟ من تركك ألهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباؤنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل إنني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته» وقرأ عليه القرآن، فلم يفر ولم ينكر. فأسلم وكفر بالآصنام، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: «ما دهرت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبرة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما حكم عنه^(٧) حين ذكرته، ولا تردد فيه^(٨)» عكس

(١) في «الطبري»: بن الجمدة، بدل ابن أبي الجمدة، وكلامهما كما في «تقريب التهذيب» (١/٣٣٩).

(٢) الخبر في «الطبري» (١/٢١٣) و «سيرة ابن هشام» (١/٢٦٢).

(٣) «الطبري» (٢/٢١٤).

(٤) نقل الخبر البيهقي في «الدلائل» (٢/١٦٣).

(٥) في «الطبري»: ابن بحر.

أبو بلج: ينتح أوله وسكون اللام بعدما جيم، الفلزاري، الكوفي ثم الواسطي الكبير اسمه يحيى بن سليم أو ابن أبي سليم أو ابن أبي الأسود صدوق. «تقريب التهذيب» (٢/٤٠١).

(٦) في «ابن هشام»: مائلاً، والمائل الذي ياله الإنسان.

في «الدلائل البيهقي»: عظمته.

(٧) الخبر في «الدلائل النبوية» للبيهقي (٢/١٦٣ - ١٦٤) عن ابن إسحاق: ولم أجد نص الحديث في «سيرة ابن هشام» إنما الجرم الأخير منه. قال وكان رسول الله يقول ليما بلغني.

- أي تلبث - وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر، منكر فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه، ما يمنعه من الكذب على الخلق. فكيف يكذب على الله؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم، ولا عكم وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناه في «سيرته» وأوردنا فضائله وشمائله واتبعنا ذلك «بسيرة الفاروق» أيضاً وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي ﷺ من الأحاديث، وما روي عنه من الآثار والأحكام والفتاوي، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات والله الحمد والمنة. وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الخصومة وفيه فقال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق. وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» مرتين. فما أؤذي بعدها، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد. قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ألسنت أحق الناس بها، ألسنت أول من أسلم، ألسنت صاحب كذا^(١)؟ وروى ابن عساکر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو إسحاق السبيعي عن الحارث سمعت علياً يقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق، وأول من صلى مع النبي ﷺ من الرجال علي بن أبي طالب. وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق. رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: أول من أسلم علي بن أبي طالب. قال عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: أول من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وروى الواقدي بأسانيده عن أبي أروى الدوسي وأبي مسلم بن عبد الرحمن في جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق. وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن؟ فقال: أبو بكر الصديق، أما سمعت قول حسان:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاهما وأعدلها
بعد النبي وأولاهما بما حملا
والتالي الثاني المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعا
بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال سألت ابن عباس - أو - سئل ابن عباس - أي الناس أول إسلاماً؟ قال: أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره وهكذا رواه الهيثم بن عدي عن مجالد عن عامر الشعبي سألت ابن عباس فذكره^(٢). وقال أبو القاسم البغوي حدثني سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيع بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد، لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قلت: وهكذا قال إبراهيم النخعي ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن إبراهيم وهو المشهور عن جمهور أهل السنة. وروى ابن عساکر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالوا: لم يكن أولها إسلاماً، ولكن كان أفضلهم إسلاماً. قال سعد: وقد آمن قبله خمسة. وثبت في «صحيح البخاري» من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر. قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد، وامرأتان وأبو بكر^(٣). وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود^(٤) قال: أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ، وأبو بكر،

(١) في «جامع الترمذي» (٥٠) كتاب «المناقب» (١٦) باب ح (٣٦٦٧).

(٢) نقل الخبر الطبري في «تاريخه» (٢/٢١٤)؛ وذكر الأبيات ما عدا البيت الرابع ورواه الهيثمي في «زوائده» (٩/٤٣) وقال: رواه الطبراني وفيه الهيثم بن عدي وهو متروك.

(٣) رواه البخاري في كتاب «المناقب» باب في فضل أبو بكر، وفي باب إسلام أبي بكر. ورواه البيهقي في «الدلائل» من طريقين عن عمار (٢/١٦٧).

(٤) الحديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «المستدرک» من وجه فيه زيادة وينفس الإسناد (٣/٣٨٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن ماجه في «المقدمة» (١١) باب في «فضائل أصحاب رسول الله ﷺ» ح (١٥٠) وأحمد في «مسنده» (١/٤٤٠) وذكره الهيثمي في «زوائده» وقال: «إسناده ثقات».

وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر ممنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد اتاهم على ما أرادوا، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه؛ فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد. وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلًا. فأما ما رواه ابن جرير قائلًا: أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن حيلة^(١) عن إبراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص. قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً قال: لا! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا إسلاماً. فإنه حديث منكر إسناداً ومتناً. قال ابن جرير وقال آخرون: كان أول من أسلم زيد بن حارثة، ثم روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب، سألت الزهري من أول من أسلم من النساء؟ قال خديجة، قلت فمن الرجال؟ قال زيد بن حارثة. وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة. وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الغلمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

قال محمد بن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل، وكان أبو بكر رجلاً مألماً لقومه محبباً^(٢) سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه - فيما بلغني - الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر. فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فأمنوا^(٣)، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا [الناس]^(٤) في الإسلام صدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله. وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني الضحاك بن عثمان، عن مخزومة بن سليمان الوالبي، عن إبراهيم بن محمد بن أبي طلحة^(٥)، قال: قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل [هذا] الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا، فقال هل ظهر أحمد بعد؟ قلت ومن أحمد؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحره وسباخ، فإياك أن تُسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث^(٦)؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة. قال فخرجت حتى قدمت على أبي بكر، فقلت اتبعت هذا الرجل؟ قال نعم فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر [رسول الله ﷺ] بذلك. فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية - وكان يدعى أسد قريش - فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم فلذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين. وقال النبي ﷺ: «اللهم اكفنا شر ابن العدوية» رواه البيهقي^(٧). وقال الحافظ أبو الحسن خيشمة بن سليمان الأطرابلسي حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عبيد الله حدثني عبد الله [بن محمد] بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال حدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال يا أبا

(١) في «الطبري»: ابن حيلة. والخبر في «تاريخه» (٢/٢١٥).

(٢) من «سيرة ابن هشام» و«الطبري»، وفي «نسخ البداية المطبوعة» و«الأصول»: مجباً.

(٣) «العبرة في الطبري» و«سيرة ابن هشام»: فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا.

(٤) سقطت من الأصل والطبري، واستدركت من «سيرة ابن هشام».

(٥) في «دلائل البيهقي» و«ابن سعد»: ابن ضاحة.

(٦) في البيهقي وابن سعد: حدث وهو مناسب أكثر.

(٧) الخبر في «ابن سعد» (٣/٢١٥ - ٢١٦). و«دلائل البيهقي» (٢/١٦٦ - ١٦٧).

القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالغيب لأبائنا وأمها. فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله أدعوك إلى الله» فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم. قال عبد الله بن محمد فحدثني أبي، محمد بن عمران، عن القاسم بن محمد عن عائشة؛ قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطىء أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو بكر يحافه وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب. فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير^(١) أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به أخت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت والله مالي علم بصاحبك. فقال اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسألها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً^(٢)، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت هذه أمك تسمع، قال فلا شيء عليك منها، قالت سالم صالح. قال أين هو؟ قالت في دار ابن الأرقم، قال فإن الله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شرباً أو آتي رسول الله ﷺ. فامهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاها على رسول الله ﷺ، قال فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة. فقال أبو بكر بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً^(٣)، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر^(٤)، ودعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب - أو لأبي جهل بن هشام - فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس^(٥)، فكبر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلا مكة، وخرج أبو الأرقم - وهو أعمى كافر - وهو يقول: اللهم اغفر لبني عبيد الأرقم فإنه كفر، فقام عمر فقال يا رسول الله على ما نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل؟ قال: «يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا» فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف

- (١) أم الخير: أم أبي بكر، واسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.
- (٢) رواه ابن عساکر في «تهذيبه» عن عائشة. وروى ابن هشام في «السيرة» عن عبد الله بن عمرو بن العاص يذكر الأذى الذي لحق النبي ﷺ من قومه إلى أن قال: وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر أنها قالت: لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما حبذوه بلحيته، وكان رجلاً كثير الشعر (٣١٠/١).
- (٣) ذكر أسماءهم ابن إسحاق في «السيرة» (٢٦٩/١، ٢٨٠) وكانوا (٥٤) ما بين ذكر وأنثى.
- (٤) قال ابن سعد في «الطبقات»: نال أبو جهل وعدي بن الحمراء وابن الأصداء من النبي ﷺ فبلغ ذلك حمزة، فدخل المسجد فضرب رأس أبي جهل بالقوس وأسلم حمزة فعز به رسول الله ﷺ والمسلمون وذلك بعد دخول رسول الله ﷺ دار أرقم في السنة السادسة من النبوة.
- (٥) في «طبقات ابن سعد» (٢٤٢/٣): كانت الدعوة ليلة الاثنين؛ فجاء عمر من الغد بكرة فأسلم في دار الأرقم. وعن سعيد بن المسيب قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة. وقال ابن إسحاق: والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة.

بالبيت، ثم مر بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. فوثب المشركون إليه، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل إصبعة في عينيه، فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس فقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه، حتى أعجز الناس. واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم، قال ما عليك بأبي وأمي والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف، فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمناً، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر، ثم انصرف عمر وحده، ثم انصرف النبي ﷺ. والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله. وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب «سيرتهما» على انفرادها، وبسطنا القول هنالك والله الحمد. وثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي^(١) رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخفي، فقلت ما أنت؟ قال أنا نبي، فقلت وما النبي؟ قال رسول الله، قلت الله أرسلك؟ قال: نعم قلت بما أرسلك؟ قال بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام، وتوصل الأرحام. قال: قلت: نعم ما أرسلك به، فمن تبعك على هذا؟ قال حر وعبد - يعني أبا بكر وبلالاً - قال: فكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربيع الإسلام. قال فأسلمت، قلت: فأتبعك يا رسول الله؟ قال لا ولكن الحق بقومك، فإذا أخبرت أي قد خرجت فاتبعني^(٢)، ويقال إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً فلعله أخبر أنه ربيع الإسلام بحسب علمه فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم دع الأجانب دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم. وفي «صحيح البخاري» من طريق أبي أسامة عن هاشم بن هاشم عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام^(٣). أما قوله ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه فسهل، ويروى إلا في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل، إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام. وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله، كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد، منهم ابن الأثير. ونص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن كلا من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم. وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام فمشكل وما أدري على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم^(٤). وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن معيط بمكة. فأتى علي رسول الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال - أو فقالا - عندك يا غلام لبن تسقين؟ قلت إني مؤتمن، ولست

- (١) عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة الإمام الأمير أبو نجيع السلمي البجلي، أحد السابقين كان يقال هو ربيع الإسلام وكان من أمراء الجيش يوم اليرموك ترجمته في «الإصابة»؛ «طبقات ابن سعد» (٢١٤/٤) «تهذيب التهذيب» (٦٩/٨).
- (٢) أخرجه مسلم في (٦) كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» (٥٢) ح (٢٩٤) ص (٥٦٩).
- (٣) أخرجه البخاري في (٦٢) كتاب «فضائل الصحابة» (١٥) باب «فتح الباري» (٧٣/٧).
- (٤) قال الصالح في «السيرة الشامية» (٤١١/٢) قال الحافظ: قال ذلك سعد بحسب إطلاعه والسبب فيه أنه من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه ولعله أراد بالاثنتين الآخرين خديجة وأبو بكر أو النبي ﷺ وأبا بكر وقد كانت خديجة أسلمت قطعاً فلعله خص الرجال.

ويحتمل قول سعد على الأحرار البالغين ليخرج الأعبد المذكورون في حديث عمار وعلي رضي الله عنه أو لم يكن اطلع على أولئك. ويدل على هذا الأخير أنه وقع عند الإسماعيلي من رواية يحيى بن سعيد الأموي عن هاشم بلفظ: ما أسلم أحد قبلي. وهذا مقتضى رواية الأصيلي وهي مشكلة لأنه قد أسلم قبله جماعة لكن يحتمل ذلك على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ. وفي «المعرفة» لابن منده: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، وهذا لا إشكال فيه إذ لا مانع أن يشاركه أحد في الإسلام يوم أسلم. ورواه الخطيب مثل رواية ابن منده فيه إلا كبقية الروايات فتعين الحمل على ما قلته. راجع «فتح الباري» (٦٧/٧ - ٦٨) دار إحياء التراث العربي بيروت.

بساقيكما فقال هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد؟ قلت نعم! فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر، وأخذ رسول الله ﷺ الضرع ودعا فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة، فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني، ثم قال للضرع أقلص فقلص، فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت علمني من هذا القول^(١) الطيب - يعني القرآن - فقال: «إنك غلام معلم» فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد. وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة به. ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود^(٢). وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن بطة الأصبهاني، حدثنا الحسن بن الجهم [قال]: حدثنا الحسين بن الفرغ [قال]: حدثنا محمد بن عمر [قال]: حدثني جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - قال: كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول إخوته أسلم. وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار، فذكر من سمعتها ما الله أعلم به. ويرى في النوم كأن آت^(٣) أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحقوقه لا يقع، ففزع من نومه، فقال أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق، فلقني أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له، فقال [أبو بكر] أريد بك خيراً هذا رسول الله ﷺ فاتبعه فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها. فلقني رسول الله ﷺ وهو بأجباد، فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو؟ قال: «أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع، ولا يبصر، ولا يبصر، ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لا يعبد» قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فسر رسول الله ﷺ بإسلامه، وتغيب خالد وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه فأتى به. فأنبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه. وقال: والله لأمنعنك القوت: فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه^(٤).

إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني رجل^(٥) ممن أسلم - وكان واعية - أن أبا جهل اعترض^(٦) رسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه [والتضعيف لأمره]، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله ﷺ وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه. وقال حمزة في ذلك شعراً^(٧).

(١) في «دلائل البيهقي»: المقول.

(٢) نقل الخبر من طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٧١/٢ - ١٧٢) وأحمد في «مسنده» (٣٧٩/١) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٥٣٧/٢).

(٣) في «الدلائل»: أباه.

(٤) الخبر في «دلائل النبوة» (١٧٢/٢) و (١٧٣) وما بين معكوفين من «الدلائل».

(٥) من «سيرة ابن هشام» و «دلائل البيهقي»؛ وفي «نسخ البداية المطبوعة»: ممن وهو تحريف.

(٦) في «سيرة ابن هشام»: مر برسول الله ﷺ، وفي «البيهقي» فكالأصل.

(٧) لم يذكره ابن هشام ولا ابن سعد، وذكر السهيلي في «الروض الأنف» قطعة له منها:

إلى الإسلام والدين الحنيف
خبير بالعباد بهم لطيف
تحدر دمع ذي اللب الحنيف
بآيات مبينة الحروف
فلا تفسره بالقول الضعيف
ولما نقص فيهم بالسيف

حمدت الله حين هدى فؤادي
لدين جاء من رب عزيز
إذا تليت رسائله علينا
رسائل جاء أحمد من هداها
وأحمد مصطفى فينا مطاع
فلا والله نسلمه لقوم

قال ابن إسحاق: ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت. فأقبل حمزة على نفسه وقال: ما صنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً فبات بليلاً لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ. فقال: يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وأقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد أم هو غي شديد؟ فحدثني حديثاً فقد اشتيت يا ابن أخي أن تحدثني، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه، وخوفه وبشره، فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ. فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلت السماء، وأني على ديني الأول. فكان حمزة ممن أعز الله به الدين. وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به^(١).

ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ [قال]: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، [قال]: حدثنا الحسين بن محمد بن زياد [قال]: حدثنا عبد الله بن الرومي، حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن الوليد، عن مالك^(٢) بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر. قال: كنت ربيع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(٣)، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ. هذا سياق مختصر^(٤). وقال البخاري إسلام أبي ذر: حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن المثنى عن أبي حمزة عن ابن عباس. قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء. فاسمع من قوله ثم اتني فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيت يا أبا ذر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر. فقال ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فرآه علي فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربه وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال أما أن للرجل يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي مثل ذلك فأقام معه فقال ألا تحدثني بالذي أقدمك؟ قال إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت. ففعل فأخبره. قال فإنه حق وإنه رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأي أريق الماء، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه. فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» فقال والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلا صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فأكب عليه فقال ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام. فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه هذا لفظ البخاري. وقد جاء إسلامه مبسوطاً في «صحيح مسلم» وغيره فقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت [قال]: قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار - وكان يجلون الشهر الحرام - أنا وأخي أنيس وأما فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مالٍ وذي هيئة، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه فقالوا له: إنك إذا

- (١) قصة إسلام حمزة في «سيرة ابن هشام» (٣١١/١ - ٣١٢) ببعض تغيير و «دلائل البيهقي» (٢١٣/٢) و «طبقات ابن سعد» (٣/٩).
- (٢) في «دلائل البيهقي» ملك؛ وهو تحريف والصواب ما أثبتناه؛ وهو مالك بن مرثد ذكره العجلي في «الثقات» «كاشف الذهبي» (١٠٢/٣).
- (٣) في «دلائل البيهقي» عبده ورسوله؛ بدلاً من رسول الله.
- (٤) الخبر في «دلائل النبوة» للبيهقي (٢١٢/٢). وما بين معكوفين من «الدلائل». وأخرجه الحاكم في «المستدرک»: (٣٤١/٣) والهيتمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٧/٩).

خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس. فجاء خالنا فتى ما قيل له^(١) فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لنا فيما بعد. قال: فقربنا صرمتنا^(٢) فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكي، قال: فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة، قال: فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها^(٣)، فاتيا الكاهن فخير أنيساً. فأتانا بصرمتنا ومثلها [معها، قال]: وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين، قال: قلت: لمن؟ قال الله، قلت: فأين توجه؟ قال: حيث وجهني الله. قال وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل الفيت كأني خفاء^(٤) حتى تعلوني الشمس قال فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فألقني حتى آتيك قال فانطلق فراث^(٥) علي، ثم أتاني فقلت ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً يزعم أن الله أرسله على دينك، قال فقلت ما يقول الناس له؟ قال يقولون^(٦) إنه شاعر وساحر، وكان أنيس شاعراً. قال فقال لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على إقراء الشعراء فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. قال: فقلت له هل أنت كافي حتى انطلق؟ قال نعم! وكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شنعوا له وتجهموا له. قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت^(٧) رجلاً منهم فقلت أين هذا الرجل الذي يدعون الصابىء؟ قال: فأشار إلى [الصابىء]^(٨) فمال أهل الوادي علي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علي، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأني نُصب أحر، فأتيت زمزم فشربت من مائها، وغسلت عني الدم، ودخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به يا ابن أخي ثلاثين من يوم وليلة، مالي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني^(٩) وما وجدت على كبدي سخفة^(١٠) جوع قال فبينما أهل مكة في ليلة قمراء أضحيان وضرب الله على أشحمة^(١١) أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا علي وهما يدعوان إساف ونائلة فقلت: انكحوا أحدهما الآخر فما ثناهما ذلك، فقلت وهن مثل الخشبة^(١٢) غير أني لم أركن^(١٣) قال: فانطلقتا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال ما لكما؟ فقالتا الصابىء بين الكعبة وأستارها قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم، قال وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر وظاف بالبيت، ثم صلى. قال فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام. فقال: «عليك السلام ورحمة الله من أنت؟» قال قلت من غفار، قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته، قال: فقلت في نفسي كره أن انتميت إلى غفار، قال: فأردت أن آخذ بيده فقذفني صاحبه وكان أعلم به مني، قال متى كنت ههنا؟ قال: قلت كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم. قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع. قال قال رسول الله ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعام طعم» قال: فقال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة، قال: ففعل قال فانطلق النبي ﷺ وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر باباً، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال فكان ذلك

(١) في «دلائل البيهقي»: فتا علينا ما قيل له: معناه - كما في «النهاية» - أظهره إلينا وحدثنا به.

(٢) الصرمة هي القطعة من الإبل وتطلق أيضاً على القطعة من الغنم.

(٣) نافر: من المنافرة وهي المفارقة والمحاكمة، فيفخر كل واحد من الرجلين على الآخر ثم يتحاكما إلى رجل ليحكم أيهما خير وأعز نفراً - وفي الشعر - أيهما أشعر.

هنا تراهن هو وآخر أيهما أفضل، وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك فالأفضل أخذ الصرمتين وكان الحكم كاهناً فحكم لأنيس بأنه الأفضل - وهو معنى قوله - فخير أنيساً، أي جعله الخيار والأفضل.

(٤) الخفاء هو الكساء وجمع أخفية ككساء وأكسية؛ وفي رواية المقرئ في البيهقي: يعني الثوب.

(٥) راث: أي أبطأ علي.

(٦) في «نسخ البداية المطبوعة»: يقولوا وهو تحريف.

(٧) أي نظرت إلى أضعفهم فسأله.

(٨) من «دلائل البيهقي»: والمعنى هنا: أي انظروا وخذوا هذا الصابىء.

(٩) عكن: جمع عكنة، وهو الطي في البطن من السمن؛ والمعنى: اثنت وانطوت طاقات لحم بطنه.

(١٠) سخفة: بفتح السين وضمها. وهي رقة الجوع وضعفه وهزاه.

(١١) في «الدلائل»: أصمخة وهي هنا الأذان؛ أي ناموا.

(١٢) المراد هنا سب وإهانة إساف ونائلة، الصنمان وإغاظة الكفار.

(١٣) في مسلم: لا أكني.

أول طعام أكلته بها فلبثت ما لبثت^(١)، فقال رسول الله ﷺ: «إني قد وجَّهت إلي أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يشرب، فهل أنت مبلغ عني قومك؟ لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟». قال فانطلقت حتى أتيت أخي أنيساً، قال فقال لي ما صنعت؟ قال قلت صنعت أني أسلمت وصدقت، قال فما بي رغبة عن دينك. فإني قد أسلمت وصدقت، ثم أتينا أمنا فقالت ما بي رغبة عن دينكما. فإني قد أسلمت وصدقت، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن إيما بن رخصة الغفاري^(٢) وكان سيدهم يومئذ. وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا، قال فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم قال: وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله». ورواه مسلم عن هذبة^(٣) بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه. وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم. وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام.

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند، عن عمرو بن سعيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: قدم ضماد مكة وهو رجل من أزدشنوءة، وكان يرقى من هذه الرياح^(٤)، فسمع سفهاء من سفه مكة^(٥) يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي؟ [قال]: فلقيت محمداً؛ فقلت: إني أرقى من هذه الرياح، وأن الله يشفي على يدي من شاء فهل^(٦). فقال محمد: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات». فقال والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة. وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهل يدك أبايعك على الإسلام. فبايعه رسول الله ﷺ فقال له وعلى قومك؟ فقال: وعلى قومي فبعث النبي ﷺ جيشاً فمروا بقوم ضماد. فقال صاحب الجيش للسرية هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم أصبت منهم مطهرة. فقال ردها عليهم فإنهم قوم ضماد. وفي رواية فقال له ضماد: أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس^(٧) البحر^(٨).

وقد ذكر أبو نعيم في «دلائل النبوة» إسلام من أسلم من الأعيان فصلاً طويلاً، واستقصى ذلك استقصاءً حسناً رحمه الله وأثابه. وقد سرد ابن إسحاق أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضي الله عنهم. قال: ثم أسلم أبو عبيدة [بن الجراح]، وأبو سلمة [عبد الله بن عبد الأسد]، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر - وهي صغيرة - وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، وخباب بن الأرت، وعمير بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود بن القاري، وسليط بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة^(٩)، وامرأته أسماء بنت سلمة^(١٠) بن مخزومة التيمي، وخنيس بن حذافة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث، وامرأته فكيهة ابنة يسار^(١١)، [وحطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنت

- (١) «العبرة في البيهقي» و «مسلم»: فغيرت ما غيرت ثم أتيت رسول الله ﷺ.
- (٢) في «مسلم»: وكان يؤمهم إيما بن رخصة الغفاري؛ وفي البيهقي فكالأصل: خفاف.
- (٣) في «مسلم»: هذاب بن خالد الأزدي.
- والحديث أخرجه في (٤٤) كتاب «الفضائل» (٢٨) ح (١٣٢) ص (١٩١٩ - ١٩٢٠) والإمام أحمد في «مسنده» (١٧٤/٥).
- (٤) في «مسلم»: الريح؛ والمراد بها: الجنون، ومس الجن.
- (٥) في «البيهقي»: سفهاء من سفهاء الناس يقولون:
- (٦) في «مسلم»: فهل لك، أي فهل لك رغبة.
- (٧) في «البيهقي ناهوس»: أي وسطه ولجته وقعره الأقصى.
- (٨) الخبر في «دلائل البيهقي» (٢٢٤/٢) و «مسلم في صحيحه»: في (٧) كتاب «الجمعة» (١٣) باب ح (٤٦).
- (٩) في نسخة من «سيرة ابن هشام» زاد: وأخوه حاطب بن عمرو.
- (١٠) في «ابن هشام» و «البيهقي»: سلامة بن مخزومة التيمية.
- (١١) في «السيرة» لابن هشام فاطمة بنت المجمل، وفي «البيهقي»: أسماء.

يساراً^(١) ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحي، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهري بن عبد مناف^(٢). وامراته رملة بنت أبي عوف بن صبيبة بن سعيد بن سهم^(٣)، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وخالد بن سعيد، وأمينة ابنة خلف بن سعد^(٤) بن عامر بن بياضة بن^(٥) خزاعة، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد الله [بن عبد مناف] بن عرين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعاقل بن البكير، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني^(٦) سعد بن ليث، وكان اسم عاقل غافلاً فسماه رسول الله ﷺ عاقلاً، وهم حلفاء بني عدي بن كعب، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان، ثم دخل الناس [في الإسلام] أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به.

قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع^(٧) بما أمر، وأن يصبر على أذى المشركين. قال وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم. فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي^(٨) جل فشجه، فكان أول دم أمريق في الإسلام. وروى الأموي في «مغازيه» من طريق الواقصي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه. فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله.

باب

الأمر بإبلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام، وأمره له بالصبر والاحتمال، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجّة عليهم، وإرسال الرسول الأعظم إليهم، وذكر ما لقي من الأذى منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنُّكَ مِنْ نَفْثِ قَوْمٍ ﴿٢١٨﴾ وَقَفَّلْنَا فِي السَّجَدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُمْ هُمُ السَّيِّئُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَذِكْرُ لَكُمْ وَلِقَوْمِكُمْ وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٌ﴾ [القصص: ٨٥]. أي إن الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المعاد، فيسألك عن ذلك. كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَأْتِيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢] والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً. وقد تفصينا الكلام على ذلك في كتابنا «التفسير»، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. وأوردنا أحاديث جمّة في ذلك، فمن ذلك: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أنزل الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب يا بني فهر، يا بني كعب أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم! قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب - لعنه الله - تبا لك سائر

(١) ما بين معكوفتين في النص، سقطت من الأصول واستدركت من «السيرة» و «الدلائل».

(٢) في «السيرة» و «الدلائل»: بن عبد عوف.

(٣) ابن سعيد بن سعد بن سهم: وسعيد بن سعد هذا هو ابن سعد أخو سعيد، وهو جد المطلب بن أبي وداعة قاله السهيلي.

(٤) في «السيرة» و «الدلائل»: أسعد.

(٥) في «السيرة» و «الدلائل»: من.

(٦) في «الاستيعاب»: غيرة بن سعد.

(٧) قال السهيلي: قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. إما أن يكون معناه بالذي تؤمر

من التبليغ، وأما أن يكون معناه اصدع بالأمر الذي تؤمره.

(٨) اللحي: العظم الذي على الفخذ؛ وهو في الإنسان: الذي تبيت عليه اللحية.

اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: ١] وأخرجاه من حديث الأعمش به نحوه^(١). وقال أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة. قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص. فقال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سابلها ببلانها»^(٢) ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير، وأخرجاه في «الصحيحين» من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة، وله طرق أخر عن أبي هريرة في «مسند أحمد» وغيره. وقال أحمد أيضاً حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما نزل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام رسول الله ﷺ فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»^(٣) ورواه مسلم أيضاً. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في «الدلائل»: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب. قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [٢١٤] وأخفص جناحك لمن أبغاك من المؤمنين ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٥]. قال رسول الله ﷺ: «عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره، فصمت. فجاءني جبريل عليه السلام فقال [لي]: يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار». قال [علي] فدعاني فقال: «يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين [فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك] فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام، وأعد لنا عس لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب» ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث. فقدمت إليه تلك الجفنة، فأخذ رسول الله ﷺ منها حذية فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال: «كلوا بسم الله» فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: «اسقهم يا علي» فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب لعنه الله فقال لهؤلاء ما سحركم صاحبكم، ففترقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ. [فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «عد لنا مثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بدر إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جمعتهم له وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ اسقهم يا علي، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، بدره أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال لهد ما سحركم صاحبكم؟ ففترقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ»^(٤). فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت

(١) أخرجه مسلم في (١) كتاب «الإيمان» (٨٩) باب حديث (٣٥٥) والبخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» (١١١) باب «فتح الباري» (٧٣٦/٨). وأحمد في «مسنده» (٢٨١/١) و (٣٠٧).

يا صباحاه: كلمة يقولها المستغيث وأصلها إذا صاحوا للغارة أنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمعون يوم الغارة يوم الصباح. فكان القائل يا صباحاه قد غشينا العدو. وقيل إن المتقاتلين كانوا إذا جاؤوا الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهار عاودوه. فكانه يريد بقوله يا صباحاه: قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال.

(٢) مسلم: المصدر السابق حديث (٣٤٨) و (٣٥١) و (٣٥٣) والبخاري في كتاب «الوصايا» حديث (٢٧٥٣) و (٦٢) كتاب «المناقب» ح (٣٥٢٧) وأحمد في «مسنده» (٢٠٦/١) والنسائي في «الوصايا» والدارمي في «الرقاق» كلهم بأسانيد وطرائق متعددة.

- سابلها ببلانها: وفي البيهقي ببلالها: معناه سائلها. شبت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة ومنه بلوا أرحامكم أي صلواها.

(٣) «مسند أحمد» (٣٠٧/١).

(٤) ما بين معقوفتين سقطت من «دلائل البيهقي»؛ وهي على حال تكرار لا طائل من ورائه ولعل التكرار سهو من الناسخ.

بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جمعهم له. فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا، وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها ويشرب مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل من ما جئتكم به. إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة»^(١) هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ أبيهم اسمه^(٢) عن عبد الله بن الحارث به. وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الأبرش عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي فذكر مثله. وزاد بعد قوله: «إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي» وكذا وكذا. قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت ولأني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأخشهم ساقاً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي فقال: «إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا» قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع! تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث. وضعفه الباقون. ولكن روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن أبيه، عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي، عن عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث. قال: قال علي: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال لي رسول الله ﷺ: اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام، وإناء لبناً، وأدع لي بني هاشم فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل، أو أربعون ورجل فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال: وبدرهم رسول الله ﷺ الكلام. فقال: «أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟» قال فسكنوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله، قال وسكت أنا لسن العباس. ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس، فلما رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله، قال أنت؟ قال وإني يومئذ لأسوأهم هيئة، وإني لأعمش العينين، ضخم البطن؛ خمش الساقين. وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم. وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عباد بن عبد الله الأسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم - أو كالشاهد له - والله أعلم. ومعنى قوله في هذا الحديث: من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت، وكأنه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله، ويقضي عنه؛ وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية والمقصود أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يردده عن ذلك راد، ولا يصده عنه ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، ومواقف الحج يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء. وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفاتهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب، وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعاً وكان يحنو عليه. ويحسن إليه، ويدافع عنه ويحامي، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبعياً لا شرعياً. وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه. ولا اجترؤوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه،

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» مختصراً (١٨٧/١) و«الوفا» لابن الجوزي (١٨٤/١) وتكملة الخبر: ثم قال من يؤازرنى على ما أنا عليه؟ قال علي: أنا يا رسول الله وإني أحدثهم سناً، وسكت القوم ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك؟ قال: دعوه، فلن يآلو بآب من عمه خيراً.

وما ورد في الخبر بين معكوفتين سقط من الأصل و«نسخ البداية المطبوعة» واستدرك لمقتضى السياق من «دلائل البيهقي» (١٧٩/٢) - (١٨٠).

(٢) في «دلائل البيهقي» (١٨٠/٢) قال أبو عمر أحمد بن عبد الجبار بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم بن مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث. قال ابن إسحاق: وكان ما أخفى النبي ﷺ أمره واستسره به إلى إن أمر بإظهاره ثلاث سنين من مبعثه.

وربك يخلق ما يشاء ويختار^(١). وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً، فهذان العمان كافرين أبو طالب وأبو لهب. ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من نار، وذلك في الدرك الأسفل من النار، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر، وتقرأ في المواعظ والخطب. تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب، وامراته حمالة الخطب. قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه. قال: أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدليل - وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز [يمشي بين ظهراي الناس]^(٢) وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه^(٣). وقال البيهقي أيضاً حدثنا أبو طاهر^(٤) الفقيه حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن^(٥) القطان، حدثنا أبو الأزهر: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا محمد بن عمر^(٦) عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الديلي. قال: رأيت رسول الله ﷺ بذى المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت من هذا؟ قيل هذا أبو لهب. ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة. قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» وإذا رجل خلفه يسفى عليه التراب، وإذا هو أبو جهل، وإذا هو يقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى^(٧). كذا قال أبو جهل، والظاهر أنه أبو لهب، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى.

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه، وسجاياه، واعتماده فيما يحامي به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى بن^(٨) عبد الله عن موسى بن طلحة، أخبرني عقيل بن أبي طالب. قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانه عنا. فقال: يا عقيل انطلق فأتني بمحمد، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس^(٩) - أو قال خنس - يقول بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم، فانت عن أذاهم فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «ترون هذه الشمس؟» قالوا نعم! قال: «فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا»^(١٠) منه بشعلة». فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا. رواه البخاري في «التاريخ» عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير. ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه^(١١) - ثم روى البيهقي من طريق يونس عن ابن إسحاق حدثني يعقوب بن عتبة^(١٢) بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث. أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعثت إلى رسول الله ﷺ. فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت. فاكفف

- (١) يفهم من كلام ابن كثير أن أبا طالب، قضى كافراً، وأن الله تعالى قضى بذلك لحكمة عنده حماية لرسوله وذوداً للإسلام...
- (٢) ما بين معقوفتين زيادة من «دلائل البيهقي».
- (٣) «مسند أحمد» (٤٩٢/٣) و «دلائل البيهقي» (١٨٦/٢).
- (٤) وهو محمد بن محمد بن محمد بن محمش الفقيه.
- (٥) في «الدلائل»: الحسين.
- (٦) في «الدلائل»: عمرو.
- (٧) الخبران في «الدلائل» (١٨٥/٢ - ١٨٦) وفي «مسند أحمد» (٤٩٢/٣).
- (٨) في الأصل و «نسخ البداية المطبوعة» عن عبد الله بن موسى؛ والصواب ما أثبتناه من «دلائل البيهقي» بن عبد الله، عن موسى.
- (٩) في «الدلائل»: كيس أو قال من حفش؛ والكبس: الكن يأوي إليه الإنسان.
- (١٠) في «البخاري»: تشتعلوا وفي «الدلائل»: تستشعلوا.
- (١١) رواه البيهقي في «الدلائل» (١٨٦/٢ - ١٨٧) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥١/١/٤).
- (١٢) في «الدلائل» عقبه، وفي «السيرة» فكالأصل. وهو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس الثقيفي، ثقة من السادسة مات سنة ثمان وعشرين «تقريب التهذيب» (٣٨٥/٢، ٣٧٦).

عن قومك ما يكرهون من قولك. فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلمه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ: «يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري»^(١) ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ: يا ابن أخي فأقبل عليه، فقال امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً، قال ابن إسحاق ثم قال أبو طالب في ذلك:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فامضي لأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه
لولا الملامة أو حذارى شبة
حتى أوسد في التراب ذفيننا
أبشز وقر بذاك منك عيوننا^(٢)
فلقد صدقت وكنت قدماً أميننا^(٣)
من خير أديان البرية ديننا
لوجدتني سمحاً بذاك مبیننا

ثم قال البيهقي: وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً؛ وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمة مع خلفه إياه في دينه، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء لا معقب لحكمه^(٤). وقال يونس بن بكير: حدثني محمد بن إسحاق [قال]: حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضع^(٥) وأربعين سنة عن عكرمة، عن ابن عباس، في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ فلما قام رسول الله ﷺ قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر، فإذا سجد في صلاة فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، فلما أصبح أبو جهل - لعنه الله - أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان قبلته الشام^(٦). فكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليماني^(٧)، وجعل الكعبة بينه وبين الشام. فقام رسول الله ﷺ يصلي، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منبهتاً ممتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يده على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال من قريش. فقالوا له: ما بك يا أبا الحكم؟ فقال قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، والله ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلني. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «ذلك جبريل، ولو دنا منه لأخذه»^(٨). وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو النضر^(٩) الفقيه، حدثنا عثمان الدارمي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبان بن صالح عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عبد المطلب. قال: كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل - لعنه

- (١) قال السهيلي: خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المحسوسة. وقد خص رسول الله ﷺ النيرين حين ضرب المثل بهما لأن نورهما محسوس والنور الذي جاء به من عند الله.
- (٢) فامضي: كذا بالأصول بإثبات الياء للوزن.
- (٣) في «سبل الهدى» (٤٣٧/١) وكنت ثم أميناً.
- (٤) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٢٨٤/١ - ٢٨٥) دون ذكر الأشعار وفي «دلائل النبوة» للبيهقي (١٨٧/٢ - ١٨٨).
- (٥) في الأصل: بضعاً وهو تحريف.
- (٦) في «سيرة ابن هشام»: وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام.
- (٧) كذا في الأصول والبيهقي: وفي «السيرة»: بين الركنين اليماني والحجر الأسود.
- قال ابن بطوطة في «رحلته»، عند كلامه عن الأركان: ومن عند الحجر الأسود مبتدأ الطوف، وهو أول الأركان التي يلقيها الطائف فإذا استلمه تقهقر عنه قليلاً، وجعل الكعبة الشريفة عن يساره ومضى في طوافه، ثم يلقي بعده الركن العراقي، وهو إلى جهة الشمال، ثم يلقي الركن الشمالي وهو إلى جهة الغرب، ثم يلقي الركن اليماني وهو إلى جهة المغرب، ثم يعود إلى الحجر الأسود وهو إلى جهة الشرق. «رحلة ابن بطوطة» - الجزء الأول.
- (٨) الخبر في «سيرة ابن هشام» من حديث طويل (٣١٨/١ - ٣١٩) و«دلائل البيهقي» (١٩٠/٢ - ١٩١) ورواه النسوي بإسناده إلى أبي هريرة وفيه فقالوا: ما لك فقال إن بيني وبينه لخدقاً من نار وهو لا وأجنحة فقال رسول الله ﷺ: لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً راجع السهيلي - «الروض الأنف» - و«دلائل البيهقي» (١٨٩/٢).
- (٩) «دلائل النبوة» ج (١٩١/٢).

الله - فقال: إن الله علي إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبتك، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضباناً حتى جاء المسجد فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضباناً حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط. فقلت هذا يوم شر، فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله ﷺ فقرأ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: ١-٢] فلما بلغ شأن أبي جهل ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦﴾﴾ [العلق: ٦-٧] فقال إنسان لأبي جهل: يا أبا الحكم هذا محمد؟ فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى؟ والله لقد سد أفق السماء علي فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد^(١). وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن عبد الكريم، عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً». ورواه البخاري عن يحيى بن عبد الرزاق به^(٢). قال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس. قال، مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي. فقال: ألم أنك أن تصلي يا محمد؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني، فانتهره النبي ﷺ. فقال جبريل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٧﴾ سَنَعُ الزَّيْنَةَ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ١٦-١٧] والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب. ورواه أحمد والترمذي وصححه النسائي من طريق داود به^(٣). وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس. قال قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلي لآتته حتى أطأ عنقه، قال فقال: «لو فعل لأخذته الزبانية عياناً». وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس. قال قال أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١] حتى بلغ من الآية: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَالِقَةٍ ﴿١٦﴾﴾ فليدع ناديه ﴿٧﴾ سَنَعُ الزَّيْنَةَ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ١٥-١٨]. فجاء النبي ﷺ يصلي فقبل ما يمنعك؟ قال: قد اسود ما بيني وبينه من الكتاب. قال ابن عباس: والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه. وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا نعم! قال: فقال واللات والعزى لئن رأيت يصلي كذلك لأطأن على رقبتك، ولأعفرن وجهه بالتراب. فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليلاً على رقبتك. قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص^(٤) على عقبيه، ويتقي بيديه، قال فقيل له مالك؟ قال إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة. قال فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاخططفته الملائكة عضواً عضواً». قال وأنزل الله تعالى - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦﴾﴾ [العلق: ٦]. إلى آخر السورة^(٥) وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به. وقال الإمام أحمد: حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس، وسلا جزور قريب منه. فقالوا: من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره؟ فقال عقبه بن أبي معيط: أنا، فأخذه فألقاه على ظهره. فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم عليك بهذا الملائمة من قريش، اللهم عليك بعقبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهم عليك بأبي بن خلف - أو أمية بن خلف - شعبة الشاك قال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً، ثم سحبوا إلى القلب غير أبي - أو أمية بن خلف - فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع. وقد رواه البخاري في

(١) «دلائل النبوة» (٩١/٢).

(٢) «مسند أحمد» (٢٤٨/١) و «البخاري» في (٦٥) كتاب «التفسير» - تفسير سورة العلق (٤) باب «فتح الباري» (٧٢٤/٨) وأخرجه الترمذي في تفسير سورة العلق.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٦/١) وأخرجه الترمذي في تفسير سورة العلق ح (٣٣٤٩) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٤) أي رجع يمشي إلى ورائه.

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٥٠) كتاب «المنافقين» (٦) باب ح (٣٨) ص (٢١٥٤)؛ والإمام أحمد في «مسنده» (٣٧/٢) والبيهقي في «الدلائل» (١٨٩/٢).

مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن أبي^(١) إسحاق به. والصواب أمية بن خلف فإنه الذي قتل يوم بدر، وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد كما سيأتي بيانه - والسلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة. وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا^(٢) حتى جعل بعضهم يميل على بعض، أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله. وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبتهم، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك، وخافوا دعوته، وأنه ﷺ دعا على الملائكة منهم جملة وعين في دعائه سبعة. وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم: وهم عتبة، وأخوه شيبه ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل بن هشام، وعقبة بن أبي معيط، وأميه بن خلف. قال أبو^(٣) إسحاق: ونسيت السابع. قلت: وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في «صحيح البخاري»^(٤).

قصة الأراشي

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي. قال: قدم رجل من إراش^(٥) بإبل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فمطله بأثمانها. فأقبل الأراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد. فقال: يا معشر قريش من رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام، فإني غريب وابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك - يهزون به^(٦) إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، اذهب إليه فهو يعديك عليه. فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقام معه. فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال محمد فاخرج! فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم^(٧)، وقد انتقع لونه. فقال: أعط هذا الرجل حقه، قال: لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للأراشي الحق لشأنك. فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيراً، فقد أخذت^(٨) الذي لي، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت؟ قال عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال: عط هذا الرجل حقه فقال: نعم! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له ويلك ما لك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت؟ فقال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملثت رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فوالله لو أبيت لأكلني^(٩).

(١) في «نسخ البداية المطبوعة» ابن.

والحديث في «البخاري» في (٥٨) كتاب «الجزية» (٢١) باب حديث (٣١٨٥) وفي (٤) كتاب «الوضوء» (٦٩) باب الحديث (٢٤٠) وعن مسلم في «صحيحه» (٣٢) كتاب «الجهاد» (٣٩) باب حديث (١٠٨).

(٢) استضحكوا: أي حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جداً فجعلوا يضحكون يميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك.

(٣) في الأصل و «نسخ البداية المطبوعة»: «ابن» وما أثبتناه من البخاري ومسلم.

(٤) في كتاب «الصلاة» من رواية إسرائيل عن أبي إسحاق. قال ابن حجر: واستشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين لأنه لم يقتل بيد بل ذكر أصحاب «المغازي» أنه مات بأرض الحبشة... والجواب: أن كلام ابن مسعود في أنه رآهم صرعى في القليب محمول على الأكثر، ويدل عليه أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب بل قتل صبراً بعد أن رحلوا عن بدر مدة.

(٥) إراش: اسم موضع «معجم البلدان».

(٦) في «دلائل البيهقي»: يهون، أي يشيرون.

(٧) في «البيهقي»: وما في وجهه بايحة.

(٨) في «البيهقي»: أخذ.

(٩) الخبر رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/١٩٣ - ١٩٤).

فصل

وقال البخاري: حدثنا عباس^(١) بن الوليد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير. سألت ابن العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله؟ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿أَنْتَ لَوْنَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] الآية. تابعه ابن إسحاق قال أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عمرو. وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمر بن العاص. وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص. قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة. انفرد به البخاري. وقد رواه في أماكن من «صحيحه» وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص، وهو أشبه لرواية عروة عنه، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة^(٢). وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم^(٣) عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق. حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة. قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته^(٤)؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سقاه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصرنا منه^(٥) على أمر عظيم. أو كما قال. قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت في وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها. فقال^(٦): «أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح». فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكان على رأسه طائر وقع^(٧) حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه [أحسن ما يجد من القول] حتى إنه ليقول انصرف أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول. فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك» ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه، وقام أبو بكر يبكي^(٨) دونه ويقول: ويلكم ﴿أَنْتَ لَوْنَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط.

فصل

في تاليب الملا من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرتهم وحرسهم عليه أن يسلمه إليهم

فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوذيت

- (١) في الأصل و «نسخ البداية المطبوعة»: «عياش» وهو تحريف وأثبتنا ما في البخاري.
- (٢) الحديث في «سيرة ابن هشام» (٣٠٩/١). والبخاري في «صحيحه» في (٦٢) كتاب «فضائل الصحابة» (٥) باب حديث (٣٦٧٨)؛ وفي (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٢٩) باب حديث (٣٨٥٦) وفي (٦٥) كتاب «التفسير» (٤٠) باب تفسير سورة المؤمن حديث (٤٨١٥).
- (٣) الحاكم: محمد بن عبد الله الحافظ؛ والأصم: أبو العباس محمد بن يعقوب.
- (٤) العبارة في «سيرة ابن هشام»: أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته؟
- (٥) في «دلائل البيهقي»: وصبرنا منه؛ وفي «سيرة ابن هشام» لقد صبرنا منه.
- (٦) في «السيرة» و «الدلائل»: فوقف ثم قال:
- (٧) في «السيرة» و «الدلائل»: واقع.
- (٨) في الأصل و «نسخ البداية المطبوعة»: «ينكي» وهو تحريف.

في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال»^(١). وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذي حسن صحيح. وقال محمد بن إسحاق: وحذب^(٢) على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لدينه^(٣) لا يرده عنه شيء، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبرهم من شيء وأنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حذب عليه، وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبو البختري - واسمه العاص بن هشام^(٤) بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، ونبيه ومنبه، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد^(٥) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم. قال ابن إسحاق أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا وسفه أحلامنا، وضلل آبائنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه؟ فقال لهم أبو طالب: قولاً رقيقاً، وردهم رداً جليلاً فانصرفوا عنه. ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم شرى^(٦) الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا. وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى. فقالوا: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا - ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني، فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له، فأبى علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بدو^(٧) وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله ﷺ: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته» قال: ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولي ناداه أبو طالب. فقال: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ. فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبداً قال ابن إسحاق ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له - فيما بلغني -: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذ ولداً فهو لك؟ وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامنا فقتله فإنما هو رجل برجل! قال: والله لبس ما تسومونني؟ أعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني فقتلوناه! هذا والله ما لا يكون أبداً. قال: فقال المطعم بن

(١) «مسند أحمد» (٣/١٢٠).

(٢) حذب: أصل الحذب: انحناء الظهر، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له؛ وقد يكون الحذب أيضاً مستعملاً في معنى المخالفة إذا قرن بالقياس؛ كقول الشاعر:

وإن حذبوا فاقمروا وإن هم تقاعسوا
لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحذب

(٣) في «السيرة»: لأمره.

(٤) قال السهيلي: الذي قاله ابن إسحاق: العاص بن هشام هو قول الكلبي، والذي قاله ابن هشام: «أبو البختري: العاص بن هشام» هو قول الزبير بن أبي بكر وقول مصعب؛ وهكذا وجدت في حاشية كتاب «الشيخ أبي بحر سفيان بن العاص».

(٥) في «السيرة»: ابن سعد.

(٦) من «السيرة»، وفي الأصول سري؛ وشرى الأمر: كثر واشتد.

(٧) في «السيرة»: بداء، والبداء الاسم من بدا والمراد: ظهر له رأي.

عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؟ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك - أو كما قال - فحقب^(١) الأمر، وحميت الحرب، وتنازعت القوم، ونادى بعضهم بعضاً، فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي، ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سأله وما تباعد من أمرهم:

ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
يرش على الساقين من بولي قطر^(٢)
إذ ما علا الفيقاء قيل له وير^(٣)
إذا سُئلا قالوا إلى غيرنا الأمر
كما حرجمت من رأس ذي علق الصخر^(٤)
هما نبدانا مثل ما نبد الجمر
فقد أصبحا منهم أكفهما صفر^(٥)
من الناس إلا أن يرش له ذكر
وكأثوا لنا مولى إذا بُغِيَ النصر
ولا منكم ما دام من نسلنا شفر^(٦)

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم
من الخور حجاب كثير رغاوة
تخلف خلف الورد ليس بلاحي
أرى أخويننا من أبينا وأمننا
بلى لهما أمر ولكن تخرجما
أخص خصوصاً عبد شمس وتوفلاً
هما أغمزا للقوم في أخوينهما
هما أشركا في المجد من لا أبأله
وتيم ومخزوم وزهرة منهم
فوالله لا تنفك منا عداوة
قال ابن هشام: وتركنا منها بيتين أقدع فيهما:

فصل

في مبالغتهم في الأذية لأحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً تذا مروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله منهم رسول الله ﷺ بعمه أبي طالب. وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون، في بني هاشم وبني عبد المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله [الملعون] فقال^(٧) في ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من الحذب والنصرة لرسول الله ﷺ:

فعبد مناف سيرها وصميتها
ففي هاشم أشرافها وقديمتها
هو المصطفى من سيرها وكريمها
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها^(٨)

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر
وإن حصلت أشراف عبد منافها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً
تداعت قريش غثها وسميتها

- (١) حقب الأمر: زاد واشتد، وهو من قولك: حقب البعير: إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب وإذا عسر عليه البول أيضاً لشدة الحقب على ذلك الموضع.
- (٢) الخور: الضعاف. والحجاب: القصير؛ ويروي خبخاب هو الضعيف.
- (٣) وير: دوية على شكل الهرة، ويحتمل أن يكون أراد أنه يصفر في العين لعلو المكان أو بعده.
- (٤) تجرجما، وجرجمت في «السيرة».
- ذو علق: جبل في ديار بني أسد.
- (٥) أغمزا: أغمز فلان في فلان، أو من فلان: إذا صغر شأنه وعابه واستضعفه.
- (٦) في «السيرة»: ولا منهم ما كان من نسلنا شفر. وشفر: أي أحد.
- (٧) فقال: أي أبو طالب.
- (٨) الغث: هنا من ليس له نسب؛ والغث في الأصل: اللحم الضعيف.

وكنّا قديماً لا نُقرُّ ظلاماً ونحامي جماها كل يوم كريمة بنا انتمش العوذ الزواء وإنما
 إذ ما ثنوا صغر الرقاب نُقيمها^(١) ونضرب عن أحجارها من يرومها^(٢)
 بأكنافنا تندی وتسمى أرومها^(٣)

فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد

فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيهم وضلالهم يتردون. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْوَقْرَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦-٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَمَآئِنَا نُمُودُ أَلَّا نَكْفُرَ بِهَا وَمَا نُزِّلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ تَخْرُفَ ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٥﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٦﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا لِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٧﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٥-٩٨] وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في «التفسير» والله الحمد. وقد روى يونس وزباد^(٤) عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم - وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد - عن سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس. قال: اجتمع عليّ من أشرف قريش - وعدد أسماءهم^(٥) - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه، وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، [فأتهم] فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء^(٦)، وكان [عليهم] حربياً يحب رشدهم ويعز عليه عنّهم، حتى جلس إليهم. فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك^(٧)، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جثت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك - وكان يسمون التابع من الجن الرثي - فربما كان ذلك؛ بذلنا [لك] أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك؟ فقال [لهم] رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت

(١) في ابن هشام: الخدود بدل الرقاب.

(٢) في ابن هشام: أحجارها، والأحجار جمع جحر يريد بيوتها ومسكنها، والأحجار: المراد بها الحصون والمعقل.

(٣) في «نسخ البداية المطبوعة»: «الزواء» وهو تحريف. والذواء: الذي جفت رطوبته والأروم: الأصول جمع أرومة.

(٤) يونس بن بكير وزباد البكائي وهما راوي «السيرة» عن ابن إسحاق.

(٥) ذكر أسماءهم ابن إسحاق في «السيرة»: وهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث بن

كلدة، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام

وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج، وأمّية بن خلف (٣١٥/١).

(٦) في «السيرة»: بدء.

(٧) في «السيرة»: لنكلمك.

لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» - أو كما قال رسول الله ﷺ - فقالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق بلاداً، ولا أقل ماءً^(١)، ولا أشدّ عيشاً منا. فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أو باطل؟ فإن فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت [إليكم] إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وتساله فيجعل لنا جناحاً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك عما نراك تبتغي فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم: «ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم». قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل فقال: «ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك» فقالوا: يا محمد ما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم يقبل منك ما جئتنا به؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإننا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرتنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً. فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب - فقال: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله. ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله [ويصدقوك ويتبعوك] فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب. فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك^(٢). ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفاً لما فاتته بما طمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباحدتهم إياه^(٣). وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملا مجلس ظلم وعدوان وعناد، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية، والرحمة الربانية، ألا يجابوا إلى ما سألوها لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب. كما قال الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال: سألت أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا، فقيل له إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوها فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم. قال: «لا بل أستأني بهم» فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآيَاتِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] الآية. وهكذا رواه النسائي من حديث جرير^(٤). وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عمران بن حكيم، عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك، قال وتفعّلوا؟ قالوا نعم قال فدعا فاتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة، قال: «بل التوبة والرحمة» وهذان إسنادان جيدان، وقد جاء مرسلان عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبيرة وقاتدة

(١) في الأصل «ملاً» وهو تحريف، وأثبتناه من «السيرة».

(٢) في «السيرة»: «أني أصدقك»؛ وقد أسلم أبو أمية هذا قبل فتح مكة.

(٣) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣١٥/١) وما بعدها. وما بين معقوفتين في الخبر زيادة استدركت من «السيرة».

(٤) أخرجه النسائي في «التفسير»، في «السنن الكبرى تحفة الأشراف» (٤٠٢/٤).

وابن جريج وغير واحد، وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد، عن القاسم عن^(١) أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض علي ربي عز وجل أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت لا يا رب أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو نحو ذلك - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» لفظ أحمد. وقال الترمذي هذا حديث حسن، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث، وقال محمد بن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر^(٢) - قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة - عن عكرمة عن ابن عباس. قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلوهم عن محمد، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال فقالت له أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب^(٣)، وسلوه عن رجل طواف مشارق الأرض ومغاربها ما كان [نبؤه]^(٤)، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالوا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبراهم بها، فجاؤوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمرهم به. فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم غداً بما سألتهم عنه» ولم يستثن فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة^(٥) لا يحدث له في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف^(٦) أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة [أصحاب]^(٧) الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر]^(٧) ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقال الله تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقد تكلمنا على ذلك كله في «التفسير» مطولاً فمن أراد فعله بكشفه من هناك. ونزل قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقاً لا تعليقاً في قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٢ - ٢٣] ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر، ثم ذي القرنين ثم قال: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] أي خلق عجيب من خلقه، وأمر من أمره، قال لها كوني فكانت. وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه، وتصوير حقيقته في نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته، ولهذا قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد ثبت في «الصحاحين»^(٨) أن اليهود سألوها عن ذلك رسول الله ﷺ بالمدينة، فتلا عليهم هذه الآية - فإما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً - وإن كان نزولها متقدماً ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة سبحان ففي قوله نظر، والله أعلم.

- (١) في الأصل ابن أبي أمامة وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه وهو القاسم بن عبد الرحمن لم يرو إلا عن أبي أمامة من الصحابة.
- (٢) في «السيرة»: حدثني بعض أهل العلم، وفي «دلائل البيهقي»: حدثني رجل من أهل مكة.
- (٣) في «السيرة»: عجب.
- (٤) سقطت من الأصل واستدركت من «السيرة» و «الدلائل».
- (٥) قال السهيلي عن موسى بن عقبة إن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ثم جاءه جبريل بسورة الكهف.
- (٦) أرجف أهل مكة: خاضوا في الأخبار السيئة التي من شأنها إيقاع الناس في البلبلة والاضطراب لإبعادهم عن النبي ﷺ.
- (٧) ما بين معكوفتين سقط من الأصل واستدركت من «السيرة» و «دلائل البيهقي».
- (٨) أخرجه البخاري في (٩٦) كتاب «الاعتصام بالسنة» (٣) باب ح (٧٢٩٧) ومسلم في «صحيحه» في (٥٠) كتاب «صفات المنافقين» (٤) باب ح (٣٢) ص (٢١٥٢) عن ابن مسعود قال البيهقي: وحديث ابن مسعود، يدل على أن سؤال اليهود عن الروح، ونزول الآية فيه كان بالمدينة.

قال ابن إسحاق: ولما خشي أبو طالب دهم^(١) العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مُسَلِّم لرسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه فقال:

وقد قطعوا كلَّ العُرى والوسائل
وقد طأوعوا أمرَ العدوِّ المُزاييل
يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
وأبيضَ غضبٍ من تُراثِ المَقاول^(٢)
وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل
لدى حيث يقضي خَلْفَه كلَّ نافل^(٣)
بمفضي السيولِ من إسافٍ ونائل
مخيِّسة بين السديسِ وبازل^(٤)
بأعناقها معقودة كالعشاكل^(٥)
علينا بسوءٍ أو ملحٍ بباطل
ومن مُلجِحٍ في الدين ما لم نحاول
وراقٍ ليرقى في جرّاءٍ ونازل
وبالله إنَّ الله ليس بغافل
إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل
على قدميه حافياً غير ناعل
وما فيهما من صورةٍ وتمائل^(٦)
ومن كل ذي نذرٍ ومن كل راجل
الإلِ إلى مُفضي الشراجِ القوابل^(٧)
يقيمون بالأيدي صدورَ الرواحل
وهل فوقها من حُرمةٍ ومنازل
سِراعاً كما يخرجن من وقعٍ وابل
يؤمّون قذفاً رأسها بالجنادل
تجيز بهم حجّاجُ بكرٍ بن وائل
وردّا عليه عاطفاتِ الوسائل
وشبرقه وخذُ النعامِ الجوافل^(٨)

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ فيهم
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة
صبرتُ لهم نفسي بسمرأةٍ سَمحة
وأحضرتُ عند البيتِ رهطي وأخوتي
قياماً معاً مُستقبلين رِتاحه
وحيثُ يُنيخ الأشعرون ركابهم
موسمةً الأعضاء أو قُضراتها
تري الودعَ فيها والرخامَ وزينة
أعوذُ برَبِّ الناس من كلِّ طاعن
ومن كاشحٍ يسعى لنا بمعيبة
وثورٍ ومن أرسى ثبيراً مكانه
وبالبيتِ حقُّ البيت من بطنِ مكة
وبالحجرِ المسودِ إذ يمسحونه
وموطئِ إبراهيم في الصخرِ رطبة
وأشواطِ بين المروتين إلى الصفا
ومن حجّ بيتِ الله من كل راكب
وبالمشعرِ الأقصى إذا عمدوا له
وتوقأفهم فوقَ الجبالِ عشيةً
وليلة جمعٍ والمنازلُ من منى
وجمع إذا ما المقرباتُ أجزته
وبالجمرِ الكبرى إذا صمدوا لها
وكندةً إذ هم بالجِصابِ عشيةً
حليفانِ شداً عقد ما احتلفا له
وحطمهم سُمرَ الرماحِ وسرخه

(١) في ابن هشام: دهماء.

(٢) غضب: قاطع، المقاول: الملوك. يحتمل أن يكون هذا السيف من هبات أو هدايا الملوك لأبيه عبد المطلب.

(٣) النافل: المتبريء.

(٤) موسمة: معلمة؛ والقصرات جمع قصرة: وهي أصل العنق. والمخيصة: المذلة. والسديس من الإبل: الذي دخل في السنة الثامنة. والبازل: الذي خرج نابه وذلك في السنة التاسعة.

(٥) العشاكل: جمع عثكول وأصلها عثاكيل حذفت الياء للضرورة: وهي الأغصان التي ينبت عليها الثمر.

(٦) تمائل: أصلها تماثيل حذفت الياء للضرورة؛ وهي الصور.

(٧) المشعر الأقصى: عرفة. الإل: جبل عرفة قال النابغة:

يسزون إلا سيبرهم من التمدافع

(٨) وسمي كذلك لأن الحجيج إذا رأوه ألوا في السير واجتهدوا فيه ليدركوا الموقف. والشراج: جمع شرج: وهو سيل الماء. السمر: شجر الطلع. والصفاح: وهو عرض الجبل. والسرغ: شجر عظام.

وهل من مُعَيِّذٍ يَتَّقِي اللّٰهَ عَادِلٍ
 يَسُدُّ بِنَا أَبْوَابَ تَرْكٍ وَكَابِلٍ^(١)
 وَنَظْمٍ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَابِلٍ
 وَلَمَّا نَطَاعُنْ دُونَهُ وَنِنَاضِلٍ^(٢)
 وَتَذَهْلَ عَنْ أِبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
 نَهَوْضَ الرُّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ^(٣)
 مِنَ الطَّعْنِ فَعَلَّ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ^(٤)
 لَتَلْتَبَسَا أَسْيَافُنَا بِالْأَمَائِلِ
 أَخِي ثِقَةً حَامِي الْحَقِيقَةِ بَاسِلٍ^(٥)
 عَلَيْنَا وَتَأْتِي خَجَّةٌ بَعْدَ قَابِلٍ^(٦)
 يَحُوطُ الذَّمَّازَ غَيْرَ ذَرْبِ مَوَاكِلِ^(٧)
 ثَمَالِ الْيَتَامَى عِضْمَةٍ لِلْأَرَامِلِ
 فَهَمٌّ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
 إِلَى بَغْضِنَا وَجَزَانَا لِأَكْلِ^(٨)
 وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقِبَائِلِ^(٩)
 وَلَمْ يَرْقُبَا فِينَا مَقَالَةَ قَائِلِ^(١٠)
 وَكُلُّ تَوْلَى مُعْرَضًا لَمْ يَجَامِلِ^(١١)
 نَكْلٍ لِهَمَا صَاعًا بِصَاعِ الْمَكَائِلِ
 لِيُظْعِنُنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ
 فَنَاجِي أَبَا عَمْرٍو بِنَا ثَمَّ خَاتِلِ
 بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ خَائِلِ^(١٢)
 مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبِ فَمَجَادِلِ

فهل بعد هذا من معاذٍ لعائد
 يطاع بنا أمر العدا وذا أننا
 كذبتهم وبيت الله نترك مكة
 كذبتهم وبيت الله نبذي محمداً
 ونسلمه حتى نصرع حوله
 وينهض قوم بالحديد إليكم
 وحتى نرى ذا الضغن يركب رذعه
 وأنا لعمر الله إن جد ما أرى
 بكفي فتى مثل الشهاب سُمَيْدِعِ
 شهوراً وأياماً وحولاً محزماً
 وما ترك قوم - لا أبالك - سيداً
 وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه
 يلوذ به الهلاك من آل هاشم
 لعمري لقد أجرى أسيد وبكره
 وعثمان لم يربح علينا وقنفذ
 أطاعاً أبياً وابن عبد يغوثهم
 كما قد لقينا من سبينع ونوفل
 فإن يلفياً أو يُمكن الله منهما
 وذاك أبو عمرو أبي غير بغضنا
 يناجي بنا في كل ممسى ومصبح
 ويؤلي لنا بالله ما أن يغشنا
 أضاق عليه بغضنا كل تلعة

= والشبرق: نبات يقال لياسه الحلبي، ولرطبه الشبرق.

الوخد: السير السريع. والجوافل: المسرعة.

(١) في «السيرة والاكتفاء»: يطاع بنا العدي وودوا لو أننا. وترك وكابل: جبلان.

(٢) في «سيرة ابن هشام»: نبزي بدل نبذي. نبزي: نغلب عليه؛ والمراد هنا: لا نبزي محمداً فحذف لا من جواب القسم.

(٣) الروايا: الإبل التي تحمل الماء واحدها رواية. والصلاصل: المزدادات لها صلصة بالماء.

(٤) يركب رذعه: أي يخر صريعاً لوجهه.

(٥) السמידع: السيد.

(٦) في «السيرة»: مجرمًا بدل محرمًا، والحول المجرم: الكامل يقال: تجرم العام والشتاء، وتصرم الصيف.

(٧) الذذب: الفاحش النطق. والمواكل: العاجز الذي يكل أموره كلها إلى غيره.

(٨) أسيد وبكره: وهو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

(٩) عثمان هو ابن عبيد الله أخو طلحة. وقنفذ: بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

(١٠) أبي: الأخنس بن شريف حليف بني زهرة بن كلاب وسمي الأخنس - وهو علاج - لأنه خنس بالقوم يوم بدر «سيرة ابن هشام».

(١١) سبيع بن خالد، أخو بلحارث بن فهر، ونوفل: بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن العدوية. وكان من شياطين قريش وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة بن عبيد الله في جبل حين أسلما.

(١٢) في ابن هشام: غير حائل.

بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل
 ورحمته فينا ولست بجاهل
 حسود كذوب مبغض ذي دغاو^(١)
 كما مرّ قيل من عظام المقاول
 ويزعم أني لست عنكم بغافل
 شفيق ويخفي عارمات الدواخل
 ولا معظم عند الأمور الجلائل
 أولي جدل من الخصوم المساجل^(٢)
 وإني متى أوكل فلست بوائل
 عقوبة شر عاجلاً غير آجل
 له شاهد من نفسه غير عائل^(٣)
 بني خلف قيصاً بنا والغياطل^(٤)
 وآل قصي في الخطوب الأوائل
 علينا العدى من كل طمّل وخامل^(٥)
 فلا تُشركوا في أمركم كلّ واغل
 وجئتم بأمر مخطيء للمفاصل
 الآن أحطاب أقدر ومراجل^(٦)
 وخذلنا وتركنا في المعاكل
 وتحتلبوها لثقة غير باهل^(٧)
 وبشر قصياً بعدنا بالتخاذل^(٨)
 إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
 لكنا أسى عند النساء المطافل
 لعمري وجدنا غبّه غير طائل
 براءً إلينا من معقّة خاذل
 زهير حساماً مفرداً من حمائل^(٩)
 إلى حسب في حومة المجد فاضل

وسائل، أبا الوليد ماذا حبوتنا
 وكنت امرءاً ممن يعاش برأيه
 فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح
 ومرّ أبو سفيان عني معرضاً
 يفرّ إلى نجد ويرد مياحه
 ويخبرنا فعل المناصح أنه
 أمطعم لم أخذك في يوم نجدة
 ولا يوم خصم إذ أتوك ألدّة
 أمطعم إن القوم ساموك خطة
 جزي الله عنا عبد شمس ونوفلا
 يميزان قسط لا يخيس شعيرة
 لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
 ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
 وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
 فعبد مناف أنتم خير قومكم
 لعمري لقد وهنتم وعجزتم
 وكنتم حديثاً حطب قدر وأنتم
 ليهن بني عبد مناف عقوقنا
 فإن نك قوماً نثرت ما صنعتم
 فأبلغ قصياً أن سينشر أمرنا
 ولو طرقت ليلاً قصياً عظيمة
 ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم
 فكل صديق وابن أخت نعده
 سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة
 ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
 اشم من الشم البهاليل ينتمي

(١) الدغاو: الغوائل، وقيل: الأمور الفاسدة.

(٢) المساجل: أصله من المساجلة؛ وجمعه مسجل بكسر الميم وهو الخصم المدافع وتروى المساحل بالحاء المهملة: البلغاء والخطباء.

(٣) في ابن هشام: لا يخس: لا ينقص ويخيس: من قولهم خاس بالعهد: نقضه.

(٤) الغياطل: بنو سهم.

(٥) الطمّل: الرجل الفاحش، وقيل: اللص.

(٦) في «السيرة»: حطاب بدل أحطاب. وحطاب جمع حاطب والمراد: كنتم متفقين لا تحطبون إلا لقدور واحدة، فأنتم الآن بخلاف ذلك.

(٧) لثقة: الناقة ذات اللبن. والباهل: الناقة التي لا صرار لها على أخلافها فهي مباحة الحلب.

(٨) قبله بيتان سقطا من الأصل، وهما في «سيرة ابن هشام».

وسائط كانت في لؤي بن غالب

ورهط نفيل شر من وطىء الحمصي

(٩) قبله أبيات وردت في ابن هشام (٢٩٨/١).

نفاهم إلينا كل صقر حلاحل
 والأم حاف من معد وناعل

وإخوته ذأب المحبب المواصل
إذا قاسه الحُكَّام عند التفاضل
يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
له إرثٌ مجدٍ ثابتٍ غير ناصل
وأظهر ديناً حقه غير زائل^(١)
تجرُّ على أشياخنا في المحافل
من الدهر جداً غير قول التهازل
لديننا ولا يُعنى بقول الأباطل
يقصُرُ عنها سورة المتداول^(٢)
ودافعت عنه بالذرى والكلال

لعمري لقد كلفتُ وجراداً بأحمدٍ
فمن مثله في الناس أتى مؤملاً
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غير طائش
كريمٌ المساعي ماجدٌ وابن ماجد
وأيدته ربُّ العبياد بنصره
فوالله لولا أن أجىء بسببة
لكننا تبعمناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومة
حدبت بنفسي دونه وحميته

قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع قولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردتها الأموي في «مغازيه» مطولة بزيادات أخر والله أعلم.

فصل

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يجسسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم^(٣) ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم، فكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جمح، مولداً من مولديهم، وهو بلال بن رباح، واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرج إذا حميت الظهيرة، [فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة]^(٤) ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد ﷺ، وتعبد اللات والعزى فيقول: - وهو في ذلك - أحدٌ أحدٌ. قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك، وهو يقول أحدٌ أحد، فيقول أحدٌ أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حناناً^(٥).

قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرِّ ﴿١﴾﴾ [المدثر: ١] فكيف يمر ورقة ببلال، هو يعذب وفيه نظر^(٦). ثم ذكر ابن إسحاق مرور أبي بكر ببلال وهو يعذب، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والاماء، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عيسى^(٧) التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها، والنهدية وابنتها اشتراها من بني عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر: حل يا أم فلان، فقالت حل أنت أفسدتهم فأعتقتهما، قال فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا، قال قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها

(١) هذا البيت والذي قبله سقطا من «السيرة».

(٢) السورة: بفتح السين الشدة والبطش؛ وبضمها: المنزلة.

(٣) في «ابن هشام»: يصيبه.

(٤) ما بين معقوفتين سقط من الأصل واستدركت من «ابن هشام» (٣٣٩/١).

(٥) أي لأجعلن قبره موضع حنان فأتسمح به متبركاً.

(٦) وقد تقدم التعليق حول وفاة ورقة بعد فترة الوحي، كما جاء في البخاري، وأن ورقة لم يبق إلى إسلام بلال. فليراجع في مكانه من هذا الجزء.

(٧) كذا في الأصول: وفي «ابن هشام»: أم عيسى؛ وإن التي أصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر هي زنيرة - كما عند «ابن هشام» - فقالت قريش عند ذلك: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى. فقالت: كذبوا وبيت الله، فرد الله بصرها راجع ترجمتها في «الاستيعاب» لابن عبد البر على هامش «الإصابة» (٣٢٢/٤) و «الإصابة» (٣١١/٤).

طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: [أو] ذلك إن شئتما واشترى جارية بني مؤمل - حي من بني عدي - كان عمر يضربها على الإسلام. قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله. قال قال أبو قحافة لابنه أبي بكر: يا بني إني أراك تعتق ضعافاً فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ قال فقال أبو بكر: يا أبة إني إنما أريد ما أريد. قال: فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيَسْرَى ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥ - ٧] إلى آخر السورة^(١). وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود، قال أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد، ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسل^(٢).

قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حيت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة. فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول - فيما بلغني -: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»^(٣) وقد روى البيهقي عن الحاكم عن إبراهيم بن عصمة العدل، حدثنا السري بن خزيمة، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام بن أبي عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: «أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة»^(٤) فأما أمه فيقتلونها فتأبى إلا الإسلام. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد. قال: أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها^(٥). وهذا مرسل.

قال محمد بن إسحاق: وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجال من قريش، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنه وخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيين^(٦) رأيك، ولنضعن شرفك. وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك. وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به لعنه الله وقبحه. قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال نعم والله! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له، اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم.

قلت: وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْتُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦] الآية فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن خباب بن الارت، قال: كنت رجلاً قيناً وكان لي على العاص بن وائل دين،

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» (١/٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/٢٨٤) وقال صحيح الإسناد، ولم يخرجاه... ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/١٤٩) وابن عبد البر في «الاستيعاب».

(٣) «سيرة ابن هشام»: (١/٣٤٢).

(٤) الخبر في «دلائل البيهقي» (٢/٢٨٢) وفيه: أو آل ياسر.

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/٣٨٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢٩٣) عن عثمان وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٥) قال البيهقي في «الدلائل» عن مجاهد قال: أول شهيد كان في الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها (٢/٢٨٢) راجع «الاستيعاب» (٤/٣٣٠) على هامش «الإصابة»؛ و «الإصابة» (٤/٣٣٥).

(٦) في «نسخ البداية المطبوعة»: ولنفيين رأيك، وهو تحريف ونفيين رأيك: أي نقبحه ونخطئه.

فأنتبه أتقاضاه فقال لا والله لا أفضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعت. قال: فإنني إذا مت ثم بعثت جنتني ولي ثم مال وولد فأعطيك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ (٧٧) إلى قوله: ﴿وَأَيُّنَا فَرَدًّا﴾ (مریم: ٧٧ - ٨٠) أخرجه في «الصحیحین» وغيرهما من طرق عن الأعمش به^(١). وفي لفظ البخاري كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت أتقاضاه فذكر الحديث. وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بيان وإسماعيل^(٢). قال: سمعنا قيساً يقول سمعت خباباً يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت [يا رسول الله] ألا تدعو الله [لنا]؟ فقعد وهو عمر وجهه. فقال: «قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل» زاد نبان «والذنب على غنمه» وفي رواية «ولكنكم تستعجلون» انفرد به البخاري دون مسلم^(٣). وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان وابن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب عن خباب. قال شكونا إلى النبي ﷺ شدة الرمضاء فما أشكنا - يعني في الصلاة - وقال ابن جعفر: فلم يشكنا. وقال أيضاً: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت سعيد بن وهب يقول: سمعت خباباً يقول: شكونا إلى رسول الله ﷺ الرمضاء فلم يشكنا، قال شعبة يعني في الظهيرة. ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن وهب عن خباب. قال شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء - زاد البيهقي في وجوهنا وأكفنا - فلم يشكنا. وفي رواية شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا. وروى ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الأعمش عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب العبدي عن خباب. قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء فلم يشكنا. والذي يقع لي - والله أعلم - أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكوا إليه ﷺ ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره، وسألوا منه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراهنة وأخبرهم عن من كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم، ويشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينشره وينصره في الأقاليم والآفاق حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذنب على غنمه، ولكنكم تستعجلون ولهذا قال شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء في وجوهنا وأكفنا فلم يشكنا، أي لم يدع لنا في الساعة الراهنة، فمن استدل بهذا الحديث على عدم الإبراد أو على وجوب مباشرة المصل بالكف كما هو أحد قولي الشافعي ففيه نظر والله أعلم.

باب

مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال إسحاق بن راهويه: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب السخيتاني، عن عكرمة، عن ابن عباس. أن

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١١٠/٥ - ١١١). وأخرجه الترمذي في «التفسير» - تفسير سورة مريم. وأخرجه مسلم في (٥٠) كتاب «المنافقين» ح (٣٦).

والبخاري في (٣٤) كتاب «البيوع» (٢٩) باب ح (٢٠٩١) وفي (١٥) كتاب «الإجارة» (١٥) باب ح (٢٢٧٥) وفي (٤٤) كتاب «الخصومات» (١٠) باب ح (٢٤٢٥) وفي كتاب «التفسير» - تفسير سورة مريم (٣) باب ح (٤٧٣٢) «فتح الباري».

(٢) من البخاري والبيهقي: وفي «نسخ البداية المطبوعة»: بنان وهو تحريف، وبيان بن بشر إسماعيل بن أبي خالد.

(٣) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناب الأتصار» (٢٩) باب ح (٣٨٥٢) عن الحميدي.

وقال البيهقي: وأخرجه من أوجه أخر عن إسماعيل والخبر ليس في مسلم إنما أخرجه البخاري أيضاً في الإكراه عن مسدد «فتح الباري» (٣١٥/٢) وفي «علامات النبوة في الإسلام» عن إسماعيل «فتح الباري» (٦١٩/٦) وأخرجه أبو داود: في «الجهاد» عن إسماعيل. وأحمد في «مسنده» (١٠٩/٥).

الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقراً عليه القرآن، فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال لم؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له [أو أنك كاره له]. قال وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليعظم ما تحته. قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر. قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يآثره عن غيره فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَكُمْ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَيَبِينُ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر: ١١ - ١٣] الآيات هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن محمد [بن علي] الصنعاني بمكة عن إسحاق به. وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلًا^(١). فيه أنه قرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وقال البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، [قال]: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير - أو عكرمة عن ابن عباس - أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر المونم^(٢) فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً. فقيل: يا أبا عبد شمس، فقل، واقم لنا رأياً نقوم به^(٣)، فقال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع. فقالوا نقول كاهن؟ فقال ما هو بكاهن رأيت الكهان. فما هو بززمة الكهان. فقالوا نقول مجنون؟ فقال ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بحنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. فقالوا^(٤) نقول شاعر؟ فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر: برجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه، ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا فنقول هو ساحر؟ قال ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا بعقده قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره وأنزل الله في الوليد ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَكُمْ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَيَبِينُ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر: ١١ - ١٣] الآيات وفي أولئك النفر ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ قَوْلِيكَ لَسْتَ لَهُمْ آجِمِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩١ - ٩٣].

قلت: وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم: ﴿بَلْ قَالُوا أَضَلَّكُمْ أَهْلِكُمْ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥] فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل، لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ. قال الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٩]. وقال الإمام عبد بن حميد في «مسنده» حدثني أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح - وهو ابن عبد الله الكندي - عن الذيال بن حرمة الأسدي عن جابر بن عبد الله. قال: اجتمع قريش يوماً فقالوا أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله ﷺ. فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ. قال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١٩٨/٢)، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٠٦/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال البيهقي: وكذلك رواه معمر بن عباد بن منصور عن عكرمة مرسلًا؛ ورواه أيضاً معتمر بن سليمان عن أبيه فذكره أتم من ذلك مرسلًا.

(٢) من البيهقي، وفي «نسخ البداية المطبوعة»: المواسم وهو تحريف.

(٣) في ابن هشام: نقول به بدل نقوم به.

(٤) من البيهقي، وفي «نسخ البداية المطبوعة»: فقال وهو تحريف.

(٥) عطين: أي أصنافاً. والخبر رواه البيهقي في «الدلائل» (١٩٨/٢) وما بعدها.

سخله^(١) قط أشام على قومه منك فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً. والله ما ننتظر إلا مثل صبيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى: أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً. فقال رسول الله ﷺ: «فرغت؟» قال نعم! فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْنَا فُصَيْلَتَ آيَاتِنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾» [فصلت: ١-٣] إلى أن بلغ: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ» [فصلت: ١٣]. فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال لا، فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ فقال نعم! ثم قال لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويملك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة. وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الأجلح به. وفيه كلام، وزاد: وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً مابقيت وعنده أنه لما قال: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ» أمسك عتبة^(٢) على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم. فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه فأتوه. فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبتك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد. فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً. وقال: لقد علمتم أي من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيتهم - وقص عليهم القصة - فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾» [فصلت: ١-٢] حتى بلغ: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ» فأمسكت فيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب^(٣). ثم قال البيهقي: عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق [قال]: حدثني يزيد بن زياد^(٤) مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة^(٥)، وكان سيداً حليماً، قال - ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد -: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله ﷺ من المال والملك وغير ذلك. وقال ابن إسحاق^(٦) فقال عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه وكلمه. فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة^(٧) في العشيرة والمكان في النسب، وأنت قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت [به] جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضي من آبائهم. فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا الوليد اسمع». قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي

(١) السخله: تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن.

(٢) في «نسخ البداية المطبوعة»: عتبة وهو تحريف.

(٣) «دلائل البيهقي» (٢/٢٠٣).

(٤) من «السيرة» و «دلائل البيهقي»؛ وفي «نسخ البداية المطبوعة» بن أبي زياد وهو تحريف.

(٥) عتبة بن ربيعة (٢ هـ = ٦٢٤ م) بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، نافذ القول. نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية؛ أول ما عرف منه توسطه للمصلح في حرب الفجار. أدرك الإسلام وطفى فشهد بدرأ مع المشركين، أحاط به علي وحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه.

(٦) في «نسخ البداية المطبوعة»: زياد بن إسحاق وهو تصحيف.

(٧) في «نسخ البداية المطبوعة»: الشطر وهو تحريف، وما أثبتناه من «سيرة ابن هشام» والسطة: الشرف.

يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة. قال له النبي ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال نعم! قال اسمع مني، قال أفعل! فقال رسول الله ﷺ: ﴿حَمْدٌ لِّتَنْزِيلٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: ١-٣] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها وألقى يديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال: «سمعت يا أبا الوليد؟» قال سمعت قال: «فأنت وذاك» ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ [عظيم]، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم^(١). ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة.

وقال البيهقي^(٢): أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الآدمي بمكة، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطيالسي، حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا المشني بن زرعة عن محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر. قال: لما قرأ رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة ﴿حَمْدٌ لِّتَنْزِيلٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [فصلت: ١-٢] أتى أصحابه فقال لهم: يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم، واعصوني فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناي كلاماً مثله، وما دريت ما أرد عليه، وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أبي أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق حدثني الزهري. قال: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة لسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً. ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود. فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذه عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها [وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها]^(٣) فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فاطمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع^(٤) به أبداً ولا نصدقه. فقام عنه الأخنس بن شريق ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا أحمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبه. قال: إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله». فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منتبه عن سب آلها؟ هل تريد إلا أن تشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتعتك^(٥). فانصرف رسول الله ﷺ. وأقبل علي فقال: والله إنني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن [يمنعني] شيء. إن بي قصي قالوا:

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣١٤/١) و «دلائل البيهقي» (٢٠٤/٢ - ٢٠٥) وما بين معقوفتين في الحديث من «السيرة» و «الدلائل».

(٢) «دلائل البيهقي»: (٢٠٦/٢).

(٣) ما بين معقوفتين سقط من الأصل والدلائل واستدرك لمقتضى السياق من «الخطاه» للكلامي.

(٤) في «الدلائل»: لا تؤمن به.

(٥) في «الدلائل»: ما البعتك، وهو مناسب أكثر.

فينا الحجابة. فقلنا نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا الندوة، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا اللواء، فقلنا نعم. ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي، والله لا أفعل^(١).

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ؛ قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا محمد بن خالد، حدثنا أحمد بن خلف، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق. قال: مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان، وهما جالسان. فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بني عبد شمس. قال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً، ورسول الله ﷺ يسمع فأتاهما فقال: «أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل. وأما أنت يا أبا الحكم، فوالله لتضحكن قليلاً ولتبكين كثيراً» فقال: بشما تعديني يا ابن أخي من نبوتك. هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

وقول أبي جهل - لعنه الله - كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُّوكَ إِلَّا هُرُؤًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان: ٤١ - ٤٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس. قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارباً بمكة ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ وهكذا رواه صاحبنا «الصحيح» من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به^(٢).

وقال محمد بن إسحاق^(٣): حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن - وهو يصلي - تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو، وهو يصلي، استرق السمع، دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك، لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع، فيتفجع به ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.

باب

هجرة أصحاب رسول الله من مكة إلى أرض الحبشة

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد. والإهانة البالغة. وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسوله ﷺ، ومنعه بعمه أبي طالب، كما تقدم تفصيله والله الحمد والمنة. وروى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة^(٤)، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين مائس وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة. وهم عثمان بن عفان، وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة، وامراته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن

(١) «دلائل النبوة» (٢/٢٠٧).

(٢) «مسند أحمد» (١/٢٣، ٢١٥).

(٣) «سيرة ابن هشام» (١/٣٣٥).

(٤) نقل البيهقي في «الدلائل» قال: وأما الهجرة الثانية وهي فيما زعم الواقدي سنة خمس من مبعث النبي (٢/٢٩٧) ووافق الطبري الواقدي في أن مخرجهم في الهجرة الأولى كان في رجب في السنة الخامسة من حين نبيء رسول الله ﷺ، (٢/٢٢١) دار القاموس الحديث. ويرى البيهقي أن الهجرة الأولى اقتصر على عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ راجع «الدلائل» (٢/٢٩٧).

ربيعة العنزي، وامراته ليلي بنت أبي حثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، ويقال بل أبو حاطب بن عمرو^(١)، وسهيل بن بيضاء، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً، سوى نسائهم وأبنائهم، وعمار بن ياسر، نشك فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً.

وقال محمد بن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله عز وجل، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؟ فإن بها سلكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق - حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكان أول هجرة كانت في الإسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ^(٢). وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشر بن موسى عن الحسن بن زياد البرجمي، حدثنا قتادة. قال: أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة - يعني أنس بن مالك - يقول: خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته. قال: «على أي حال رأيتهما؟» قالت رأيتك قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة^(٣)، وهو يسوقها، فقال رسول الله ﷺ: «صحبهما الله، أن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام»^(٤).

قال ابن إسحاق: وأبو حذيفة بن عتبة، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو - وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة - والزيبر بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة - وولدت له بها زينب - وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة - حليف آل الخطاب، وهو من بني عنز بن وائل وامراته ليلي بنت أبي حثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم العامري، وامراته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو - ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر - وهو أول من قدمها فيما قيل - وسهيل بن بيضاء - فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني قال ابن هشام وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس، وولدت له بها عبد الله بن جعفر. وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة.

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب، وفي هذا نظر والله أعلم. وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها. وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولاً، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا، فلما قدموا مكة - وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون - فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة. وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة، وهي الهجرة الثانية - كما سيأتي بيانه. قال موسى بن عقبة: وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً. وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرعيل الأول أظهر كما سيأتي بيانه والله أعلم. لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولاً، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهما عند النجاشي وغيره، كما سنورده مبسوطاً، ثم إن ابن إسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضي الله عنهم. وهم عمرو بن سعيد بن العاص، وامراته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث [بن حمل] بن شق الكناني. وأخوه خالد، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي. وولدت له بها سعيداً، وأمه التي تزوجها بعد ذلك الزيبر، فولدت له عمراً وخالداً. قال وعبد الله بن جحش بن رثاب، وأخوه عبيد الله، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة،

(١) كذا في «الطبري»، وفي «ابن هشام» يقال: أبو حاطب بن عمرو.

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/٣٤٤).

(٣) في البيهقي: الدبابة.

(٤) «دلائل البيهقي» (٢/٢٩٧) وذكر الحديث الهشيمي في «مجمع الزوائد» (٩/٨٠ - ٨١) وقال: رواه الطبراني وفيه عثمان بن خالد العثماني وهو متروك.

وامراته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان، ومعيقب بن أبي فاطمة، وهو من موالي سعيد بن العاص قال ابن هشام: وهو من دوس. قال وأبو موسى [الأشعري] (١) عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة، وستكلم معه في هذا. وعتبة بن غزوان، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، وطلب بن عمير بن وهب بن أبي كثير (٢) بن عبد [بن قصي] (٣)، وسويبط بن سعد بن حرملة (٤)، وجهم بن قيس العبدي (٥)، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمة (٦)، وولده عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد، والمطلب بن أظهر بن عبد عوف الزهري، وامراته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة. وولدت بها عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وأخوه عتبة، والمقداد بن الأسود، والحارث بن خالد بن صخر التيمي، وامراته ربيعة بنت الحارث بن جبيلة (٧)، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومي - قال (٨) وإنما سمي شماساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان - وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو (٩) بن مخزوم، وسلمة بن هشام بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة، ومعتب بن عوف بن عامر - ويقال له عيهامة - وهو من حلفاء بني مخزوم. قال: وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون، وحاطب بن الحارث بن معمر، ومعه امرأته فاطمة بنت المجمل، وابناه منها محمد والحارث، وأخو خطاب، وامراته فكيهة بنت يسار، وسفيان بن معمر بن حبيب، وامراته حسنة، وابناه منها جابر وجنادة، وابنها من غيره، وهو شرحبيل بن عبد الله - أحد الغوث بن مزاحم بن تميم، وهو الذي يقال له شرحبيل بن حسنة (١٠)، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح، وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد (١١) بن سهم، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد (١٢)، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد أبناء الحارث، وسعيد بن قيس بن عدي لأمه وهو سعيد بن عمرو التيمي، وعمير بن رثاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد (١٣) بن سهم، وحليف لبني سهم: وهو محمية بن جزء الزبيدي ومعمر بن عبد الله العدوي، وعروة بن عبد العزى، وعدي بن نضلة بن عبد العزى، وابنه النعمان، وعبد الله بن مخزومة العامري، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن عمرو، وأخوه السكران، ومعه زوجته سودة بنت زمعة، ومالك بن ربيعة، وامراته عمرة بنت السعدي، وأبو حاطب بن عمرو العامري، وحليفهم سعد بن خولة - وهو من اليمن، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، وسهيل بن بيضاء - وهي أمه، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة، وعثمان بن عبد غنم بن زهير أخوان، وسعيد (١٤) بن عبد قيس بن لقيط، وأخوه الحارث الفهريون.

- (١) من «سيرة ابن هشام».
- (٢) من «سيرة ابن هشام»، وفي «نسخ البداية المطبوعة» و«الاستيعاب»: كثير.
- (٣) زيادة من «شرح السيرة» لأبي ذر.
- (٤) من «السيرة» وفي «نسخ البداية المطبوعة» حريملة وهو تحريف.
- (٥) العبدي نسبة إلى عبد الدار، وهو بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.
- (٦) من «السيرة» وفي «نسخ البداية المطبوعة»: خزيمة.
- (٧) في «السيرة»: جبيلة.
- (٨) القائل: ابن هشام. كما في «السيرة».
- (٩) في «السيرة»: عمر.
- (١٠) قاله ابن هشام.
- (١١) «سعد» في «السيرة» وقد تقدم التعليق حوله فليراجع.
- (١٢) في «السيرة»: سعد.

قال ابن إسحاق: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها - ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه.

قلت: وذكر ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جداً. وقد قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحواً من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى^(١) فأتوا النجاشي. وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمار بن الوليد^(٢) بهدية فلما دخلا على النجاشي سجداً له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له: إن نقرأ من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال فأين هم؟ قالوا: في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه، فسلم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك؟ قال إن الله بعث إلينا رسولاً ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، قال فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قال نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسه بشر، ولم يفرضها ولد. قال فرجع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله ﷺ. وأنه الذي نجد في الإنجيل. وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم، أنزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيت حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه. وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرأ. وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته. وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، إن لم يكن ذكره مدرجاً من بعض الرواة والله أعلم. وقد روي عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر.

فقال الحافظ أبو نعيم في «الدلائل» حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الختلي، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا إسرائيل. وحدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا عبيد الله^(٣) بن موسى، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي^(٤)، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمار بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية وقدموا على النجاشي فأتياه بالهدية، فقبلها وسجداً له ثم قال عمرو بن العاص: إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك قال لهم النجاشي في أرضي؟ قالوا نعم! فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد. أنا خطيبكم اليوم، فانتبهنا إلى النجاشي، وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمار عن يساره. والقسيسون جلوس سماطين. وقد قال له عمرو وعمار: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا بدرنا^(٥) من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عز وجل. فلما انتهينا إلى النجاشي قال ما منعك أن تسجد؟ قال لا نسجد إلا لله، فقال له النجاشي. وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا

(١) سقط اسم أبي موسى من روايتي «البيهقي» و «عيون الأثر». وسقط اسم عبد الله بن عرفطة من رواية البيهقي راجع «عيون الأثر» (١١٨/١) «دلائل البيهقي» (٢/٢٩٨).

(٢) في رواية ابن إسحاق: لم يذكر مع عمرو إلا عبد الله بن أبي ربيعة في رواية زياد؛ وفي رواية ابن بكير لعمار بن الوليد ذكر. وقيل عمرو بن العاص ذهب إلى الحبشة مرتين مرة قبل بدر مع عمار مرة بعد بدر ومع عبد الله بن أبي ربيعة وعمار وعمر بن الخطاب وجودهما في الحبشة قصة طويلة رواها كثيرون منهم أبو الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغانى». وعبد الله بن أبي ربيعة كان اسمه بحيرى فسماه رسول الله حين أسلم عبد الله وهو والد عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر مات في خلافة عثمان.

(٣) في «دلائل النبوة» لأبي نعيم ص (٢٠٥) عبد الله.

(٤) في «دلائل أبي نعيم» و «دلائل البيهقي» أرض الحبشة.

(٥) في «دلائل البيهقي»: فزبرنا.

رسولاً - وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر. فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجته من العذراء البتول التي لم يقربها بشر ولم يفرضها ولد، فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى. ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه، أمكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة وقال ردوا على هذين هديتهما، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة رجلاً جميلاً، وكانا أقبلًا في البحر، فشربا ومع عمرو امرأته، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلني. فقال له عمرو: ألا تستحي؟ فأخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر، فجعل عمرو: يناشد عمارة حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو في ذلك. فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك، فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليلة فطار مع الوحش. وهكذا رواه الحافظ البيهقي في «الدلائل» من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر بإسناده مثله إلى قوله: فأمر لنا بطعام وكسوة قال وهذا إسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى: أنهم بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم، فأمره جعفر بالإقامة، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر. قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه. قال ولعل الراوي وهم في قوله: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق والله أعلم^(١).

وهكذا رواه البخاري في «باب هجرة الحبشة». حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا بُريد^(٢) بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة فآلقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فأقمنا معه حتى قدمنا فوافينا^(٣) النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فقال النبي ﷺ: «لكم أنتم أهل السفينة هجرتان» وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن بَرَاد [بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى] كلاهما عن أبي أسامة به، وروياه في مواضع آخر مطولاً والله أعلم.

وأما قصة جعفر مع النجاشي فإن الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من «تاريخه» من رواية نفسه، ومن رواية عمرو بن العاص، وعلى يديهما جرى الحديث، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم. وأم سلمة كما سيأتي. فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً. رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندي عن أبي الحسين بن النقور عن أبي طاهر المخلص عن أبي القاسم البغوي. قال حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا أسد بن عمرو البجلي عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه. قال: بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي. فقالوا له - ونحن عنده -: قد صار إليك ناس من سفلتنا^(٤)

(١) «دلائل النبوة» (١/٢٩٩ - ٣٠٠).

(٢) في «نسخ البداية المطبوعة» يزيد وهو تحريف وما أثبتناه من البخاري.

(٣) في البخاري: فوافقنا.

(٤) قال الأستاذ حسن في «تاريخ الإسلام السياسي» (١/٨٧). «لم يفكر الرسول في هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية، لأنها كانت ترفض دعوته في مواسم الحج مجاملة لقريش أو تمسكاً بدينها الوثني، وكذلك لم يفكر في الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين، لأن كلا من الجاليتين اليهودية والمسيحية كانت تنازع الأخرى وتنافسها في النفوذ الأدبي ببلاد العرب، فهما والحالة هذه لا تقبلان منافساً ثالثاً خصوصاً إذا كان من العرب الذين كانوا يحتقرونهم؛ أما اليمن وكانت مستعمرة للفرس ولم يدينوا بدين سماوي فلم يطمئن الرسول إلى الالتجاء إليها، وكذلك كان شأن الحيرة التي كانت - في ذلك الوقت - بعيدة عن مكة أما الشام فهي بعيدة كذلك. فضلاً عما كان يسودهما - الشام والحيرة - من الاضطراب؛ إلى جانب أن لقريش صلوات وثيقة ومصالح متبادلة وزيارات متبادلة.

لذلك اتجه الرسول إلى بلاد الحبشة لما كان يعرف في ملكها من العدل والتسامح وقال بروكلمان ص (٤٠) إن النبي كان لا يعتبر أن دينه - في ذلك الوقت - يختلف اختلافاً كبيراً عن النصرانية فالنجاشي أقرب ممثل سياسي للنصرانية يمكن أن يحتمي به.

وسفهاثنا، فادفعهم إلينا، قال: لا حتى أسمع كلامهم. قال فبعث إلينا فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان، وإن الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدقناه. فقال لهم النجاشي أعييد هم لكم؟ قالوا: لا. فقال: فلکم عليهم دين؟ قالوا لا. قال فخلوا سبيلهم. قال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول، قال إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدهم في أرضي ساعة من نهار. فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى، قال ما يقول صاحبكم في عيسى ابن مريم؟ قلنا يقول: هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول، قال فأرسل فقال ادعوا لي فلان القس، وفلان الراهب. فأتاه ناس منهم فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقالوا أنت أعلمنا، فما تقول؟ قال النجاشي - وأخذ شيئاً من الأرض - قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم! فنادى منادٍ من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم؟ قلنا لا، فأضعفها. قال فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه، فردنا. قال نعم! فحملنا وزودنا. ثم قال أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبك معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله. وقل له يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقتني رسول الله ﷺ واعتنقني، ثم قال: «ما أدري أنا بفتح خبير أفرح أم بقدوم جعفر؟» ووافق ذلك فتح خبير، ثم جلس فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا؟ فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا، وشهد أن إله إلا الله وأنك رسول الله. وقال لي قل له يستغفر لي. فقام رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات «اللهم اغفر للنجاشي» فقال المسلمون آمين. ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ. ثم قال ابن عساكر حسن غريب.

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق: حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، عن أم سلمة رضي الله عنها. أنها قالت: لم ضاقت مكة [علينا] وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره وما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه» فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمين على ديننا، ولم نخش فيها ظملاً. فلما رأت قريش أننا قد أصبنا داراً وأمناً، غاروا منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده، وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقه، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيؤوا له هدية على حدة، وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا. فقدمنا عليه فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا إليه هديته، فكلموه فقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك في سفهاثنا^(١)، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل. ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم - وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج - فلما أدخلوا عليه هداياه. قالوا له: أيها الملك: إن فتية منا سفهاء^(٢) فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجؤوا إلى بلادك، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم، أبائهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فإنهم أعلا بهم عيناً^(٣)، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك. فغضب ثم قال: لا لعمر الله! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم، فأكلهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جواربي على جوار غيري فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل^(٤) بينهم وبينهم، ولم أنعم عيناً - [وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم. فقال: لا والله! حتى أسمع

(١) في «الدلائل للبيهقي»: في سفهاء من سفهاثنا.

(٢) في «نسخة من الدلائل»: من سفهاثنا.

(٣) في «الدلائل»: فهم أعلاهم عيناً. أي أبصر بهم. أي عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم.

(٤) في «الدلائل» ولم أخل. والعبارة في «سيرة ابن هشام»: وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم ما جاوروني.

كلامهم وأعلم على أي شيء هم عليه؟ فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له. فقال: أيها الرهط ألا تحدثوني ما لكم لا تحيون كما يحييني من أتانا من قومكم؟ فأخبروني ماذا تقولون في عيسى وما دينكم؟ أنصاري أنتم؟ قالوا: لا. قال أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال وما الإسلام؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئاً. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان. فقررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. قال: والله إن هذا لمن المشكاة^(١) التي خرج منها أمر موسى. قال جعفر: وأما التحية فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، وأمرنا بذلك فحييناك بالذي يحيي بعضنا بعضاً. وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول. فأخذ عوداً وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً، وما أطاع الله الناس في حين رد على ملكي فأطع الناس في دين الله. معاذ الله من ذلك. وقال يونس عن ابن إسحاق^(٢) فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم. فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون؟ فقالوا وماذا نقول، نقول والله ما نعرف. وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذين أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية، ولا نصرانية. فقال له جعفر: أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسيء الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه. فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الأرحام ونحرمي الجوار ونصلي الله عز وجل ونصوم له، ولا نعبد غيره.

وقال زياد عن ابن إسحاق: فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحو وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قال^(٣) - فعدوا عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً، وحرمتنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدنا علينا قومنا، فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ويردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجعنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال [له] النجاشي: هل معك شيء مما جاء به [عن الله]؟ [وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله]^(٤). فقال له جعفر: نعم: قال هلم فاتل علي مما جاء به، فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم [حين سمعوا ماتلاً عليهم]. ثم قال [لهم]: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم هيناً^(٥). فخرجنا من عنده وكان أتقى^(٦) الرجلين فينا عبد الله بن أبي ربيعة. فقال عمرو بن العاص: والله لأتينه غداً بما استأصل به

(١) المشكاة: قال صاحب «لسان العرب»: «وفي حديث النجاشي: إنما يخرج من مشكاة واحدة. المشكاة: الكوة غير المنافذة،

وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل» أراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى، وأنهما من شيء واحد.

(٢) ما بين معقوتين لم يرد في «ابن هشام» ولا في «الدلائل».

(٣) في «ابن هشام»: قالت أي أم سلمة، عدوا، في الأصل وأتينا ما في ابن هشام.

(٤) سقطت من ابن هشام واستدركت من «دلائل النبوة للبيهقي».

(٥) العبارة في «ابن هشام»: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة تطلقاً، فلا والله لا أسلمهم إليكم، ولا يتكادون.

(٦) من «ابن هشام»: وفي الأصول و«تسخ البلية المطبوعة»: أتى وهو تحريف وفي «الدلائل»: أتى.

خضراءهم^(١)، ولأخبرته أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى ابن مريم عبد. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً. فقال: والله لأفعلن! فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه. فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض ماذا تقولون له في عيسى إن هو يسألكم^(٢) عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله الله فيه، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقه فقال ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عوداً^(٣) بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العويد فتناخرت بطارقه. فقال: وإن تناخرتم والله! اذهبوا فأنتم سيوم في الأرض - السيوم الآمنون في الأرض، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ثلاثاً ما أحب أن لي دبراً وإني آذيت رجلاً منكم - والدبر بلسانهم الذهب. وقال زياد عن ابن إسحاق ما أحب أن لي دبراً من ذهب. قال ابن هشام: ويقال زبراً^(٤) وهو الجبل بلغتهم. ثم قال النجاشي: فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه. ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها. وأخرجنا من بلادنا فخرجنا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به. قالت: فأقمنا مع خير جار في خير دار، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فوالله ما علمنا حزناً حزناً قط هو أشد منه، فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي فخرج إليه سائراً فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من يخرج فيحضر الواقعة حتى ينظر على من تكون؟ وقال الزبير - وكان من أحدثهم سناً - أنا، فنفضوا له قربة فجعلها في صدره، فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس، فحضر الواقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه. فجاء الزبير فجعل يليح^(٥) لنا بردائه ويقول ألا فابشروا، فقد أظهر الله النجاشي. قلت: فوالله ما علمنا [أنا] فرحنا بشيء قد فرحنا بظهور النجاشي^(٦) ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا إلى مكة، وأقام من أقام.

قال الزهري: فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة. فقال عروة: أتدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه؟ فقلت لا! ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة. فقال عروة: فإن عائشة حدثني أن أباه كان ملك قومه، وكان له أخ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً ولم يكن لأب النجاشي ولد غير النجاشي فأدارت الحبشة رأيا بينها فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإن له اثنا عشر رجلاً من صلبه فتوارثوا الملك، لبقيت الحبشة عليهم دهنراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه. فدخل النجاشي بعمه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرفنا أننا قتلنا أباه، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً إلا قتله، فكلموه فيه فليقتله أو ليخرجه من بلادنا، فمشوا إلى عمه فقالوا: قد رأينا مكان هذا الفتى منك، وقد عرفت أننا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وأنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا، فأما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا. قال: ويحكم قتلتم أباه بالأمس واقتله اليوم. بل أخرج من بلادكم. فخرجوا به فوقفه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ففرغوا إلى ولده فإذا هم محمقون^(٧) ليس في أحد منهم

(١) خضراءهم: شجرتهم التي منها تفرعوا.

(٢) في «السيرة» و«الدلائل»: سألكم.

(٣) في «الدلائل»: عويداً.

(٤) في «السيرة»: ويقال: دبراً من ذهب، والدبر: الجبل.

(٥) في «ابن هشام»: يلمع.

(٦) العبارة في «ابن هشام» وممكن له في بلاده، واستوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

(٧) والخبر بطوله في «السيرة» (٣٥٧/١، ٣٦١) بتغيير طفيف في الألفاظ، وفي «دلائل النبوة» للبيهقي (٣٠٣/٢ - ٣٠٤).

خير فمرج^(١) على الحبشة أمرهم. فقال بعضهم لبعض تعلمون والله أن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم الغداة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب، فخرجوا في طلبه فأدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه واجلسوه على سريره وملكوه، فقال التاجر: ردوا عليّ ما لي كما أخذتم مني غلامي، فقالوا: لا نعطيك. فقال: إذا والله لأكلمنه، فمشى إليه فكلمه فقال أيها الملك إني ابتعت غلاماً فقبض مني الذي باعوه ثمنه، ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي ولم يردوا عليّ مالي، فكان أول ما خبر به من صلابة حكمه وعدله أن قال: لتردن عليه ماله، أو لتجعلن يد غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء. فقالوا: بل نعطيه ماله فأعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرشوة فأخذ الرشوة حين رد عليّ ملكي، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه^(٢).

وقال موسى بن عقبة: كان أبو النجاشي ملك الحبشة، فمات والنجاشي غلام صغير فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك، فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار^(٣)، فمات عمه من ليلته وقضى، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصراً، وسياق ابن إسحاق أحسن وأبسط فالله أعلم. والذي وقع في سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ حين تضحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره ﷺ وهو ساجد عند الكعبة. وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري. والمقصود أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة وكان عمارة طمع في امرأة عمرو بن العاص، فألقى عمراً في البحر ليهلكه فسبح حتى رجع إليها. فقال له عمارة: لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك، فحقد عمرو عليه فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر به النجاشي فسحر حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش. - وقد ذكر الأموي - قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن أماره عمر بن الخطاب، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلني أرسلني وإلا مت فلما لم يرسله مات من ساعته فالله أعلم. وقد قيل أن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأول مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو، وعبد الله بن أبي ربيعة، نص عليه أبو نعيم في «الدلائل» والله أعلم. وقد قيل: إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهري، لينالوا من هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشي رضي الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا فالله أعلم.

وقد ذكر زياد^(٤) عن ابن إسحاق: أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أبياتاً يحضه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قوله.

وأصحابه أو عاق ذلك شاغب ^(٥)	وأصحابه أو عاق ذلك شاغب ^(٥)
وعمرو وأعداء العدو الأقارب	وعمرو وأعداء العدو الأقارب
ونعلم ابنت اللعن أنك ماجد	ونعلم ابنت اللعن أنك ماجد
ونعلم بأن اللة زادك بسطة	ونعلم بأن اللة زادك بسطة
كريم فلا يشقى إليك المجاب ^(٦)	كريم فلا يشقى إليك المجاب ^(٦)
وأسباب خير كلها بك لازب ^(٧)	وأسباب خير كلها بك لازب ^(٧)

(١) مرج: قلق واضطراب أمرهم وفي هذا دليل على طول المدة في مغيب النجاشي عنهم، راجع «الروض الأنف».

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/٣٦٤) و «دلائل البيهقي» (١/٣٠١).

(٣) الخبر في «دلائل البيهقي» من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة (٢/٢٩٥) وفيه: فقال التاجر: دعه حتى إذا أردت الخروج فأذني فأدفعه إليك فأذنه التاجر بخروجه فأرسل بالنجاشي حتى أوقفه عند السفينة ولا يدري النجاشي ما يراد به، فأخذ الله عز وجل عمه الذي باعه صعقاً فمات.

(٤) هو زياد البكائي راوي «السيرة» عن ابن هشام.

(٥) في ابن هشام: وهل نالت، بدل وما نالت؛ وفي «نسخة لابن هشام»: فهل نال أفعال.

(٦) في «ابن هشام»: لديك بدلاً من إليك. آبيت اللعن: تحية كانوا يحيون بها الملوك في الجاهلية.

(٧) بعده في ابن هشام:

وأنتك فيض ذو سجبال غزيرة ينال الأعداء نفعها والأقارب

وقال يونس^(١) عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قال: إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والمشهور أن جعفرأ هو المترجم رضي الله عنهم. وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق به لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور. وقال زياد عن محمد بن إسحاق: حدثني جعفر بن محمد عن أبيه. قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهبأ لهم سفناً: وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصفوا له. فقال: يا معشر الحبشة ألسن أحق الناس بكم؟ قالوا؟ بلى! قال: فكيف أنتم بسيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما بكم؟ قالوا فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: يقول هو ابن الله. فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه -: وهو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا، وإنما يعني على ما كتب، فرضوا وانصرفوا. فبلغ رسول الله ﷺ فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له. وقد ثبت في «الصحاحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات^(٢). وقال البخاري: موت النجاشي: حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ - حين مات النجاشي - مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة^(٣). وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفي بعض الروايات تسميته أصحمة، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن بحر^(٤) وكان عبداً صالحاً لبيباً زكياً وكان عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه. وقال يونس عن ابن إسحاق اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي أصحم وهو بالعربية عطية قال وإنما النجاشي اسم الملك: كقولك كسرى، هرقل.

قلت: كذا ولعله يريد به قيصر فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم، وكسرى علم على من ملك الفرس، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشجر، والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطليموس لمن ملك اليونان وقيل الهند وخابان لمن ملك الترك. وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لأنه كان يكتنم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلماذا صلى عليه ﷺ. قالوا: فالغيب إن كان قد صلى عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى؟ ولهذا لم يصل النبي ﷺ في غير المدينة، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلى عليه فيها فالله أعلم.

قلت: وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر ولهذا روي أن النبي ﷺ قال: «والله ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبي طالب» وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وصحبته أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذو نخترا أو ذو خمرا أرسله ليرحم النبي ﷺ عوضاً عن عمه رضي الله عنهما وأرضاهما. وقال السهيلي: توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله أعلم. وقال البيهقي أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي

(١) يونس: هو يونس بن بكير راوي «السيرة» عن ابن هشام.

(٢) أخرجه البخاري في (٢٣) كتاب «الجنائز» (٤) باب ومسلم في (١١) كتاب «الجنائز» (٢٢) باب ح (٦٢) ومالك في «الموطأ» في كتاب «الجنائز».

(٣) المصدر السابق: وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ونعاه رسول الله صلى عليه بالقيع.

(٤) في الأصل أصحمة بن أبجر، وأثبتنا ما في «القاموس».

حدثنا أبي، العلاء بن مدرك، حدثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة. قال قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكافئهم». ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني: أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي، حدثنا طلحة بن زيد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي قتادة، قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ يخدمهم فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم». تفرد به طلحة بن زيد عن الأوزاعي، وقال البيهقي حدثنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا أبو عمرو بن السماك، حدثنا حنبل بن إسحاق، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو. قال: لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم، فقالوا: ما شأنه ما له لا يخرج؟ فقال عمرو: إن أصحابه يزعمون أن صاحبكم نبي.

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردهم النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة حتى غاظوا^(١) قريشاً فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر [بن الخطاب] فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه^(٢). قلت: وثبت في «صحيح البخاري» عن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب^(٣). وقال زياد البكائي: حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم. قال: قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة. [قال ابن إسحاق] حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله^(٤) بنت أبي حثمة قالت: والله إنا لتترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا. إذ أقبل عمر فوقف علي وهو على شركه، فقالت: وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا، قالت: فقال إنه الإنطلاق يا أم عبد الله، قلت نعم! والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتونا وقهرتمونا؟ حتى يجعل الله لنا مخرجاً^(٥). قالت فقال صاحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا. قالت فجاء عامر بحاجتنا تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر أنفأ ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه قالت قلت: نعم! قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم همار الخطاب، قالت: ياسأ منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام^(٦).

قلت: هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق ههنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه، وسياقها فإنه قال: وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام، رجل من بني عدي قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه [فرقاً] من قومه، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد

(١) في «السيرة»: عازوا أي غلبوا قريشاً.

(٢) «سيرة ابن هشام»: (٣٦٦/١).

(٣) في (٦٢) كتاب «فضائل الصحابة» (٦) باب، وفي (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٣٥) باب، والبيهقي في «الدلائل» عنه (٢/٢١٥).

(٤) واسمها: ليلي بنت أبي حثمة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب وكانت من المهاجرين الأوائل إلى الحبشة.

(٥) وفي «نسخة من السيرة»: فرجاً.

(٦) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣٦٧/١) و«دلائل البيهقي» (٤/٢٢١).

ذكروا^(١) له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة. فلقبه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ قال أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أتري بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال: وأي أهل بيتي، قال خنتك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا محمداً ﷺ على دينه، فعليك بهما فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة، وعندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقربها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع^(٢) لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها: فلما دخل قال ما هذه الهيمنة التي سمعت؟ قال^(٣) له ما سمعت شيئاً. قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بخته سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضرها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختته: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى، وقال لاخته أعطيني هذه الصحيفة التي كتتم تقرؤون أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمداً؟ وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها، قال لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت يا أخي إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدراً. قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له: والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام - أو بعمر بن الخطاب - فإله الله يا عمر. فقال [له] عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى آتبه فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرهم عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فرح فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة، فأذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: «أبذن له» فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجر فأخذ بحجزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبة شديدة فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك فارة، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم، ففرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ويتصفون بهما من عدوهم قال ابن إسحاق فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيع المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد وعمر بن روى ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول: كنت للإسلام مباحداً وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة^(٤) فخرجت ليلة أريد جلستني أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت لو أني جئت فلاناً الخمار لعلني أجد عنده خراً فأشرب منها، فخرجت فجئته فلم أجد. قال: فقلت لو أني جئت الكعبة فطفقت سباً أو سبعين، قال فجئت المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبال الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليماني، قال فقلت حين رأته والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول فقلت: لئن دنوت منه لاستمع منه لأروعه. فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويداً ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما

(١) من ابن هشام وفي الأصل فذكروا.

(٢) مخدع: بضم الميم وفتحها، البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير «النهاية لابن الأثير».

(٣) قال له: أي فاطمة أخته وزوجها سعيد بن زيد.

(٤) الحزورة: بفتح الحاء وسكون الزاي وفتح الواو: سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد له.

سمعت القرآن رق له قلبي، وبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل في مكاني قائماً حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين - وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية - قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهري أدركته، فلما سمع حسي عرفني فظن أني إنما اتبعته لأوذي، فنهمني^(١) ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: «قد هداك الله يا عمر» ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت ودخل رسول الله ﷺ بيته. قال ابن إسحاق فإله أعلم أي ذلك كان.

قلت: وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطولاً في أول «سيرته» التي أفردتها على حدة والله الحمد والمنة.

قال ابن إسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر. قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ ثقيل له؟ جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه، قال عبد الله [بن عمر] وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كلما رأيت - حتى جاءه فقال له: اعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلا صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا. قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال وطلح^(٢) فقعده وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موسى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم؟ فقالوا صبأ عمر، قال فمه؟ رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلوا عن الرجل. قال فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه. قال فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبة من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي^(٣)، وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميّزاً يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم^(٤).

وقال البيهقي: حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن إسحاق. قال ثم قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة - أو قريب من ذلك - من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه في المجلس، فكلّموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحق منكم - أو كما قال - قالوا لهم: لا نجاهلكم سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً. فيقال إن نفر من نصارى نجران، والله أعلم أي

(١) نهمني؛ من النهم: الزجر.

(٢) طلح: أعيأ.

(٣) الخبر في «سيرة ابن هشام» (١/٣٧٣ - ٣٧٤).

(٤) في إسلام عمر تعددت الروايات والأحاديث فعن أسلم قال: أسلم في ذي الحجة السنة السادسة من النبوة وعن ابن المسيب: قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة وقال البيهقي عن ابن إسحاق قال أسلم والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة. وقال ابن الأثير في «الكامل»: أسلم بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة، وكان إسلامه بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة. وقيل في إسلامه غير هذا.

قال بروكلمان: وكان من آثار ذلك أن قرر المكيون التعويض عن هذه الخسارة - إسلام عمر - اللجوء إلى تدابير جديدة أقسى، فقاطعوا محمداً وجميع أتباعه وحصروهم في الحي الذي يسكنونه في شعب أبي طالب.

انظر ابن الأثير «الكامل» - بروكلمان «تاريخ الشعوب الإسلامية».

ذلك كان. ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ قَبْلِهِمْ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَادَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَكَبْنَا اللَّفْظَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي إِلَيْكُمْ جَنَّةً وَلَا نَبْنِي إِلَيْكُمْ جَنَّةً ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٥].

فصل

قال البيهقي في «الدلائل» باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي، ثم روى عن الحاكم عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق، قال: هذا كتاب من رسول الله ﷺ إلى النجاشي^(١) الأصم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تسلم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] فإن آيت فعليك إثم النصارى من قومك.

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره ههنا نظر، فإن الظاهر أن هذه الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي قال الزهري: كانت كتب النبي ﷺ إليهم واحدة؛ يعني نسخة واحدة، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف فإنه من صدر السورة، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في «التفسير» والله الحمد والمنة. فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله فيه إلى النجاشي الأصم لعل الأصم مقحم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم.

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضاً عن الحاكم عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه - بمرو - حدثنا حماد بن أحمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق. قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصم ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى [ابن مريم] روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلق من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جئني، فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى. فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصم بن أبحر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله باريحاً بن الأصم بن أبحر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك ففعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق^(٢).

فصل

في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ وتحالفهم فيما بينهم عليهم، على أن لا يباعدوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق.

(١) في «دلائل البيهقي» (٣٠٨/٢) وفي «الحاكم» (٦٢٣/٢) بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من النبي محمد ﷺ إلى النجاشي الأصم... وفي «الحاكم» النجاشي الأصم عظيم الجيش.
(٢) «دلائل البيهقي» (٣٠٩/٢، ٣١٠).

قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية. فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبيهم، وأمرهم أن يمنعوهم ممن أرادوا قتله. فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيماناً و يقيناً. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ، وأجمعوا^(١) على ذلك، اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا^(٢) في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا يأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبيهم ثلاث سنين^(٣)، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرراً واغتيالاً له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق. ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسماً لله فيها إلا لحسته، وبقي من كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب. فقال أبو طالب: لا والثواقب^(٤) ما كذبني فانطلق يمشي بعصابته من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد، وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم، أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ. فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فعله^(٥) أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها. فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوعاً إليهم فوضعوها بينهم. وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم. فقالوا أبو طالب: إنما أتيتمكم لأعطيتكم أمراً لكم فيه نصف^(٦)، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - إن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم. فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى يموت من عندنا آخراً، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم. قالوا: قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدق ﷺ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم، والشدة على رسول الله ﷺ [وعلى المسلمين]^(٧) والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه. فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإننا نعلم إن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس [الله] ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف

(١) في «دلائل البيهقي»: واجتمعوا وما أثبتناه مناسب أكثر.

(٢) كتبها منصور بن عكرمة العبدي كما في «طبقات ابن سعد».

راجع في تعاقد قريش على بني هاشم، وبني المطلب وكتابتهم صحيفة هذا العقد: «ابن هشام» (٣٧١/١) «ابن سعد» (١٣٩/١) «الطبري»

(٢/٣٢٥) «النويري» (٢٥٨/١٦) «السيرة الحلبية» (٤٤٩/١) «الدرر في اختصار المغازي والسير» و«سبل الهدى والرشاد».

(٣) كان هذا العقد والحصار لبني هاشم وبني عبد المطلب في ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة وظلوا محاصرين إلى السنة العاشرة؛ وقيل بل إلى السنة التاسعة.

(٤) الثواقب: النجوم جمع ثاقب وهو النجم المضيء.

(٥) في ابن سعد: فلعله.

(٦) نصّف: النصف هي المرأة بين الحدة والمسنة، والمراد هنا: الأمر الوسط بيننا وبينكم لا حيف فيه علينا، ولا عليكم.

(٧) من «دلائل البيهقي».

وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو^(١)، وكان الصحيفة عنده^(٢) وهو من بني عامر بن لؤي - في رجال من أشرفهم ووجوههم: نحن براء بما في هذه الصحيفة. فقال أبو جهل لعنه الله: هذا أمر قضي بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرؤوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمدح النجاشي^(٣).

قال البيهقي: وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ - يعني من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير - يعني كسياق موسى بن عقبة رحمه الله - وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال: إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك فإله أعلم.

قلت: والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضاً فذكرها ههنا أنسب والله أعلم. ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن إسحاق. قال: لما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه وهم من خلفه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفه من قومه. فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني^(٤) عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا ينيكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزلاً شديداً ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرضة فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فأخبر بذلك عمه أبو طالب، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم.

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه أمناً وقراراً. وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفسو في القبائل فاجتمعوا واثتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينيكحوا إليهم ولا ينيكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصحابه. وقال الواقدي: كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدوي.

قلت: والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق، وهو الذي شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها: انظروا إلى منصور بن عكرمة قال الواقدي: وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة. قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم. وحدثني حسين بن عبد الله: أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً. فقال: يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقتها وظاهر عليها؟ قالت: نعم! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة.

قال ابن إسحاق: وحدثت أنه كان يقول - في بعض ما يقول - يعدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يدي بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه فيقول تبا لكما لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. فأنزل الله

(١) زاد ابن سعد: عدي بن قيس؛ ولم يأت على ذكر هشام بن عمرو.

(٢) قال ابن سعد في «الطبقات»: علقوا الصحيفة في جوف الكعبة وفي رواية أخرى: كانت عند أم الجلاس بنت مخرب الحنظلية خالة أبي جهل.

(٣) الأبيات في «سيرة ابن هشام» (١/٣٧٣) من قصيدة مطلعها:

(٤) في «الدلائل» و«سيرة ابن هشام»: بني المطلب وهو الصواب. نبياً كموسى خط في أول الكُتُبِ

تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [السد: ١]. قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب:

لؤياً وخصاً من لؤي بني كعب
نبياً كموسى خط في أول الكتب
ولا خير ممن خصه الله بالحب^(١)
لكم كائن نحساً كراغية السقب^(٢)
ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
أواصرنا بعد المودة والقرب
أمر على من ذاقه حلب الحرب
لعزاء من عض الزمان ولا كذب
وأيد أترت بالقساسة الشهب^(٣)
به والنسور الطخم يعكفن كالشرب^(٤)
ومعمعة الأبطال معركة الحرب
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب
إذا طار أرواح الكمأة من الرعب

ألا أبلغا عني على ذات بيئنا
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً
وأن عليه في العباد محبة
وأن الذي أصدقتموا من كتابكم
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
ولا تثبعموا أمر الوشاة وتقطعوا
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً
ولما تبين لنا ومنكم سالف
بمعترك ضيق ترى كسر القنا
كأن مجال^(٥) الخيل في حجراته
اليس أبونا هاشم شذ أزره
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولكننا أهل الحفائظ والنهي

قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرأ مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش، وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البخترى بن هاشم^(٦) بن الحارث بن أسد. فقال: ما لك وله. فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم؛ فقال له أبو البخترى: طعام كان لعمته عنده بعثت به إليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خل سبيل الرجل، قال: فأبى أبو جهل - لعنه الله - حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البخترى لحي بعير فضربه فشجه ووطئه ووطئاً شديداً وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فيشمتون بهم ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً منادياً بأمر الله تعالى لا يتقي فيه أحداً من الناس.

المستهزئون بالنبي ﷺ وما ظهر فيهم^(٧)

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يهزونه ويستهزؤون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعدواته، منهم من سمي لنا، ومنهم من نزل [فيه] القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار. فذكر ابن إسحاق أبا لهب

(١) علق السهيلي على عجز هذا البيت قال: «وهو مشكل جداً لأن «لا» في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا منوناً، تقول: لا خيراً من زيد في الدار؛ وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده. وأشبه ما يقال في بيت أبي طالب أن خيراً مخفف من خير كهين وميت وقوله ممن من متعلقة بمحذوف، كأنه قال: لا خير أخير ممن خصه الله وخير وأخير: لفظان من جنس واحد. فحسن الحذف استقلالاً لتكرار اللفظ.

(٢) راغية السقب: من هو الرغاء، وهو أصوات الإبل. والسقب: ولد الناقة، وأراد به هنا ولده ناقة صالح عليه السلام.

(٣) أترت: قطعت. القساسة سيوف تنسب إلى قساس وهو جبل لبني أسد فيه معدن الحديد.

(٤) النسور الطخم: ذات الرؤوس السود.

(٥) من ابن هشام؛ وفي الأصل و «نسخ البداية المطبوعة» وبعض «نسخ ابن هشام» ضحال ولا معنى لها.

(٦) من ابن هشام وابن سعد: وفي الأصل: هشام وهو تحريف.

(٧) سقطت من الأصول، واستدرك لزيادة الإيضاح.

ونزول السورة فيه، وأميه بن خلف ونزول قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ نُمُزِّزُ لُزُومًا﴾ السورة بكمالها فيه. والعاص بن وائل ونزول قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَا لَمْ يَكُنْ لِي بِهِ قُوَّةٌ﴾ [مريم: ٧٧] فيه. وقد تقدم شيء من ذلك. وأبا جهل بن هشام وقوله للنبي ﷺ لتتركن سب آلهمنا أو لنسبن إلهك^(١) [الذي تعبد]^(٢) ونزول قول الله فيه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] الآية. والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة^(٣). ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلي. وجلسه بعد النبي ﷺ في مجالسه حيث يتلو القرآن ويدعو إلى الله، فيتلو عليهم النضر شيئاً من أحبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَتَطْبِئِرُ الْأَوْلِيَاءَ أَكْتَتَبَهَا فِيهِمْ ثَمَلٌ عَلَيْهِمْ بُكْرَةٌ وَأَسْبَلًا﴾ [الفرقان: ٥] وقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ نُمُزِّزُ لُزُومًا﴾ [الجناب: ٧].

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم [في المجلس]، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ لَهَا وَرْدُوتٌ﴾ [١٧] لَوْ كَانَتْ هَكَوْلَاءَ إِلَهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجُرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٩﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠]. ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهمنا هذه حصب جهنم^(٤). فقال عبد الله بن الزبير: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمداً: أكل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد عيسى. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبير ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ. فقال: «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده في النار، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَذَّوْنَ ﴿١١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢] أي عيسى وعزير ومن عبد من الأحبار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله تعالى. ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦] والآيات بعدها ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبير ﴿وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ وَقَالُوا إِلٰهِنَا خَيْرٌ مِّمَّا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خٰصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨] وهذا الجدل الذي سلكوه باطل. وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل، فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ لَهَا وَرْدُوتٌ﴾ [الأنبياء: ٩٨] إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور، ولا المسيح، ولا عزيراً، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى. فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خٰصِمُونَ﴾ ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي بنبوتنا ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرٰءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٨-٥٩] أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١] أي أماراً ودليلاً على قدرتنا الباهرة ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ نرحم بها من نشاء.

وذكر ابن إسحاق: الأخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه: ﴿وَلَا تَطَّعْ كُلَّ خَلْفٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] الآيات، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال: أنزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو^(٥)

(١) من ابن هشام، وفي الأصل آلهمنا وهو تحريف.

(٢) ما بين معقوفتين استدركت من ابن هشام.

(٣) قال الخشني: والصواب علقمة بن كلدة.

(٤) حصب جهنم: كل ما أوقدت به. قال أبو ذؤيب الهذلي:

فأطفيء ولا تسوقد ولا تك محصباً

(٥) في «ابن هشام»: عمرو بن عمير.

لنار المعدة أن تطير شكاتها

الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيمي القريتين. ونزل قوله فيه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] والتي بعدها، وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط: ألم يبلغني أنك جالست محمداً؟ وسمعت منه وجهي من وجهك حرام [أن أكلمك - وأستغلظ من اليمين - إن أنت جلست إليه أو سمعت منه] (١) إلا أن تنفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة - لعنه الله -، فأنزل الله: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ (٢٧) ﴿يَوَلَّيْتَنِي لَئِن لَّا أَخَذَ فَلَانَا خَلِيلاً﴾ (٢٨) [الفرقان: ٢٧ - ٢٨] والتي بعدها. قال ومشي أبي بن خلف بعظم بال قد أرم (٢). فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم، ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ. فقال: نعم! أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ثم يدخلك النار. وأنزل الله تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِى الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٢٨) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩) [يس: ٧٨ - ٧٩] إلى آخر السورة. قال واعترض رسول الله ﷺ - فيما بلغني وهو يطوف عند باب الكعبة - الأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأميمة بن خلف، والعاص بن وائل [وكانوا ذوي أسنان في قومهم] (٣) فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشرك نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ (١) ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) [الكافرون: ١ - ٢] إلى آخرها. ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم. قال: أتدرون ما الزقوم؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلتنزقم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾ (٤٣) ﴿طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾ (٤٤) [الدخان: ٤٣ - ٤٤] قال: ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلمه وقد طمع في إسلامه فمر به ابن أم مكتوم (٤) - عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة - الأعمى فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك عليه حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً، وتكره (٥) فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْيَى﴾ (٢) إلى قوله: ﴿تَرْجُوعَهُ مُطَهَّرَم﴾ [عبس: ١ - ١٤] وقد قيل إن الذي كان يحدث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف فالله أعلم (٦).

ثم ذكر ابن إسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح، ولكن كان له سبب وهو ما ثبت في «الصحيح» وغيره أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين، وأنزل الله عليه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (١) ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: ١ - ٢] يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد. فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ

(١) ما بين معقوفتين من «سيرة ابن هشام».

(٢) أرم: بلى.

(٣) ما بين معقوفتين من ابن هشام.

(٤) وكان اسمه عبد الله وقيل عمرو.

(٥) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣٨٩/١) وما بعدها.

(٦) ذكر البيهقي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب أبو زمعة والحارث بن عنطلة السهمي والعاص بن وائل.

- فالأسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة، ابن خال رسول الله ﷺ. قال البلاذري عنه: «كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه: قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر؛ ويقول للنبي ﷺ: أما كلمت اليوم من السماء يا محمد».

- أما الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى فكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه؛ وكلم رسول الله ﷺ بكلام شق عليه فدعا عليه أن يعمي الله بصره ويشكله ولده.

- الحارث بن قيس السهمي ابن عنطلة: نسب إلى أمه؛ نزل فيه في قول: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهَهُ هَوَى﴾ [الفرقان: ٤٣] لأنه كان يعبد حجراً فإذا رأى حجراً أحسن منه تركه وأخذ الأحسن. كان يقول: لقد عز محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر والأحداث ومرور الأيام.

- العاص بن وائل السهمي.

قال الجمهور ومنهم ابن عباس في أكثر الروايات عنه: المستهزئون كانوا خمسة وقال في رواية كانوا ثمانية: وقد عددهم البيهقي كما ذكرنا خمسة أما الثلاثة فهم: مالك بن الطلائع بن عمرو بن غنشاف ذكره ابن الكلبي والبلاذري وكان سفيهاً فدعا عليه رسول الله ﷺ واستعاذ بالله من شره.

وذكر البلاذري ممن كان يؤذي رسول الله ﷺ: أبو الأصداء، وكان يقول لرسول الله ﷺ إنما يعلمك أهل الكتاب أساطيرهم ويقول للناس هو معلم مجنون فدعا عليه رسول الله ﷺ؛ فإنه لعلى جبل إذا اجتمعت عليه الأروى فنطحته حتى قتله.

وَلَا نَعِي إِلَّا إِذَا تَمَقَّقَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْتِيهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

[الحج: ٥٢] وذكروا قصة الغرائق وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لثلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها، إلا أن أصل القصة في «الصحیح» قال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس. قال: سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس انفراداً به البخاري دون مسلم. وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت الأسود عن عبد الله. قال: قرأ النبي ﷺ والنجم بمكة، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصاً - أو تراب - فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا، فرأيت بعد قتل كافرأ ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة. وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه. قال قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد ولم يكن يومئذ المطلب. فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه. وقد رواه النسائي عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به. وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً، وذلك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم. والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم، فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها، فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر ابن إسحاق أسماء من رجع منهم؛ عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهيلة بنت سهيل [بن عمرو]، وعبد الله بن جحش بن رثاب، وعتبة بن غزوان، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وسويبط بن سعد [بن حرملة]، وطليب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وشماس^(١) بن عثمان، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة - وقد حبس^(٢) بمكة حتى مضت بدرأ وأحدأ والخندق - وعمار بن ياسر - وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا. ومعتب بن عوف، وعثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون، وخنيس بن حذافة، وهشام بن العاص بن وائل - وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق - وعامر بن ربيعة، وامرأته ليلي بنت أبي حثمة. وعبد الله بن مخرمة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو - وقد حبس^(٣) حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرأ - وأبو سبرة بن أبي رهم، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، وامرأته سودة بنت زمعة - وقد مات بمكة^(٤) قبل الهجرة وخلف على امرأته رسول الله ﷺ - وسعد بن خولة، وأبو عبيدة بن الجراح، وعمرو^(٥) بن الحارث بن زهير وسهيل بن بيضاء^(٦)، وعمرو بن أبي سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلاً رضي الله عنهم. وقال البخاري: وقالت عائشة

(١) اسم شماس: عامر، وشماس لقب غلب عليه. أمه صفية بنت ربيعة بن عبد شمس شهد بدرأ وقتل يوم أحد وهو ابن أربع وثلاثين سنة. أمر رسول الله ﷺ أن يدفن في أحد كما هو في ثيابه التي مات فيها بعد أن مكث يوماً وليلة. قال حسان بن ثابت يرثيه:

أقنى حباءك في ستر وفي كرم
قد ذاق حمزة سيف الله فاصطبري
فإنما كان شماس من الناس
كأساً رواء كأس المرء شماس

(٢) وجسهما أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام وهما عما سلمة وأخوا عياش لأمه، قيل قد احتالا على عياش أن أمه حلفت ألا يدخل رأسها وهي ولا تغتسل حتى تراه. فرجع معهما فأوثقاه.

(٣) يكنى عبد الله: أبا سهيل وكان الذي حبسه أبوه وأوثقه في مكة وفتنه في دينه، كان أحد الشهود في صلح الحديبية استشهد يوم اليمامة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة.

(٤) هذا قول ابن إسحاق ووافقه عليه الواقدي، أما موسى بن عقبة وأبو معشر فيقولان أن السكران مات بالحبشة انظر «الطبقات لابن سعد» (٢٠٤/٤).

(٥) يقال فيه: عامر بن الحارث، ولم يذكره ابن عقبة ولا أبو معشر فيمن هاجر إلى أرض وذكره ابن عقبة في البدرين «الطبقات» (٢١٣/٣).

(٦) سهيل بن بيضاء: بيضاء هي أمه واسمها دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر وأبوه وهب بن ربيعة. أسلم وشهد بدرأ مع النبي ﷺ مسلماً ومات في المدينة سنة تسع من الهجرة.

قال رسول الله ﷺ: «أريت دار هجرتكم [أريت سبخة]»^(١) ذات نخل بين لابتين» فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة. فيه عن أبي موسى وأسماء رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وقد تقدم حديث أبي موسى وهو في «الصحيحين»، وسيأتي حديث أسماء بنت عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة. وقال البخاري: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله. قال: كنا نسلم على النبي ﷺ وهو يصلي فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا، فقلنا: يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد علينا؟ «قال إن في الصلاة شغلاً» وقد روى البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق آخر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به، وهو يقوي تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في «الصحيحين» كنا نتكلم في الصلاة حتى نزله قوله: ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. على أن المراد جنس الصحابة، فإن زيدا أنصاري مدني، وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بمكة، فتعين الحمل على ما تقدم. وأما ذكره الآية وهي مدنية فمشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك وإنما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وكان ممن دخل معهم بجوار^(٢)؛ [فيمن سمي لنا]^(٣) عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوار خاله أبي طالب، فإن أمه^(٤) برة بنت عبد المطلب. فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان. قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد بن المغيرة قال والله إن غدوي ورواحي في جوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير^(٥) في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك. قال [له] لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكنني أرضى بجوار الله عزو وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي جوارني علانية كما أجرتك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد بن المغيرة: هذا عثمان قد جاء يرد علي جوارني. قال: صدق، قد وجدته وفيأ كريم الجوار، ولكنني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان رضي الله عنه وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لييد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت. فقال لييد:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. فقال لييد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليصكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفیه في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فخرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ [من] عثمان. فقال: والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد كنت في ذمة منيعة. قال يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس. فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إلى جوارك فعد. قال: لا!

(١) من البخاري السبخة: الأرض تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت شيئاً لابتان: أي الحرثان؛ وهي الأرض فيها حجارة سود كأنها احترقت بالنار.

والحديث أخرجه البخاري من حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة في (٣٩) كتاب «الكفالة» (٤) باب «فتح الباري» (٤/٤٧٥).

(٢) في الأصل: وكان ممن دخل معهم بجوار، وهو تحريف وأثبتنا ما في «سيرة ابن هشام».

(٣) ما بين معكوفتين سقط من الأصل واستدرك من «ابن هشام».

(٤) في «ابن هشام»: وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب.

(٥) في «سيرة ابن هشام»: كبير بدل كثير.

قال ابن إسحاق: وأما أبو سلمة بن عبد الأسد، فحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن سلمة بن عبد الله [بن عمر] ابن أبي سلمة أنه حدثه: أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقالوا له: يا أبا طالب لقد^(١) منعت منا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بي، وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أختي. فقام أبو لهب. فقال: يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة. وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله ﷺ فأبقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ:

إن امرأاً أبو^(٢) عُثَيْبَةَ عُمُ
أقول له وأين منه نصيحتي
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطئة
وول سبيل العجز غيرك منهم
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى
وكيف ولم يجنوا عليك عزيمة
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً
بتفريقهم من بعد ود ألفة
كذبتهم وبيت الله نبزى محمداً
قال ابن هشام: وبقي منها بيت تركناه.

عزم الصديق على الهجرة إلى الحبشة

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - كما حدثني محمد بن مسلم [ابن شهاب] الزهري عن عروة عن عائشة، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيه الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوماً - أو يومين - لقيه ابن الدغنة^(٤) أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش^(٥). قال الواقدي: اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة. وقال السهيلي: اسمه مالك. فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال أخرجني قومي وأذوني وضيقوا علي. قال ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم. ارجع فإنك في جواربي فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير. قالت^(٦): فكفوا عنه. قالت: وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكى قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته، قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل

(١) في الأصل، وفي بعض نسخ «ابن هشام»: هذا منعت.

(٢) كذا في الأصل و «ابن هشام»: أبا معتب، وكنيته: أبو عتبة. والسواد هنا: الشخص.

(٣) كذا بالأصل: «أبا معتب».

(٤) ابن الدغنة ويقال ابن الدغينية ضبطه القسطلاني والزرقاني. بفتح الدال وكسر الغين وفتح النون المخففة وأهل اللغة: بضم الدال والغين وفتح النون المشددة. وهو ربيعة بن رفيع أهبان بن ثعلبة السلمى، والدغنة أمه غلبت على اسمه شهد حيناً ثم قدم على النبي ﷺ في بني تميم.

(٥) الأحابيش: قال ابن إسحاق: الأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمه بن مدركة، وبنو المصطلق، وقيل سموا بالأحابيش لأنهم تحالفوا جميعاً بواد يقال له الأحبش بأسفل مكة، ويقال تحالفوا عند جيبيل يقال له: حبشي؛ فسموا بذلك.

(٦) من «ابن هشام»: وفي الأصل: قال فراوية الخير: عائشة.

ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق [ويبكي] وكانت له هيئة، ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم، فآته فمره بأن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمضى ابن الدغنة إليه فقال [له]: يا أبا بكر، إني لم أجرك لتؤذي قومك. وقد كرهوا مكانك الذي أنت به، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله. قال فاررد عليّ جوارى. قال: قد رددته عليك. قالت: فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد رد عليّ جوارى فشأنكم بصاحبكم. وقد روى الإمام البخاري^(١) هذا الحديث متفرداً به وفيه زيادة حسنة. فقال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، قال ابن شهاب^(٢) فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبواي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد^(٣)، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي. فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخْرَج ولا يُخْرَجُ مثله، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل^(٤)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. وأنا لك جار فارجع، فأعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة^(٥)، وطاف ابن الدغنة عشية في أشرف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يُخْرَجُ مثله ولا يُخْرَجُ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ويصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ابن الدغنة ذلك لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره [وبرز]^(٦) وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، [فيتقذف عليه]^(٧) فكان نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فافزع ذلك أشرف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم. فقالوا [له]: إنا كنا أجرين أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن في الصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناؤنا ونساءنا فانه فإن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك، فإننا قد كرهنا [أن] نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي قد عاقدت عليه قريش فإما أن تقتصر على ذلك، وأما أن ترد إليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل. ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتي مبسوطاً.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: لقيه - يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة - سفية من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحشا على رأسه تراباً، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة - أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يصنع هذا السفية؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. [قال]^(٨) وهو يقول أي رب ما أحلمك. أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك.

(١) في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٥) باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة «فتح الباري» (٧/٢٣٠ - ٢٣١) وأخرج جزءاً من أول هذا الحديث في كتاب «الصلاة» وفي كتاب «الإجارة».

(٢) من البخاري، وفي الأصل ابن هشام وهو تحريف.

(٣) برك الغماد: موضع بناحية اليمن، مما يلي ساحل البحر، وقال ابن فارس: بضم الغين، وقيل برك الغماد: موضع في أقاصي هجر.

(٤) تحمل الكل: هو ما يثقل حمله من القيام بالعيال ونحوه مما لا يقوم بأمر نفسه.

(٥) في «دلائل البيهقي»: فارتحل ابن الدغنة مع أبي بكر رضي الله عنه.

(٦) سقطت من الأصل و«صحيح البخاري»، واستدركت من «دلائل البيهقي».

(٧) من البخاري، وفي الأصل فكان نساء المشركين، يتقذف أي يتدافعون فيتساقطون، ورواية المواهب: «فيتقصف» أي يزدحم.

(٨) من «ابن هشام»، والخبر في «السيرة» (١٣/٢).

فصل

كل هذه القصص ذكرها ابن إسحاق معترضاً بها بين تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم في الشعب، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهي أمور مناسبة لهذا الوقت، ولهذا قال الشافعي رحمه الله: من أراد «المغازي» فهو عيال على ابن إسحاق.

نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق: هذا وبنو هاشم، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض [تلك] الصحيفة نفر من قريش، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن [ربيعة بن] الحارث بن حبيب بن نصر [بن جذيمة] بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم^(١) بن عبد مناف لأمه، وكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، فكان - فيما بلغني - يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً قد أوقره طعاماً، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبيه، فدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره بزاً^(٢) فيفعل به مثل ذلك، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٣) بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. فقال: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث علمت لا يُباعون ولا يُبتاع منهم، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم؟ أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً. قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها [حتى أنقضها]. قال قد وجدت رجلاً، قال من هو؟ قال: أنا قال له زهير: أبغنا ثالثاً، فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً، قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال قد وجدت لك ثانياً. قال من؟ قال أنا، قال أبغنا ثالثاً قال قد فعلت. قال من هو؟ قال زهير بن أبي أمية، قال أبغنا رابعاً، فذهب إلى أبي البختري بن هشام، فقال نحو ما قال لمطعم بن عدي، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا؟ قال نعم! قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك. قال أبغنا خامساً. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه، وذكر له قرابتهم وحققهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم ثم سمى القوم. فاتعدوا حطم الحجون^(٤) ليلاً بأعلا مكة فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها. وقال زهير: أنا أبدوكم، فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس. فقال: يا أهل مكة أناكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد - والله لا تشق. قال: زمعة بن الأسود أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حين كتبت. قال أبو البختري: صدق زمعة لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نقر به. قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كتب فيها. قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قد قُضي بليل، تشور فيه بغير هذا المكان، [قال]: وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم»، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة^(٥). فشلت يده فيما يزعمون.

(١) من «سيرة ابن هشام»، وفي الأصل هشام وهو تحريف.

(٢) من «ابن هشام»: وفي الأصل وبعض نسخ «ابن هشام» برأ وقال السهيلي: بزاً بالزاي.

(٣) من «ابن هشام»: وفي الأصل عمرو وهو تحريف.

(٤) من «ابن هشام» وفي الأصل حطم؛ والحجون: موضع بأعلى مكة، وخطمه: مقدمه.

(٥) قال السهيلي: وللنسابة من قريش في كاتب الصحيفة قولان، أحدهما: إن كاتب الصحيفة هو بنغيض بن عامر بن هاشم بن عبد الدار، والقول الثاني: أنه منصور بن عبد شريحيل بن هاشم من بني عبد الدار أيضاً، وهو خلاف قول ابن إسحاق، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين، والزبيريون أعلم بأنساب قومهم.

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان». فقال أربك أخبرك بهذا؟ قال «نعم»! قال فوالله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا، فهل صحيفتكم، فإن كانت كما قال فانتهاوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي. فقال القوم: قد رضينا فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً. فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا.

قال ابن إسحاق: فلما مزقت وبطل ما فيها، قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة يمدحهم:

على نأيهم واللُّهُ بالناسِ أروُدُ^(١)
وأن كل ما لم يرضه اللُّهُ مفسد
ولم يلف سحراً آخر الدهر يصعد
فطائرُها في رأسها يتردد^(٢)
ليُقطع منها ساعدٌ ومقلد
فرائضهم من خشية الشر ترعد
أيثهم فيها عند ذاك ويُنجد^(٣)
لها حدج سهم وقوس مرهد
فعرزتنا في بطن مكة أتلد
فلم ننفيك نزداً خيراً ونحمد
إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد^(٤)
على ملا يهدي لحزم ويُرشد
مقاوله بل هم أعز وأمجد
إذا ما مشى في رفرِف الدرع أحرد
شهابٌ بكفي قابس يتوقد
إذا سيم خسفاً وجهه يتريد
على وجهه يسقي الغمام ويسعد
يحض على مقرى الضيوف ويحشد
إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
عظيم اللواء أمره ثم يحمد^(٥)
على مهلي وسائر الناس رُقد

ألا هل أتى بحريتنا صنغ ربنا
فيخبرهم أن الصحيفة مُزقت
تراوَحها إفاك وسحر مجمع
تداعى لها من ليس فيا بقرقر
وكانت كفاء وقعة بأثيمة
ويظعن أهل المَكْتين فيهربوا
ويترك حراث يقلب أمره
وتصعد بين الأخشبين كتيبة
فمن ينش من حضار مكة عزة
نشأنا بها والناس فيها قلائل
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
جزى الله رهطاً بالحجون تجمعوا^(٥)
فعوداً لذي حطم^(٦) الحجون كأنهم
أعان عليها كل صقر كأنه
جريء على جل^(٧) الخطوب كأنه
من الأكرمين من لؤي بن غالب
طويل النجاد خارج نصف ساقه
عظيم الرماد سيد وابن سيد
ويبني لأبناء العشيرة صالحاً
الظ بهذا الصلح كل مبراً
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا

(١) بحرنا: قال السهيلي: يعني الذين بأرض الحبشة: والذين هاجروا إليها من المسلمين في البحر؛ وأرود: أرفق.

(٢) القرقر: اللين السهل؛ يتردد: المراد حفظها من الشؤم والشر.

(٣) أيهم: أي يأتي تهامة، وينجد: أتى نجداً. وبعده في «السيرة».

لها حدج سهم وقوس ومرهد

وتصعد بين الأخشبين كتيبة

(٤) المفيضون: الضاريون بقдах الميسر.

(٥) في «ابن هشام»: تبايعوا.

(٦) في «ابن هشام»: حطم وهو الصواب، وحطم الشيء: مقدمه «قاموس».

(٧) في «ابن هشام»: جلى: الأمر العظيم.

(٨) الظ: ألح في طلب الشيء.

وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدٌ^(١)
وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا نَتَوَدَّدُ
وَنَدْرُكُ مَا شِئْنَا وَلَا نَتَشَدَّدُ
وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدٌ
لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ

هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِيًا
مَتَى شَرِكُ الْأَقْوَامِ فِي حَلِّ أَمْرِنَا
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقِرُّ ظُلَامَةً
فِي آلِ قَصِيٍّ هَلْ لَكُمْ فِي نَفْسِكُمْ
فَلَانِي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ

قال السهيلي: أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول لديك البيان لو تكلمت أسود، أي يا أسود، أي يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عمن قتله^(٢).

ثم ذكر ابن إسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدي وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة. وقد ذكر الأموي ههنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن إسحاق. وقال الواقدي: سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب؟ قالوا: في السنة العاشرة - يعني من البعثة - قبل الهجرة بثلاث سنين.

قلت: وفي هذه السنة بعد خروجهم توفي أبو طالب عم رسول الله ﷺ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق - رحمه الله - بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله ﷺ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى، وتكذيبنا لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول، والله غالب على أمره. فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسلته، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً^(٣) فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمع. قالو فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال فقممت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته [فاتبعته، حتى إذا دخل بيته]^(٤) دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا - الذي قالوا - قال فوالله ما برحوا بي يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لثلاً أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً فاعرض علي أمرك: قال: فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. قال فقال: «اللهم اجعل له آية» قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعتني على الحاضر^(٥)، وقع بين عيني نور مثل المصباح. قال فقلت: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنوا بها مثلة^(٦) وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحول فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يتراؤون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أتبهط

(١) سهل بن بيضاء، أخو سهيل وبيضاء أمهما سميا باسمها وهي دعد بنت جحدم أسلم بمكة وكنم إسلامه شهد بدرأ مع المشركين وأسر، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة فخلى عنه راجع «طبقات ابن سعد» (٤/٢١٣).

(٢) زاد السهيلي: فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلاً.

(٣) الكرسف: القطن.

(٤) ما بين معكوفين من ابن هشام.

(٥) الحاضر: الجماعة النازلون على الماء.

(٦) المثلة: يريد العقوبة والتكيل.

عليهم من الثنية، حتى جنتهم فأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي - وكان شيخاً كبيراً - فقلت: إليك عني - يا أبة فلست منك ولست مني، قال ولم يا بني؟ قال: قلت أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ. قال: أي بني فدينك ديني. فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم اتني حتى أعلمك ما علمت. قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم. قال ثم اتني صاحبتي، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني. قالت: ولم؟ بأبي أنت وأمي. قال قلت [قد] فرق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد ﷺ. قالت فديني دينك. قال: فقلت فاذهبي إلى حمى ذي الشرى فتطهري منه، وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل. قالت: بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً؟ قلت: لا، أنا ضامن لذلك. قال: فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا علي، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة. فقلت [له]: يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس^(١) الزنا فادع الله عليهم. قال: «اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين - أو ثمانين بيتاً - من دوس فلحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين. ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة. فقلت: يا رسول الله ابعثني إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه. قال ابن إسحاق: فخرج إليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول:

يا ذا الكفين لست من عبادك
إني حشوت النار في فؤادك^(٢)

قال ثم رجعت [إلى] رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، رأيت أن رأسي حلق، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فادخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً ثم رأيت حبس عني؟ قالوا: خيراً قال: أما أنا والله فقد أولتها، قالوا ماذا؟ قال أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج منه فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها. وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهتهد أن يصيبه ما أصابني. فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله. هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسله بلا إسناد^(٣). وخبره شاهد في الحديث الصحيح. قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. قال: لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال إن دوساً قد استعصت قال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم» رواه البخاري^(٤) عن أبي نعيم عن سفيان الثوري. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أنبأنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها. قال أبو هريرة فرفع رسول الله ﷺ يديه فقلت هلكت دوس. فقال: «اللهم اهد دوساً، وائت بهم» إسناد جيد ولم يخرجوه. وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر:

- (١) دوس: بطن من شنوءة من الأزدي القحطانية وهم بنو دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن خالد بن نصر. منهم أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ واسمه عمير بن عامر «نهاية الأرب للقلشندي» (٢٣٥).
- (٢) في «مغازي الواقدي» (٢/٨٧٠) أنا حششت النار في فؤادك.
- (٣) قال في «الإصابة» (٢/٢٢٥): ذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ بلا إسناد، وروي في نسخة من المغازي من طريق صالح بن كيسان عن الطفيل بن عمرو في قصة إسلامه. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ج (٤/٢٣٧) مطولاً من وجه آخر، وكذلك الأموي عن ابن الكلبي بإسناد آخر. وقد ساق ابن عبد البر في «الاستيعاب» ج (٢/٢٣٢) من طريق الأموي عن ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن الطفيل بن عمرو فذكر قصة إسلامه.
- (٤) في (٨٠) كتاب الدعوات (٥٩) باب الحديث (٦٣٩٧) «فتح الباري» (١١/١٩٦) وأخرجه أيضاً في (٦٤) كتاب «المغازي» (٧٥) باب قصة دوس «فتح الباري» (٨/١٠١).

أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة؟ قال حصن كان لدوس في الجاهلية - فأبى ذلك رسول الله ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتوا^(١) المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص^(٢) فقطع بها براجمه فشخبت يدها فما رقا الدم حتى مات. فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة، ورآه مغطياً يديه. فقال له: ما صنع ربك بك فقال غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ قال فما لي أراك مغطياً يديك؟ قال قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت. قال فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم وليديه فاغفر» رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم كلاهما عن سليمان بن حرب به^(٣). فإن قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في «الصحيحين» من طريق الحسن عن جندب قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات، فقال الله عز وجل عبدي بادرني بنفسه فحرمت عليه الجنة». فالجواب من وجوه؛ أحدها: أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار وإن كان شركه مستقلاً إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته. الثاني: قد يكون هذاك عالماً بالتحريم وهذا غير عالم لحدائثة عهده بالإسلام. الثالث: قد يكون ذاك فعله مستحلاً له وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً. الرابع: قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك. الخامس: قد يكون هذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار، وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه ﷺ. ولكن بقي الشين في يده فقط وحسنت هيئة سائره فغطى الشين منه فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطياً يديه قال له مالك؟ قال: قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللهم وليديه فاغفر» أي فاصلح منها ما كان فاسداً. والمحقق أن الله استجاب لرسول الله ﷺ في صاحب الطفيل بن عمرو.

قصة أعشى بن قيس

قال ابن هشام: حدثني خلاد بن قره بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من^(٤) أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح النبي ﷺ:

وبت كما بات المسلم مسهدا
تناسبت قبل اليوم خلة مهددا^(٥)
إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
فلله هذا الدهر كيف ترددا
وليداً وكهلاً حين شئت وأمردا
مسافة ما بين النجير فصرخدا^(٦)
فإن لها في أهل يثرب موعدا
حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
يهاها خناً لينا غير أحردا^(٧)

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن
كهولاً وشباناً فقدت وثروة
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع
وأبتذل العيس المراقيل تعتلي
ألا أي هذا السائل أي يئمت
فإن تسألني عني فيا رب سائل
أجدت برجليها النجاد وراجعت

- (١) اجتروا المدينة: معناه كرهوا المقام بها لضجر ونوع من سقم. قال أبو عبيد والجوهري: اجتويت البلد إذا كرهت المقام به، وإن كنت في نعمة. قال الخطابي: أصله من الجوى وهو داء يصيب الجوف.
- (٢) مشاقص: جمع مشقص وهو سهم فيه نصل عريض قاله ابن فارس والخليل؛ وقال غيرهما طويل وليس بالعريض؛ والأقرب أنه عريض لأن قطع البراجم يحصل بالعريض وليس بالطويل.
- (٣) «صحيح مسلم» (١) كتاب «الإيمان» (٤٩) باب حديث (١٨٤)
- (٤) من «ابن هشام» وفي الأصل عن.
- (٥) كذا في الأصل خلة وفي «ابن هشام» صحبة ومهدد: اسم امرأة.
- (٦) النجير: موضع في حضرموت من اليمن، وصرخدا: موضع بالجزيرة.
- (٧) في «ابن هشام»: النجاء بدل النجاد. والنجاء: السرعة. والخناف: التي تلوي في السير يديها من النشاط.

إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا^(١)
 ولا من حَفَى حتى تُلاقي محمدا
 تُراحي وتلقني من فواضله ندى
 أغارَ لعمري في البلاد وأنجدا^(٢)
 فليسَ عطاء اليوم مانعة غدا
 نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
 ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
 فترصد للأمر الذي كان أرصدا
 ولا تأخذن سهماً حديداً لتُقصدَا
 ولا تعبد الأوثان واللّه فاعبدا
 عليك حراماً فانكحن أو تأبدا^(٣)
 لعاقبة ولا الأسير المقيدا
 ولا تحمد الشيطان واللّه فاحمدا^(٤)
 ولا تحسبن المال للمرء مُخليداً

وفيها إذا ما هجرت عَجْرَفِيَّةً
 وأليث لا أوي لها من كلالية
 متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم
 نبي يري ما لا ترؤن وذكره
 له صدقات ما تنفب ونائل
 اجذك لم تسمع وصاة محمد
 إذا أنت لم ترحل بزاد من الثقي
 ندمت على أن لا تكون كمثليه
 فإياك والميتات لا تقربئها
 وذا الثُصب المنسوب لا تنسكئهُ
 ولا تقربن جارة كان سرها
 وذا الرجم القُربى فلا تقطعئهُ
 وسبخ على حين العشية والضحي
 ولا تسخرن من بئس ذي ضرارة

قال ابن هشام: فلما كان بمكة - أو قريب منها - اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرم الزنا. فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب. فقال: يا أبا بصير إنه يحرم الخمر. فقال الأعشى: أما هذه فوالله إن في نفسي منها العلالات، ولكنني منصرف فأترؤى منها عامي هذا، ثم آته فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى النبي ﷺ. هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ههنا وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله، فإن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شعره ما يدل على ذلك وهو قوله:

ألا أيها ذا السائلي أين يمت فإن لها في أهل يشرب موعدا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يوردها هاهنا والله أعلم. قال السهيلي: وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فإن الناس مجتمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلى في المدينة بعد أحد. وقد قال: وقيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة. وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ قال وقوله. ثم آته فأسلم - لا يخرج عن كفره بلا خلاف والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق هاهنا قصة الأراشي وكيف استعدى إلى رسول الله ﷺ من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك.

قصة مصارعة ركانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها ﷺ فأقبلت

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار قال: وكان ركانة^(٥) بن عبد يزيد بن هاشم بن

(١) أصيد: المائل العنق تكبراً أو من داء أصابه.

(٢) أغار: قال ابن دريد في «الاشتقاق»: من روى: أغار لعمري، فقد لحن وأخطأ.

(٣) في «ابن هشام»: حرة بدلاً من جارة.

(٤) في «ابن هشام»: العشيات بدلاً من العشية.

(٥) هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبية. وقال البلاذري: لقي ركانة رسول الله ﷺ في بعض جبال

مكة... فصارعه رسول الله ﷺ وصرعه وأسلم ركانة في الفتح وقيل أسلم عقب مصارعته. قال الزبير: مات بالمدينة في خلافة معاوية وقال أبو نعيم مات في خلافة عثمان وقيل عاش إلى سنة إحدى وأربعين راجع «الإصابة» (١/٥٢٠).

المطلب^(١) بن عبد مناف أشد قريشاً، فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك فقال له رسول الله ﷺ: «أفرايت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟». قال نعم! قال: «فقم حتى أصارحك». قال فقام ركانة إليه فصارعه فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه. فقال: يا محمد، والله إن هذا للعجب، أتصرعني؟ قال [رسول الله ﷺ]: «وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري؟» قال وما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأينني». قال: فادعها، فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. فقال لها: ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها، قال: فذهب ركانة إلى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع. هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسله بهذا البيان. وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أبي الحسن العسقلاني^(٢) عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه. أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ، ثم قال الترمذي غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة.

قلت: وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات، كل مرة على مائة من الغنم فلما كان في الثالثة قال: يا محمد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك، وما كان أحد أبغض إلي منك. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقام عنه رسول الله ﷺ ورد عليه غنمه.

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت فسيأتي في كتاب «دلائل النبوة» بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة إن شاء الله وبه الثقة. وقد تقدم عن أبي الأشدّين أنه صارع النبي ﷺ فصرعه رسول الله ﷺ. ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصراني من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشي والله الحمد والمنة^(٣).

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد، فجلس^(٤) إليه المستضعفون من أصحابه خباب، وعمار، وأبو فكيهة، يسار^(٥)، مولى صفوان بن أمية وصهيب، وأشباههم من المسلمين. هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصهم الله به دوننا. فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوقِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنْهُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٤]. قال: وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر، عبد لبني الحضرمي، وكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بِشَرِّ لِسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِيٌّ ثَبِيْتُ﴾ [النحل: ١٠٣]. ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله ﷺ إنه أبتري أي لا عقب له فإذا مات انقطع ذكره. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي المقطوع الذكر بعده، ولو خلف الوفاً من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنساب والعقب، وقد تكلمنا على هذه السورة في «التفسير» والله الحمد. وقد روي عن أبي جعفر الباقر: أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم بن النبي ﷺ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير

(١) في «ابن هشام»: بن عبد المطلب.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨/١٠) وقال وقد رواه أبو أويس المدني، عن محمد بن عبد الله بن يزيد بن ركانة. وقال ابن حبان في إسناده خبره في المصارعة نظر وقال في «تقريب التهذيب»: أبو الحسن العسقلاني مجهول من السابعة. ورواه الحاكم في «المستدرک» (٤٥٢/٣) ورواه أبو داود في المراسيل.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٣٢/٢).

(٤) من «ابن هشام»، وفي الأصل يجلس، وما أثبتناه مناسب أكثر.

(٥) في الأصل: أبو فكيهة ويسار؛ وهو تحريف وأثبتناه ما في «سيرة ابن هشام».

على النجبية. ثم ذكر نزول قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ لَّوَكُنَّا نَحْنُ مُلْكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨] وذلك بسبب قول أبي بن خلف وزمعة بن الأسود والعاص بن وائل والنضر بن الحارث: لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك.

قال ابن إسحاق: ومر رسول الله ﷺ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأميرة بن خلف وأبي جهل بن هشام فهمزوه واستهزؤا به، فغاضه ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم: ﴿وَلَقَدْ آسْتَهْزِئُوا بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِّئِبِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١].

قلت: وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرًا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْأَمْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] قال سفيان: عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال: المستهزؤون الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زمعة، والحارث بن عيطل^(١)، والعاص بن وائل السهمي. فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فأراه الوليد [أبا عمرو بن المغيرة]^(٢) فأشار جبريل إلى أنمله^(٣) وقال كفيته، ثم أراه الأسود بن المطلب فأوماً إلى عنقه^(٤) وقال كفيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأوماً إلى رأسه وقال كفيته، ثم أراه الحارث بن عيطل فأوماً إلى بطنه وقال كفيته، ومر به العاص بن وائل فأوماً إلى أخمصه وقال كفيته. فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أنمله فقطعها، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الأسود بن المطلب فعمي. وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً وجعل يقول يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت، ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني. فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها. وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شبرقة^(٥) حتى امتلأت منها فمات منها. وقال غيره في هذا الحديث: فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة - يعني شوكة - فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته. رواه البيهقي بنحو من هذا السياق^(٦).

وقال ابن إسحاق: وكان عظماء المستهزين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم؛ الأسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم أعم بصره وأثكله ولده»^(٧). والأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلائفة^(٨). وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يُعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦]. وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حيناً^(٩) ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه^(١٠) كان أصابه قبل ذلك

- (١) في «دلائل البيهقي»: الحارث بن عنطلة السهمي، وهو الحارث بن قيس السهمي وهو ابن العنطلة ينسب إلى أمه وفي السهيلي: أنه ابن الطلائفة وكان يأخذ حجراً يعبده فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن. وفيه نزلت: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].
- (٢) من «دلائل البيهقي».
- (٣) من «دلائل البيهقي»: أبجله.
- (٤) في «دلائل البيهقي»: عينه؛ وهو مناسب أكثر لما يقتضيه السياق بعد قليل.
- (٥) الشبرقة: رطب الضريع.
- (٦) «دلائل النبوة» (٢/٣١٧ - ٣١٨).
- (٧) قال البلاذري: خرج يستقبل ابنه وقد قدم من الشام، فلما كان ببعض الطريق جعل جبريل يضرب وجهه وعينه بورقة من ورق شجر جلس في ظلها، حتى عمي، ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الأسود، قتله أبو دجانة ويقال قتله ثابت بن الجذع.
- (٨) الطلائفة، اسم أمه وقال الكلبي هو الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم؛ وفي «السيرة الشامية»: اسمه مالك؛ والطلائفة أبوه.
- (٩) الحين: سخاخ البطن.
- (١٠) في «ابن هشام»: كعب رجله.

بسنين من مروره برجل يريش نبلاً له من خزاعة فتعلق سهم بإزاره فخدشه خدشاً سيزاً، فانتقض بعد ذلك فمات. ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت في أخص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحارث بن الطلائل فأشار إلى رأسه فامتخص^(١) قبحاً فقتله.

ثم ذكر ابن إسحاق: أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد. فقال لهم: أي بني، أوصيكم بثلاث، دمي في خزاعة فلا تطلوه^(٢)، والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكنني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم. ورباي في ثقيف، فلا تدعوه حتى تأخذه، وعقري^(٣) عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به. وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات، وكان قد قبض عقرها منه - وهو صداقها - فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد، وقالوا إنما قتله سهم صاحبكم، فأبت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر. ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل واصطلحوا وتحاجزوا.

قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز فقتله، وكان شريفاً في قومه. وكانت ابنته^(٤) تحت أبي سفيان - وذلك بعد بدر - فعمد يزيد بن أبي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائباً، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه: أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً في رجل من دوس؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة^(٥) له يحض أبا سفيان في دم أبي أزيهر، فقال بئس ما ظن حسان أن يقتل بعضنا بعضاً وقد ذهب أشرافنا يوم بدر. ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأله في ربا أبيه من أهل الطائف؟

قال ابن إسحاق: فذكر لي بعض أهل العلم إن هؤلاء الآيات نزلن في ذلك ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وما بعدها.

قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني أزيهر ثار نعلمه حتى حجز الإسلام بين الناس، إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الأسلمي^(٦) خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر فقامت دونه أم غيلان^(٧) ونسوة كن معها حتى منعتهم قال السهيلي: يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها.

قال ابن هشام: فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه، فقال لها عمر: لست بأخيه إلا في الإسلام، وقد عرفت متك عليه فأعطاها على أنها بنت سبيل.

قال ابن هشام: وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام^(٨) رضي الله عنهما.

فصل

وذكر البيهقي هاهنا^(٩) دعاء النبي ﷺ على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف وأورد ما أخرجاه في

(١) من ابن هشام: وفي الأصل فامتخص وهو تحريف؛ أي أن القبح تحرك في رأسه وانتشر.

(٢) في «ابن هشام»: فلا تطلنه، لا تطلوه؛ لا تهدروه؛ إذا لم يأخذ بالثار فقد هدر الدم.

(٣) العقر: بالضم، دية فرج المرأة المغصوب.

(٤) واسمها: عاتكة.

(٥) منها:

(٦) كسك هشام بن الوليد ثيابه فابل وأخلف مثلها جرداً بعد

في ابن هشام: الفهري.

(٧) قال ابن هشام عن أبي عبيدة: أن التي قامت دونه أم جميل. ويحتمل أن تكونا قامتاً معاً دونه. وفي ذلك قال ضرار شعراً منه:

جزى الله عنا أم غيلان صالحاً ونسوتها إذ هن شمعت عواطل

(٨) في ابن هشام: بعد إسلامه، وهذا يؤكد أن ضراراً أدرك الإسلام وأسلم كما في «الاشتقاق» (١٠٣/١) شهد أحداً مع المشركين.

(٩) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣٢٦/٢).

«الصحيحين» من طريق الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود. قال: خمس مضين؛ اللزمام^(١) والروم، والدخان، والبطشة، والقمر. وفي رواية عن ابن مسعود. قال: إن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطثوا عن الإسلام. قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» قال فأصابتهم سنة حتى حصت^(٢) كل شيء، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع. ثم دعا فكشف الله عنهم، ثم قرأ عبد الله هذه الآية: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الدخان: ١٥] قال فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم القيامة - أو قال فأخروا إلى يوم بدر - قال عبد الله: إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦] قال يوم بدر. وفي رواية عنه^(٣). قال: لما رأى رسول الله ﷺ من الناس إدماراً. قال: «اللهم سبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام. فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا: يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث، فأطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر. فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فانجذب^(٤) السحاب عن رأسه فسقي الناس حولهم، قال لقد مضت آية الدخان - وهو الجوع الذي أصابهم - وذلك قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الدخان: ١٥] وآية الروم^(٥)، والبطشة الكبرى. وانشقاق القمر، وذلك كله يوم بدر. قال البيهقي: يريد - والله أعلم - البطشة الكبرى والدخان وآية اللزمام كلها حصلت ببدر. قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية. ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب [السختياني] عن عكرمة عن ابن عباس. قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن^(٦)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦] قال فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم. ثم قال الحافظ البيهقي: وقد روي في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة^(٧)، ولعله كان مرتين والله أعلم.

فصل

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ الرُّومِ ﴿٢﴾﴾ فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ صَيْفِلُونَ ﴿٣﴾ فِي يَضِعُ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ١ - ٥]. ثم روى من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة^(٨) عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال [له]: «أما أنهم سيظهرون» فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً إن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلته

- (١) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» - تفسير سورة الدخان ح (٤٨٢٥) «فتح الباري» (٥٧٤/٨) والترمذي في كتاب «التفسير» (٣٧٩/٥) وأحمد في «مسنده» (١٢٨/٥).
- (٢) اللزمام قال في «النهاية» هو يوم بدر.
- (٣) من البخاري والبيهقي، والأصل: فحصت وهو تحريف. والحديث في «فتح الباري» (٥٧٣/٨)؛ وأخرجه البيهقي من طريق الأعمش عن مسلم عن مسروق عن ابن مسعود به.
- (٤) من طريق أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود.
- (٥) في البيهقي: فأنحدرت السحابة.
- (٦) في البيهقي: وآية الردم.
- (٧) في البيهقي: العلهز بالدم. والعلهز هو الصوف والوبر كانوا يبلونه بالدم ثم يشوونه ويأكلونه.
- (٨) قال القرطبي في «أحكام القرآن»: وقال ابن عباس: نزلت في قصة تمامة بن أثال لما أسرته السرية وأسلم، وخلي رسول الله ﷺ سبيله، حال بين مكة وبين الميرة، وقال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ وأخذ الله قريشاً بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة والكلاب والعلهز (١٤٣/١٢).
- (٩) من البيهقي، وفي الأصل عمرو.

أداة^(١) قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك.

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في «التفسير» وذكرنا أن المباحث - أي المراهن - لأبي بكر أمية بن خلف وأن الرهن كان على خمس قلايص، وأنه كان إلى مدة، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفي الرهن. وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر - أو كان يوم الحديبية - فالله أعلم.

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه. قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق، كل ذلك في خمس عشرة سنة.

فصل

الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة، وأما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين، وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال: أسري^(٢) برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة. قال: وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة. ثم روى الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي. أنه قال: فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس ليلة أسري به قبل مهاجره بستة عشر شهراً^(٣)، فعلى قول السدي يكون الإسراء في شهر ذي القعدة، وعلى قول الزهري وعروة يكون في ربيع الأول. وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عثمان بن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس. قالوا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات. فيه انقطاع وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته وقد أورد حديثاً لا يصح سنده ذكرناه في «فضائل شهر رجب» أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم. ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم. وينشد بعضهم في ذلك:

ليلة الجمعة عرّج بالنبوي ليلة الجمعة أول رجب

وهذا الشعر عليه ركاكة وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به. وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الإسراء: ١] فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الأسانيد والعزو، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية والله الحمد والمنة.

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله فإنه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول: ثم أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس من إيلياء - وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها. قال: وكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه ﷺ عن [عبد الله] بن مسعود وأبي سعيد [الخدري] وعائشة ومعاوية وأم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنهم والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث، كل يحدث عنه بعض ما ذكر لي من أمره. وكان في مسراه ﷺ وما ذكر لي منه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولي الأبواب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله على يقين،

- (١) وقع خلل ونقص هنا في العبارة، وجاءت عند البيهقي (٣٣٠/٢) أكثر وضوحاً قال: فجعل بينهم أجل خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال: ألا جعلته - أراه قال دون العشرة - قال: فظهرت الروم بعد ذلك.
- (٢) لم يختلف القراء في أسري. وقال أهل اللغة إن أسرى وسرى بمعنى واحد، قال السهيلي: السري من سررت إذا سرت ليلاً يعني فهو لازم والإسراء يتعدى في المعنى لكن حذف مفعوله حتى ظن من ظن أنهما بمعنى واحد، وإنما معنى أسري بعبدته جعل البراق يسري به.
- (٣) اختلف العلماء في تحديد في أي زمان وقع الإسراء، وانفقوا على أن الإسراء كان بعد البعثة في مكة - وقبل الهجرة - وجزم جمع بأنه كان قبل الهجرة بسنة، ورجح النووي أنه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة.

فأسري به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد. وكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغني - يقول: أتى رسول الله ﷺ بالبراق - وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرهما في موضع منتهى طرفها - فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له، فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية: من لبن، وخر، وماء. فذكر أنه شرب إناء اللبن، فقال لي جبريل هديت وهديت أمتك. وذكر ابن إسحاق في سياق الحسن البصري مرسلًا أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبه البراق وهو دابة أبيض، بين البغل والحمار، وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجله، يضع حافرهما في منتهى طرفه، ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

قلت: وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما أراد ركوب البراق شمس^(١) به فوضع جبريل يده على معرفته^(٢) ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع، فوالله ما ركبك عبد الله قبل محمد أكرم عليه منه. قال فاستحي حتى ارفض عرقاً ثم قر حتى ركبتك. قال الحسن في حديثه: فمضى رسول الله ﷺ ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأمرهم رسول الله ﷺ فصلى بهم، ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له هديت وهديت أمتك، وحرمت عليكم الخمر. قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، فأصبح يخبر قريشاً بذلك فذكر أنه كذب أكثر الناس وارتدت طائفة بعد إسلامها، وبادر الصديق إلى التصديق وقال إني لأصدقك في خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقك في بيت المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله ﷺ قال فيومئذ سمي أبو بكر الصديق. قال الحسن وأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] الآية. وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هانئ. أنها قالت: ما أسري برسول الله ﷺ إلا من بيتي نام عندي تلك الليلة بعدما صلى العشاء الآخرة، فلما كان قبيل الفجر أهبتنا^(٣) فلما صلى^(٤) الصبح وصلينا معه. قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين ثم قام ليخرج فأخذت بطرف رداه فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك. قال: «والله لأحدثنهموه» فأخبرهم فكذبوه. فقال وآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرهم حس الدابة فنذ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضعجان^(٥) مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان. وآية ذلك أن غيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء^(٦) يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداها سوداء والأخرى بقاء. قال: فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذي وصف لهم، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه.

وذكر يونس بن بكير عن أسباط عن إسماعيل السدي أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم. قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون. رواه البيهقي.

قال ابن إسحاق: وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدني فيه صاحبي،

(١) شمس به: يقال شمس الفرس: إذا لم يمكن أحداً من ظهره ولا من الإسراج والإلجام ولا يكاد يستقر.

(٢) المعرفة: اللحم الذي ينبت عليه شعر العرف.

(٣) أهبتنا: أيقظنا.

(٤) من ابن هشام: وفي الأصل، كان الصبح.

(٥) من ابن هشام: وفي الأصل صحنان. وضحجان بالتحريك: جبل بناحية تهامة قال الواقدي: بين ضحجان ومكة خمسة وعشرون ميلاً.

(٦) التنعيم موضع بمكة في الجبل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة.

والبيضاء عقبة - فيه - قرب مكة؛ أسفل مكة من قبل ذي طوى وأنت مقبل إليها من المدينة. راجع «معجم البلدان».

حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء، يقال له: باب الحفظة عليه بريد^(١) من الملائكة يقال له: إسماعيل، تحت يده اثنا عشر ألف ملك، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك، قال: يقول رسول الله ﷺ إذا حدث بهذا الحديث ﴿وَمَا يَلْقَؤُا جُؤَدَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جداً وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله في «التفسير» وتكلمنا عليه فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضعف، وكذا في سياق حديث أم هانئ فإن الثابت في «الصحيحين» من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس أن الإسراء كان من المسجد من عند الحجر وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك، وذلك قبل أن يوحى إليه بل جاءه بعدما أوحى إليه فكان الإسراء قطعاً بعد الإيجاء إما بقليل كما زعمه طائفة، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الأظهر، وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلًا ثانياً - أو ثالثاً - على قول أنه مطلوب إلى الملا الأعلى والحضرة الإلهية ثم ركب البراق رفعة له وتعظيماً وتكريماً فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته تحية المسجد. وأنكر حذيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب، والنص المثبت مقدم على النافي. ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم. وقيل إن صلته بالأنبياء كانت في السماء، وهكذا تخيره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت بيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة. فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء وذكر أعيان من رآه من المرسلين كآدم في سماء الدنيا، ويحيى وعيسى في الثانية^(٢) وإدريس في الرابعة، وموسى في السادسة - على الصحيح - وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافاً ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام، ورفعت لرسول الله ﷺ سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة، ونبقها كقلال هجر، وغشيتها عند ذلك أمور عظيمة ألوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراش من ذهب وغشيتها من نور الرب جلّ جلاله ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَنْشَى الْمِيدْرَةَ مَا يَفْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٧] أي ما زاغ يميناً ولا شمالاً ولا ارتفع عن المكان الذي حد له النظر إليه. وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التي خلقه الله تعالى عليها كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين. والأولى هي قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ٥ - ١٠] وكان ذلك بالأبطح، تدلى جبريل على رسول الله ﷺ ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى، هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم. فأما قول شريك عن أنس في حديث الإسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوي فأقحمه في الحديث والله أعلم. وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شيء آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم. وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتذ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جلّ جلاله وله الحمد والمنة إلى خمس. وقال هي خمس وهي خمسون الحسنة بعشر أمثالها، فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتذ، وأئمة السنة كالمطبقين على هذا، واختلفوا في الرؤية فقال بعضهم

(١) في ابن هشام: ملك من الملائكة.

(٢) في الأصول لم يذكر الثالثة ولا الخامسة. وفي ابن هشام: رأى يوسف بن يعقوب صورته كصورة القمر ليلة البدر، وفي الخامسة رأى هارون بن عمران كهلاً أبيض الرأس واللحية.

رأه بفؤاده مرتين، قاله ابن عباس وطائفة، وأطلق ابن عباس وغيره الرقبة وهو محمول على الشهيد، ومن أطلق الرقبة أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما، وصرح بعضهم بالرقبة بالعينين واختاره ابن جرير وبالح فيه ونسبه على ذلك آخرون من المتأخرين. ومن نص على الرقبة بمعنى رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في «فتاويه». وقالت طائفة لم يقع ذلك الحديث أي ذر في «صحيح مسلم». قلت: يا رسول الله هل رأيت ريك؟ فقال: «نور أنى أراه» وفي رواية «رأيت نوراً». قالوا ولم يكن رؤية الباقي بالعين الغاية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روي في بعض الكتب الإلهية: يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يأس إلا تدهده والخلاف في هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم: ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجتمعون بأحد قبل الذي طلبوا إليه، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل - عندما يتقدم ذلك للسلام عليه - هذا فلان فسلم عليه، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية. وما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة: أمنهم، وإن يحس وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل، فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدم في الإمامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلنتهم ودار إقامتهم، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار. وقد عاين في تلك اللبلة من الآيات والأمور التي لو رآها - أو بعضها - غيره لأصبح مندهشاً أو طائش العقل، ولكنه ﷺ أصبح واجماً - أي ساكناً - بخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه، فتلطف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك اللبلة وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام وهو جالس واجم. فقال له: هل من خير؟ فقال نعم! فقال: وما هو؟ فقال إن أسري بي اللبلة إلى بيت المقدس. قال إلى بيت المقدس؟ قال نعم! قال رأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أخبرهم بما أخبرتني به؟ قال نعم فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم فقال أبو جهل: هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أدينتهم فقال أخبر قومك بما أخبرتني به، فقصر عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه اللبلة وصل فيه، فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيباً له واستبعاداً لغيره وطار الخبر بمكة وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فأخبروه أن محمداً ﷺ يقول كذا وكذا. فقال: إنكم تكذبون عليه فقالوا والله إنه ليقوله. فقال: إن كان قاله فلقد صدق. ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحوله مشركي قريش فسأله عن ذلك فأخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به. وفي «الصحيح»: أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. قال: فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس علي بعض الشيء، فجعل الله في بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنته لهم. فقال: أما الصفة فقد أصاب^(١).

وذكر ابن إسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه مائهم، فأقام الله عليهم الحججة واستنارت لهم المحجة، فأمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحججة عليه. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَّهَا إِلَهًا أُرْتَبَّكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّقَائِمٍ﴾ [الإسراء: ٦٠] أي اختباراً لهم وامتحاناً. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أرى رسول الله ﷺ وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان بيده وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك. ولهذا قال فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أُنزِلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ سَمَاءٍ مُّبِينَةٍ﴾ [الإسراء: ١] والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد والعبد عبارة عنهما. وأيضاً فلو كان مناماً لما باهر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك كبير أمر، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسري به بفضلة لا مناماً. وقوله في حديث شريك عن أنس: ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر معدود في خلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى بفتنة

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠٩/١) عن ابن عباس وأبو نعيم وابن مردويه من طريق قابوس عن أبيه بسند صحيح. ونقله البيهقي في «دلائله» (٣٦٣/٢).

وأخرج البيهقي الجزء الأخير من الحديث عن جابر أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما كلمتني قريش فمست إلى الحجر فبلى الله لي بيت المقدس فظننت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه. والحديث في «صحيح البخاري» (٦٣) كتاب «مناقب الأنبياء» (٤١) باب حديث الإسراء الحديث (٣٨٨٦).

كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ الطائف فكذبوه، قال فرجعت مهموماً فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحكنه فوضعه على فخذه رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر. وهذا الحمل أحسن من التخليط والله أعلم. وقد حكى ابن إسحاق فقال حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه. قال: وحدثني يعقوب بن عتبة: أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة.

قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وكما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿يَبْقَىٰ إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وفي الحديث: «تنام عيناى^(١) وقلبي يقظان».

قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان، قد جاءه، وعاین فيه ما عاین، من أمر الله تعالى، على أي حالة كان نائماً أو يقظان^(٢) كل ذلك حق وصدق.

قلت: وقد توقف ابن إسحاق في ذلك وجوز كلا من الأمرين من حيث الجملة، ولكن الذي لا يشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظاناً لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده ﷺ ما فقد وإنما كان الإسراء بروحه أن يكون مناماً كما فهمه ابن إسحاق، بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاین ما عاین حقيقة ويقظة لا مناماً. لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومراد من تابعها على ذلك. لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم.

تنبیه: ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء طبق ما وقع بعد ذلك، فإنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناماً قبله ليكون ذلك من باب الإرهاص والتوطئة والتثبت والإيناس والله أعلم.

ثم قد اختلف العلماء في أن الإسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة؟ فمنهم من يزعم أن الإسراء في اليقظة، والمعراج في المنام. وقد حكى المهلب^(٣) بن أبي صفرة في «شرح البخاري» عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الإسراء مرتين؛ مرة بروحه مناماً، ومرة ببدنه وروحه يقظة وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه. قال السهيلي: وهذا القول يجمع الأحاديث فإن في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قبله، وقال في آخره: ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر وهذا منام. ودل غيره على اليقظة، ومنهم من يدعي تعدد الإسراء في اليقظة أيضاً حتى قال بعضهم: إنها أربع إسرائيات، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع في روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث إسرائيات، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضاً لحديث حذيفة، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات^(٤).

(١) من ابن هشام، وفي الأصل عيناى وهو تحريف.

والحديث أخرجه البخاري في كتاب «التَّهَجُّد» (١٦) باب «التراويح» (١) باب «المنام» (٢٤). ومسلم في كتاب «صلاة المسافرين» (١٢٥)، وأبو داود في كتاب «الطهارة» (٧٩) والترمذي في كتاب «المواقيت» (٢٠٨) وفي كتاب «الفتن» (٦٣) و«الموطأ» في «صلاة الليل» (٩) وأحمد في «مسنده» (٢٢/١، ٢٧٨) و (٢٥١/٢) و (٥٠/٥، ٥٠) و (٣٦/٦، ٧٣، ١٠٤).

(٢) من ابن هشام، وفي الأصل يقظاناً وهو خطأ.

والخبر في «السيرة» ج (٤٠/٢ - ٤١).

(٣) في السهيلي: «ورأيت المهلب في «شرح البخاري»؛ وليس هو المهلب الأزدي أمير خراسان.

(٤) قال صاحب «الظلال» في تفسير سورة الإسراء: «والراجح من مجموع الروايات أن رسول الله ﷺ ترك فراشه في بيت أم هانئ على أن لا نرى محلاً لذلك الجدل الطويل الذي ثار قديماً والذي يثور حديثاً حول طبيعة هذه الواقعة المؤكدة في حياة الرسول الله ﷺ والمسافة بين الإسراء والمعراج بالروح أو بالجسم وبين أن تكون رؤيا في المنام أو رؤيا في اليقظة... المسافة بين هذه الحالات كلا ليست بعيدة، ولا تغير من طبيعة هذه الواقعة شيئاً وكونها كشافاً وتجلية للرسول ﷺ عن أمكنة بعيدة وعوالم بعيدة في لحظة خاطفة قصيرة... والذين يدركون شيئاً من طبيعة القدرة الإلهية ومن طبيعة النبوة لا يستغربون في الواقعة شيئاً...».

فنقول: إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصياً في كتابنا «التفسير» عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحصر العقلي والوقوع كذلك في الخارج إلا بدليل والله أعلم. والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبي طالب فوافق ابن إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب، وابن إسحاق آخر ذكر موت أبي طالب على الإسراء، فالله علم أي ذلك كان. والمقصود أن البخاري فرق بين الإسراء وبين المعراج فبوب لكل واحد منهما باباً على حدة فقال: باب حديث الإسراء وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبتني قريش كنت^(١) في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أحدثهم^(٢) عن آياته وأنا أنظر إليه^(٣)». وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر به. ورواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه. ثم قال البخاري باب حديث المعراج: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به. قال: «بينما أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعاً^(٤) إذ أتاني آت^(٥) وسمعتة يقول: «فشق ما بين هذه إلى هذه» فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به. قال: من نقرة^(٦) نحره إلى شعرته، وسمعتة يقول من قصه إلى شعرته. «فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض» فقال الجارود: وهو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم! «يضع خطوه عند أقصى طرفه. فحُملت عليه، فانطلق بي جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح قيل من هذا؟ قال جبرائيل قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه [قال نعم!]^(٧) قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا؟ قال جبرائيل قال ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا؟ قال: جبرائيل قال: ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت إذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال نعم! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت إذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبرائيل قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل

(١) في البخاري والبيهقي: قمت.

(٢) في البخاري والبيهقي: أخبرهم.

(٣) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤١) باب حديث الإسراء ح (٣٨٨٦) «فتح الباري» (١٩٦/٧) ومسلم في

(١) كتاب «الإيمان» (٧٥) باب حديث (٢٧٦) وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الإسراء وقال: حسن صحيح.

(٤) من البخاري والبيهقي؛ وفي الأصل مضجعاً.

(٥) في البخاري والبيهقي: فقد، قال: وسمعتة يقول.

(٦) في البخاري: ثغرة نحره؛ والمعنى واحد.

(٧) من البيهقي.

إليه؟ قال نعم! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت إذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. فلما تجاوزت بكى، فقيل له ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي. ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل وقد بعث إليه؟ قال نعم! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت إذا إبراهيم قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم رفعت إلى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار؛ نهران ظاهران، ونهران باطنان. فقلت: ما هذا يا جبرائيل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن قال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فرض علي الصلوات خمسون صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة؛ فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً. فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ فقلت: بخمس صلوات كل يوم. قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم. قال: فلما تجاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي. هكذا روى البخاري هذا الحديث ههنا^(١) وقد رواه في مواضع أخر من «صحيحه» ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة. ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبي بن كعب. ومن حديث أنس عن أبي ذر. ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبي ﷺ. وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه في «التفسير»، ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينسأه أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو يبسط تارة فيسوقه كله، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده. ومن جعل كل رواية اسراد على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعده جداً. وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء، وفي كل منها يعرفه بهم، وفي كلها يفرض عليه الصلوات. فكيف يمكن أن يدعي تعدد ذلك؟ هذا في غاية البعد والاستحالة والله أعلم. ثم قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٥]. قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس، والشجرة الملعونة في القرآن. قال: هي شجرة الزقوم^(٢).

فصل

ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي ﷺ وهو يقتدي بجبرائيل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر: «أمني جبرائيل عند البيت مرتين». فبين له الوقتين الأول والآخر، فهما وما بينهما الوقت الموسع، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب. وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو وكلها في «صحيح مسلم». وموضع بسط ذلك في كتابنا «الأحكام» والله الحمد. فأما ما ثبت في «صحيح البخاري» عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت

(١) البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٢) باب المعراج حديث (٣٨٨٧) «فتح الباري» (٣٠١/٧) وفي (٥٩) كتاب «بدء الخلق» (٦) ومسلم في (١) كتاب «الإيمان» (٧٤) باب ح (٢٦٤) والترمذي في أول تفسير سورة الإسراء والنسائي في قيام الليل وأحمد في «مسنده» (١٤٨/٣ - ٢٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» تفسير سورة الإسراء (٩) باب ح (٤٧١٦) «فتح الباري» (٣٩٨/٨) الزقوم: وهي فعول من الزقم اللقم الشديد والشراب المفرط؛ وشجرة الزقوم وصفها الله في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَبَّارِ ۖ لَطْمَها كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤ - ٦٥]. وقيل أكل الزبد والتمر بلغة إفريقية الزقوم «النهاية لابن الأثير».

صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر^(١). وكذا رواه الأوزاعي عن الزهري، ورواه الشعبي عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة في السفر، وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]. قال البيهقي^(٢): وقد ذهب الحسن البصري إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً كما ذكره مرسلأ من صلواته عليه السلام صبيحة الإسراء الظهر أربعاً، والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً يجهر في الأولين، والعشاء أربعاً يجهر في الأولين. والصبح ركعتين يجهر فيهما.

قلت: فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين^(٣) ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ما هي عليه، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلية والله أعلم.

فصل

في انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ

وجعل الله له آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [١] وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ [القمر: ١-٣] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام. وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. وقد تفصينا ذلك في كتابنا «التفسير» فذكرنا الطرق والألفاظ محررة، ونحن نشير ههنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته. وذلك مروى عن أنس بن مالك، وجبير بن مطعم، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

أما أنس فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سألت أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين^(٤). فقال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وهذا من مرسلات الصحابة، والظاهر أنه تلقاه عن الجهم الغفير من الصحابة، أو عن النبي ﷺ، أو عن الجميع وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان. زاد البخاري وسعيد بن أبي عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثهم عن قتادة عن أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما لفظ البخاري^(٥).

وأما جبير بن مطعم فقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم [عن أبيه]. قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. تفرد به أحمد. وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به. وقد رواه البيهقي من طريق

(١) أخرجه البخاري في أول كتاب «الصلاة»، وابن خزيمة (١٥٦/١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٦٢/١) ومسلم في «صلاة المسافرين» الحديث (٣) ص (٤٧٨).

(٢) «دلائل النبوة» (٤٠٧/٢).

(٣) وقال البيهقي في «السنن الكبرى» (٣٦٢/١) ففي هذا الحديث وما روي في معناه دليل على أن ذلك كان بمكة بعد المعراج، وأن الصلوات الخمس فرضت حيثئذ بأعدادهن، وقد ثبت ذلك عن عائشة - رضي الله عنها - خلاف ذلك.

(٤) «مسند أحمد» ج (٣٧٧/١، ٤١٣، ٤٤٧) و (٢٧٥/٣) و (٨٢/٤). ومسلم في «صحيحه» في (٥٠) كتاب «المنافقين» (٨) باب انشقاق القمر (٢١٥٩/٤).

(٥) أخرجه البخاري في (٦١) كتاب «المناقب» (٢٧) باب حديث (٣٦٢٧) «فتح الباري» (٦٣١/٦) وفي (٦٣) كتاب «المناقب» (٣٦) باب «فتح الباري» (١٨٣/٧) و «فتح الباري» (٦١٧/٨) ومسلم في (٥٠) كتاب «المنافقين» (٨) باب انشقاق القمر حديث (٤٣ - ٤٧ - ٤٨).

إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به^(١)، فزاد رجلاً في الإسناد.

وأما حذيفة بن اليمان: فروى أبو نعيم في «الدلائل»^(٢) من طريق عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي. قال: خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضممار وغداً السباق. فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد: ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة. فلما كنا في الطريق قلت لأبي ما يعني بقوله - غداً السباق. قال من سبق إلى الجنة.

وأما ابن عباس: فقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير^(٣) حدثنا بكر، عن جعفر [بن ربيعة]، عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس. قال: إن القمر انشق في زمان النبي ﷺ. ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر - وهو ابن مضر^(٤) - عن جعفر قوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١ - ٢]. قال: قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه. وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مراسلاته^(٥). وقال الحافظ أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغني بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾. قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب [بن أسد بن عبد العزى]، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم [كثير]^(٦). فقالوا للنبي ﷺ: إن كان صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان^(٧). فقال لهم النبي ﷺ: «إن فعلت تؤمنوا؟» قالوا نعم! وكانت ليلة بدر - فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد سلب^(٨) نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان، ورسول الله ﷺ ينادي يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا. ثم قال نعيم. وحدثنا سليمان بن أحمد^(٩)، حدثنا الحسن بن العباس الرازي، عن الهيثم بن العمان، حدثنا إسماعيل بن زياد، عن ابن جريج، عن عطاء عن ابن عباس. قال: انتهى أهل مكة إلى رسول الله ﷺ فقالوا: هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فهبط جبرائيل فقال يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن انتفعوا بها. فأخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا. فقالوا: يا محمد ما هذا إلا سحر واهب فأنزل الله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾. ثم روى الضحاك عن ابن عباس. قال: جاءت أخبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا آية حتى نؤمن بها، فسأل ربه فأراهم القمر قد انشق بجزئين؛ أحدهما على الصفا والآخر على المروة، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب. فقالوا: هذا سحر مفترى. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الرزاز، حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا سحر القمر فنزلت:

- (١) «دلائل النبوة» ج (٢/٢٦٨).
- (٢) لم أجده في «دلائل أبي نعيم المطبوع»؛ وفيها روايات أخر عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس.
- (٣) من البخاري «فتح الباري» (٤٩٩/٨) وفي الأصل كثير وهو تحريف.
- (٤) من البخاري: «فتح الباري» (٤٩٩/٨) وفي الأصل و «نسخ البداية المطبوعة» نصر وهو تحريف.
- (٥) البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» - تفسير سورة القمر (١) باب ح (٤٨٦٦) «فتح الباري» (٤٩٩/٨) ومسلم في (٥٠) كتاب «المنافقين» (٨) باب حديث (٤٨).
- (٦) ما بين معكوفين من «دلائل النبوة» لأبي نعيم ص (٢٣٤).
- (٧) أبو قبيس وقعيقعان جبلا مكة.
- (٨) في «دلائل أبي نعيم»: قد مثل نصفاً.
- (٩) لا أثر للحديث في «دلائل أبي نعيم المطبوع».

﴿ أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر: ١ - ٢]. وهذا إسناد جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض ويقال: إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند، وبني بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر.

وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش عن مجاهد به، قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود^(١). وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وأما عبد الله بن مسعود: فقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر عن ابن مسعود. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظرنا إليه، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا. وهكذا أخرجاه من حديث سفيان - وهو ابن عيينة - به. ومن حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن سمرة عن ابن مسعود قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا» وذهبت فرقة نحو الجبل. لفظ البخاري^(٢). ثم قال البخاري وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله - بمكة - وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه^(٣). وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار؟ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال فجاء السفار فقالوا ذلك^(٤). وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هشيم، حدثنا مغيرة، عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله. قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين. فقال كفار قريش لأهل مكة^(٥): هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة، انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به. قال فسئل السفار، قال - وقدموا من كل جهة - فقالوا: رأينا. وهكذا رواه أبو نعيم: من حديث جابر، عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله به. وقال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر. وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سماك به. وقال الحافظ أبو نعيم: حدثنا أبو بكر الطلحي، حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعي، حدثنا يحيى الحماني، حدثنا يزيد، عن عطاء، عن سماك، عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ بمنى وانشق القمر حتى صار فرقتين، فرقة خلف الجبل. فقال النبي ﷺ: «اشهدوا، اشهدوا» وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسي، حدثنا آدم بن أبي إياس، ثنا الليث بن سعد، حدثنا هشام بن سعد، عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال: انشق القمر ونحن بمكة، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة. وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله. قال: انشق القمر بمكة فرقتين. ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود. قال: رأيت القمر والله منشقاً باثنتين بينهما حراء. وروى أبو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: انشق القمر فلقتين. فلقة ذهب، وفلقة بقيت. قال ابن مسعود: لقد رأيت جبل حراء بين فلقتي القمر، فذهب فلقة. فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا هذا سحر مصنوع سيذهب. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار

(١) «دلائل النبوة» (٢/٢٦٧) ومسلم في (٥٠) كتاب «المنافقين» عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر. ومن طريق شعبة عن أبي معمر عن ابن مسعود (٤/٢١٥٩).

(٢) هذا ليس بلفظ البخاري.

(٣) البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» (١) وانشق القمر «فتح الباري» (٨/٤٩٩) وفي (٦١) كتاب «المناقب» (٢٧) باب وفي (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٢٦) باب «فتح الباري» (٧/١٨٢).

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) في «دلائل البيهقي» (٢/٢٦٦): فقال كفار أهل مكة؛ ورواه أبو نعيم في «دلائله» ص (٢٣٤).

فرقتين. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «فاشهد يا أبا بكر» وقال المشركون: سحر القمر حتى انشق، فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها. وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل في كم النبي ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له، وهو كذب مفترى ليس بصحيح. والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن إشارته فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك. وما وقع في رواية أنس في «مسند أحمد»: فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين^(١) والله أعلم.

فصل

وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ رضي الله عنها. وقيل بل هي توفيت قبله والمشهور الأول. وهذان المشفقان؛ هذا في الظاهر وهذه في الباطن، هذاك كافر وهذه مؤمنة صديقة رضي الله عنها وأرضاها.

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الابتلاء^(٢) يسكن إليها، وبهلك عمه أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصرأ على قومه. وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً. فحدثني هشام بن عروة عن أبيه. قال: فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي، ورسول الله ﷺ يقول: «لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك» ويقول بين ذلك: «ما نالت مني^(٣) قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك: أن أحدهم ربما طرح الأذى في برمته إذا نصبت له. قال فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق.

قال ابن إسحاق: ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثقله قالت قريش بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا، فإننا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا^(٤). قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد [بن عباس] عن بعض أهله عن ابن عباس قال: لما مشوا إلى أبي طالب وكلموه - وهم أشرف قومه عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، في رجال من أشرفهم - فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ لنا منه، وخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه. فبعث إليه أبو طالب، فجاءه فقال: يا ابن أخي هؤلاء أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك. قال فقال رسول الله ﷺ: «نعم^(٥) كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم». فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات. قال: «تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من

(١) علق ابن حجر في «فتح الباري» على قول ابن كثير قال: وهذا الذي لا ينتج غيره جمعاً بين الروايات؛ ثم راجعت نظم شيخنا فوجدته يحتمل التأويل المذكور ولفظه:

فصار فرقتين فرقة علت
وذلك مرتين بالإجماع

فرقة للطود منه نزلت
والنص والتواتر والسمع

فجمع بين قوله: فرقتين وبين قوله: مرتين، فيمكن أن يتعلق قوله بالإجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدد. ا. هـ - «فتح الباري» (٧/١٨٣).

(٢) في ابن هشام: على الإسلام يشكو إليها.

(٣) من ابن هشام: (٥٨/٢) وفي الأصل: ما نالني.

(٤) أي يغلبون عليه ويسلبونا إياه.

(٥) في الأصل وبعض نسخ ابن هشام: يا عم.

دونه». فصفقوا بأيديهم. ثم قالوا: يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! إن أمرك لعجب. قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا. قال فقال أبو طالب: والله يا ابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً. قال: فطمع رسول الله ﷺ فيه فجعل يقول له: «أي عم، فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة» فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أنني إنما قتلها جزعاً من الموت لقتلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفيته، فأصغى إليه بإذنه، قال فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها. قال فقال رسول الله ﷺ: «لم أسمع» قال وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط: ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص: ١-٢] الآيات. وقد تكلمنا على ذلك في «التفسير» والله الحمد والمنة^(١).

وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العباس هذا الحديث؛ يا ابن أخي، لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها - يعني لا إله إلا الله - والجواب عن هذا من وجوه. أحدها: أن في السند مبهماً لا يعرف حاله وهو قول عن بعض أهله وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد. وقد روى الإمام أحمد والنسائي وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة عن الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس. ورواه الثوري أيضاً عن الأعمش، عن يحيى بن عمار الكوفي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس. ورواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير أيضاً^(٢). ولفظ الحديث من سياق البيهقي فيما رواه من طريق الثوري، عن الأعمش، عن يحيى بن عمار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ عند رأس أبي طالب، فجلس رجل^(٣) فقام أبو جهل كي يمنعه ذلك. وشكوه إلى أبي طالب. فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ فقال: «يا عم إنما أريد منهم كلمة تذلل لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها الجزية العجم، كلمة واحدة». قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله» قال فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب! قال: ونزل فيهم: ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [ص: ١] الآيات إلى قوله: ﴿إِلَّا أَخْلِقُوا﴾ [ص: ٧] ثم قد عارضه - أعني سياق ابن إسحاق - ما هو أصح منه، وهو ما رواه البخاري قائلاً: حدثنا محمود [بن غيلان] حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه^(٤) رضي الله عنه. أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل. فقال: «أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يبالا يكلماه حتى قال آخر ما كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «لأستغفر لك ما لم أنه عنك» فنزلت: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ورواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق^(٥). وأخرجاه أيضاً من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه وقال فيه: فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: على ملة عبد المطلب. وأبي أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ: «أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله - يعني بعد ذلك -: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣] ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٥٩/٢)، والخبر نقله البيهقي عن ابن إسحاق في «الدلائل» (٣٤٥/٢)، وانظر «تفسير ابن كثير» - تفسير سورة ص.

(٢) أخرجه الترمذي في (٤٨) كتاب «التفسير» (٣٩) باب ومن سورة ص ح (٣٢٣٢).

(٣) في «دلائل البيهقي» (٣٤٥/٢) وردت العبارة: وعند رأس أبي طالب مجلس رجل.

(٤) وهو المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم والد سعيد بن المسيب.

(٥) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» تفسير سورة التوبة (١٦) باب «فتح الباري» (٣٤١/٨) وفي تفسير سورة القصص (١) باب «فتح الباري» (٥٠٦/٨) وفي (١٩٣/٧) ومسلم في (١) كتاب «الإيمان» (٩) باب ح (٤٠) صفحة (٥٤/١).

رسول الله ﷺ: فقال «يا عمّاه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فقال: لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حملة عليه إلا فزع^(١) الموت لأقررت بها عينك، ولا أقولها إلا لأقر بها عينك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فأبى أن يقولها، وقال: هو على ملة الأشياخ وكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. ويؤكد هذا كله ما قال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى [بن محمد بن يحيى]، عن سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث [بن نوفل] قال: قال: حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «[هو] في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل [من النار]»^(٢) ورواه مسلم في «صحيحه» من طرق عن عبد الملك بن عمير به [و]أخرجه في «الصحيحين» من حديث الليث حدثني [يزيد] ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ ذكر عنده عمه فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه» لفظ البخاري^(٣). وفي رواية «تغلي منه أم دماغه» وروى مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه» وفي «مغازي يونس بن بكير» «يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه» ذكره السهيلي. وقال الحافظ أبو بكر البزار في «مسنده»: حدثنا عمرو - هو ابن إسماعيل بن مجالد - حدثنا أبي عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال سئل رسول الله ﷺ - أو قيل له - هل نفعت أبا طالب؟ قال: «أخرجته من النار إلى ضحضاح منها» تفرد به البزار. قال السهيلي: وإنما لم يقبل النبي ﷺ شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال: «لم أسمع» لأن العباس كان إذ ذاك كافراً غير مقبول الشهادة.

قلت: وعندي أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم. ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق: سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت علياً يقول: لما توفي أبي أتيت رسول الله ﷺ فقلت إن عمك قد توفي. فقال: «أذهب فواره» فقلت إنه مات مشركاً، فقال: «إذهب فواره ولا تحدثن شيئاً حتى تأتي» ففعلت فأتيته، فأمرني أن أغتسل. ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة. ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية عن علي: لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه؟ قال: «أذهب فوار أباك ولا تحدثن شيئاً حتى تأتيني» فأتيته فأمرني فاغتسلت، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء^(٤). وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو سعد الماليني، حدثنا أبو أحمد بن عدي، حدثنا محمد بن هارون بن حميد، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، حدثنا الفضل عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ عاد^(٥) من جنازة أبي طالب فقال: «وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عم». قال: وروي عن أبي اليمان الهوزني عن النبي ﷺ مرسلًا وزاد، ولم يقم على قبره. قال: وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه.

قلت: قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السيناني^(٦) ومحمد بن سلام البيكندي^(٧)، ومع هذا قال ابن

- (١) في مسلم: جزع بالجيم والزاي ومعناه الخوف وقال أبو عبيد: الخزع بالخاء والراء: يعني الضعف والخور.
- (٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في «مسنده» (٢٠٦/١) و (٩/٣)، (٥٠، ٥٥).
- (٣) وأخرجه مسلم في (١) كتاب «الإيمان» ح (٣٦٠) ص (١٩٥/١).
- (٤) أخرجه النسائي في كتاب «الجنائز»؛ والإمام أحمد في «مسنده» (٩٧/١)، (١٠٣، ١٣٠، ١٣١) وابن خزيمة في «صحيحه».
- (٥) في «دلائل البيهقي» (٣٤٩/٢) عارض جنازة أبي طالب.
- (٦) السيناني: نسبة إلى سينان إحدى قرى مرو، كان من أقران ابن المبارك في السن والعلم ولد سنة (١١٥) هـ ومات سنة (١٩١).
- (٧) البيكندي: نسبة إلى بيكند بلدة بين بخارى وجيخون؛ مقبول من الحادية عشرة. «تقريب التهذيب» (٢/٢٩٤، ١٦٨).

عدي ليس بمعروف، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة. وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحااجة والممانعة عن رسول الله ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء، وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تدانى ولا تسامى، ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه. وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب «الإيمان» من «صحيح البخاري»، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] وقال تعالى في قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] وقال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَذِهِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقول بعض السلف في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله ﷺ وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق. فقد روي عن ابن عباس، والقاسم بن خيمرة، وحبيب بن أبي ثابت، وعطاء بن دينار، ومحمد بن كعب، وغيرهم، ففيه نظر والله أعلم. والأظهر والله أعلم الرواية الأخرى عن ابن عباس؛ وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به. وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد - وهو اختيار ابن جرير - وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا يتفعلون هم أيضاً به. ولهذا قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَعِجُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا تَأْيِيذًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٥ - ٢٦] وهذا اللفظ وهو قوله وهم يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون في سياق الكلام وقوله: ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يدل على تمام الذم. وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال، ونفس ومال. ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه^(١).

فصل

موت خديجة بنت خويلد

وذكر شيء من فضائلها ومناقبها رضي الله عنه وأرضاهما، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها. وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: قال عروة بن الزبير: وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة. ثم روى من وجه آخر عن الزهري أنه قال: توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقبل أن تفرض الصلاة. وقال محمد بن إسحاق: ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد. وقال البيهقي: بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام. ذكره عبد الله بن منده في «كتاب المعرفة»، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ. قال البيهقي وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب، وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة^(٢).

(١) انظر في موت أبي طالب: «سيرة ابن هشام» ج (١/٢٦ - ٢٧) «ابن سعد» (١/١٤١) «الروض الأنف» (١/٢٥٨) و «نهاية الأرب للنويري» (١٦/٢٧٧) «السيرة الحلبية» (١/٤٦٦) و «السيرة الشامية» (٢/٥٦٣).

(٢) في وفاة خديجة ذكر ابن سعد في «الطبقات» أكثر من رواية وبأسانيد مختلفة قال: عن محمد بن عمر عن عبد محمد بن صالح: توفيت خديجة لعشر خلون من شهر رمضان وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وهي يومئذ بنت خمس وستين سنة. وعن عروة عن عائشة قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. وعن حكيم بن حزام روى موسى بن عقبة قال قال أبو حبيبة مولى الزبير سمعت حكيم يقول: توفيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ بنت خمس وستين ودفناها بالحجون ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها وذلك قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها وبعد خروج بني هاشم من الشعب ولم تكن سنة الجنازة الصلاة عليها. وقال البلاذري في «الأنساب» (١/١٨٦) عن عروة: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة وروى البيهقي عن الزهري: توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة وقبل أن =

قلت: مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وكان الأنسب بنا أن نذكر وفاة أبي طالب وخديجة قبل الإسراء كما ذكره البيهقي وغير واحد، ولكن أخرنا ذلك عن الإسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك فإن الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله. وقال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة. قال: أتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به^(١). وقال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن إسماعيل، قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: بشر النبي ﷺ خديجة؟ قال نعم! بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب ورواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به.

قال السهيلي: وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب - يعني قصب اللؤلؤ - لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تتبعه يوماً من الدهر فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً. وأخرجاه في «الصحيحين» من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة. وهلكت قبل أن يتزوجني - لما كانت أسمعها يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب. وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن. لفظ البخاري، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها. وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه - أو جبرائيل - أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب^(٢). وفي لفظ له قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة - وما رأيتها - ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة. فربما قلت كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد» ثم قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن خليل، أخبرنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال: «اللهم هالة». [قالت] فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر [قد]^(٣) أبدلك الله خيراً منها. وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به. وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلاً وإما عشرة. إذ لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ولكن قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن، حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فأطنب في الثناء عليها، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة، فقلت لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين. قال فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أراه تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى يعلم رحمة أو عذاباً. وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به. وزاد بعد قوله حمراء الشدقين، هلكت في الدهر الأول. قال: قال فتعمر وجهه تمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينظر رحمة أو عذاباً. تفرد به أحمد. وهذا إسناد جيد. وقال الإمام أحمد أيضاً عن ابن إسحاق أخبرنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة. قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء. قالت فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها. قال: «ما أبدلني الله خيراً منها، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس،

= تفرض الصلاة وقاله البخاري عن عروة.

وقال بعضهم: ماتت قبل الهجرة بخمس سنين؛ قال البلاذري: وهو غلط.

وكانت خديجة رضي الله عنها أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ وأولاده كلهم منها غير إبراهيم بن مارية، وكانت وزيرة صدق للنبي ﷺ وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة وكانت تكنى أم هند بولدها من زوجها أبي هالة.

(١) البخاري في (٦٣) كتاب مناقب الأنصار (٢٠) باب حديث (٣٨٢٠) «فتح الباري» (١٣٣/٧) ومسلم في (٤٤) كتاب فضائل الصحابة (١٢) باب ح (٧١) ص (١٨٨٧).

(٢) البخاري في (٦٣) كتاب مناقب الأنصار (٢٠) باب ح (٣٨١٧) «فتح الباري» (١٣٣/٧) ومسلم في فضائل الصحابة (٤٤) حديث (٧١ - ٧٢ - ٧٣) والإمام أحمد في «مسنده» (٥٨/٦، ٢٠٢، ٢٧٩).

(٣) ما بين معكوفين سقطت من الأصل، على عادة ابن كثير في نقله، واستدركت من البخاري.

وصدقتني إذ كذبتني، وأستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء» تفرد به أحمد أيضاً. وإسناده لا بأس به ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم. ولعل هذا أعني قوله: ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء. كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبي ﷺ من مارية، وقبل مقدمها بالكلية وهذا معين. فإن جميع أولاد النبي ﷺ كما تقدم وكما سيأتي من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية المصرية رضي الله عنها. وقد استدلل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وتكلم آخرون في إسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عشرة وهو محتمل أو ظاهر. وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عورتها، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكي نفسها وتفضلها على خديجة، فإن هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّخَذَ﴾ [النجم: ٣٢] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩] الآية وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديماً وحديثاً وبجانباها طرفاً يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها، وكون ولد النبي ﷺ جميعهم - إلا إبراهيم - منها. وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها، وتقدير إسلامها، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق في أول البعثة. وبذلت نفسها ومالها لرسول الله ﷺ وأما أهل السنة فمنهم من يغلو أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق، ولكونها أعلم من خديجة فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، ولم يكن الرسول يجب أحداً من نسائه كمحبته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروت بعده عنه عليه السلام علماً جماً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور «خذوا شطر دينكم عن الحميراء»^(١) والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره، والأحسن التوقف في ذلك إلى الله عز وجل. ومن ظهر له دليل يقطع به، أو يغلب على ظنه في هذا الباب فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول الله أعلم. وقد روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال قال رسول الله ﷺ: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»^(٢) أي خير زمانهما. وروى شعبة عن معاوية بن قره عن أبيه قره بن إياس رضي الله عنه. قال قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث؛ مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٣) رواه ابن مردويه في «تفسيره». وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده. قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة؛ آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبياً مرسلأ وأحسنن الصحبة في كفالتها وصدقته فأسية ربت موسى وأحسنن إليه وصدقته حين بعث، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل. وخديجة رغبت في تزويج رسول الله ﷺ بها وبذلت في ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل. وقوله: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» هو ثابت في «الصحيحين» من طريق شعبة أيضاً عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمداني عن أبي

(١) قال القاري في «الموضوعات الصغرى»: لا يعرف له أصل. قال ابن قيم الجوزية في «المنار المنيف» ص (٦٠) وكل حديث فيه «يا حميراء» أو ذكر حميراء فهو كذب مختلق.

والحميراء تصغير حمراء بمعنى بيضاء اللون مشرب بياضها بحمرة، والعرب تسمي الرجل الأبيض: أحمر والمرأة حمراء.

وقال القرطبي صاحب الفهم: والعرب تطلق على الأبيض الأحمر: كراهة اسم البياض لكونه يشبه البرص.

قال المزي: كل حديث فيه يا حميراء فهو موضوع إلا حديثاً عند النسائي؛ وقال ابن حجر نحوه في «فتح الباري». وهذا لحصر من

هذين الحافظين غير سديد، فقد ورد ذكر الحميراء في حديثين آخرين. روى الحاكم (١١٩/٣) في «مستدرکه» عن أم سلمة عن

النبي ﷺ قال: انظري يا حميراء... قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال العلامة الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» (٢١٦/٧) بعد ذكر حديث القسطلاني حديث أم سلمة هذا من رواية الحاكم

والبيهقي... حديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه فليراجع.

(٣) تقدم تخريجه فليراجع.

موسى الأشعري. قال قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون. ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» والثريد هو الخبز واللحم جميعاً وهو أفخر طعام العرب كما قال بعض الشعراء:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

ويحمل قوله «فضل عائشة على النساء» أن يكون محفوظاً فيعم النساء المذكورات وغيرهن، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل التسوية بينهما فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم.

فصل

في تزويجه ﷺ بعد خديجة [- رضي الله عنها - بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما] (١)

والصحيح أن عائشة تزوجها أولاً كما سيأتي. قال البخاري في باب تزويج عائشة، حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقة من حرير، ويقول هذه امرأتك. فاكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول إن كان هذا (٢) من عند الله يمضه» قال البخاري باب نكاح الأبيكار. وقال ابن أبي مليكة قال ابن عباس لعائشة: لم ينكح النبي ﷺ بكراً غيرك. حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني أخي عن سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: أرايت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها. ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ «في التي (٣) لم يرتع منها» تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها. انفرد به البخاري ثم قال حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام فيجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه» (٤) وفي رواية «أريتك في المنام ثلاث ليال» وعند الترمذي أن جبريل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. وقال البخاري [في باب] تزويج الصغار من الكبار؛ حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن يزيد عن عراك عن عروة أن رسول الله ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك. فقال: «أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال» (٥) هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخاري والمحققين متصل لأنه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله. وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه. قال: تزوج رسول الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين، وبنى بها وهي ابنة تسع. ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة. وهذا غريب. وقد روى البخاري عن عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه. قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ بثلاث سنين، فلبث سنتين (٦) - أو قريباً من ذلك - ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين، وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الأمر. وقوله تزوجها وهي ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ما لا خلاف فيه بين الناس - وقد ثبت في الصحاح وغيرها - وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة. وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر. فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال: حدثنا الحجاج، حدثنا حماد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة،

(١) ما بين معكوفين سقطت من الأصل، واستدركت من «سيرة ابن كثير».

(٢) في كتاب «المناقب» (٢٥٢/٤) دار الفكر وفيه: إن يك هذا؛ وقوله: ويقول أي جبريل.

(٣) في كتاب «النكاح فتح الباري» (٩٨/٩) وفيه: الذي بدل التي.

(٤) رواية البخاري تخالف هذا النص راجع المصدر السابق ص (٩٩).

(٥) في كتاب «النكاح فتح الباري» (١٠٢/٩).

(٦) في كتاب «المناقب» - باب تزويج النبي ﷺ عائشة (٢٥٢/٤) دار الفكر.

وأنا ابنة سبع - أو ست - سنين، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا مججمة^(١)، فهياأني وصنعني ثم أتيت بي إلى رسول الله ﷺ [فبنى بي] وأنا ابنة تسع سنين. فقله في هذا الحديث متوفى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريباً، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم. وقال البخاري: حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج. فوعكت فتمزق شعري وقد وفت لي جيمة فأتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعني صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمست^(٢) به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار قال: فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين. وقال الإمام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين حدثنا محمد بن بشر، حدثنا بشر، حدثنا محمد بن عمرو [حدثنا] أبو سلمة ويحيى قالوا [قالت عائشة]^(٣): لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: فمن البكر؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر. قال ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة. قد آمنت بك واتبعتك. قال: فاذهي فاذكريهما علي. فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: انظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر فقلت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قال وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قال: وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: «ارجعي إليه فقولي له أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي» فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظري، وخرج. قالت أم رومان إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي. فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصيب صاحبنا تدخلك في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدي أقول هذه يقول؟ [قال]^(٤) إنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده. فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه. قالت وددت ادخلي إلى أبي بكر - فاذكري ذلك له - وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج - فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية، فقال من هذه؟ قالت خولة بنت حكيم، قال فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة. فقال كفؤ كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت تحب ذلك. قال ادعيها إلي فدعتها قال: أي بنية إن هذه تزعم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتخبرين أن أزوجك به؟ قالت نعم. قال ادعيه لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه. فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل^(٥) يحمي على رأسه التراب. فقال بعد أن أسلم: لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة. قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنع. قالت فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وأنا لفي أرجوحة بين عذقين يرجح بي فأنزلتني من الأرجوحة ولي جيمة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستني في حجرة ثم قالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك. فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبني بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما نحررت علي

(١) مججمة: التي شعرها نازل إلى أذنيها؛ والخبر نقله البيهقي في «الدلائل» (٢/٤٠٩).

(٢) في البخاري: فمسحت؛ في كتاب «المناقب» - باب في تزويج النبي ﷺ بعائشة - (٢/٢٥١ - ٢٥٢) دار الفكر

(٣) من «دلائل البيهقي».

(٤) من «المسند» (٦/٢١١).

(٥) من «المسند» وفي الأصل فجاء.

حزور، ولا ذبحت علي شاة. حتى أرسل إلينا سعد بن عباد بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين^(١). وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي: من طريق أحمد بن عبد الجبار، حدثنا عبد الله بن إدريس الأزدي^(٢) عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب. قال: قالت عائشة: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم [إلى رسول الله ﷺ] فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: ومن؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً، قال من البكر ومن الثيب؟ قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك [عائشة]، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك. قال: فاذكرهما علي^(٣). وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم. وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة، ولكن دخوله على سودة كان بمكة، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي. وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما كبرت سودة وهبت يومها لي، فكان رسول الله ﷺ يقسم لي بيومها مع نسائه. قالت وكانت أول امرأة تزوجها بعدي. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثني شهر حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصيبة، كان لها خمس صبية - أو ست - من بعلها مات. فقال رسول الله ﷺ: «ما يمنعك مني؟» قالت والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إلي، ولكنني أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية. قال فهل منعك مني غير ذلك؟ قالت لا والله، قال لها رسول الله ﷺ يرحمك الله إن خير نساء ركبن أعجاز الإبل، صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل بذات يده. قلت وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه. هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدماً على العقد بسودة وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل. ورواه يونس عن الزهري واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة^(٤) وحكاه عن قتادة وأبي عبيد. قال ورواه عقيل عن الزهري.

فصل

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله ﷺ وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال، فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه. كما قد رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني^(٥) حدثنا يوسف بن بهلول، حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن إسحاق، عمن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر. قال: لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفهاء قريش فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: «أي بنية لا تبكين فإن الله مانع أباك» ويقول ما بين ذلك «ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا»^(٦). قد رواه زياد البكائي عن محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلًا والله أعلم. وروى البيهقي أيضاً عن الحاكم وغيره^(٧) عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن

(١) «مسند أحمد» (٢١٠/٦، ٢١١). ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» في حديث طويل (٢٢٥/٩، ٢٢٧) وقال: «في الصحيح طرف منه، وروى أحمد بعضه، صرح فيه بالاتصال عن عائشة وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢) في البيهقي: الأودي بدل الأزدي.

(٣) الخبر في «دلائل النبوة للبيهقي» (٤١١/٢).

(٤) قال ابن سعد في «الطبقات»: إن سودة كانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة وعن محمد بن عبد الله بن سالم عن أبيه قال: تزوج رسول الله ﷺ سودة في رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة وقبل تزوج عائشة ودخل بها بمكة وهاجر إلى مكة.

(٥) في البيهقي: الصغاني بدلاً من الصنعاني.

(٦) الخبر في «دلائل البيهقي» (٣٥٠/٢).

(٧) في «دلائل البيهقي» (٣٤٩/٢) وأبو سعيد بن أبي عمرو بدلاً من «وغيره».

عروة عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما زالت قريش كاعين»^(١) حتى مات أبو طالب ثم رواه عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين، حدثنا عقبة المجدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب» وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صعير^(٢) وحكيم بن حزام أنهما قالوا: لما توفي أبو طالب وخديجة - وكان بينهما خمسة أيام - اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان ولزم بيته وأقل الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال: يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللوات لا يوصل إليك حتى أموت. وسب ابن الغيظلة رسول الله ﷺ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه، فولى يصيح يا معشر قريش صبا أبو عتبة. فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقت دين عبد المطلب، ولكنني أمتع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد. فقالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله ﷺ كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبي معيط وأبو جهل إلى أبي لهب فقالا: أخبرك ابن أخيك ابن مدخل أهلك؟ فقال له أبو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال مع قومه. فخرج إليهما فقال قد سألته فقال مع قومه. فقالا يزعم أنه في النار. فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله ﷺ ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار. فقال أبو لهب - لعنه الله - والله لا برحت لك إلا عدواً أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار. واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه.

قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته: أبو لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن الحمراء، وابن الأصداء الهذلي، وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العباس. وكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق.

قلت: وعندي أن غالب ما روي مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي كما رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم، ثم لما انصرف رسول الله ﷺ دعا على سبعة منهم كما تقدم. وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. وكذلك عزم أبي جهل - لعنه الله - على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك، مما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم. فذكرها ههنا أنسب وأشبه.

فصل

في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله

قال ابن إسحاق: فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن نالته منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى، فخرج إليهم وحده. [قال ابن إسحاق] فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي. قال: انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة؛ عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من

(١) في «دلائل البيهقي»: كاعين عني: أي جبنوا، والكاعة جمع كاع وهو الجبان؛ يقال: كع الرجل يكع كعاً: جبن عنه راجع «النهاية لابن الأثير».

(٢) في «الوفاء» لابن الجوزي (٢١٠) وفي «سيرة ابن كثير» ضفير وهو تحريف وما أثبتناه الصواب: ثعلبة بن صعير أو ابن أبي صعير العذري ويقال ثعلبة بن عبد الله بن صعير ويقال عبد الله بن ثعلبة بن صعير مختلف في صحته «تقريب التهذيب» (١) / (١١٨/٣٣).

خالفه من قومه، فقال أحدهم: هو يمرط^(١) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً أرسله غيرك؟ وقال الثالث والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك^(٢) فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يش من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذكر لي - إن فعلتم ما فعلتم فاكنتموا عليّ وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذترهم^(٣) ذلك عليه. فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وأجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه. فعمد إلى ظل حبله^(٤) من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما يلقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جح، فقال لها ماذا لقينا من أمثالك. فلما اطمان قال - فيما ذكر لي - «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلمي، إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات^(٥)، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل عليّ سخطك، لك العتبي حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك». قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس [وقالا له]^(٦) خذ قطعاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: «بسم الله» ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك؟ قال نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبي. فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه^(٧). قال يقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قال له: ويلك يا عداس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي. قال له: ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينة.

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق إلا أنه لم يذكر الدعاء وزاد؛ وقعد له أهل الطائف صفيين على طريقه، فلما مر جعلوا لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتبة^(٨) وشيبة ابنا ربيعة، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله. ثم ذكر قصة عداس النصراني كنعو ما تقدم. وقد روى الإمام أحمد عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني، عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس - أو عصى - حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، فسمعتة يقول: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ [الطارق: ١] حتى ختمها. قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا

(١) يمرط ثياب الكعبة: أي ينزعه ويرمي به.

(٢) في «دلائل البيهقي» من رواية موسى بن عقبة: والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبداً والله لئن كنت رسول الله لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أن أكلمك، ولئن كنت تكذب على الله لأنت أشر من أن أكلمك.

(٣) يذترهم أي يثيرهم عليه ويجرثهم.

(٤) حبله: طاقات من قضبان العنب وزاد السهيلي: والكرمة، وفي «النهاية»: الأصل أو القضيبي من شجر الأعناب.

(٥) قال ابن القيم رحمه الله في «مختصر الصواعق» ص (٣٣٩): (إن الوجه حيث ورد فلإنما مضافاً إلى الذات في جميع موارد... فوجهه الكريم وسمعه بصره إذا أضيف إليه وجب أن تكون إضافته إضافة وصف لا إضافة خلق) وقال ص (٣٤٥): (إن النور جاء في أسمائه تعالى وهذا الاسم مما تلقته الأمة بالقبول وأثبتوه في أسمائه الحسنی) اهـ.

(٦) من «سيرة ابن هشام».

(٧) قال السهيلي: وزاد التيمي فيها: إن عداساً حين سمعه يذكر ابن متى، قال: والله لقد خرجت منها - نينوى - وما فيها عشرة يعرفون ما متى، فمن أين عرفت أنت متى؟ وأنت أمي وفي أمة أمية؟ فقال رسول الله ﷺ: هو أخي.

(٨) في «دلائل البيهقي»: عقبة؛ والصواب ما أثبتناه.

سمعت من هذا الرجل؟ فقراؤها عليهم، فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه^(١). وثبت في «الصحيحين» من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة حدثته: «أنا قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: «ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم. ثم ناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمداً! قد بعثني الله إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت إن شئت تطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً»^(٢).

فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله ﷺ وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة^(٣) وصلى بأصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا إليه قراءته هنالك. قال ابن إسحاق وكانوا سبعة نفر [من الجن أهل نصيبين]^(٤)، وأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قلت: وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في «التفسير»، وتقدم قطعة من ذلك والله أعلم. ثم دخل رسول الله ﷺ مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي وازداد قومه عليه حنقاً وغيظاً وجرأة وتكديباً وعناداً والله المستعان وعليه التكلان.

وقد ذكر الأموي في «مغازيه» أن رسول الله ﷺ بعث أريقط إلى الأخنس بن شريق، فطلب منه أن يجيره بمكة. فقال: إن حليف قريش لا يجير على صميمها، ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي. فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال نعم! قل له فليأت. فذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال لرسول الله ﷺ: طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم. فقال: أجمير أو تابع؟ قال لا بل مجير. قال إذا لا تخفر. فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف انصرفوا معه. وذهب أبو سفيان إلى مجلسه. قال فمكث أياماً ثم أذن له في الهجرة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعده بيسير فقال حسان بن ثابت والله لأرثينه فقال فيما قال:

من الناس نحى مجده اليومَ مُطْعَمَا
عبادك ما لبى مُجِلُّ وأحرما
وقحطان أو باقي بقية جُرْهُمَا
وذمته يوماً إذا ما تجشما
على مثله فيهم أعز وأكرما
وأنوم عن جارٍ إذا الليل أظلما

فلو كان مجد مخلد اليوم واحد
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا
فلو سئلت عنه مَعْدُ بأسرها
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم
إباء إذا يابى وألين شيمه

(١) «مسند أحمد» (٤/٣٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب «بدء الخلق» (٧) باب ح (٣٢٣١) «فتح الباري» (٦/٣١٢ - ٣١٣) ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٣٩) باب ح (١١١) ص (١٤٢٠).

رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٤١٧) وقال رواه البخاري في «الصحيح» عن عبد الله بن يوسف عن ابن وهب - الأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قيس وقعيقان.

- أصلابهم وفي رواية البيهقي أشرارهم وفي نسخة «الدلائل»: أشرارهم؛ وليست في البخاري ولا عند مسلم.

(٣) نخلة: هما واديان على ليلة من مكة، يقال لأحدهما نخلة الشامية وللآخر نخلة اليمانية.

(٤) زيادة من ابن هشام.

قلت ولهذا قال النبي ﷺ يوم أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألتني في هؤلاء النقباء»^(١) لو هبتهم

له.

فصل

في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب

قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

قال ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا، من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلي - أو^(٢) حدثه أبو الزناد عنه - وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي. قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، أمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به». قال وخلفه رجل أحول وضىء له غدירתان عليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه. قال ذلك الرجل: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه. قال فقلت لأبي: يا أبت، من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول: قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب^(٣). وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن إبراهيم بن أبي العباس: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد. عن أبيه: أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدئل - وكان جاهلياً فأسلم - قال رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب - يتبعه حيث ذهب - فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب. ورواه البيهقي من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدئلي: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت من هذا؟ قالوا هذا أبو لهب. وكذا رواه أبو نعيم في «الدلائل» من طريق ابن أبي ذئب وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه. ثم رواه البيهقي من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة. قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب، فإذا هو أبو جهل وهو يقول: يا أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى. كذا قال في هذا السياق أبو جهل. وقد يكون وهماً ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبان على إذائه ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري: أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له ملبح، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن [عبد الله بن] حصين أنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول: «يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم» فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم. وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم

(١) كذا في الأصل النقباء وهو تحريف، والأرجح ما ذكره ابن الجوزي في «الوفا»: التنى وفي «المواهب»: ثم كلمني في هؤلاء التنى لأطلقتهم له. وفي «النهاية» قال: سماهم تنى لكفرهم.

(٢) من ابن هشام، وفي الأصل: ومن.

(٣) الخبر في «ابن هشام» (٢/٦٤ - ٦٥) وفيه:

- زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة، ويقال أبو عبد الله المدني، مولى عمر «تهذيب التهذيب».

- الدؤلي: وفي رواية الديلي وفي الديلي والدؤلي أقوال «تراجم الرجال».

يك أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم. وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم يقال له: بيحرة بن فراس^(١): والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعنك^(٢) على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أياكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء». قال فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلم قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال: فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلافٍ؟ هل لذئابها من مطلب^(٣)؟ والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط، وإنما لحق فأين رأيكم كان عنكم^(٤)؟

وقال موسى بن عقبة عن الزهري: فكان رسول الله ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه ويقول: «لا أكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك، ومن كرهه لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي، وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء». فلم يقبله أحد منهم، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال: قوم الرجل أعلم به، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه؟! وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به^(٥).

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموي كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن العباس. قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجي إلى السوق غداً حتى نقر في منازل قبائل الناس» وكانت مجمع العرب. قال فقلت هذه كندة ولفها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بني عامر بن صعصعة، فاختر لنفسك؟ قال فبدأ بكندة فأتاهم فقال ممن القوم؟ قالوا من أهل اليمن. قال من أي اليمن؟ قالوا من كندة. قال من أي كندة؟ قالوا من بني عمرو بن معاوية، قال فهل لكم إلى خير؟ قالوا وما هو؟ قال: «تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله». قال عبد الله بن الأجلح: وحدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الملك لله يجعله حيث يشاء» فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا به. وقال الكلبي فقالوا: أجتتنا لتصدنا عن آلهتنا ونابذ العرب، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك. فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم؟ قالوا من بكر بن وائل. فقال من أي بكر بن وائل؟ قالوا من بني قيس بن ثعلبة. قال كيف العدد؟ قالوا كثير مثل الثرى. قال فكيف المنعة؟ قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم. قال: «فتجعلون الله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم، أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين، وتكبروه أربعاً وثلاثين» قالوا ومن أنت؟ قال أنا رسول الله. ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبي: وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله، ثم مر أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل؟ قال نعم هذا في الذروة منا فعن أي شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا زعم أنه رسول الله، قال: إلا لا ترفعوا برأسه قولاً فإنه مجنون يهذي من أم رأسه. قالوا قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر.

قال الكلبي: فأخبرني عبد الرحمن المعاصري^(٦) عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق

(١) بيحرة بن فراس: بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فاه ابن هشام وفي الأصل بحيرة.

(٢) في «ابن هشام»: بايعناك.

(٣) مثل يضرب لما فات وأصله ذنابي الطير إذا أنت من الحباله فطلبت الأخذ به.

(٤) الخبر في «سيرة ابن هشام»: (٢/٦٥، ٦٦).

(٥) الخبر في «دلائل البيهقي» (٢/٤١٤).

(٦) في «دلائل أبي نعيم» العامري.

عكاظ، فقال ممن القوم؟ قلنا من بني عامر بن صعصعة. قال من أي بني عامر بن صعصعة؟ قالوا^(١): «بنو كعب بن ربيعة. قال كيف المنعة [فيكم]؟ قلنا لا يرام ما قبلنا، ولا يسطل بنا رنا. قال فقال لهم: «إني رسول الله وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولا أكره أحداً منكم على شيء» قالوا ومن أي قريش أنت؟ قال من بني عبد المطلب. قالوا فأين أنت من عبد مناف؟ قال هم أول من كذبني وطردي. قالوا ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك قال فنزل إليهم والقوم يتسوقون، إذ أتاهم ببحرة^(٢) بن فراس القشيري فقال من هذا الرجل أراه عندكم أنكره؟ قالوا محمد بن عبد الله القرشي. قال فما لكم وله؟ قالوا زعم لنا أنه رسول الله ﷺ فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه. قال ماذا رددتم عليه؟ قالوا بالترحيب والسعة، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا، قال ببحرة: ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء ترجعون به بدأتهم^(٣) ثم لتنابدوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به لو أنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به، أتعمدون إلى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه؟ فبنس الرأي رأيتم. ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: قم فالحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك. قال فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها، فغمز الخبيث ببحرة شاكلتها فقمصت برسول الله ﷺ فألقته. وعند بني عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة جاءت زائرة إلى بني عمها، فقالت يا آل عامر - ولا عامر لي - أيصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم؟ فقام ثلاثة من بني عمها إلى ببحرة واثنين أعاناه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطمأ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء» قال فأسلم الثلاثة الذين نصره وقتلوا شهداء وهم: غطيف^(٤) وغطفان ابنا سهل، وعروة - أو عذرة - بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم. وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في «مغازيه» عن أبيه به. وهلك الآخرون وهم: ببحرة بن فراس، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير، ومعاوية بن عباد بن عبيد بن عليل لعنهم الله لعناً كثيراً. وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم.

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة عامر بن صعصعة وقبيح ردهم عليه. وأغرب من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي - والسياق لأبي نعيم رحمهم الله - من حديث أبان بن عبد الله البجلي^(٥)، عن أبان بن تغلب^(٦)، عن عكرمة عن ابن عباس [قال]: حدثني علي بن أبي طالب. قال: لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه، وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبو بكر مقدماً في كل خير، وكان رجلاً نساباً، فقال: ممن القوم؟ قالوا من ربيعة، وأي ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها؟ قالوا بل من هامها العظمى. قال أبو بكر: فمن أي هامتها العظمى [أنتم] فقالوا^(٧) ذهل الأكبر، قال لهم أبو بكر: منكم عوف الذي كان يقال [له] لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال فمنكم بسطام بن قيس: أبو اللواء^(٨) ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك والمزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال فأنتم أصحاب الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: فلستم بذهل الأكبر، بل أنتم [من] ذهل الأصغر. قال فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلي - حين بقل^(٩) وجهه - فأخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول:

- (١) في «أبي نعيم»: قلنا.
- (٢) في «الطبري» و «ابن هشام»: بحيرة، وقد تقدم.
- (٣) من «الدلائل»، وفي الأصل بدءاً ثم وهو تحريف.
- (٤) في «الدلائل» غطريف.
- (٥) وهو أبان بن أبي حازم البجلي الكوفي، وثقه ابن معين والمجالي وابن نمير وقال الذهبي في «الميزان» (٩/١) حسن الحديث؛ قال ابن عدي: هو عزيز الحديث سرده ابن حبان في «المجروحين».
- (٦) في «دلائل البيهقي»: بن تغلب.
- (٧) من «دلائل البيهقي»، وفي الأصل فقال وهو تحريف.
- (٨) كذا في الأصل وفي البيهقي، وفي «أبي نعيم»: أبو الملوك.
- (٩) في «البيهقي»: نين.

إِنَّ عَلِيَّ سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَكَ وَالْعَبَاءُ لَا نَعْرِفُهُ أَوْ نَحْمِلُهُ^(١)

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئاً، ونحن نريد أن نسأل فمن أنت؟ قال رجل من قريش. فقال الغلام: يخ بخ أهل السؤدد والرئاسة، قادمة العرب وهاديا^(٢) فمن أنت من قريش؟ فقال له رجل من بني تميم بن مرة. فقال له الغلام: أمكنت والله الرامي من سواء الشجرة؟ أفمنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها وأجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشاً منازلها فسمته العرب بذلك مجمعاً، وفيه يقول الشاعر:

أَلَيْسَ أَبُوكُمْ كَانَ يُدْعَى مَجْمَعاً بِهِ جَمَعَ اللَّهَ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ

فقال أبو بكر لا. قال فمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة؟ فقال أبو بكر: لا. قال فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذي هشم الثريد لقومه ولأهل مكة، ففيه يقول الشاعر:

عَمَرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالٌ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافٌ
سَأَلُوا إِلَيْهِ الرَّحَلَتَيْنِ كِلَيْهِمَا عِنْدَ الشِّتَاءِ وَرَحْلَةَ الْأَضْيَافِ
كَانَتْ قَرِيشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ فَالْمَخُ خَالِصَةً لِعَبْدِ مَنْافِ
الرَّايِشِيِّنَ وَلَيْسَ يُعْرَفُ رَايِشٌ وَالْقَائِلِينَ هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
وَالضَّارِبِينَ الْكَبِشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ وَالْمَانَعِينَ الْبَيْضَ بِالْأَسْيَافِ
لَلَّهِ دَرْكَ لَوْ نَزَلَتْ بِدَارِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ أَزْلِ وَمِنْ إِقْرَافِ^(٣)

فقال أبو بكر: لا. قال فمنكم عبد المطلب شيبة الحمد، وصاحب عير مكة، ومطعم طير السماء والوحوش والسباع في الفلا الذي كان وجهه قمر يتلأل في الليلة الظلماء؟ قال: لا. قال أفمن أهل الإفاضة أنت؟ قال: لا. قال أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال أفمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا. قال أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا. قال فمن المفيضين أنت؟ قال: لا ثم جذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته من يده، فقال له الغلام:

صَادَفَ دَرَّ السَّيْلِ دَرٌّ يَدْفَعُهُ يَهِيضُهُ جِيناً وَحِيناً يَرْفَعُهُ^(٤)

ثم قال: أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب. قال فأقبل إلينا رسول الله ﷺ يتبسم قال علي: فقلت له يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة. فقال أجل يا أبا الحسن، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالقول. قال ثم انتهينا إلى مجلس عليه^(٥) السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم. قال علي وكان أبو بكر مقدماً في كل خير. فقال لهم أبو بكر ممن القوم؟ قالوا من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم، وفي رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، وهؤلاء غرر في قومهم، وهؤلاء غرر الناس. وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولساناً، وكانت له غدירתان تسقطان على صدره^(٦). فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال له: فكيف المنعة فيكم؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد. فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون لقاء حين غضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله. يدلنا مرة ويدل علينا

(١) في «البيهقي»: والعبو لا نعرفه أو نجعله.

(٢) في «دلائل أبي نعيم»: أزمة العرب وهداتها.

(٣) الأزل: الضيق والشدة؛ والإقراف: التهمة.

(٤) في البيهقي: يصدعه بدل يرفعه.

(٥) في «البيهقي»: عليهم.

(٦) في «البيهقي»: تربته.

[أخرى] (١). لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فهو هذا فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك [فإلى ما تدعو يا أخا قريش] (٢)، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه فقال ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وأن تؤووني وتنصروني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد». قال له وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَكَلَّمُوا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله ﴿ذَلِكَ وَصَّنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] فقال له مفروق: وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة فقال: وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانيء: قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش وصدقت قولك، وإني أرى إن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه زلة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً. ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقاتلتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به. والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا وإنما نزلنا بين صريين (٣) أحدهما اليمامة، والآخر السماوة (٤). فقال له رسول الله ﷺ وما هذان الصريان؟ فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنها كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً. ولعل هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا. فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه. ثم قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله ببلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقصدونه؟ فقال له النعمان بن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش! فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدي أبي بكر. قال علي ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «يا علي أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية - ما أشرفها - بها يتحاجزون في الحياة الدنيا» (٥). قال ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ. قال علي: وكانوا صدقاء صبراء فسر رسول الله ﷺ من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بأنسابهم (٦). قال فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: «احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبني نصرورا». قال وكانت الوقعة بقرقر (٧) إلى جنب ذي قار وفيها يقول الأعشى:

(١) من «دلائل البيهقي» وعند أبي نعيم ويدل علينا مرة.

(٢) من «البيهقي» و «أبي نعيم».

(٣) الصريين؛ وقيل صيرين تشية صير، والصري للماء إذا طال مكثه وتغير، وفي «النهاية»؛ الصير الماء الذي يحضره الناس.

(٤) السماوة: وفي «دلائل البيهقي»: السمامة.

(٥) وسميت بالسماوة لأنها أرض مستوية لا حجر فيها، وهي ماء بالبادية؛ وهي بين الكوفة والشام. «معجم البلدان» - «معجم ما استعجم».

(٦) رواه الحاكم وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/٢٣٧، ٢٤١). والبيهقي في «الدلائل» (٢/٤٢٢، ٤٢٧) وفيه: عن العماني وعن الغلابي عن البجلي فذكره بإسناده ومعناه وروي أيضاً بإسناد آخر مجهول عن أبان بن تغلب وقال القسطلاني في «المواهب» أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم بإسناد حسن.

وما بين معكوفتين زيادة اقتضاها السياق استدركت من «دلائل البيهقي».

(٧) وقعة ذي قار كانت - لبكر على العجم - وقد بعث النبي ﷺ وخبر أصحابه بها. وذو قار ماء لبكر قريب من الكوفة ويعد هذا اليوم من مفاخر بكر.

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي
 هموا ضربوا بالحنو حنو قراقر
 فليله عينا من رأى من فوارس
 فثاروا وثرنا والمودة بيننا
 وراكبها عند اللقاء وقلت
 مقدمة الهامرز حتى تولت^(١)
 كذهل بن شيبان بها حين ولت^(٢)
 وكانت علينا غمزة فتجلت

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من «دلائل النبوة» و «محاسن الأخلاق» و «مكارم الشيم» و «فصاحة العرب» وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فنصروا على فارس بذلك، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام.

وقال الواقدي: أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال: جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف وهو على راحلته مردفاً خلفه زيد بن حارثة، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا، قال وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي. فقال لنا: أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي. فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ. فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به. وطمع رسول الله ﷺ في ميسرة فكلمه فقال ميسرة: ما أحسن كلامك وأنوره، ولكن قومي يخالفونني وإنما الرجل بقومه فإذا لم يعضدوه فالعدى^(٣) أبعده. فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادرين إلى أهلهم. فقال لهم ميسرة: ميلوا نأتي فذك فإن بها يهوداً نسائلهم عن هذا الرجل. فمالوا إلى يهود فاخرجوا سفراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ النبي الأمي العربي يركب الحمار ويجتزي بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالجعد ولا بالسبط، وفي عينه حمرة مشرق اللون. فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه فإننا نحسده ولا نتبعه. وإنا [منه] في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه. فقال ميسرة: يا قوم ألا [إن] هذا الأمر بين، فقال القوم نرجع إلى الموسم ونلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً وحج حجة الوداع لقيه ميسرة فعرفه. فقال: يا رسول الله والله ما زلت حريصاً على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله إلا ما تريخ من تأخر إسلامي، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار» فقال: الحمد لله الذي أنقذني. فأسلم وحسن إسلامه، وكان له عند أبي بكر مكان. وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي فقص [خبر] القبائل واحدة واحدة، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر، وغسان، وبني فزارة، وبني مرة، وبني حنيفة، وبني سليم، وبني عبس، وبني نضر بن هوازن، وبني ثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبني الحارث بن كعب، وبني عذرة، وقيس بن الحطيم وغيرهم. وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك طرفاً صالحاً والله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، أنا إسرائيل [بن يونس] عن عثمان - يعني ابن المغيرة - عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله. قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى

= انظر في الوقعة «العقد الفريد» الطبري (١٤٨/٢) «ابن الأثير» (٢٨٩/١) «الأغانى» (٩٧/٢) «خزانة الأدب» (٣٤٣/١) «النقائض» (٦٣٨) طبع أوروبا «معجم البلدان».

(١) رواية البيت في «أيام العرب»:

فصبحهم بالحنو حنو قراقر
 ورواية «اللسان»:

وهم ضربوا بالحنو حنو قراقر
 قال: وصواب إنشاده: هم ضربوا؛ وهذه هي رواية «الديوان» ورواية «النقائض» أيضاً.

بنو شيبان بطن في بكر بن وائل.

هامرز: كان على مسلحة كسرى بالسواد؛ وكان على ألف من الأساورة.

(٢) هذا البيت والذي بعده لم نجدهما في «ديوانه» ولا في المراجع التي بين أيدينا.

(٣) في «النهاية» العدى بالكسر: الغريب والأجانب والأعداء؛ وبالضم: الأعداء خاصة.

قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل؟^(١) فاتاه رجل من همدان فقال ممن أنت؟ قال الرجل من همدان. قال فهل عند قومك من منعة؟ قال نعم! ثم إن الرجل خشي أن يخفّره قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل! قال نعم! فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب^(٢). وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن إسرائيل به، وقال الترمذي حسن صحيح.

فصل

قدوم وفد الأنصار عام بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ

بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول الله ﷺ

إلى المدينة حديث سويد بن صامت الأنصاري

وهو سويد بن الصامت^(١) بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وأمه ليلي بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم. فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ.

قال محمد بن إسحاق بن يسار: وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به [من الله] من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف، إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى، وعرض عليه ما عنده. قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة [الأنصاري] عن أشياخ من قومه. قالوا: قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً - أو معتمراً - وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وهو الذي يقول:

مقالتَه بالغيب ساءك ما يفري
وبالغيب مأثور على ثغرة النحر^(٣)
تميمة غش تبثري عقب الظهر
من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
وخير الموالى من يريش ولا يبري^(٤)

ألا رب من تدعو صديقاً ولو ترى
مقالتَه كالشهد ما كان شاهداً
يسرك باديه وتحت أديمه
تبين لك العينان ما هو كاتم
فرشني بخير طالما قد برئتني

قال فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به فدعاه إلى الله والإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان - فقال رسول الله ﷺ: أعرضها علي، فعرضها عليه فقال: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله علي هو هدى ونور» فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام. فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن. ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج^(٥). فإن كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قتل وهو مسلم. وكان قتله قبل

- (١) أخرجه الترمذي في (٤٦) - كتاب «فضائل القرآن» ح (٢٩٢٥) وقال: هذا حديث غير صحيح.
- وأخرجه أبو داود في «السنة» - باب في القرآن ح (٤٧٣٤). وأخرجه ابن ماجه في «المقدمة» (١٣) باب في «الجهمية» ح (٢٠١) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤١٣/٢) وقال البيهقي هذه الزيادة من رواية مصعب بن المقدم.
- (٢) في السهيلي: هو سويد بن الصامت بن حوط... وبنت سويد هي أم عاتكة، أخت سعيد بن زيد امرأة عمر بن الخطاب فهو جدها لأمها واسم أمها زينب.
- (٣) المأثور: السيف الموشى.
- (٤) في «ابن هشام»: فخير الموالى بدلاً من وخير الموالى.
- (٥) قتل سويداً المجذر بن زياد واسمه عبد الله، وكان قتله في الجاهلية فهيج قتله وقعة بعثت بين الأوس والخزرج ثم أسلم المجذر والحارث بن سويد بن الصامت؛ وكان الحارث يطلب غرة المجذر بن زياد ليقته بأبيه؛ ويوم أحد جاءه الحارث من خلفه فضرب عنقه وقتله غيلة؛ فأمر رسول الله ﷺ بقتل الحارث وضرب عنقه عويم بن ساعدة على باب مسجد قباء «طبقات ابن سعد».

بعث^(١). وقد رواه البيهقي^(٢) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا.

إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن لبيد. قال: لما قدم أبو الحيسر، أنس بن رافع، مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال [لهم]: «هل لكم في خير مما جئتم له؟ قال: قالوا وما ذلك؟ قال: أنا رسول الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل علي الكتاب. ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال: إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - يا قوم^(٣) هذا والله خير مما جئتم له. فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج. قال ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد فأخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون بهل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع^(٤).

قلت: كان يوم بعث - وبعث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشرف الأوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل. وقد روى البخاري في «صحيحه» عن عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة^(٥) عن هشام عن أبيه عن عائشة. قالت: كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله، قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم، وقتل سراتهم^(٦).

باب

بدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه. وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً. فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم «من أنتم؟» قالوا نفر من الخزرج. قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا نعم! قال «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم. وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا [لهم] إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبنك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا [عن رسول الله ﷺ] راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا.

(١) بعث موضع كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج.

(٢) «دلائل النبوة» (٢/٤١٩).

(٣) في «السيرة»: أي قوم.

(٤) الخبر في «دلائل النبوة للبيهقي» وفيه: الحصين بن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ.

(٥) من البخاري وفي الأصل أبي أمامة وهو تحريف.

وأخرجه في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (١) باب «مناقب الأنصار» ح (٣٧٧٧) «فتح الباري» (٧/٨٧).

(٦) في البخاري: وقتلت سراتهم وجرحوا فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام.

قال ابن إسحاق: وهم فيما ذكر لي ستة نفر كلهم من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة^(١) بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. قال أبو نعيم: وقد قيل إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج. ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان. وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم. وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار - وهو ابن عفراء - النجاريان، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو [بن عامر] بن زريق الزرقى وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد^(٢) بن جشم بن الخزرج السلمي ثم من بني سواد، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً، ثم من بني حرام. وجابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً، ثم من بني عبيد رضي الله عنهم. وهكذا روي عن الشعبي والزهري وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج.

وذكر موسى بن عقبة في ما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية^(٣) وهم: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان - وهو ابن عبد قيس - وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة. فأسلموا وواعدوه إلى قابل. فرجعوا إلى قومهم فدعوههم إلى الإسلام، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلاً يفقهنا. فبعث إليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فلما قدمنا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوههم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره، وعوف بن الحارث المتقدم، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقى. قال ابن هشام: وهو أنصاري مهاجري وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم^(٤) بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة^(٥) بن أصرم البلوي، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدم، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم، فهؤلاء عشرة من الخزرج، ومن الأوس اثنان وهما: عويم بن ساعدة. وأبو الهيثم مالك بن التيهان. قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كميته وميت.

قال السهيلي: أبو الهيثم بن التيهان: اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون^(٦) بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس^(٧). قال وقيل إنه أراشي وقيل بلوي. وهذا لم

(١) شهد العقبة الأولى والثانية وبايع فيهما، مات قبل بدر، كان نقيباً، أمه سعاد ويقال الفريعة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأبرجر. لما أسلم عمل على تكسير أصنام بني مالك بن النجار. أخذته الذبحة ولما توفي مشى رسول الله ﷺ أمام جنازته وهو أول من دفع بالبقيع.

«طبقات ابن سعد» - «الاستيعاب».

(٢) في الأصل: ساوة بن يزيد، وما أثبتناه من «ابن هشام» ولا يعرف في العرب تزيد إلا هذا، وتزيد بن الحاف بن قضاة؛ وإليهم تنسب الثياب التزيدية.

(٣) في «ابن سعد»: قال محمد بن عمر: وأمر الستة أثبت الأقاويل عندنا أنهم أول من لقي رسول الله ﷺ من الأنصار فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا.

(٤) في نسخة لابن هشام: أحرم والصواب ما أثبتناه.

(٥) قال ابن إسحاق وابن الكلبي خزمة بسكون الزاي، وقال الطبري خزمة بفتح الزاي. قال في «الاستيعاب»: ليس في الأنصار خزمة بالتحريك.

(٦) في «ابن سعد»: زعوراء.

(٧) قال ابن سعد: واسمه مالك بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة حليف لبني عبد الأشهل، أجمع على ذلك موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو معشر ومحمد بن عمر شهد أبو الهيثم بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بعثه =

ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام. قال: والهيثم فرخ العقاب، وضرب من النبات، والمقصود أن هؤلاء الاثني عشر رجلاً شهدوا الموسم عامئذ، وعزموا على الاجتماع برسول الله ﷺ فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الأولى. وروى أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله في سورة إبراهيم: ﴿وَلَا تَقَالُ بِزُجْرٍ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] إلى آخرها. وقال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن [أبي] (١) مرثد بن عبد الله اليزني، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة - وهو ابن الصامت - قال: كنت ممن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً. فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف. فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر. وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به نحوه (٢).

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني أن عبادة بن الصامت حدثه. قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر. وهذا الحديث مخرج في «الصحيحين» وغيرهما من طرق عن الزهري به نحوه. وقوله على بيعة النساء - يعني وفق على ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية - وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في «سيرته» وفي «التفسير»، وإن كانت هذه البيعة وقعة عن وحي غير متلو فهو أظهر. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب (٣) بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين. وقد روى البيهقي عن ابن إسحاق قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى.

قال البيهقي: وسياق ابن إسحاق أتم. وقال ابن إسحاق: فكان عبد الله بن أبي بكر يقول: لا أدري ما العقبة الأولى. ثم يقول ابن إسحاق: بلى لعمرى قد كانت عقبة وعقبة. قالوا كلهم: فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرئ، قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة. قال: فمكث حيناً على ذلك لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له. قال فقلت في نفسي والله أن هذا بي لعجز، ألا أسأله؟ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة؟ فقال أي بني كان أول من جمع

= رسول الله ﷺ إلى خيبر خارصاً فخرص عليهم لثمرة. مات في خلافة عمر سنة عشرين بالمدينة وقيل بقي إلى أيام علي وشهد معه صفين وقتل يومئذ قال الواقدي القول الأول أثبت عندنا «الاستيعاب» - «الطبقات الكبرى» - «الروض الأنف».

(١) سقطت من الأصل واستدركت من ابن هشام. وفي «دلائل البيهقي»: عن أبي الخير وهو مرثد.
(٢) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٣) باب «فتح الباري» (٧/٢١٩) ومسلم في (٢٩) كتاب «الحدود» (١٠) باب ح (٤٤).

(٣) يكنى: أبا عبد الله وفي ابن سعد: أبا محمد من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، من فضلاء الصحابة شهد بدرأ بعثه ﷺ إلى المدينة يفقههم في الدين ويقرأ عليهم القرآن حتى ظهر الإسلام وفشا في دور الأنصار، وهو أول من جمع في الإسلام، قتل يوم أحد شهيداً قتله ابن قمئة وكانت راية رسول الله ﷺ معه يوم بدر وأحد، على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وهو ابن أربعين سنة أو يزيد «طبقات ابن سعد» - «الاستيعاب» - «الروض الأنف».

بنا بالمدينة في هزم النبي^(١) من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضعات قال: قلت وكم أنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً. وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله. وقد روى الدارقطني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة^(٢)، وفي إسناده غرابة والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِب، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارَةَ خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارَةَ؟ فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له: بئر مرق فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به، قال سعد لأسيد: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما، وانهما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارَةَ مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً. قال: فأخذ أسيد بن حُضَيْر حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارَةَ قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال فوقف عليهما متشتماً فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. وقال موسى بن عقبة: فقال^(٣) له غلام: أتيتنا في دارنا بهذا الرعيد. الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه.

قال ابن إسحاق: فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، قال: ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه^(٤) مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا - فيما يذكر عنهما - والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهيله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديبهم، فلما نظر إلى سعد بن معاذ مقبلاً. قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارَةَ ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحرقوك^(٥)، قال: فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً ثم خرج إليهما سعد فلما رأهما مطمئنين، عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف [عليهما] متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارَةَ: والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ قال: وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه [من] قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس

- (١) هزم النبي: جبل على بريد من المدينة قاله السهيلي وأنكره ياقوت في «معجمه» ونفى أن يكون هزم النبي جبلاً لأن هزم: المظمن من الأرض واستحسن قولاً - قال إن صح فهو المعول عليه - وهو: جمع بنا في هزم بني النبي ممن حرة بني بياضة في بقيع يقال له: بقيع الخضعات.
- (٢) قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: إنما كان مصعب بن عمير يصلي بهم ويجمع بهم الجمعيات بأمر رسول الله ﷺ، فلما خرج إلى النبي ﷺ ليهاجر معه صلى بهم أسعد بن زرارَةَ وقال البيهقي: يحتمل أن لا يخالف هذا قول ابن شهاب، وكان مصعب جمع بهم معونة أسعد بن زرارَةَ فأضافه كعب إليه والله أعلم انظر حاشية السابقة - وترجمة ابن زرارَةَ وابن عمير في «الطبقات» (٣).
- (٣) نقل البيهقي الخبر عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري؛ وجاءت العبارة فيه: فقال لأبي أمامة: علام تأتينا في دورنا بهذا الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل، ويدعوهم إليه، لا أراك بعدها تسيء من جوارنا؛ فقاموا ورجعوا.
- (٤) في رواية موسى بن عقبة أن ذلك كان في مرة أخرى، حيث توعدهم وعيداً دون وعيده الأول، فلما رأى منه أسعد بن زرارَةَ شيئاً قال له: يا ابن خالة استمع من قوله فإن سمعت منكراً فأردده بأهدى منه، وإن سمعته حقاً فأجب إليه. إنما نسب موسى هذا القول لسعد بن معاذ وقال: ويقول الناس: بل أسيد بن حضير.
- (٥) في «ابن هشام»: ليخفروك؛ والاختفار: نقض العهد والغدر.

فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف^(١). قال فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتكم في هذه الدين؟ قالوا نغسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير^(٢)، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا سيننا [وأوصلنا] وأفضلنا رأياً وأيمتنا نقيية، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو^(٣) مسلمة، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمة، ووائل، وواقف، وتلك أوس وهم من الأوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو فيس بن الأسلت واسمه صيفي. وقال الزبير بن بكار: اسمه الحارث، وقيل عبيد الله واسمه أبيه الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن فيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس. وكذا نسبة الكلبي أيضاً وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد اخندق.

قلت وأبو فيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعاراً بالية حسنة تقرّب من أشعار أمية بن (ابن) الصلت

الغهمي

قال ابن إسحاق فيما تقدم: ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكره، وقيل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج، وذلك لما كان يسمعون من أحوار يهود. فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين فريرش فيه من الاختلاف قال أبو فيس بن الأسلت أحوبي واقف. قال السهيلي هو أبو فيس صرمة بن أبي أنس واسم أبي أنس فريش من الأوس بن مالك بن عددي بن عمرو^(٤) بن عم بن عددي بن الحجار، قال وهو الذي أنزل فيه وفي عمر: «إِيلَ لَعْنَتِهِ لَيْتَةَ الْغِيَابِ أَرَفْتُ إِلَى بِسَائِهِمْ» العبد ١٢٨٧ الآية. قال ابن إسحاق^(٥) وكان يحب فريشاً وكان لهم صهراً. كانت تحته أرب بنت أسد بن عبد العري بن قصي وكان يقيم عندهم السير بامرأته. قال قصيدة يعظم فيها الحرمه وينهى فريشاً فيها عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عنهم ودفعه عنهم العبل وكبده ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ

مفلحفة عنّي لئلاّ من عالت
على النأي محزونٌ بدينك ناصت
ولم اقتض منها حاجتي ومأرسي^(٦)
لها أزمئل من سبب مُنْذِك وحاطب^(٧)
وشرّ ثيابيكم ودمّ الحنقار
كوخز الأثافي وفعمها حق صائب^(٨)
واحلال أحرام الظبياء الشوازي^(٩)

أبا راكباً إنما حرصت فيلمن
رسول امرئٍ قد رافه ذات بيكم
وفد كان عددي للسهموم معز من
نبيكم شزجيب كل قبيلة
أعبدكم بالله من شرّ صنمكم
واظهار أحلامي ونجوى سقيم
مذكروهم بالله أول وهليلج

(١) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

(٤) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢
(٥) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢
وهو عبد السلام حتى رجع إلى قومه.

(٦) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

(٧) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

(٨) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

(٩) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

(١٠) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

(١١) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

(١٢) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

(١٣) من أسير من رواية موسى فرأى حتم (١) والكتب التي (٢) ب حنة وبنها لئلاّ من عالت (٣) الزخرف ١-١٢

وقل لهم واللَّهُ يحكم حُكمه
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
تقطع أرحاماً وتهلك أمة
وتستبدلوا بالأتحمية بعدها
وبالمسك والكافور غبراً سوابغاً
فاياكم والحرب لا تغلقتكم
تزيّن للاقوام ثم يرونها
تحرّق لا تشوي ضعيفاً وتنتحي
ألم تعلموا ما كان في حربٍ داحس
وكم ذا أصابت من شريفٍ مسود
عظيم رماد النار يُحمّد أمره
وماء هريق في الضلال كأنما
يخبركم عنها امرؤ حق عالم
فبيعوا الحراب ملّمحاربٍ واذكروا
ولي امرىء فاختر ديناً فلا يكن
أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتموا
وأنتم لهذا الناس نورٍ وعصمة
وأنتم إذا ما حصل الناس جوهر
تصونون أنساباً كراماً عتيقة
يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم
لقد علم الأقوام أن سراتكم
وأفضله رأياً وأعلاه سنة
فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا
فمعدكم منه بلاء ومصداق
كتيبته بالسهل تمشي ويرجله
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم
فولوا سراعاً هاربين ولم يؤب
فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم
وحرب داحس التي^(٦) ذكرها أبو قيس في شعره كانت

ذروا الحرب تذهب عنكم في المراجب
هي الغول للاقصين أو للاقارب
وتبيري السديف من سنام وغارب
شليلاً وأضداء ثياب المحارب^(١)
كان قثيرها عيون الجنادب^(٢)
وحوضاً وخيم الماء مرّ المشارب
بعاقبة إذ بيتت أم صاحب
ذوي العز منكم بالحتوف الصواب
فتعتبروا أو كان في حرب حاطب
طويل العمد ضيفه غير خائب
وذو شيمة مخض كريم المضارب
أذاعت به ريح الصبا والجنائب
بأيامها والعلم علم التجارب
حسابكم واللّه خير محاسب
عليكم رقيب غير رب الشواقب
لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
تؤمنون والأحلام غير عواذب
لكم سرّة البطحاء شم الأراب
مهذبة الأنساب غير أشائب^(٣)
عصائب هلكى تهتدي بعصائب
على كل حال خير أهل الجباب^(٤)
وأقوله للحق وسط المواكب
بأركان هذا البيت بين الأخشاب^(٥)
غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
على القاذفات في رؤوس المناقب
جنود المليك بين ساف وحاصب
إلى أهله ملخبش غير عصائب
يعاش بها قول امرىء غير كاذب

معر بن المثنى وغيره: أن فرساً يقال له داحس كانت لقيس^(٧) بن زهير بن جذيمة بن رواحة الغطفاني. أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جوبة الغطفاني أيضاً يقال لها الغبراء، فجاءت داحس سابقاً فأمر حذيفة من ضرب وجهه

(١) الأتحية: ثياب رفاق تصنع باليمن.

(٢) القثير: حلق الدرع.

(٣) في ابن هشام: تصونون أجساداً بدل تصونون أنساباً.

(٤) الجباب: المنازل، واحداً؛ جبجة، قال السهيلي: هي منازل منى.

(٥) الأخشاب: أراد الأخشيين؛ جبال مكة.

(٦) في الأصل: الذي؛ والصواب ما أثبتناه.

(٧) قيس بن زهير سيد بني عيس وكان يلقب بقيس الرأي. لجودة رأيه من أقواله: أربعة لا يطاقون: عبد ملك نذل شبع، وأمة ورتت، وقيحة تزوجت.

فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالكاً، ثم إن أبا جنيدب العبسي لقي عوف بن حذيفة فقتله، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله، فشببت الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعات آخرون، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها.

قال ابن هشام: وأرسل قيس داحساً والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء، والأول أصح^(١) قال وأما حرب حاطب [فيعني حاطب] بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. كان قتل يهودياً جاراً للخزرج، فخرج إليه يزيد^(٢) بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن فسحم^(٣) في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً وكان الظفر للخزرج، وقتل يومئذ الأسود^(٤) بن الصامت الأوسي، قتله المجذر بن زياد حليف بني عوف بن الخزرج، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً. والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أي محلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بني واقف قبيلة أبي قيس ثبطهم عن الإسلام وهو القائل أيضاً:

أرب الناس أشياء أَلْمَثُ	يلف الصعبُ منها بالذلُول
أرب الناس إيماناً ضلّلنا	فَيَسُرُّنَا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فلولا ربُّنا كنا يهوداً	وما دينُ اليهودِ بذِي شُكُولِ ^(٥)
ولولا ربُّنا كنا نصارى	مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا	حنيفاً ديننا عن كل جيل
نسوق الهذي ترسُفُ مذعنات	مكشُفَةَ المناكبِ في الجُلُولِ ^(٦)

وحاصل ما يقول أنه حائر فيما وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ فتوقف الواقفي في ذلك مع علمه ومعرفته. وكان الذي ثبطه عن الإسلام أولاً عبد الله بن أبي بن سلول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر [به] يهود فمنعه عن الإسلام.

قال ابن إسحاق: ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم. وكذا الواقدي. قال: كان عزم على الإسلام أول ما دعاه رسول الله ﷺ، فلامه عبد الله بن أبي فحلف لا يسلم إلى حول فمات في ذي القعدة^(٧). وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة»؛ أنه لما حضره الموت دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فسمع يقول: لا إله إلا الله. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار، فقال «يا خال: قل لا إله إلا الله» فقال: أخال أم عم؟ قال بل خال قال: فخير لي أن أقول لا إله إلا الله؟ فقال رسول الله ﷺ نعم! تفرد به أحمد^(٨) رحمه الله وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم، فسألت رسول الله ﷺ في ذلك فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٢] الآية.

(١) اختلفت الآراء حول ملكية داحس والغبراء؛ أنظر في ذلك: «المقد الفريد» (٣/٣١٣) «سيرة ابن هشام» (١/٣٠٣) «الكامل لابن الأثير» (١/٣٤٣) «الأغانى» (٨/٢٤٠) (١٦/٢٦) «معجم البلدان» أصاد - هبابة «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي (١/٣٩٧) «مجمع الأمثال للميداني» (٢/٥١).

(٢) في الأصول زيد وهو تحريف؛ من ابن هشام و«شرح القاموس» مادة فسحم.

(٣) في الأصول فسحم، وما أثبتناه من ابن هشام و«شرح القاموس» مادة فسحم.

(٤) في ابن هشام: سويد، وقد تقدم التعليق على ذلك يوم بعث.

(٥) البيتان الأول والثاني ليسا في «الطبقات». ويبدأ الثالث والرابع. ولو شاء بدل «ولو لا ربنا».

(٦) في «الطبقات» شطره: تكشف عن مناكبها الجلول.

(٧) في ابن سعد: ذي الحجة على رأس عشرة أشهر من الهجرة.

(٨) «مسند أحمد» (٣/١٥٢، ١٥٤، ٢٦٨) حلي.

وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيى الأموي في «مغازيه»: كان أبو قيس هذا قد تهرب في الجاهلية ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهر من الحائض من النساء، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب وقال: أعبد إله إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها، حتى قدم رسول الله ﷺ فأسلم فحسن إسلامه^(١)، وكان شيخاً كبيراً وكان قوالاً بالحق معظماً لله في جاهليته يقول في ذلك أشعاراً حسناً وهو الذي يقول:

ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
وأعرضكم والبر بالله أول
وإن كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا
فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وما خملوكم في الملمات فاحملوا
وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا^(٢)

طلعت شمسُه وكل هلال
ليس ما قال ربنا بضلال^(٣)
في وكور من آمنات الجبال
في حفاف وفي ظلال الرمال^(٤)
كل دين مخافة من عضال^(٥)
كل عيد لربهم واحتفال
رهن بؤس وكان أنعم بال^(٦)
وصلوها قصيرة من طوال
وبما يستجمل غير الحلال
عالمأ يهتدي بغير سؤال
إن مال اليتيم يرعاه والي
إن جزل التخوم ذو عقال^(٧)
واحدروا مكرها ومر الليالي
الخلق ما كان من جديد وبالي
وى وترك الخنا وأخذ الحلال

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام، وما خصهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم.

يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
وسياتي ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة.

- (١) في ابن سعد: كاد أن يسلم، وبقي على دين إبراهيم وكان يقال له يثرب الحنيف، ذكر النبي ﷺ في شعره وكان يقول: ليس على دين إبراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل انظر «الطبقات» (٤/٣٨٣) وما بعدها.
- (٢) أمعزتم: وتروى أمعرتم بالراء: افتقرتم وأصابكم شدة.
- (٣) في ابن هشام: لدينا مكان جميعاً.
- (٤) الحفاف: جمع حقف، وهو الكدس المستدير من الرمل.
- (٥) في «ابن هشام»: كل دين دين إذا ذكرت عضال.
- (٦) في «ابن هشام»: وكان ناعم بال.
- (٧) في الأصل تجزلوها. وهو تحريف. وتجزلوها: تقطعوها.
- (٨) في الأصل أمرها.

قصة بيعة العقبة الثانية^(١)

قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خراج من الأنصار من المسلمين [إلى الموسم] مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أواسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبية وإعزاز الإسلام وأهله [وإذلال الشرك وأهله]. فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الأنصار - حدثه أن أباه كعباً حدثه - وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها - . قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور^(٢) سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء: يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ قلنا وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها. قال: فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه. فقال: إني لمصل إليها، قال فقلنا له: لكننا لا نفعل. قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة. [قال: وقد كنا قد عينا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة] قال لي يا ابن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فإنه قد وقع في نفسي منه شيء. لما رأيت من خلافكم إياي فيه. قال فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ - وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ قال هل تعرفانه؟ فقلنا لا، فقال هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال قلنا نعم! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه؛ فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ الشاعر؟ قال: نعم! فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا قد هداني الله تعالى للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى؟ قال: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها» قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام، قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم.

قال كعب بن مالك: ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أواسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ فيها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطياً للنار غداً، ثم دعونا إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة قال فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً^(٣).

وقد روى البخاري: حدثني إبراهيم، حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال عطاء قال جابر: أنا وأبي وخالي من أصحاب العقبة. قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة: أحدهم البراء بن معرور. حدثنا علي بن المديني، حدثنا سفيان، قال كان عمرو يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول: شهد بي خالاي العقبة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن خثيم، عن أبي الزبير عن جابر، قال مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم، عكاظ ومجنة، وفي المواسم يقول «من يؤويني؟ من ينصرفني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة» فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال

(١) انظر العقبة الثانية في: «طبقات ابن سعد» (٢٢١/١) «تاريخ الطبري» (٣٦١/٢) وما بعدها «سيرة ابن هشام» (٨١/٢) وما بعدها. «تاريخ الإسلام للذهبي» (٢٠٠/٢) «ابن سيد الناس» (١٩٢/١)، «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر (٦٨).

(٢) البراء بن معرور: يكنى أبا بشر، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، وهو أول من تكلم من النقباء ليلة العقبة حين لقي رسول الله ﷺ السبعون. أوصى بثلاث ماله لرسول الله ﷺ يضعه حيث شاء، مات وصلى عليه رسول الله ﷺ في صفر قبل قدوم النبي ﷺ المدينة بشهر؛ قال الواقدي: كان أول من مات من النقباء «الطبقات» (٦١٨/٣).

(٣) ما بين معكوفتين في الخبر زيادة من «ابن هشام».

فيه - فيأتيه قومه وذوو رحمة فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمضي بين رحالهم [يدعوهم إلى الله عز وجل] (١) وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرؤه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم اتمروا جميعاً فقلنا حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويتردد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا. فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة» فقمنا إليه [نبايعه] (٢) وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي - وهو أصغر السبعين - إلا أنا، فقال رويداً يا أهل يثرب: فإننا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجهم اليوم مناواة للعرب كافة وقتل خياركم، [وأن] تعضكم السيوف. فلما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه. فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا أبط (٣) عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً. قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة. وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار - زاد البيهقي عن الحاكم - بسنده إلى يحيى بن سليم (٤) كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه. وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجه. وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروي عن جابر إلا من هذا الوجه. وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر. قال: كان العباس أخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله يوائقنا، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ «أخذت لأعطيتم» وقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان - هو الثوري - عن جابر - يعني الجعفي - عن داود - وهو ابن أبي هند - عن الشعبي عن جابر - يعني ابن عبد الله - قال قال رسول الله ﷺ «تؤوونني وتمنعوني؟» قالوا: نعم قالوا: فما لنا؟ قال: «الجنة» ثم قال: لا نعلمه يروي إلا بهذا الإسناد عن جابر، ثم قال ابن إسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك. قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساتنا: نسيبة بنت كعب، أم عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع. وقد صرح ابن إسحاق - في رواية يونس بن بكير عنه - بأسمائهم وأنسابهم وما ورد في بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين، والعرب كثيراً ما تحذف الكسر، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة. كانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة (٥)، قال منهم أربعون من ذوي أسنانهم، وثلاثون من شباهم قال وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله. قال كعب بن مالك: فلما اجتمعنا في الشعب نتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج - قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا عن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزة من قومه، ومنعة

(١) زيادة من البيهقي.

(٢) من البيهقي.

(٣) العبارة في البيهقي: فقلنا: أبط يدك يا أسعد بن زرارة فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً... أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٣/٣٣٩، ٤٤٠) والبيهقي في «الدلائل» (٢/٤٤٢ - ٤٤٣).

(٤) في البيهقي (٢/٤٤٣) يحيى بن سليمان عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر، وزاد في وسطه. قال: فقال له عمه العباس: يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جالوك، إنني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس في وجوهنا، قال: هؤلاء قوم لا أفرقهم هؤلاء أحداث...

(٥) وفي رواية ابن بكير عن ابن إسحاق قال: كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من الخزرج والأوس. وفي «ابن سعد» إنهم كانوا سبعين يزدون رجلاً أو رجلين.

في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه وما نعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه، وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت: فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام. قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» قال: فأخذ البراء بن معرور بيده [و] قال نعم! فوالذي بعثك بالحق [نبياً] لنمنعك مما تمنع منه أزرنا^(١) فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب [وأهل الحلقة]^(٢) ورثناها كابراً عن كابر. قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلاً وأنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم»^(٣). أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم» قال كعب وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

قال ابن إسحاق: وهم أبو أمية أسعد بن زرارة المتقدم، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن رواحة [بن ثعلبة]^(٤) بن امرئ القيس [بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر]^(٥) بن مالك [الأغر]^(٥) بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وعبادة بن الصامت المتقدم، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن^(٦) خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الأوس ثلاثة وهم، أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم [بن الحارث]^(٧) بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وسعد بن خيشمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير^(٨) بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة هذا، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن إسحاق^(٩). واختاره السهيلي وابن الأثير في [أسد] الغابة. ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري

(١) أزرنا: أي نساءنا، والمرأة قد يكنى عنها بالإزار، وقد يكنى بالإزار عن النفس أيضاً.

(٢) ما بين معكوفين من «ابن هشام».

(٣) كانت العرب تقوم عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك وهدمي هدمك أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا ويروى أيضاً: اللدم اللدم، والهدم الهدم، وعن ابن هشام الهدم: يعني الحرمة: أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم. وعلق السهيلي على قول ابن هشام قال: وإنما كنى ابن هشام على حرمة الرجل وأهله «بالهدم» لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحال، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم، فكلما ظعنوا هدموها الخبر في «ابن هشام» (٨٢/٢) ونقله الطبري عنه (٣٦٢/٢).

(٤) من «ابن هشام».

(٥) من «الاستيعاب».

(٦) في «الأصول» و «الاستيعاب»: بن خزيمة؛ وفي «ابن هشام» ابن أبي خزيمة، وفي «شرح السيرة» لأبي ذر ابن أبي خزيمة؛ وقال في «الاستيعاب»: ويقال فيه ابن أبي حليلة.

(٧) من «ابن هشام».

(٨) في «ابن هشام» و «الاستيعاب»: ابن زبير.

(٩) واختاره ابن سعد في «الطبقات» قال: وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار وشهد العقبتين جميعاً ووافقه البيهقي في «الدلائل» من رواية ابن بكير عن ابن إسحاق ولم يذكره ابن عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي» ص (٧١) بل ذكر رفاعة.

فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة - ليلة العقبة الثانية - حين قال :

أبلغ أبيتاً أنه قال رأيه
أبى الله ما مثثك نفسك إنه
وأبلغ أبا سفيان أن قد بدالنا
فلا ترغبن في حشد أمر تريده
ودونك فاعلم أن نقض عهدنا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما
وسعد أباه الساعدي ومنذر
وما ابن ربيع إن تناولت هذه
وأيضاً فلا يعطيك ابن راحة
وفاء به والقوقلي بن صامت
أبو هيثم أيضاً وفي مثلها
وما ابن حضير إن أردت بمطمع
وسعد أخو عمرو بن عوف فانه
أولاك نجوم لا يغيبك منهم
قال ابن هشام: فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعه.

وحان غداة الشعب والحين واقع^(١)
بمرصاد أمر الناس راء وسامع
بأحمد نور من هدى الله ساطع
والب جمع كل ما أنت جامع
أباه عليك الرهط حين تبايعوا^(٢)
وأسعد أباه عليك ورافع
لأنفك إن حاولت ذلك جادع
بمُسليمه لا يطمعن ثم طامع
واخفاره من دونه السُم نافع
بمندوحة عما تُحاول يافع
وفاء بما أعطي من العهد خانع
فهل أنت عن أحموق الغي نازع
ضروح لِمَا حاولت ملامر مانع^(٣)
عليك بنحس في دجى الليل طالع

قلت: وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة. وروى يعقوب بن سفيان عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك. قال: كان الأنصار ليلة العقبة سبعون رجلاً، وكان نقباؤهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. وحدثني شيخ من الأنصار أن جبرائيل كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة. رواه البيهقي^(٤). وقال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر [بن حزم]^(٥): أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي [يعني المسلمين]^(٦)» قالوا نعم! وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم! قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فممن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال «الجنة» قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه. قال عاصم بن عمر بن قتادة: وإنما قال العباس بن عباد ذلك ليشد العقد في أعناقهم وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر [القوم] البيعة تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم، فالله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أول من ضرب على يده. وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان.

- (١) قال: بطل.
- (٢) قوله تبايعوا: ضبطها محقق «سيرة ابن هشام»: تتابعوا.
- (٣) ضروح: مانع ودافع عن نفسه.
- (٤) «دلائل البيهقي» ج (٢/٤٥٣).
- (٥) من «دلائل البيهقي».
- (٦) من «ابن هشام».

قال ابن إسحاق: وحدثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك. قال: فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع [بعد] القوم^(١) وقال ابن الأثير في «أسد الغابة» وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتذ كعب بن مالك. وقد ثبت في «صحيح البخاري ومسلم» من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك في حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك، قال: ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أكثر^(٢) في الناس منها. وقال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا [أبو]^(٣) عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا أبو نعيم [الفضل بن دكين] حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن عامر الشعبي قال: انطلق رسول الله ﷺ مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: «ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا، وإن تعلموا بكم يفضحوكم» فقال قائلهم - وهو أبو أمامة - سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت. ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعلينا إذا فعلنا ذلك. قال: «أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم» قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «لكم الجنة» قالوا فلك ذلك. ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي عن أبي مسعود الأنصاري فذكره قال: وكان أبو مسعود أصغرهم. وقال أحمد عن يحيى عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها. وقال البيهقي: أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمش^(٤) أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام، أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي، أخبرنا عمرو بن عثمان الرقي، حدثنا زهير ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد الله^(٥) بن رفاعة عن أبيه قال: قدمت روايا خمر، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها^(٦) وقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن نصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة. فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها، وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه. وقد روى يونس عن ابن إسحاق [قال] حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت، قال: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا^(٧)، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

قال ابن إسحاق في حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك. قال: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط؟ يا أهل الجباب - والجباب المنازل - هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا أذب العقبة، هذا ابن أذيب»^(٨). قال ابن هشام: ويقال ابن أذيب. «أتسمع أي عدو الله؟ أما والله لا تفرغن لك»^(٩). ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رحالكم» قال: فقال العباس بن عبادة بن نضلة: يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». قال فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا^(١٠)، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا

(١) «سيرة ابن هشام»: (٨٩/٢) وما بين معقوفتين من «السيرة».

(٢) في البخاري «بدر أذكر» وفي «نسخ البداية المطبوعة»: «بدرأ كثيرة» وهو تحريف.

(٣) من «دلائل البيهقي» (٤٥١/٢).

(٤) في «الدلائل»: محمد بن محمد بن محمد بن محمش الفقيه.

(٥) في البيهقي عبيد.

(٦) في «البيهقي»: فخرقها.

(٧) نقل الخبر البيهقي في «الدلائل» (٤٥٢/٢) وزاد هنا فيه: يقول - أي النبي ﷺ - وإن استوثر عليكم - تابع الوليد - وقومي يلوموني على هذا الحرف.

(٨) في «النهاية» لابن الأثير هو شيطان اسمه: أذب الكعبة، وقيل الأذب: القصير الدميم.

(٩) في «ابن هشام»: لأفرعن لك.

(١٠) كذا في «الأصل» و «السيرة»، وفي رواية البيهقي: فرجعنا إلى رحالنا فاضطجعنا على فرشنا.

أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا، من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيء وما علمناه، قال: وصدقوا لم يعلموا، قال وبعضنا ينظر إلى بعض، قال ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان له جديان^(١)، قال فقلت له كلمة - كأي أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلي. قال: والله لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مه، أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه. قال: قلت والله لا أردهما، قال والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلبنه.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا^(٢) علي مثل هذا وما علمته كان. قال فانصرفوا عنه. قال ونفر الناس من منى فتنطس^(٣) القوم الخبر فوجدوه قد كان، فخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيباً. فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته - وكان ذا شعر كثير - قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش، فيهم رجل وضيء أبيض، شعشاع، حلو من الرجال، فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا. فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة، فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير، فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى^(٤) لي رجل ممن معهم. قال: ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي. وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس: فقال: ويحك فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن ليضرب بالأبطح ليهتف بكما [ويذكر أن بينه وبينكما جوار]، قالا ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة. قالا: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجارنا، ويمنعهم أن يظلموا ببلده، قال: فجاء فخلصا سعداً من أيديهم، فانطلق، وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو. قال ابن هشام: وكان الذي أوى له أبو البخترى بن هشام^(٥). وروى البيهقي بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير^(٦) قال سمعت قريش قائلاً يقول في الليل على أبي قبيس:

فإن يُسلم السعدانِ يصبغ محمدٌ
بمكة لا يخشى خلاف المُخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم^(٧)؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلاً يقول:

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كُنْ أنتَ ناصراً
أجيباً إلى داعي الهدى وتمنياً
فإن ثوابَ اللّهِ للطالبِ الهدى
ويا سعدُ سعدَ الخزرجينَ الغطارف
على اللّهِ في الفردوسِ مِنيةَ عارف
جناناً من الفردوسِ ذاتُ رفارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.

- (١) قال السهيلي: والنعل مؤنثة، ولكن لا يقال: جديداً في الفصيح من الكلام، وإنما يقال: ملحفة جديدة قال سيويه: قال جديدة، وإنما أراد معنى حديثة.
- (٢) في «ابن هشام»: ليتفرتوا علي بمثل هذا.
- (٣) التنطس: تدقيق النظر؛ وتنطس القوم الخبر: أكثروا البحث عنه.
- (٤) أوى لي: رحمني ورق لي.
- (٥) «سيرة ابن هشام»: (٩٣/٢).
- (٦) الخبر في «دلائل البيهقي» وفيه عن: عبد الحميد بن أبي عيسى بن خير - كذا قال الكلبي - وهو عبد الحميد بن أبي عيس بن محمد بن خير. والخبر أخرجه ابن أبي الدنيا، والخرائطي.
- (٧) قال السهيلي في «الروض الأنف» (٢٧٢/١) فحسبوا أنه يريد بالسعدين القبيلتين: سعد هذيم من قضاة، وسعد بن زيد بن تميم.

فصل

قال ابن إسحاق: فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها. وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم؛ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة [وبايع رسول الله ﷺ بها]، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة وأشرفهم، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له مناة^(١) كما كانت الأشراف يصنعون، تتخذها إلهاً يعظمه ويظهره، فلما أسلم فتیان بني سلمة؛ ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطهره ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه. فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه، ففعلوا مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطيبه ويظهره، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه، استخرجوه من حيث ألقوه يوماً، فغسله وطهره وطيبه. ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع، هذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من [رجال] قومه فأسلم برحمة الله، وحسن إسلامه، فقال حين أسلم، وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول:

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ	أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بئْرٍ فِي قَرْنِ
أَفْ لِمَلَقَاكَ إِلَهًا مَسْتَدِينٌ	الآن فَتُشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْعَبْنِ ^(٢)
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمَنِّ	الْوَاهِبِ الرَّزَاقِ دِيَانَ الدِّينِ ^(٣)
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ	أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مَرْتَهِنِ

فصل

يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية

ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان^(٤)

فمن الأوس أحد عشر رجلاً؛ أسيد بن حضير أحد النقباء [لم يشهد بدرًا]، وأبو الهيثم بن التيهان بدري أيضاً^(٥)، وسلمة بن سلامة بن وقش بدري، وظهير بن رافع، وأبو بردة بن دينار^(٦) بدري، ونهير بن الهيثم بن نابي بن مجدعة بن حارثة، وسعد بن خيشمة أحد النقباء بدري وقتل بها شهيداً، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير^(٧) نقيب بدري، وعبد الله بن جبيرة بن النعمان بن أمية بن البرك بدري، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة، ومعن بن عدي بن

(١) مناة: مأخوذ من قولك: منيت الدم وغيره، إذا صببته، لأن الدماء كانت تمنى عنده تقريباً إليه؛ ومنه سميت الأصنام الدمى.

(٢) مستدن: مستدن، من السدانة، وهي خدمة البيت وتعظيمه؛ قاله السهيلي، وقال أبو ذر في «شرح السيرة»: المستدن: الذليل.

(٣) قال السهيلي: الدين في قوله ديان الدين: جمع دينه وهي العادة. ويجوز أن يكون أراد: الأديان أي هو ديان أهل الأديان؛ وجمعها على الدين لأنها ملل ونحل كما قالوا في جمع حرة: حرائر.

(٤) رتب ابن هشام في «السيرة» أسماءهم على حسب القبائل (٩٧/٢، ٩٩) ورتبهم الصالحي في «السيرة الشامية» أبجدياً على الأحرف (٢٩٣/٣).

(٥) يعني أن أسيد حضر بدرًا؛ ولكن أسيد بن حضير لم يشهد بدرًا وتخلف هو وغيره من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ من النقباء وغيرهم عن بدر؛ وشهد أحد والخندق والمشاهد كلها..

(٦) كذا في الأصل وفي نسخة «لابن هشام» وهو تحريف والصواب: أبو بردة بن نيار؛ واسمه هانيء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب... بن الحاف بن قضاة كما في «سيرة ابن هشام» و«الاستيعاب» و«القاموس» مادة نير.

(٧) في «ابن هشام»: زبير؛ وفي «الاستيعاب»: زبير.

الجد بن عجلان بن الحارث^(١) بن ضبيعة البلوي حليف للأوس شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً وعويم بن ساعدة شهيد بدرًا وما بعدها. ومن الخزرج اثنان وستون رجلاً؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدرًا وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً، ومعاذ بن الحارث وأخوه عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدريون، وعمارة بن حزم شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليمامة، وأسعد بن زرارة أبو أمانة أحد النقباء مات قبل بدر، وسهل بن عتيك بدري، وأوس بن ثابت بن المنذر بدري، وأبو طلحة زيد بن سهل بدري، وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر، وعمرو بن غزية، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وخارجة بن زيد شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وعبد الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدرًا وأحدًا والخندق، وقتل يوم مؤتة أميراً وبشير بن سعد بدري، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه^(٢) الذي أرى النداء [للصلاة] وهو بدري، وخلاد بن سويد بدري أحدي خندقي وقتل يوم بني قريظة شهيداً، طرحت عليه رحي فشذخته فيقال إن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجر شهيدين» وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدري قال ابن إسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سناً ولم يشهد بدرًا^(٣)، وزباد بن لبيد^(٤) بدري، وفروة بن عمرو بن ودفة^(٥)، وخالد بن قيس بن مالك بدري، ورافع بن مالك أحد النقباء، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، وهو الذي يقال له مهاجري أنصاري لأنه أقام عند رسول الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها وهو بدري قتل يوم أحد، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد^(٦) بن عامر بن زريق بدري، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدري أيضاً، والبراء بن معرور أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبي ﷺ المدينة وأوصى له بثلاث ماله فرده رسول الله ﷺ على ورثته، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومات بخيبر شهيداً من أكله مع رسول الله ﷺ من تلك الشاة المسمومة رضي الله عنه، وسان بن صيفي بن صخر بدري^(٧)، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدري، قتل يوم الخندق، ومعقل بن المنذر بن سرح بدري، وأخوه يزيد بن المنذر بدري، ومسعود بن زيد^(٨) بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدري، ويزيد بن خدام^(٩) بن سبيع، وجبار بن صخر [بن أمية] بن خنساء بن سنان بن عبيد بدري، والطفيل بن مالك بن خنساء بدري، وكعب بن مالك^(١٠)، وسليم بن عامر^(١١) بن حديدة بدري وقطبة بن عامر بن حديدة بدري، وأخوه أبو المنذر يزيد بدري أيضاً، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدري، وصيفي بن سواد بن عباد، وثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي^(١٢) بدري واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدي، وعيس بن عامر بن عدي بدري، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدري واستشهد يوم أحد، وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجموح بدري وثابت بن الجذع بدري وقتل شهيداً

- (١) في «ابن هشام»: حارثة.
- (٢) في «ابن هشام» و «الاستيعاب»: بن عبد الله بن زيد مناة بن الحارث بن الخزرج.
- (٣) خرج في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مصاب بفدك في صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ «الطبقات» (١٢٦/٢).
- (٤) شهد زياد أحد والخندق والمشاهد كلها، واستعمله النبي ﷺ على حضرموت، ومات زياد في خلافة معاوية بن أبي سفيان.
- (٥) قال ابن هشام ودفة كما في الأصل. وفي «سيرة ابن هشام» ودفة؛ قال السهيلي: ودفة وهو الأصح... وعمرو بن ودفة هذا هو البياضي. وذكره أبو ذر ودفة وكذلك ذكره صاحب العين بالبدال المهملة؛ وفي «الاشتقاق» لابن دريد ودفة بالذال.
- (٦) في نسخة «ابن هشام» - محققة - خلدة. وأشار محققه إلى أن الأصول: خالد.
- وفي «طبقات ابن سعد»: خالد. شهد عباد وأخوه الحارث بدرًا وأحدًا.
- وشهد الحارث الخندق وشهد اليمامة وجرح ومات في خلافة عمر.
- (٧) قتل يوم الخندق شهيداً.
- (٨) في «ابن هشام»: يزيد.
- (٩) في «ابن هشام» و «الاستيعاب»: حرام.
- (١٠) شهد تبوك، ولم يشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، بقي إلى زمن معاوية ومات سنة (٥٠) هـ.
- (١١) في «ابن هشام»: عمرو في المكانين؛ ويقال عامر.
- (١٢) في «الاستيعاب»: هانيء.

بالبطائف، وعمير^(١) بن الحارث بن ثعلبة بدري، وخديج بن سلامة^(٢) حليف لهم من بلي، ومعاذ بن جبل شهد بداراً وما بعدها ومات بطاعون عمواس^(٣) في خلافة عمر بن الخطاب، وعُباد بن الصامت أحد النقباء شهد بداراً وما بعدها، والعباس بن عباد بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له مهاجري أنصاري أيضاً وقتل يوم أحد شهيداً، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة^(٤) بن أصرم حليف لهم [من بني غصينة] من بلي، وعمرو بن الحارث بن كندة^(٥)، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدري! وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم^(٦) بدري وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجري أنصاري أيضاً، وسعد بن عباد بن ذؤيب أحد النقباء^(٧)، والمنذر بن عمرو نقيب بدري أحدي وقتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذي يقال له أعتق ليموت، وأما المرأتان فأم عمارة نسيبة^(٨) بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية. قال ابن إسحاق: وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها حبيب^(٩) وعبد الله، وابنها خبيب هذا هو الذي قتله مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول نعم، فيقول أتشهد أني رسول الله؟ فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يديه لا يزيد على ذلك، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة ورجعت وبها اثني عشر جرحاً من بين طعنة وضربة رضي الله عنها، والأخرى أم منيع أسماء ابنة عمرو بن عدي [بن سنان]^(١٠) بن ناي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة رضي الله عنها.

باب

الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزهري عن عروة عن عائشة، قالت قال رسول الله ﷺ - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين: «قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين»^(١١) فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة^(١٢) من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين. رواه البخاري. وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: «أريت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب» وهذا الحديث قد أسنده البخاري في مواضع أخر بطوله ورواه مسلم كلاهما عن أبي كريب زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبي أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبي ﷺ

- (١) قال ابن هشام: هو عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة وهو كذلك في رواية موسى بن عقبة، أما في «الطبقات» فكالأصل. وشهد بداراً وأحداً.
- (٢) قال الطبري شهد العقبة ولم يشهد بداراً وكان يكنى أبا رشيد.
- (٣) عمواس: بكسر أوله وسكون الثاني، أو بفتح ثانيه، قرية بفلسطين قرب بيت المقدس «معجم البلدان».
- (٤) خزيمة: بسكون الزاي عند ابن إسحاق وابن الكلبي، وبتحريكها عند الطبري.
- (٥) في ابن هشام: لبدة بن عمرو بن ثعلبة.
- (٦) أي لبني سالم بن غنم.
- (٧) استعد للخروج إلى بدر فنهش قبل أن يخرج فلم يشهد بداراً، وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ خرج مهاجراً إلى الشام في أول خلافة عمر بن الخطاب ومات بحوران - لستين ونصف من خلافة عمر - سنة خمس عشرة، وقيل مات في خلافة أبي بكر سنة إحدى عشرة «طبقات ابن سعد» (٦١٦/٣).
- (٨) أسلمت وحضرت ليلة العقبة وبايعت النبي ﷺ وشهدت أحداً والحديبية وعمرة القضية وحينئذ واليمامة وقطعت يدها وقد ضربها ابن قميثة على عاتقها.
- (٩) من «ابن هشام» وابن سعد، وفي الأصل خبيب وهو تحريف.
- (١٠) من «طبقات ابن سعد»، وهي زوجة خديج بن سلامة شهدت معه العقبة فأسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وشهدت خبيراً معه ويقال لها: أم شبات.
- (١١) تقدم تخريجه.
- (١٢) في «دلائل البيهقي»: بعض من كان هاجر.

الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرو، حدثنا إبراهيم بن هلال، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا عيسى بن عبيد الكندي، عن غيلان بن عبد الله العامري، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير: أن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إلي أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك؛ المدينة، أو البحرين، أو قُتَيرين» قال أهل العلم: ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها^(١).

هذا حديث غريب جداً وقد رواه الترمذي في المناقب من «جامعه» منفرداً به عن أبي عمار الحسين بن حريث، عن الفضل بن موسى، عن عيسى بن عبيد، عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلي أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك، المدينة، أو البحرين، أو قُتَيرين» ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار.

قلت: وغيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حبان في الثقات إلا أنه قال: روى عن أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة والله أعلم.

قال ابن إسحاق: لما أذن الله تعالى في الحرب بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿ [الحج: ٤٩ - ٤٠] الآية. فلما أذن الله في الحرب وتابعه^(٢) هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له، ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين. أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها» فخرجوا إليها أرسالاً وأقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش: من بني مخزوم، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة [زوج النبي ﷺ] قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيه ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيه، فلما رآته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، رأيت صاحبنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه، قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت فتجادبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي. قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي - سنة أو قريباً منها - حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحماني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون^(٣) هذه المسكينة؟ فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت فقالوا لي: الحق بزواجك إن شئت. قالت فرد بنو عبد الأسد إلي

(١) «دلائل النبوة» (٤٥٨/٢)، وأخرجه الترمذي في (٥٠) - كتاب «المناقب» (٦٨) باب في «فضل المدينة» ح (٣٩٢٣) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل بن موسى. وفي سند الحديث غيلان ذكره ابن حبان في «الثقات» (٣١١/٧) وقال: يروي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير حديثاً منكراً وروى عنه عيسى بن عبيد قال: إن الله أوحى إلي أن دار هجرتك بالمدينة أ هـ. والحديث رواه البخاري في «التاريخ» وابن حجر في «التهذيب» (٢٥٤/٨). وقال: في ثبوته نظر لمخالفته ما في الصحيح وقال الزرقاني: صححه الحاكم وأقره الذهبي في «تلخيصه»، لكنه قال في «الميزان»: حديث منكر، ما أقدم الترمذي على تحسينه بل قال غريب «شرح المواهب» (٣١٨/١).

(٢) في «ابن هشام»: وبإيعه.

(٣) في الأصل: ألا تخرجون من هذه... الخ وما أثبتناه من «ابن هشام».

عند ذلك ابني، قالت فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعت في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله. حتى إذا كنت بالتنعيم^(١) لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبني هذا، فقال: والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة^(٢) ثم تنحى [عني] إلى شجرة فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني، وقال: اركبي فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فادخلها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً إلى مكة، فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة، أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته؛ الحارث وكلاب ومسافع، وعمه عثمان بن أبي طلحة، ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بني شيبة مفاتيح الكعبة أقرها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

قال ابن إسحاق: ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي، معه امرأته ليلي بنت أبي حثمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير^(٣) بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد، أبي أحمد، اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل ثمامة. قال السهيلي: والأول أصح. وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. فغلقت دار بني جحش هجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عتبة تحفق أبوابها يباباً ليس بها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال:

وكلّ دارٍ وإن طالَتْ سلامُثُها يوماً ستدرُكُها النُّكباءُ والحُوبُ^(٤)

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دودان الإيادي في قصيدة له. قال السهيلي: واسم أبي دودان حنظلة بن شرقي وقيل حارثة. ثم قال عتبة: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها. فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من فل بن فل^(٥) ثم قال - يعني للعباس - هذا من عمل ابن أخيك، هذا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا.

قال ابن إسحاق: فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالاً، قال: وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة هجرة، رجالهم ونساؤهم وهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وعكاشة بن محصن، وشجاع وعقبة ابنا وهب، وأريد بن جيرة^(٦) ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش، ومحرز بن نضلة، وزيد^(٧) بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو وربيعه بن أكثم. والزبير بن عبيدة، وتمام بن عبيدة، وسخيرة بن عبيدة، ومحمد بن عبد الله بن جحش. ومن نسائهم زينب بنت جحش، وحمنة بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجدامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رقيش، وسخيرة بنت تميم. قال أبو أحمد بن

(١) التنعيم: موضع بين مكة وسرف، على فرسخين من مكة.

(٢) من «ابن هشام»: وفي الأصل: الشجر.

(٣) في «ابن هشام» و«الاستيعاب»: كثير.

(٤) الحوب: التوجع؛ وقيل: الحاجة وقيل: الحوب الإثم.

(٥) في «ابن هشام»: من قل بن قل؛ وقال: القل: الواحد.

(٦) وقال «ابن هشام»: ويقال ابن حميرة، وفي «الاستيعاب»: ابن حمير.

(٧) في «ابن هشام»: يزيد.

جحش في هجرتهم إلى المدينة:

ولما رأتنني أم أحمد غادياً
تقول فلما كنت لا بد فاعلاً
فقلت لها ما يثرب بمظنة^(١)
إلى الله وجهي والرسول ومن يقم
فكم قد تركنا من حميم مناصح
تري أن تترأ نائياً عن بلادنا
دعوت بني غنم لحقن دماهم
أجابوا بحمد الله لما دعاهم
وكننا وأصحابنا لنا فارقوا الهدى
كفوجين إما منهما فموقن
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم
ورعنا إلى قول النبي محمد
نميت بأرحام إليهم قريبة
فأبي ابن أخت بعدنا بأمننكم
ستعلم يوماً أيننا إذ تزايدوا

بذمة من أخشى بغيب وأرهب
فيمم بنا البلدان ولنناً يثرب
وما يشأ الرحمن فالعبد يركب
إلى الله يوماً وجهه لا يخيب
وناصحة تبكي بدمع وتندب
ونحن نرى أن الرغائب نطلب^(٢)
وللحق لمانا للاح للناس ملجأ
إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا
أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
على الحق مهدي وفوج معذب
عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا
فطاب ولاه الحق منا وطيبوا
ولا قزب بالأرحام إذ لا تقرب
وأية صهر بعد صهري يرقب
وزيل أمر الناس للحق أصوب

قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة. فحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه. قال: اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص؛ التناضب^(٣) من أضاة^(٤) بني غفار فوق سرف، وقلنا أينما لم يصبح عندهما فقد حبس، فليمض صاحبا، قال: فأصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وفتن فافتن، فلما قدما المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقاء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش - وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما - حتى قدما إلى المدينة ورسول الله ﷺ بمكة، فكلما وقالوا له: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها فقلت له: إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. قال: فقال أبو قسم أمي ولي هنالك مال فأخذه قال: قلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى علي إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذا فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليها. فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا [بن] أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتن. قال عمر: فكنا نقول: لا يقبل الله ممن افتتن توبة. وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ رَبَّيْنَاهُ وَاسْتَلَمْنَا مِن يَدَيْهِ وَأَسْلَمْنَا لَهُ مِنَ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبَعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ

(١) في «ابن هشام»: فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهنا...

(٢) في «ابن هشام»: نأينا بدلاً من نائياً.

(٣) التناضب: قال أبو ذر: بضم الضاد، موضع ومن رواه بالكسر: فهو جمع تنضب: وهو شجر واحدته تنضبة، وقيد الوقشي بكسر الضاد. وقال السهيلي: «بكسر الضاد كأنه جمع تنضبة؛ وهو ضرب من الشجر تألفه الحرباء. وذكره أبو حنيفة في النبات. وقال ياقوت: تنضب قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة فيها عين جارية».

(٤) أضاة: هي الغدير يجمع من ماء المطر. يمد ويقصر قاله أبو ذر. وقال السهيلي: الأضاة: الغدير كأنه مقلوب من وضأة على وزن فُعلة واشتقاقه من الوضاء وهي النظافة؛ وجمع الأضاة إضاء. وقال السهيلي: إضاة بني غفار؛ على عشرة أميال من مكة. أما ياقوت فقال: موضع قريب من مكة فوق سرب قرب التناضب، له ذكر في حديث «المغازي»، وغفار: قبيلة من كنانة.

إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْمَدَابُّ بَقْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥] قال عمر: وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال هشام: فلما أتني جعلت أقرأها بذني طوى^(١) أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة. وذكر ابن هشام أن الذي قدم بهشام بن العاص، وعياش بن أبي ربيعة إلى المدينة؛ الوليد [بن الوليد] بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش معهما، فعثر فدميت أصبعه فقال:

هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَعٌ دَمِيَّتْ وفي سبيل اللّٰه ما لَقِيَتْ

وقال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء. قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمار وبلال. وحدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت البراء بن عازب. قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفرًا من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ. فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإمام يقرئ: قدم رسول الله ﷺ، فما قدم حتى قرأت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] في سور من المفصل. ورواه مسلم في «صحيحه» من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب بنحوه وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله ﷺ والصواب ما تقدم^(٢).

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقه بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولى بن أبي خولى، ومالك بن أبي خولى حليفان لهم من بني عجل وبني البكير وإياس وخالد وعامل وعمار وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زهير^(٣) في بني عمرو بن عوف بقباء.

قال ابن إسحاق: ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم: فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف^(٤) أخي بلحارث بن الخزرج بالسنح^(٥). ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة.

قال ابن هشام: وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال: بلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صلوكاً حقيراً فكثير مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: رأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم! قال فإني قد جعلت لكم مالي. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب»^(٦) وقد قال البيهقي: حدثنا الحافظ أبو عبد الله - إمامنا - أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال، أخبرنا عبدان الأهوازي، حدثنا زيد بن الجريش، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا حصين بن حذيفة بن صيفي بن صهيب، حدثني أبي وعمومتي عن سعيد بن المسيب عن صهيب. قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيت دار هجرتكم سبخة بين ظهري حرتين، فإما أن تكون هجر أو تكون يثرب» قال وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر، وكنت قد همت معه بالخروج فصدي فتيان من قريش،

(١) ذو طوى: موضع بأسفل مكة.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «المناقب» (٤٦) باب ح (٣٩٢٥) وذكره المزي في «تحفة الأشراف» ولم يشر إلى أن مسلماً أخرجه. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤٦٣/٢) وقال: اختلف في قدوم سعد، فقيل كذا - حسب رواية ابن عقبة - وابن أنه ممن قدم المدينة قبل قدوم النبي ﷺ راجع «الدرر» لابن عبد البر (٧٧، ٧٩).

(٣) في «ابن هشام»: زهير.

(٤) إساف: ويقال: يساف. وهو ابن عتبة. ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلماً، بل آخر إسلامه حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر راجع «الاستيعاب».

(٥) السنح: بعوالي المدينة، بينها وبين منزل النبي ﷺ ميل «معجم البلدان».

(٦) «سيرة ابن هشام» (١٢٠/٢ - ١٢١).

فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه - ولم أكن شاكياً - فناموا. فخرجت ولحقني منهم ناس بعدما سرت بريداً^(١) ليردونني فقلت لهم: إن أعطيتكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا فتبعتهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فإن بها^(٢) أواقى، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها، فلما رأي قال: «يا أبا يحيى ربح البيع [ثلاثاً]^(٣)» فقلت يا رسول الله ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام^(٤).

قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مرثد كنان بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفاً حمزة، وأنسة^(٥) وأبو كبشة^(٦) مولياً رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهمد أخى بني عمرو بن عوف بقباء، وقيل: على سعد بن خيثمة، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم. قال ونزل عبيدة بن الحارث وأخوه الطفيل وحصين ومسطح بن أثانة وسويبط بن سعد بن حريملة أخو بني عبد الدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي، وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخى بلعجلان بقباء ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع^(٧)، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رهم على منذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة، دار بني جحجبي، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاة على سلمة. قال ابن إسحاق وقال الأموي: على خبيب بن أساف أخى بني حارثة، ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بني عبد الأشهل، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت في دار بني النجار. قال ابن إسحاق: ونزل العزاب^(٨) من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزباً والله أعلم أي ذلك كان.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله^(٩) عن نافع عن ابن عمر أنه قال: قدمنا [من] مكة فنزلنا العصبة، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة. فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً.

فصل

في سبب هجرة^(١٠) رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠] أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء [و] أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب، فصارت له داراً وقراراً، وأهلها له أنصاراً.

- (١) من «دلائل البيهقي»؛ وفي الأصل: يريدوا ليردونني.
- (٢) في «الدلائل»: تحتها.
- (٣) من «الدلائل».
- (٤) أخرج الجزء الأول منه البخاري في (٣٩) كتاب «الكفالة». وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٠٠/٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
- (٥) أنس: من مولدي السراة، يكنى أبا مسروح شهد بداراً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ ومات في خلافة أبي بكر.
- (٦) أبو كبشة: واسمه سليم من فارس وقيل غير ذلك. شهد بداراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات في خلافة عمر؛ وهو غير أبي كبشة الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب رسول الله ﷺ إليه.
- (٧) في «ابن هشام» زاد: أخى بلحارث بن الخزرج، في دار بلحارث بن الخزرج.
- (٨) في «شرح السيرة» لأبي ذر: الأعزاب وهو أصح.
- (٩) الخبر في «دلائل البيهقي» (٤٦٣/٢) وفيه: عبد الله مكان عبيد الله والعصبة: موضع بقباء. وما بين معكوفتين زيادة من «الدلائل».
- (١٠) انظر في هجرة النبي ﷺ إلى المدينة: «ابن هشام» (١٢٣/١) وما بعدها. «ابن سعد» (٢٢٧/١) وما بعدها. «صحيح البخاري» (٥٦/٥) «الطبري» (٢٥٣/٢) وما بعدها دار القاموس. «أنساب الأشراف» (١٢٠/١) «عيون الأثر» (٢٢١/١) «تاريخ الإسلام للذهبي» (٢١٨/٢) النويري (٣٣٠/١٦) «الدرر» لابن عبد البر ص (٨٠).

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة: عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان^(١) عن أبيه عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأمر بالهجرة وأنزل عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]^(٢) وقال قتادة: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ المدينة ﴿وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾ الهجرة من مكة ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ كتاب الله وفرائضه وحدوده^(٣).

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أو فتن^(٤)، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً» فيطمع أبو بكر أن يكونه. فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجیح، عن مجاهد بن جبير^(٥) عن عبد الله بن عباس. وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس. قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ جليل عليه بثلة^(٦) فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا من الشيخ؟ قال شيخ من أهل نجد^(٧) سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم لسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً. قالوا أجل فادخل، فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرف قريش عتبة وشيبة [ابنا ربيعة]^(٨) وأبو سفيان وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم بن عدي، والحارث بن عامر بن نوفل، والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام، وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبیه ومنبه ابنا الحجاج وأمیه بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً، قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم - قيل إنه أبو البخترى بن هشام - احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابعة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يشبوا عليكم فيتزعه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي. فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما

- (١) قابوس بن أبي ظبيان، وفي نسخة: طهمان، ذكره ابن حبان في «المجروحين» وقال: كان رديء الحفظ ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، ربما رفع المراسيل وأسند الوقوف. وذكره العقيلي في «الضعفاء الكبير». وقد روى هذا الحديث مرسلًا عن ابن عباس.
- (٢) أخرجه الترمذي في (٤٨) كتاب «تفسير القرآن» - باب تفسير سورة الإسراء ح (٣١٣٩) عن أحمد بن منيع. وقال: هذا حديث صحيح حسن.
- (٣) زاد البيهقي: فإن السلطان عزة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض وأكل شديدهم ضعيفهم (٢/ ٥١٧) وأضاف القرطبي على رواية البيهقي قال: وقال الضحاك: هو خروجه من مكة، ودخوله مكة يوم الفتح (٣١٣/١٠)
- (٤) في «ابن سعد»: أو مفتون محبوس، أو مريض، أو ضعيف عن الخروج.
- (٥) من «شرح السيرة» لأبي ذر: جبير، وما في الأصل «جبر» وهو تحريف.
- (٦) البثلة: كساء غليظ؛ وفي رواية ابن بكير عن ابن إسحاق في بث قال البيهقي: والبث: الكساء.
- وقيل الطيلسان من خز، وفي «تهذيب اللغة» البث ضرب من الطيالة يسمى الساج مربع غليظ أخضر. وجمعه: أبت، وبتات وبتوت. قال الجوهري في «الصحاح»: البتي الذي يعمله.
- (٧) علق السهيلي على قوله شيخ من أهل نجد قال: «وإنما قال لهم، إني من أهل نجد، فيما ذكر بعض أهل «السيرة»، لأنهم قالوا، لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدي؛ وقال: قيل لمعنى آخر تمثل بهيئة شيخ نجدي» ا هـ.
- (٨) من ابن هشام والبيهقي.

كانت^(١). قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب^(٢)، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أركانكم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا^(٣) فيه رأياً غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسياً وسيطاً فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً. فرضوا منا بالعقل فمقلناه لهم، قال يقول الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره^(٤) فتفرق القوم على ذلك وهم مجتمعون له. فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيشبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي وتسج^(٥) ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم» وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيد عن عائشة وابن عباس وعلي وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي. قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال - وهم على بابه - إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها. قال فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدهم» وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝﴾ [يس: ١-٩] ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنظرون ههنا؟ قالوا محمداً، فقال خبيكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته! أفما ترون ما بكم؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش مستجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا^(٦) فقام علي عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا.

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ۝﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنُكُ بِهِ

(١) صاحب هذا الرأي: أبو الأسود ربيعة بن عامر، أحد بني عامر بن لؤي.

(٢) في رواية البيهقي: على قبيلة من قبائل العرب.

(٣) في ابن هشام: دبروا.

(٤) وقال ابن الكلبي في «جمهرة الأنساب» أن إبليس لما حمد رأي أبي جهل قال:

الرأي رأيان رأي ليس يعرفه
يكون أوله عز ومكرمة

هادٍ ورأي كمنصل السيف معروف

يوماً وآخره جد وتشريف

(٥) تسجي بالثوب: غطى به جسده ووجهه.

(٦) قال في «الروض الأنف» (٢٩٢/١) روى الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» عن النبي ﷺ في ذكر فضل يس: أنها: إن قرأها خائف أمن، أو جائع شبع، أو عار كسي أو عاطش سقي...

وعلل امتناعهم من الدخول إليه ﷺ قال: وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقم عليه في الدار، إنهم هموا بالولوج عليه - وإنهم إنما جاؤوا لقتله - فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم، وهتكنا ستر حرمتنا... فأصبحوا ينتظرون خروجه - على باب الدار..

رَبِّ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ [الطور: ٣٠-٣١] قال ابن إسحاق فأذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة.

باب

هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وذلك أول التاريخ الإسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العمرية كما بيناه في «سيرة عمر رضي الله عنه» وعنهم أجمعين. قال البخاري: حدثنا مطر بن الفضل، ثنا روح، ثنا هشام^(١)، ثنا عكرمة عن ابن عباس. قال: بعث النبي ﷺ لأربعين سنة، فمكث فيها^(٢) ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال: ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ونبيء يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين^(٣).

قال محمد بن إسحاق: وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له: «لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً»، قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه، فابتاع راحلتين^(٤) فاحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك. قال الواقدي: اشتراهما بثمانمائة درهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطيء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة، وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث! قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ^(٥) أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أخرج عني من عندك» قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي^(٦)، وما ذاك فذاك أبي وأمي؟ قال: «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة» قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة» قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي. ثم قال: يا نبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أرقط^(٧) قال ابن هشام: ويقال عبد الله بن أريقط. رجلاً من بني الدئل بن بكر، وكانت أمه من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً يدلها على الطريق ودفعاً إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. قال ابن إسحاق: ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق

(١) روح بن عبادة، وهشام بن حسان.

(٢) في البخاري ورواية البيهقي: بمكة بدلاً من فيها.

والحديث أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٥) باب هجرة النبي ﷺ ح (٣٩٠٢) «فتح الباري» (٢٢٧/٧) والبيهقي في «الدلائل» (١٣١/٢).

(٣) تقدم تخريجه في هذا الجزء فليراجع.

(٤) قال البيهقي: (٤٧٢/٢) وعلف راحلتين، كانتا عنده ورق السُر أربعة أشهر.

وفي ابن سعد: وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم - عن محمد بن عمر - من نعم بني قشير.

(٥) في ابن هشام: وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي.

(٦) في البخاري: إنما هما أهلك. وقد كان أبو بكر قد أنكح عائشة من رسول الله ﷺ قبل ذلك.

(٧) من «ابن هشام» وفي الأصل أرقط. وقال الزرقاني في «شرح المواهب» (٣٣٩/١) رقيط، وهو من بني الدئل وقيل الدئل كما في «فتح الباري». وكان على دين الكفار ولم يعرف له إسلام فيما بعد كما جزم المقدسي وتبعه النووي، وقال في «الإصابة» لم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في «التجريد» وعند السهيلي (٨/١): لم يكن مسلماً إذ ذاك ولا وجدنا من طريق صحيحة أنه أسلم بعد ذلك.

وآل أبي بكر، أما علي، فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته. قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ [الخروج] (١) أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته. وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق. قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال: «الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً، اللهم أعني على هول الدنيا، وبوائق الدهر، ومصائب الليالي والأيام. اللهم اصحبني في سفري. واخلفني في أهلي، وبارك لي فيما رزقتني ولك فذلّني. وعلى صالح خلقي فقومني، وإليك رب فحبيبي، وإلى الناس فلا تكلني، رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرفت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن تحمل علي غضبك، وتنزل بي سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نعمتك، وتحول عافيتك وجميع سخطك. لك العقبى (٢) عندي خير ما استطعت، لا حول ولا قول إلا بك».

قال ابن إسحاق: ثم عمداً إلى غار ثور - جبل بأسفل مكة - فدخله، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر. وأمر عامر بن فهيرة (٣) موله أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريها عليهما إذا أمسى في الغار. فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأترون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا. فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعني عليه. وسيأتي في سياق البخاري ما يشهد لهذا وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله ﷺ سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور، وأمر علياً أن يدلّه على مسيره ليلحقه، فلحقه في أثناء الطريق. وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً.

قال ابن إسحاق: وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما، قالت أسماء: ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: قلت لا أدري والله أين أبي. قالت فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي ثم انصرفوا. قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت: قلت كلا يا أبة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت يا أبة ضع يدك على هذا المال. قالت فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

وقال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن البصري. قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار لينظر أليه سبع أو حية، بقي رسول الله ﷺ بنفسه. وهذا فيه انقطاع من طرفيه. وقد قال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن عمرو الضبي، ثنا نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة: أن النبي ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي ﷺ مرة، وخلفه مرة. فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك. حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فأحسه وأقصه فإن كانت فيه دابة أصابني قبلك. قال نافع: فبلغني أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤدي

(١) من «ابن هشام».

(٢) من أبي نعيم، وفي الأصل العقبى.

(٣) عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق، وكان مولداً من مولدي الأزدي. أسلم وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر واعتقه، شهد بدرأ واحداً وقتل يوم بئر معونة. قتله عامر بن الطفيل.

رسول الله ﷺ، وهذا مرسل. وقد ذكرنا له شواهد أخر في «سيرة الصديق» رضي الله عنه.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، أنا موسى بن الحسن ثنا عباد، ثنا عفان بن مسلم ثنا السري بن يحيى ثنا محمد بن سيرين. قال: ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر. فبلغ ذلك عمر فقال: والله ليليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟» فقال: يا رسول الله أذكر الطلب، فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك. فقال: «يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟» قال: نعم، والذي بعثك بالحق [ما كانت لتكون من ملمة إلا أحببت أن تكون لي دونك] (١). فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان [في أعلاه] (٢) ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ [الجحرة]. فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. وقد رواه البيهقي من وجه آخر (٣) عن عمر وفيه: أن أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله ﷺ تارة، وخلفه أخرى، وعن يمينه وعن شماله. وفيه أنه لما حفت رجلا رسول الله ﷺ حمله الصديق على كاهله، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجرة كلها. وبقي منها جحر واحد، فألقمه كعبه فجعلت الأفاعي تنهشه ودموعه تسيل فقال له رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا» وفي هذا السياق غرابة ونكارة. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو. قالوا: ثنا أبو العباس الأصم، ثنا عباس الدوري، ثنا أسود بن عامر: شاذان، ثنا إسرائيل، عن الأسود عن جندب بن عبد الله. قال: كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار، فأصاب يده حجر فقال:

إِنْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَغَ دَمِيَّتْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ (٤)

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] (٥) قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ. وقال بعضهم بل اقتلوه. وقال بعضهم بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يجرسون عليه بحسبونه النبي ﷺ. فلما أصبحوا ثاروا عليه، فلما رأوا عليه رداً رد الله عليهم مكرهم. فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدري فاقفوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه. فمكث فيه ثلاث ليال. وهذا إسناد حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ.

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في «مسند أبي بكر»: حدثنا بشار الخفاف ثنا جعفر وسليمان (٦) ثنا أبو عمران الجوني، حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري. قال: انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار. وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد، وكان النبي ﷺ قائماً

(١) ما بين معكوفين سقطت من الأصل واستدركت من «دلائل البيهقي» (٢/٤٧٧).

(٢) من «دلائل البيهقي».

(٣) رواه من طريق فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن الفزاري عن عمر...

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٤٨٠) ورواه ابن مردويه عن جندب بن عبد الله البجلي.

(٥) قال القرطبي في «أحكام القرآن» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَهُ خَيْرَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] المكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون. وقال الزمخشري في «الكشاف»: أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب وفي «النهاية» (٤/١٠٣) مكر الله: إيقاع بلائه بأعدائه. وقال العسكري في «الفروق اللغوية»: إن الكيد والمكر متغايران والشاهد أن الكيد يتعدى بنفسه والمكر يتعدى بحرف. فيقال كاده يكيد ومكر به ولا يقال مكره والذي يتعدى بنفسه أقوى.

(٦) لعله جعفر بن سليمان الضبي.

يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أئذ (١) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي: «يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا» وهذا مرسل على الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد، وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار. وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلى وروى هذا الرجل - أعني أبو بكر أحمد بن علي القاضي - [عن] عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى بن مطر عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه: يا بني إذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه فإنه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا.

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول:

نسج داود ما حمى صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوت

وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضاً، وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول:

فغمى عليه العنكبوت بنسجه وظل على الباب الحمام يبيض

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا عمرو بن علي، ثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسي - ويلقب بعوين (٢) - حدثني أبو مصعب المكي. قال: أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك، يذكرون أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره (٣)، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله ﷺ وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة وأقبلت فتیان قريش من كل بطن منهم رجل، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قدر مائتي ذراع قال الدليل - وهو سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي - هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله. فقال الفتیان: أنت لم تخطيء منذ الليلة. حتى إذا أصبحوا (٤) قال: انظروا في الغار، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قدر خمسين ذراعاً، فإذا الحمامتان، فرجع (٥) فقالوا ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين بقم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد. فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما، فسمت عليهما - أي برك عليهما - وأحدرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى (٦). وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعوين - بإسناده مثله. وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين، وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتفى لهم الأثر سراقه بن مالك المدلجي وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه أن الذي اقتفى لهم الأثر كرز بن علقمة.

قلت: ويحتمل أن يكون جميعاً اقتفيا الأثر والله أعلم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِثَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ (٧) وَأَيَّدَهُ بِجُودِهِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَمَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَانَ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] يقول تعالى مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره ولهذا قال:

(١) آل المريض: حن ورفع صوته عند ابتلائه بالمصيبة.

(٢) الأصل: عوين.

(٣) في رواية قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، حيث ألف كتاباً في «شرح الحديث» سماه «الدلائل» وجاء فيه: هذا على ما ذكره السهيلي في «الروض الأنف» (٤/٢) أن رسول الله ﷺ لما دخل الغار، وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الرءة، وهي شجرة معروفة، فحجبت عن النار أعين الكفار. . والرءة شجرة مثل قامة الإنسان ولها خيطان وزهر أبيض كالريش.

(٤) في الأصل: أصبحن وهو تحريف.

(٥) في الأصل: ترجع، وهو تحريف.

(٦) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» والبيهقي في «الدلائل» (٤٨٢/٢) و «ابن سعد» (٢٢٩/١) وكلهم عن أبي مصعب المكي.

(٧) قال القرطبي في تفسيره قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] أي على أبي بكر بتأمين النبي ﷺ له فسكن جأشه وذهب روعه (١٤٨/٨).

﴿فَأَنْفِكَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ﴾ أي وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما، وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات، وجعلوا لمن ردهما - أو أحدهما - مائة من الإبل، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم، وكان الذي يقتص الأثر لقريش سراقه بن مالك بن جعشم كما تقدم، فصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرّون على باب الغار، فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يرونها، حفظاً من الله لهما، كما قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا همام أنا ثابت، عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه. قال قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار. لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه؟ فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وأخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث همام به^(١). وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي ﷺ: «لو جاؤونا من ههنا لذهبنا من ههنا» فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه، وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف، ولنا ثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به. والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه: يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية. ثم قال البزار: لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم.

قلت: وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه. وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن الصديق قال في دخولهما الغار، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سراقه كما سيأتي شعراً. فمناه قوله:

قال النبي - ولم أجزغ - يوقرنى
لا تخش شيئاً فإن الله ثالثنا
ونحن في سُدْفٍ من ظُلْمَةِ الْغَارِ
وقد توكل لي منه بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطولة جداً، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم. وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير. قال فمكث رسول الله ﷺ بعد الحج - يعني الذي بايع فيه الأنصار - بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، أو يجسوه. أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية. فأمر علياً فنام على فراشه، وذهب هو وأبو بكر، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما. وهكذا ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه»، وإن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً. وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضاً. وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل. قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار: بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد^(٢) لقيه ابن الدغنة^(٣) وهو سيد القارة، فذكرت ما كان من رده لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة، إلى قوله فقال أبو بكر: فإني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله. قالت والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين: وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة. فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك

(١) أخرجه البخاري في (٦٢) كتاب «فضائل الصحابة» (٢) باب «مناقب المهاجرين» ح (٣٦٥٣) وأعادته في (٦٣) كتاب «الأنصار» باب (٤٥). وأخرجه الترمذي في كتاب «التفسير» تفسير سورة التوبة ح (٣٠٩٦) والإمام أحمد في «مسنده» (٤/١).

(٢) برك الغماد: موضع بناحية اليمن مما يلي ساحل البحر، وقال ابن فارس: بضم الغين، وقيل: موضع بأقاضي هجر وقيل وراء مكة بخمس ليالٍ.

(٣) ابن الدغنة: ربيعة بن رفيع بن اهبان بن ثعلبة السلمي، سمي باسم أمه - الدغنة - شهد حينئذ ثم قدم إلى رسول الله ﷺ في بني تميم.

فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت أمي؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط -^(١) أربعة أشهر، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر. قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حر^(٢) الظهيرة، فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ [مقبلاً]^(٣) متقناً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ: «أخرج من عندك» فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: فإنه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي، قال النبي ﷺ: «نعم!» قال أبو بكر: فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. فقال رسول الله ﷺ بالثمن^(٤). قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فلذلك سميت ذات النطاقين^(٥). قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكنا^(٦) فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج^(٧) من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، لا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة^(٨) من غنم فيريجها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيعهما - حتى ينق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدئل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريتا^(٩) - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث ليال. وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل^(١٠) قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن مالك بن جعشم. يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس. فقال: يا سراقه إني رأيت أنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه. قال سراقه: فعرفت أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة^(١١) ثم قمت فدخلت [بيتي]^(١٢)

- (١) كذا في الأصل وفي «النهاية» لابن الأثير: السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها.
- (٢) في «دلائل البيهقي»: نحر الظهيرة: أي في وقت الحرارة، وهي المهاجرة، ويقال أول الزوال، وهو أشد ما يكون من حر النهار، والغالب في أيام الحر القيلولة فيها.
- (٣) من البيهقي.
- (٤) بالثمن: أي لا أخذها إلا بالثمن؛ وفي رواية ابن إسحاق: لا أركب بعيراً ليس هو لي، قال: فهو لك، قال: لا، ولكن بالثمن الذي ابتعته، قال: أخذته بكذا وكذا، قال: هو لك، وفي رواية الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر: قال بثمانها. وقد تقدم عن الواقدي أن ثمنها ثمانمائة اشتراها من نعم بني قشير. نأخذ إحداها وهي القصواء وأخرج ابن حبان: أنها الجذعاء.
- (٥) النطاق: كل شيء شددت به الوسط؛ وسميت ذات النطاقين: لأنها كانت تجعل نطاقاً على نطاق، وقيل: كان لها نطاقان؛ تلبس أحدهما، وتحمل في الآخر الزاد لرسول الله ﷺ وهو في الغار.
- (٦) في البخاري والبيهقي: فكمننا.
- (٧) يدلج: يخرج بالسحر، يقال أدلج: إذا سار في أول الليل؛ وأدلج: إذا سار في آخره.
- (٨) منحة عن غنم: أي غنم فيها لبن، وقد تقع المنحة على الهبة مطلقاً لا قرصاً ولا عارية.
- (٩) قال الخطابي: الخريت مأخوذ من خرت الإبرة كأنه يهتدي لمثل خرتها من الطريق، وخرت الإبرة بالضم ثقبها؛ قال الكسائي: خرتنا الأرض إذا عرفناها ولم تخف علينا طرقها. وقال ابن الأثير في «النهاية»: الخريت الماهر الذي يهتدي لآخرات المفازة، وهي طرقها الخفية.
- (١٠) أخرجه البخاري بطوله في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٥) باب هجرة النبي ﷺ؛ وأخرج جزءاً منه في كتاب «الصلاة»؛ وفي كتاب «الإجارة» وفي كتاب «الكفالة»... وفي مواضع أخر مقاطع مختصرة.
- (١١) وفي رواية البيهقي: ثم قل ما لبث في المجلس.
- (١٢) من البيهقي.

فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رحمي فخرجت من ظهر البيت، فخططت بزجه^(١) الأرض وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها ففرت بي^(٢) حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام فاستقسمت بها أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزام فجعل فرسي يقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها فأهويت، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكذ تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار^(٣) ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت الأزام فخرج الذي أكره؛ فناديتهم الأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم^(٤) أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتكم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يرداني ولم يسألاني إلا أن قالوا: أخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من آدم. ثم مضى رسول الله ﷺ^(٥).

وقد روى محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقه فذكر هذه القصة، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضره، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات، وكل ذلك يستقسم بالأزام ويخرج الذي يكره لا يضره. حتى ناداهم بالأمان وسأل أن يكتب له كتاباً يكون أمانة^(٦) ما بينه وبين رسول الله ﷺ، قال فكتب لي كتاباً في عظم - أو رقعة أو خرقة - وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة^(٧) مرجعه من الطائف، فقال له: «يوم وفاء وبر، أدنه» فدنوت منه وأسلمت قال ابن هشام: هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم وهذا الذي قاله جيد.

ولما رجع سراقه جعل لا يلقي أحداً من الطلب إلا رده وقال: كفيتم هذا الوجه، فلما ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة. جعل سراقه يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي ﷺ وما كان من قضية جواده، واشتهر هذا عنه. فخاف رؤساء قريش معرفته، وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم، وكان سراقه أمير بني مدلج ورئيسهم، فكتب أبو جهل - لعنه الله - إليهم:

سُراقه مستغفِر لنصرِ محمدٍ
فيصبح شتى بعد عزٍ وسؤددٍ

لأمرِ جوادي إذ تسوخ قوائمه
رسولٌ وبرهانٌ فمن ذا يقاومه^(٨)
أخال لنا يوماً ستبدوا معالمه^(٩)
وإن جميع الناس طراً مُسالمة^(١٠)

بني مدلج إنني أخاف سفيهكم
عليكم به ألا يفرق جمعكم
قال: فقال سراقه بن مالك يجيب أبا جهل في قوله هذا:
أبا حكم واللّه لو كنت شاهداً
عجبت ولم تشكك بأن محمداً
عليك فكف القوم عنه فإنني
بأمر تودّ النصر فيه فإنهم

(١) الزج: الحديدية التي في أسفل الرمح.

(٢) في البيهقي: فركبتها فرفعتها تقرب. والتقريب: السير دون العدو، وفوق العادة، وقيل: أن ترفع الفرس يديها معاً، وتضعهما معاً.

(٣) في البيهقي: عثان؛ وهو الدخان.

(٤) في البيهقي: عنهما، والرواية بالمشي.

(٥) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٥) باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ح (٣٩٠٦) ورواه البيهقي في «الدلائل» (٤٨٦/٢ - ٤٨٧).

(٦) في «ابن هشام»: آية.

(٧) الجعرانة: بكسر أوله: ماء بين الطائف ومكة؛ وهي إلى مكة أقرب.

(٨) في السهيلي: علمت بدل عجبت؛ ببرهان، بدلاً من وبرهان.

(٩) في «الروض الأنف»: أرى أمره يوماً ستبدو معالمه.

(١٠) في «الروض»: صدره بأمر يود الناس فيه بأسرهم.

وذكر هذا الشعر الأموي في «مغازيه» بسنده عن أبي إسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفوفاً بليغاً.

وقال البخاري بسنده إلى ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام [إلى مكة] (١)، فكسى الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطلوا انتظارهم، فلما أورا إلى بيوتهم أوفى (٢) رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول (٣) بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلا صوته: يا معشر العرب (٤) هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين (٥) من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يجيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه. فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع (٦) عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين. وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل (٧) غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما (٨). ثم بناه مسجداً. فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، وهو يقول حين ينقل اللبن:

هذا الجمال لا جمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر
ويقول:

لا هم إن أجر أجرة الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة (٩)

- (١) من «دلائل البيهقي».
- (٢) أوفى: صعد إلى مكان عالٍ وأشرف منه على ما تحته.
- (٣) قال ابن حجر، يزول بسبب عروضهم له؛ وفي رواية: يلوح بهم.
- (٤) وفي رواية: يا بني قيلة، وهي جدة الأنصار؛ والدة الأوس والخزرج انظر «شرح المواهب» (٣٥٠/١).
- (٥) منهم من يقول لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول؛ والحديث المعروف لائنتي عشرة خلت منه، وقيل لثمان خلون وقال أبو سعيد في شرف المصطفى من طريق أبي بكر بن حزم: ثلاث عشرة من ربيع الأول؛ وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال.
- وعن عبد الرحمن بن عويم قال: وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه لبث فيهم ثمان عشرة ليلة البيهقي (٥١٢/٢).
- (٦) وفي رواية البيهقي: ثلاث ليالٍ. وفي «ابن سعد» أربع عشرة ليلة. وفي البيهقي عن ابن إسحاق: أقام يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس.
- (٧) وهما ابنا رافع بن أبي عمرو بن عباد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار؛ وفي البيهقي إنهما كانا في حجر معاذ بن عفراء وقد شهد سهيل بدرأ والمشاهد كلها ومات في خلافة عمر، ولم يشهد سهل بدرأ وشهد غيرها ومات قبل أخيه سهيل. وقال الواقدي: عن الزهري: كانا في حجر أسعد بن زرارة. وفي «سيرة ابن هشام» قال معاذ: هما يتيمان لي. وفي رواية أخرى عنده: وهما في حجر معاذ بن عفراء.
- (٨) في رواية البيهقي: قال معاذ بن عفراء: سأرضيهما منه فاتخذه مسجداً، وقال قائلون: اشتراه وقال الواقدي: ابتاعه منهما بعشرة دنائير؛ وأمر أبا بكر أن يعطيها ذلك.
- (٩) وفي «السيرة لابن هشام»: وارتجز المسلمون وهم بينونه يقولون:
لا عيش إلا عيش الآخرة
قال ابن هشام: هذا كلام وليس برجز.
ويقول رسول الله ﷺ: لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار.

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات. هذا لفظ البخاري وقد تفر بروايته دون مسلم^(١)، وله شواهد من وجوه آخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية، ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أولاً فاولاً.

قال الإمام أحمد: حدثنا عمرو بن محمد، أبو سعيد العنقزي، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى منزلي. فقال: لا حتى تحدثنا كيف صنعت حتى خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدجنا فأحشنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت بصري هل أرى ظلاً ناوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعي غنم، فقلت لمن أنت يا غلام؟ فقال لرجل من قريش - فسماه فعرفته، - فقلت هل في غنمك من لبن؟ قال نعم! قلت هل أنت حالب لي؟ قال نعم! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعني إداوة على فمها خرقة فحلب لي كثة^(٢) من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ، فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت، ثم قلت هل آن الرحيل: فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ قال: «لا تحزن إن الله معنا» حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح - أو رحين أو قال رحين أو ثلاثة - قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ وبكيت، قال لم تبكي؟ [قلت] أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت» فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي فيها» ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة [ليلاً]^(٣) وتلقاه الناس فخرجوا في الطريق على الأناجير^(٤) واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد، قال وتنازع القوم أيهم ينزل عليه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك» فلما أصبح غدا حيث أمر. قال البراء: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بني فهر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، فقلنا ما فعل رسول الله؟ قال هو على أثري، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه. قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل^(٥) أخرجاه في «الصحيحين» من حديث إسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا الخ. فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به.

وقال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببيعيرهما وبعير له، وأتتهما أسماء

(١) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٥) باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة «فتح الباري» (٢٣٩/٧) وانظر في بناء هذا المسجد: «طبقات ابن سعد» (٢٣٩/١) «سيرة ابن هشام»: (١٤١/٢) «صحيح البخاري» الجزء الأول. الطبري «تاريخه» (٣٩٥/٢) وابن عبد البر في «الدرر» (٨٨) و «سبل الهدى» (٤٨٥/٣) و «نهاية الأرب» للنويري (٣٤٤/١٦) وغيرها كثير.

(٢) الكثة: كل قليل جمعه من طعام أو لبن أو غير ذلك، والجمع كثر انظر «النهاية».

(٣) من «دلائل البيهقي».

(٤) الأناجير: في «النهاية»: الأناجير والأجاجير: يعني السطوح.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/١ - ٣) ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢٣٩/١) والبيهقي (٤٨٣/٢) و (٥٠٣) و (٥٠٤) وعنهم الصالحي في «السيرة الشامية» (٣٤٥/٣).

والبخاري في (٦٣) كتاب (٤٥) باب ح (٣٩٢٤) وفي (٦٦) كتاب (٦) باب «فتح الباري» (٧/٧) و (٢٥٩/٧) ومسلم في (٥٣) كتاب «الزهد» (١٩) باب (٢٣١٠/٤) ح (٧٥).

وأشار المزني في «تحفة الأشراف» (٥٥/٢) أن النسائي أخرجه في «سننه» عن إسماعيل بن مسعود، عن خالد.

بنت أبي بكر بسفرتيها، ونسيت أن تجعل لها عصاماً^(١) فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفره فإذا ليس فيها عصام، فتحل نطاقها فتجعله عصاماً ثم علقتها به. فكان يقال لها ذات النطاقين لذلك.

قال ابن إسحاق: فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال: اركب فداك أبي وأمي، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركب بعيراً ليس لي» قال: فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي. قال: «لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به» قال كذا وكذا. قال: «أخذتها بذلك» قال هي لك يا رسول الله.

وروى الواقدي بأسانيده أنه عليه السلام أخذ القصواء، قال وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم. وروى ابن عساكر من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: وهي الجدعاء وهكذا حكى السهيلي عن ابن إسحاق أنها الجدعاء والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فركبا وانطلقا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاة خلفه، ليخدمهما في الطريق فحدثت عن أسماء أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمه طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم. قالت: فمكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خيراً جزائه
هما نزل بالبر ثم تروحا
ليهن بني كعب مكان فتاتهم
رفيقين حلاً خيمتي أم مغبدي
فأفلح من أمسى رفيق محمد
ومقعدهما للمؤمنين بمرصد

قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: وكانوا أربعة؛ رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبد الله بن أرقد^(٢) كذا يقول ابن إسحاق، والمشهور عبد الله بن أريقط الدثلي. وكان إذ ذاك مشركاً.

قال ابن إسحاق: ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج^(٣)، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً^(٤)، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخزار^(٥) ثم أجاز بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لقفاً^(٦)، ثم أجاز بهما مدلجة لقف، ثم استبطن بهما مدلجة محاج^(٧) ثم سلك بهما مرجح مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي العضوين، ثم بطن ذي كشد^(٨)، ثم أخذ بهما على الجدادج^(٩)، ثم على الأجرد^(١٠)، ثم سلك بهما ذا سلم، من بطن أعداء مدلجة تغهن^(١١)، ثم على العباييد، ثم أجاز بهما القاحة. ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له: ابن الرداء - إلى المدينة وبعث معه غلاماً يقال له مسعود بن هنيذة، خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بها ثنية العائر عن يمين ركوبة - ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن

(١) العصام: ما تعلق به السفره وغيرها.

(٢) في «ابن هشام»: أرقط وقد تقدم التعليق عليه.

(٣) أمج: بلد من أعراض المدينة؛ وقيل وإد يأخذ من حرة بني سليم «معجم البلدان».

(٤) قديداً: اسم موضع قرب مكة، وفي «معجم ما استعجم» أن هذه القرية سميت قديداً لتعدد السيول بها، وهي لخزاعة.

(٥) الخزار: موضع بالحجاز، وقيل وإد أو ماء في المدينة «معجم البلدان».

(٦) لقف: ماء وآبار كثيرة، وقيل واد من ناحية السوارقية على فرسخ.

(٧) محاج: قال ياقوت والصحيح عندنا غير ذلك - قال الزبير بن بكار: وهو مجاج بفتح الميم.

(٨) كشد: كذا بالأصل، وفي «ياقوت» كشر بين مكة والمدينة.

(٩) جدا جد: يجوز أن يكون جمع جدجد، وهي البئر القديمة؛ وهي هنا الأرض المستوية الصلبة «معجم البلدان».

(١٠) الأجرد: اسم جبل من جبال القبلية، قال نصر: بين المدينة والشام «معجم البلدان».

(١١) تغهن: اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة.

هشام - حتى هبط بهما بطن ريم، ثم قدم بهما^(١) قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل.

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحواً من ذكر هذه المنازل، وخالفه في بعضها والله أعلم قال أبو نعيم: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، عن السراج، حدثنا محمد بن عبادة بن موسى العجلي، حدثني أخي موسى بن عبادة حدثني عبد الله بن سيار، حدثني إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه. قال: لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مروا بإبل لنا بالجحفة، فقال رسول الله ﷺ: «لمن هذه الإبل؟» فقالوا لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «سلمت إن شاء الله، فقال ما اسمك؟» قال مسعود، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «سعدت إن شاء الله». قال فاتاه أبي فحملة على جمل يقال له ابن الرداء.

قلت: وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين. والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة واجتاز في مروره على أم معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة، قال ابن هشام. وقال يونس عن ابن إسحاق: اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم. وقال الأموي: هي عاتكة بنت تبيع حليف بني منقذ بن ربيعة بن أصرم بن صنييس^(٢) بن حرام بن خيسة بن كعب بن عمرو، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد، واسمه أكرم^(٣) بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم بن صنييس، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.

وهذه قصة أم معبد الخزاعية: قال يونس عن ابن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف^(٤) بن معبد بن ربيعة بن أصرم فأرادوا القرى فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله، وحلب في العس حتى أرغى وقال: «اشربي يا أم معبد» فقالت: اشرب فأنت أحق به فرده عليها فشربت، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله. فقالت: ما أدري ما تقولون، قدمنا فتى حالب الحائل. قالت قريش: فذاك الذي نريد. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن عقبة، بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، ثنا أبي عن أبيه عن جابر. قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار، إذا في الغار جحر فألقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شيء. فأقاما في الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد فأرسلت إليه أم معبد إنني أرى وجوهاً حساناً، وإن الحي أقوى على كرامتكم مني، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة، فقال رسول الله ﷺ: «أردد الشفرة وهات لنا فرقاً» يعني القدح فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد. قال هات لنا فرقاً فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فحلب فملاً القدح فشرب وسقى أبا بكر، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد. ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد. وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدث عنه إلا يعقوب بن محمد وإن كان معروفاً في النسب.

وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي ثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني، سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلي عن أبي بكر الصديق [رضي الله عنه]. قال: خرجت مع

(١) ما بين معكوفين سقط من الأصل واستدرك من «سيرة ابن هشام».

(٢) في «ابن سعد» ضبييس وفي «الإصابة» خبييس.

قال السهيلي: اسمها عاتكة بنت خلد إحدى بني كعب من خزاعة وهي أخت حبيش بن خلد، وخلد الأشعر أبوهما هو ابن خنيف بن

منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبييس بن عرم بن حبشية بن كعب بن عمرو.

وذكرها ابن سعد قال: عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبييس بن حرام. من خزاعة.

(٣) في ابن سعد: اسمه تميم؛ وهو ابن عمها عبد العزى وذكر تمام نسبهما وكان منزلهما بقديد.

(٤) في البيهقي: خالد بن منقذ بن ربيعة.

رسول الله ﷺ من مكة فانتبهنا إلى حي من أحياء العرب، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت منتحياً فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت: يا عبد الله! إنما أنا امرأة وليس معي أحد، فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى، قال فلم يجبهما وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز [لها] يسوقها، فقالت: يا بني انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمي: اذبحا هذه وكلا وأطعمانا، فلما جاء قال له النبي ﷺ: «انطلق بالشفرة وجثني بالقدح» قال إنها قد عزبت وليس بها لبن، قال انطلق، [فانطلق] فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها، ثم حلب حتى ملأ القدح، ثم قال: انطلق به إلى أمك، فشربت حتى رويت، ثم جاء به فقال: انطلق بهذه وجثني بأخرى ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ [قال] فبتنا ليلتنا، ثم انطلقنا. فكانت تسميه المبارك. وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة، فمر أبو بكر فرأى ابنها فعرفه، فقال: يا أمه هذا الرجل الذي كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال أو ما تدريين من هو؟ قالت: لا، قال هو نبي الله. قالت: فأدخلني عليه. قال: فأدخلها فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاهما - زاد ابن عبدان^(١) في روايته - قالت فدلني عليه، فانطلقت معي وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط ومتاع الأعراب. قال فكساها وأعطاهما. قال: ولا أعلمه إلا قال وأسلمت^(٢). إسناده حسن.

وقال البيهقي: هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد، والظاهر أنها هي والله أعلم^(٣). وقال البيهقي^(٤) أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي. قالوا: ثنا أبو العباس الأصم ثنا الحسن بن مكرم حدثني أبو أحمد بشر^(٥) بن محمد السكري ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ثنا أبجر بن الصباح^(٦) عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت أم معبد امرأة برزة^(٧) جلدة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة^(٨) فتطعم وتسقى، فسألوها هل عندها لحم أولبن يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك. وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوذكم القرى، وإذا القوم مرملون مستتون^(٩). فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر خيمتها، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: «فهل بها من لبن؟» قالت هي أجهد من ذلك. قال تأذنين لي أن أحلبها؟ قالت إن كان بها حلب فاحلبها. فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بأناء لها يربض الرهط فتفاجت واجترت فحلب فيها ثجا حتى ملأه^(١٠) وأرسله إليها فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل، حتى إذا رويوا شرب آخرهم وقال «ساقى القوم آخرهم» ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره

- (١) أحد إسناده رواية البيهقي. واسمه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان.
 - (٢) قال الواقدي وغيره أنها تأخرت في إسلامها وبيعها إلى أيام عمر بن الخطاب، وكان ذلك بعد سنة ثماني عشرة «الطبقات» (٨/٢٨٩).
 - (٣) «دلائل البيهقي» (٢/٤٩١ - ٤٩٢) وقال: وقد ذكر ابن إسحاق من قصة أم معبد شيئاً يدل على أنها وهذه واحدة وانظر «الروض الأنف» (٨/٢) و «شرح السيرة لأبي ذر» (١/١٢٦) و «السيرة الشامية» (٣/٣٥٠).
 - (٤) في «دلائل البيهقي» - باب حديث أم معبد - روى البيهقي حديثاً طويلاً من طرق ثلاث كلها عن حبيش بن خالد أخو عاتكة - أم معبد (١/٢٧٧ - ٢٧٨) ولم يرد في روايته من طريق أبي معبد، ولعل ابن كثير وهم في إسناده هذه الرواية إلى البيهقي، والرواية التالية - والتي رواها ابن سعد في «الطبقات» (١/٢٣٠) عن أبي معبد قريبة جداً من رواية البيهقي.
 - (٥) في «ابن سعد»: محمد بن بشر بن محمد السكري.
 - (٦) في «ابن سعد»: الحر بن الصباح.
 - (٧) امرأة برزة: يريد أنها خلا لها سن فهي تبرز، ليست بمنزلة الصغيرة المحجوبة، والبرزة إذا كانت كهلة لا تحجب احتجاب الشباب وهي مع ذلك عاقلة تجلس للناس وتحديثهم، من البروز وهو الظهور.
 - (٨) كذا في الأصل وابن سعد وفي رواية البيهقي: القبة.
 - (٩) مرملون: أصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل؛ يريد قد نفذ زادهم.
 - (١٠) مستتون، وتروى مشتون أي دخلوا في الشتاء ومستتون: أي داخلون في السنة وهي الجذب والمجاعة.
- (١٠) هكذا في الأصل حتى ملأه، وفي الكلام نقص؛ وفي ابن سعد: حتى عليه الشمال. وفي البيهقي: حتى علاه البهاء: أي بهاء اللبن، وهو ويص رغوته، يريد أنه ملأها.

عندها ثم ارتحلوا قال فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزراً عجافاً يتساوكن^(١) هزلي لا نقي بهن، مخهن قليل فلما رأى اللبن عجب وقال من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاء عازب^(٢)؟ فقالت: لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. فقال صفيه لي فوالله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب. فقالت رأيت رجلاً ظاهر الوضأة حسن الخلق مليح^(٣) الوجه لم تعب ثجلة^(٤) ولم تزر به صعلة قسيم وسيم في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف^(٥)، وفي صوته صحل^(٦). أحول أكحل أزج أقرن في عنقه سطع وفي لحيته كثائة. إذا صممت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر^(٧) كان منطقته خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحسنه من قريب. ربعة لا تنساه^(٨) عين من طول، ولا تقتحمه^(٩) عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً^(١٠) له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره. محفود^(١١) محشود، لا عابس ولا معتد^(١٢) فقال - يعني بعلمها -: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول وهو يقول:

رفيقين حلا خيمتي أم معبد^(١٣)
فأفلح من أمسى رفيق محمد
به من فعّال لا تجارى وسؤدد^(١٥)
فإنكم إن تسالوا الشاة تشهد
له بصريح ضرة الشاة مزيد
يدّر لها في مصدر ثم مورد^(١٦)

جزى الله رب الناس خير جزائه
هما نزلاً بالبر وارتحلا به^(١٤)
فيال قصي ما زوى الله عنكم
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
دعاهما بشاة حائل فتحلبت
فغادره رهناً لديها لحالب

قال وأصبح الناس - يعني بمكة - وقد فقدوا نبيهم، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ قال وأجابه حسان بن ثابت:

- (١) في «ابن سعد»: ما تساوق. والتساوك: السير الضعيف، وقيل رداءة المشي قال الأزهري: تقول العرب جاءت الغنم تساوك: أي تمايل من الهزال والضعف في مشيها.
- (٢) الشاء العازب: أي بعيدة عن المرعى لا تأوي المنزل في الليل.
- (٣) في «ابن سعد»: متبلج الوجه، وفي البيهقي: أبلج الوجه.
- (٤) وفي البيهقي: نحلة. والثجلة: أي ضخم البطن.
- (٥) والنحلة والنحلة: بمعنى الدقة والضمر والنحول.
- (٦) وصعلة: صغر الرأس.
- (٧) وفي البيهقي عطف؛ قال القتيبي: سألت عنه الرياشي فقال: لا أعرف العطف. وأحسبه قال غطف: وهو أن تطول الأشجار ثم تنعطف؛ وقال: وتروى وطف: وهو الطول.
- (٨) صحل: كما في «ابن سعد» وفي البيهقي سهل. هما واحد: أي كالبحة وهو أن لا يكون حاداً.
- (٩) فصل لا نزر ولا هذر: أي وسط ليس بقليل ولا كثير.
- (١٠) في «ابن سعد»: ربعة لا تنشؤه من طول. وفي البيهقي: ربعة لا بأس من طول: يحتمل أن يكون معناه: إنه ليس بالطويل الذي يؤيس مباريه عند مطاولته، ويحتمل أن يكون تصحيفاً؛ قال البيهقي: وأحسبه: لا بائن من طول.
- (١١) لا تقتحمه عين من قصر: لا تحتقره ولا تزدره.
- (١٢) في «ابن سعد» والبيهقي: قدراً.
- (١٣) محفود: مخدوم؛ محشود: من حشد: أي إذا أردت أنك أعددت له وجمعت. وقيل: حشده أصحابه: أطافوا به.
- (١٤) في «ابن سعد»: لا عابث ولا مفند، وفي البيهقي: لا عابس ولا مفند.
- (١٥) في البيهقي: قال مكان حلا: من القيلولة.
- (١٦) في البيهقي: هما نزلاها بالهدى واهتدت به فقد فاز. وفي «ابن هشام»: هما نزلا بالبر ثم تروحا..
- (١٧) في «ابن سعد»: لا يجازي بدلاً من لا تجارى.
- (١٨) في البيهقي: فغادرها بدلاً من فغادره، ويردها بدلاً من يدّر لها وفي «ابن سعد»: تدر بها.

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيهم^(١)
ترخّل عن قوم فزالَتْ عقولهم
[هداهم به بعد الضلالة رُبهم
وهل يستوي ضلال قوم تسفّوها
نبي يرى ما لا يرى الناسُ حوله
وإن قال في يوم مقالة غائب
ليهن أبا بكرِ سعادة جده
ويهن بني كعب مكان فتاتهم

وقد سرّ^(٢) من يسري إليهم ويغتدي
وحلّ على قوم بنور مجدّد
وأرشدهم من يتبع الحقّ يرشد^(٣)
عمى وهداة يهتدون بمهتد؟
ويتلو كتاب اللّٰه في كل مشهد^(٤)
فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد^(٥)
بصخبته من يسعد اللّٰه يسعد
ومقعدها للمسلمين بمرصد^(٦)

قال - يعني عبد الملك بن وهب - فبلغني أن أبا^(٧) معبد أسلم وهاجر إلى النبي ﷺ. وهكذا روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي فذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك: بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ ثم رواه أبو نعيم^(٨) من طرق عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي عن أبيه محرز بن مهدي عن حرام بن هشام عن^(٩) حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمة^(١٠) أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحبني بفناء القبة، وذكر مثل ما تقدم سواء. قال وحدثناه - فيما أظن - محمد بن أحمد بن علي بن مخلد ثنا محمد بن يونس بن موسى - يعني الكديمي - ثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ثنا محمد بن سليمان بن سليط الأنصاري: حدثني أبي عن أبيه سليط البدري. قال: لما خرج رسول الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق، مر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها: «يا أم معبد هل عندك من لبن؟» قالت: لا والله إن الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة؟ قالت خلفها الجهد عن الغنم؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم.

ثم قال البيهقي: يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ - إملأ - حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن غالب، ثنا أبو الوليد، ثنا عبد الله^(١١) بن إياد بن لقيط، ثنا إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان، قال لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين، مروا بمعبد يرضى غنماً، فاستسقىاه اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء، وقد أخذجت^(١٢) وما بقي لها من اللبن، فقال ادع بها، فدعا بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن

(١) في ابن سعد والسهيلي: غاب بدل زال.

(٢) في ابن سعد والبيهقي وأبي ذر: وقْدس: بمعنى طهر.

(٣) سقط من الأصل واستدرك من البيهقي.

(٤) في البيهقي: مسجد بدل مشهد.
وقبله:

ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

وقد نزلت منه على أهل يشرب

(٥) عجزه في ابن سعد: فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد.

(٦) في البيهقي: مقام بدل مكان. وللمؤمنين بدل للمسلمين.

(٧) في ابن سعد: قال عبد الملك: بلغني أن أم معبد هاجرت إلى النبي ﷺ وأسلمت.

(٨) ورواه البيهقي من نفس طرق أبو نعيم: وأسانيده: مكرم بن محرز وليس بكر بن محرز وحزام بن هشام بدلاً من حرام.

(٩) من البيهقي؛ وفي الأصل بن وهو تحريف.

(١٠) في البيهقي: على خيمتي أم معبد.

(١١) في «دلائل البيهقي» (٤٩٧/٢) عبيد الله بن إياد بن لقيط، عن قيس بن النعمان.

(١٢) في البيهقي أخرجت وخذجت: ألفت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق، وأخذجت: ولدته ناقص الخلق وإن كان لتنام الحمل.

فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب. فقال الراعي: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: أو تراك تكتنم علي حتى أخبرك؟ قال: نعم! قال فلاني محمد رسول الله. فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابيء؟ قال: إنهم ليقولون ذلك. قال: فلاني أشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك. قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا. ورواه أبو يعلى الموصلي عن جعفر بن حميد الكوفي عن عبد الله بن إياد بن لقيط به. وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال: حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود. قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة^(١) بن أبي معيط بمكة، فأتى رسول الله ﷺ وأبو بكر. وقد فرأ من المشركين - فقال: «يا غلام عندك لبن تسقيننا؟ فقلت إني مؤتمن ولست بساقيكما، فقالا هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد؟ قلت نعم! فأتيتهما بها، فاعتقلا أبو بكر، وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع، وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها. ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني، ثم قال للضرع: أقلص فقلص. فلما كان بعد، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله ﷺ «إنك غلام معلّم» فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعي فيها أحد^(٢). فقوله في هذا السياق وقد فرأ من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة، إنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة. فإن ابن مسعود ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم، وقصته هذه صحيحة ثابتة في «الصحيح» وغيرها والله أعلم.

[وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله - هو الزبيرى - حدثني أبي عن فائد مولى عبادل قال خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد - وسعد هو الذي دل رسول الله ﷺ على طريق ركوبه^(٣) - فقال إبراهيم] أخبرني ما حدثك أبوك؟ قال ابن سعد: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر - وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة - وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة، فقال له سعد: هذا الغائر^(٤) من ركوبه وبه لسان من أسلم يقال لهما المهانان. فإن شئت أخذنا عليهما، فقال النبي ﷺ: «خذ بنا عليهما» قال سعد فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه هذا اليماني. فدعاها رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان. فقال: «بل أنتما المكرمان» وأمرهما أن يقدما عليه المدينة فخرجنا [ننا] حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله ﷺ: «أين أبو أمامة أسعد بن زرارة؟» فقال سعد بن خيشمة. إنه أصاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء، فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر هذا المنزل. رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بني مدلج انفرد به أحمد^(٥).

فصل

في دخوله عليه السلام المدينة وأين استقر منزله [بها]^(٦)

قد تقدم فيما رواه البخاري عن الزهري عن عروة أن النبي ﷺ دخل المدينة عند الظهر.

قلت: ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في «الصحيحين» من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب عن أبي بكر في حديث الهجرة قال فقدمنا ليلاً فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك» وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلاً، وأنه أطلق على ما بعد

(١) من البيهقي وابن سعد: وفي الأصل عتبة وهو تحريف.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١٧١/٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (٣٧٩/١) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٥٣٧/٢).

(٣) من «مسند أحمد» (٧٤/٤) وفي الأصل ركونة؛ وركوبة ثنية بين مكة والمدينة عند العرج قرب جبل ورقان.

(٤) من «مسند أحمد»، وفي الأصل: الغامر.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٤/٤). وما بين معكوفتين في الخبر زيادة من «المسند».

(٦) زيادة من «السيرة النبوة» لابن كثير.

الزوال ليلاً، فإن العشي من الزوال، وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء كما سيأتي فسار فما انتهى إلى بني النجار إلا عشاء كما سيأتي بيانه والله أعلم.

وذكر البخاري عن الزهري عن عروة أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة وأسس مسجد قباء في تلك الأيام، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكان مسجده، وكان مريداً لغلامين يتيمين وهما سهل وسهيل، فابتاعه منهما واتخذ مسجداً. وذلك في دار بني النجار رضي الله عنهم.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير [عن عروة بن الزبير]^(١) عن عبد الرحمن بن عويم^(٢) بن ساعدة قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي ﷺ قالوا: لما بلغنا مخرج النبي ﷺ من مكة وتوقفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي ﷺ فوالله، ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا - وذلك في أيام حارة - حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذ لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه من رجل من اليهود [وقد رأى ما كنا نصنع، وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا]^(٣) فصرخ بأعلا صوته: يا بني قيلة! هذا جدكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر في مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك: وركبه^(٤) الناس وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك. وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخاري وكذا ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه». وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم ثنا سليمان [بن المغيرة]، عن ثابت عن أنس بن مالك. قال: إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئاً، ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر، فكمنا في بعض خراب^(٥) المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق^(٦) لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهما هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به. قال أنس: فلقد رأيت يوم دخل علينا ويوم قبض. فلم أر يومين شبيهاً بهما ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بنحوه - أو مثله^(٧) - وفي «الصحيحين» من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة، قال: وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله. فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر^(٨). وقال البيهقي أخبرنا أبو عمرو الأديب أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي: سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا
مَنْ تُنْنِيَاتِ الْوَدَاعِ
مَا دَعَا لَلُّهُ دَاعِ^(٩)

قال محمد بن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ - فيما يذكرون يعني حين نزل - بقباء على كلثوم^(١٠) بن الهدم أخي بني

(١) من «ابن هشام».

(٢) في «ابن هشام»: عويمر.

(٣) من «ابن هشام».

(٤) أي ازدحموا عليه.

(٥) في رواية البيهقي: حدار.

(٦) العواتق: جمع عاتق، وهي الشابة أول ما تدرك، وقيل هي التي لم تبين من والدتها، ولم تزوج بعد وقد أدركت وشبت.

(٧) «دلائل النبوة» (٥٠٧/٢).

(٨) «فتح الباري» (٨/٧) ومسلم في (٥٣) كتاب «الزهد» (١٩) باب في حديث الهجرة ح (٧٥) ص (٢٣١٠/٤).

(٩) «دلائل النبوة» (٥٠٦/٢) وعزاه ابن حجر في «الفتح» (٣٠٧/٧) إلى أبي سعيد في «شرف المصطفى» و«فوائد الخلمي» وقال -

أي ابن حجر - (سند معضل) وابن عائشة وهو عبيد الله بن محمد بن حفص ثقة مات سنة (٢٨) هـ وقيل له ابن عائشة نسبة

إلى عائشة بنت طلحة انظر «التقريب» لابن حجر رقم (٤٣٦٣).

(١٠) كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، مات بعد =

عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد، ويقال بل نزل على سعد بن خيشمة، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم: إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيشمة، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له، وكان يقال لبيته بيت الأعزاب^(١) والله أعلم. ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنع وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده، ثم لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهدم. فكان علي بن أبي طالب إنما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين. يقول: كانت بقاء امرأة لا زوج لها مسلمة، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه فيعطئها شيئاً معه فتأخذه، فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطئك شيئاً لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف. وقد عرف أي امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذا، فكان علي رضي الله عنه يآثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقاء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك. وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق قال: وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانى عشر ليلة.

قلت: وقد تقدم فيما رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه قال: أقام رسول الله ﷺ فينا - يعني في بني عمرو بن عوف بقاء - اثنتين وعشرين ليلة. وقال الواقدي: ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي - وادي رانواناء^(٢) فكان أول جمعة صلاها بالمدينة^(٣). فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت^(٤) دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة؟ قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» فخلوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا في العدد والمنعة. قال «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار - وهم أخواله - دنيا أم عبد المطلب، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم، اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن خارجة^(٥) في رجال من بني عدي بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة؟ قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم، وكان يومئذ مريداً لغلّامين يتيمين من بني مالك بن النجار، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو، وكانا في حجر معاذ بن عفراء.

= قدوم رسول الله ﷺ ببسير، وكان مسناً، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ وكان كلثوم يكنى أبا قيس «الروض - الاستيعاب».

- (١) من ابن هشام، وفي الأصل العزاب وهو تحريف.
- (٢) في رواية جرير بن حازم عن ابن إسحاق: بيطن مهزور «دلائل البيهقي» (٢/٥٠٤).
- (٣) قال ابن سعد: فلما أتى مسجد بني سالم جمع بمن كان معه من المسلمين وهم مائة.
- (٤) في «ابن هشام»: وازنت.
- (٥) في «الإصابة»: أسير بن عمرو بن قيس أبو سليط البديري، وفي «ابن هشام»: بن أبي خارجة.

قلت: وقد تقدم في رواية البخاري من طريق الزهري عن عروة أنها كانا في حجر أسعد بن زرارة والله أعلم.
وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ مرّ في طريقه بعبد الله بن أبي بن سلول وهو في بيت. فوقف رسول الله ﷺ ينتظر أن يدعوه إلى المنزل - وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم - فقال عبد الله: أنظر الذين دعوك فأنزل عليهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لنفر من الأنصار. فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه: لقد منّ الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا^(١).

قال موسى بن عقبة: وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحاً على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيماً له، وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ: «دعوها فإنها مأمورة وإنما أنزل حيث أنزلني الله» فلما انتهت [الناقة] إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابنتى مسجده ومساكنه.

قال ابن إسحاق: لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت [إلى] خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت^(٢) ورزمت ووضعت جرائها فنزل عنها رسول الله ﷺ. فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المبرد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذ مسجداً، فأمر به رسول الله ﷺ أن يبني ونزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار.

وستأتي قصة بناء المسجد قريباً إن شاء الله. وقال البيهقي في «الدلائل»: وقال أبو عبد الله أخبرنا أبو الحسن علي بن عمرو الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدوري ثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبي الورد ثنا إبراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس. قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا: إنا يا رسول الله. فقال: «دعوا الناقة فإنها مأمورة» فبركت على باب أبي أيوب، فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أتحبونني؟» فقالوا: أي والله يا رسول الله. فقال: «وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم» هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن، وقد خرجه الحاكم في «مستدرکه» كما يروى^(٣). ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد، ثنا عمر بن الحسن الحلبي، حدثنا أبو خيثمة المصيصي، ثنا عيسى بن يونس، عن عوف الأعرابي، عن ثمامة عن أنس. قال: مر النبي ﷺ بحي من بني النجار، وإذا جوار يضربن بالدفوف يقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال رسول الله ﷺ: «يعلم الله أن قلبي يحبكم»^(٤) ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به. وفي «صحيح البخاري» عن معمر، عن عبد الوارث، عن عبد العزيز، عن أنس قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين - حسبت أنه قال من عرس - فقام النبي ﷺ مثلاً فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إلي» قالها ثلاث مرات. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثني عبد العزيز بن صهيب ثنا أنس بن مالك، قال: أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله ﷺ شاب لا يعرف^(٥)، قال

(١) نقل الخبر «وفاء الوفا» (١/١٨٤) ونقله البيهقي في «الدلائل» (٢/٥٠٠) وفيه: فقال له سعد بن عبادة: إنا والله يا رسول الله لقد كنا قبل الذي خصنا الله به منك، ومن علينا بقدمك، أردنا أن نعقد على رأس عبد الله بن أبي التاج ونملكه علينا.

(٢) قال السهيلي: «وفسه ابن قتيبة على تلحاح: أي لزم مكانه ولم يبرح. قال: وتحلحلت؛ معناه زال عن موضعه. وقال أبو ذر: تحلحلت معناه: تحركت وانزجرت».

(٣) نقله السيوطي عن البيهقي في «الخصائص الكبرى» (١/١٩٠) ورواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٥٠٨).

(٤) في «البيهقي» (٢/٥٠٨) يجبكن.

(٥) يريد هنا: دخول الشيب في لحيته دونه لا السن.

فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اصصره» فصرعه فرسه ثم قامت تمحمم، ثم قال: مرني يا نبي الله بما شئت. فقال: «قف مكانك ولا تترك أحداً يلحق بنا». قال فكان أول النهار جاهداً عن رسول الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له. قال فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا فسلموا عليهما وقالوا اركبا أمينين مطاعين. فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح، وقيل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ينظرون إليه ويقولون: جاء نبي الله. قال فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب، قال فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يجترف^(١) لهم، فعجل أن يضع الذي يجترف فيها فجاء وهي معه، وسمع من نبي الله ﷺ ورجع إلى أهله، وقال نبي الله: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي قال فانطلق فهى لنا مقيلاً، فذهب فهياً [لها مقيلاً]^(٢) ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيأت مقيلاً قوماً على بركة الله فقيلاً، فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك نبي الله حقاً، وأنت جئت بحق ولقد علمت يهود أي سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم^(٣)، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أي رسول الله حقاً وأني جئت بحق أسلموا». فقالوا: ما نعلمه، ثلاثاً. وكذا رواه البخاري منفرداً به عن محمد^(٤) غير منسوب عن عبد الصمد به.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم السماعي حدثني أبو أيوب. قال: لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له بأبي أنت، أمي يا رسول الله، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فإظهر أنت فكن في العلو ونزل نحن فنكون في السفلى، فقال: «يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفلى البيت» فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن. فلقد انكسر حب^(٥) لنا فيه ماء، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا، مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه، قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً - أو ثوماً - فرده رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً، قال فجئته فزعاً فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟ فقال: «إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه» قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد^(٦). وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسن - أو أبي الخير - مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم عن أبي أيوب فذكره. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عمرو الخيري، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أحمد بن سعيد الدارمي، ثنا أبو النعمان، ثنا ثابت بن يزيد^(٧) ثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب: أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل في السفلى، وأبو أيوب في العلو فانتبه أبو أيوب فقال: نمشي فوق رأس

(١) في «دلائل البيهقي»: يخترف في الموضوعين. اخترف: جنى من الثمار.

(٢) زيادة من البيهقي.

(٣) زاد البيهقي في روايته للخبر: فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أنني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أنني قد أسلمت قالوا في ما ليس في، فأرسل نبي الله ﷺ إليهم. الخ «دلائل» (٥٢٧/٢).

(٤) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «الأنصار» (٤٥) باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ح (٣٩١١) «فتح الباري» (٧/١٩٩).

قال ابن حجر في «الفتح» محمد هو ابن سلام؛ وقال أبو نعيم في «المستخرج»: أظنه أنه محمد بن المثنى أبو موسى. ورواه البيهقي من طريق أبو معمر عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج عن عبد الوارث.

(٥) حب: الجرة الضخمة.

(٦) «سيرة ابن هشام» (١٤٤/٢) والبيهقي في «الدلائل» (٥١٠/٢) وقال رواه ابن إسحاق... غير أنه قال عن أبي أمامة الباهلي عن أبي أيوب.

(٧) في البيهقي: بن زيد.

رسول الله ﷺ! ففتحوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ - يعني في ذلك - فقال [النبي ﷺ]: «السفل أرفق بنا» فقال لأعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول رسول الله ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السفلى فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاماً، فإذا جاء به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله ﷺ فصنع له طعاماً فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ فقيل له لم يأكل ففرغ وصعد إليه فقال أحرام؟ فقال النبي ﷺ: «لا ولكنني أكرهه» قال فإني أكره ما تكره - أو ما كرهت - قال وكان النبي ﷺ يأتيه الملك^(١). رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به، وثبت في «الصحيحين» عن أنس بن مالك قال: جاء رسول الله ﷺ ببدر^(٢) وفي رواية بقدر فيه خضروات من بقول، قال فسأل فأخبر بما فيها فلما رآها كره أكلها، قال: «كل فإني أناجي من لا تناجي» وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده، وروى عن زيد بن ثابت أنه قال: أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها، قصعة فيها خبز مشرود بلبن وسمن، فقلت أرسلت بهذه القصعة أمي، فقال: «بارك الله فيك» ودعا أصحابه فأكلوا، ثم جاءت قصعة سعد بن عباد ثريد وعراق لحم، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاث والأربعة يحملون الطعام يتناوبون، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر قال وبعث رسول الله ﷺ - وهو نازل في دار أبي أيوب - مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخسمائة درهم ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان، وزيب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله ﷺ.

وقال البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا خلف بن عمرو العكبري، ثنا سعيد بن منصور، ثنا عطف بن خالد، ثنا صديق بن موسى، عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فاستأخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد، فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنزل. فانبعثت به راحلته فقال: «دعوها فإنها مأمورة» ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستأخت ثم تحللت، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فأنقل رحلك إلي؟ قال: نعم! فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه رجل فقال يا رسول الله أين تحل؟ قال: «إن الرجل مع رحله حيث كان» وثبت رسول الله ﷺ في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه، حيث نزل في داره رسول الله ﷺ. وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة - وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه - فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله ﷺ في داره، وملكه كل ما أغلق عليها بابها. ولما أراد الإنصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفاً، وأربعين ديناراً وصلح ما وهى من بنائها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة. وكذلك نزوله عليه السلام في دار بني النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعاً كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، كل قبيلة من قبائلها قد اجتمعوا في محلتهم وهي كالقري المتلاصقة، فاختار الله لرسول الله ﷺ دار بني مالك بن النجار.

وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث شعبة: سمعت قتادة، عن أنس بن مالك. قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير» فقال سعد بن عباد: ما أرى النبي ﷺ إلا قد فضل علينا فقيل قد فضلكم على كثير: هذا لفظ البخاري. وكذلك رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وأبي سلمة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، ومن حديث عباد بن سهل عن أبي حميد عن

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» ج (٢/٥٠٩) ومسلم في (٣٦) كتاب «الأشربة» (٣١) باب إباحة أكل الثوم ح (١٧١) وأخرجه الترمذي في كتاب «الأطعمة» (١٣) باب ح (١٨٠٧) عن محمود بن غيلان وقال: حسن صحيح. وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٩/٤) (٥/٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠٦).

(٢) في «النهاية» لابن الأثير: بدر: طبق مستدير، شبهه بالبدر لاستدارته.

النبي ﷺ بمثله سواء. زاد في حديث أبي حميد؛ فقال أبو أسيد لسعد بن عباد: ألم تر أن النبي ﷺ خير الأنصار فجعلنا آخراً، فأدرك سعد النبي ﷺ فقال: يا رسول الله خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخراً؟ قال: «أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار» قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكُلَّ يَوْمٍ هُمْ فِي خِصَامَةٍ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] وقال رسول الله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، الأنصار شعار والناس دثار» وقال: «الأنصار كرشى وعييتي» وقال: «أنا سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حربهم» وقال البخاري حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة حدثني عدي بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله ﷺ - أو قال: قال رسول الله ﷺ -: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق. فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله» وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به. وقال البخاري أيضاً حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا شعبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» ورواه البخاري أيضاً عن أبي الوليد [و] الطيالسي ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدي أربعتهم عن شعبة به. والآيات والأحاديث في فضائل الأنصار كثيرة جداً. وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس المتقدم ذكره أحد شعراء الأنصار في قدوم رسول الله ﷺ إليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام:

يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً
فلم ير من يؤوي ولم ير داعياً
وأصبح مسروراً بطيبة راضياً
وكان له عوناً من الله باديماً
وما قال موسى إذ أجاب المناديا
قريباً ولا يخشى من الناس نائياً
وأنفسنا عند الوغى والتأسي^(٢)
جميعاً ولو كان الحبيب المواسياً
وإن كتاب الله أصبح هادياً^(٣)
حنانينك لا تظهر علينا الأعاديا^(٤)
تباركت اسم الله أنت المواليا
وإنك لا تبقى لنفسك باقياً^(٥)

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلما أتانا واطمأنت به النوى^(١)
وألفى صديقاً واطمأنت به النوى
يقص لنا ما قال نوح لقومه
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً
بذلنا له الأموال من جل مالنا
نُعادي الذي عادي من الناس كلهم
ونعلم أن الله لا شيء غيره
أقول إذا صليت في كل بيعة
أقول إذا جاوزت أرضاً مخيفة
فطأ معرضاً إن الحتوف كثيرة

(١) في ابن هشام: فلما أتانا أظهر الله دينه.

(٢) في ابن هشام: من حل؛ وتروى من جل بالجيم ومعناه: العظيم الكبير من الإبل، أو معظم كل شيء.

(٣) في ابن هشام: ونعلم أن الله أفضل هادياً.

(٤) في ابن هشام: ورد البيت والذي بعده:

تباركت قد أكثرت لا سمك داعياً

أقول إذا ادعوك في كل بيعة

حنانينك لا تظهر علي الأعاديا

أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة

(٥) قال ابن هشام: هذا البيت والذي يليه لأفتون التغلبي، وهو صريم بن معشر في أبيات له وبعدهما:

واترك في جنب الألهة ثاويماً

كفى حزنناً أن يرحل المركب غدوة

قالها لما أحس بالموت، بعد أن بركت ناقته على حية فنهشته الحية فمات.

فوالله ما يدري الفتى كيف سمعته
ولا تحفل النخل المعيمة ربها
إذا هو لم يجعل له الله واقياً
إذا أصبحت رباً وأصبح ثاويماً^(١)

ذكرها ابن إسحاق وغيره، ورواها عبد الله بن الزبير الحميدي وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عجز من الأنصار قالت: رأيت عبد الله بن عباس يختلف إلى صرمة بن قيس يروي هذه الأبيات. رواه البيهقي.

فصل

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين، ومعقلاً وحصناً منيعاً للمسلمين، ودار هدى للعالمين، والأحاديث في فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردتها فيه إن شاء الله. وقد ثبت في «الصحيحين» من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تارز الحية إلى جحرها»^(٢) ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن شبابة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه. وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تاكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنقي الناس كما ينقي الكير خبث الحديد»^(٣) وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة. وقد قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الوليد، وأبو بكر بن عبد الله قال ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو موسى الأنصاري، ثنا سعيد بن سعيد، حدثني أخي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلي فاسكنني أحب البلاد إليك» فأسكنه الله المدينة^(٤). وهذا حديث غريب جداً والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضم جسد رسول الله ﷺ، وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها هنا ومحلها ذكرناها في كتاب المناسك من «الأحكام» إن شاء الله تعالى. وأشهر دليل لهم في ذلك ما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول: «والله إنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري به. وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهري به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقد رواه يونس عن الزهري به. ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، وحديث الزهري عندي أصح. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: وقف رسول الله ﷺ على الحزورة فقال: «علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»^(٥) وكذا رواه النسائي من حديث معمر به. قال الحافظ البيهقي وهذا وهم من معمر، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة^(٦).

- (١) في الأصل المقيمة، والتصويب من ابن هشام و «شرح السيرة» لابي ذر. والمميمة: العاطشة.
- (٢) رواه مسلم في (١) كتاب «الإيمان» (٦٥) باب ح (٢٣٣) والبخاري في (٢٩) كتاب «فضائل المدينة» (٦) باب ح (١٨٧٦) فتح الباري (٩٣/٤) عن حبيب بن عبد الرحمن بن يساف. وأخرجه الترمذي في «الإيمان» وابن ماجه في «المناسك» وأحمد في «المسند» (١٨٤/١).
- (٣) أخرجه البخاري في (٢٩) «فضائل المدينة» (٢) باب «فتح الباري» (٨٧/٤) ومسلم في (١٥) كتاب «الحج» (٨٨) باب ح (٤٨٨) وأحمد في (٢/٢٣٧، ٢٤٧، ٣٨٤).
- أمرت بقرية: أي أمرني ربي بالهجرة إلى قرية - يثرب ..
- تاكل القرى: تغلبها وتظهر عليها.
- تنقي، وفي «النهاية»: تنقي تخرجه عنها من النقي، وتنقي من إخراج النقي وهو المنع أو من التنقية وهي إفراد الجيد من الردي.
- (٤) دلائل النبوة (٥١٩/٢).
- (٥) أخرجه الترمذي في «المناسك» باب فضل مكة ح (٣٩٢٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه في «المناسك» والنسائي في «سننه الكبرى» على ما ذكره العزي في «حطمة الأشراف» (٣١٦/٥) و (٥٤/١١).
- (٦) دلائل النبوة (٥١٨/٢).

وقال أحد أيضاً حدثنا إبراهيم بن خالد، ثنا رباح، عن معمر بن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن أبي سلمة عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال وهو في سوق الحزورة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» ورواه الطبراني عن أحمد بن خالد الحلبي عن الحميدي عن الدراوردي عن ابن أخي الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به. فهذه طرق هذا الحديث، وأصحها ما تقدم والله أعلم.

وقائع السنة الأولى من الهجرة

اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل سنة سبع عشرة، أو ثماني عشرة - في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه صك - أي حجة - لرجل على آخر وفيه؛ إنه يحل عليه في شعبان. فقال عمر: أي شعبان؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك. فقال قائل: أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد. وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم وكانوا يؤرخون بملك اسكندر ابن فيليبس المقدوني فكره ذلك وقال آخرون: أرخوا بمولد رسول الله ﷺ وقال آخرون بل بمبعثه، وقال آخرون بل بهجرته، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام. فمال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره واتفقوا معه على ذلك.

وقال البخاري في «صحيحه»: التاريخ ومتى أرخوا التاريخ. حدثنا عبد الله بن مسلم ثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد. قال: ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة.

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه. قال: استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة.

وقال أبو داود الطيالسي عن قرعة^(١) بن خالد السدوسي عن محمد بن سيرين قال: قام رجل إلى عمر فقال أرخوا. فقال ما أرخوا؟ فقال شيء تفعله الأعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر: حسن فأرخوا، فقالوا من أي السنين نبدأ؟ فقالوا من مبعثه، وقالوا من وفاته، ثم أجمعوا على الهجرة، ثم قالوا وأي الشهور نبدأ؟ قالوا رمضان، ثم قالوا المحرم فهو مصرف^(٢) الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا^(٣) على المحرم.

وقال ابن جرير: حدثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطائي^(٤) عن عثمان بن محصن أن ابن عباس كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ وَيَا لَيْلٍ عَشْرِ ۝٢﴾ [الفجر: ١ - ٢] هو المحرم فجزر السنة وروى عن عبيد بن عمير. قال: إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسي البيت، ويؤرخ به الناس^(٥)، ويضرب فيه الورق.

وقال أحمد: حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار قال: إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن، وأن رسول الله ﷺ قدم المدينة في ربيع الأول وأن الناس أرخوا لأول السنة.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح عن الشعبي أنهما قالوا: أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت^(٦)، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي، ثم أرخوا من الفيل، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة - أو ثماني عشرة - وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيد وطرقه في «السيرة العمرية» والله الحمد، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة.

(١) من الطبري: وفي الأصل فروة وهو تحريف.

(٢) في الطبري: منصور.

(٣) من الطبري وفي الأصل فاجتمعوا.

(٤) في الطبري: (٢٥٣/٢) الطاحي.

(٥) في الطبري: ويؤرخ التاريخ.

(٦) في رواية الطبري فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة وبني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي.

وعلق الطبري على رواية ابن إسحاق قال: وهذا الذي رواه علي بن مجاهد عن ابن إسحاق غير بعيد من الحق لأنهم لم يكونوا يؤرخون على أمر معروف يعمل به عامتهم وإنما كان المؤرخ منهم يؤرخ بزمان قحمة كانت في ناحية من نواحي بلادهم.

وحكى السهيلي وغيره عن الإمام مالك أنه قال: أول السنة الإسلامية ربيع الأول لأنه الشهر الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ.

وقد استدل السهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] أي من أول يوم حلول النبي ﷺ المدينة، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سني التاريخ عام الهجرة. ولا شك أن هذا الذي قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب، ولكن العمل على خلافه، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة. وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لثلاثا يختلط النظام والله أعلم.

فنقول وبالله المتسعان: استهل سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، وقد بايع الأنصاري بيعة العقبة الثانية كما قدمنا في أوسط أيام التشريق وهي ليلة الثاني عشر من ذي الحجة قبل سنة الهجرة، ثم رجع الأنصار وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ، وحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه في الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بسطه وتأخر علي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ بأمره ليؤدي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريباً من الزوال وقد اشتد الضحاء.

قال الواقدي وغيره: وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. وحكاها ابن إسحاق إلا أنه لم يعرج عليه ورجح أنه لثنتي عشرة ليلة خلت منه، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور. وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة^(١) ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبي جرة^(٢) الضبيعي عن ابن عباس. قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة. وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة. وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبي أنس بن قيس:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً

وقال الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدي خمس عشرة حجة، وهو قول غريب جداً، وأغرب منه ما قال ابن جرير: حدثت عن روح بن عبادة ثنا سعيد بن قتادة قال: نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانين سنين بمكة، وعشراً بالمدينة. وكان الحسن يقول: عشراً بمكة، وعشراً بالمدينة، وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم، وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس. قال: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين. فمكث بمكة عشراً وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال: قرن إسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يلقى إليه الكلمة والشيء وفي رواية يسمع حسه ولا يرى شخصه، ثم كان بعد ذلك جبريل. وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا، وحاول ابن جرير^(٣) أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي والله أعلم.

(١) يعني هنا من أول الوقت الذي استنبى فيه؛ عن عروة عن عائشة قالت: أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم.

(٢) من الطبري، وفي الأصل: أبي حمزة الضبي.

وأبو جرة الضبي، واسمه نصر بن عمران بن عصام الضبي، البصري نزيل خراسان مشهور بكنيته، ثقة ثبت من الثالثة مات سنة ثمان وعشرين. «تقريب التهذيب» (٢/٧٢/٣٠٠).

(٣) قال ابن جرير في (٢/٢٥١) فلعل الذين قالوا كان مقامه بمكة بعد الوحي عشراً عدوا مقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي من الله عز وجل وأظهر الدعاء إلى توحيد الله وعد الذين قالوا كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنبى فيه وكان إسرافيل المقرون به وهي السنون الثلاث التي لم يكن أمر فيها بإظهار الدعوة انظر الحاشية قبل السابقة.

فصل

ولما حل الركاب النبوي بالمدينة، وكان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف وهي قباء كما تقدم فأقام بها - أكثر ما قيل - ثنتين وعشرين ليلة، وقيل ثمان عشرة ليلة. وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة: ثلاث ليال والأشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة، وقد أسس في هذه المدة المختلف في مقدارها - على ما ذكرناه - مسجد قباء، وقد ادعى السهيلي أن رسول الله ﷺ أسسه في أول يوم قدم إلى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] ورد قول من أعربها: من تأسيس أول يوم، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَجْهَ اللَّهِ يَخْتِ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] كما تكلمنا على تقرير ذلك في «التفسير» وذكرنا الحديث الذي في «صحيح» مسلم^(١) أنه مسجد المدينة والجواب عنه. وذكرنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا حسن بن محمد ثنا أبو إدريس ثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: «إن الله قد أحسن عليكم الشاء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟» قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا^(٢). وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» وله شواهد أخر. وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس. وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَجْهَ اللَّهِ يَخْتِ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية. ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه.

قلت: ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم. ومن قال بأنه المسجد الذي أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير. ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبي والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبيرة وعطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم. وقد كان النبي ﷺ يزوره فيما بعد ويصلي فيه، وكان يأتي قباء كل سبت تارة راكباً وتارة ماشياً وفي الحديث: «صلاة في مسجد قباء كعمرة» وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبلة مسجد قباء، فكان هذا المسجد أول مسجد بني في الإسلام بالمدينة، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة. واحترزنا بهذا عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لأن ذلك كان خاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم. وقد تقدم إسلام سلمان في البشارات، [و] أن سلمان الفارسي لما سمع بقدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقباء قال هذا صدقة فكف رسول الله ﷺ فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا. تقدم الحديث بطوله.

فصل

في إسلام عبد الله بن سلام

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا عوف، عن زرارة، عن عبد الله بن سلام. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس، فكنت فيمن انجفل، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته يقول: «يا أيها الناس»^(٣) افشوا السلام وأطعموا الطعام [وصلوا الأرحام]^(٤) وصلوا بالليل والناس نيام،

(١) «صحيح مسلم» في مناسك الحج، باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى عن أبي بكر بن أبي شيبة وسعيد بن عمرو الأشعري كلاهما عن حاتم بن إسماعيل عن حميد الخراط.

(٢) «مسند أحمد» (٤٢٢/٣).

(٣) من «دلائل البيهقي».

(٤) من «المسند».

تدخلوا الجنة بسلام»^(١) ورواه الترمذي وابن ماجه من طرق عن عوف الأعرابي عن زرارة بن أبي أوفى به عنه. وقال الترمذي صحيح. ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبي ﷺ ورآه أول قدومه حين أناخ بقباء في بني عمرو بن عوف. وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبي أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بني النجار كما تقدم؛ فلعله رآه أول ما رآه بقباء، واجتمع به بعدما صار إلى دار بني النجار. والله أعلم. وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس. قال: فلما جاء النبي ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في. فأرسل نبي الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه. فقال لهم: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فأسلموا» قالوا ما نعلمه. قالوا [ذلك] للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار. قال: «أي رجل فيكم عبد الله»^(٢) بن سلام؟ قالوا ذلك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: «أرأيتم إن أسلم، قالوا حاش لله ما كان ليسلم»^(٣). قال: «يا ابن سلام اخرج عليهم» فخرج فقال: يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق. فقالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ^(٤). هذا لفظه. وفي رواية^(٥) فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا: شربنا وابن شربنا، وتنقصوه فقال: يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني^(٦) ثنا عبد الله بن أبي بكر، ثنا حميد عن أنس. قال: سمع عبد الله بن سلام بقدم النبي ﷺ. - وهو في أرض له - فأتى النبي ﷺ: فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي. ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله^(٧) أهل الجنة؟ وما بال الولد إلى أبيه أو إلى أمه^(٨)؟ قال: «أخبرني بهن جبريل أنفاً» قال جبريل؟ قال: «نعم»! قال: عدو اليهود من الملائكة. ثم قرأ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] قال: «أما أول أشراط الساعة: فأن تخرج على الناس من المشرق تسوقهم»^(٩) إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد [إلى أبيه]^(١٠)، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد» فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني. فجاءت اليهود. فقال: «أي رجل عبد الله [بن سلام] فيكم»^(١١)؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: «أرأيتم إن أسلم»؟ قالوا أعاده الله من ذلك. فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا: شربنا وابن شربنا وانتقصوه. قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله. ورواه البخاري عن عبد بن منير^(١٢) عن عبد الله بن أبي بكر به ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن

- (١) رواه أحمد في «المستند» (٤٥١/٥) والترمذي في «الزهد» باب حديث أفسوا السلام... عن محمد بن بشار عن عبد الوهاب الثقفي، وغندر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد أربعتهم عن عوف بن أبي جميلة. وأخرجه ابن ماجه في كتاب «الصلوة». باب ما جاء في قيام الليل عن بندار، وفي أول كتاب «الأطعمة» عن أبي بكر بن أبي شيبة. والبيهقي في «الدلائل» (٥٣١/٢) من طريق يعقوب بن سفيان، ومن طريق علي بن أحمد بن عبدان. كلاهما عن عوف.
- (٢) في «ابن هشام»: الحصين بن سلام.
- (٣) في «الصحيح» كررت العبارة: حاش لله ما كان ليسلم ثلاث مرات مؤكداً عليهم.
- (٤) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٥) باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ح (٣٩١١) ورواه البيهقي من طريق عبد الوارث عن ابن صهيب عن أنس (٥٢٦/٢).
- (٥) في رواية حميد الطويل عن أنس ونقلها البيهقي في «الدلائل» (٥٢٨/٢).
- (٦) في «دلائل البيهقي»: الصغاني.
- (٧) سقطت من البيهقي.
- (٨) عبارة البيهقي: وما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه.
- (٩) سقطت من البيهقي، وفي «الصحيح»: تحشرهم.
- (١٠) من البيهقي.
- (١١) سقطت من الأصل والبيهقي واستدركت من «الصحيح».
- (١٢) أخرجه البخاري في كتاب «التفسير»، تفسير سورة البقرة (٦) باب «فتح الباري» (١٦٥/٨) عن عبد الله بن منير، ولعله تحريف =

المفضل عن حميد به .

قال محمد ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله بن سلام قال: كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم - وكان حبراً عالمياً - قال: لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته [وزمانه] الذي كنا نتوكف له، فكنت بقباء مسراً بذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ، المدينة فلما قدم نزل بقباء في بني عمرو بن عوف. فأقبل رجل حتى أخبر بقدمه، وأنا في رأس نخلة لي أصعل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت [لي] عمتي حين سمعت تكبيرتي: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت، قال: قلت لها: أي عمة. والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به. قال فقالت له: يا ابن أخي أهو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت لها: نعم! قالت فذاك إذاً. قال فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا وكنتم إسلامي من اليهود وقلت^(١): يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وإنني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك فتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن يعلموا بذلك بهتوني وعابوني، وذكر نحو ما تقدم. قال فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث [فحسن إسلامها]^(٢). وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثني محدث عن صفية بنت حيي قالت: لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني، لم ألقهما في ولد لهما قط اهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ بقاء - قرية بني عمرو بن عوف - غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءنا إلا مع مغيب الشمس. فجاءنا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهويناء، فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلي واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ نعم والله! قال تعرفه بنعته وصفته؟ قال نعم والله! قال: فماذا في نفسك منه؟ قال عدواته والله ما بقيت^(٣). وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون، فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود، وهما من بني النضير - فجلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعاً - فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً. فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أتعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك، قال لا والله لا أطيعك أبداً، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه.

قلت: أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب فلا أدري ما آل إليه أمره، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبي ﷺ وأصحابه، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبراً بين يدي رسول الله ﷺ يوم قتل مقاتلة بني قريظة كما سيأتي، إن شاء الله.

فصل

ولما ارتحل عليه السلام من بقاء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك، في واد يقال له وادي رانواناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة، أو مطلقاً لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له، وأذيتهم إياه.

ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ

قال ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف رضي الله عنهم: «الحمد لله أحده

= من النسخ والصواب عبد بن حميد.

ورواه في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٥١) باب حدثني حامد بن عمر «فتح الباري» (٢٧٢/٧).

(١) في «ابن هشام»: ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له.

(٢) من «ابن هشام» (١٦٤/٢) ونقل الخبر البيهقي عنه في «الدلائل» (٥٣٠/٢).

(٣) «سيرة ابن هشام» (١٦٥/٢) والبيهقي في «الدلائل» (٥٣٢/٢).

واستعينه، وأستغفره واستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، وذنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً. وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة [من ربه] (١)، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر (٢) السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى: ﴿مَا يَدُلُّ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه: ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. وَنُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥] ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً وإن تقوى الله توقي مقته، وتوقي عقوبته، وتوقي سخطه. وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله، فأكثرُوا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت (٣) فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال (٤).

وقال البيهقي: باب - أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة :-

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والأخنس (٥) بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليضعفن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه - ألم يأتك رسولي فبلغك، وأتيتك مالا، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله (٦) ورحمة الله وبركاته» ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال: «إن الحمد لله أحمدته واستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] (٧)، إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملاوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] (٨) فإنه من (٩) يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الأعمال، وخيرته من العباد، والصالح من الحديث

(١) من الطبري.

(٢) في «الطبري»: من أمره في السر والعلانية.

(٣) كذا في الأصل والقرطبي نقلاً عن ابن جرير، وفي «الطبري»: لما بعد اليوم.

(٤) ذكر الخطبة القرطبي في «تفسيره» بنحوها مطولاً بلا إسناد (٩٨/١٨) وانظر «تاريخ الطبري» (٢/٢٥٥ - ٢٥٦) دار القاموس الحديث.

(٥) في البيهقي: بن الأخنس.

(٦) في «ابن هشام»: والسلام عليكم وعلى رسول الله ﷺ.

(٧) من ابن إسحاق والبيهقي.

(٨) سقطت من الأصل واستدركت من ابن هشام والبيهقي.

(٩) في «ابن هشام»: فإنه كل يختار.

ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يفضب أن ينكت عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

وهذه الطريق أيضاً مرسله إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

فصل

في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار أبي أيوب

وقد اختلف في مدة مقامه بها، فقال الواقدي: سبعة أشهر، وقال غيره أقل من شهر والله أعلم قال البخاري: حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا عبد الصمد، قال سمعت أبي يحدث فقال حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبي، حدثنا أنس بن مالك. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملا بني النجار فجاؤوا متقلدي سيوفهم، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه، وملا بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملا بني النجار فجاؤوا فقال: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا» فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل، قال^(٢): فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع. قال فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادته حجارة، قال: فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم يقول^(٣):

«اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة»

وقد رواه البخاري^(٤) في مواضع أخر ومسلم من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد. وقد تقدم في «صحيح البخاري» عن الزهري عن عروة أن المسجد الذي كان مربداً - وهو بيدر التمر - ليتيمين كانا في حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً. قال وجعل رسول الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول:

لا هم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلاً له في بياضة، قال وقيل ابتاعه منهما رسول الله ﷺ. قلت: وذكر محمد بن إسحاق أن المربرد كان لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو فالله أعلم.

وروى البيهقي: من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا، حدثنا الحسن بن حماد الضبي، ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن. قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره، فقال: «ابنوه عريشاً كعريش موسى» فقلت للحسن: ما عريش موسى؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش - يعني السقف - وهذا مرسل. وروى من حديث حماد بن سلمة عن أبي سنان عن يعلى بن شداد بن أوس، عن عبادة: أن الأنصار جمعوا مالا فأتوا به النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد؟

(١) الخطبتان في ابن هشام (٢/١٤٦ - ١٤٧) و «دلائل البيهقي» (٢/٥٢٤ - ٥٢٥).

(٢) قال: أي أنس.

(٣) في البخاري: ويقولون.

(٤) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (٤٦) باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ح (٣٩٣٢) وأخرجه أيضاً في

كتاب «الصلاة» - باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية؟

وأخرجه مسلم في كتاب «المساجد» باب ابتناء مسجد النبي ﷺ وأخرجه أبو داود في «الصلاة» عن مسدد. وابن ماجه في «الصلاة».

فقال: «ما بي رغبة عن أخي موسى، عريش كعريش موسى»^(١) وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال أبو داود: حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عبد الله بن موسى عن سنان^(٢) عن فراس عن عطية العوفي عن ابن عمر أن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها تخربت^(٣) في خلافة أبي بكر، فبناها بجذوع ويجريد النخل، ثم أنها تخربت في خلافة عثمان فبناها بالآجر، فما زالت ثابتة حتى الآن. وهذا غريب. وقد قال أبو داود أيضاً: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثني أبي عن أبي صالح ثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر، وبناه على بنائه في عهد النبي ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً. وغيره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة^(٤) وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم به^(٥).

قلت: زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولاً قوله ﷺ: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة» ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال إليه، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم.

قال ابن إسحاق: ونزل رسول الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه؟ وعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه. فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه. فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا والنبي يعمل
وارتجز المسلمون وهم بينونه يقولون:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

فيقول رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار» قال فدخل عمار بن ياسر وقد ائقلوه باللبن فقال: يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون. قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله ﷺ ينفذ وفرته بيده - وكان رجلاً جعداً - وهو يقول: «ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما يقتلك الفئة الباغية» وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة وقد وصله مسلم في «صحيحه» من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن - يعني ابني أبي الحسن البصري - عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «تقتل عمار الفئة الباغية» ورواه من حديث ابن علي عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار وهو ينقل الحجارة: «ويح لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»^(٦) وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت: لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه بينون المسجد، جعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كل واحد لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ فمسح ظهره. وقال «ابن سمية،

(١) «دلائل البيهقي»: (٢/٥٤٠).

(٢) في «سنن أبي داود والبيهقي»: عن عبيد الله بن موسى عن شيان.

(٣) في أبي داود والبيهقي نقلاً عنه: نخرت بدل تخربت في الموضعين.

(٤) القصة: هي الجص كما في «النهاية»؛ وفي البيهقي: والفضة.

(٥) رواه البخاري في (٨) كتاب «الصلاة» (٦٢) باب المسجد «فتح الباري» (١/٥٤) ورواه أبو داود في كتاب «الصلاة» باب بناء المساجد ح (٤٥١ - ٤٥٢) (١/١٢٣).

ونقل الحديثان البيهقي في «الدلائل» (٢/٥٤١).

(٦) - أخرج الحديث مسلم عن أم سلمة من طرق متعددة في كتاب «الفتن» (٤/٢٣٣٥ - ٢٣٣٦).

للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية»^(١) وهذا إسناد على شرط الصحيحين. وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري. قال: كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين. فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن»^(٢). لكن روى هذا الحديث الإمام البخاري عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء، وعن إبراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء به إلا أنه لم يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية.

قال البيهقي: وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال أخبرني من هو خير مني أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، جعل يمسح رأسه ويقول: «بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية»^(٣) وقد رواه مسلم أيضاً من حديث شعبة عن أبي مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال حدثني من هو خير مني - أبو قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر «بؤساً لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية» وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا وهيب عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة، وعمار - ناقة من وجع كان به - فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد فحدثني بعض أصحابي أن رسول الله ﷺ كان ينفض التراب عن رأسه ويقول: «ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»^(٤). قال البيهقي: فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه^(٥). قال: ويشبه أن يكون قوله: الخندق وهماً أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق والله أعلم.

قلت: حمل اللبن في حفر الخندق لا معنى له، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم. وهذا الحديث من «دلائل النبوة» حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه. وقد كان علي أحق بالأمر من معاوية. ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيباً بل المصيب له أجران والمخطيء له أجر، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية - لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة - فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم. وأما قوله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة. وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر إمام برأسه، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكهم، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم. وسيأتي تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه والمقصود هنا أنما هو قصة بناء المسجد النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم.

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» من طريق إسماعيل الصفار، وهو جزء من حديث أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٨٩/٣) وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣١٩/٤).

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٥٤٦/٢).

ورواه البخاري في (٨) كتاب «الصلاة» (٦٣) باب «فتح الباري» (٥٤١/١) عن مسدد، وأخرجه البخاري في كتاب «الجهاد» عن إبراهيم بن موسى وأخرجه مسلم في كتاب «الفتن» (٢٣٣٥/٤)، والترمذي في «مناقب عمار بن ياسر» (٦٦٩/٥) وأحمد في «مسنده» (١٦١/٢).

وقال البيهقي: وفي رواية البخاري عن إبراهيم بن موسى عن عبد الوهاب ترك لفظه «تقتلك الفئة الباغية» وكأنه إنما تركها لمخالفة أبي نضرة عن أبي سعيد عكرمة في ذلك.

(٣) «دلائل النبوة» (٥٤٨/٢)، ومسلم في كتاب «الفتن» (٢٣٣٥/٤).

(٤) مسلم في كتاب «الفتن» باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٢٣٣٥/٤) ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/٣).

(٥) العبارة في «الدلائل» (٥٤٩/٢) وقد بين عن أبي نضرة، عن أبي سعيد في هذه الرواية ما سمع من غيره من هذا الحديث ونقل فيها حمل اللبنة واللبنين كما نقلها عكرمة.

وقد قال الحافظ البيهقي في «الدلائل»^(١): حدثنا أبو عبد الله الحافظ املاء، ثنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا عبيد بن شريك، ثنا نعيم بن حماد، ثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا حشرج بن نباتة، عن سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ. قال: [لما بنى رسول الله ﷺ المسجد]^(٢) جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه. فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء ولادة الأمر بعدي». ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حشرج عن سعيد عن سفينة. قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع حجراً. ثم قال «ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري، ثم ليضع عمر حجراً إلى جنب حجري أبي بكر، ثم ليضع عثمان حجراً إلى جنب حجري عمر» فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء الخلفاء من بعدي» وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً، والمعروف ما رواه الإمام أحمد عن أبي النضر عن حشرج بن نباتة العبسي^(٣) وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال سمعت رسول الله يقول: «الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون من بعد ذلك الملك» ثم قال سفينة أمسك؛ خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة علي ست سنين، هذا لفظ أحمد. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن جهمان، وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عضوضاً» وذكر بقيته.

قلت: ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بني منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستنداً إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل إليه ليخطب عليه، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضي الله عنهم. وما أحسن ما قال الحسن البصري بعدما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك: يا معشر المسلمين الخشب تمخّن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه^(٤)!!

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى، حدثني أبي قال: سمعت أبا سعيد الخدري قال: اختلف رجلان رجل من بني خدره ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال الخدري هو مسجد رسول الله ﷺ وقال العمري هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: «هو هذا المسجد» لمسجد رسول الله ﷺ وقال «في ذلك خير كثير» يعني مسجد قباء. ورواه الترمذي عن قتيبة، عن حاتم بن إسماعيل، عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به وقال حسن صحيح. وروى الإمام أحمد عن إسحاق بن عيسى، عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه. قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى، وذكر نحو ما تقدم. وفي «صحيح مسلم» من حديث حميد الخراط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبي سعيد كيف سمعه أباك في المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال أبي أتيت رسول الله ﷺ فسألته عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض. ثم قال: «هو مسجدكم هذا» وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا ربيعة بن عثمان التميمي، عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد. قال: اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى. فقال أحدهما هو مسجد رسول الله ﷺ وقال الآخر هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه فقال: «هو مسجدي هذا» وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن

(١) «دلائل النبوة» (٢/٥٥٣).

(٢) سقطت من الأصل واستدركت من «الدلائل».

(٣) كذا في الأصل، وهو حشرج بن نباتة الأشجعي.

والحديث في «مسند أحمد» (٤/٢٧٣) و (٥/٤٤٥، ٢٢٠) ورواه أبو داود في كتاب «السنة» (٤/٢١١) والترمذي في كتاب «الفتن» (٤/٥٠٣).

(٤) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/٥٥٩).

النبی ﷺ قال: «المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا» فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول ﷺ وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب، واختاره ابن جرير. وقال آخرون لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قباء كما تقدم بيانه، وبين هذه الأحاديث. لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة. من ذلك لأن هذا أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها كما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ مسجدي هذا والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس» وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» وذكرها. وثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» وفي «مسند أحمد» بإسناد حسن زيادة حسنة وهي قوله: «فإن ذلك أفضل» وفي «الصحيحين» من حديث يحيى القطان عن حبيب بن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي» والأحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها في كتاب المناسك من كتاب «الأحكام الكبير» إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناه إبراهيم، وهذا بناه محمد ﷺ، ومعلوم أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام. وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لأنه في بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وحرمه إبراهيم الخليل عليه السلام، ومحمد خاتم المرسلين، فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان.

فصل

وبني لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبي الحسن البصري - وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة - لقد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي ﷺ بيدي. قلت: إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلاً ضخماً طوالاً رحمه الله.

وقال السهيلي في «الروض»: كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة^(١) وسقفها كلها من جريد، وقد حكى عن الحسن البصري ما تقدم. قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر. قال وفي «تاريخ البخاري» أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافر، فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلق. قال وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله ﷺ إلى المسجد. قال الواقدي وابن جرير وغيرهما: ولما رجع عبد الله بن أريقط الدثلي إلى مكة بعث معه رسول الله ﷺ وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله ﷺ ليأتوا بأهاليهم من مكة وبعثا معهم بحملين وخمسائة درهم ليشتروا بها إبلًا من قديد، فذهبوا فجاؤوا بنتي النبي ﷺ فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة، وأمها أم رومان وأهل النبي ﷺ وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل في أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول: واعروساه، وابتناه! قالت عائشة: فسمعت قائلاً يقول: أرسلني خطامه، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسلمنا الله عز وجل، فتقدموا فنزلوا بالسنح. ثم دخل رسول الله ﷺ بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي، وقدمت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهي حامل متم بعبد الله بن الزبير كما سيأتي بيانه في موضعه من آخر هذه السنة.

فصل

فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف، ثنا مالك عن^(٢) هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبا بكر كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

(١) مرضومة: أي مضمومة بعضها فوق بعض - والرضام من الجبل دون الهضاب.

(٢) «صحيح البخاري» (١٦٨/٥) باب ما جاء في هجرة النبي ح (٤٠٤) وفيه: مالك عن هشام وفي الأصل مالك بن هشام وهو تحريف.

كل امرئ مصبح في أهله
وكان بلال إذا أفلح عنه الحمى يرفع عقيرته^(٢) ويقول:
ألا ليت شعري هل أبستن ليلة
وهل أردن يوماً مياه مجنئة
قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك
لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة»^(٥). ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً. وفي
رواية البخاري^(٦) له عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول: اللهم
العن عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأميه بن خلف كما أخرجونا [من أرضنا]^(٧) إلى أرض الوباء^(٨). فقال
رسول الله ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها»^(٩) وصححها لنا
وانقل حماها إلى الجحفة» قالت وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، وكان بطحان يجري نجلاً^(١٠) - يعني ماء آجناً - وقال
زياد عن محمد بن إسحاق حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير [عن عروة بن الزبير]^(١١) عن
عائشة قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منهم بلاء وسقم،
وصرف الله ذلك عن نبيه، قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى،
فدخلت عليهم أعودهم^(١٢) وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوباء فدنوت من
أبي بكر فقلت [له] كيف تجدك يا أبة؟ فقال^(١٣):

كل امرئ مصبح في أهله
قالت: فقلت والله ما يدري أبي ما يقول، قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت [له] كيف تجدك يا عامر؟ قال:
لقد وجدت الموت قبل ذوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه
قال فقلت والله ما يدري ما يقول، قالت وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:
ألا ليت شعري هل أبستن ليلة
وهل أردن يوماً مياه مجنئة
قالت عائشة: فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم وقلت إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال:
«اللهم حبب إلينا المدينة، كما حبيت إلينا مكة أو أشد، وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل وباءها إلى مهيعة» ومهيعة
هي الجحفة. وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، ثنا ليث، عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار عن
عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر

(١) مصبح: أي مصاب بالموت صباحاً.

(٢) رفع الصوت بكاء أو غناء.

(٣) هو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت.

(٤) مجنة: على بريد من مكة.

شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة.

(٥) الجحفة: ميقات أهل مصر والشام والمغرب.

(٦) «صحيح البخاري» (٥٥/٣) ح (٤٦١).

(٧) من البخاري، سقطت من الأصل.

(٨) الوباء: المرض العام الذي أصاب المدينة.

(٩) في البخاري: في صاعنا وفي مدنا.

(١٠) نجلاً: أي نزاً وهو الماء القليل كما في «النهاية» لابن الأثير.

(١١) ما بين معكوفين من ابن هشام (٢٣٨/٢).

(١٢) من ابن هشام وفي الأصل: أدهوهم وهو تحريف.

(١٣) الآيات لعمر بن أمية.

وبلال، فاستأذنت عائشة رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذن لها، فقالت لأبي بكر كيف تمجدك؟ فقال:

كل امرئ مصباح في أهله
وسألت عامراً فقال:

إنني وجدت الموت قبل ذوقه
وسألت بلالاً فقال:

يا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بفخ وحولي إذخر وجليل^(٢)

فأتت رسول الله ﷺ - فأخبرته، فنظر إلى السماء وقال: اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها، وانقل وباءها إلى مهية. وهي الجحفة فيما زعموا. وكذا رواه النسائي عن قتيبة عن الليث به ورواه الإمام أحمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو. قالوا: ثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه. عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله، وواديها بطحان نجل [يجري عليه الأثل]^(٣). قال هشام: وكان وياؤها معروفاً في الجاهلية، وكان إذا كان الوادي وبيتاً فأشرف عليها الإنسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي. وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة:

لعمري لئن عبرت من خيفة الردى
نهيق الحمار إنني لَجَزوع^(٤)

وروى البخاري^(٥) من حديث موسى بن عقبة: عن سالم [بن عبد الله] عن أبي أن النبي ﷺ قال: «رأيت كأن امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهية - وهي الجحفة فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهية - وهي الجحفة - هذا لفظ البخاري ولم يخرج مسلم ورواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة. وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيته، فذكر الحديث بطوله إلى قوله وانقل حماها إلى الجحفة. قال هشام: فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى. ورواه البيهقي في «دلائل النبوة»^(٦). وقال يونس عن ابن إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيته. فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ وقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعني مكة - عام عمرة القضاء. فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا [الأشواط الثلاثة]^(٧) وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

قلت: وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة^(٨) فأما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى

(١) في رواية: لقد وجدت، وفي رواية أخرى: قد ذقت طعم الموت قبل ذوقه.

(٢) في رواية: بواد، وفخ: قال الدينوري بالخاء المعجمة: موضوع خارج مكة.

(٣) ما بين معكوفين سقط من الأصل واستدرك من «دلائل النبوة» (٥٦٧/٢).

(٤) في «الدلائل»: عشرت بدلاً من عبرت.

(٥) «صحيح البخاري» (٣٧/٢) ونقله البيهقي من طريق فضيل بن سليمان.

(٦) (٥٦٨/٢) وفيه: وبتة بدل وبيته.

(٧) الخبر في البخاري عن سليمان بن حرب (٢٥) كتاب «الحج» (٥٥) باب ح (١٦٠٢) «فتح الباري» (٣٦٨/٣) وأعادته في

المغازي باب عمرة القضاء. ورواه مسلم في (١٥) كتاب «الحج» (٢٩) باب من طريق حماد بن زيد عن أيوب بن أبي تميمة

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ح (٢٤٠).

- ما بين معكوفين من «الصحيحين».

- وهنهم، وفي مسلم وهنتهم: أي أضعفتهم قال الفراء وغيره: يقال وهنته وأوهنته الحمى لغتان. ويثرب كان اسم المدينة في

الجاهلية.

- يمشوا ما بين الركنين: أي حيث لا تقع عليهم أعين المشركين؛ فإنهم لم يكونوا في تلك الجهة.

(٨) في «الكامل» لابن الأثير: في ذي الحجة. وما أثبتناه عن الطبري (١٠٠/٣) وانظر في عمرة القضاء: الطبري (١٠٠/٣) =

قريب من ذلك، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل. أو أنهم بقوا في خمار وما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم. وقال زياد بن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضاً، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود، قال: فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك فقال لهم: «إعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم» فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل^(١).

فصل

في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمواخاة التي أمرهم بها وقرهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بخت نصر حين دوخ بلاد المقدس فيما ذكره الطبري. ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر مذر نزل الأوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام وخذل أولئك لحسدتهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، ثنا عاصم الأحول، عن أنس بن مالك. قال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك. وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبخاري ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الأحول عن أنس بن مالك. قال: حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري. وقال الإمام أحمد: حدثنا نصر بن باب عن حجاج - هو ابن أرطاة - قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلمهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين. قال أحمد: وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن قاسم عن ابن عباس مثله، تفرد به الإمام أحمد، وفي «صحيح مسلم» عن جابر. كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقولة.

دستور المدينة^(٢)

وقال محمد بن إسحاق: «كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

- ١ - أنهم أمة واحدة من دون الناس^(٣).
- ٢ - المهاجرون من قريش على ربعتهم^(٤) يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم^(٥) بالمعروف والقسط [بين المؤمنين]^(٦).

«صحيح البخاري» (١٤١/٥) «طبقات ابن سعد» (١٢٠/٣) «سيرة ابن هشام» (٣١٩/٣) «صيون الأثر» (١٩٢/٢) «المغازي» للواقدي (٧٣١/٢) «أنساب الأشراف» (١٦٩/١) «المسيرة الحلبية» (٧١/٣).

(١) «سيرة ابن هشام»: (٢٢٠/٢).

(٢) استدرك من كتاب «محمد في المدينة» لوات.

قال وات: ص (٣٣٧) احتفظ ابن إسحاق بوثيقة قديمة تسمى عادة دستور المدينة، وهو بعد أن يقدم له بيضع كلمات، لا يذكر شيئاً عن الطريق التي وصلت بها إليه الوثيقة، ولا متى طبق هذا الدستور. أما وضع الوثيقة في مطلع حديثه عن الفترة المدنية فليس له من سبب سوى التسلسل المنطقي.

(٣) أي متميزين عن الناس، ويمكن أن يعني ذلك اليهود، ولكن هذا بعيد.

(٤) يقول لين إن «على ربعتهم» تعني وضعهم الأول، ولا مجال للقول أن هذا إشارة إلى الربع بل يعني إما أن كل جماعة تبقى منفصلة أو أنها تستمر في اتباع عاداتها. وينص البند على وجوب اتباع تقسيم عادل بين مختلف الجماعات داخل القبائل.

(٥) العاني: الأسير.

(٦) ما بين معكوفين سقط من الأصل واستدرك من ابن هشام.

- ٣ - وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين^(١).
ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار:
- ٤ - [وبنو الحارث على ربعتهم]^(٢) (حسب المقطع الثالث).
٥ - وبنو ساعدة على ربعتهم (حسب المقطع الثالث).
٦ - وبنو جشم على ربعتهم (حسب المقطع الثالث).
٧ - وبنو النجار على ربعتهم (حسب المقطع الثالث).
٨ - وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم (حسب المقطع الثالث).
٩ - وبنو النبيت على ربعتهم (حسب المقطع الثالث).
١٠ - [وبنو أوس على ربعتهم]^(٣) (حسب المقطع الثالث).
١١ - وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً^(٤) بينهم وإن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.
١٢ - ولا يحالف مؤمن مؤمن مولى مؤمن دونه.
١٣ - وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى، دسيعة^(٥) ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم.
١٤ - ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن.
١٥ - وإن ذمة الله واحدة: يجير عليهم أدانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.
١٦ - وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.
١٧ - وإن سلم المؤمنين واحدة: لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.
١٨ - وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً^(٦).
١٩ - وإن المؤمنين يبيء^(٧) بعضهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.
٢٠ - وأنه لا يجير مشرك مאלاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن.
٢١ - وأنه من اعتبطه^(٨) مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.
٢٢ - وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً^(٩) ولا يؤويه وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.
٢٣ - وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ.
٢٤ - وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

(١) على معاقلهم الأولى: أي دفع الديارات بحري حسب القوانين السائدة سابقاً، «وبين المؤمنين» يمكن أن تعني استبعاد غير المؤمنين المتمين لبني عوف.
(٢) من ابن هشام.
(٣) من ابن هشام. وقولنا حسب كل مقطع زيادة استدركناه للإيضاح.
(٤) مفرحاً: قال ابن هشام: المفرح المقتل بالدين، والكثير العيال.
(٥) دسيعة: من ابن هشام؛ وفي الأصل دسيعة ظلم، وعند وات: وسبقه ظلم.
(٦) يمكن أن تطبق هذه الجملة على ركوب البعير، راجع قلهوزن وابن هشام. أو على أي واجب عسكري، راجع كابتاني.
(٧) يبيء: من البواء أي المساواة.
(٨) من ابن هشام، وفي الأصل اغتبطه. واعتبطه: قتله بلا جناية أو ذنب يوجب قتله.
(٩) محدثاً: المحدث الشخص الذي يحدث اضطراباً في الوضع القائم.

- ٢٥ - وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(١) إلا نفسه وأهل بيته.
- ٢٦ - وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.
- ٢٧ - وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.
- ٢٨ - وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.
- ٢٩ - وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.
- ٣٠ - وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.
- ٣١ - وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.
- ٣٢ - وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم^(٢).
- ٣٣ - وإن لبني الشطبية^(٣) مثل ما ليهود بني عوف وإن البرد دون الإثم^(٤).
- ٣٤ - وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.
- ٣٥ - وإن بطانة يهود كأنفسهم^(٥).
- ٣٦ - وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد وإنه لا ينحجر^(٦) على ثأر جرح وأنه من فتك فبنفسه إلا من ظلم وإن الله على أبر^(٧) من هذا.
- ٣٧ - وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم.
- ٣٨ - [وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين]^(٨).
- ٣٩ - وأن يثرب حرام جوفها^(٩) لأهل هذه الصحيفة.
- ٤٠ - وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.
- ٤١ - وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.
- ٤٢ - وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله وإن الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.
- ٤٣ - وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.
- ٤٤ - وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

(١) يوتغ: يهلك.

(٢) من وات.

(٣) في الأصل الشطنة، وفي فنسك الشطبة راجع السهمودي. وأثبتنا ما في ابن هشام.

(٤) العبارة من رقم (٢٦) إلى (٣٣) من وات؛ وجاءت العبارة في الأصل وابن هشام: وإن ليهود بني النجار، وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة (الشطبية) مثل ما ليهود بني عوف.

(٥) معنى بطانة غامض، ربما تعني الذين تربطهم روابط وثيقة مع بعض يهود المدينة. وهذه روابط الصداقة وليس الدم راجع «الأغاني» (١٧/٥٦، ٢٢) ويقول فنسك: إنها تعني العرب الذين انضموا لليهود قبل مجيء الأوس والخزرج.

(٦) في ابن هشام: ينحجز وعند وات: ينجز؛ ومعنى ينحجر: كما في «النهاية»: تحجر جرحه للبرء انفجر، يعني التأم بعد اجتماعه.

(٧) في الأصل: أثر هذا.

(٨) من ابن هشام؛ وكررها وات أيضاً كما عند ابن هشام وقد ذكرت العبارة تحت بند رقم (٢٤).

(٩) من ابن هشام؛ وفي الأصل حرفها؛ ولعل المناسب أكثر والأقرب للصواب ما في «النهاية»: جرفها؛ والجرف: موضع قريب من المدينة.

٤٥ - وإذا دعوا إلى صلح يصلحونهم يصلحونهم ويلبسونه وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين^(١) إلا من حارب في الدين، على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

٤٦ - [وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم.]

٤٧ - لا يكسب كاسب إلا على نفسه^(٢)، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وابره^(٣) وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم وإن الله جار لمن بر واتقى، [ومحمد رسول الله ﷺ]^{(٤)(٥)}.

كذا أورده ابن إسحاق بنحوه. وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في «كتاب الغريب» وغيره بما يطول.

فصل

في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَتَاوَهُمْ نَصَبْنَاهُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣].

قال البخاري: حدثنا الصلت بن محمد، ثنا أبو أسامة، عن إدريس، عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ [النساء: ٣٣] قال: ورثة ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ نسخت ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَتَاوَهُمْ نَصَبْنَاهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له. وقال الإمام أحمد قرىء على سفيان سمعت عاصماً عن أنس قال: حالف النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا قال سفيان: كأنه يقول آخى.

وقال محمد بن إسحاق: وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - «تآخوا في الله أخوين أخوين» ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال «هذا أخي» فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير^(٦) ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين. قال ابن هشام: كان جعفر يومئذ غائباً بأرض الحبشة^(٧). قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين،

(١) ربما يعني ذلك: أن هذا دين على المؤمنين راجع ف. رابت «النحو العربي».

(٢) أو يعني: عليهم أن يحكموا دون الاهتمام بالمؤمنين.

(٣) ما بين معكوفين زيادة من ابن هشام، سقطت من الأصل.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل واستدرك من ابن هشام.

(٥) تنظيم وترقيم مواد الشروط التي شرطها رسول الله ﷺ على يهود أخذت من كتاب «محمد في المدينة» لوات.

(٦) خطير: النظير والمثل.

(٧) قال الواقدي: آخى رسول الله ﷺ بين معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود لا اختلاف فيه عندنا؛ وأما في رواية ابن إسحاق

خاصة فلم يذكره غيره. وقال الواقدي معلقاً على روايته: كيف يكون هذا؟ وإنما كانت المؤاخاة بينهم بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة وقبل يوم بدر، وجعفر قد هاجر قبل ذلك من مكة إلى الحبشة، وقدم بعد ذلك بسبع سنين. هذا وهل من ابن إسحاق.

راجع «طبقات ابن سعد» (٣/٥٨٤).

وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين، ويقال بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود^(١) أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين وطلحة [بن عبيد الله]^(٢) وكعب بن مالك أخوين، وسعيد^(٣) بن زيد وأبي بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الأشهل أخوين. ويقال بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين.

قلت: وهذا السند من وجهين. قال: وأبو ذر برير بن جنادة^(٤) والمنذر بن عمرو المعتق ليموت أخوين، وحاطب بن أبي بلتعة^(٥) وعويم بن ساعدة أخوين، وسلمان وأبو الدرداء [عويم بن ثعلبة] أخوين وبلال وأبو رويحة^(٦) عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفرع^(٧) أخوين. قال فهؤلاء ممن سمى لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم.

قلت: وفي بعض ما ذكره نظر، أما مؤاخاة النبي ﷺ وعلي فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاع بعضهم من بعض ولتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم، ولا مهاجرين لمهاجري آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي ﷺ لم يجعل مصلحة علي إلى غيره فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله ﷺ من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره. وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار والله أعلم.

وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام، فإن جعفر بن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه، فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال إنه أُرصد لآخوته إذا قدم حين يقدم، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، ثنا ثابت، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة. وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم^(٨).

وقال البخاري باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه. وقال عبد الرحمن بن عوف: آخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة. وقال أبو جحيفة: آخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما:

- (١) في «الطبقات» (١٠٢/٣) كان الزبير وطلحة أخوين؛ وفي رواية له عن عروة وأخرى عن بشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: كان الزبير وكعب بن مالك أخوين.
 - (٢) من ابن هشام.
 - (٣) في «ابن هشام»: سعد. وفي «الطبقات لابن سعد»: سعيد وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين رافع بن مالك الزرقي.
 - (٤) وقال ابن هشام: يقال أبو ذر: جندب بن جنادة. قال ابن سعد في «الطبقات»: آخى رسول الله ﷺ بين المنذر بن عمرو وطليب بن عمرو. وعلق محمد بن عمر على قول ابن إسحاق قال: كيف يكون هكذا؛ وإنما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه قبل بدر وأبو ذر يومئذ غائب عن المدينة ولم يشهد بدرًا ولا أحدًا ولا الخندق وإنما قدم المدينة بعد ذلك.
 - (٥) واسم أبي بلتعة: عمرو بن أشد بن معاذ. قال الواقدي: آخى رسول الله ﷺ بين عويم وعمر بن الخطاب.
 - (٦) في «طبقات ابن سعد»: آخى رسول الله ﷺ بين بلال وعبيدة بن الحارث بن المطلب؛ وعلق الواقدي على رواية ابن إسحاق قال: ليس ذلك يثبت ولم يشهد أبو رويحة بدرًا.
 - (٧) قال السهيلي: الفرع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس، وبالسكون ابن عبد الله بن ربيعة راجع ابن حبيب في «مؤلف القبائل ومختلفها».
 - (٨) قال في «طبقات ابن سعد» عن الواقدي: آخى رسول الله ﷺ بين أبي عبيدة ومحمد بن مسلمة. وفي رواية أخرى للواقدي عن محمد بن إبراهيم أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة. وقال الواقدي: آخى رسول الله ﷺ بين سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص.
- وبشأن أبي طلحة قال عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: آخى رسول الله ﷺ بين أبي طلحة وأرقم بن الأرقم المخزومي راجع «طبقات ابن سعد» (٤١٠/٣) و (٤٢١، ٥٠٥).

حدثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان، عن حميد، عن أنس قال: قدم عبد الرحمن بن عوف [المدينة] فأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق. فربح شيئاً من أقط وسمن، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر صفرة فقال النبي ﷺ: «مهيم يا عبد الرحمن؟» قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار قال: «فما سقت فيها؟» قال وزن نواة من ذهب، قال النبي ﷺ: «أولم ولو بشاة» تفرد به من هذا الوجه. وقد رواه أيضاً في مواضع أخرى، ومسلم من طرق عن حميد به^(١). وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن أنس: أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن. ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران^(٢) فقال رسول الله ﷺ «مهيم؟» فقال: يا رسول الله تزوجت امرأة، قال: «ما أصدقها؟» قال وزن نواة من ذهب، قال «أولم ولو بشاة». قال عبد الرحمن: فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة^(٣). وتعليق البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فإنه لا يعرف مسنداً إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فالله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا حميد عن أنس. قال: قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بديلاً من كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنة، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا! ما أنيتهم عليهم ودعوتهم الله لهم» هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط «الصحيحين» ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه، وهو ثابت في «الصحيح» من^(٤). وقال البخاري: أخبرنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب ثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. قال قالت الأنصار: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. قالوا أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا سمعنا وأطعنا. تفرد به وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رسول الله ﷺ «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله ﷺ «أو غير ذلك؟» قالوا وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر». قالوا نعم! وقد ذكرنا ما ورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحسن سجايهم عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآية.

فصل

في موت أبي أمامة أسعد بن زرارة^(٥)

ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية في قول وكان شاباً وهو أول من جمع بالمدينة في نقيع الخضومات في هزم النبي كما تقدم.

قال محمد بن إسحاق: وهلك في تلك الأشهر^(٦) أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد بيني أخذته الذبحة - أو الشهقة -. وقال ابن جرير في «التاريخ»: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ثنا يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة في الشوكة. رجاله ثقات.

- (١) وأخرجه البخاري من حديث حماد بن زيد في (٦٧) كتاب «النكاح» (٥٦) باب كيف يدعى للمتزوج وأخرجه مسلم في (١٦) كتاب «النكاح» (١٢) الصداق.
- (٢) كذا في الأصل: ودع زعفران؛ وفي البيهقي ردع: بفتح الراء وسكون الدال: أثر الطيب.
- (٣) وأخرجه في كتاب «النكاح» - أبو داود - باب قلة المهرح (٢١٠٩) ص (٢٣٥/٢) عن موسى بن إسماعيل.
- (٤) بياض في الأصل قدر كلمة: ولعله: من غيره.
- (٥) يكنى أبا أمامة وأمه سعاد ويقال الفريعة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأجر وهو ابن خالة سعد بن معاذ ولم يعقب ذكراً.
- (٦) قال انواقدي: مات أسعد بن زرارة في شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة؛ وذلك قبل بدر وقال الطبري في «تاريخه»: مات أسعد في سنة مقدمه ﷺ وكانت وفاته قبل أن يفرغ رسول الله ﷺ من بناء مسجده.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة. قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس الميت أبو أمانة، لليهود ومناقي العرب، يقولون: لو كان نبياً لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً» وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مقدم النبي ﷺ، وقد زعم أبو الحسن بن الأثير في «أسد الغابة» أنه مات في شوال بعد مقدم النبي ﷺ بسبعة أشهر. فإله أعلم. وذكر محمد بن إسحاق: عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن بني النجار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أمانة أسعد بن زُرارة فقال: «أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقييكم» وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بني النجار الذي يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقييهم. قال ابن الأثير: وهذا يرد قول أبي نعيم وابن منده في قولهما أن أسعد بن زُرارة كان نقيباً على بني ساعدة، إنما كان على بني النجار، وصدق ابن الأثير فيما قال. وقد قال أبو جعفر بن جرير في «التاريخ»^(١): كان أول من توفي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات، ثم توفي بعده أسعد بن زُرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبيحة أو الشهقة.

قلت: وكثلوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقاء نزل في منزل هذا في الليل؛ وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع^(٢) رضي الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بني النجار كما تقدم. قال ابن الأثير: وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله ﷺ، ثم بعده أسعد بن زُرارة. ذكره الطبري^(٣).

فصل

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضي الله عنهما. وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسود. ورواه الواقدي: عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة، عن أبيه عن جده، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة، والصحيح ما قدمنا. فقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقاء فولدته بقاء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبزك عليه. فكان أول مولود ولد في الإسلام. تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي ﷺ وهي حبلى. حدثنا قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ تمرة فلاكها ثم أدخلها في فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبي ﷺ فهذا حجة على الواقدي وغيره لأنه ذكر أن النبي ﷺ بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبي بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبي ﷺ وأسماء حامل متم أي مقرب قددنا وضعها لولدها، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحاً بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد، فأكذب الله اليهود فيما زعموا.

(١) «تاريخ الطبري» (٢/٢٥٦) دار القاموس الحديث.

(٢) قال في «الطبقات»: وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثمة.

(٣) راجع «الكامل في التاريخ» (٢/١١٠) و «تاريخ الطبري» (٢/٢٥٦) و «طبقات ابن سعد» (٣/٦٢٣) و (٣/٦١١).

وقال ابن الأثير في «أسد الغابة»: قيل أنه أول من مات من أصحاب رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة ولم يدرك شيئاً من مشاهدته (٤/٢٥٣).

فصل

وبنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع [بن الجراح] ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأني نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال. ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به^(١). وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعدما قدموا المدينة وإن دخوله بها كان بالسنة نهاراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال رداً لما يتوهمه^(٢) بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس في ذلك الوقت: تزوجني في شوال، وبنى بي في شوال - أي دخل بي - في شوال، فأني نساءه كان أحظى عنده مني؟ فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نسائه إليه، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في «صحيح البخاري» عن عمرو بن العاص: قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت من الرجال قال «أبوها».

فصل

قال ابن جرير: وفي هذه السنة - يعني السنة الأولى من الهجرة - زيد في صلاة الحضر - فيما قيل - ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، وذلك بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت، وقال: وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه.

قلت: قد تقدم الحديث الذي رواه البخاري: من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. وروى من طريق الشعبي عن مسروق عنها. وقد حكى البيهقي عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١] الآية.

فصل

في الأذان ومشروعيتها

قال ابن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع كبار^(٣) الأنصار استحکم أمر الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهرهم وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوؤوا الدار والإيمان وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة حين موافقتها بغير دعوة، فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً^(٤) كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن

(١) روى ابن سعد عن محمد بن عمر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عائشة: الحديث بنحوه وفيه زيادة: وأعرس بي في شوال على رأس ثمانية أشهر من المهاجر.

(٢) قال أبو عاصم: إنما كره الناس أن يدخلوا النساء في شوال لطاعون وقع في شوال في الزمن الأول. فإن صح قول أبي عاصم يكون النبي ﷺ قصد رفع هذا الوهم والتوهم عند الناس في كراهية الدخول بالنساء في شوال. راجع «طبقات ابن سعد» (٨/٦٠).

(٣) في ابن هشام: أمر.

(٤) في رواية البخاري بوقه وفي رواية لمسلم والنسائي قرناً وقيل القنق وقيل الشبور وهذه الألفاظ الأربعة القنق - الشبور - البوقه - القرن بمعنى واحد وهو الذي يتفخ فيه ليخرج منه الصوت.

عبد ربه^(١) أخو بلحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال قلت ندعوه إلى الصلاة، قال ألا أدلك على خير من ذلك؟ قلت وما هو؟ قال تقول، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه، فليؤذن بها فإنه أندى^(٢) صوتاً منك» فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجرد رداءه وهو يقول: يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ الحمد [على ذلك]. قال ابن إسحاق: فحدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه. وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به، وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما. وعند أبي داود أنه علمه الإقامة قال: ثم تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. وقد روى ابن ماجه هذا الحديث: عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحراني عن ابن إسحاق كما تقدم^(٣). ثم قال: قال أبو عبيد: وأخبرني أبو بكر الحكمي أن عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك:

الحمْدُ لهُ ذِي الْجَلَالِ وَذِي الْإِكْرَامِ
إِذْ أَتَانِي بِهِ الْبَشِيرُ مِنَ اللَّهِ
فِي لَيْلٍ وَالسُّبْحُ بِهِنَّ ثَلَاثَ
كِرَامٍ حَمْدًا عَلَى الْأَذَانِ كَبِيرًا
هُ فَأَكْرِمُ بِهِ لَدِي بِشِيرًا
كَلِمًا جَاءَ زَادَنِي تَوْقِيرًا

قلت: وهذا الشعر غريب وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله ﷺ فإله أعلم. ورواه الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق قال: وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ولم يذكر الشعر وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي، ثنا أبي، عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ استشار الناس لما يهيمهم من الصلاة، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى. فأرى النداء الليلة رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله ﷺ ليلاً فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن به. قال الزهري: وزاد بلال في نداء صلاة الغداة، الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرها رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله رأيت مثل الذي رأى ولكنه سبقني، وسيأتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب «الأحكام» الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة. فأما الحديث الذي أورده السهيلي بسنده من طريق البزار: حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبي، عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب فذكر حديث الإسراء وفيه: فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأهل السماء وفيهم آدم ونوح. ثم قال السهيلي وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويشاكلة من حديث الإسراء. فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية^(٤) وهو من المتهمين. ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة في

- (١) هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي المدني البصري، من سادة الصحابة، شهد العقبة ويدرأ، وهو الذي أرى الأذان، وكان ذلك في السنة الأولى من الهجرة له أحاديث كثيرة توفي سنة اثنتين وثلاثين ترجمته في «العبر للذهبي» (٣٣/١) «تهذيب التهذيب» (٢٢٣/٥) «الإصابة» (٣١٢/٢)، «طبقات ابن سعد» (٥٣٦/٣) «تاريخ يعقوب بن سفيان الفسوي» (٢٦٠/١).
- (٢) أندى: أقوى وأبعد.
- (٣) أخرجه أبو داود في كتاب «الصلاة» ح (٤٩٩) وابن ماجه ح (٧٠٨) والإمام أحمد في «مسنده» (٤٣/٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٧/٧ - ١٨) و«السنن الكبرى» (٣٩٠/١) وابن إسحاق دون ذكر حديث الإقامة في «السيرة» (١٥٤/٢).
- (٤) قال الاسفرايني في «الفرق بين الفرق»: ص (٢٢) الجارودية فرقة من الفرق الزيدية من أتباع المنذر بن عمرو المعروف بأبي =

الدعوة إلى الصلاة والله أعلم.

قال ابن هشام: وذكر ابن جريج. قال: قال لي عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: ائتمر النبي ﷺ وأصحابه [بالناقوس] (١) للإجماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبي ﷺ ليخبره بما رأى وقد جاء النبي ﷺ الوحي بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن: فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك «قد سبقك بذلك الوحي» وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة، فيأتي بسحر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطى، ثم قال: اللهم أحمك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك، قالت ثم يؤذن، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة - يعني هذه الكلمة - ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به (٢).

فصل

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أن رسول الله ﷺ عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة حمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين (٣) ليعترض لعيرات قريش وأن حمزة لقي أبا جهل (٤) في ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يكن بينهم قتال، قال وكان الذي حمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي (٥).

فصل

في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أيضاً أن النبي ﷺ عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث [بن المطلب بن عبد مناف] لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ (٦). وكان لواءه مع مسطح بن أثاثة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء (٧) وكان بينهم الرمي دون المسابقة. قال الواقدي: وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثبت عندنا، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص (٨).

= الجارود كفروا الصحابة لتركهم بيعة علي؛ وقالوا أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بالنص دون الاسم. وافتقرت الجارودية في الإمام المنتظر فرقاً: فمنهم من لم يعين واحداً بالانتظار ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ومنهم من ينتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان ومنهم من ينتظر محمد بن عمر الذي خرج بالكوفة. من ابن هشام (١٥٥/٢).

(٢) «سنن أبي داود» كتاب «الصلاة» باب الأذان فوق المنارة ح (٥١٩) ص (١٤٣/١) و «سيرة ابن هشام» (١٥٦/٢).

(٣) قال ابن سعد: قال بعضهم كانوا شطرين من المهاجرين والأنصار. والمجتمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين ولم يبعث رسول الله ﷺ أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدر وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونهم في دراهم، وهذا ثبت عندنا.

(٤) التقى حمزة وأبو جهل سيف البحر يعني ساحله من ناحية العيص؛ وكانت غير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة.

(٥) أبو مرثد واسمه كنان بن الحصين الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب؛ قال ابن سعد: كان راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد في الإسلام - وإلى ذلك ذهب ابن عبد البر - وقال بعضهم أن راية عبيدة كانت الأولى. وقال ابن سعد قال ابن إسحاق بل كانت راية عبيدة بن الحارث. وقال ابن الأثير في «الكامل»: قال بعضهم كان لواء أبي عبيدة أول لواء عقده، وإنما اشتهر ذلك لقرب بعضها ببعض.

(٦) بطن رابغ: وهي على عشرة أميال من الجحفة وأنت تريد قديد.

(٧) أحياء: وفي رواية ابن إسحاق: ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة.

(٨) في رواية ابن إسحاق: كان على القوم عكرمة بن أبي جهل.

فصل

[في سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار]^(١)

قال الواقدي: وفيها - يعني في السنة الأولى في ذي القعدة^(٢) - عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار^(٣) لواء أبيض يحمله المقداد بن الأسود، فحدثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه]^(٤). قال: خرجت في عشرين رجلاً على أقدامنا، أو قال أحد وعشرين رجلاً. فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلي أن لا أجاوز الخرار، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم. قال الواقدي: كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين. قال أبو جعفر بن جرير (رح) وعند ابن إسحاق (رح) أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ.

قلت: كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رح) لمن تأمله كما سنورده في أول كتاب «المغازي» في أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوما نحن فيه إن شاء الله، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى، وسنزيدها بسطاً وشرحاً إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى. والواقدي (رح) عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالباً فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم «بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» والله الحمد والمنة.

فصل

وممن ولد في هذه السنة المباركة - وهي الأولى من الهجرة - عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضي الله عنهما، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الأول كما قدمنا بيانه والله الحمد والمنة، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير: وقد قيل إن المختار بن أبي عبيد وزياد بن سمية ولدا في هذه السنة الأولى^(٥) فالله أعلم. وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة؛ كلثوم بن الهدم الأوسي الذي نزل رسول الله ﷺ في مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني النجار كما تقدم، وي بعده - فيها - أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار توفي ورسول الله ﷺ يبني المسجد كما تقدم رضي الله عنهما وأرضاهما.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة - يعني الأولى من الهجرة - مات أبو أحيحة بما له بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة.

قلت: وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل.

(١) عنوان سقط من الأصل؛ زيادة استدركتها للإيضاح.

(٢) على رأس تسعة أشهر من الهجرة.

(٣) في «الكامل» لابن الأثير: إلى الأبواء. وفي «ابن هشام» أن غزوة قام بها رسول الله ﷺ في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة.

(٤) من الطبري.

(٥) من الطبري: وفي الأصل: السنة الثانية وهو تحريف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل، والهدى والغي وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان

كتاب المغازي

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب «السيرة» بعد ذكر أخبار اليهود ونصبهم العداوة للإسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات؛ فمنهم حيي بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدي، وسلام^(١) بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الأعور، تاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتي، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف وهو من طيء ثم أحد بني نبهان وأمه من بني النضير، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بني النضير، ومن بني ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن سوريا، ولم يكن بالحجاز - بعد - أعلم بالتوراة منه.

قلت: وقد قيل إنه أسلم، وابن صلوبا ومخيريق وقد أسلما يوم أحد كما سيأتي وكان حبر قومه، ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت، وسعد بن حنيف، ومحمود بن شيخان^(٢) وعزيز بن أبي عزيز وعبد الله بن ضيف، وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفتحاص وأشيع ونعمان بن أضا، وبحرى بن عمرو، وشاش بن عدي، وشاش بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمير^(٣) وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس، ومحمود بن دحية، ومالك بن صيف^(٤) وكعب بن راشد، وعازر ورافع بن أبي رافع، وخالد وازار بن أبي ازار. قال ابن هشام: ويقال أزر بن أبي أزر، ورافع بن حارثة، ورافع بن حريملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبد الله بن سلام.

قلت: وقد تقدم إسلامه رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: وكان حبرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله. قال ابن إسحاق: ومن بني قريظة الزبير بن باطا بن وهب، وعزال بن شموال وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذي نقضوه عام الأحزاب وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سكين، والنحام بن زيد، وكردم بن كعب^(٥) ووهب بن زيد ونافع بن أبي نافع، [وأبو نافع]^(٦) وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، وكردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن زميلة^(٧)، وجبل بن أبي قشير، ووهب بن يهودا. قال ومن بني زريق، لبيد بن

(١) سلام: يروى بتخفيف اللام كما يروى بتشديدها. ومن رواها بالتخفيف استشهد بقول الشاعر:

سقاني فأرواني كميّتا مدامة
على عجل مني سلام بن مشكم

(٢) في «ابن هشام» محمود بن سبحان.

(٣) في «ابن هشام»: عمرو.

(٤) ويروى: الضيف وهما روايتان فيه.

(٥) في ابن هشام: كردم بن كعب.

(٦) من ابن هشام، سقطت من الأصل.

(٧) في ابن هشام: زميلة بالراء.

أعصم وهو الذي سحر^(١) رسول الله ﷺ، ومن يهود بني حارثة، كنانة بن صوريا. ومن يهود بني عمرو بن عوف قدم بن عمرو، ومن يهود بني النجار، سلسلة بن برهان.

قال ابن إسحاق: فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنت والعناد والكفر قال وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليظفوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق، ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام^(٢) وإسلام عمته خالدة [بنت الحارث] كما قدمناه وذكر إسلام مخيريق يوم أحد كما سيأتي وأنه قال لقومه - وكان يوم السبت - يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يرى فيها ما أراه الله - وكان كثير الأموال - ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضي الله عنه، قال فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني «مخيريق خير يهود»^(٣).

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق من مال إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج فمن الأوس زوى بن الحارث، وجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري وفيه نزل: ﴿يَجْلِبُوكَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمر، فنهاها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك. قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد، وهو الذي قتل المجذر بن زياد البلوي وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد، خرج مع المسلمين وكان منافقاً فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلها ثم لحق بقريش.

قال ابن هشام: وكان المجذر قد قتل أباه سويد بن الصامت في بعض حروب^(٤) الجاهلية فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد، كذا قال ابن هشام. وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بعث رماء بسهم فقتله. وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد، قال لأن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد.

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ. أمر عمر بن الخطاب بقتله أن هو ظفر به، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه، فأنزل الله - فيما بلغني عن ابن عباس ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى آخر القصة. قال: ويجاد بن عثمان بن عامر، ونبث بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شيطان فلي نظر إلى هذا» وكان جسيماً أدم^(٥) نائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذي قال: إنما محمد أذن، من حدثه بشيء صدقه. فأنزل الله فيه: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١] الآية. قال: وأبو حبيبة بن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرار، وثعلبة بن حاطب

- (١) في ابن هشام: أخذ؛ وأخذ من الأخذة وهو ضرب من السحر. قال السهيلي: وهذا الحديث مشهور عند الناس ثابت عند أهل الحديث غير أنني لم أجد في الكتب المشهورة لم لبث رسول الله ﷺ بذلك السحر حتى شفي منه. ووجدت في جامع معمر بن راشد: روى معمر عن الزهري قال: سحر رسول الله ﷺ سنة. والحديث أخرجه البخاري عن أنس بن عياض في (٨٠) كتاب «الدعوات» (٥٧) باب «فتح الباري» (١١/١٩٢) ورواه البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وأخرجاه من أوجه آخر عن هشام ورواه البيهقي في «الدلائل» عن الكلبي عن أبي صالح، عن أبي النضر الكوفي، عن ابن عباس (٢٤٧/٦ - ٢٤٨).
- (٢) قال السهيلي: سلام بتخفيف اللام ولا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين ويقال سلام بالتشديد، و سلام بالتخفيف في اليهود.
- (٣) علل السهيلي قوله: مخيريق خير يهود قال: ومخيريق مسلم، ولا يجوز أن يقال في مسلم: هو خير النصارى ولا خير اليهود؛ فإن قيل وكيف جاز هذا؟ قلنا: لأنه قال: خير يهود، ولم يقل: خير اليهود، ويهود اسم علم كشمود..
- (٤) تقدم التعليق على مقتله، وكان ذلك يوم بعث.
- (٥) الأدم: الأسود الطويل، وقيل هو المسترخي الشفتين.

ومعتب بن قشير، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نكثا، فنزل فيهما ذلك، ومعتب هو الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا فنزل فيه^(١) الآية وهو الذي قال يوم الأحزاب كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه: ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوبًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

قال ابن إسحاق: والحارث بن حاطب. قال ابن هشام: ومعتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب، وهما من بني أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم. قال وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر^(٢).

قال ابن إسحاق: وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وبخروج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن حرام^(٣) وعبد الله بن نبتل، وجارية بن عامر بن العطاف، وابناه يزيد^(٤) ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار، وكان مجمع غلاماً حدثاً قد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلي بهم فيه، فلما خرب مسجد الضرار - كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك - وكان في أيام عمر سأل أهل قباء عمر أن يصلي بهم مجمع فقال: لا والله، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضرار؟ فحلف بالله ما علمت بشيء من أمرهم فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم. قال ووديعه بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك^(٥). قال وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره. قال ابن هشام مستدركاً على ابن إسحاق في منافقي بني النبيت من الأوس وبشر ورافع ابنا زيد. قال ابن إسحاق: ومربع بن قيظي - وكان أعمى - وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد: لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر في حائطي وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أي لا أصيب بها غيرك لرميتك بها، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر»^(٦) وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقوس فشججه. قال وأخوه أوس بن قيظي وهو الذي قال [لرسول الله ﷺ يوم الخندق]^(٧): إن بيوتنا عورة. قال الله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخاً جسيماً قد عسا^(٨) في جاهليته، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات، فحمل إلى دار بني ظفر. فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون: أبشر بالجنة يا ابن حاطب. قال: فنجم نفاق أبيه فجعل يقول: أجل جنة من حرمل، غررتم والله هذا المسكين من نفسه. قال وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] الآيات^(٩). قال وقزمان حليف لبني ظفر الذي قتل يوم أحد سبعة^(١٠) نفر، ثم لما آلته الجراحة قتل نفسه. وقال: والله ما قاتلت إلا حمية على قومي ثم مات لعنه الله. قال ابن إسحاق: ولم يكن

(١) نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءُ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسَهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ...﴾ [آل عمران: ١٥٤].

(٢) ذكرهما الواقدي في «المغازي» في أهل بدر، وقال: الحارث بن حاطب رده من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره (١٥٩/١).

(٣) في ابن هشام: عمرو بن خذام.

(٤) في ابن هشام: زيد.

(٥) نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

(٦) في ابن هشام: أعمى البصيرة.

(٧) من ابن هشام.

(٨) عسا: أي كبر وأسن.

(٩) وأما قصة نزول هذه الآيات فيه: أن بني أبيرق - بشر وبشير وبشير، نقب أحدهم أو كلهم مشربة لرفاعة بن زيد وسرقوا له

طعاماً وأدراعاً، فجاء ابن أخيه قتادة يشكو الأمر إلى رسول الله ﷺ فجاء أحد بني الأبيرق إلى رسول الله ﷺ مستغرباً هذه

التهمة ومدافعاً ومنكراً وطالب بالبينة وجعل يجادل رسول الله ﷺ حتى أغضبه على قتادة ورفاعة فأنزل الله تعالى ﴿ولا تجادل﴾

وكان البريء الذي اتهم بالسرقة ليبد بن سهل وقد رماه بالسرقة بنو الأبيرق، فبرأه الله فهرب بنو الأبيرق - هرب من سرق منهم -

إلى مكة ونزل على سلافة بنت سعد بن شبيب. فقال فيها حسان شعراً؛ فأخرجته من بيتها فهرب إلى خيبر... حيث مات

وهو يسرق بيتاً وقع حائطه عليه فقتله.

(١٠) في نسخة لابن هشام: تسعة. وفي نسخة أخرى: بضعة نفر.

في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يُعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الأوس. قال ابن إسحاق: ومن الخزرج رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو بن سهل، والجد بن قيس وهو الذي قال: [يا محمد] ائذن لي ولا تفتني، وعبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضاً، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم في الجاهلية، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغازه ذلك جداً، وهو الذي قال^(١): لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً، وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوئل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى: ﴿لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] الآيات حين مالوا في الباطن إلى بني النضير.

فصل

في إسلام بعض أخبار يهود نفاقاً^(٢)

ثم ذكر ابن إسحاق من أسلم من أخبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفاراً في الباطن فاتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرهم، سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ «والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها» فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك قال ونعمان بن أوفى، وعثمان ابن أوفى، ورافع بن حريملة وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات - فيما بلغنا -: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين» ورفاعة بن زيد بن التابوت: وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك^(٣) فقال: «إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار» فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا. فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود قال: فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهنئون بدينهم، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب الهتهم في الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول - لعنه الله - أخرجني يا أبا أيوب من مريد بني ثعلبة؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري فلبيه بردائه، ثم نثره نثراً شديداً^(٤) ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول: أف لك منافقاً خبيثاً. وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة يديه جميعاً فلدمه بهما لدمة في صدره خر منها قال يقول: خدشتني يا عمارة، فقال عمارة أبعدك الله يا منافق، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار - وكان بدرياً - إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شاباً - وليس في المنافقين شاب سواه - فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه. وقام رجل من بني خدرة^(٥) إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو - وكان ذا جمة - فأخذ بجمته فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مر به من الأرض حتى أخرجه، فجعل يقول المنافق: قد أغلظت يا أبا^(٦) الحارث، فقال: إنك أهل لذلك أي عدو الله لما أنزل فيك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجس، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه إخراجاً عنيفاً وأف من وقال: غلب عليك الشيطان وأمره، ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة، ومن سورة التوبة، وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد رحمه الله^(٧).

- (١) وكان ذلك في غزوة بني المصطلق، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها فيه وفي رهطه المنافقين.
- (٢) زيادة استدركت لمزيد من التوضيح.
- (٣) في ابن هشام: من غزوة بني المصطلق.
- (٤) في «النهاية»: التتر جذب فيه قوة وجفوة.
- (٥) ذكر ابن هشام في «السيرة» اسم الرجل: عبد الله بن الحارث من بني الخزرج.
- (٦) في ابن هشام: يا بن الحارث.
- (٧) راجع «سيرة ابن هشام» (١٧٧/٢) وما بعدها.

أول المغازي وهي غزوة الأبواء أو غزوة ودان

وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي. قال البخاري كتاب «المغازي»^(١). قال ابن إسحاق: أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء. ثم بواط، ثم العشيرة. ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله ﷺ؟ قال: تسع عشرة شهد منها سبع عشرة أولهن العسيرة - أو العشيرة.. وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله وبه الثقة. وفي «صحيح البخاري» عن بريدة قال: غزا رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، وفي رواية له عنه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وقاتل في ثمان منهن. وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمان؛ يوم بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وقديد، وخيبر، ومكة، وحنين، وبعث أربعاً وعشرين سرية وقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي التتوخي ثنا الهيثم بن حميد أخبرني النعمان عن مكحول أن رسول الله ﷺ غزا ثمانية عشر غزوة، قاتل في ثمان غزوات، أولهن بدر، ثم أحد، ثم الأحزاب، ثم قريظة، ثم بئر معونة ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة مكة، ثم حنين والطائف^(٢) قوله بئر معونة بعد قريظة فيه نظر، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتي. قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول: غزا رسول الله ﷺ ثمان عشرة غزوة، وسمعت مرة أخرى يقول أربعاً وعشرين. فلا أدري أكان ذلك وهماً أو شيئاً سمعه بعد ذلك. وقد روى الطبراني عن الدبري^(٣) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري. قال: غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة وقال عبد الرحمن بن حميد في «مسنده» حدثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا بن إسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر. قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة. وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة: أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين. ثم قال الحاكم: لعله أراد السرايا^(٤) دون الغزوات، فقد ذكرت في الإكليل على الترتيب بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المائة. قال وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر؛ السرايا والبعوث دون الحروب نيفاً وسبعين. وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً، وحمله كلام قتادة على ما قال فيه نظر. وقد روى الإمام أحمد: عن أزهر بن القاسم الراسبي عن هشام الدستوائي عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون: أربع وعشرون بعثاً، وتسع عشرة غزوة. خرج في ثمان منها بنفسه؛ بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وخيبر، وفتح مكة وحنين. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان^(٥)، ثم حج أبو بكر سنة تسع، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر،

- (١) في البخاري: كتاب «المغازي» - باب غزوة العشيرة أو العسيرة (١٧٦/٥).
- (٢) الغزوات المذكورة تسع لا ثمان.
- (٣) في الأصل: الدر، والصواب الدبري وهو إسحاق بن إبراهيم الدبري.
- (٤) اتفق أصحاب السير والرواة أن الغزوة هي الحرب التي يحضرها رسول الله ﷺ بنفسه ويقاوم فيها، وأما البعث أو السرية فيكلف فيه رسول الله ﷺ أحد أصحابه أو طائفة منهم.
- وقد اختلف أصحاب السير في عدد غزواته وسراياه. والأقرب للصحة أنه خرج في سبع وعشرين غزوة قاتل في تسع منها - وقال ابن سعد ويقال قاتل في بني النضير ووادي القرى وقاتل في الغابة - وبلغ عدد بعوثه وسراياه سبعاً وأربعين.
- وذكر الصالحي أسماء الغزوات في «السيرة الشامية» (١٦/٤) قال هي: غزوة الأبواء - ودان - غزوة بواط - غزوة سفوان - بدر الأولى - غزوة العشيرة - غزوة بدر الكبرى - غزوة بني سليم - فرقر الكدر غزوة السوق، غزوة غطفان، غزوة الفرع، غزوة بني قينقاع، غزوة أحد، غزوة حمراء الأسد، غزوة بني النضير، غزوة بدر الموعد، غزوة دومة الجندل، غزوة المريسيع، غزوة الخندق، غزوة بني قريظة، غزوة بني لحيان، غزوة الحديبية، غزوة ذي قرد، غزوة خيبر، غزوة ذات الرقاع، غزوة عمرة القضاء، غزوة فتح مكة، غزوة حنين، غزوة الطائف، غزوة تبوك.
- (٥) قال الواقدي في «المغازي» (٦/١) وحج الناس سنة ثمان، ويقال إن النبي ﷺ استعمل عتاب بن أسيد على الحج، ويقال حج الناس أوزاعاً مضرين بلا أمير.

وغزا ثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال، وكانت أول غزاة غزاها الأبواء وقال حنبل بن هلال عن إسحاق بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن اليماني عن معمر عن الزهري قال: أول آية نزلت في القتال: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج: ٣٩] الآية بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان، إلى أن قال ثم غزا بني النضير، ثم غزا أحداً في شوال - يعني من سنة ثلاث - ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع^(١)، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس^(٢)، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست^(٣)، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان^(٤) سنة ثمان، وكانت حين في رمضان^(٥) سنة ثمان. وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها، فكانت أول غزوة غزا رسول الله ﷺ الأبواء. ثم العشيرة، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة الأبواء^(٦) ثم غزوة بدر الأولى، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة الصفراء، ثم غزوة تبوك آخر غزوة. ثم ذكر البعوث، هكذا كتبه من «تاريخ الحافظ ابن عساكر» وهو غريب جداً، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتباً. وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي بن الحسين يقول: كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن. قال الواقدي: وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمي الزهري يقول: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا وقال محمد بن إسحاق (رح) في المغازي بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل سافلين. ثم إن رسول الله ﷺ تهباً لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقاتل من أمره به ممن يليه من المشركين، قال: وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة فأقام بقية شهر ربيع الأول، وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وذا الحجة وولي تلك الحجة المشركون. والمحرم، ثم خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر على رأس اثني عشر^(٧) شهراً من مقدمه المدينة. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سعد بن عباد. قال ابن إسحاق: حتى بلغ ودان^(٨) وهي غزوة الأبواء^(٩)، قال ابن جرير: ويقال لها غزوة ودان أيضاً، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه^(١٠) منهم مخشى بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه ذلك. ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلتق كيداً فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول. قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها عليه السلام. قال الواقدي وكان لواؤه مع عمه حمزة، وكان أبيض.

(١) في «مغازي الواقدي»: في ذي القعدة سنة خمس.

(٢) في الواقدي: في ربيع الأول سنة ست.

(٣) في الواقدي: في جمادى الأولى سنة سبع.

(٤) في الواقدي: لثلاث عشرة مضت من رمضان.

(٥) في الواقدي: في شوال.

(٦) كذا في الأصل: كرر غزوة الأبواء مرتين، وفي ابن هشام: الأبواء، بواط، العشيرة... الخ.

(٧) في الواقدي: أحد عشر شهراً، وفي «كامل ابن الأثير» أنه ﷺ عقد لسعد بن أبي وقاص وسيره إلى الأبواء في ذي القعدة من السنة الأولى لمقدمه المدينة. وقال الطبري في «تاريخه»: غزا رسول الله ﷺ في قول جميع أهل السيرة فيها - أي في السنة الثانية - في ربيع الأول بنفسه غزوة الأبواء وقال الواقدي: غاب خمس عشرة ليلة.

(٨) ودان: بفتح الواو: قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع، وقيل: وإد على الطريق يقطعها المصعدون من حجاج المدينة. وتبعد عن الأبواء ستة أميال هي بحدائها قاله الطبري.

(٩) الأبواء: قرية من عمل الفرع بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

(١٠) في «مغازي الواقدي»: وادعهم على ألا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحداً، ثم كتب بينهم وبينه كتاباً.

انظر في غزوة الأبواء «ابن هشام» ج (٢) و «ابن سعد» ج (٢) و «الواقدي» ج (١) و «الطبري» ج (٢) و «الدرر لابن عبد البر» (٩٦) و «سبل الهدى» ج (٤) و «دلائل البيهقي» ج (٣).

[سرية عبدة بن الحارث]^(١)

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين - أو ثمانين - راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعاً عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله في الإسلام. ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراقي حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار قال ابن إسحاق: وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل. وروى ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء^(٢) عن أبي عمرو المدني أنه قال: كان عليهم مكرز بن حفص.

قلت: وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان، أحدهما أنه مكرز، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب وأنه رجح أنه أبو سفيان فالله أعلم. ثم ذكر ابن إسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السرية التي أولها:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
تري من لؤي فرقة لا يصدّها
رسول أتاهم صادق فتكذبوا
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا
القصيدة إلى آخرها، وذكر جواب عبد الله بن الزبيري في مناقضتها التي أولها:

أرقت وأمر في العشيرة حادث
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
عليه وقالوا لست فينا بماكث
وهروا هريز المخرجات اللواهث^(٣)
بكيث بعين دمعها غير لابت^(٤)
له عجب - من سابقات وحادث
عبدة يدعى في الهياج ابن حارث
مواريث موروث كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الإمام عبد الملك بن هشام (رح) وكان إماماً في اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين^(٥). قال ابن إسحاق وقال سعد بن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون:

ألا هل أتى رسول الله أني
أذود بها أوائلهم ذياداً
فما يعمتد رام في عدو
وذلك أن دينك دين صدق
ينجى المؤمنون به ويخزي
فمهلاً قد غويث فلا تعبني
حميث صحابتي بصدور نبلي
بكل خزونة وبكل سهل
بسهم يا رسول الله قبلي
وذو حق أتيت به وفضل^(٦)
به الكفار عند مقام مهل
غوي الحيت ويحك يا ابن جهل^(٧)

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد. قال ابن إسحاق: فكانت راية عبدة - فيما بلغنا - أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين: وقد خالفه الزهري وموسى بن عقبة والواقدي فذهبوا إلى أن

(١) سقط من الأصل، عنوان استدركناه من كتب «السير» و «المغازي» لمزيد من التوضيح والتبويب.

(٢) في «سيرة ابن هشام» قال ابن هشام حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء.

(٣) هروا: وثبوا كما تثب الكلاب: المحجرات وفي ابن هشام المحجرات وهي الكلاب التي أجحرت أي ألجئت إلى مواضعها.

(٤) العناث: واحدها عنث وهي أكداس الرمل التي لا تثبت شيئاً.

(٥) يرجع قول ابن هشام في نفيه القصيدة ونسبتها إلى أبي بكر، ما روى عروة عن عائشة ابنة أبي بكر أنها قالت: كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر في الإسلام.

(٦) في ابن هشام: وعدل مكان وفضل.

(٧) المراد عكرمة بن أبي جهل، وكان كما في رواية على القوم سيدهم وأميرهم.

بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث والله أعلم وسيأتي في حديث سعد بن أبي وقاص أن أول أمراء السرايا عبد الله بن جحش الأسدي.

قال ابن إسحاق: وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهري.

فصل

في سرية حمزة بن عبد المطلب^(١)

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار^(٢) أحد فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال.

قال ابن إسحاق: وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً فشبه ذلك على الناس.

قلت: وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء. فلما قفل عليه السلام من الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين، وذكر نحو ما تقدم. وقد تقدم عن الواقدي أنه قال: كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الأولى، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها والله أعلم. وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت في الإسلام، لكن قال ابن إسحاق: فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال، لم يكن يقول إلا حقاً، والله أعلم أي ذلك كان فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول والقصيدة هي قوله:

وللنقض من رأي الرجال وللعقل
لهم حرمة من سوام ولا أهل
لهم غير أمر بالعفاف وبالعذل
ويُنزل منهم مثل منزلة الهزل
لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
عليه لواء لم يكن لآخ من قبل
إله عزيز فعله أفضل الفعل
مراجله من غيظ أصحابه تغلي
مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
ومالككم إلا الضلالة من حبل
فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وهم مائتان بعد واحدة فضل

ألا يا لقومي للتحلم والجهل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ
كأننا بتلناهم ولا بتل^(٣) عندنا
وأمر بإسلام فلا يقبلونه
فما برحوا حتى انثدبت لغارة
بأمر رسول الله أول خافق
لواء لديه النصر من ذي كرامة
عشية ساروا حاشدين وكلنا
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا
وقلنا لهم حبل الإله نصيرنا
فشار أبو جهل هنالك باغياً
وما نحن إلا في ثلاثين راكباً

(١) زيادة استدركتها من كتب المغازي لما يقتضيه حسن التبويب.

(٢) قال الواقدي: بعثه في ثلاثين راكباً شطرين: خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار وسمى من المهاجرين تسعة وذكر من الأنصار: أبي بن كعب، وعمارة بن حزم، وعبادة بن الصامت، وعبيد بن أوس، وأوس بن خولي، وأبو دجاجة، والمنذر بن عمرو، ورافع بن مالك، وعبد الله بن عمرو بن حرام وقطبة بن عامر بن حديدة.

وما ذكره الواقدي بعيد، لأن المجمع عليه أن رسول الله ﷺ لم يبعث أحداً من الأنصار حتى غزا بهم بدرأ، قال الواقدي في آخر حديثه: وهو المثبت عندنا.

(٣) البتل: القطع، وفي ابن هشام: تبلناهم ولا تبل: التبل: العداوة، وتبلناهم: عاديناهم وتروى: تبلناهم ولا تبل: بالنون، يعني نرميهم بالنبل.

وفيشوا إلى الإسلام والمنهج السهل
عذاب فتدعوا بالندامة والتكسر

فيال لؤي لا تطيعوا غواتكم
فإني أخاف أن يضرب عليكم
قال فأجاب أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال:

وللشاعبين بالخلاف والبطل
عليه ذوي الأحساب والسؤدد الجرل

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا

ثم ذكر تمامها. قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضي الله عنه ولأبي جهل لعنه الله.

غزوة بواط^(١) من ناحية رضوى

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول - يعني من السنة الثانية - يريد قريشاً. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون. وقال الواقدي: استخلف عليها سعد بن معاذ. وكان رسول الله ﷺ في مائتي راكب، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخسمائة بعير.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الأولى].

غزوة العشيرة^(٢)

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد. قال الواقدي: وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب. قال وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الخيار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزره يقال لها: ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده، فصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه، فرسوم أثافي البرمة معلوم هناك، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ثم ارتحل فترك الخلائق^(٣) بيسار وسلك شعبة عبد الله، ثم صب للشاد^(٤) حتى هبط ملل^(٥)، فنزل بمجمعه ومجتمع الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليال من جمادى الآخرة ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. وقد قال البخاري^(٦): حدثنا عبد الله [بن محمد] ثنا وهب ثنا شعبة عن أبي إسحاق. قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقبل له كم غزا رسول الله ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة. قلت كم غزوت أنت معه؟ قال سبع عشرة غزوة، قلت فأيهن كان أول؟ قال العشير - أو العسير - فذكرت لقتادة فقال: العشير. وهذا الحديث ظاهر في أن أول الغزوات العشيرة، ويقال بالسين وبهما مع حذف التاء، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبي ﷺ زيد بن أرقم العشيرة وحيث لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدا زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم.

قال محمد بن إسحاق: ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي ما قال. فحدثني يزيد بن محمد بن خثيم^(٧) عن محمد بن

(١) بواط: جبال من جبال جهينة، بقرب ينبع بينها وبين المدينة نحو أربعة برد، وهي قريب من ذي خشب مما يلي طريق الشام.

قال السهيلي: بواط: جبلان فرغان لأصل واحد، أحدهما جلسى والآخر غوري.

(٢) العشيرة: من ناحية ينبع بين مكة والمدينة.

(٣) الخلائق: البثر التي لا ماء فيها. وقال السهيلي: بالحاء المهملة: آبار معلومة. وقال ياقوت: وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحي المدينة.

(٤) في «ابن هشام»: ليسار.

(٥) في «ابن هشام»: ليل، وهي قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة، وفيه عين كبيرة تسمى البحيرة.

(٦) كتاب «المغازي» - باب غزوة العشيرة ح (١) ص (١٧٦/٥).

(٧) في «ابن هشام» ابن خثيم. في الموضعين.

كعب القرظي، حدثني أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر. قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع، فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة فوادعهم، فقال لي علي بن أبي طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن تأتي هؤلاء النفر - من بني مدلج يعملون في عين لهم - ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء^(١) من الأرض فنمنا فيه. فوالله ما أهنا إلا ورسول الله ﷺ يحركنا بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا أبا تراب» لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: «ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟ قلنا بلى يا رسول الله فقال: «أحيمر^(٢) ثمود الذي عقر الناقة والذي يضر بك يا علي على هذه - ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه - حتى تبل منها هذه - ووضع يده على لحيته - وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر في تسمية علي أبا تراب كما في «صحيح البخاري»: أن علياً خرج مغاضباً فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت خرج مغاضباً فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: «قم أبا تراب قم أبا تراب»^(٣).

غزوة بدر - الأولى^(٤)

قال ابن إسحاق: ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليال قلائل لا تبلغ العشرة، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر، وهي غزوة بدر الأولى، وفاته كرز فلم يدركه وقال الواقدي: وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب. قال ابن هشام والواقدي، وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة.

قال ابن إسحاق: فرجع رسول الله ﷺ فأقام جمادى ورجباً وشعبان وقد كان بعث بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز. قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلتق كيداً. هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة، أعني بعث حمزة في رمضان، وبعث عبيدة في شوال، وبعث سعد في ذي القعدة كلها في السنة الأولى.

وقد قال الإمام أحمد: حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب، حدثني يحيى بن سعيد. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي، ثنا المجالد، عن زياد بن علاقة عن سعد بن أبي وقاص. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى نأتيك وقومنا، فأوثق لهم فأسلموا قال فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقال بعضنا لبعض ما ترون؟ فقال بعضنا نأتي نبي الله فنخبره، وقال قوم لا بل نقيم ههنا، وقلت أنا في أناس معي لا بل تأتي غير قريش فنقتطعها، وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه. فقال: «أذهبتم من عندي جميعاً ورجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لابعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش» فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير في الإسلام. وقد رواه البيهقي في «الدلائل» من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه: لم تقاتلون في الشهر الحرام فقالوا نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام ثم رواه من حديث أبي أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعيد بن أبي وقاص فذكر نحوه. فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم^(٥).

(١) دقعاء: التراب اللين.

(٢) أحيمر ثمود: هو الذي عقر ناقة صالح واسمه قدار بن سالف وقد تقدم.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»: في كتاب «الصلاة» باب نوم الرجال في المسجد عن سهل بن سعد. وأخرجه أيضاً في كتاب «فضائل أصحاب النبي ﷺ» باب مناقب علي - عن سهل بن سعد. وأخرجه في كتاب «الأدب» باب التكني بأبي تراب.

(٤) قال الواقدي: غزوة بدر الأولى وقعت قبل غزوة العشيرة، وكانت في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً، وأما غزوة العشيرة فكانت في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً.

(٥) انظر «مغازي الواقدي» (١٢/١) «ابن سعد» (٩/٢) «الطبري» (٢٩١/٢).

«دلائل البيهقي» (٣/١٤ - ١٥).

وهذا الحديث يقتضي أن أول السرايا عبد الله بن جحش الأسدي وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم.

باب سرية عبد الله بن جحش

التي كان سببها لغزوة بدر العظمى^(١) وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير. قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رثاب^(٢) الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وهم أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محصن بن حريثان حليف بني أسد بن خزيمه، وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بن عدي، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدي أيضاً، وخالد بن الكبير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدي أيضاً، وسهل بن بيضاء الفهري^(٣) فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه. وقال يونس عن ابن إسحاق: كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فإله أعلم.

قال ابن إسحاق: وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً. فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم، فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة وأخبر أصحابه بما في الكتاب. وقال: قد نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فامض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد. وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن، فوق الفرع يقال له بحران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، قال ابن هشام: واسم الحضرمي عبد الله بن عباد [أحد]^(٤) الصدف^(٥) وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه. فلما رأوه أمنوا، وقال عمار: لا بأس عليكم منهم، وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب، فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ. وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس فعزله، وقسم الباقي بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الخمس. قال لما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن إسحاق، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً^(٦) فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم

- (١) كذا العبارة في الأصل، ولعل الصواب: التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى.
- (٢) عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي، هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، أخى النبي ﷺ بينه وبين عاصم بن ثابت شهد بدرًا وكان أحد أعظم أبطال غزوة أحد واستشهد فيها، قتله أبو الحكم الأحنس بن شريق وقد مثل به، دفن هو وحمزة في قبر واحد، وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب، كان له يوم قتل نيف وأربعون سنة.
- (٣) لم يأت الواقدي على ذكره، وفي رواية للطبري عن السدي ذكر عمار بن ياسر وعامر بن فهيرة، وقال كانوا سبعة نفر عليهم ابن جحش. وقال الواقدي: سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان لم يشهدا الواقعة. وقال ابن سعد: بعثه في اثني عشر رجلاً من المهاجرين.
- (٤) من ابن هشام.
- (٥) قال ابن هشام: واسم الصدف عمرو بن مالك.
- (٦) قال الواقدي عن أبي بردة بن نيار أن رسول الله ﷺ وقف غنائم أهل نخلة، ومضى إلى بدر، حتى رجع من بدر فقسما مع غنائم أهل بدر، وأعطى كل قوم حقهم.

من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان، وقالت يهود: تفائل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو وعمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكَ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ احْتَرَمْتُمْ وَلَا نَازِعِينَ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكَ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ احْتَرَمْتُمْ﴾ الآية.

قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ: «لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا» - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما. فإن تقتلوهما نقتل صاحبكم. فقدم سعد وعتبة فافداهما رسول الله ﷺ. فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلاحق بمكة فمات بها كافراً. قال ابن إسحاق: فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا في الأجر، فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨] فوصفهم^(١) الله من ذلك على أعظم الرجاء. قال ابن إسحاق: والحديث في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. وهكذا ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري وكذا روى شعيب عن الزهري عن عروة نحوه من هذا وفيه؛ وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين. وقال عبد الملك بن هشام: هو أول قتيل قتله المسلمون، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون^(٢).

قلت: وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد: عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام. وقد ذكرنا في «التفسير» لما أورده ابن إسحاق شواهد مستندة فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح. أو عبيدة بن الحارث، فلما ذهب بكى صباة إلى رسول الله ﷺ فجلس، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا. وقال «لا تكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك» فلما قرأ الكتاب استرجع وقال سمعاً وطاعة لله ولرسوله، فخبهرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلاً^(٣) وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ الآية. وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في «تفسيره»: عن أبي مالك، عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه: أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه: من كان يريد الموت فليمض وليوص فإنني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ

(١) في ابن هشام: فوضعهم.

(٢) «مغازي الواقدي» (١٣/١) «النويري» (٦/١٧) «ابن هشام» (٢٥٧/٢) «الدرر» ص (٩٩) «دلائل النبوة للبيهقي» (١٧/٣).

(٣) في «الطبري»: رجلاً وفي البيهقي عن الزهري: تخلف رجلاً.

فسار وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فأقاما^(١) يطلبانها، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة. فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرمي ورجعوا بالغنيمة والأسيرين فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون. وقال المشركون إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب. وقال المسلمون إنما قتلناه في جمادى قال السدي^(٢): وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة.

قلت: لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين، وقد كان الهلال رؤي تلك الليلة فالله أعلم. وهكذا روى العوفي عن ابن عباس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم. وقد تقدم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك في الحرم فيتعذر عليهم ذلك فأقدموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهري عن عروة رواه البيهقي فالله أعلم أي ذلك كان: قال الزهري عن عروة فبلغنا أن رسول الله ﷺ عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقي^(٣).

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام. قال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش.

تَعْدُونَ قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً
صُدُّوْكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقِتْلِهِ
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا
دَمًا وَابْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَثْمَانَ بَيْنَنَا
وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرَّشِدَ رَاشِدٌ
وَكَفَرُ بِهِ وَاللَّهُ رَأَى وَشَاهِدٌ
لثَلَا يُرَى لَلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدٌ
وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٌ وَحَاسِدٌ
بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَأَقْدَ
يَنَازَعُهُ غَلٌّ مِنَ الْقَيْدِ عَانِدٌ

فصل

في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم: كان ذلك في رجب من سنة ثنتين وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن إسحاق. وقد روى أحمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي والله أعلم. وقيل في شعبان منها. قال ابن إسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش: ويقال صرفت القبلة^(٤) في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة. وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدي بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة. قال الجمهور الأعظم: إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة. ثم حكى عن محمد بن سعد عن الواقدي أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان، وفي هذا التحديد نظر والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في «التفسير» عند قوله تعالى: ﴿قَدْ رَزَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤] وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك لأنه أول نسخ وقع في الإسلام هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ

(١) في «الطبري»: فأتيا بحران يطلبانها.

(٢) في «الطبري»: وقيل متابعاً للسدي كلامه.

(٣) «دلائل النبوة» (١٧/٣).

(٤) كان النبي ﷺ يصلي إلى صخرة بيت المقدس، وكان أول ما فرضت القبلة إليها والنبي ﷺ بمكة، وكان يحب استقبال الكعبة وكان يصلي بمكة ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه ذلك. وكان يؤثر أن يضرب إلى الكعبة فأمره الله أن يستقبل الكعبة.

آية أو ننسأها^(١) نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» وقد قال البخاري: حدثنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي إسحاق عن البراء أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وكان يعجبه أن تكون. قبلته إلى البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ لِمَنْ يَشَاءُ آيَاتِهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] رواه مسلم من وجه آخر^(٢). وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء. قال: كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان يجب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلَّىكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. فأنزل الله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] وحاصل الأمر أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم. وكان عليه السلام يجب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبله إبراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهاج إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطره إلى السماء سائلاً ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلَّىكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية. فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر. وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عمر. قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك نحو ذلك^(٣). والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم من أن المدينة مهاجرة وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم، ونبههم فقال: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَّهُمْ مِنْ قِبَلِهِمْ آلِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] أي هو المالك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه الذي يفعل ما يشاء في خلقه ويحكم ما يريد في شرعه وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي خياراً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التي كان يصلي بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الأمم وخلصنا العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالذ والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم كما ثبت في «صحيح البخاري»: عن أبي سعيد مرفوعاً من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده

(١) ننسأها: كذا في الأصل، وهي قراءة أبي عمرو، وصورتها في القرآن الكريم: ننسها.

(٢) أخرجه مسلم في (٥) كتاب «المساجد» (٢) باب ح (١١) و (١٣) والبخاري في (٨) كتاب «الصلاة» (٣١) باب التوجه نحو القبلة، والحديث رواه الشافعي في «الرسالة»، وأخرجه مالك في «الموطأ» في (١٤) كتاب «القبلة» (٤) باب ما جاء في «القبلة» ح (٦) ص (١/١٩٥).

(٣) «فتح الباري» (٨) كتاب «الصلاة» (٣٢) باب وفي مسلم (٥) كتاب «المساجد» (٢) باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ح (١٣).

بطريق الأولى والأخرى. ثم قال تعالى مبيناً حكمته في حلول نعمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة. وحلول نعمته على من صدق وتاب هذه الكائنة. فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾. قال ابن عباس: إلا لنرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة أي وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر إلا على الذي هدى الله أي فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويؤمنون ويعملون لأنهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَزُؤُفٌ رَجِيمٌ﴾ والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط في «التفسير» وسنزيد ذلك بياناً في كتابنا «الأحكام الكبير». وقد روى الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن قيس، عن محمد بن الأشعث، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ - يعني في أهل الكتاب -: «إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا، وعلى قولنا خلف الإمام آمين».

فصل: في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير^(١): وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل إنه فرض في شعبان^(٢) منها، ثم حكى أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى [وغرق فيه آل فرعون]^(٣). فقال: «نحن أحق بموسى منكم» فصامه وأمر^(٤) الناس بصيامه، وهذا الحديث ثابت في «الصحيحين» عن ابن عباس وقد قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَكُمُ تَنَقُّونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥] وقد تكلمنا على ذلك في «التفسير» بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية في ذلك والأحكام المستفادة منه والله الحمد.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا المسعودي، حدثنا عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليل عن معاذ بن جبل. قال: أحييت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة. قال وأما أحوال الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حولان. قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا. ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائماً، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً فقال: «ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً» فأخبره، قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله: ﴿أَحِلَّ لَكُمُ اللَّيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُم مِّنْ لَّيَالِي مَا كُنْتُمْ صَائِمِينَ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ورواه أبو داود في «سننه» والحاكم في «مستدرکه» من حديث المسعودي نحوه وفي «الصحيحين» من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: كان عاشوراء يصام، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر. وللبخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله.

(١) «تاريخ الطبري» (٢/٢٦٥).

(٢) قال ابن سيد الناس: فرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً، وقال القرطبي: الصحيح سبعة عشر شهراً وهو قول مالك وابن المسيب وابن إسحاق وقال الواقدي: ثبت عندنا الأول.

(٣) زيادة من الطبري.

(٤) قال ابن الأثير: لما فرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم عنه.

ولتحرير هذا، موضع آخر من «التفسير» ومن «الأحكام الكبير» وبالله المستعان.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر، وقد قيل إن رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم - أو يومين - وأمرهم بذلك، قال وفيها صلى النبي ﷺ صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاحها وخرجوا بين يديه بالحربة^(١) وكانت للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد.

قلت: وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب^(٢) كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقي الجمعان

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣] وقال الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٦﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكُفْرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٥، ٦، ٧، ٨] وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه.

قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش: ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة، وفيها ثلاثون رجلاً - أو أربعون - منهم مخزومة بن نوفل وعمرو بن العاص. قال موسى بن عقبة عن الزهري: كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين، قال وكان في العير ألف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فلهذا تخلف عن بدر.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس، كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث^(٣) بدر قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم وقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس فخفف بعضهم وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس^(٤) من لقي من الركبان تخوفاً على أموال^(٥) الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن^(٦) عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة. قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم عن عكرمة، عن ابن عباس، ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قالوا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا افزعته، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا

(١) في «الطبري» و «ابن الأثير»: العترة وهي عصا في رأسها سنان مثل سنان الرمح.

(٢) أي زكاة المال.

(٣) بدر: اسم بئر حفرتها رجل من غفار اسمه بدر، قيل هو بدر بن قريش بن يخلد، وبه - في قول - سميت قريش، وقيل إن بدر: رجل كانت له بئر بدر وهي على أربع مراحل من المدينة. قال ابن سعد: كانت بدر موسماً من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب، وبين بدر والمدينة ثمانية برد وميلان.

«معجم البلدان - شرح المواهب - الروض الأنف - طبقات ابن سعد».

(٤) في ابن هشام والواقدي: يتحسس بالحاء. قال السهيلي: التحسس أن تسمع الأخبار بنفسك، والتجسس بالجيم هو أن تفحص عنها بغيرك.

(٥) في «ابن هشام»: على أمر الناس.

(٦) في ابن سعد: وكان بلغ المشركين بالشام أن رسول الله ﷺ يرصد انصرافهم فبعثوا ضمضم بن عمرو حين فصلوا من الشام إلى قريش بمكة يخبرونهم بما بلغهم عن رسول الله ﷺ.

أفظعتني^(١) وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكنتم علي ما أحدثك، قال لها وما رأيت؟ قالت رأيت راجباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر^(٢) لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا وأنت فاكنتميتها لا تذكريها لأحد، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه^(٣) عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش [في أنديةها]، قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط^(٤) من قريش يعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبوة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال تلك الرؤيا التي رأيت عاتكة، قال: قلت: وما رأيت؟ قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث، فستتربص بكم هذه الثلاث فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب، قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير شيء^(٥) إلا أي جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً، قال: ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟ قال: قلت: قد والله فعلت ما كان مني إليه من كبير، وأيم الله لأتعرضن له، فإذا عاد لأكفيكنه، قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أي قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيت، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، قال: قلت في نفسي: ماله لعنه الله أكل هذا فرق مني أن أشاتم؟! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره، وحول رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة^(٦)، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث. قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر، فتجهز الناس سراعاً وقالوا أبطن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ [كلا]^(٧) والله ليعلمن غير ذلك. وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن إسحاق. قال فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والذلول.

قال ابن إسحاق: فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها، قال ابن إسحاق: وحدثني ابن أبي نجيح: أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فاتاه عقبة بن أبي معيط^(٨) وهو جالس في المسجد بين ظهراي قومه بمجمرة يحملها، فيها نار ومجمر،

(١) أفظعتني: اشتدت علي، وفي «ابن الأثير»: افزعتها.

(٢) في «ابن هشام»: بالغدُر، وتروى يا أهل غدر شرحها السهيلي: جمع غدور، وهي بضم الغين والذال، وهي تحريض لهم، أي إن تخلفتم فأنتم غدر لقومكم. قال أبو عبيد تقوم: يا غدر، أي يا غادر فإذا جمعت قلت: يا آل غدر.

(٣) من ابن هشام وابن الأثير، وفي الأصل: لابنه.

(٤) ذكرهم ابن عقبة في روايته: أبا جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأمية وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود وأبا البخترى في نفر من قريش.

(٥) قال ابن عقبة أن العباس رد عليه قال: هل أنت منته، فإن الكذب فيك وفي أهل بيتك، فقال من حضرهما: ما كنت يا أبا الفضل جهولاً ولا خرقاً.

(٦) اللطيمة: جميع ما حملت الإبل للتجارة قاله أبو الزناد، وقال غيره: اللطيمة: العطر خاصة.

(٧) من ابن هشام.

(٨) قال الواقدي: آناه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل، وعقبة معه بمجمرة فيها بخور ومع أبي جهل مكحلة ومرود فأدخلها عقبة تحت وقال: تبخر. فإنا أنت امرأة وقال أبو جهل: اكتحل، فإنا أنت امرأة.

حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا علي، استجمر وإنما أنت من النساء قال: قبحك الله وقبح ما جئت به، قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصة. وقد رواها البخاري على نحو آخر فقال: حدثني أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة، ثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه عن أبي إسحاق، حدثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقاً لأمية بن خلف وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة، قال سعد لأمية أنظر لي ساعة خلوة لعلني أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال يا [أبا] (١) صفوان من هذا معك؟ قال هذا سعد. قال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد - ورفع صوته عليه - أما والله لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، قال سعد دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنهم قاتلوك» قال بمكة؟ قال لا أدري؟ ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له بمكة. قال: لا أدري. فقال أمية والله لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر. استنفر أبو جهل الناس فقال أدركوا غيركم، فكره أمية أن يخرج فاتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذ عبتني (٢) فوالله لأشتري (٣) أجود بغير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك الشربي؟ قال: لا، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بغيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر. وقد رواه البخاري في موضع آخر عن محمد بن إسحاق، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق به نحوه، تفرد به البخاري. وقد رواه الإمام أحمد: عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد كلاهما عن إسرائيل وفي رواية إسرائيل قالت له امرأته: والله إن محمداً لا يكذب (٤).

قال ابن إسحاق: ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان (٥) بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب. فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر في ابن حفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤي قتله رجل من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح؛ ثم أخذ بثاره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامراً وخاض بسيفه في بطنه ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: لما اجتمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك أن يشيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة. فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً. قلت: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّ جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ [الأنفال: ٤٧-٤٨] غرهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم. فلما رأى الجد

(١) من «صحيح البخاري».

(٢) في «صحيح البخاري» و «دلائل البيهقي»: إذ غلبتني.

(٣) قال الواقدي: ابتاعوا له جملاً بثلاثمائة درهم من نعم بني قشير، فغنمه المسلمون يوم بدر، فصار في سهم خبيب بن اساف، وفي رواية يساف.

(٤) رواه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢) باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر ح (٣٩٥٠) «فتح الباري» (٢٨٢/٧) وفي (٦١) كتاب «المناقب» (٢٥) باب ح (٣٦٣٢) «فتح الباري» (٦٢٩/٦) عن أحمد بن إسحاق. ورواه البيهقي من طريقه في «دلائله» (٢٥/٣).

(٥) من ابن هشام: وفي الأصل: كانوا تحريف.

والملائكة تنزل للنصر وعائين جبريل نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله . وهذا كقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحشر: ١٦] وقد قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١] فابليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهباً فكان أول من هزم يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. وقال يونس عن ابن إسحاق: خرجت قريش على الصعب والذلول في تسعمائة وخمسين مقاتلاً معهم مائتا فرس^(١) يقودونها ومعها القيان^(٢) يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين وذكر المطعمين لقريش يوماً يوماً، وذكر الأموي أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشراً^(٣)، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعاً، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوماً فنحر لهم شيبه بن ربيعة تسعاً، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشراً، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشراً، [ونحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعاً]^(٤) ونحر لهم على ماء بدر أبو البختري عشراً، [ونحر لهم مقبس الجمحي على ماء بدر تسعاً]^(٥) ثم أكلوا من أزوادهم. قال الأموي: حدثنا أبي حدثنا أبو بكر الهذلي قال: كان مع المشركين ستون فرساً وستمائة درع وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستون درعاً.

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيهم من مكة ومسيرهم إلى بدر. وأما رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ في ليل^(٦) مضت من شهر رمضان في أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة، ودفن اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار. قال ابن هشام كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ وقال الأموي كانت مع الحباب بن المنذر. قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار. وقال الأموي: وكان معهم فرسان على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الأخرى الزبير بن العوام^(٧) ومن سعد بن خيثمة ومن المقداد بن الأسود. وقد روى الإمام أحمد من حديث أبي إسحاق: عن حارثة بن مضرب عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد^(٨).

وروى البيهقي: من طريق ابن وهب عن أبي صخر عن أبي معاوية البلخي^(٩) عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن علياً قال له: ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود - يعني يوم بدر - وقال الأموي: حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن التيمي قال: كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فرسان، الزبير بن العوام على الميمنة، والمقداد بن الأسود على الميسرة^(١٠).

- (١) في رواية الواقدي وابن الأثير: مائة فرس.
- (٢) ذكر الواقدي أسماءهن: سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب، وعزة مولاة الأسود بن المطلب، ومولاة أمية بن خلف.
- (٣) نحر لهم بمز.
- (٤) زيادة من رواية موسى بن عقبة، «دلائل البيهقي» (٣/١٠٩).
- (٥) زيادة من رواية ابن عقبة، «دلائل البيهقي» (٣/١١٠).
- (٦) قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان، وقال الواقدي: يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان، وفي ابن الأثير والطبري ثلاث ليال خلون من شهر رمضان. وعند ابن سعد يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره.
- (٧) العبارة غير مستقيمة في الأصل. ورواية البيهقي عن ابن عقبة - ولعلها أصوب - على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الآخر سعد بن خيثمة، ومزة الزبير بن العوام، ومرة المقداد بن الأسود.
- (٨) وفي رواية النسائي: على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت سمرة يصلي ويبكي حتى أصبح. رواه في الصلاة «تحفة الأشراف» (٧/٣٥٧) ورواه البيهقي في «الدلائل» (٣/٤٩). والمقداد بن الأسود من أول من أظهر الإسلام، وكان من الفضلاء النجباء الخيار الكبار من أصحاب النبي ﷺ.
- (٩) «دلائل النبوة» (٣/٣٩) وفيه البجلي بدل البلخي.
- (١٠) في رواية للواقدي: كان معهم فرسان: فرس للمقداد - ولا اختلاف عندنا أن المقداد له فرس - وفرس لمرثد بن أبي مرثد =

قال ابن إسحاق: وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها، فكان رسول الله ﷺ وعلي ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة^(١) يعتقبون بعيراً. كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود. قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بغير، كان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله ﷺ. قال فكانت عقبه رسول الله ﷺ فقالوا نحن نمشي عنك. فقال: «ما أنتم بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما» وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة به^(٢). قلت: ولعل هذا كان قبل أن يرد أبا لبابة من الروحاء، ثم كان زميلاًه علي ومرثد بدل أبي لبابة^(٣) والله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر، وهذا على شرط «الصحيحين». وإنما رواه النسائي عن أبي الأشعث، عن خالد بن الحارث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. قال شيخنا الحافظ المزني في «الأطراف» وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة. وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة فإله أعلم. وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب. قال سمعت كعب بن مالك يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد تفرد به^(٤).

قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة، على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة ثم على أولات الجيش ثم مر على تريان^(٥) ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات اليمامة ثم على السبالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة، وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية لقي رجلاً من الأعراب، فسأله عن الناس، فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلم على رسول الله ﷺ قال أوفيكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم! فسلم عليه ثم قال: لئن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه، قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل علي فإنا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها، ففي بطنها منك سخلة. فقال رسول الله ﷺ مه أفحشت على الرجل، ثم عرض عن سلمة. ونزل رسول الله ﷺ سجسج وهي بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف^(٦) ترك طريق مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرأ؟ فسلك في ناحية منها حتى إذا جزع^(٧) وادياً يقال له وحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم انصب منه حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس^(٨) بن عمرو الجهني، حليف بني ساعدة، وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسسان^(٩) الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وغيره. وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما

- = الغنوي وقيل للزبير (ابن الأثير): وكان اسم فرس المقداد: سبحة وفرس مرثد: السيل. وفي رواية لقتيبة عند ابن سعد: كان مع رسول الله ﷺ ثلاثة أفراس وذكر الفرسان الثلاثة. والأول أرجح.
- (١) أبو كبشة وأنسة موليا رسول الله ﷺ.
- (٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢٩/٣) والنسائي في «السير تحفة الأشراف» (٢٦/٧) والحاكم في «المستدرک» (٢٠/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين.
- (٣) المشهور عن أهل المغازي أن أبا لبابة رده النبي ﷺ من الروحاء واستخلفه على المدينة، وعده ابن سعد من المتخلفين في المدينة ولم يذكر مسيرة إلى الروحاء، وفي ابن الأثير أن زميلي النبي ﷺ علي وزيد بن حارثة.
- (٤) أخرجه البخاري مطولاً في كتاب «الأحكام» باب هل للإمام أن يمنع المجرمين، وأهل المعصية من الكلام معه والزيارة ونحوه؟ وللحديث طرق أخرى ذكرها المزني في «تحفة الأشراف» (٣١١/٨ - ٣١٢).
- (٥) تريان: بالضم دار بين الحفير والمدينة.
- (٦) المنصرف: موضع بين مكة وبدر وبينهما أربعة برد «معجم البلدان».
- (٧) جزع الوادي: قطعه عرضاً، ولا يجزع الوادي إلا عرضاً.
- (٨) في «مصنف أبي داود»: بسبسة: قاله السهيلي ونسبه ابن الأثير لجهينة وغيره إلى ذبيان وقال: هو بسبس بن عمرو بن ذبيان.
- (٩) وفي رواية: يتجسسان تقدم شرحها.

رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً فقد بعثهما مرتين والله أعلم.

قال ابن إسحاق رحمه الله: ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل عن جبلها ما أسماؤهما^(١)؟ فقالوا: يقال لأحدهما: مُسْلِحٌ وللآخر: مخرى، وسأل عن أهلها فقيل بنو النار، وبنو حراق، بطنان من غفار، فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما وأسماء أهلها فتركهما والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد، يقال له: ذفران فجزع فيه، ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون؛ فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له. ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا بمن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى: عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» قال فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لضرب في الحرب صدق عند اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله. قال: فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ثم قال: «سيروا وابشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم» هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله. وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري في «صحيحه»: حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه [كان] أحب إلي مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين. فقال: لا نقول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، [قال] فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه [لذلك] وسره، انفرد به البخاري دون مسلم فرواه في مواضع من «صحيحه» من حديث مخارق به^(٢) ورواه النسائي من حديثه وعنده: وجاء المقداد بن الأسود يوم بدر على فرس فذكره. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبيدة - هو ابن حميد - عن حميد الطويل عن أنس قال: استشار النبي ﷺ مخرجه إلى بدر فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله ﷺ يامعشر الأنصار. فقال بعض الأنصار: يا رسول الله إذا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك. وهذا إسناد ثلاثي صحيح على «شرط الصحيح». وقال أحمد أيضاً: حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ شاور^(٣) حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقال سعد بن عبادة، إيانا يريد رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لخضناها،

(١) كذا في الأصل، وهو تحريف، وفي «ابن هشام»: ما أسماهما؟ وهو أصح.

(٢) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٤) باب «فتح الباري» (٢٨٧/٧)، وأعادته في التفسير مرتين، مرة عن أبي نعيم، ومرة عن حمدان بن عمر، تفسير سورة المائدة باب قوله «فَأَذَهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا...» [المائدة: ٢٤] وما بين معكوفين في الحديث زيادة من الصحيح.

(٣) في الحديثين مشاورة النبي للناس: قال فيها العلماء إنما قصد النبي ﷺ الأنصار، لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعوهم، فلما عرض الخروج لأبي سفيان - في بدر - أراد أن يعلم موقفهم من الموضوع المطروح، وهل أنهم يوافقون على ذلك أم لا؟ فكانت إصابتهم له كاملة، واستعدادهم للقتال حسن ..

ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها^(١) إلى برك الغماد لفعلنا، فندب رسول الله ﷺ الناس. قال فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فأخذه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول ما لي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأميرة بن خلف فإذا قال ذلك ضربوه فإذا ضربوه. قال: نعم! أنا أخبركم هذا أبو سفيان فإذا تركوه فسألوه قال ما لي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميرة، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف فقال والذي نفسي بيده انكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم. قال: وقال رسول الله ﷺ: هذا مصرع فلان يضع يده على الأرض ههنا وههنا، فما أطاق أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ^(٢) ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به نحوه. وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه - واللفظ له - من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها؟» فقلنا نعم! فخرج وخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: «ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟» فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ولكننا أردنا العير، ثم قال: «ما ترون في قتال القوم؟» فقلنا مثل ذلك. فقال المقداد بن عمرو [فقال]: إذا لا نقول لك يا رسول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، قال فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا مثل ما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنفال: ٥] وذكر تمام الحديث. وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي، عن أبيه، عن جده. قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال أبو بكر يا رسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا، قال ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال سعد بن معاذ يا رسول الله إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معك متبعون، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت. فنزل القرآن على قول سعد: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنفال: ٥] الآيات. وذكره الأموي في «مغازيه» وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت؛ وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت. وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك^(٣).

قال ابن إسحاق: ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران فسلك على ثنانيا يقال لها الأصافر، ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدية^(٤) وترك الحثان بيمين وهو كتيب عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه^(٥). قال ابن هشام هو أبو بكر. قال ابن إسحاق - كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم. فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم؟ فقال له رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك فقال أو ذاك بذاك؟ قال: نعم! قال الشيخ فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا. للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتم؟ فقال له رسول الله ﷺ «نحن من ماء» ثم انصرف عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء أمن ماء العراق؟

- (١) كناية عن ركضها، فإن الفارس إذا أراد ركض مركوبه يحرك رجله من جانبيه، ضارباً على موضع كبده.
- (٢) رواه أبو داود في كتاب «الجهاد» باب في الأسير ينال منه ويضرب. وأخرجه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٣٠) باب غزوة بدر ح (٨٣) ص (١٤٠٣/٣).
- (٣) نقله البيهقي في «الدلائل» (١٠٧/٣) بنحوه في باب سياق قصة بدر عن «مغازي موسى بن عقبة».
- (٤) كذا في الأصل، وفي «ابن هشام» و «الواقدي» و «تاريخ الطبري» و «معجم البلدان»: الدبة: وهي بلد بين الأصافر وبدر.
- (٥) في الواقدي: معه قتادة بن النعمان، ويقال عبد الله بن كعب المازني، ويقال: معاذ بن جبل.

قال ابن هشام: يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام^(١) وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج^(٢) وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالوا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما^(٣) قالوا: نحن لأبي سفيان فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجديته وسلم. وقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش؟ قالوا: هم [والله] وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكتيب العنقل. فقال لهما رسول الله ﷺ كم القوم؟ قالوا: هم قال ما عدتهم، قالوا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف، ونبية ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود. قال: فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

قال ابن إسحاق: وكان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرأ فأناخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذوا شناً لهما يستقيان فيه. ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما يتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتهما: إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك. قال مجدي: صدقت ثم خلص بينهما. وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه بما سمعا، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء. فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً؟ قال ما رأيت أحداً أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففثه فإذا فيه النوى. فقال: هذه والله علائف يشرب فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجهه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرأ بيسار وانطلق حتى أسرع. وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا. فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام وأميمة بن خلف، وفلان وفلان فعد رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشرف قريش، ثم رأيت ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه. فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال هذا أيضاً نبي آخر من بني المطلب سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا وقال الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زهرة - وهم بالجحفة^(٤): يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم، وخلص لكم صاحبكم

(١) في الواقدي: بسبس بن عمرو بدلاً من الزبير بن العوام؛ وفي روايته أنه ﷺ أنه التقى ﷺ قبل ذلك ببسبس فأخبره خبر قريش. وقد تقدم أنه ﷺ بعث بسبس وعدي بن أبي الزغباء يتحسنان أخبار قريش «الطبري» - «ابن الأثير» «سيرة ابن هشام» «طبقات ابن سعد».

(٢) في «ابن الأثير»: الجحجاج؛ وفي الواقدي ذكر ثلاثة: أسلم غلام منه بن الحجاج، ويسار غلام عبيد بن سعيد بن العاص، وأبو رافع غلام أمية بن خلف.

(٣) أذلقوهما: بالغوا في ضربيهما وأذوهما.

(٤) الجحفة: كانت قرية كبيرة على طريق المدينة، من مكة على أربع مراحل «معجم البلدان» (٣/٦٢).

مخرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جنبها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة^(١) لا ما يقول هذا. قال فرجعوا فلم يشهدا زهري واحد، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس فلم يشهد بدرأ من هاتين القبيلتين أحد^(٢). قال: ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب^(٣) - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة. فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع. وقال في ذلك.

لَا هُمْ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبَ فِي عُصْبَةٍ مُّحَالِفٍ مُحَارِبٍ^(٤)
فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ فليكن المسلوب غير السالب^(٥)
وليكن المغلوب غير الغالب

قال ابن إسحاق: ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، خلف العقنقل وبطن الوادي وهو ليليل، بين بدر وبين العقنقل، الكئيب الذي خلفه قريش، والقليل بيدر في العدو الدنيا من بطن بيليل إلى المدينة. قلت: وفي هذا قال تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢] أي من ناحية الساحل ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢] وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً^(٦) فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبذلهم الأرض ولم يمنعهم من السير، وأصاب قريشاً منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

قلت وفي هذا قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١] فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته الخواطر، وهذا تثبت الباطن والظاهر وأنزل النصر عليهم من فوقهم في قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَبَيِّنُوا لِي مَا نَزَلْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَيَرَوْنَ الْكَوْكَبَ﴾ [الأنفال: ١٢] أي على الرؤوس ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] أي لثلا يستمسك منهم السلاح ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: ١٣ - ١٤].

قال ابن جرير: حدثني هارون بن إسحاق ثنا مصعب بن المقدم ثنا إسرائيل ثنا أبو إسحاق عن حارثة عن علي بن أبي طالب. قال: أصابنا من الليل طش من المطر - يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ - يعني قائماً يصلي - وحرص على القتال. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي^(٧). قال: ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح، وسيأتي هذا الحديث مطولاً. ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة به^(٨): وقال مجاهد: أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار

- (١) في «السيرة الحلبية» وفي «الواقدي»: في غير منفعة.
- (٢) في «الواقدي»: وكانوا مائة، والأثبت أقل من مائة. وأما بنو عدي فرجعوا من الطريق، وقيل من مر الظهران. وقال ابن سعد: كانت بنو عدي بن كعب مع النفير فلما بلغوا ثنية لفت عدلوا في السحر إلى الساحل منصرفين إلى مكة.
- (٣) في رواية للطبري عن ابن الكلبي أن طالب أخرج كرهاً مع المشركين. وأنه رجع إلى مكة فيمن رجع قبل بدر (٢٧٦/٢) وفي رواية لابن الأثير والطبري: أنه لم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة.
- (٤) في رواية ابن عتبة:

إِمَّا يَخْرُجْنَ طَالِبَ فِي نَفْرٍ مَقَاتِلٍ مُحَارِبِ

وفي الطبري الشطر الأول: يا رب إما يغزون طالب

(٥) مقنب: المقنب الجماعة من الخيل، نحو ثلاثمائة.

(٦) الدهس: كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملًا.

(٧) «تاريخ الطبري»: (٢٦٩/٢).

(٨) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» في الصلاة، عن محمد بن المثنى، عن محمد، عن شعبة، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب «تحفة الأشراف» (٣٥٧/٧).

وتلبدت به الأرض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم.

قلت: وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول «يا حي يا قيوم» يكرر ذلك ويلظ به عليه السلام.

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به. قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح. قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فأمض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور^(١) ما وراءه من القلوب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي» قال الأموي: حدثنا أبي قال: وزعم الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقماس^(٢) وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله ﷺ: «هو السلام ومنه السلام وإليه السلام» فقال الملك^(٣) إن الله يقول لك أن الأمر [هو] الذي أمرك به الحباب بن منذر. فقال رسول الله ﷺ يا جبريل هل تعرف هذا؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف وأنه لصادق وما هو بشيطان فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فعورت، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه فعلى ماء ثم قذفوا فيه الآنية. وذكر بعضهم أن الحباب بن منذر لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي ﷺ فقال الملك يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن الرأي ما أشار به الحباب، فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل فقال ليس كل الملائكة أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان. وذكر الأموي^(٤) أنهم نزلوا على القلب الذي يلي المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤوا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أن سعد بن معاذ. قال: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تحلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبالك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تحلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بني لرسول الله ﷺ عريش كان فيه.

قال ابن إسحاق: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل - وهو الكتيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي - قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك^(٥) وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم^(٦) الغداة». وقد قال رسول الله ﷺ - وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم وهو على جل له أحر «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر» إن يطيعوه يرشدوا قال: وقد كان خفاف بن أيماء بن رخصة أو أبوه أيماء بن رخصة الغفاري، بعث إلى قريش ابناً له بجزائر أهداها لهم. وقال: «إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا» قال: فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتكم رحم، وقد قضيت الذي عليك، فلعمري إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم، وإن كنا إنما نقاتل الله، كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة. قال: فلما نزل الناس

(١) كذا في الأصل وابن هشام والواقدي نغور: نفسد قاله أبو ذر في «شرح السيرة» وفي «ابن سعد» و «كامل ابن الأثير» نعور: أي ندفن...

(٢) كذا في الأصل، ولم نعثر في أي من الكتب التي بأيدينا على هذا النص، ولعلها الأقباص: جمع قبص والقبص الجماعة من الناس.

(٣) في «ابن سعد»: إن جبريل نزل على رسول الله ﷺ وقال: الرأي ما أشار به الحباب.

(٤) انظر «دلائل البيهقي» (٣/١١٠).

(٥) تحادك: تعاديك.

(٦) أحنهم: أي أهلكهم.

أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه فكان إذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر.

قلت: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما سيأتي بيان ذلك في فصل نعقده بعد الوقعة، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله.

ففي «صحيح البخاري» عن البراء قال: كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضع عشرة على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوزه معه إلا مؤمن^(١). وللبخاري أيضاً عنه قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين، والأنصار نيفاً وأربعون ومائتان^(٢). وروى الإمام أحمد: عن نصر بن رثاب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال: كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضي من شهر رمضان يوم الجمعة. وقال الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَدْنَاكُمْ كَثِيراً لَفَسَلْتُمْ وَلَنَنْزَعْنَكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال: ٤٣] الآية. وكان ذلك في منامه تلك الليلة وقيل إنه نام في العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ، وقد أراه الله إياهم في منامه قليلاً. ذكره الأموي^(٣) وهو غريب جداً. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَقَوْلُكُمْ وَهُوَ كَثِيرٌ وَإِن يَرَوْهُ كَثِيراً يُرَوْهُمُ إِذِ الْتَقَيْتُمْ قَلِيلاً وَلِيُذِيقَهُمْ نِعْمَةً مِّنْ أَمْرِهِمْ وَمِنْ عَذَابِهِمْ إِنَّ رَبَّهُمْ لَذُو فَهْمٍ عَمِيمٍ﴾ [الأنفال: ٤٤] فعندما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما في أعين الآخرين ليجترأ هؤلاء على هؤلاء على هؤلاء لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة آل عمران ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأْيَ الَّذِينَ رَأَى الْقَمِينَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فإن المعنى في ذلك على أصح القولين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة على الصحيح أيضاً، وذلك عند التحام الحرب والمسابقة^(٤) أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا. ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَءِتْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣] قال إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيد^(٥) وعبد الله [قال]: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى أني لأقول لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ فقال أراهم مائة.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزر لنا القوم أصحاب محمد، قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاثمائة^(٦) رجل يزيدون قليلاً، أو ينقصون ولكن أمهلوني حتى أنظر اللقوم كمين أو مدد. قال: فضرب في الوادي حتى أبعث فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا^(٧) تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم، حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فرؤوا رأيكم [يا معشر قريش]^(٨)؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى

- (١) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٦) باب عدة أصحاب بدر ح (٣٩٥٩) وأخرجه ابن ماجه في كتاب «الجهاد» عن أبي عامر العقدي.
- (٢) رواه البخاري من طريقين «فتح الباري» (٦٤) كتاب «المغازي» (٦) باب ح (٣٩٥٨) (٧/٢٩٠) عن مسلم بن إبراهيم، وعن ابن أبي شيبة «فتح الباري» (٧/٣٩١).
- (٣) نقله البيهقي في «الدلائل» (٣/١١٣).
- (٤) في الأصل: السابقة وهو تحريف.
- (٥) في «دلائل البيهقي» ج (٣/٦٧) أبي عبيد.
- (٦) في رواية البيهقي عنه: ثلاثمائة وخمسون.
- (٧) البلايا: جمع بلية، قيل هي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تelf ولا تسقى حتى تموت. وفي ابن الأثير: الولايا وهي جمع ولية: البرذعة.
- (٨) من «دلائل البيهقي» (٣/٦٥) والخبر في «سيرة ابن هشام» (٢/٢٧٤) و «كامل ابن الأثير» (٢/١٢٣).

أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال وما ذاك يا حكيم؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي، قال: قد فعلت، أنت عليّ بذلك، إنما هو حلفي فعليّ عقله وما أصيب من ماله. فأت ابن الحنظلية^(١) - يعني أبا جهل - فإني لا أخشى أن يسجر^(٢) أمر الناس غيره، ثم قام عتبة خطيباً فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه - أو ابن خاله - أو رجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألكم ولم تعرضوا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعاً فهو يهينها^(٣) فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا. فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي. فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع الناس، وقد رأيت ثارك بعينك فقم فأنشد خفرتك ومقتل أخيك، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ: واعمره واعمره. قال: فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا^(٤) على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة. فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال: سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه بيرد له^(٥).

وقد روى ابن جرير: من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال: حكيم بن حزام يستأذن، قال: ائذن له فلما دخل قال: مرحباً يا أبا خالد أدن، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال: حدثنا حديث بدر. فقال: خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بدرأ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التي قال الله تعالى، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال أفعل ماذا؟ قلت إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي وهو حليفك، فتحمل بديته ويرجع الناس. فقال أنت عليّ بذلك واذهب إلى ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فقل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن خلفه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول: فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم بمن معك؟ قال أما وجد رسولاً غيرك؟ قلت: لا! ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة لثلاث يفتوني من الخبر شيء وعتبة متكئ على إيماء بن رخصة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر. فطلع أبو جهل الشرف في وجهه فقال لعتبة: انتفخ سحرك؟ فقال له عتبة: ستعلم، فسأل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رخصة بشس الفأل هذا، فعند ذلك قامت الحرب^(٦). وقد صف رسول الله ﷺ أصحابه وعباهم أحسن تعبئة فروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف. قال: صفنا رسول الله ﷺ يوم بدر ليلاً. وروى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول: صفنا رسول الله ﷺ يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف، فنظر إليهم النبي ﷺ فقال: «معي معي» تفرد به أحمد وهذا إسناد حسن.

وقال ابن إسحاق: وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنثل من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال «استو يا سواد» فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقذني

(١) قال ابن هشام: الحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مخربة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم.

(٢) من ابن هشام وفي الأصل: يسجر.

(٣) يهينها: أي يتفقدتها قاله أبو ذر. وفي «الكامل لابن الأثير» يهينها: يتفقدتها ويصلحها.

(٤) في ابن هشام: استوسقوا: اجتمع أمرهم.

(٥) «سيرة ابن هشام» (٢/٢٧٥) والبيهقي في «الدلائل» (٣/٦٥) و«ابن الأثير» (٢/١٢٤).

(٦) «تاريخ الطبري» (٢/٢٧٨).

فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: استقد، قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير ﷺ وقاله. قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غمسه يده في العدو حاسراً» فنزع درعاً كانت عليه فقتلها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره. وقال ابن إسحاق: وغيره وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه واقفاً على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار يجرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب مهياً لرسول الله ﷺ إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ. وقد روى البزار في «مسنده» من حديث محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين، فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس. قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجاهده، وهذا يتلته ويقولون أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلته هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه: ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه. فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول في العريش كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه. ورسول الله ﷺ يكثُر الابتهاج والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به «اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض» وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه. وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهاج: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك.

هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال بعض مناشدتك ربك من باب الإشفاق لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال: بعض هذا يا رسول الله أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر، وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ. وحكى السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي بأنه قال: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف والصديق في مقام الرجاء وكان مقام الخوف في هذا الوقت - يعني أكمل - قال لأن الله أن يفعل ما يشاء فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادة قلت وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام في مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم.

هذا وقد تواجه الفتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدي الرحمن واستغاث بربه سيد الأنبياء وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء. فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي. قال ابن إسحاق: وكان رجلاً شرساً سيء الخلق فقال: أعاهد الله لا شربين من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فاطن^(١) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوق على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد - زعم - أن تبر يمينه^(٢) واتبه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض. قال الأموي: فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة وهم عوف ومعاذ

(١) أطن: أطار «شرح أبي ذر».

(٢) في الواقدي: زحف الأسود حتى وقع في الحوض فهدمه برجله الصحيحة؛ وشرب منه.

وقال موسى بن عتبة في روايته: فأقبل يهجو حتى وقع في جوف الحوض فهدم منه واتبه حمزة حتى قتله انظر «دلائل البيهقي» (٣/١١٣) «مغازي الواقدي» (١/٦٨).

ابنا الحارث وأمهما عفراء، والثالث عبد الله بن رواحة^(١) - فيما قيل - فقالوا من أنتم؟ قالوا رهط من الأنصار. فقالوا ما لنا بكم من حاجة. وفي رواية فقالوا: أكفاء كرام ولكن أخرجوا إلينا من بني عمنا، ونادى مناديتهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال النبي ﷺ: «قم يا عبدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي» وعند الأموي أن النفر من الأنصار لما خرجوا كره^(٢) ذلك رسول الله ﷺ لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه فأحب أن يكون أولئك من عشيرته فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج.

قال ابن إسحاق فلما دنوا منهم قالوا من أنتم؟ - وفي هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح - فقال عبدة: عبدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا نعم!! أكفاء كرام. فبارز عبدة وكان أسن القوم، عتبة، وبارز حمزة شيبه، وبارز علي الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعليّ بأسيا فهما على عتبة فذففا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما^(٣) رضي الله عنه.

وقد ثبت في «الصحيحين»: من حديث أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبي ذر أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية: ﴿هَذَا خِصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيحِهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت في حمزة وصاحبه، وعتبة وصاحبه يوم برزوا في بدر^(٤). هذا لفظ البخاري في تفسيرها. وقال البخاري: حدثنا حجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي ثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب. أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل في الخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَذَا خِصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيحِهِمْ﴾ [الحج: ١٩] قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، تفرد به البخاري^(٥). وقد أوسعنا الكلام عليها في «التفسير» بما فيه كفاية والله الحمد والمنة.

وقال الأموي: حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي. قال: برز عتبة وشيبة والوليد وبرز إليهم حمزة وعبدة وعلي. فقالوا تكلموا نعرفكم. فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب. فقال كفؤ كريم. وقال علي: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وقال عبدة: أنا الذي في الحلفاء^(٦)، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم فقتلهم الله. فقالت هند [بنت عتبة] في ذلك:

أعيني جودي بدمع سرب
تداعى له رهطه غدوة
يذيقونه حد أسيا فهم
ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبدة حمزة.

على خير خندف لم ينقلب^(٧)
بنو هاشم وبنو المطلب
يعلونه بعد ما قد عطب^(٨)

(١) قال الواقدي: الثبت عندنا، بنو عفراء الثلاثة: معاذ ومعوذ وعوف.

(٢) في الواقدي وابن سعد: استحيى من ذلك.

(٣) في «ابن هشام» إلى أصحابه. وقال ابن الأثير في «تاريخه» وقد قطعت رجله؛ فلما أتوا به النبي ﷺ قال: ألسنت شهيداً يا رسول الله؟ قال: بلى.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب «التفسير» (٣) باب هذان خصمان... «فتح الباري» (٤٤٣/٨).

(٥) أخرجه البخاري عن محمد بن عبد الله الرقاشي عن معتمر في كتاب «المغازي» باب قتل أبي جهل.

(٦) في الواقدي: وقال عتبة: وأنا أسد الحلفاء... يعني بالحلفاء الأجمة.

علق ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» (٣/٣٣٤) قال: قد رويت هذه الكلمة على صيغة أخرى «وأنا أسد الحلفاء» وروى «وأنا أسد الأحلاف» أراد أنه سيد حلف المطيبين. ورد قوم هذا التأويل فقالوا: إن المطيبين لم يكن يقال لهم الحلفاء ولا الأحلاف، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم. وقال قوم: إنما عنى حلف الفضول وكان بعد حلف المطيبين، بزمان وهذا التفسير بعيد وغير صحيح لأن بني عبد شمس لم يكونوا في حلف الفضول. فقد بان أن ما ذكره الواقدي أصح وأثبت.

(٧) في رواية البيهقي: أيا عيني بدل أعيني.

(٨) البيت في رواية ابن عتبة:

يذيقونه حر أسيا فهم
يعلونه بعد ما قد عطب

قلت: وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجموه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأشرفه^(١) رسول الله ﷺ قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال: يا رسول الله لو رأي أبي طالب لعلم أني أحق بقول:

وَنَسَلِمُهُ حَتَّى نَصْرَعُ دُونَهُ وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ^(٢)

ثم مات رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أنك شهيد» رواه الشافعي رحمه الله. وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع^(٣) مولى عمر بن الخطاب رُمي بسهم فقتله. قال ابن إسحاق فكان أول من قتل، ثم رُمي بعده حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فمات. وثبت في «الصحيحين» عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان في النظارة أصابه سهم غرب فقتله، فجاءت أمه فقالت يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع - يعني من النياح - وكانت لم تحرم بعد فقال لها رسول الله ﷺ «ويحك أهملت، إنها جنان ثمان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض. وقال: «^(٤) أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال إن اكتنفتكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل. وفي «صحيح البخاري» عن أبي أسيد. قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر إذا أكثبوكم - يعني المشركين - فارموهم واستبقوا نبلكم^(٥). وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن^(٦) إسحاق حدثني عبد الله بن الزبير. قال: جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الأوس يا بني عبيد الله، وسمى خيله خيل الله. قال ابن هشام: كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد.

قال ابن إسحاق: ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر رضي الله عنه - يعني وهو يستغيث الله عز وجل - كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَفِيضُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِ بْنِ الْمَلْتِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَيُنذِرَ فِيهِ قُلُوبِكُمْ وَمَا أَنْصَرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ٩ - ١٠]. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نوح قراد، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا سماك الحنفي أبو زميل، حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد في الأرض أبداً» فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا رسول الله كفاك^(٧) مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَفِيضُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِ بْنِ الْمَلْتِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩] وذكر تمام الحديث كما سيأتي^(٨) وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي

(١) في «السيرة الحلبية» و «أنساب العيون» فأشرفه.

(٢) في الواقدي وابن الأثير: حوله بدلاً من دونه.

وقبله في الواقدي:

كذبتهم وبيت الله نخلي محمداً ولما نطاعن دونه ونناظل

(٣) في «ابن سعد» قتله عامر بن الحضرمي. وكان حارثة أول قتيل من الأنصار قتله حبان العرقة. ويقال غمير بن الحمام وقد قتله خالد بن الأعمى العقيلي.

وفي رواية ابن عقبة أن عمير قتيل قتل «دلائل البيهقي» (١١٣/٣) «ابن سعد» (١٢/٢) «ابن الأثير» (١٢٦/٢).

(٤) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٠) باب «فتح الباري» (٣٠٦/٧) وأخرجه أبو داود في «الجهاد» وأحمد في «مسنده» (٤٩٨/٣).

(٥) من «دلائل البيهقي»، وفي الأصل أبي وهو تحريف. وفيه: ابن إسحاق قال: حدثني عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير.

(٦) من ابن هشام، وفي الأصل: وقال وهو تحريف.

(٧) في الأصل ورواية البيهقي: كذلك والتصحيح من «مسند أحمد».

(٨) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٠/١) ومسلم في كتاب «الجهاد» (٣٢) (١٨) باب الإمداد بالملائكة ح (٥٨) ص (٣/١٣٨٣) والبيهقي في «الدلائل» (٥١/٣).

وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليماني وصححه علي بن المديني والترمذي، وهكذا قال غير واحد عن ابن عباس والسدي وابن جرير وغيرهم إن هذه الآية نزلت في دعاء النبي ﷺ يوم بدر، وقد ذكر الأموي وغيره أن المسلمين عجوا إلى الله عز وجل في الاستغاثة بجنابه والاستعانة به وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى مِنْ آلِ الْكُفْرِ﴾ أي ردفاً لكم ومدداً لفتنكم رواه العوفي عن ابن عباس. وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم. وقال أبو كدينة عن قابوس عن ابن عباس ﴿مُرْدِفِيكَ﴾ وراء كل ملك ملك. وفي رواية عنه بهذا الإسناد ﴿مُرْدِفِيكَ﴾ بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة. وقد روى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة، وكان جبريل في خمسمائة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة، وهذا هو المشهور ولكن قال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا إسحاق، ثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربيعي عن أبي حويرث عن محمد بن جبير عن علي. قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة على ميمنة النبي ﷺ وفيهما أبو بكر، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة على ميسرة النبي ﷺ وأنا في الميسرة، ورواه البيهقي في «الدلائل» من حديث محمد بن جبير عن علي فزاد: ونزل إسرافيل في ألف من الملائكة وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة، وهذا غريب وفي إسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال ويؤيدها قراءة من قرأ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى مِنْ آلِ الْكُفْرِ﴾ بفتح الدال والله أعلم. وقال البيهقي أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، ثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا عبيد الله^(١) بن عبد المجيد أبو علي الحنفي، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، أخبرني إسماعيل بن عوف^(٢) بن عبد الله بن أبي رافع عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده [عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه]^(٣) قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل، قال: فجئت فإذا هو ساجد يقول: «يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم» لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول: ذلك أيضاً: فذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً، حتى فتح الله على يده^(٤). وقد رواه النسائي في «اليوم والليلة» عن بندار عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي. وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود. قال ما سمعت مناشداً ينشد [حقاً له]^(٥) أشد من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر، جعل يقول: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد» ثم التفت وكان شق وجهه القمر. وقال «كأنني أنظر إلى مصارع القوم عشية»^(٦) رواه النسائي من حديث الأعمش به. وقال لما التقينا يوم بدر قام رسول الله ﷺ فما رأيت مناشداً ينشد حقاً له أشد مناشدة من رسول الله ﷺ وذكره. وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدر في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك كما تقدم، وسيأتي في «صحيح مسلم» أيضاً عن عمر بن الخطاب. ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الواقعة وهو مناسب، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل بيوم وأكثر، وإن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الواقعة والله أعلم. وقد روى البخاري^(٧): من طرق عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً» فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾ بِرِ السَّاعَةِ مَوْجِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ۝٤٦﴾ [القمر: ٤٥-٤٦] وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبي حاتم:

(١) في البيهقي: عبد الله.

(٢) في البيهقي: إسماعيل بن عون عن عبيد الله، وفي «ابن سعد» إسماعيل بن عون بن عبيد الله.

(٣) من البيهقي.

(٤) «دلائل النبوة للبيهقي» (٤٩/٣) والخبر في «طبقات ابن سعد» (٢٦/٢).

(٥) من «دلائل البيهقي» (٥٠/٢).

(٦) رواه البيهقي في «الدلائل» (٥٠/٣) ومسلم مطولاً في (٣٢) كتاب «الجهاد» (١٨) باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ح (٥٨) وأحمد في «مسنده» (٣٠/١، ٣٢).

(٧) في (٦٥) كتاب «التفسير» تفسير سورة القمر (٥) باب قوله: سيهزم الجمع ح (٤٨٧٥) «فتح الباري» (٦١٩/٨) وأخرجه في كتاب «الجهاد» باب: ما قيل في درع النبي ﷺ. وفي كتاب «المغازي» باب إذ تستغيثون ربكم.

حدثنا أبي ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا حماد، عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت: ﴿سَيِّئُ الْمَجْعَمِ وَيُولُونَ الذُّبُرَ﴾ (٤٥) [القمر: ٤٥] قال عمر: أي جمع يهزم وأي جمع يغلب؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يشب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيِّئُ الْمَجْعَمِ وَيُولُونَ الذُّبُرَ﴾ (٤٥) بِلِ السَّاعَةِ مَوَعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ (٤٦) [القمر: ٤٥-٤٦] فعرفت تأويلها يومئذٍ وروى البخاري من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول نزل على محمد بمكة - وإني لجارية العب - ﴿بِلِ السَّاعَةِ مَوَعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾.

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد» وأبو بكر يقول: يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، وقد خفق النبي ﷺ [خفقة] (١) وهو في العريش ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثنياه النقع» يعني الغبار. قال ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم. وقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة» قال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله (٢).

قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن سليمان، عن ثابت، عن أنس. قال: بعث رسول الله ﷺ بسبباً (٣) عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي ﷺ قال لا أدري ما استثنى من بعض نسائه، قال فحدثه الحديث. قال فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: «إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا» فجعل رجال يستأذنونهم في ظهورهم في علو المدينة قال «لا إلا من كان ظهره حاضراً» وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يتقد من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه» فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم! قال بخ بخ؟ فقال رسول الله: «ما يملكك على قول بخ بخ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها» قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، قال فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله (٤). ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وجماعة عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به، وقد ذكر ابن جرير (٥) أن عميراً قاتل وهو يقول رضي الله عنه:

ركضاً إلى الله بغير زاد
والصبر في الله على الجهاد
إلا الثقي وعمل المعاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير الثقي والبير والرشاد

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي. قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتوبناها (٦) وأصابنا بها وعك، وكان رسول الله ﷺ يتحيز (٧) عن بدر فلما بلغنا أن المشركين

(١) من ابن إسحاق: وخفق: نام نوماً سريعاً.

(٢) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٢/٢٧٩).

(٣) عند مسلم: بُسِبَتْ، وفي كتب «السيرة» بسبس وهو بسبس بن عمرو، ويقال ابن بشر من الأنصاري. قال النووي: يجوز أن يكون أحد اللفظين اسماً له، والآخر لقباً.

(٤) ورواه البيهقي من طريق أبي النضر (٣/٦٨) ومسلم في (٣٣) كتاب «الإمارة» (٤١) باب ثبوت الجنة ح (١٤٥) ص (١٥٠٩) وأبو داود مختصراً في كتاب «الجهاد» باب بعث العميون عن هارون بن عبد الله.

(٥) «تاريخ الطبري» (٢/٢٨١).

(٦) اجتوبناه: أصابنا الجوى، وهو المرض والتعب والإرهاق، وقد أصاب بعض الصحابة مرض من جو المدينة بعد الهجرة وأن الرسول الله قد دعا للمدينة وأهلها.

(٧) في البيهقي: يتخبر: أي يتعرف.

قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركين إليها فوجدنا فيها رجلين: رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فأما القرشي فانفلت، وأما المولى فوجدناه فجعلنا نقول له كم القوم؟ فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ، فقال له كم القوم؟ قال هم والله كثير عددهم شديد بأسهم. فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم فأبى ثم إن النبي ﷺ سأله كم ينحرون من الجزر فقال عشراً كل يوم. فقال النبي ﷺ «القوم ألف، كل جزور لمائة وتبعها»^(١) ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف^(٢) نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد» فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله^(٣) فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرص على القتال ثم قال «إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل» فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي ناد حمزة» وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم يا قوم أعصبوها برأسي وقلوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست باجبنكم^(٤). فسمع بذلك أبو جهل فقال: أنت تقول ذلك والله لو غيرك يقوله لا عضضته^(٥) قد ملأت رثتك جوفك رعباً. فقال: إياي تعير يا مصفر استه^(٦)؟ سيعلم اليوم أينما الجبان فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا: من يبارز فخرج فتية من الأنصار مشيبة فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن نبارز من بني عمنا من بني عبد المطلب فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حمزة، وقم يا علي، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب» فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين، وأسروا سبعين وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله والله إن هذا ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: «اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم» قال: فأسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفل بن الحارث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتي. وقد تفرد بطوله الإمام أحمد^(٧). وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به، ولما نزل رسول الله ﷺ من العريش وحرص الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُ فَفُكَةٌ فَأَثْبُتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥] الآية.

وقال الأموي: حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق، قال: قال الأوزاعي: كان يقال قلما ثبت قوم قياماً، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغض طرفه ويذكر الله رجوت أن يسلم من الرياء. وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: ألا ترونهم - يعني أصحاب النبي ﷺ - جثياً على الركب كأنهم حرس يتلمظون كما تتلمظ الحيات - أو قال الأفاعي - قال الأموي في «مغازيه»: وقد كان النبي ﷺ حين حرص المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب. وقال «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببذنه، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرصا وحثا على القتال وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين. قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٦/١) و (١٢٦) و (١٥٦/١) دون ذكر بدر. ورواه البيهقي من طريق الحسن بن محمد الزعفراني وفيه: أخذنا رجلين: أحدهما عربي والآخر مولى.

وروى ابن هشام بنحوه في «السيرة» (٢٥٥/٢ - ٢٥٦).

(٢) في رواية البيهقي: والحجف.

(٣) في رواية البيهقي: الصلاة جامعة.

(٤) زاد البيهقي: يا قوم إنني أرى أقواماً مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير.

(٥) أي قلت له: أعضض بأير أبيك.

(٦) يا مصفر استه: قال في «النهاية»: رماه بالأبنة، وأنه كان يزعر استه! وقيل كلمة تقال للمتعم المتترف الذي لم تحنكه التجارب.

(٧) الحديث بطوله في «مسند أحمد» (١١٧/١) وذكره الهيثمي في «الزوائد» (٧٥/٦) وقال: رواه أحمد والبخاري، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة. وروى أبو داود بعضه في كتاب «الجهاد» باب: في المبارزة.

برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً. ورواه النسائي من حديث أبي إسحاق عن حارثة عن علي قال: كنا إذا حمى البأس ولقى القوم اتقينا برسول الله ﷺ^(١). وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبي عون، عن أبي صالح الحنفي عن علي. قال: قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال يشهد الصف^(٢) - وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان في الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزلاً كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى في خمسمائة من الملائكة فوقفوا في الميسرة وكان علي بن أبي طالب فيها^(٣) وفي حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن علي. قال: كنت أسبح على القلب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل في ألف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكر، وإسرافيل في ألف في الميسرة وأنا فيها، وجبريل في ألف قال ولقد طفت يومئذ حتى بلغ إبطي وقد ذكر صاحب «العقد» وغيره أن أفرخ بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت:

وببشرِ بدرٍ إذ يكفَ مطيهم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد

وقد قال البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقعي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة. انفرد به البخاري. وقد قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا قَوْقَ الْأَعْنَاقِ - يَعْنِي الرُّؤُوسَ - وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] وفي «صحيح مسلم»: من طريق عكرمة بن عمار، عن أبي زميل حدثني ابن عباس. قال: بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس [يقول]: أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو خطم [أنفه] وشق وجهه بضربة السوط واخضر^(٤) ذلك أجمع فجاء الأنصار فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين^(٥).

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن حذيفة عن ابن عباس عن رجل من بني غفار. قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرًا ونحن على شركنا، وأنا لفي جبل^(٦) ننتظر الواقعة على من تكون الدائرة^(٧)، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حممة الخيل، وسمعنا قائلاً يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا لكدت أن أهلك ثم انتعشت^(٨). بعد ذلك. وقال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة^(٩)، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة - وكان شهد بدرًا - قال - بعد أن ذهب بصره - لو كنت اليوم ببدر ومعني

- (١) «مسند أحمد» (١٢٦/١) وأعادته في (١٥٦/١) واختصره في (٨٦/١).
- (٢) «مسند أحمد» (٢٥٥/٢) ونقله السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢٠١/١) والصالح في «السيرة الشامية» وعزاه للإمام أحمد والبخاري والحاكم: (٦٣/٤).
- (٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٥٥/٣) وأبو يعلى والحاكم عن علي رضي الله عنه. وذكره الهيثمي في «الزوائد» (٧٧/٦) وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، ونقله الصالح في «السيرة الشامية» (٦١/٤).
- (٤) واخضر: من مسلم، وفي الأصل وحضر وهو تحريف.
- (٥) رواه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٢٨) باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ح (٥٨) ص (١٣٨٣). - حيزوم: اسم فرس الملك، وهو منادى بحذف حرف النداء، أي: يا حيزوم. - أبو زميل: وهو سماك الحنفي.
- ما بين معكوفين في الحديث من «صحيح مسلم».
- (٦) الخبر في «الواقدي» (٧٦/١): ونحن على إحدى عجمتي بدر - العجمة الشامية - العجمة من رمل.
- (٧) في ابن هشام: الدبرة، وهي الدائرة.
- (٨) العبارة في ابن هشام وأبي نعيم والواقدي: وأما أنا فكدت أن أهلك ثم تماسكت.
- (٩) روى الخبر البيهقي في «الدلائل» (٥٣/٣) عن سهل بن سعد عن أبي أسيد الساعدي وذكره.

بصري لأريتكم الشعب^(١) الذي خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى. فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم: ﴿أَنَّى مَعَكُمْ فَتِنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. وتثبتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشروا فإنهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم.

وقال الواقدي: حدثني ابن أبي حبيبة عن داود^(٢) بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون [من الناس يشبتونهم]^(٣) فيقول: إني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء، إلى غير ذلك من القول فذلك قوله: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتِنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١١٢]. ولما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون وهو في صورة سراقه وأقبل أبو جهل يجرض أصحابه ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقه إياكم، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال: واللوات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه في الجبال^(٤) فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً: وروى البيهقي: من طريق سلامة، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال أبو أسيد - بعدما ذهب بصره - يا ابن أخي والله لو كنت أنا وأنت بيدر ثم أطلق الله بصري لأريتك الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار. وروى البخاري^(٥) عن إبراهيم بن موسى، عن عبد الوهاب، عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر «هذا جبريل أخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب».

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه. وحدثني عابد^(٦) بن يحيى عن أبي الحويرث عن عمارة بن أكيمة الليثي عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا: لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول «اللهم إن ظهروا على هذه العصاة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين» وأبو بكر يقول: والله لينصرك الله وليبيضن وجهك، فأنزل الله ألفاً من الملائكة مردفين عند اكتناف العدو. قال رسول الله ﷺ «أبشروا يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء أخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض، فلما نزل إلى الأرض تغيب عني ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول أذاك نصر الله إذ دعوته». وروى البيهقي عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه. قال: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وأن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف^(٧).

وقال ابن إسحاق: حدثني والدي، حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد^(٨) الليثي قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله. وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الربيع بن أنس. قال: كان الناس [يوم بدر] يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار وقد أحرق به^(٩).

وقال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن مقسم^(١٠) عن ابن عباس. قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم

(١) في الواقدي: وهو الملقب؛ وهو موضع بعينه، وأنشد أبو حنيفة: «اللسان»: (٩٥/٧).

فما زال يسقى بطن ملص وعرعرا وأرضهما حتى أطمأن جسيمها

(٢) من الواقدي (٧٩/١) وفي «نسخ البداية المطبوعة»: داود؛ وهو تحريف.

(٣) من الواقدي.

(٤) عبارة البيهقي: حتى نقرن محمداً وأصحابه في الجبال.

(٥) في (٦٤) كتاب «المغازي» (١١) باب ح (٣٩٩٥) «فتح الباري» (٣١٢/٧).

(٦) في الواقدي: عائد بن يحيى.

الخبر في «المغازي» (٨١/١) وفيه عمارة بن أكيمة عن حكيم بن حزام؛ وسقط من الإسناد اسم: عكرمة.

(٧) «دلائل النبوة» (٥٦/٣) ونقله الصالحي في «السيرة الشامية» (٦٣/٤) عن البيهقي وأبي نعيم.

(٨) كذا في الأصل والبيهقي عن ابن إسحاق، وفي «السيرة لابن هشام»: أبي داود المازني، قال السهيلي: اسم أبي داود هذا:

عمرو، وقيل: عمير بن عامر.

(٩) رواه البيهقي في «الدلائل» (٥٦/٣) ونقله الصالحي في «السيرة الشامية» (٦٣/٤) عن البيهقي.

(١٠) مقسم: وهو مولى عبد الله بن الحارث.

بيض قد أرخوها على ظهورهم إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء. وقد قال ابن عباس لم تقابل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون^(١). وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن موسى [بن عبد الله] بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون. وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره. قال: لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمتري. قال: وحدثني خارجة بن إبراهيم عن أبيه. قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم؟» فقال جبريل: يا محمد ما كل أهل السماء أعرف^(٢). قلت: وهذا الأثر مرسل، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلي وغيره والله أعلم. وقال الواقدي حدثني إسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال فما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة^(٣) لم يذمّ كلمها وقد رأيتها يوم بدر. وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عقيل^(٤) [عن رافع بن خديج] عن أبي بردة بن نيار قال: جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتهن بين يدي رسول الله ﷺ فقلت أما رأسان فقتلتها، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً [ضربه فتدهدى أمامه] فأخذت رأسه. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك فلان من الملائكة» وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه. قال: كان السائب بن أبي حبيش يحدث في زمان عمر يقول: والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال فمن؟ يقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها فأدركني رجل أشعر طويل على فرس أبيض^(٥) فأوثقني رباطاً وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً فنأدى في العسكر من أسر هذا؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال: من أسرك؟ قلت: لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذي رأيت فقال رسول الله ﷺ: «أسرك ملك من الملائكة» اذهب يا ابن عوف بأسيرك. وقال الواقدي: حدثني عابد بن يحيى^(٦) حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن أكيم عن حكيم بن حزام قال: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجاد^(٧) من السماء قد سد الأفق فإذا الوادي يسيل نهلاً فوق في نفسي أن هذا شيء من السماء أيد به محمد، فما كانت إلا الهزيمة ولقي الملائكة وقال إسحاق بن راهويه: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني أبي عن جبير بن مطعم. قال: رأيت قبل هزيمة القوم - والناس يقتتلون - مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم ولما تنزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله ﷺ حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناباه النقع» يعني من المعركة ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش في الدرع فجعل يحرص على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمأنينة وقد حصل النعاس الذي هو دليل على الطمأنينة والثبات والإيمان، كما قال: ﴿إِذْ يُفَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً﴾ [الأنفال: ١١] وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن، ولهذا قال ابن مسعود: النعاس في المصاف من الإيمان والنعاس في الصلاة من النفاق. وقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَتَدُ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُفَنِّعَ عَنْكُمْ فِعْتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، ثنا محمد بن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال - حين التقى القوم - اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري^(٨)، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضاً ثم

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/٢٨٦).

(٢) «مغازي الواقدي» (١/٧٦) و (٧٧).

(٣) جائفة: طعنة تبلغ الجوف «قاموس».

(٤) في الواقدي: أبي عُفَيْر. وما بين معكوفين سقط من الأصل واستدرك من «المغازي» (١/٧٨).

(٥) في الواقدي: فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء والأرض.

(٦) في الواقدي: عائذ.

(٧) البجاد: كساء، وفي «النهاية»: وفي حديث جبير بن مطعم: نظرت والناس يقتتلون يوم حنين إلى مثل البجاد الأسود يهوي من السماء، أراد الملائكة (١/٦٠).

(٨) الاستفتاح: طلب النصر، وكان للمسلمين، وقد بان الأمر للكفار وانكشف الحق لهم. وفي ذلك ثلاثة أقوال: =

قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الأموي حدثنا أسباط بن محمد القرشي عن عطية عن مطرف في قوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩] قال: قال أبو جهل: اللهم [أعن] أعز الفتين، وأكرم القبيلتين، وأكثر الفريقين. فنزلت: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَبْعُدُكُمْ اللَّهُ بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] قال أقبلت عير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير، فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها لكيلا يغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه فسبقت العير رسول الله ﷺ وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين، وكانوا يحبون أن يلقوا العير، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم. فنزل النبي ﷺ والمسلمون، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا^(١)! فأمطر الله عليهم مطراً شديداً فشرّب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبدأ^(٢) ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة. فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة^(٣) مجنبة وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه ذريته^(٤) وهم في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، وقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم، فلما اصطف الناس قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره، ورفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «يا رب إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبداً» فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه - وكانت يده في يد رجل من المشركين - انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته، فقال الرجل: يا سراقه أما زعمت أنك لنا جار؟ قال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨] وذلك حين رأى الملائكة رواه البيهقي في «الدلائل»^(٥).

وقال الطبراني حدثنا مسعدة بن سعد العطار، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا عبد العزيز بن عمران، ثنا هشام بن سعد، عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصاري عن رفاعه بن رافع. قال: لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص إليه، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقه بن مالك، فوكز في صدر الحارث ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر ورفع يديه فقال: اللهم إني أسألك نظرتك إياي وخاف أن يخلص القتل إليه. وأقبل أبو جهل فقال: يا معشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقه بن مالك فإنه كان على ميعاد من محمد، ولا يهولنكم قتل شيبه وعتبة والوليد فإنهم قد عجلوا، فوللات والعزى لا ترجع حتى نفرقهم بالجبال، فلا ألفين رجلاً منكم قتل رجلاً ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورجبتهم عن اللات والعزى. ثم قال أبو جهل متمثلاً:

= أ - يكون خطاباً للكفار، لأنهم استفتحوا - قول أبي جهل - فقالوا: اللهم أقطعنا الرحم. وقول النصر: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء... فقتل يوم بدر. قال القاضي: إذا حملنا الفتح على البيان والحكم والقضاء فقد يراد به الكفار.

ب - يكون خطاباً للمؤمنين: أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وفتح الله عليكم. قال القاضي: وهذا القول أولى لأن قوله فقد جاءكم النصر لا يليق إلا بالمؤمنين.

ج - يحتمل كونه خطاباً للمؤمنين، ثم للكفار وهو توعده لهم إن عادوا إلى الإيقاع بالمسلمين والتعدي عليهم نعد إلى مثل بدر. قال القشيري: والصحيح أنه خطاب للكفار. وقاله الحسن ومجاهد والسدي. (انظر «تفسير الرازي» ج ١٥/ تفسير الآية).

(١) في رواية أن بعضهم كانوا محدثين من الاحتلام.

(٢) في رواية البيهقي: كذا.

(٣) في رواية البيهقي: في خمسمائة مجنبة.

(٤) في البيهقي: معه راية في صورة.

(٥) «دلائل النبوة» (٣/ ٧٨ - ٧٩) عن طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن عباس.

ما تنقّم الحربُ الشّموُسُ مني بازلُ عامينِ حديثُ سنني لممثل هذا ولدتني أمي

وروى الواقدي عن موسى بن يعقوب الزمعي [عن عمه] عن أبي بكر بن أبي سليمان بن^(١) أبي حنمة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك، فألح عليه فقال حكيم: التقينا فاقتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة في الطست، وقبض النبي ﷺ القبضة التراب فرمى بها فانهزمتنا. قال الواقدي: وحدثنا [أبو]^(٢) إسحاق بن محمد عن^(٣) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله^(٤) عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول: انهزمتنا يوم بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصى في الطاس في أفدتنا ومن خلفنا^(٥)، وكان ذلك من أشد الرعب علينا.

وقال الأموي: حدثنا أبي، ثنا ابن أبي إسحاق، حدثني الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل حين التقى القوم قال: اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح. فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال: «أبشريا أبا بكر هذا جبريل معتمر بعمامته أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع أتاك نصر الله وعدته» وأمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال: «شاهت الوجوه» ثم نفحهم بها ثم قال لأصحابه «احملوا فلم تكن إلا الهزيمة» فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر منهم. وقال زياد عن ابن إسحاق ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال: «شاهت الوجوه» ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: «شدوا» فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم. وقال السدي الكبير قال رسول الله ﷺ لعلي يوم بدر «أعطني حصباء من الأرض» فناوله حصباء عليها تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء، ثم ردهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله في ذلك: ﴿فَلَمَّ تَفْتَلَوْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم إن هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدر، وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سيأتي في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة. وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرر راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ قال ابن إسحاق: ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له: «كأن بك يا سعد تكره ما يصنع القوم»؟ قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك. فكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال. قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكراً» فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس، والله لئن لقيته لأحملنه بالسيف. فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر: «يا أبا حفص» قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص، «أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف»؟ فقال عمر: يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق. فقال أبو حذيفة: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه.

- (١) في الأصل تحريف، الصواب أثبتناه من الواقدي. والعبارة في الأصل: موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي بكر بن أبي سليمان عن أبي بكر بن أبي سليمان عن أبي حنمة.
- (٢) من الواقدي، وفي الأصل إسحاق وهو تحريف.
- (٣) من الواقدي: وفي الأصل ابن.
- (٤) في المغازي: ابن عبد.
- (٥) في الواقدي: في الطاس بين أيدينا ومن خلفنا.

مقتل أبي البختري بن هشام

قال ابن إسحاق: وإنما نهي رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة^(١). كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقية المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار فقال له: إن رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث. قال وزميلي؟ فقال له المجذر^(٢) لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك، قال لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً لا يتحدث عني نساء قريش بمكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. وقال أبو البختري وهو ينزل المجذر:

لن يترك^(٣) ابن حرة زميلَه
قال: فاقنتلا فقتله المجذر بن زياد وقال في ذلك:
إما جهلت أو نسيت نَسْبِي
الطاعنين برماح اليزني
بشر بيتهم من أبوه البختري
أنا الذي يقال أضلي من بلي
وأعبط القرن بعصب مشرفي
فلا يرى مجذراً يفرى فرى
حتى يموت أو يرى سبيلَه
فأثبت النسبة إني من بلي
والطاعنين الكبش حتى ينحني^(٤)
أو بشرن بمثلها مني بني
أطعن بالصعدة حتى تنثني
أرزم للموت كإززام المري^(٥)

ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيتك به فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته.

فصل

في مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه وحدثنيه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف. قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، فكان يلقيني ونحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟ قال: فأقول: نعم! قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال فقلت له: يا أبا علي اجعل ما شئت قال: فأنت عبد الإله، قال: قلت: نعم! قال: فكنت إذا مررت به قال يا عبد الإله فأجيبه فأحدثت معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده، قال: ومعني أدراع لي قد استلبتها، فأنا أخجلها فلما رأيته. قال يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال يا عبد الإله فقلت: نعم! قال هل لك في فإنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت: نعم! قال: فطرح الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويده ابنه، وهو يقول: ما رأيت كالليوم قط، أما لكم حاجة في الله^(٦).

- (١) قال الواقدي: كان أبو البختري قد لبس السلاح يوماً بمكة في بعض ما كان بلغ من النبي ﷺ من الأذى وقال: لا يعترض اليوم أحد لمحمد بأذى إلا وضعت فيه السلاح.
- (٢) الواقدي روى القصة وسمى الرجل صاحب القصة مع أبي البختري: أبا داود المازني.
- (٣) في ابن هشام: لن يسلم ابن حرة زميله.
- (٤) في ابن هشام: والضارين بدل والطاعنين.
- (٥) قال ابن هشام: المري: الناقة التي يستنزل لبنها على عسر؛ وقيل: هي الناقة الغزيرة اللبن.
- (٦) في «السيرة» و«شرح السيرة» لأبي ذر والسهيلي: ها الله ذا. قال السهيلي: أي هذا قسمي، فكأنه قال: ها أنذا مقسم.

اللبن^(١) [قال]: ثم خرجت أمشي بهما. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن^(٢) عبد الرحمن بن عوف. قال: قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت حمزة. قال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلال معي. وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على [ترك] الإسلام. فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال قلت: أي بلال أسيري، قال لا نجوت إن نجا، قال ثم صرخ بأعلا صوته يا أنصار الله! رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة^(٣) فأنا أذب عنه، قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلاً قط، قال: قلت انج بنفسك ولا نجاء [بك]، فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال فهبروهما بأسيا ففهم حتى فرغوا منهما. قال فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً فجمعتي بأدراعي وبأسيري. وهكذا رواه البخاري في «صحيحه» قريباً من هذا السياق فقال في الوكالة حدثنا عبد العزيز - هو ابن عبد الله - حدثنا يوسف - هو ابن الماجشون - عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الأنصار فقال: أمية بن خلف! لا نجوت إن نجا أمية بن خلف فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه وشغلهم فقتلوه ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له أبرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه. سمع يوسف صالحاً وإبراهيم أباه. تفرد به البخاري من بينهم كلهم، وفي مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذي قتل أمية بن خلف^(٤).

مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام: وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز [وهو يقاتل] ويقول:

ما تنقم الحرب العموان مني بازل عامين حديث سني
لممثل هذا ولدتني أمي

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه، أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتلى، وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد^(٥) عن عكرمة، عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك قالاً قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة^(٦) وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه، فلما أمكنتني حملت عليه فضربت ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى^(٧) حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذنتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها. قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان. ثم مر بأبي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته، وتركه وبه رمق. وقاتل معوذ^(٨) حتى

(١) قال ابن هشام: يريد باللبن: أن من أسرني اقتديت منه بإبل كثيرة اللبنة.

(٢) كذا في الأصل، والظاهر أن كلمة «عن» مقحمة.

(٣) أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحذقوا بنا.

(٤) في الواقدي: قتله خبيب بن يساف، وقد ضرب أمية خيبت حتى قطع يده من المنكب، وتزوج خبيب بابنة أمية بعد مقتله (٨٣/١).

(٥) في «السيرة»: ابن يزيد.

(٦) قال ابن هشام: الحرجة الشجر الملتف. وفي الحديث عن عمر بن الخطاب: أنه سأل أعرابياً عن الحرجة؛ فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها. «السيرة» (٢٨٧/٢).

(٧) مرضخة: جمعها مراضخ، والمرضخة حجر يرضخ به النوى أي يكسر. عن «النهاية».

(٨) ذكر السهيلي الغلامين اللذين قتل أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء؛ وفي مسلم أنهما: معاذ بن عفراء =

قتل، فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى وقد قال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغني - انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير، فدفعته فوق على ركبتيه فجحش^(١) في أحدهما جحشاً لم يزل أثره به. قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق فعرفته. فوضعت رجلي على عنقه. قال وقد كان ضبث بي مرة بمكة فأذاني ولكزني ثم قلت له: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال وبماذا أخزاني؟ قال: أعمد من رجل قتلتموه^(٢) أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت لله ولرسوله.

قال ابن إسحاق: وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويحي الغنم، قال: ثم احتزرت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله. فقال: «الله الذي لا إله غيره»؟ وكانت يمين رسول الله ﷺ فقلت نعم! والله الذي لا إله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله. هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله. وقد ثبت في «الصحيحين»^(٣) من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف. قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثاً أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ فقلت نعم وما حاجتك إليه؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيت لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت ألا تريان؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: «أيكما قتله». قال كل منهما أنا قتله. قال: «هل مسحتما سيفيكما»؟ قال لا. قال فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: «كلاهما قتله» وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح - والآخر معاذ بن عفراء. وقال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده. قال: قال عبد الرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيمان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال عاهدت الله إن رأيت أن أقتله أو أموت دونه، وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، قال فما سرني أنني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء. وفي «الصحيحين» أيضاً: من حديث أبي سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من ينظر ماذا صنع أبو جهل» قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: فأخذ بلحيته قال فقلت: أنت أبو جهل؟ فقال وهل فوق رجل قتلتموه - أو قال قتله قومه^(٥) - وعند البخاري: عن أبي أسامة عن إسماعيل بن قيس^(٦) عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزأك الله؟ فقال: هل أعمد من رجل قتلتموه. وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال انتهيت إلى

= ومعاذ بن عمرو بن الجموح. وفي رواية ابن إدريس عن ابن إسحاق كما في رواية مسلم. وقال أبو عمرو: أن ابني عفراء قتلاه عن النبي ﷺ رواه أنس. وقال الواقدي: قتله معاذ بن عمرو بن الجموح. وفي رواية أخرى عنده: قتله ابنا الحارث وهما ابنا عفراء.

(١) جحش جحشاً أي خدش خدشاً.

وفي «الصحيحين»: الجحش: سحج الجلد أي قشره «الصحيحين»؛ وفي الأصل: جحش.

(٢) أعمد من رجل قتلتموه ويقال: أعمد من رجل قتله قومه قال ابن هشام: أي ليس عليه عار إن قتلتموه أو قتله قومه. وقال أبو ذر: يريد: أكبر من رجل قتلتموه على سبيل التحقير منه لفعلهم به.

(٣) أخرجه البخاري عن مسدد في كتاب «الخمسة» - باب من لم يخمس الأسلاب. وأخرجه أيضاً في «المغازي» عن ابن المديني ويعقوب بن إبراهيم. وأخرجه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (١٣) باب ح (٣٢) ص (١٣٧٢) عن يحيى بن يحيى.

(٤) في البخاري والبيهقي: سليمان.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٨) باب قتل أبي جهل «فتح الباري» (٢٩٣/٧) وفيه عن سليمان التيمي. ورواه مسلم في كتاب «الجهاد» و«السير» - باب قتل أبي جهل (١٤٢٥/٣).

(٦) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٨) باب قتل أبي جهل ح (٣٩٦١) «فتح الباري» (٢٩٣/٧). وفيه: عن أبي أسامة عن إسماعيل بن قيس عن ابن مسعود. وليس كما في الأصل: إسماعيل بن قيس فهو تحريف.

أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد. ومعى سيف رديء فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذكر نقفاً كان ينقف رأسي بمكة حتى ضعفت يده فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال: علي من كانت الدائرة لنا أو علينا أأست رويينا بمكة؟ قال: فقتلته، ثم أتيت النبي ﷺ فقلت قتلنا أبا جهل، فقال الله الذي لا إله إلا هو؟ فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي إليهم فدعا عليهم^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له، فقلت الحمد لله الذي أخزأك الله يا عدو الله. قال: هل هو إلا رجل قتله قومه، فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده فندر^(٢) سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ كأنما أقل من الأرض فأخبرته فقال «الله الذي لا إله إلا هو»؟ فرددها ثلاثاً، قال: قلت الله الذي لا إله إلا هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال: «الحمد لله الذي قد أخزأك الله يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الأمة» وفي رواية أخرى قال ابن مسعود فنقلني سيفه. وقال أبو إسحاق الفزاري عن الثوري عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: أتيت رسول الله ﷺ يوم بدر فقلت: قد قتلنا أبا جهل فقال: «الله الذي لا إله إلا هو»؟ فقلت الله الذي لا إله إلا هو مرتين - أو ثلاثاً - قال فقال النبي ﷺ: «الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: «انطلق فأرنيه» فانطلقت فأريته فقال: «هذا فرعون هذه الأمة»^(٣). ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي إسحاق السبيعي به. وقال الواقدي وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال: «رحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر» فقيل يا رسول الله ومن قتله معهما؟ قال «الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله» رواه البيهقي^(٤).

وقال البيهقي أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن أبي إسحاق قال: لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت قتيلاً؟ فحلف له فخر رسول الله ﷺ ساجداً. ثم روى البيهقي من طريق أبي نعيم، عن سلمة بن رجاء، عن الشعثاء - امرأة من بني أسد^(٥) - عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جيء برأس أبي جهل. وقال ابن ماجه حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال حدثني شعثاء عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ صلى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبي، حدثنا هشام^(٦) أخبرنا مجالد، عن الشعبي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمة معه حتى يغيب في الأرض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة»^(٧). وقال الأموي في «مغازيه»: سمعت أبي، ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني رأيت رجلاً جالساً في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» وقال البخاري حدثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه قال: قال الزبير: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش،

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٨٨/٣).

(٢) ندر: سقط.

(٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٨٨/٣) وأبو داود في كتاب «الجهاد» (١٤٢) عن محمد بن العلاء عن إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق عن أبيه... والنسائي في «السير» - في «السنن الكبرى» - «تحفة الأشراف» (١٦٢/٧).

(٤) «دلائل النبوة» ج (٨٩/٣) عن الواقدي، والخبر في «المغازي» (٩١/١).

(٥) «دلائل النبوة» (٨٩/٣) وفيه قالت: دخل عليّ عبد الله بن أبي أوفى، فرأيت صلى الضحى ركعتين فقالت له امرأته: إنك صليت ركعتين فقال... وذكر تمام الحديث.

(٦) في البيهقي: هشيم.

(٧) الخبر في «دلائل البيهقي» (٩٠/٣)، ونقله الصالح في «السيرة الشامية» (٨٠/٤) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت» عن الشعبي.

فقال أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بعنزة فطعنته في عينه فمات قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها، قال عروة فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل. وقال ابن هشام حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص - ومر به - إني أراك كأن في نفسك شيئاً أراك تظن أني قتلت أباك إني لو قتلتك لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدثت عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله^(١).

قال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذاً^(٢) من حطب فقال: «قاتل بهذا يا عكاشة» فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسم: العون. ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحة الأسدي أيام الردة، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله:

عشية غادرتُ ابنَ أقرمَ ثاويًا وعكاشة العُثماني عندَ مجال^(٣)

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتي بيانه. قال ابن إسحاق: وعكاشة هو الذي قال حين بشر رسول الله ﷺ أمته بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أدع الله أن يجعلني منهم قال: «اللهم اجعله منهم» وهذا الحديث مخرج في الصحاح والحسان وغيرهما. قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - «منا خير فارس في العرب» قالوا ومن هو يا رسول الله؟ قال «عكاشة بن محصن» فقال ضرار بن الأزور: ذاك رجل منا يا رسول الله، قال ليس منكم ولكنه منا للحلف. وقد روى البيهقي عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي: حدثني عمر بن عثمان الخشني^(٤) عن أبيه عن عمته قالت: قال عكاشة بن محصن: انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين، ولم يزل عنده حتى هلك. وقال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الأشهل عدة قالوا: انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب^(٥) فقال: اضرب به فإذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة^(٦).

رده عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في «الدلائل»: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو أحمد [عبد الله] بن عدي حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحماني ثنا عبد العزيز^(٧) بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان:

- (١) «سيرة ابن هشام» (٢/٢٩٠) رواه الواقدي في «المغازي» (١/٩٢) وقال في أوله: وأقبل العاص بن سعيد يبحث للقتال، فالتقى هو وعلي فقتله علي.
- (٢) في الواقدي: عوداً.
- (٣) ابن أقرم: قال ابن هشام: هو ثابت ابن أقرم الأنصاري وانظر الخبر في «سيرة ابن هشام» (٢/٢٩٠) و «مغازي الواقدي» (١/٩٣).
- (٤) في البيهقي والواقدي: الجحشي.
- (٥) ابن طاب: ضرب من الرطب. وعراجين: جمع عرجون والعرجون: العذق أو إذا يبس واعوج.
- (٦) من ابن سعد، وفي الأصل أبي عبيدة وهو تحريف.
- والخبران في «المغازي الواقدي» (١/٩٣) والبيهقي في «الدلائل» (٣/٩٩) عنه.
- وعكاشة بن محصن بن حرثان من السابقين الأولين شهد بدرأ له ترجمة في «الإصابة» (٢/٤٩٢).
- سلمة بن أسلم بن حريس بن عدي بن مجدعة بن حارثة، يكنى أبا سعد. شهد بدرأ وأحدأ والخندق والمشاهد كلها قتل يوم جسر أبي عبيد سنة (١٤) هـ له ترجمة في «ابن سعد» (٢/٤٤٦).
- (٧) في البيهقي: عبد الرحمن.

أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ فقال: «لا» فدعاه فغمز حدقته براحتة، فكان لا يدري أي عينيه أصيب^(١) - وفي رواية فكانت أحسن عينيه - وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك:

أنا ابنُ الذي سالت على الخدَّ عينه فرُدَّت بكفِّ المصطفى أيما ردِّ
فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشداً قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن فأنشده عمر في موضعه حقاً:

تلك المكارم لا تُعبان من لبين شيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

فصل

قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن صالح، أخبرنا الفضل بن محمد الشعراني، حدثنا إبراهيم بن المنذر، أخبرنا عبد العزيز بن عمران، [حدثني رفاعة بن رافع بن مالك]^(٢). قال: لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية^(٣) بن خلف، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت ابطنه، قال فطعنته بالسيف فيها طعنة، ورُميت بسهم يوم بدر، ففقتت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعاني فما أذاني منها شيء. وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده جيد ولم يخرجوه^(٤). ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن المنذر. قال ابن هشام^(٥): ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال: أين مالي يا خبيث فقال عبد الرحمن:

لم يبقَ إلا شكَّةٌ ويعبوبٌ وصارمٌ يقتل ضلالَ الشيب
يعني لم يبق إلا عدة الحرب، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة، هذا يقوله في حال كفره. وقد روينا في «مغازي الأموي» أن رسول الله ﷺ جعل يمشى هو وأبو بكر الصديق بين القتلى ورسول الله ﷺ يقول: «نفلق هاماً» فيقول الصديق:

ممن رجـال أعـزة علينا وهم كانوا أعزُّ وأظلما

طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتل أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملاها فذهبوا ليخرجوه فتزائل [لحمه] فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة، فلما ألقاهم في القليب، وقف عليهم فقال: «يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً» قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، وإنما قال رسول الله ﷺ لقد علموا^(٦) قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: سمع أصحاب النبي ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول: «يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام - فعدد من كان منهم في القليب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً» فقال المسلمون: يا رسول الله ﷺ أتنادي قوماً قد جيفوا؟ فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني» وقد رواه الإمام أحمد عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس فذكر نحوه. وهذا على شرط الشيخين قال ابن إسحاق وحدثني بعض

(١) «دلائل النبوة» (٣/١٠٠).

(٢) من البيهقي، والعبارة في الأصل: حدثني رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه رافع بن مالك.

(٣) من «الدلائل» وفي الأصل أبي، وقد تقدم في قصة قتل أمية، - في رواية - أن رفاعة هو الذي قتله.

(٤) الخبر في «دلائل البيهقي» (٣/١٠٠)، ونقله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٨٢) وقال: رواه البزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

(٥) «سيرة ابن هشام»: (٢/٢٩١).

(٦) قال السهيلي معارضاً قول عائشة: وعائشة لم تحضر، وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام.

أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: «يا أهل القليب بشس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتُموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتُموني ونصرني الناس؛ هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً»^(١). قلت: وهذا مما كانت عائشة رضي الله عنها تتأوله من الأحاديث كما قد جمع ما كانت تتأوله من الأحاديث في «جزء» وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله: «وَمَا أَنْتَ بِمُسِيحٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ» [فاطر: ٢٢] وليس هو بمعارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم للأحاديث الدالة نصاً على خلاف ما ذهب إليه رضي الله عنها وأرضاهما. وقال البخاري: حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ أن الميت يعذب في قبره ببيكاء أهله فقالت: رحمه الله، إنما قال رسول الله ﷺ إنه ليعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن» قالت وذاك مثل قوله إن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال، قال إنهم ليسمعون ما أقول وإنما قال إنهم الآن ليعلمون إنما كنت أقول لهم حق، ثم قرأت: «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى» [النمل: ٨٠] «وَمَا أَنْتَ بِمُسِيحٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ» [فاطر: ٢٢] تقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار^(٢). وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة به، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من «الأحكام الكبير» إن شاء الله. ثم قال البخاري: حدثني عثمان ثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً» ثم قال: «إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم» وذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى» [النمل: ٨٠] حتى قرأت الآية. وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة. وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة. وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، سمع روح بن عباد، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرضة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي^(٣) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً. فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً^(٤): وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن سعيد بن أبي عروبة. ورواه الإمام أحمد: عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال: حدث أنس بن مالك فذكر مثله. فلم يذكر أبا طلحة وهذا إسناد صحيح، ولكن الأول أصح وأظهر والله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: «يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً» قال فسمع عمر صوته فقال يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون؟ يقول الله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى» [النمل: ٨٠] فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا» ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به. وقال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت:

عرفت ديارَ زينبَ بالكشيبِ كخطِّ الوحي في الورقِ القشيبِ^(٥)

- (١) «سيرة ابن هشام» (٢/٢٩٢)، و «الكامل لابن الأثير» (٢/١٢٩).
- (٢) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٨) قتل أبي جهل ح (٣٩٧٩) وأخرجه مسلم في الجنائز عن أبي كريب عن أبي أسامة؛ والنسائي في الجنائز عن محمد بن آدم.
- (٣) شفة الركي: على طرف البئر. وفي رواية: شفير.
- (٤) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٨) باب قتل أبي جهل ح (٣٩٧٦) ومسلم في صفة الجنة والنار (١٧) باب ح (٧٨).
- (٥) القشيب: الجديد. قال السهيلي: أراد حسان بالقشيب هنا: الذي خالطه ما يفسده إما من دنس وإما من قدم. يقال طعام مقشب: إذا كان فيه السم.

من الوسمي منهمر سكب
يباباً بعد ساكنها الحبيب
ورد حرارة القلب الكئيب^(١)
بصدق غير إخبار الكذوب
لنا في المشركين من النصيب
بدت أركانه جُنح الغروب
كأسد الغاب مُزدان وشيب
على الأعداء في لفتح الحروب
وكل مجرب خاطي الكعوب
بنو الثجار في الدين الصليب
وعتبه قد تركنا بالجبوب
ذوي حسب إذا نُسبوا حسيب
قذفناهم كباكب في القلب^(٢)
وأمر الله يأخذ بالقلوب
صدقك وكنك إذا رأي مصيب

تداولها الرياح وكل جؤن
فأسمى رسمها خليقاً وأمست
فدع عنك التذكر كل يوم
وخبّر بالذي لا عيب فيه
بما صنع المليك غداة بدر
غداة كأن جمعهم جراءة
فلاقيناهم منا بجمع
أمام محمّد قد وازروه
بأيديهم صوارم مرهفات
بنو الأوس الغطارف أزرتهما
فغادزنا أبا جهل صريعاً
وشيبة قد تركنا في رجال
يناديهم رسول الله لَمَّا
ألم تجدوا كلامي كان حقاً
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا في القلب، أخذ عتبة بن ربيعة، فسحب في القلب فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال: «يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء - أو كما قال رسول الله ﷺ - فقال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنتني ذلك فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً. وقال البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان ثنا عمرو بن عطاء عن ابن عباس ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: هم والله كفار قريش. قال عمرو: هم قريش، ومحمد نعمة الله ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال: النار يوم بدر. قال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت:

وصدقوه وأهل الأرض كفار
للصالحين من الأنصار أنصار
لما أتاهم كريم الأصل مختار
نعم النبي ونعم القسم والجار^(٣)
مهاجرين وقسم الجاهل النار^(٤)
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
إن الخبيث لمن والآه غرار^(٥)
شر الموارد فيه الخزي والعار
من منجدين ومنهم فرقة غاروا

قومي الذين هم آوا نبيهم
إلا خصائص أقوام هم سلف
مستبشرين بقسم الله قولهم
أهلاً وسهلاً ففي أمن وفي سعة
وقاسموهم بها الأموال إذ قدموا
سيرنا وساروا إلى بدر لجينهم
دلائم بفرور ثم أسلمهم
وقال إنني لكم جاز فأوردتهم
ثم التقينا فولوا عن سراتهم
وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن أبي بكر. وعبد الرزاق قالوا: حدثنا إسرائيل، عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما

من كان جارهم داراً هي الدار

(١) في ابن هشام: الصدر.

(٢) كباكب: جماعات.

(٣) القسم: بالكسر الخط والنصيب؛ ويعد في ابن هشام.

(٤) قوله الجاهل: في ابن هشام الجاحد.

(٥) قوله والاهم: في ابن هشام دلاهم.

فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قبل له عليك العير ليس دونها شيء، فناداه العباس وهو في الوثاق: إنه لا يصلح لك. قال لم؟ قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أنجز لك ما وعدك. وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين، هذا مع حضور ألف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم أن سيسلم منهم بشر كثير. ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية، وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط وكن سبعا فيهن من الأمم والدواب والأراضي والمزروعات، وما لا يعلمه إلا الله، فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التي سومت لهم كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط. كما تقدم.

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين وبين تعالى حكمه في ذلك فقال: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَغْتَسَرُوا فَغَسَّوْا أَلْفَ مَنَّا مَاتَ بَعْدُ وَإِنَّمَا يَذَارُ حَتَّى تَضَعَ الرَّعْبُ أَوْزَارَهُمْ ذَلِكَ لَنْصَرَهُمُ اللَّهُ لَأَنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] الآية. وقال تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤-١٥]. فكان قتل أبو جهل على يدي شاب من الأنصار، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له لقد رقت مرتقى صعباً يا رويي الغنم، ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله فشفى الله به قلوب المؤمنين، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه والله أعلم.

وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلماً ولكنه خرج معهم تقية منهم لأنه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه جماعة منهم؛ الحارث بن زمة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة]^(١) وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج. قال وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَقَّعْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم من آل رسول الله ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب، وابن عمه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد استدل الشافعي والبخاري وغيرهما بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمرة في ذلك فالله أعلم. وكان فيهم أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبي ﷺ.

فصل

وقد اختلف الصحابة في الأسارى أيقتلون أو يفادون على قولين، كما قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم عن حميد عن أنس - وذكر رجل - عن الحسن. قال: استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر فقال: «إن الله قد أمكنكم منهم» قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم، قال فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق فقال يا رسول نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء. قال فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء. قال وأنزل الله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨] الآية، انفرد به أحمد^(٢). وقد روى الإمام أحمد - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه وكذا علي بن المديني وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي - أبو زميل - حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله: فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر، فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكثني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة

(١) سقط من الأصل، واستدرك من ابن هشام.

(٢) «مسند أحمد» ج (٢٤٣/٣).

للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «[أبكي]»^(١) للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ﴾^(٢) فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ تَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴿[الأنفال: ٦٧ - ٦٨] من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة، عن [أبي] عبيدة عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم. قال: وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قريهم فاضرب أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً. قال فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. فخرج عليهم فقال: إن الله ليلين قلوب رجال فيه، حتى تكون ألين من اللين، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] أنتم عالة فلا يبقين^(٥) أحد إلا بفداء أو ضربة عنق قال عبد الله: فقلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء^(٦) فإنني قد سمعته يذكر الإسلام قال فسكت، قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال: «إلا سهيل بن بيضاء» قال فأنزل الله: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى آخر الآيتين. وهكذا رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي معاوية. وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك. وقد روي عن أبي أيوب الأنصاري بنحوه^(٧). وقد روى ابن مردويه والحاكم في «المستدرک» من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال: لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الأنصار قال وقد أوعده الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه» قال عمر أفأتيهم؟ قال: نعم فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس، فقالوا لا والله لا نرسله، فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله رضى؟ قالوا: فإن

(١) من «دلائل البيهقي».

(٢) يشخن في الأرض: أي يكثر قهر عدوه وقتله.

(٣) أخرجه مسلم في حديث طويل في (٣٢) كتاب «الجهاد» (١٨) باب الإمداد بالملائكة ح (٥٨) وأخرجه أبو داود في «الجهاد» باب فداء الأسير بالماء عن أحمد بن حنبل عن أبي نوح عن عكرمة.

(٤) من المسند: وأبو عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود.

(٥) في «المسند» والبيهقي: يفتلن.

(٦) قال الواقدي في «المغازي» (١١٠/١) «قال ابن واقد: هذا وهم، سهيل بن بيضاء من مهاجرة الحبشة، ما شهد بدرًا إنما هو أخ له يقال له سهل».

(٧) قال ابن سعد: وسهيل شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ مسلماً لا شك فيه شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات عمراً أربعين سنة. أما سهل فأسلم بمكة وكنم إسلامه وأخرجه المشركون معهم قال: والذي روى هذه القصة في سهيل فقد أخطأ: وسهيل أسلم قبل عبد الله بن مسعود ولم يستخف بإسلامه «طبقات ابن سعد» (٤١٥/٣) و (٢١٣/٤).

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب «الجهاد» باب في «المشورة» (٢١٣/٤) وكذا في تفسير سورة الأنفال ح (٣٠٨٤) و «مسند أحمد» (٢٨٣/١) والبيهقي في «الدلائل» (١٣٨/٣ - ١٣٩) والحاكم في «المستدرک» (٢٢/٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأضاف: صحيح سمعه جرير بن عبد الحميد.

كان له رضى فخذته، فأخذه عمر فلما صار في يده قال له عمر: يا عباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك. قال واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر: عشيرتك فأرسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم، ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْفَى فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآية. ثم قال الحاكم في «صحيحه» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال خير أصحابك في الأسارى إن شأؤوا الفداء وإن شأؤوا القتل على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم، قالوا الفداء أو يقتل منا. وهذا حديث غريب جداً، ومنهم من رواه مرسلأ عن عبيدة والله أعلم. وقد قال ابن إسحاق: عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] آية يقول لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. وهكذا روي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضاً واختاره ابن إسحاق وغيره وقال الأعمش سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بدرأ. وهكذا روي عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح، وقال مجاهد والثوري: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ أي لهم بالمغفرة. وقال الوالبي عن ابن عباس سبق في أم الكتاب الأول أن المغانم وفداء الأسارى حلال لكم، ولهذا قال بعده: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] وهكذا روي عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن وقتادة والأعمش، واختاره ابن جرير وقد ترجح هذا القول بما ثبت في «الصحيحين» عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة». وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا» ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ فأذن الله تعالى في أكل الغنائم وفداء الأسارى وقد قال أبو داود: حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي^(١) ثنا سفيان بن حبيب، ثنا شعبة، عن أبي العنيس، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة^(٢)، وهذا كان أقل ما فودي به أحد منهم من المال، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهم^(٣). وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبِكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠] الآية وقال الوالبي عن ابن عباس نزلت في العباس ففادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب قال العباس؛ فأتاني الله أربعين عبداً - يعني كلهم يتجر له - قال وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه^(٤). وقال ابن إسحاق: حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل^(٥) عن بعض أهله عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق، بات النبي ﷺ ساهراً أول الليل، فقال له أصحابه ما لك لا تنام يا رسول الله؟ [وقد أسر العباس رجل من الأنصار]^(٦) فقال: «سمعت أنين عمي العباس في وثاقه» فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ، قال ابن إسحاق: وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب. قلت: وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم فقال له رسول الله ﷺ: «أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم بإسلامك وسيجزيك» فادعى أنه لا مال عنده قال: «فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها: إن أصبت في سفري فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم؟» فقال والله إنني لأعلم أنك رسول الله إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل رواه ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس. وثبت في «صحيح البخاري» من طريق

(١) العيشي: من «سنن أبي داود» و«دلائل البيهقي». وفي الأصل: العبسي وهو تحريف.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب «الجهاد» باب فداء الأسير بالمال ح (٢٦٩١) ج (٦١/٣ - ٦٢).

(٣) قال الواقدي: جعل رسول الله ﷺ الفداء يوم بدر أربعة آلاف لكل رجل. وفي رواية له: أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف

إلى ألفين إلى ألف قوم لا مال لهم من عليهم رسول الله ﷺ.

(٤) «دلائل البيهقي» (١٤٣/٣).

(٥) في «دلائل البيهقي»: بن معبد. وهو العباس بن عبد الله بن معبد بن عبد المطلب الهاشمي المدني.

(٦) من البيهقي.

موسى بن عقبة: قال الزهري حدثني أنس بن مالك قال: إن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا إيدن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه. فقال: «لا والله لا تذرون منه درهماً»^(١) قال البخاري وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن النبي ﷺ أتى بمال من البحرين فقال: «انثروه في المسجد» فكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً فقال «خذ» فحشا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلي. قال «لا» قال فارفعه أنت علي، قال «لا» فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلي قال «لا» قال فارفعه أنت علي قال «لا» فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق. فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم. وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي. قال: كان فداء العباس وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمئة دينار^(٢)، ثم تواعد تعالى الآخرين فقال: «وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [الأنفال: ٧١].

فصل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسيأتي إن شاء الله، وكما في حديث البراء بن عازب في «صحيح البخاري» أنهم قتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين. وقال موسى بن عقبة: قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار ثمانية^(٣)، وقتل من المشركين تسعة وأربعين، وأسر منهم تسعة وثلاثين. هكذا رواه البيهقي عنه. قال: وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين^(٤). ثم قال أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق. قال واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً، أربعة من قريش وسبعة من الأنصار وقتل من المشركين بضعة وعشرون^(٥) رجلاً وقال في موضع آخر: وكان مع رسول الله ﷺ أربعون^(٦) أسيراً، وكانت القتلى مثل ذلك. ثم روى البيهقي: من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل عن الزهري قال: وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر، ورجل من الأنصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين، وأسر منهم مثل ذلك، قال ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: قال البيهقي - وهو الأصح - فيما روينا في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم، ثم استدل على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضاً من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: أمر رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين [يعني يوم أحد]^(٧). وكان النبي ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً^(٨). قلت والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وكأنه أخذه من هذا الذي ذكرناه والله أعلم. وفي حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف، والصحيح الأول لقوله عليه السلام: «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر

- (١) أخرجه البخاري في كتاب «العتق» (٤٩) (١١) باب إذا أسر أخو الرجل ح (٢٥٣٧) وأعادته في «الجهاد» - باب فداء المشركين.
- (٢) «دلائل النبوة» (٤٠/٣).
- (٣) في «الدرر في اختصار المغازي»: الجميع أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار: ستة من الأوس واثان من الخزرج.
- (٤) في «دلائل البيهقي»: الكفار (٣/١٢٢ - ١٢٣).
- (٥) في «دلائل البيهقي»: وأربعون.
- (٦) في «دلائل البيهقي»: أربعة وأربعين.
- وفي رواية ابن هشام قال: كان قتلى قريش: خمسين رجلاً وقال عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: القتلى سبعون والأسرى كذلك راجع «سيرة ابن هشام» (٢/٣٧٢) - «دلائل النبوة» (٣/١٢٣).
- (٧) من «دلائل البيهقي» (٣/١٢٤).
- (٨) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» باب (١٠) ح (٣٩٨٦) وأعادته في التفسير - سورة آل عمران - وأخرجه أبو داود في «الجهاد» في باب أي وقت يستحب اللقاء ورواه البيهقي في «الدلائل» (٣/١٢٤).

رجلاً كما سيأتي التنصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله، وتقدم في حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان، وقال أيضاً عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسدي الكبير وأبو جعفر الباقر. وروى البيهقي من طريق قتيبة عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر قال: «تخروها لإحدى عشرة بقين فإن صبيحتها يوم بدر»^(١). قال البيهقي: وروي عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما شك، وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان. قال البيهقي: والمشهور عن أهل المغازي أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان. ثم قال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق ثنا أبو نعيم ثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول: سئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر فقال: إما لسبع عشرة خلت، أو ثلاث عشرة خلت أو لإحدى عشرة بقيت. وإما لسبع^(٢) عشرة بقيت. وهذا غريب جداً.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قباث بن أشيم الليثي من طريق الواقدي وغيره بإسنادهم إليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال: وجعلت أقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء والله لو خرجت نساء قريش بالسهاء^(٣) ردت محمداً وأصحابه. فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع في نفسي الإسلام، قال فقدمتها فسألت عنه فقالوا: هو ذاك في ظل المسجد في ملاء من أصحابه، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت. فقال: يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء، فقلت: أشهد أنك رسول الله فإن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط، ولا ترمزمت^(٤) به إلا شيئاً حدثت به نفسي، فلولا أنك نبي ما أطلعك [الله]^(٥) عليه، هلم أبايعك على الإسلام فأسلمت.

فصل

وقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر في المغانم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون. ففرقة أهدقت برسول الله ﷺ تحرسه خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه. وفرقة ساقط وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون، وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن. فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم. قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين عن بواء، يقول عن سواء. وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق به ومعنى قوله على السواء أي ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخصص بها فريقاً منهم ممن ادعى التخصيص بها، ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم. بل قد تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذو الفقار من مغنم بدر^(٦). قال ابن جرير: وكذا اصطفي جلاً لأبي جهل كان في أنفه برة من فضة، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً. وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، ثنا ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة، عن سليمان بن موسى، عن أبي سلام، عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرأ، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في

(١) «دلائل النبوة» (١٢٨/٣)، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٠/٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي رواية للأسود عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان، وليلة إحدى وعشرون وليلة ثلاث وعشرون أبو داود - الصلاة - «دلائل البيهقي» (١٢٨/٣).

(٢) في البيهقي: (١٢٩/٣) لتسع عشرة.

(٣) من «سيرة ابن كثير»، وفي الأصل: بالها وهو تحريف. والسهاء: جمع سهوة. وهي القوس المواتية.

(٤) في الواقدي: ترممت ترمم: أي حرك فاه للكلام «الصحيح».

(٥) من «مغازي الواقدي» (٩٨/١).

(٦) رواه البيهقي عن ابن عباس (١٣٦/٣)، والترمذي في «السير»، باب في النفل. وابن ماجه في «الجهاد» باب: السلاح.

أثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم، نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا نحن نفينا منها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به، فأنزل الله: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١] فقسمها رسول الله بين المسلمين. وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل راجعاً نفل الثلث وكان يكره الأنفال. وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث أخره وقال الترمذي هذا حديث حسن. ورواه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «مستدرکه» من حديث عبد الرحمن، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه. وقد روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا، فسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم، قال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإننا كنا رداء لكم لو انكشفتم لفتتم إلينا، فتنازعوا فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١]. وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها هنا ومعنى الكلام أن الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكما فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١] ثم ذكر ما وقع في قصة بدر وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١] الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله في الأنفال الذي جعل مرده إليه وإلى رسوله ﷺ، فبينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى، وهو قول أبي زيد وقد زعم أبو عبيدة القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر على السواء بين الناس، ولم يخمسها. ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدم، وهكذا روى الوالبي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وفي هذا نظر والله أعلم. فإن في سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها في غزوة بدر فيقتضي أن ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضاً، ثم في «الصحيحين»: عن علي رضي الله عنه أنه قال في قصة شارفيه اللذين اجتب أسنمتها حمزة إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحاً على أبي عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم. بل خمست كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح. والله أعلم.

فصل

في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الأمور

في مسيره إليها مؤيداً منصوراً عليه من ربه

أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وثبت في «الصحيحين» أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الإثنين، فركب ناقته ووقف على قلب بدر ففرع أولئك الذين سحبوا إليه كما تقدم ذكره، ثم سار عليه السلام ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله

(١) أخرجه البيهقي من طريق وهب بن بقية؛ وزاد في آخره: يقول فكان ذلك خيراً لهم، فكذلك أيضاً أطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم.

وأخرجه أبو داود في كتاب «الجهاد» باب في النفل ح (٢٧٣٧) عن (٢٧٣٨) عن أبيه بن أبي ثوب عن عكرمة بن خالد وح (٢٧٣٩) عن هارون بن محمد بن بكار بن بلال. وأخرجه النسائي في التفسير عن المعتمر بن سليمان. ونقله الصالح في «السيرة الشامية» (٨٩/٤) عن ابن حبان وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر.

وجحده وبه كفر؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة، والثاني زيد بن حارثة^(١) إلى السافلة. قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سويانا [التراب] على رقية بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدر. قال أسامة: فلما قدم أبي - زيد بن حارثة - جنته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة. وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البختری العاص بن هشام، وأمّية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. قال قلت: يا أبة أحق هذا؟ قال إي والله يا بني. وروى البيهقي: من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد: أن النبي ﷺ خلف عثمان وأسامة بن زيد على [رقية]^(٢) بنت رسول الله ﷺ [أيام بدر]^(٣)، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة، قال أسامة: فسمعت الهیعة^(٤) فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى. وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه^(٥) وقال الواقدي صلى رسول الله ﷺ مرجعه من بدر العصر بالأثيل^(٦) فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال: مرّ بي^(٧) ميكائيل وعلى جناحه النقع فتبسم إلي وقال: إني كنت في طلب القوم، وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر، على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنبيه الغبار، فقال: يا محمد إن ربي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى، هل رضيت؟ قال: نعم. قال الواقدي. قالوا: وقدم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل فجاء يوم الأحد حين اشتد الضحى، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق، فجعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته: يا معشر الأنصار، أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسره، قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل، وقتل زمعة بن الأسود، وأمّية بن خلف، وأسر سهيل بن عمرو. قال عاصم بن عدي: فقمتم إليه فنحوته فقلت: أحقاً يا ابن رواحة؟ فقال إي والله وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين. ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يبشرهم داراً داراً والصبيان ينشدون معه يقولون: قتل أبو جهل الفاسق، حتى إذا انتهى إلى دار بني أمّية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء يبشر أهل المدينة، فلما جاء المصلى صاح على راحلته: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وقتل أمّية بن خلف وأبو جهل وأبو البختری وزمعة بن الأسود، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثير، فجعل بعض الناس لا يصدقون زيدا ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلا فلا^(٨) حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا. وقدم زيد حين سويانا [التراب] على رقية بنت رسول الله ﷺ بالبقيع، وقال رجل من المنافقين لأسامة: قتل صاحبكم ومن معه؟ وقال آخر لأبي لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل عليه أصحابه قتل محمد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب، وجاء فلا فقال أبو لبابة: يكذب الله قولك. وقالت اليهود: ما جاء زيد إلا فلا. قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبي فقلت أحق ما تقول؟ فقال إي والله حق ما أقول يا بني فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين، لنقدمك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك، فقال إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه. قال فجاء بالأسرى وعليهم شقران مولى رسول الله ﷺ وكان قد شهد معهم بدرأ وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحصوا. قال الواقدي: وهم سبعون في الأصل مجتمع عليه لا شك فيه. قال ولقي رسول الله ﷺ إلى الروحاء رؤوس الناس يهثثونه بما فتح الله عليه. فقال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله الحمد لله

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب، أبو أسامة الكلبي، الأمير الشهيد، سيد الموالى وأسبغهم إلى الإسلام. وجب رسول الله ﷺ ولم يسم الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة وعيسى بن مريم عليه السلام، عقد له رسول الله ﷺ على الناس وقدمه على الأمراء في غزوة مؤتة وقتل فيها طعناً بالرمح.

(٢) من «دلائل البيهقي».

(٣) من «دلائل البيهقي».

(٤) الهیعة: كل ما أفرغ من صوت، قال أبو عبيد: هي صيحة الفزع.

(٥) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/١٣٠ - ١٣١) والحاكم في «المستدرک» (٣/٢١٧) عن أبي أمامة قال: لما فرغ رسول الله ﷺ

من بدر بعث ببشيرين... الخ وقال في آخره: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٦) الأثيل: موضع بالصفراء، قال الواقدي: واد طوله ثلاثة أميال وبينه وبين بدر ميلان.

(٧) من الواقدي؛ وفي الأصل: يرى وهو تحريف.

(٨) الفل: القوم المنهزمون ويقع على الواحد والاثنين والجمع. عن «النهاية».

الذي أظفرك وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً، ولكن ظننت أنها غير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت. فقال له رسول الله «صدقت»^(١) قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار. فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام [يقال إنه] هو عدي بن أبي الزغباء :-

أقم لها صدورها يا بسبس
ولا بصحراء عمير محبس
فحملها على الطريق أكيس
ليس بذئ الطلح لها معرس
إن مطايا القوم لا تحبس
قد نصر اللئى وفر الأخنس

قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيْر إلى سرحة به. فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذي تهتونا به. والله إن لقينا إلا عجائز صُلعا كالبدن المعقلة فنحرنها، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «أي ابن أخي أولئك الملا» قال ابن هشام: يعني الأشراف والرؤساء^(٢).

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء^(٣) قتل النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية^(٤) قتل عقبة بن أبي معيط. قال ابن إسحاق: فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال «النار» وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر. وكذا قال موسى بن عقبة في «مغازيه» وزعم أن رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره. قال ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت. قال: يا معشر قريش علام أقتل من بين من ههنا؟ قال على عداوتك الله ورسوله. وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال: «نعم»: أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي» قال ابن هشام ويقال بل قتل عقبة علي بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم.

قلت: كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل. قال ابن هشام: فقالت قتيبة بنت الحارث أخت^(٥) النضر بن الحارث في مقتل أخيها:

يا راكباً إن الأثيل مظنة
أبلغ بها ميتاً بأن تحية
مني إليك وعبرة مسفوحة
من ضبح خامسة وأنت موقوق
ما إن تزال بها النجائب تخفق^(٦)
جادت بوابلها وأخرى تخنق^(٧)

- (١) الخبر في «مغازي الواقدي» (١/١١٤ - ١١٥) وفي «دلائل البيهقي» من طريق الحسين بن الفرج عن الواقدي (٣/١٣١، ١٣٣).
- (٢) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٢/٢٩٧).
- (٣) الصفراء: قال ابن سعد: واد من المدينة على ثلاث ليال. وقيل: كثير النخل والزرع وهو على مرحلة من بدر.
- (٤) في الواقدي: قتل عقبة صبراً في الصفراء. وفي روايته أن النضر قتله علي بن أبي طالب في الأثيل صبراً بالسيف بأمر النبي «مغازي الواقدي» (١/١٣٨). و«الأغانى» (١/١٩).
- (٥) في «معجم البلدان» - أثيل -: إنها ابنته.
- (٦) في «ديوان الحماسة» وياقوت: بلغ به ميتاً فإن تحية.
- (٧) في «ديوان الحماسة»: «مني إليه» ويروى: جادت لماتحها تعني أباه - كما في رواية ياقوت - لأنه هو الذي يستبكيها ويستنزف دمعها.

أم كيف يسمع ميث لا ينطق^(١)
من قومها والفحل فحل معرق^(٢)
من الفتى وهو المغيظ المحنق
بأعز ما يغلوبه ما ينفق^(٣)
وأحقهم إن كان عتق يعنق
لله أرحام هنالك تُشقق
رسف المقيد وهو عان موثق

هل يسمع النضر إن ناديتُهُ
أمحمد يا خير ضيء كريمه
ما كان ضرّك لو مننت وربما
أو كنت قابل فدية فلينفقن
والنضر أقرب من أسرت قرابة
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
صبراً يُقاد إلى المنية متعباً

قال ابن هشام: ويقال والله أعلم أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه».

قال ابن إسحاق: وقد تلقى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند، مولى فروة بن عمرو البياضي حجامه عليه السلام ومعه زق خمر^(٤) مملوء حيساً - وهو التمر والسويق بالسمن - هدية لرسول الله ﷺ فقبله منه ووصى به الأنصار. قال ابن إسحاق ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم. قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار: أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقمهم بين أصحابه، وقال «استوصوا بهم خيراً» قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى فقال: شد يديك به فإن أمه^(٥) ذات متاع لعلها تفديه منك، قال أبو عزيز فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فاستحي فأردها فيردّها علي ما يمسيها. قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر^(٦) - وهو الذي أسره - ما قال: قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب إنه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي فقيل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها. قلت: وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير في «غابة الصحابة»، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة. وكان أخا مصعب بن عمير لأبيه، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافراً ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد^(٧) بن زرارة. قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناجتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، قال: وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، قال: تقول سودة: والله إني لعندهم إذ أتينا فقيل: هؤلاء الأسارى، قد أتى بهم، قالت: فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجر مجموعة يده إلى عنقه بحبل، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت «يا سودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين» قالت^(٨): قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت. ثم كان من قصة

(١) في «الأغانى»: إن كان يسمع هالك لا ينطق ويروى: أو ينطق.

(٢) في «الأغانى»: أمحمد ولأنت نسل نجية.

(٣) البيت في «الأغانى»:

أو كنت قابل فدية فلنأتين بأعز ما يغلوبك وينفق

وقال محققه: صححه الشنقيطي: لو كنت قابل فدية «الأغانى» (١٩/١) دار الكتب.

(٤) في «سيرة ابن هشام»: لقي رسول الله ﷺ بذلك الموضع أبو هند، مولى فروة بن عمرو البياضي بحميت مملوء حيساً، قال ابن هشام: الحميت: الزق.

(٥) أمه: الخناس بنت مالك العامرية، وأخته هند بنت عمير، أم شيبه بن عثمان حاجب الكعبة، جد بني شيبه «الروض الأنف».

(٦) في الواقدي: أسره أبو اليسر، ثم اقترح عليه فصار لمحرز بن نضلة؛ - وما قاله مصعب في شأن أخيه أبي عزيز كان لمحرز وليس لأبي اليسر -.

(٧) من ابن هشام: وفي الأصل سعد وهو تحريف.

(٨) من ابن هشام: وفي الأصل: قال وهو تحريف.

الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكميته إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر - رضي الله عنه -

قال الحافظ البيهقي^(١): أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد، حدثنا أحمد بن سليمان^(٢) النجاد، حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا، حدثني حمزة بن العباس، ثنا عبدان بن عثمان، ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن^(٣) جابر عن عبد الرحمن - رجل من أهل صنعاء - . قال أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب. قال جعفر: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما أن رأى ما في وجوهنا قال: إني أبشركم بما يسركم. إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي، فأخبرني أن الله [عز وجل] قد نصر نبيه ﷺ وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وفلان وقتل فلان وفلان [وفلان]^(٤). التقوا بواد يقال له بدر، كثير الأراك كأي أنظر إليه كنت أرعى لسيدي رجل من بني ضمرة إبله، فقال له جعفر: ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاط^(٥)؟ قال إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقاً على عباد الله أن يمدثوا لله تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله لي نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع.

وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأميمة بن خلف، وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البخترى بن هشام. فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية والله لن^(٦) يعقل هذا، فسלוه عني، فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال هو ذاك جالساً في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا. قال موسى بن عقبة: ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل. وذكر السهيلي عن كتاب «الدلائل» لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفاً من الجن يقول:

أزاز الحنيفيون بداراً وقيعةً
سينقضُّ منها ركنُ كسرى وقيصرا
أبادت رجلاً من لؤي وأبرزت
خرائد يضربن الترائب حُسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد
لقد جاز عن قصد الهدى وتحيرا

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتنم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه. وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة - وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً - فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبتته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً، قال وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي، وعندني أم الفضل جالسة، وقد سرتنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجله بشر، حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان - واسمه المغيرة - ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم. قال فقال أبو لهب: هلم إلي فعندك لعمرى الخبر، قال فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمناحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا

- (١) أخرجه الحافظ البيهقي في «الدلائل» - باب قدوم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة على أهل المدينة.. وما فعل النجاشي حين بلغه «الفتح» (١٣٣/٣) ونقله الصالح في «السيرة الشامية» (١٠٤/٤).
- (٢) من البيهقي وفي الأصل سلمان تحريف. وهو أحمد بن سليمان الفقيه.
- (٣) من البيهقي، وفي الأصل عن - تحريف.
- (٤) ما بين معكوفين من البيهقي.
- (٥) في البيهقي: الأخلاق.
- (٦) في ابن هشام: والله إن يعقل هذا.

كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما ملت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلِق بين السماء والأرض، والله ما تليق^(١) شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طُئِب الحجر بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال وثاورته^(٢) فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني - وكنت رجلاً ضعيفاً - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربت به ضربة فبلغت في رأسه شجة منكراً، وقالت استضعفته إن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة^(٣) فقتلته. زاد يونس عن ابن إسحاق: فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتن. وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش: ويحك ما أباكم قد أنتن في بيته لا تدفناناه؟ فقالوا إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة. [قال يونس عن ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت لا تمر على مكان أبي لهب هذا إلا تسترت بثوبها حتى تجوزه]^(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا يبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا^(٥) بهم لا يارب عليكم محمد وأصحابه في الفداء. قلت: وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم، فإن البكاء على الميت مما يبيل فؤاد الحزين. قال ابن إسحاق: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زمعة وعقيل والحارث، وكان يجب أن يبكي على بنيه قال فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له - وكان قد ذهب بصره - انظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلي أبكي على أبي حكيمه - يعني ولده زمعة - فإن جوفي قد احترق، قال فلما رجع إليه الغلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته قال فذاك حين يقول الأسود:

أبكي أن أضل لها بعير	ويمنعها من النوم الشهود
فلا تبكي علي بكر ولكن	على بدر تقاصرت الجودود
على بدر سراة بني مصيص	ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكى إن بكيت أبا ^(٦) عقيل	وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ولا تُسَمي جميعاً	وما لأبي حكيمه من نديد
ألا قد ساد بهم رجالات	ولولا يوم بدر لم يسودوا

بعث قريش إلى رسول الله ﷺ فداء أسراهم

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي. فقال رسول الله ﷺ: «إن له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه» فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه؛ قال المطلب بن أبي وداعة وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى: صدقتم لا تعجلوا، وانسل من الليل وقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به.

قلت: وكان هذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش في فداء أسراهم فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف فقال في ذلك:

(١) ما تليق: ما تقي.

(٢) ثاورته: ثبت له.

(٣) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون.

(٤) ما بين المعكوفين، سقط من الأصل وابن هشام واستدركت تمة للخير من «دلائل البيهقي» (١٤٦/٣).

(٥) من ابن هشام وفي الأصل: تستأنسوا تحريف.

حتى تستأنسوا: أي تؤخروا فداءهم حتى لا يتشدد في طلب الفداء.

(٦) في ابن هشام: على.

أسرتُ سهيلاً فلا أتفني
وخنذفُ تعلمُ أنّ الفتى
ضربتُ بذى الشفرِ حتى انثنى
أسيراً به من جميع الأمم^(١)
فتأهنا سهيلاً إذا يُظلم
وأكرهتُ نفسي على ذي العلم^(٢)

قال ابن إسحاق: وكان سهيل رجلاً أعلم^(٣) من شفته السفلى. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي: أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ: دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً».

قلت: هذا حديث مرسل بل معضل. قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه» قلت: وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها. فقام بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سيأتي في موضعه.

قال ابن إسحاق فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضائهم قالوا هات الذي لنا^(٤). قال: اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم. وأنشد له ابن إسحاق في ذلك شعراً أنكره ابن هشام. فالله أعلم. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب. قال ابن إسحاق: وكانت أمه بنت عقبة بن أبي معيط. قال ابن هشام: بل كانت أمه أخت أبي معيط. قال ابن هشام: وكان الذي أسره علي بن أبي طالب. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال فقبل لأبي سفيان أفد عمراً ابنك، قال أجمع على دمي ومالي، قتلوا حنظلة وأفدي عمراً؟ دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم. قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مرية له وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالبقيع^(٥) فخرج من هنالك معتمراً ولم يظن أنه يجبس بمكة إنما جاء معتمراً، وقد كان عهد قريش أن قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو وقال في ذلك:

أرھط ابنِ أكالٍ أجيبوا دعاءه
فإن بني عمرو لنأماً أذلة
قال: فأجابه حسان بن ثابت يقول:

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً
بعضب حسام أو بصفراء نبعة
تعاقدتم لا تسلّموا السيّد الكهلا
لئن لم يكفوا عن أسيرهم الكبلا

قال ومشي بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم فأعطاهم النبي^(٦) فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد. قال ابن إسحاق: وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب. قال ابن هشام: وكان الذي أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام. قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوجه

(١) في الواقدي: فلم ابتغ (١/١٤٣).

(٢) في «مغازي الواقدي»: ضربت بذى السيف حتى انحنى.

وقال ابن أبي الحديد: ذي العلم بسكون اللام، ولكنه حركة - هنا - للضرورة، وكان سهيل أعلم مشقوق الشفة العليا شرح «نهج البلاغة» (٣/٣٥٠).

(٣) الأعلام: مشقوق الشفة العليا، وأما مشقوق الشفة السفلى فهو: الأفلح.

(٤) في الواقدي: هات مالنا.

(٥) كذا في الأصل البقيع: وهو موضع داخل المدينة وفيها مقابرهما. ولعل الأرجح النقيع وهو الأقرب، فالنقيع موضع قرب المدينة.

(٦) نبعة من النبع والنبع: شجر يصنع منه القسي.

(٧) قال الواقدي: أن عمرو بن أبي سفيان صار في سهم النبي ﷺ بالقرعة.

بابتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحي، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية - أو أم كلثوم^(١) من عتبة بن أبي لهب، فلما جاء الوحي قال أبو لهب: اشغلوا محمداً بنفسه، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومشوا إلى أبي العاص فقالوا فارق صاحبك ونحن نزوجك بأي امرأة من قريش شئت، قال: لا والله إذا^(٢) لا أفارق صاحبتني وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش، وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره [خيراً]^(٣) فيما بلغني. قلت: الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابت في الصحيح كما سيأتي. قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم، مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما. قلت: إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا». قالوا نعم! يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها. قال ابن إسحاق: فكان ممن سمي لنا ممن من عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداء: من بني أمية أبو العاص بن الربيع، ومن بني مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم^(٤) أسره بعض بني الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب - يعني أن تهاجر إلى المدينة - فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتي. وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ههنا فأخبرناه لأنه أنسب والله أعلم. وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب. وقال ابن هشام كان الذي أسر أبي العاص^(٥) أبو أيوب خالد بن زيد، قال ابن إسحاق: وصيفي بن أبي رفاعه بن عائد^(٦) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه، فأخذوا عليه ليعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم: قال حسان بن ثابت في ذلك:

ما كان صيفي ليوفي أمانةً قفا ثعلب أعياب بعض الموارد^(٧)

قال ابن إسحاق: وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمع، كان محتاجاً ذا بنات، قال: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامنن علي، فمن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحداً. فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك:

من مبلغ عني الرسول محمداً
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى
وأنت امرؤ بُؤئت فينا مباءةً
فإنك من حاربتته لمحارب
بأنك حق والمليك حميد
عليك من الله العظيم شهيد
لها درجات سهلة وصعود
شقي ومن سالمته لسعيد

(١) قال السهيلي: كانت رقية بنت رسول الله ﷺ تحت عتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم تحت عتبية. فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت تبت يدا أبي لهب.

طلقاهما قبل الدخول بهما. أسلمت رقية وأم كلثوم بعدما بعث رسول الله ﷺ في حياة أمهما خديجة، وتزوج عثمان رقية وهاجرا إلى الحبشة؛ وهاجرت أم كلثوم إلى المدينة مع عيال رسول الله ﷺ ولما توفيت رقية خلف عثمان بن عفان على أم كلثوم وكانت بكراً، ولم تزل عنده حتى توفيت ولم تلد له شيئاً «الطبقات» (٣٦/٨، ٣٨) «الروض الأنف».

(٢) في نسخة لابن هشام: إني.

(٣) من ابن هشام.

(٤) ذكره الواقدي في: بني أبي رفاعه، وقال: كان الذي أسره أبو أيوب الأنصاري وهو ما ذكره ابن هشام؛ وما سيرد بعد أسطر تحريف.

(٥) راجع الحاشية السابقة.

(٦) عائذ كذا في الأصل، قال أبو ذر: قال الزبير بن بكار من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد، ومن كان من ولد عمران بن

مخزوم فهو عائذ «شرح أبي ذر» ص (١٦٧) فعلى ذلك، فالصواب عابد على قول أبي ذر.

(٧) في «ديوان حسان»: ذمة بدل: أمانة.

ولكن إذا ذكرت بداراً وأهلها تأوب ما بي حسرة وقعود قلت: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم فلما كان يوم أحد أسر أيضاً، فسأل من النبي ﷺ أن يمن عليه أيضاً فقال النبي ﷺ: «لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمداً مرتين» ثم أمر به فضربت عنقه كما سيأتي في غزوة أحد ويقال إن فيه قال رسول الله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر، بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر. قال ابن هشام: والذي أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق. قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر عن عروة: فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان: والله ما أن في العيش [بعدهم] خير، قال له عمير صدقت، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة: ابني أسير في أيديهم. قال: فاعتنمها صفوان بن أمية فقال: علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم. فقال له عمير: فاكتم علي شأني وشأنك، قال: سأفعل. قال: ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف. فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا وحرزنا^(١) للقوم يوم بدر، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه. قال: فأدخله علي، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، أدن يا عمير» فدنا ثم قال: أنعم صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة» قال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد، قال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: «فما بال سيف في عنقك» قال: قبحتها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً؟ قال: «اصدقني ما الذي جئت له؟» قال ما جئت إلا لذلك، قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك» فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسولك الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق. ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره» ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول أبشروا بوقعة تأتكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً. قال ابن إسحاق: فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير. قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب - أو الحارث بن هشام - هو الذي رأى عدو الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفر هارباً وقال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون، وكان إبليس يومئذ في صورة سراقه بن مالك بن جعشم أمير مدلج^(٢).

(١) من ابن هشام.

(٢) حزرنا: أي الذي قدر عدد المسلمين تخميناً يوم بدر.

(٣) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣١٧/٢ - ٣١٨) ونقله البيهقي عن موسى بن عقبة كتاب «المغازي» يزيد كلمة وينقص كلمة والمعنى واحد في «دلائل النبوة» (١٤٧/٣، ١٤٩).

فصل

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر وهو من أول سورة الأنفال إلى آخرها فأجاد وأفاد، وقد تفصينا الكلام على ذلك في كتابنا «التفسير» فمن أراد الإطلاع على ذلك فلينظره ثم والله الحمد والمنة.

فصل

ثم شرع ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرًا من المسلمين فسرده أسماء من شهدها من المهاجرين أولاً، ثم أسماء من شهدها من الأنصار أوسها وخزرجها إلى أن قال: فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً^(١)، ومن المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون رجلاً. ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً. وقد سردهم البخاري في «صحيحه» مرتبين على حروف المعجم بعد البداة برسول الله ﷺ ثم بأبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وهذه تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب «الأحكام الكبير» للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وغيره بعد البداة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ.

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف

أبي بن كعب النجاري سيد القراء، الأرقم بن أبي الأرقم وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان، ثم أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم، كذا قال موسى بن عقبة. وقال الأموي: سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدي شك فيه، وقال سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق؛ سواد بن زريق بن ثعلبة، وقال ابن عائد سواد بن زيد، أسير بن عمرو الأنصاري أبو سليط، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجي، ولم يذكره موسى بن عقبة، أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسي، كذا سماه موسى بن عقبة، و[سماه] الأموي في «السيرة» أنيس.

[قلت: وأنس بن مالك خادم النبي ﷺ لما روى عمر بن شبة النميري: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال: قيل لأنس بن مالك: أشهد بدرًا؟ قال وأين أغيب عن بدر لا أم لك؟! وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، ثنا أبي عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس: شهدت بدرًا؟ قال لا أم لك وأين أغيب عن بدر؟ قال محمد بن عبد الله الأنصاري: خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في «تهذيبه»: هكذا قال الأنصاري ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي]. أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ أوس بن ثابت بن المنذر النجاري، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي. وقال موسى بن عقبة أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى، أوس بن الصامت الخزرجي أخو عبادة بن الصامت، إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني عدي بن كعب.

(١) قال الواقدي: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. وفي رواية ابن بكير عن ابن إسحاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً سبعة وسبعون من المهاجرين ومن الأنصار مائتان وستة وثلاثون رجلاً. وروى البخاري عن البراء قال: كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر بعدة أصحاب طلوت. وروى عنه قال: كان المهاجرون يوم بدر نيفاً وثمانين وكانت الأنصار نيفاً وأربعين ومائتين وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: ثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة.

«مغازي الواقدي» (١) البخاري كتاب «المغازي» (٦) باب - وأبو داود في «الجهاد» باب في نقل السرية تخرج من العسكر.

حرف الباء

بجير بن أبي بجير حليف بني النجار، بحاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي حليف الأنصار، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني حليف بني ساعدة وهو أحد العينين هو وعدي بن أبي الزغباء كما تقدم، بشر بن البراء بن معرور الخزرجي الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان بن بشير ويقال إنه أول من بايع الصديق، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسي رده عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره.

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، تميم مولى خراش بن الصمة، تميم مولى بني غنم بن السلم. وقال ابن هشام: هو مولى سعد بن خيثمة.

حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان، ثابت بن ثعلبة ويقال لثعلبة هذا الجدع بن زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة، ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجاري، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار النجاري، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد بن مالك بن غنم بن عدي بن النجار النجاري، ثابت بن هزال الخزرجي، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجي، ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابت السلمي، ثقف بن عمرو من بني حجر آل بني سليم وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسد.

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري، جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أحد الذين شهدوا العقبة. [قلت: فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي أيضاً فذكره البخاري فيهم في مسند عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر وقال كنت أمتح لأصحابي الماء يوم بدر. وهذا الإسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد ذكرت لمحمد بن عمر - يعني الواقدي - هذا الحديث فقال هذا وهم من أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدرًا وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا روح بن عباد ثنا زكريا بن إسحاق ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدرًا ولا أحداً من عني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ عن غزاة. ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح^(١). جبار بن صخر السلمي، جبر بن عتيك الأنصاري، جبير بن إياس الخزرجي.

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخي سعد بن معاذ الأوسي، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس رده عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن خزمة بن عدي بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زعور ابن عبد الأشهل، الحارث بن الصمة الخزرجي رده عليه السلام لأنه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن عرفجة الأوسي، الحارث بن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجي، الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري حارثة بن سراقه

(١) في «تاريخ خليفة»: قتله حبان بن العرفة بسهم وهو يشرب من الحوض.

النجاري أصابه سهم غرب^(١) وهو في النظارة فرفع إلى الفردوس، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصاري حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي. حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجعي من بني دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق. وقال الواقدي حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود كذا ذكره ابن عائذ في «مغازيه». وقال ابن أبي حاتم حاطب بن عمرو بن عبد شمس سمعته من أبي وقال هو رجل مجهول، الحباب بن المنذر الخزرجي ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ، حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل أسود، وقال ابن أبي حاتم حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصاري بدري حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري أخو عبد الله بن زيد الذي أرى النداء، الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ.

حرف الخاء

خالد بن البكري أخو إياس المتقدم، خالد بن زيد أبو أيوب النجاري، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاري، خارجة بن الحمير حليف بني خنساء من الخزرج وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائذ خارجة فإله أعلم. خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق، خباب بن الارت حليف بني زهرة وهو من المهاجرين الأولين وأصله من بني تميم ويقال من خزاعة^(٢)، خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين الأولين، خراش بن الصمة السلمي، خبيب بن اساف بن عتبة الخزرجي، خريم بن فاتك ذكره البخاري فيهم، خليفة بن عدي الخزرجي، خلود بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الأنصاري السلمي، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي قتل يومئذ فتأيمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب، خوات بن جبير الأنصاري ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدا بنفسه، خولى بن أبي خولى العجلي حليف بني عدي من المهاجرين الأولين، خلاد بن رافع، وخلاد بن سويد، وخلاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون.

حرف الذال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجي، ذو الشمالين بن عبد^(٣) بن عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بني خزاعة حليف لبني زهرة قتل يومئذ شهيداً قال ابن هشام: واسمه عمير وإنما قيل له ذو الشمالين لأنه كان أعسرأ.

حرف الراء

رافع بن الحارث الأوسي، رافع بن عنجدة قال ابن هشام: هي أمه، رافع بن المعلى بن لوذان الخزرجي قتل يومئذ. ربيعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة ربيعي بن أبي رافع، ربيع بن إياس الخزرجي، ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الأولين، رخیلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي، رفاعة بن رافع الزرقى أخو خلاد بن رافع، رفاعة بن عبد المنذر بن زبير الأوسي أخو أبي لبابة، رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجي.

حرف الزاي

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه، زياد بن عمرو وقال موسى بن عقبة زياد بن الأخرس بن عمرو الجهني. وقال الواقدي زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن رفاعة بن

(١) الصواب أنه تميمي، اشترته في الجاهلية امرأة من خزاعة وأعتقته، وكان من حلفاء بني عوف، من زهرة فهو تميمي النسب، خزاعي بالولاء، زهري بالحلف «الاستيعاب».

(٢) في «تاريخ خليفة»: «عبد عمرو» قتله أسامة الجشمي «سيرة ابن هشام».

(٣) قتله عكرمة بن أبي جهل قاله خليفة بن خياط.

كليب بن بردعة بن عدي بن عمرو بن الزبيري بن رشدان بن قيس بن جهينة، زياد بن لبيد الزرقي، زياد بن المزين بن قيس الخزرجي، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن عجلان بن ضبيعة، زيد بن حارثة بن شرحبيل^(١) مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجاري أبو طلحة رضي الله عنه.

حرف السين

سالم بن عمير الأوسي سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجي، سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي شهد مع أبيه، سبيع بن قيس بن عائد الخزرجي، سبرة بن فاتك ذكره البخاري، سراقه بن عمرو النجاري، سراقه بن كعب النجاري أيضاً، سعد بن خولة مولى بني عامر بن لؤي من المهاجرين الأولين، سعد بن خيشمة الأوسي قتل يومئذ شهيداً^(٢)، سعد بن الربيع الخزرجي الذي قتل يوم أحد شهيداً، سعد بن زيد بن مالك الأوسي وقال الواقدي: سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجي، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجاري، سعد بن عبيد الأنصاري، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجي أبو عبادة وقال ابن عائذ أبو عبيدة، سعد بن معاذ الأوسي وكان لواء الأوس معه، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي ذكره غير واحد منهم عروة والبخاري وابن أبي حاتم والطبراني فيمن شهد بدرًا، ووقع في «صحيح مسلم» ما يشهد بذلك حين شاور النبي ﷺ في ملتقى النضير من قريش فقال سعد بن عبادة كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قيل لاستنابته على المدينة وقيل لذعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاة السهيلي عن ابن قتيبة فالله أعلم سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة، سعد بن مالك أبو سهل قال الواقدي تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب يقال قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة، سليم بن الحارث النجاري سليم بن عمرو السلمي، سليم بن قيس بن فهد الخزرجي، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجاري، سماك بن أوس بن خرشة أبو دجانة ويقال سماك بن خرشة، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي وهو أخو بشير بن سعد المتقدم، سهل بن حنيف الأوسي، سهل بن عتيك النجاري. سهل بن قيس السلمي، سهيل بن رافع النجاري الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبوي كما تقدم، سهيل بن وهب الفهري وهو ابن بيضاء وهي أمه، سنان بن أبي سنان بن محسن بن حراثان من المهاجرين حليف بني عبد شمس بن عبد مناف، سنان بن صيفي السلمي، سواد بن زريق بن زيد الأنصاري. وقال الأموي سواد بن رزام، سواد بن غزية بن أهيب البلوي، سويبط بن سعد بن حرملة العبدري، سويد بن مخشى أبو مخشى الطائي حليف بني عبد شمس وقيل اسمه أزيد بن حمير.

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي أسد بن خزيمة حليف بني عبد شمس من المهاجرين الأولين شماس بن عثمان المخزومي قال ابن هشام واسمه عثمان بن عثمان وإنما سمي شماساً لحسنه وشبهه شماساً كان في الجاهلية، شقران مولى رسول الله ﷺ قال الواقدي لم يسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل رجل ممن له في الأسرى شيئاً فحصل له أكثر من سهم.

حرف الصاد

صهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الأولين، صفوان^(٣) بن وهب بن ربيعة الفهري أخو سهيل بن بيضاء قتل شهيداً يومئذ، صخر بن أمية بن خنساء السلمي.

(١) في ابن هشام: «شراجيل».

(٢) قتله طعيمة بن عدي. ويقال عمرو بن عبد ود «تاريخ خليفة».

(٣) في «تاريخ خليفة»: «صفوان بن بيضاء، قتله طعيمة بن عدي».

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمى، ضحاك بن عبد عمرو النجاري، ضمرة بن عمرو الجهني وقال موسى بن عقبة: ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار وهو أخو زياد بن عمرو.

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين وهو أخو حصين وعبيدة، طفيل بن مالك بن خنساء السلمى. طفيل بن النعمان بن خنساء السلمى ابن عم الذي قبله. طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي ذكره الواقدي.

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري.

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري الذي حمته الدبر حين قتل بالرجيع، عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان رده عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي عاقل بن البكير^(١) أخو إياس وخالد وعامر، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجاري، عامر بن الحارث الفهري كذا ذكره سلمة عن ابن إسحاق وابن عائذ وقال موسى بن عقبة وزياد عن ابن إسحاق عمرو بن الحارث، عامر بن ربيعة بن مالك العنزى حليف بني عدي من المهاجرين، عامر بن سلمة بن عارم بن عبد الله البلوي القضاعي حليف بن سالم بن مالك بن سالم بن غنم. قال ابن هشام ويقال عمر بن سلمة، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين، عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، عامر بن مخلد النجاري، عائذ بن ماعض بن قيس الخزرجي، عباد بن بشر بن وقش الأوسي، عباد بن قيس بن عامر الخزرجي، عباد بن قيس بن عبشة الخزرجي أخو سبيع المتقدم، عباد بن الخشخاش القضاعي، عبادة بن الصامت الخزرجي، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس، عبد الله بن أمية بن عرفطة، عبد الله بن ثعلبة بن خزمة أخو بحات المتقدم، عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي، عبد الله بن الجد بن قيس السلمى، عبد الله بن حق بن أوس الساعدي. وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ عبد رب بن حق، وقال ابن هشام عبد ربه بن حق، عبد الله بن الحمير حليف لبني حرام وهو أخو خارجة بن الحمير من أشجع، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي، عبد الله بن رواحة الخزرجي، عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي^(٢) الذي أرى النداء، عبد الله بن سراقه العدوي لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ وذكره ابن إسحاق وغيره، عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الأنصار، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زعورا، عبد الله بن سهيل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركين ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدا معهم. عبد الله بن طارق بن مالك القضاعي حليف الأوس^(٣)، عبد الله بن عامر من بلى ذكره ابن إسحاق، عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي وكان أبوه رأس المنافقين، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى، عبد الله بن عبس، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة بن كعب أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عبد الله بن عرفطة بن عدي الخزرجي، عبد الله بن عمر بن حرام السلمى أبو جابر، عبد الله بن عمير بن عدي الخزرجي، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري، عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام

(١) قتله مالك بن زهير «تاريخ خليفة».

(٢) في «الإصابة»: عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله.

(٣) في «الإصابة»: عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف بني ظفر.

السلمي. عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار جعله النبي ﷺ مع عدي بن أبي الزغباء على النفل يوم بدر، عبد الله بن مخزومة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين، عبد الله بن مسعود الهنلي حليف بني زهرة من المهاجرين الأولين، عبد الله بن مظعون الجمحي من المهاجرين الأولين، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمي، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمي، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجي، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاعي البلوي، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري أحد العشرة رضي الله عنهم، عيس بن عامر بن عدي السلمي، عبيد بن التيهان أخو أبو الهيثم بن التيهان ويقال عتيك بدل عبيد، عبيد بن ثعلبة من بني غنم بن مالك، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر، عبيد بن أبي عبيد، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضي الله عنه، عتب بن مالك بن عمرو الخزرجي عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهراني حليف بني أمية بن لؤذان، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمي، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب له سهمه وأجره، عثمان بن مظعون الجمحي أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين، عدي بن أبي الزغباء الجهني وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ ويسب بن عمرو بين يديه عيناً، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، عصيمة حليف لبني الحارث بن سوار من أشجع وقيل من بني أسد بن خزيمه، عطية بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجي، عقبه بن عامر بن نابي السلمي، عقبه بن عثمان بن خلدة الخزرجي أخو سعد بن عثمان، عقبه بن عمرو أبو مسعود البدري وقع في «صحيح البخاري» أنه شهد بدرًا وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازي ولهذا لم يذكره، عقبه بن وهب بن ربيعة الأسدي أسد خزيمه حليف لبني عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين، عقبه بن وهب بن كلداه حليف بني غطفان، عكاشة بن محسن الغنمي من المهاجرين الأولين وعن لا حساب عليه، علي بن أبي طالب الهاشمي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضي الله عنه، عمار بن ياسر العنسي المذحجي من المهاجرين الأولين، عمارة بن حزم بن زيد النجاري، عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدى بهم رضي الله عنهما، عمر بن عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبني لؤذان بن عمرو بن سالم وقيل هو أخو ربيع وورقة، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر أبو حكيم، عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبشة بن الحارث بن فهر الفهري، عمرو بن سراقه العدوي من المهاجرين، عمرو بن أبي سرح الفهري من المهاجرين. وقال الواقدي وابن عائذ معمر بدل عمرو، عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام، عمرو بن الجموح بن حرام الأنصاري، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم ذكره الواقدي والأموي، عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر أبو خارجة ولم يذكره موسى بن عقبه، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبه، عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسي، عمرو بن معاذ الأوسي أخو سعد بن معاذ. عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمي، عمير بن حرام بن الجموح السلمي ذكره ابن عائذ والواقدي، عمير بن الحمام بن الجموح بن عم الذي قبله قتل يومئذ شهيداً^(١)، عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني، عمير بن عوف مول سهيل بن عمرو وسماه الأموي وغيره عمرو بن عوف وكلما وقع في «الصحاحين» في حديث يمتح أي عبيدة إلى البحرين، عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتل يومئذ شهيداً^(٢)، عنترة مول بني سليم وقيل إنه منهم فالله أعلم. عوف بن الحارث بن رفاعه بن الحارث النجاري وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً، عويم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية بن زيد، عياض بن غنم الفهري من المهاجرين الأولين رضي الله عنهم أجمعين.

(١) قتله خالد بن الأحلم قاله خليفة بن خياط.
(٢) قتله عمرو بن عبد ود قال خليفة.

حرف الغين

غنام بن أوس الخزرجي ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي، فروة بن عمرو بن ودفة الخزرجي .

حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسي . قدامة بن مظعون الجمحي من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله، قطبة بن عامر بن حديدة السلمي . قيس بن السكن النجاري، قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كان على الساقة يوم بدر . قيس بن محصن بن خالد الخزرجي، قيس بن مجلد بن ثعلبة النجاري .

حرف الكاف

كعب بن حمان ويقال جمار ويقال جواز وقال ابن هشام كعب بن عبشان ويقال كعب بن مالك بن ثعلبة بن جواز وقال الأموي كعب بن ثعلبة بن حباله بن غنم الغساني من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة، كعب بن زيد بن قيس النجاري، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمي، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين ذكره موسى بن عقبة، كناز بن حصين بن يربوع أبو مرثد الغنوي من المهاجرين الأولين .

حرف الميم

مالك بن الدخشم ويقال ابن الدخشن الخزرجي، مالك بن أبي خولى الجعفي حليف بني عدي، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي، مالك بن قدامة الأوسي، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو وكلاهما مهاجري وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسد، مالك بن قدامة الأوسي، مالك بن مسعود الخزرجي، مالك بن ثابت بن نميلة المزني حليف لبني عمرو بن عوف، مبشر بن عبد المنذر بن زهير الأوسي أخو أبي لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيداً^(١)، المجذر بن زياد البلوي مهاجري، محرز بن عامر النجاري، محرز بن نضلة الأسدي حليف بني عبد شمس مهاجري، محمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل، مدلج ويقال مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجري، مرثد بن أبي مرثد الغنوي، مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين وقيل اسمه عوف، مسعود بن أوس الأنصاري النجاري، مسعود بن خلدة الخزرجي، مسعود بن ربيعة القاري حليف بني زهرة مهاجري، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي، مصعب بن عمير العبدي مهاجري كان معه اللواء يومئذ، معاذ بن جبل الخزرجي، معاذ بن الحارث النجاري وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي، معاذ بن ماعض الخزرجي أخو عائذ، معبد بن عباد بن قشير بن القدم بن سالم بن غنم ويقال معبد بن عبادة بن قيس وقال الواقدي قشير بدل قشير وقال ابن هشام قشير أبو خميسة، معبد بن قيس بن صخر السلمي أخو عبد الله بن قيس، معتب بن عبيد بن إياس البلوي القضاعي، معتب بن عوف الخزاعي حليف بني مخزوم من المهاجرين، معتب بن قشير الأوسي معقل بن المنذر السلمي، معمر بن الحارث الجمحي من المهاجرين، معن بن عدي الأوسي، معوذ بن الحارث الجمحي وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمي لعله أخو معاذ بن عمرو، المقداد بن عمرو البهراني وهو المقداد بن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال المحمود ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ، مليل بن وبرة الخزرجي، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي، المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجي، المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري من بني جحجي، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

(١) قتله أبو ثور «تاريخ خليفة» .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب، نعمان بن عبد عمرو النجاري وهو أخو الضحاك. نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبني الأوس، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي ويقال له قوقل، نعمان بن يسار مولى لبني عبيد ويقال نعمان بن سنان. نوفل بن عبيد الله بن نضلة الخزرجي.

حرف الهاء

هانئ بن نيار أبو بردة البلوي خال البراء بن عازب، هلال بن أمية الواقفي وقع ذكره في أهل بدر في «الصحيحين» في قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي، هلال بن المعل الخزرجي أخو رافع بن المعل.

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي من المهاجرين، وديعة بن عمرو بن جراد الجهني ذكره الواقدي وابن عائذ، ورقة بن إياس بن عمرو الخزرجي أخو ربيع بن إياس، وهب بن سعد بن أبي سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدي في بني عامر بن لؤي ولم يذكره ابن إسحاق.

حرف الياء

يزيد بن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمي قال السهيلي شهد هو وأبوه وابنه يعني بدرأ ولا يعرف لهم نظير في الصحابة ولم يذكرهم ابن إسحاق والأكثرين لكن شهدوا معه بيعة الرضوان، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي وهو الذي يقال له ابن قسح^(١) وهي أمه قتل يومئذ شهيداً ببدر، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي، يزيد بن المنذر بن سرح السلمي وهو أخو معقل بن المنذر.

باب الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري وقال ابن هشام أبو الأعور الحارث بن ظالم وقال الواقدي أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم. أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري. أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مهشم، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة بن عفراء، أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجاري، أبو سبرة مولى أبي رهم بن عبد العزى من المهاجرين، أبو سنان بن محصن بن حرثان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين، أبو الصياح^(٢) بن النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه، أبو عرفجة من حلفاء بني جحجبي، أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم، أبو مرثد الغنوي كنان بن حصين تقدم، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسي.

فصل

فكان جملة من شهد بدرأ من المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله ﷺ كما قال البخاري: حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو إسحاق سمعت البراء بن عازب يقول: حدثني أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم ممن شهد بدرأ أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن^(٣). ثم رواه البخاري من طريق إسرائيل وسفيان الثوري عن أبي إسحاق عن البراء نحوه. قال ابن جرير: وهذا

(١) في «تاريخ خليفة»: «ابن فسح» قتله نوفل بن معاوية.

(٢) في ابن هشام: أبو ضياح بن ثابت بن النعمان.

(٣) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٦) باب عدة أصحاب بدر ح (٣٩٥٩) «فتح الباري» (٧/٢٩٠) و (٧/٣٩١).

قول عامة السلف إنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. وقال أيضاً حدثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء. قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين. هكذا وقع في هذه الرواية وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، ثنا أبو مالك الجبني عن الحجاج - وهو ابن أرتاة - عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: كان المهاجرون يوم بدر [سبعة] و[١١] سبعين رجلاً وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً. وكان حامل راية النبي ﷺ علي بن أبي طالب. وحامل راية الأنصار سعد بن عباد. وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلاثمائة وستة رجال. قال ابن جرير: وقيل كانوا ثلاثمائة وسبعة رجال.

قلت: وقد يكون هذا عد معهم النبي ﷺ والأول عدهم بدونه فالله أعلم. وقد تقدم عن ابن إسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً. وأن الأوس أحد وستون رجلاً. والخزرج مائة وسبعون رجلاً وسردهم. وهذا مخالف لما ذكره البخاري ولما روى عن ابن عباس فالله أعلم. وفي «الصحيح» عن أنس: أنه قيل له شهدت بدرًا. فقال وأين أغيب؟ وفي «سنن أبي داود» عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال: كنت أميح لأصحابي الماء يوم بدر وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء فالله أعلم.

قلت: وفي الذين عدهم ابن إسحاق في أهل بدر من ضرب له بسهم في مغنمها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له في التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو تسعة وهم: عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره^(٢) وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله ﷺ من الروحاء حين بلغه خروج النضير من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق^(٣) وضرب له بسهمه وأجره، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدي: وأجره، وخوات بن جبير^(٤) لم يحضر الواقعة وضرب له بسهمه وأجره، وأبو الصياح بن ثابت^(٥) خرج مع رسول الله ﷺ فأصاب ساقه فصيل حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره قال الواقدي وسعد أبو مالك^(٦) تجهز ليخرج فمات وقيل إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره^(٧). وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين ستة وهم: عبيدة بن الحارث بن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزهري قتله العاص بن سعيد^(٨) وهو ابن ست عشرة سنة ويقال إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى فأذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه، وحليفهم ذو الشمالين ابن عبد عمرو الخزاعي^(٩)، وصفوان بن بيضاء^(١٠)، وعامل بن البكير^(١١) الليثي حليف بني عدي، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل

(١) من «تاريخ الطبري» (٢/٢٧٢).

(٢) قال الواقدي: سعيد بن زيد وطلحة بعثهما رسول الله ﷺ يتحسان له العير.

(٣) قال الواقدي: رده الروحاء.

(٤) في الواقدي: كسر بالروحاء.

(٥) ذكره الواقدي فيمن حضر بدر وسماه: أبو ضياح بن ثابت من بني ثعلبة بن عمرو بن عوف.

(٦) في الواقدي: سعد بن مالك؛ وهو من بني البدني.

(٧) وذكر الواقدي وابن إسحاق: أن صبيحاً مولى أبي العاص بن أمية تجهز للخروج ثم مرض. وأن عاصم بن عدي بن الجد بن

العجلان خرج فرده رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر. وقيل في سبب رده أنه بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار، وكان قد استخلفه على قباء والعالية فرده لينظر في ذلك.

ذكر الواقدي أن النبي ﷺ ضرب لجعفر بن أبي طالب بسهمه وأجره؛ وقال: ولم يذكره أصحابنا.

(٨) في الواقدي: قتله عمرو بن عبد؛ وقتل عمرو أيضاً سعد بن خيصة.

(٩) قال الواقدي: قتله أبو أسامة الجشمي.

(١٠) قتله طعيمة بن عدي؛ ويقال قتل طعيمة أيضاً سعد بن خيصة.

(١١) في الواقدي وابن سعد: ابن أبي البكير، قتله مالك بن زهير الجشمي.

قتل من المسلمين يومئذ^(١)، ومن الأنصار ثمانية وهم: حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقه بسهم فأصاب حنجرتهم فمات، ومعوذ وعوف ابنا عفراء^(٢)، ويزيد بن الحارث^(٣) - ويقال ابن قسحم - وعمير بن الحمام^(٤)، ورافع بن المعلى بن لوذان^(٥)، وسعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر^(٦) رضي الله عن جميعهم، وكان مع المسلمين سبعون بغيراً كما تقدم. قال ابن إسحاق: وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بفرجة - ويقال ستجة - وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب وكان معهم لواء يحمله مصعب بن عمير، ورايتان يحمل إحداها للمهاجرين علي بن أبي طالب، والتي للأنصار يحملها سعد بن عباد، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذ.

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً. وقال الواقدي كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم والله أعلم. وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهذا قول الجمهور، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له:

فأقام بالعظن المعظن منهم سبعون عُتْبَةً منهم والأسود^(٧)

وقد حكى الواقدي الإجماع على ذلك وفيما قاله نظر، فإن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا خلاف ذلك^(٨) وهما من أئمة هذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم. وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء في «أحكامه» جيداً وقد تقدم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وأول من فر وهو خالد بن الأعمى الخزاعي - أو العقيلي - حليف بني مخزوم وما أفاده ذلك فإنه أسر وهو القائل في شعره:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدم

فما صدق في ذلك، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلاً صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الأسارى، وقد اختلف في أيهما قتل أولاً على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء منهم أبو العاص بن الربيع الأموي، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي، وصيفي بن أبي رفاعة كما تقدم، وأبو عزة الشاعر، ووهب بن عمير بن وهب الجمحي كما تقدم، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لثلا يجابيه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك، وقال لا تتركوا منه درهماً، وقد كان فداؤهم متفاوتاً فأقل ما أخذ أربعمائة، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب، قال موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فداءه كما قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم قال: قال داود: ثنا عكرمة، عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال فجاء غلام يوماً يبكي إلى أمه فقالت ما شأنك؟ فقال ضربني معلمي فقالت: الخبيث يطلب بدخل بدر والله لا تأتبه أبداً. انفرد به أحمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله والله الحمد والمنة.

(١) قتله عامر بن الحضرمي.

(٢) قتلها أبو جهل.

(٣) قتله نوفل بن معاوية الديلي.

(٤) قتله خالد بن الأعمى. قال الواقدي: وهو أول قتيل قتل من الأنصار في الإسلام، ويقال: أول قتيل أنصاري قتل في الإسلام عاصم بن ثابت بن الأفلح.

(٥) قتله عكرمة بن أبي جهل.

(٦) قتله أبو ثور.

(٧) العظن: معناه مبرك الإبل حول الماء، واستعاره هنا لقتلى المشركين يوم بدر وعتبة بن ربيعة، والأسود بن عبد الأسد المخزومي.

(٨) قال ابن عقبة وعروة: قتل من المشركين تسعة وأربعون رجلاً وأسر منهم تسعة وثلاثون رجلاً. «الدرر» في اختصار «المغازي» و «السير» ص (١٠٩).

فصل

في فضل من شهد بدرًا من المسلمين

قال البخاري في هذا الباب: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن حميد سمعت أنسًا يقول: أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى فترى ما أصنع فقال: «ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس» تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد روي من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن حارثة كان في النظارة وفيه: «أن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا الذي لم يكن في بحيجة القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفًا في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عددًا وعُدداً ثم روى البخاري ومسلم جميعاً: عن إسحاق بن راهويه، عن عبد الله بن إدريس، عن حصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قصة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فقال رسول الله ﷺ: «قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ولفظ البخاري «أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم الجنة - أو قد غفرت لكم» - فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم. وروى مسلم عن قتبية، عن الليث، عن أبي الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً قال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت لا يدخلها إنه شهد بدرًا والحديبية» وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثني الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل النار رجل شهد بدرًا أو الحديبية» تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم. وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». ورواه أبو داود عن أحمد بن سنان وموسى بن إسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به. وروى البزار في «مسنده» ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرًا إن شاء الله» ثم قال لا نعلمه يروي عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه. قلت: وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم. وقال البخاري في^(١) باب شهود الملائكة بدرًا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا جرير، عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقني عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة انفرد به البخاري.

قدوم زينب بنت الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة

قال ابن إسحاق: ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله - يعني كما تقدم - بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه فقال كونا ببطن يأجج^(٢) حتى تمر بكما زينب فتصحبها فتأتياني بها، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر - أو شيعه^(٣) - فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز: قال ابن إسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: حدثت عن زينب أنها قالت بينا أنا أتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلغني أنك تريدن اللحوق بأبيك قالت: فقلت ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عم لا تفعلي، إن كان لك حاجة بمتاع

(١) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي فتح الباري» (٣١١/٧).

(٢) يأجج: اسم لمكانين: أحدهما على ثمانية أميال من مكة. والثاني: أبعد منه، وفيه بني مسجد الشجرة وبينه وبين مسجد التنعيم ميلان.

(٣) شيعه: قريب منه. قال في «النهاية»: نحواً من شهر.

مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تضطبني^(١) مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال، قالت والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكنني خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك. قال ابن إسحاق: فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بغيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري^(٢) فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج وكانت حاملاً فيما يزعمون فطرح^(٣) ويرك حموها كنانة ونثر كنانته، ثم قال والله لا يدنو مني رجلاً إلا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس عنه. وأتى أبو سفيان في جلة من قريش فقال: يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكف فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا إن ذلك عن ذل أصابنا وإن ذلك ضعف منا ووهن ولعمري ما لنا بحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثورة. ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سراً وألقها بأبيها، قال ففعل. وقد ذكر ابن إسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تدمهم على ذلك:

أفي السُّلم أعياراً جفاءً وغلظةً
وفي الحرب أشباه النساء العوارك

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعدما قتل منهم الذين قتلوا. قال ابن إسحاق: فأقامت ليل حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدمها بها ليلاً على رسول الله ﷺ. وقد روى البيهقي في «الدلائل»: من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما في بطنها وإن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجيء معه فتلطف زيد فأعطاه راعياً من مكة فأعطى الخاتم لزينب فلما رآته عرفته فقالت من دفع إليك هذا؟ قال رجل في ظاهر مكة فخرجت زينب ليلاً فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة. قال: فكان رسول الله ﷺ يقول: «هي أفضل بناتي أصيبت في» قال: فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال: ما حديث بلغني أنك تحدثه؟ فقال عروة والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وإني أنتقص فاطمة حقاً هولها وأما بعد ذلك [فلك]^(٤) أن لا أحدث به أبداً^(٥). قال ابن إسحاق فقال في ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف. قال ابن هشام هي لأبي خيثمة:

أتاني الذي لا يقدرُ الناسُ قدره
وأخراجها لم يخزَ فيها محمد
وأمسى أبو سفيان من جلفٍ ضمضم
قرناً ابنه عمراً ومولى يمينه
فأقسمتُ لا تنفك منا كتائبُ
نزوع قريش الكفر حتى نعلها
ننزلهم أكناف نجد ونخلة
يدى الدهر حتى لا يعوج سربنا
ويندم قوم لم يطيعوا محمداً

لزينب فيهم من عُقوق ومائم
على ماقطٍ وبيننا عطرٌ منشم^(٦)
ومن حربنا في رغم أنفٍ ومندم
بذي حلقٍ جلد الصلاصل محكم
سراة خميس من لهام مسوم
بخاطمة فوق الأنوف بميسم
وإن يُثهموا بالخيل والرَّجل نتهم
ونلحقهم آثار عادٍ وجُهرهم
على أمرهم وأبي حين تندم

- (١) في ابن هشام: لا تضطني، وفي رواية لا تظطني: أي لا تستحي، وبالظاء: من ظنت أي لا تهمني ولا تستريبي بي.
- (٢) من السهيلي: وفي الأصل وابن هشام لم يذكر اسم الفهري مع الواو بل هبار بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى الفهري. واسمه نافع بن عبد القيس كما ذكره ابن هشام وفي رواية البيهقي عن ابن إسحاق.
- (٣) قيل أن هبار نخس الراحلة فسقطت على صخرة فهلك جبينها، ولم تزل تنزف دماً حتى مات بالمدينة انظر «الاستيعاب».
- (٤) من «دلائل البيهقي».
- (٥) «دلائل البيهقي» باب ما جاء في زينب بنت رسول الله ﷺ... (١٥٦/٣).
- (٦) عطر منشم: مثل، يكتنى به عن شدة الحرب؛ قيل في أصله أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب فيشرى منها للموتى، حتى تشاهوا بها لذلك.

فأبلغ أبا سفيانَ إمالقيته لئن أنتَ لم تُخْلِصْ سجوداً وتسلم
فأبشر بخزي في الحياة معجّل وسريالٍ قارٍ خالداً في جهنم

قال ابن إسحاق: ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر هو عامر بن الحضرمي. وقال ابن هشام إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي فأما عامر بن الحضرمي فإنه قتل يوم بدر. قال ابن إسحاق: وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن سليمان بن يسار، عن أبي إسحاق الدوسي، عن أبي هريرة، قال: بعث النبي ﷺ سرية أنا فيها فقال: «إن ظفرتم بهبار بن الأسود والرجل^(١) الذي سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار» فلما كان الغد بعث إلينا فقال: «إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموها، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل، فإن ظفرتم بهما فاقتلوها» تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه وقال البخاري: حدثنا قتيبة، ثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار» ثم قال حين أردنا الخروج: «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وأن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموها فاقتلوها» وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش، فلما قفل من الشام لقيته سرية فأخذوا ما معه وأعجزهم هرباً وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال: «أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت» قالوا نعم! قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجيرُ على المسلمين أديانهم» ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: «أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له» قال: وبعث رسول الله ﷺ فحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئاً فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فحدثني داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال رد عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأول ولم يحدث شيئاً [بعد ست سنين]^(٢)، وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق، وقال الترمذي ليس بإسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين. وقال السهيلي لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفي لفظ ردها عليه رسول الله ﷺ بعد ست سنين، وفي رواية بعد سنتين بالنكاح الأول رواه ابن جرير وفي رواية لم يحدث نكاحاً. وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فإن القاعدة عندهم أن المرأة إن أسلمت وزوجها كافر فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فإن أسلم وزوجها كافر فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فإن أسلم فيها استمر على نكاحها وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضي الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ وهاجرت بعد بدر بشهر وحرمت المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان فمن قال ردها عليه بعد ست سنين أي من حين هجرتها فهو صحيح ومن قال بعد سنتين أي من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضاً، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها في هذه المدة التي أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الأول؟ فقال قائلون يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة يمين يتطرق إليها الاحتمال، وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد بنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد، قال الإمام أحمد هذا حديث ضعيف وإياه لم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي. والعرزمي لا يساوي حديثه شيئاً والحديث الصحيح الذي روى أن النبي ﷺ أقرها على النكاح الأول. وهكذا قال الدارقطني لا يثبت هذا الحديث

(١) في ابن هشام: أو الرجل الآخر، ويعني نافع بن عبد القيس.

(٢) من ابن إسحاق.

والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردها بالنكاح الأول. وقال الترمذي هذا حديث في إسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت في العدة وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق. وقال آخرون بل الظاهر انقضاء عدتها، ومن روى أنه جدد لها نكاحاً فضعيف ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أي وقت كان وهي امرأته ما لم تتزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم. ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري حيث قال نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن حدثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين، كانوا مشركي أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونهم، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونهم. فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فإذا طهرت حل لها النكاح، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بحروفه، فقوله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضي أنها كانت تستبرئ بحیضة لا تعتد بثلاثة قروء، وقد ذهب قوم إلى هذا وقوله فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه يقتضي أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجاً غيره كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبي ﷺ وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء والله أعلم.

ما قيل من الأشعار في بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام:

وللحين أسباب مبينة الأمر
فخافوا تواص بالعقوب وبالكفر
وكانوا رهوناً للركية من بدر^(١)
فساروا إلينا فالتقينا على قدر
لنا غير طعن بالمشقة السمر
مشهورة الألوان بيينة الأثر
وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر^(٢)
فشقت جيوب النائح على عمرو
كرام تفر عن الذوائب من فهر
وخلوا لواء غير محتضر النصر
فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر
برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
أخاف عقاب الله والله ذو قسر
وكان بما لم بخير القوم ذا خبر
ثلاث مئين كالمسدمة الزهر
بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
لدى مازق فيه منايهم تجري

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم
وكننا طلبنا العير لم نبغ غيرها
فلما التقينا لم تكن مثنوية
وضرب ببيض يختلي الهام حدها
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويماً
وعمر وثوى فيمن ثوى من حوماتهم
جيوب نساء من لؤي بن غالب
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم
لواء ضلال قاد إبليس أهله
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً
فإنني أرى ما لا تروون وإنني
فقدمهم للحين حتى تورطوا
فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا
وفينا جنود الله حين يمدنا
فشد بهم جبريل تحت لوائنا

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمداً. وقال علي بن أبي طالب وأنكرها ابن هشام:

(١) الركبة: البئر غير المطوية.

(٢) تجرجم: تسقط، الجفر: البئر المتسعة.

بلاء عزيز ذي اقتدارٍ وذي فضلٍ
فلاقوا هواناً من أسارٍ ومن قتلٍ
وكان رسولُ الله أُرسِلَ بالعدلِ
مبيناً آياته لذوي العقولِ
فأمسوا بحمدِ الله مجتمعي الشملِ
فزادهمُ ذو العرشِ خيلاً على خبلٍ^(١)
وقوماً غضاباً فعلهم أحسنُ الفعلِ
وقد حادثوها بالجلالِ وبالضقلِ
صريعاً ومن ذي نجدةٍ منهم كهلِ
تجوذُ بأسبالي الرُشاشِ وبالويلِ
وشيبةٌ تنعاه وتنعي أبا جهلِ
مسلباً حزى مبينة الثكلِ
ذوو نجداتٍ في الحروبِ وفي المحلِ
وللغني أسبابُ مُرمقة الوصلِ
عن الشغبِ والعُدوانِ في أسفلِ السفلِ^(٢)

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضها من الحارث أيضاً تركناها قصداً وقال كعب بن مالك:

عل ما أراذ ليس لله قاهرٌ
بغوا وسبيلُ البغي بالناسِ جائرٌ
من الناسِ حتى جمعهم متكائرٌ
بأجمعها كعبٌ جميعاً وعمراً
له معقلٌ منهم عزيزٌ وناصرٌ
يمشون في الماذي والنقعِ نائرٌ^(٣)
لأصحابه مستبسلُ النفسِ صابرٌ
وأن رسولَ الله بالحقِ ظاهرٌ
مقاييسُ يزميها لعينيكِ شاهرٌ
وكان يلاقي الحين من هو فاجرٌ
وعتبه قد غادرته وهو عائرٌ
وما منهم إلا بذئ العرشِ كافرٌ
وكلُّ كفورٍ في جهنمِ صائرٌ
بزيرِ الحديدِ والحجارةِ ساجرٌ
فولوا وقالوا إنما أنت ساحرٌ
وليس لأمرِ حمّةِ الله زاجرٌ

وأخبر شيءٍ بالأمورِ عليمتها
معدُّ معاً جهالها وحليمها

الم تر أن الله أبلى رسوله
بما أنزل الكفازَ دارَ مذلة
فأمسى رسولُ الله قد عز نصره
فجاء بفرقانٍ من الله مُنزَلِ
فآمنَ أقوامٌ بذلك وأيقنوا
وأنكرَ أقوامٌ فزاغت قلوبهم
وأمكنَ منهم يومَ بدرٍ رسوله
بأيديهم بيضُ خفافٍ عصوا بها
فكم تركوا من ناشئ ذي حمية
تبيتُ عيونُ النائحاتِ عليهم
نوائحُ تنعي عُتبةَ الغيِّ وابنه
وذا الرجلِ تنعى وابنَ جدعانِ فيهم
ثوى منهم في بئرِ بدرٍ عصابة
دعا الغيِّ منهم من دعا فاجابه
فأضحوا لدى دارِ الجحيمِ بمعزلِ

عجبتُ لأمرِ الله والله قادرٌ
قضى يومَ بدرٍ أن نلاقني معشراً
وقد حشدوا واستنقروا من يليهم
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولهُ
وجمعُ بني التّجارِ تحتِ لوائهِ
فلما لقيناهم وكلُّ مجاهدٍ
شهدنا بأنّ الله لا ربَّ غيره
وقد عريتُ ريضُ خفافٍ كأنها
بهنّ أبدنا جمعهم فتبددوا
فكبتُ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه
وشيبةٌ والتّيمي غادرتُ في الوغى
فأمسوا وقودَ النارِ في مستقرها
تلظى عليهم وهي قد شبَّ حميها
وكان رسولُ الله قد قال أقبلوا
لأمرٍ أراد الله أن يهلكوا به
وقال كعب في يوم بدر:

ألا هل أتى غسانٌ في نأيِ دارها
بأنّ قد رمتنا عن قسيّ عداوة

(١) الخبل: الفساد.

(٢) في ابن هشام: في أشغل الشغل.

(٣) الماذي: الدروع البيض اللينة السهلة، وقد تطلق على السلاح كله.

رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
وأعراق صدق هذبتها أرومها
أسود لقاء لا يرجى كليهما
لمنخر سوء من لؤي عظيمها
سواء علينا حلفها وصميمها

على زهو لديكم وانتخاء
ولا صببروا به عند اللقاء
دجى الظلماء غنا والفظاء
من أمر الله أحكم بالقضاء
وما رجعوا إليكم بالسواء
جياذ الخيل تطلع من كداء
وميكال فيا طيب الملاء
الله بن الحارث السهمي^(١):

جلد التحيظة ماض غير رعديد^(٢)
على البرية بالتقوى وبالجدود
وماء بدر زعمتم غير مورود^(٣)
مستحکم من حبال الله ممدود
حتى الممات ونصر غير محدود
بدر أنار على كل الأماجيد

إبادتنا الكفار في ساعة العسر
فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر^(٤)
وشيبة يكبو لليدين وللنخر
وطعمة أيضاً عند نائرة القشر
له حسب في قومه نابه الذكر^(٥)
ويضلون ناراً بعد حامية القعر^(٦)
وأشباعهم يوم التقينا على بدر^(٧)

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر، في قطع رجله في مبارزته هو وحمة وعلي مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام:

لأنا عبدنا الله لم نرج غير
نبي له في قومه إرث عزة
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا
ضربناهم حتى هوى في مكرنا
فولوا ودسناهم ببيض صوارم
وقال كعب أيضاً:

لعمر أبيكما يا ابني لؤي
لما حامت فوارسكم ببدر
ورذناه ونور الله يجلو
رسول الله يقدمنا بأمر
فما ظفرت فوارسكم ببدر
فلا تعجل أبا سفيان وارقب
ينصر الله روح القدس فيها

وقال حسان بن ثابت: قال ابن هشام: ويقال هي لعبد
مستشعري خلق الماذي يقدمهم
أعني رسول الله الخلق فضله
وقد زعمتم بأن تخموا ذمازكم
مستعصمين بحبل غير منجدم
فينا الرسول وفينا الحق ثبته
واف وماض شهاب يستضاء به
وقال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة
قتلنا سراة القوم عند مجالنا
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله
قتلنا سويداً ثم عتبة بعده
فكم قد قتلنا من كريم مسود
تركناهموا للعاويات يئبئهم
لعمرك ما حامت فوارس مالك

- (١) وردت القصيدة في «ديوان حسان» منسوبة إليه من غير اختلاف في ذلك.
- (٢) مستشعري: من استشعر، يقال استشعر الثوب: إذا لبسه على جسمه من غير حاجز، ومنه الشعار ما يلي الجسم من الثياب.
- (٣) في ابن هشام: غير مردود. وبعده في «سيرة ابن هشام».
- ثم وردنا ولم نسمع لقولكم
التصريد: تقليل الشرب. والرواء: التملق من الشرب.
- (٤) قاصمة الظهر: الداهية التي تقصم الظهر، أي تكسرها فتبينها.
- (٥) في ابن هشام مرزاً بدل مسود.
- (٦) يئبئهم أي يأتونهم مرة بعد مرة.
- (٧) حامت: من الحماية، أي الامتناع، وفي رواية خامت: أي جبت.

سَتَبْلُغُ عِنَا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةَ
بِعْتَبَةِ إِذْ وَلِيَّ وَشَيْبَةَ بَعْدَهُ
فَإِنْ تَقَطَّعُوا رَجُلِي فَلِئِيَّ مَسْلَمٌ
مَعَ الْحَوْرِ أَمْثَالِ التَّمَاثِيلِ أَخْلِصَتْ
وَبِعْتَتْ بِهَا عَيْشاً تَعْرِفْتُ صَفْوَهُ
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مِثْنِهِ
وَمَا كَانَ مَكْرُوهاً إِلَيَّ قَتَالَهُمْ
وَلَمْ يَبْغِ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سِوَانَا
لَقَيْنَاهُمْ كَالْأَسَدِ تَخْطُرُ بِالْقَنَا
فَمَا بَرَحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا

يَهَبُ لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ نَائِيًا
وَمَا كَانَ فِيهَا بِكَرُ عُتْبَةَ رَاضِيًا
أَرْجِي بِهَا عَيْشًا مِنَ اللَّهِ دَانِيًا
مِنَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيًا
وَعَاجِلْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدَانِيَا
بِثُوبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ عَطَى الْمَسَاوِيَا
غَدَاةً دَعَا الْأَكْفَاءُ مِنْ كَانَ دَاعِيَا
ثَلَاثَتِنَا حَتَّى حَضَرْنَا الْمُنَادِيَا
نَقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
ثَلَاثَتِنَا حَتَّى أَزِيرُوا الْمُنَائِيَا^(١)

وقال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت أيضاً يذم الحارث
تَبَلَّتْ فَوَادِكُ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً
كَالْمَسْكِ تَخْلُطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ
نَفْجُ الْحَقِيبَةِ بِوَضْعِهَا مَتَنَضِدٍ
بُنِيَتْ عَلَى قَطْنٍ أَجْمٌ كَأَنَّهُ
وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فَرَاشُهَا
أَمَّا النَّهَارُ فَلَا أَفْتَرُ أَذْكَرُهَا
أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرَكَ ذِكْرُهَا
بَلْ مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومِ سَفَاهَةٍ
بَكَرْتُ إِلَيَّ بِسَخْرَةٍ بَعْدَ الْكُرَى
زَعَمْتُ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَكْرِبُ عَمْرَهُ
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يِقَاتِلَ دُونَهُمْ
يَذُرُ الْعِنَا جِيحَ الْجِيَادِ بِقَفْرَةٍ
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَا رَمَدَتْ بِهِ
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرِكِ
طَحْنَتَهُمْ وَاللَّهُ يَنْفِذُ أَمْرَهُ

بن هشام على فراره يوم بدر وتركه قومه لا يقاتل دونهم:
تَشْفِي الضَّجِيحَ بِبَارِدِ بَسَامِ^(٢)
أَوْ عَاتِقِ كَدَمِ الدَّبِيحِ مَدَامِ^(٣)
بِلِهَاءِ غَيْرِ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ^(٤)
فَضْلًا إِذَا قَعَدْتُ مَدَاكُ رِخَامِ^(٥)
فِي جَسْمِ خُرْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ^(٦)
وَاللَّيْلِ تَوَزَعَنِي بِهَا أَحْلَامِي
حَتَّى تَغَيَّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي
وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهُوَى لُؤَامِي
وَتَقَارِبِ مَنْ حَادَثِ الْأَيَّامِ
عَدَمٌ لِمَعْتَكِرٍ مِنَ الْإِصْرَامِ^(٧)
فَنَجَوْتُ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
وَنَجَا بِرَأْسِ طَمْرَةَ وَلِجَامِ^(٨)
مَرَّ الدَّمُولِ بِمَحْصِدِ وَرِجَامِ^(٩)
وَتَوَى أَحْبَبْتُهُ بِشَرِّ مَقَامِ
نَصَّرَ الْإِلَهَ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ
حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضَرَامِ

(١) قال أبو ذر في «غريب السيرة» المنايا: يريد المنايا، وقد تكون الهمزة متقلبة عن الياء الزائدة في منية.

(٢) رواية «الديوان» وابن هشام: تسقي بدل: تشفي.

(٣) العاتق: الخمر القديمة، قال الخشني في «غريب السيرة»: وتروى عاتك: وهي الخمر القديمة التي احمرت.

(٤) نفج: مرتفعة وعالية. والحقية: هنا ردف المرأة.

(٥) القطن: ما بين الوركين إلى بعض الظهر.

(٦) خرعة: الحسنه القوام.

(٧) الأصرام: جمع صرم وصرم جمع صرمة بالكسر وهي القطعة من الأبل ما بين العشرين إلى الأربعين.

والمعتكر: الإبل التي يرجع بعضها على بعض، فلا يمكن عدها لكثرتها.

(٨) بعده في «الديوان»:

جرداء تمزق في الغبار كأنها سرحان غاب في ظلال غمام

(٩) في ابن هشام و«الديوان»: الدموك بدل الدمول؛ الدموك: البكرة بالكثرة، والمحصد: الحبل الشديد الفتل الرجام: حجر يربط في

الدلو، ليكون أسرع لها عند إرسالها في البثر.

لولا الإله وجريئها لتركنه
من بين مأسور يُشَدُّ وثاقه
ومجدل لا يستجيبُ لدعوة
بالعمار والذل المبين إذا رأى
بيدي أغرَّ إذا انتمى لم يخزِه
بيض إذا لاقت حديداً صممت
قال ابن هشام تركنا في آخرها ثلاث أبيات أقذع فيها^(٤)

عمرو بن هشام فقال:

القوم أعلم ما تركت قتالهم
وعرفت أني إن أقاتل واحداً
فصددت عنهم والأحبة فيهم
وقال حسان أيضاً:

يا حارٍ قد عولت غير معول
إذ تمتطي سرح اليمين نجيبه
والقوم خلفك قد تركت قتالهم
الأعطفت على ابن أمك إذ ثوى
عجل المليك له فأهلك جمعه
وقال حسان أيضاً:

لقد علمت قريش يوم بدر
بأننا حين تشتجر العوالي
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا
وفر بها حكيم يوم جالت
وولت عند ذاك جموع فنهز
لقد لاقيتموا ذلاً وقتلاً
وكل القوم قد ولوا جميعاً

وقالت هند بنت أثانة بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن

لقد ضمن الصفراء مجدداً وسودداً
عبيدة فابكيه لأضياف غربة
وبكيه للأقوام في كل شثوة

جَزَزَ السَّبَاعَ وَدُسْنَهُ بِحَوَامِي^(١)
صَقَرَ إِذَا لاقَى الأَسِنَّةَ حَامِي^(٢)
حتى تزول شوامخ الأعلام
بيض السيوف تسوق كل همام
نسب القصار سُمنيدع مقدام^(٣)
كالبرق تحت ظلال كل غمام
قال ابن هشام فأجابه الحارث بن هشام أخو أبي جهل

حتى رموا فرسي بأشقر مُزبدي^(٥)
أقتل ولا ينكي عدوي مشهدي
طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

عند الهياج وساعة الإحساب
مرطى الجراء طويلة الأقراب^(٦)
ترجو التُّجاء وليس حين ذهاب
قَصَصَ الأسننة ضائع الأسلاب^(٧)
بشنار مُخزبة وسوء عذاب

غداة الأسر والقتل الشديد
حماة الحرب يوم أبي الوليد
إلينا في مضاعفة الحديد
بنو التجار تخطر كالأسود
وأسلمها الحويرث من بعيد
جهيزاً نافذاً تحت الوريد
ولم يُلوا على الحسب التليد
الحارث بن المطلب:

وجلماً أصيلاً وافر اللب والعقل^(٨)
وأرملة تهوي لأشعث كالجدل
إذا احمر آفاق السماء من المحل

صقر إذا لاقى الكتيبة حامي

(١) حوامي: جمع جامية، وهي ما عن يمين سبك الفرس وشماله.

(٢) البيت في «الديوان»:

من كل مأسور يُشَدُّ صفاده
القصار: أراد بهم الذين قصر سعيهم عن طلب المكارم.

(٤) في «ديوان حسان» خمسة أبيات بعد هذا البيت لا ثلاثة.

(٥) في ابن هشام: الله أعلم مكان القوم أعلم. وشطره الثاني في ابن هشام: حتى حبوا مهري...

وفي السهيلي: «حتى علوا مهري»

(٦) سرح اليمين: يريد بها الفرس.

(٧) القصص: القتل بسرعة.

(٨) الصفراء: موضع بين مكة والمدينة.

وبتغيبه للأيتام والريخ زفزف
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها
لطارق ليلاً أو الملتمس القري
وقال الأموي في «مغازيه» حدثني سعيد بن قطن قال قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر

بدرأ:

بتأويلها فل من القوم هارب^(٢)
بعينيه ما تفري السيوف القواضب
يكذبني بالصدق من هو كاذب^(٣)
حكيم وقد أعيت عليه المذاهب
وخطية فيها الشبا والتغالب
إذا ما تعاطتها الليوث المشاغب
إذا عَضَّ من عُون الحروب الغوارب
كفاحاً كما تمرى السحاب الجنائب^(٤)
وزعزع ورد بعد ذلك صالب
لدى ابن أخي أسرى له ما يضارب
من الله حين ساق والحين حالب
بنو عمه والحرب فيها التجارب
الجبان وتبدو بالنهار الكواكب
بحاراً تردى تجربتها المقانِب^(٥)
لها من شعاع النور قرن وحاجب

الماتكن رؤياي حقاً وبأتكم
رأى فاتاكم باليقين الذي رأى
فقلتم ولم أكذب عليكم وإنما
وما جاء إلا رهبة الموت هارباً
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم
كأن حريق النار لمع ظباتها
ألا بأبي يوم اللقاء محمداً
مَرَى بالسيوف المرهفات نفوسكم
فكم بردت أسيافه من مليكة
فما بال قتلى في القليب ومثلهم
فكانوا نساء أم أتى لنفوسهم
فكيف رأى عند اللقاء محمداً
ألم يغشكم ضرباً يحار لوقعه
حلفت لئن عادوا لنضطليئهم
كأن ضياء الشمس لمع ظباتها
وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأموي:

ببدر ومن يغشى الوغى حق صابر
حريق بأيدي المؤمنين بواتر
قليلاً بأيدي المؤمنين المشاعر
يقاتل من وقع السلاح بنافر
وما ابن أخي البر الصدوق بشاعر
وينصره الحيات عمرو وعامر

هلاً صبرتم للنبي محمد
ولم ترجعوا عن مرهفات كأنها
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتموا
ووليتموا نفراً وما البطل الذي
أتاكم بما جاء النبيون قبله
سيكفي الذي ضيعتموا من نبيكم

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ ذاك:

ألا إن عيني أنفذت دمعتها سكباً
تبكي على كعب وما إن ترى كعباً

(١) مستنج: الرجل الذي يضل بالليل، فيتكلف نباح الكلب فيهندي بصياحه.

(٢) البيت في «دلائل البيهقي»:

بتصديقها فل من القوم هارب

ألم تكن الرؤيا بحق وجاءكم

(٣) البيت في «دلائل البيهقي»:

يكذبنا بالصدق من هو كاذب

فقلتم - ولم أكذب - كذبت وإنما

(٤) الجنائب: الرياح التي تهب جنوباً، وهي تمرى السحاب تستنزل مطره.

(٥) في «نسخ البداية المطبوعة» تجربتها والصواب: تجر فيها.

وأرداهموا إذ الدهرُ واجترحوا ذنباً
فيا ليت شعري هل أرى لهم قُرباً^(١)
فِداً لَكُمْ لا تبعثوا بيئنا حرباً^(٢)
أحاديث فيها كلُّكم يشتكي التُّكبا
وحرب أبي يكسوم إذ ملثوا الشُّعباً^(٣)
لأصبحتموا لا تمنعون لكم سزباً
سوى أن حَمِينا خيرَ من وطيء التربا
كريماتُ نساءٍ لا بخيلاً ولا ذرباً
يؤمّون نهراً لا نَزُوراً ولا صرباً
تَمَلَّمْ حتى تصدقوا الخزرجَ الضرباً

ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا
وعامرُ تبكي للملمات غدوةً
فيا أخويننا عبدَ شمسٍ ونوفل
ولا تُصبحوا من بعد وُدِّ والفة
ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ
فلولا دفاعُ الله لا شيء غيره
فما إن جنينا في قريشٍ عظيمةً
أخا ثقةً في النسائب مُرَّزاً
يُطيفُ به العافون يَغشون بابَه
فوالله لا تنفك نفسي حزيناً

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق أشعاراً من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخي بني محارب بن فهر وقد أسلم بعد ذلك والسهيلي في روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك:

عليهم غداً والدهرُ فيه بصائر^(٤)
أصيبوا ببدرٍ كلُّهم ثم صائر^(٥)
فلأنا رجالٌ بعدهم سنغادر^(٦)
بني الأوس حتى يشفي النفسَ نائر^(٧)
لها باللقنا والدارعين زوافر^(٨)
وليس لهم إلا الأمانني ناصر
لهنّ بهاليل عن النوم ساهر
بهنّ دمٌ ممن يحاربنّ مائر
بأحمد أمسى جدُّكم وهو ظاهر^(٩)
يُحامون في اللاواء والموت حاضر

عجبثُ لفخر الأوس والحين دائر
وفخر بني النجار إن كان معشر
فان تك قتل غودرت من رجالنا
وتردى بنا الجرذ العناجيج وسطكم
ووسط بني النجار سوف نكرها
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم
وتبكيهم من أرض يشرب نسوة
وذلك أتال تزال سيوفنا
فلان تظفروا في يوم بدر فإنما
وبالنفرة الأخيار هم أولياؤه

- (١) في ابن هشام: لهما بدل لهم. وفي ابن هشام بعده:
 - هما أخوأي لن يعدا لفيّة
 - (٢) في الأصل: ونوفل تحريف والصواب: ونوفلاً من ابن هشام.
 - (٣) في ابن هشام: وجيش أبي يكسوم.
 - (٤) بصائر: جمع بصيرة، وهي الحجة والدليل قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] أي حجة.
 - (٥) في ابن هشام: صابر.
 - (٦) في الأصل: رجالاً تحريف.
 - (٧) العناجيج: جمع عنجوج، وهو الطويل السريع. والثائر: الطالب بثاره.
 - (٨) زوافر: جمع زافرة وهي الحاملات للثقل.
 - (٩) قصيدة ضرار بن الخطاب قسمان: القسم الأول منها إلى هنا يسلك فيه ضرار سبيل التهديد والوعيد بما ستحققه قريش من إدراك ثأرها - وهو لا ينظر إلى الأمر من زاوية الحرب بين مسلمين ومشركين - بل هي حرب بين قريش والأنصار فهي في نظره حرب قبلية لا حرب دفاع عن دين.
- والقسم الثاني في قصيدته من هنا يتخذ وجهة أخرى، تتجه فيها معانيه إلى عصبية قرشية واضحة، وهي الفخر بالمهاجرين من قريش على إخوانهم من الأنصار:

ويدعى عليّ ونسط من أنت ذاكر^(١)
بنو الأوس والتجار حين تفاخر
إذا عُدَّتْ الأنسابُ كعب وعامر
غداة الهياج الأظيَّبُونُ الأكابر

علي ما أرادَ ليسَ لهُ قاهر
قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر واسمه شداد بن الأسود بن شعوب.

قلت: وقد ذكر البخاري أنه خلف على امرأة أبي بكر الصديق حين طلقها الصديق وذلك حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر:

وهل لي بعد قومي من سلام
من القنينات والشرب الكرام
من الشيزي تكلل بالسنام^(٢)
من الحومات والتعم المسام
من الغايات والدسع العظام
أخي الكأس الكريمة والندام
وأصحاب الثنيّة من نعام
كأم السقب جائلة المرام
وكيف حياة أصداء وهام

قلت وقد أورد البخاري بعضها في «صحيحه» ليعرف به حال قائلها. قال ابن إسحاق وقال أمية بن أبي الصلت يرثي من قتل من قریش يوم بدر:

م بني الكرام أولي الممادح
ع الأيك في الغصن الجوانح^(٣)
نات يرخن مع الروائح
ث المعمولات من النوائح
خزني ويصدق كل مادح^(٤)
قل من مرازية ججاج^(٥)
سحنان من طرف الأواشح^(٥)
ليل مغاوير وحاوح^(٦)
ولقد أبان لكل لامح
ة فهي موحشة الأباطح
ريق نقي الود واضح^(٧)

يعد أبو بكر وحمزة فيهم
أولئك لا من نتجت من ديارها
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب
هم الطاعنون الخيل في كل معرك
فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها وهي قوله:
عجبت لأمر الله والله قادر
قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر واسمه شداد بن الأسود بن شعوب.

تحيتي بالسلامة أم بكر
فماذا بالقليب قليب بدر
ومادا بالقليب قليب بدر
وكم لك بالطوي طوي بدر
وكم لك بالطوي طوي بدر
وأصحاب الكريم أبي علي
وانك لو رأيت أبا عقيل
إذا لظلمت من وجد عليهم
يخبّرنا الرسول لسوف نحيا

قلت وقد أورد البخاري بعضها في «صحيحه» ليعرف به حال قائلها. قال ابن إسحاق وقال أمية بن أبي الصلت يرثي من قتل من قریش يوم بدر:

الأ بكيت على الكرا
كبكا الحمام على فرو
يبكين حراً مستكيا
أمثالهن الباكيا
من يبكيهم يبكي على
ماذا ببدر والفقن
فمدافع البرقين فال
شمنط وشبان بها
الأ ترون ليمأرى
أن قد تغير بطن مك
من كل بطريق لبط

(١) بعده في ابن هشام:

ويدعى أبو حفص وعثمان منهم

(٢) الشيزي: جفان من خشب. والسنام: لحم ظهر البعير وإنما أراد أصحابها الذي يطعمون فيها.

(٣) الجوانح: الموائل.

(٤) العقنقل: الكتيب من الرمل المنعقد، والمرازية واحدها مرزبان: الرئيس، الججاج جمع ججاج: السيد.

(٥) البرقين والحنان والأواشح: مواضع.

(٦) وحاوح: جمع وحاوح وهو القوي النفس.

(٧) في ابن هشام: نقي اللون.

كُ وجائبٍ للخرق فاتح^(١)
 جمّة الملاوثة المناجح^(٢)
 بينَ الأمرينَ بكلِّ صالح^(٣)
 قُ الخبز شحماً كالأنافح^(٤)
 نِ إلى جفانٍ كالمناضح^(٥)
 يعصفون ولا رخّ رحارج^(٦)
 يف والبُسُط السلاطح^(٧)
 بينَ إلى المئين من اللواقح
 صادرات عن سلاطح
 م مزيّة وزنُّ السرواجح
 قسطاس بالأيدي الموائح^(٨)
 يحمون عورات النفضائح
 بالمهتدة الصفائح
 من بين مستسقي وصائح
 لمي أيم منهم وناكح
 شعواء تحجر كل نابح^(٩)
 ت الطامحات مع الطوامح
 أسد مكالبية كوالح
 مَشِي المصافح للمصافح
 ف بين ذي بدن ورامح

دُعْمُوصِ أَبْوَابِ الْمَمْلُوكِ
 وَمِنَ السَّرَاطِمَةِ الْخَلَا
 الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِ
 الْمَطْعَمِينَ الشَّحْمَ فَو
 نُقِلَ الْجَفَانِ مَعَ الْجَفَا
 لِيَسْتَ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ
 لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ الضَّيْفِ
 وَفَبِ الْمَثِينَ مِنَ الْمَثِ
 سَوْقِ الْمَثِيلِ لِلْمَثِيلِ
 لِكِرَامِهِمْ فَوْقَ الْكِرَا
 كَمَثَاقِلِ الْأَرْطَالِ بِالْـ
 خَذَلْتُهُمْ مَوَافِئَةَ وَهَمِ
 الضَّارِبِينَ التَّقْدِيمِيَّةَ
 وَلَقَدْ عَنَّانِي صَوْتُهُمْ
 لَلُّهُ دَرْ بِنَنِي عِـ
 إِنْ لَمْ يُفْفِيروا غَارَةَ
 بِالْمَقْرِبَاتِ الْمَبْعُودَا
 مُرْدَاً عَلَيَّ جُرْدٍ إِلَى
 وَيَسْلَاقِ قِرْنَ قِرْنَهُ
 بِزَهَاءِ الْفِ ثَمَّ أَلِـ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ.

قلت: هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذي حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللثام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحببيه وخليله فخر البشر ومن وجهه أنور من القمر ذي العلم الأكمل والعقل الأشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات وبذل الألف والمئات في طاعة رب الأرض والسماوات، وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والإسلام رضي الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام. وما تعاقبت الليالي والأيام. وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردتها ابن إسحاق رحمه الله خوف الإطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية والله الحمد والمنة. وقد قال الأموي في «مغازيه» سمعت أبي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهلية^(٩). قال سليمان فذكر ذلك الزهري فقال: عفا عنه

(١) دعموص: دويبة تفوص في الماء.

(٢) السراطمة: جمع سرطم وهو الواسع الحلق. والخلاجة: جمع خلجم وهو الضخم الطويل.

(٣) الأنافح: جمع إنفحة وهي شيء يخرج من بطن ذي الكرش داخله أصفر فيعصر في صوفه فيغلظ كالجبين.

(٤) المناضح: الحياض.

(٥) رحارج: أي واسعة من غير عمق.

(٦) السلاطح: الطوال العراض.

(٧) الموائح: التي تتمايل لثقل ما ترفعه.

(٨) تحجر، وتروى تجحر: أي تلجئه إلى جحره.

(٩) لم يظهر للرسول الكريم ﷺ موقف من الشعر إلا في أمرين: الأول نهي عن رواية الشعر الذي يذكر الأعراض ويشير كوامن الأحقاد ويشيد بالعصية والأنساب. والثاني: محاربه غلبة الشعر على قلب المرء حتى يشغله عن دينه وإقامة فروضه ويمنعه من =

إلا قصيدتين؛ كلمة أمية التي ذكر فيها أهل بدر، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأخوص. وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك والله أعلم.

غزوة بني سليم في سنة ثنتين من الهجرة^(١)

قال ابن إسحاق: وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقب شهر رمضان - أو في شوال^(٢) - ولما قدم المدينة لم يبق بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري - أو ابن أم مكتوم الأعمى - قال ابن إسحاق: فبلغ ماء من مياههم يقال له الكُدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش. قال السهيلي: والقرقرة الأرض الملساء، والكدر طير في ألوانها كدرة.

فصل

في غزوة السويق^(٣)

قال ابن إسحاق: وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - حين رجع إلى مكة، ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة^(٤) حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: نيب^(٥) من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حبي بن أخطب فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كتزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجلاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلاً^(٦) من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم. قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر، قال ابن إسحاق: فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخفون منها وعامتها سويق^(٧)، فسميت غزوة السويق. قال المسلمون: يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة؟ قال نعم. قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودي:

= ذكر الله وأثر عنه ﷺ أنه قال: إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه. وقد كانت مواقف النبي ﷺ من الشعراء - أياً كانوا - وفق هذا المنهج فقد أباح لهم قول الشعر واستمع إليهم وأشاد بشعرهم وأثاب عليه.

(١) سقط من نسخ «البداية المطبوعة» واستدرك من كتب «المغازي» و «السير» وتسمى بغزوة قرارة الكدر أو قرقرة الكدر. وقرارة الكدر وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية وراء سد معونة، وبين المعدن والمدينة ثمانية بؤد «طبقات ابن سعد» (٣١/٢).

(٢) في الواقدي وابن سعد للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجره وغاب عن المدينة خمس عشرة ليلة. وحمل لواؤه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي «كامل ابن الأثير» لعشر ليال مضين من شوال سنة ثنتين.

(٣) في نسخ «البداية المطبوعة»: في غزوة بني سليم وهو تحريف، وما أثبتناه من كتب «المغازي» و «السير» وكانت كما في الواقدي وابن سعد وابن الأثير: يوم الأحد لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من مهاجره.

(٤) قال السهيلي: الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل كما بقي معهم الحج والنكاح.

(٥) في الطبري: تيت، قال في «معجم البلدان» وهو جبل قرب اليمامة، وفي كتاب «نصر» تيب جبل قرب المدينة «معجم البلدان» ج (٢) مادة تيت.

(٦) قال ابن الأثير في «الكامل» واسمه معبد بن عمرو.

(٧) السويق: قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيتزود به ملتوتاً بماء أو سمن أو عسل «شرح المواهب اللدنية» (٥٥٣/١).

لحلف فلم أندم ولم أتلووم^(١)
على عجلي مني سلام بن مشكم
لافرجه أبشر بعز ومغنم
صريح لؤي لاشماطيط جرهم
أتى ساعياً من غير خلة معدم

واني تخيرت المدينة واحداً
سقاني فرواني كميتا مدامة
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن
تأمل فإن القوم سر وإنهم
وما كان إلا بعض ليلة راكب

فصل

في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخاري ومسلم من طريق الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارقاً مما أفاء الله من الخمس يومئذ فلما أردت أبتني فاطمة بنت النبي ﷺ واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بأذخر فأردت أن أبيع من الصواغين فأستعين به في وليمة عرسي فيبينا أنا أجمع لشارفتي من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاني مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارفتي قد أجبت أسنمتها وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأت المنظر فقلت من فعل هذا؟ قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت وهو في شرب من الأنصار وعنده قينته وأصحابه، فقالت في غنائها:

ألا يا حمزة لـلـشـرُفِ النـنـواء

فوثب حمزة إلى السيف فأجب أسنمتها وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما، قال علي فانطلقت حتى أدخل علي النبي ﷺ وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي ﷺ الذي لقيت فقال ما لك؟ فقلت يا رسول الله ما رأيت كاليوم عدا حمزة علي ناقتي فأجب أسنمتها وبقر خواصرهما وها هو ذا في البيت معه شرب فدعا النبي ﷺ بردائه فارتداه ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن عليه فأذن له فطفق النبي ﷺ يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى النبي ﷺ ثم صعد النظر فنظر إلى ركبته ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي فعرف النبي ﷺ أنه ثمل فنكص رسول الله ﷺ على عقبه القهقري فخرج وخرجنا معه هذا لفظ البخاري في كتاب «المغازي» وقد رواه في أماكن آخر من «صحيحه» بألفاظ كثيرة وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الأموال» من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير وبيننا غلظه في ذلك في «التفسير» وفيما تقدم والله أعلم. وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضي الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتي وذلك قبل تحريم الخمر والله أعلم. وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلووبة لا تأثير لها لا في طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك كما ذهب إليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر في كتاب «الأحكام» وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل سمع علياً يقول: أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فقلت ما لي من شيء ثم ذكرت عائده وصلته فخطبتها إليه فقال: «هل لك من شيء؟» قلت لا قال: «فأين درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟» قال هي عندي قال: فأعطينها قال فأعطينها إياه. هكذا رواه أحمد في «مسنده» وفيه رجل مبهم وقد قال أبو داود: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا عبدة ثنا سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما قال له رسول الله ﷺ أعطها شيئاً قال: ما عندي شيء. قال أين درعك الخطمية^(٢)؟ ورواه النسائي عن هارون بن

(١) في الواقدي بيتان فقط، هذا البيت والآخر:

وذاك أبو عمرو يـجـود وداره

بيشرب ماوى كل أبيض خضرم

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب «النكاح»، باب في الرجل يدخل بامرأته قبل أن ينقدها شيئاً. وأخرج ابن سعد في «طبقاته» (٢٠/٨) عن عكرمة: أن علياً خطب فاطمة فقال له النبي ﷺ ما تصدقها قال ما عندي ما أصدقها. قال: فأين درعك الخطمية التي كنت منحتك؟ قال: عندي. قال: أصدقها إياها قال: فأصدقها وتزوجها. قال عكرمة: كان ثمنها أربعة دراهم؛ وعنه قال: أمهر علي فاطمة بدناً قيمته أربعة دراهم وعن ابن دينار عن عكرمة قال: تزوجت فاطمة على بدن من حديد.

إسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن أيوب السخيتاني به . وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصي ثنا أبو حيوة عن شعيب بن أبي حمزة حدثني غيلان بن أنس من أهل حمص حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن علياً لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً فقال يا رسول الله ليس لي شيء فقال له النبي ﷺ: «أعطها درعك» فأعطها درعه ثم دخل بها . وقال البيهقي في «الدلائل»: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي نجيع عن مجاهد عن علي قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت لا، قالت فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك، فقلت وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك، قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبه فقال رسول الله ﷺ: «ما جاء بك ألك حاجة؟» فسكتُ فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة، فقلت نعم! فقال: «وهل عندك من شيء تستحلها به» فقلت: لا والله يا رسول الله! فقال: «ما فعلت درع سلحتكها» فوالذي نفس علي بيده أنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم فقلت عندي . فقال قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها، فإن كانت لصدوق فاطمة بنت رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق: فولدت فاطمة لعلي حسناً وحسيناً ومحسناً . مات صغيراً . وأم كلثوم وزينب ثم روى البيهقي: من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل وقربة ووسادة آدم حشوها إذخر^(١) . ونقل البيهقي عن كتاب «المعرفة» لأبي عبد الله بن منده أن علياً تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك لسنة أخرى^(٢) .

قلت: فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية والله أعلم .

فصل

جمل من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركون، فكان ممن توفي فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجري وأنصاري تقدم تسميتهم، والرؤساء من مشركي قريش وقد كانوا سبعين رجلاً على المشهور، وتوفي بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركون وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله ﷺ قد توفيت وساواها عليها التراب . وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبي ﷺ له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه في مغنم بدر وأجره عند الله يوم القيامة، ثم زوجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال إنه لم يعلق أحد على ابنتي نبي واحدة بعد الأخرى غيره رضي الله عنه وأرضاه وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد في صلاة الحضر على ما سلف، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم، وفيها فرضت الزكاة ذات النصب، وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود بني حارثة وصانعو المسلمين وأظهر الإسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فبقي مذنباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله في كتابه .

= وعن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة قال: أن النبي ﷺ قال له: أين درعك الخطمية .
 (١) الخبر في «مسند أحمد» (١٤/١) و «دلائل البيهقي» (٣/١٦١) وفي تجهيزها قال ابن سعد: كان فيما جهزت به سرير مشروط ووسادة من آدم حشوها ليف وتور من آدم وقربة وجاؤوا يطحاء فطرحوها في البيت (٢٣/٨) .
 (٢) الخبر في تزويج فاطمة من علي رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/١٦١) وأخرج الجزء الأخير عنه أحمد في «مسنده» (١/١٤) وإسناده صحيح .

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله ﷺ المعامل وكانت معلقة بسيفه. قال ابن جرير: وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها، قال وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أبي سيرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجة منها. قال فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل^(١).

تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية
وبلغه الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٢/٣٠٠) وفيه قال: ومات في هذه السنة في ذي الحجة عثمان بن مظعون فدفنه رسول الله ﷺ بالبيع. وقال: وفيها صلى يوم العاشر من ذي الحجة وخرج بالناس إلى المصلى فصلى بهم فذلك أول صلاة صلى رسول الله ﷺ بالناس بالمدينة بالمصلى في عيد وذبح فيه بالمصلى بيده شاتين.

محتوى الجزء الثالث من البداية والنهاية

- باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم ٥
- عمره ﷺ وقت بعثته وتاريخها ٦
- فصل في منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لثلاثاً يختطف أحدهم منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق ١٨
- فصل في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢٠
- أول من أسلم من متقدمي الإسلام والصحابة وغيرهم ٢٣
- إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ٣٠
- ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه ٣١
- ذكر إسلام ضماد ٣٣
- باب الأمر بإبلاغ الرسالة ٣٤
- قصة الأراشي ٤٠
- فصل في تأليب الملا من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته ٤١
- فصل في مبالغتهم في الأدية لأحاديث المسلمين المستضعفين ٤٣
- فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد ٤٤
- باب مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً ٥٢
- باب هجرة أصحاب رسول الله ﷺ من مكة إلى أرض الحبشة ٥٦
- المستهزئون بالنبي ﷺ وما ظهر فيهم ٧٢
- عزم الصديق على الهجرة إلى الحبشة ٧٧
- نقض الصحيفة ٧٩
- قصة أعشى بن قيس ٨٣
- قصة مصارعة ركاة وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت ﷺ ٨٤
- الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ٨٩
- فصل في انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ ٩٦
- فصل في وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ ٩٩

- ١٠٢ موت خديجة بنت خويلد
- ١٠٥ فصل في تزويجه ﷺ بعد خديجة - رضي الله عنها - بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما
- ١٠٨ فصل في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله
- ١١١ فصل في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب
- ١١٧ فصل في قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول الله ﷺ إلى المدينة حديث سويد بن صامت الأنصاري
- ١١٨ إسلام إياس بن معاذ
- ١١٨ باب بدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم
- ١٢٦ قصة بيعة العقبة الثانية
- ١٣٢ يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان
- ١٣٤ باب الهجرة من مكة إلى المدينة
- ١٣٩ فصل في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة
- ١٤٢ باب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه
- ١٥٦ فصل في دخوله عليه السلام المدينة واين استقر منزله [بها]
- ١٦٤ وقائع السنة الأولى من الهجرة
- ١٦٦ فصل في إسلام عبد الله بن سلام
- ١٦٨ ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ
- ١٧٠ فصل في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار أبي أيوب
- ١٧٣ تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف
- ١٧٤ فيما أصاب المهاجرين من حَمَى المدينة
- ١٧٧ فصل في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقرهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة
- ١٧٧ دستور المدينة
- ١٨٠ فصل في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار
- ١٨٢ فصل في موت أبي أمامة أسعد بن زرارة
- ١٨٣ فصل في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة
- ١٨٤ فصل وبنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة
- ١٨٤ فصل في الأذان ومشروعته
- ١٨٦ فصل في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
- ١٨٦ فصل في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

- ١٨٧ فصل: في سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار
- ١٨٨ ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة: وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل، والهدى والغي وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان
- ١٨٨ كتاب المغازي
- ١٩١ فصل في إسلام بعض أحبار يهود نفاقاً
- ١٩٢ أول المغازي وهي غزوة الأبواء أو غزوة ودان
- ١٩٤ سرية عبيدة بن الحارث
- ١٩٥ فصل في سرية حمزة بن عبد المطلب
- ١٩٦ غزوة بواط من ناحية رضوى
- ١٩٦ غزوة العشيرة
- ١٩٧ غزوة بدر - الأولى
- ١٩٨ باب سرية عبد الله بن جحش
- ٢٠٠ فصل في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر
- ٢٠٢ فصل في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر
- ٢٠٣ غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
- ٢٢٦ مقتل أبي البخترى بن هشام
- ٢٢٦ فصل في مقتل أمية بن خلف
- ٢٢٧ مقتل أبي جهل لعنه الله
- ٢٣٠ رده عليه السلام عين قتادة
- ٢٣١ قصة أخرى شبيهة بها
- ٢٣١ طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر
- ٢٣٩ فصل في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الأمور فصل في مسيره إليها مؤيداً منصوراً عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام
- ٢٤١ مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله
- ٢٤٣ ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر - رضي الله عنه -
- ٢٤٣ وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة
- ٢٤٤ بعث قريش إلى رسول الله ﷺ فداء اسراهم
- ٢٤٨ أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم
- ٢٥٨ فصل في فضل من شهد بدرًا من المسلمين
- ٢٥٨ قدوم زينب بنت الرسول الله من مكة إلى المدينة

- ٢٦١ ما قيل من الأشعار في بدر العظمى
- ٢٧٠ غزوة بني سليم في سنة ثنتين من الهجرة
- ٢٧٠ فصل في غزوة السويق
- ٢٧١ فصل في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ
- ٢٧٢ جمل من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة

الْبِدَائِيَّةُ وَالْمُهَيَّبَةُ

الامام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء اسماعيل بن كثير
القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ

قَدَّمَ لَهُ

محمد عبد الرحمن المرعشي

محقق - نصوصه وعلق عليه

مكتب التحقيق

الجزء الرابع

دار إحياء التراث العربی
موسسة التراث العربی

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

دار إحياء التراث العربي

بيروت حارة حريك شارع دكاش بناية كليوباترا - بملكه

هاتف: 836551 - 836696 - 836766

تلكس: 23644 ص. ب: 11/7957 بيروت - لبنان

فاكس: 2124783422 001

marfat.com

Marfat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت: غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أمر^(١):

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ثم غزا نجداً، يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عثمان بن عفان. قال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفرأ كله أو قريباً من ذلك ثم رجع ولم يلق كيداً^(٢). وقال الواقدي: بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بذي أمر يريدون حربته، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب أحد عشر يوماً^(٣) وكان معه أربعمائة وخمسون رجلاً، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله ﷺ فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمرأى من المشركين، واشتغل المشركون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث فقالوا: قد أمكنك الله من قتل محمد، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله. ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، فقال: من يمنعك مني؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً. فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: ويلك، ما لك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله والله لا أكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام. قال: ونزل في ذلك قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا﴾ [المائدة: ١١]^(٤). قال البيهقي: وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فلعلهما قصتان، قلت: إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ولم يكن عاهد النبي ﷺ أن لا يقاتله. والله أعلم^(٥).

غزوة الفرع^(٦) من بخران

قال ابن إسحاق: فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كله أو إلا قليلاً منه ثم غدا يريد قريشاً، قال ابن هشام: واستعمل على

- (١) ذو أمر: واد بطريق فيد إلى المدينة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بقرية النخيل «وفاء الوفاء» (٢٤٩/٢) وتسمى في بعض كتب «السيرة»: غزوة غطفان انظر فيها: «سيرة ابن هشام» (٤٩/٣) «مغازي الواقدي» (١٩٥/١) «ابن سعد» (٣٤/٢) «تاريخ الطبري» (٢/٣) «النويري» (٧٧/١٧) «السيرة الحلبية» (٢٧٩/٢) «عيون الأثر» (٣٦٢/١).
- (٢) «سيرة ابن هشام» (٤٩/٣).
- (٣) في «الكامل لابن الأثير»: اثنتي عشرة ليلة؛ وكانت الغزوة في المحرم سنة ثلاث.
- (٤) «الخبر في الواقدي» (١٩٥/١) و «طبقات ابن سعد» بنحوه (٣٤/٢).
- (٥) «دلائل النبوة» للبيهقي (١٦٩/٣).
- (٦) الفرع: قرية من ناحية المدينة، بينها وبين المدينة ثمانية برد. وبخران: موضع بين الفرع والمدينة. وانظر في هذه الغزوة «سيرة ابن هشام» (٥٠/٣) «مغازي الواقدي» (١٩٦/١) «ابن سعد» (٣٥/٢) «تاريخ الطبري» (٢/٣) «عيون الأثر» (٣٦٢/١) «النويري» (٧٩/١٧) «الكامل في التاريخ» (١٤٢/٢).

المدينة ابن أم مكتوم. قال ابن إسحاق: حتى بلغ بحران وهو معدن بالحجاز من ناحية القُرع. وقال الواقدي: إنما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام فالله أعلم.

خبر يهود بني قينقاع في المدينة^(١)

وقد زعم الواقدي أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة فالله أعلم وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿كَشَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وِبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ [الحشر: ١٥] قال ابن إسحاق: وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع. قال وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ثم قال: يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أي نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم. فقالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. قال ابن إسحاق: فحدثني مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جبيرة عن^(٢) عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزلت هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَكِنْ سَعْتُهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢-١٣] قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد. قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر [ابن عبد الرحمن] بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال: كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبى الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً فشذت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع. قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه قال: فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ قال ابن هشام: وكان يقال لها ذات الفضول. فقال له رسول الله ﷺ، أرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً ثم قال ويحك أرسلني قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدتهم في غداة واحدة إني والله امرؤ أخشى الدوائر. قال: فقال له رسول الله ﷺ هم لك. قال ابن هشام واستعمل رسول الله ﷺ في محاصرته إياهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة. قال ابن إسحاق: وحدثني أبي عن عبادة بن الوليد بن^(٣) عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، قال: وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾ الآيات حتى قوله ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْتَرْعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ نُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يعني عبد الله بن أبي إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٦] يعني عبادة بن الصامت. وقد تكلمنا على ذلك في «التفسير».

(١) انظر في غزوة بني قينقاع: «سيرة ابن هشام»: (٣)، و «ابن سعد» (٢) و«تاريخ الطبري» «مغازي الواقدي» (١٧٦/١) «هيون الأثر» (٣٥٢/٢) «السيرة الشامية» (٤) «السيرة الحلبية» (٢).

(٢) في «ابن هشام»: أو عن.

(٣) من ابن هشام، وفي الأصل عن تحريف.

سرية زيد بن حارثة [إلى ذي القردة]^(١)

إلى عير قريش صحبة أبي سفيان أيضاً وقيل صحبة صفوان، قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وكانت بعد وقعة بدر ستة أشهر. قال ابن إسحاق: وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة، وهي عظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيان يعني العجلي حليف بني سهم ليدلهم على تلك الطريق. قال ابن إسحاق فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقبهم على ماء يقال له القردة^(٢) فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله ﷺ فقال في ذلك حسان بن ثابت:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
إذا سلكت للغور من بطن عالج
جلاد كأفواه المخاض الأوارك^(٤)
وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
فقولاً: لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام: وهذه القصيدة في أبيات لحسان، وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث. وقال الواقدي كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الأولى^(٥) على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير فخمسها رسول الله ﷺ فبلغ خمسها عشرين ألفاً وقسم أربعة أخماسها على السرية وكان فيمن أسر الدليل فرات بن حيان فأسلم رضي الله عنه. قال ابن جرير: وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها.

مقتل كعب بن الأشرف

وكان من بني طيء ثم أحد بني نبهان ولكن أمه من بني النضير. هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بني النضير وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير والصحيح ما ذكره ابن إسحاق لما سيأتي: فإن بني النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحد وفي محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه بطريقه إن شاء الله. قال البخاري في «صحيحه» [باب]^(٦) قتل كعب بن الأشرف: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو [بن دينار] سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله^(٧)؟ قال: نعم. قال فأذن لي أن أقول شيئاً قال: قل. فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عثانا وإني قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضاً والله لتملأته. قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا قال نعم ارهنوني. قلت أي شيء تريد قال: ارهنوني نساءكم فقالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة. قال سفيان يعني السلاح. فواعده أن يأتيه ليلاً فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو: قالت أسمع

- (١) من كتب «المغازي».
- (٢) من ابن هشام والبيهقي وفي الأصل عن تحريف.
- (٣) القردة: من أرض نجد بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق.
- (٤) فلجات: جمع فلجة وهي العين الجارية. المخاض: الإبل الحوامل.
- (٥) في «مغازي الواقدي»: جمادى الآخرة؛ وفي «ابن سعد»: على رأس سبعة وعشرين شهراً.
- (٦) من البخاري - (٦٤) كتاب «المغازي» (١٥) باب قتل كعب بن الأشرف ح (٤٠٣٧) «فتح الباري» (٣٣٦/٧).
- (٧) في «دلائل البيهقي»: يا رسول الله أعجب إليك أن أقتله؟

صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيحي أبو نائلة. إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب قال ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين فقال إذا ما جاء فإني مائل بشعره فأشمه فإذا رأيتوني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مرة ثم أشمكم فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب فقال: ما رأيت كالذيوم ربحاً أي أطيّب وقال غير عمرو: قال عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب قال عمرو: فقال أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال نعم. فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لي؟ قال نعم. فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه^(١). وقال محمد بن إسحاق: كان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيء ثم أحد بني نبهان وأمه من بني النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن ربيعة قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها. فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج إلى مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي وعنده عاتكة بنت [أسيد بن]^(٢) أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمه، وجعل يحرض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار، ويندب من قتل من المشركين يوم بدر فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها:

طحنت رحي بدرٍ لمهلك أهله ولمثل بدرٍ تستهل وتدمع

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضي الله عنه ومن غيره. ثم عاد إلى المدينة فجعل يشب بنساء المسلمين^(٣) ويهجو النبي ﷺ وأصحابه. وقال موسى بن عقبة: وكان كعب بن الأشرف أحد بني النضير أو فيهم قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء، وركب إلى قريش فاستغواهم، وقال له أبو سفيان وهو بمكة: أناشدك أدينا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه، وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ إنا نطعم الجزور الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونطعم ما هبت الشمال. فقال له كعب بن الأشرف: أنتم أهدى منهم سبيلاً. قال فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْحَقُوا بِالنَّبِيِّينَ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥١ - ٥٢]. قال موسى ومحمد بن إسحاق: وقدم المدينة يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ وجعل يشب بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين. قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ - كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة - من لابن الأشرف؟ فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك، قال: فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له: لم تركت الطعام والشراب؟ فقال يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا. قال: إنما عليك الجهد. قال: يا رسول الله، إنه لا بد لنا أن نقول، قال: فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك. قال: فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل. وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل أبو عبس بن جبر أخو بني حارثة، قال: فقدموا بين أيديهم إلى عدو الله كعب سلكان بن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني، قال أفعل. قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا. فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر يصير إلى ما أقول؛ فقال له سلكان: إني قد

(١) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي». وأخرجه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٤٢) باب قتل كعب بن الأشرف ح (١١٩).

وأبو داود في «الجهاد» باب يؤتى العدو على غرة ح (٢٧٦٨).

(٢) من الواقدي والبيهقي.

(٣) يروى أنه شبب بأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب فقال في أبيات منها:

أراحل أنت لم ترحل لمنقبة وتارك أنت أم الفضل بالحرم

(٤) نقله البيهقي في «الدلائل» عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى (٣/١٩٠ - ١٩١)، والخبر في «الدور» لابن

عبد البر (١٤٣) و «هيون الأثر» (١/٣٥٦).

أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك، قال ترهنوني أبناءكم؟ قال لقد أردت أن تفضحننا، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها. فقال: إن في الحلقة لوفاء. قال: فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فحدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال: «انطلقوا على اسم الله - اللهم أعنهم» ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته وهو في ليلة مقمرة، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: أنت امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة، قال: إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني. فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشر. قال: يقول لها كعب لو دُعي الفتى لطعنة أجاب، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن تتماشى إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه؟ قال إن شئتم. فخرجوا فمشوا ساعة. ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودي رأسه ثم قال: اضربوا عدوا الله! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً. قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً^(١) في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، قال فوضعت في ثنبي ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس^(٢) بجرح في رجله أو في رأسه أصابه بعض سيوفنا، قال فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ثم على بني قريظة ثم على بُعات حتى أسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجننا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرنا بقتل عدو الله وتقل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه. قال ابن جرير: وزعم الواقدي أنهم جاؤوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: وفي ذلك يقول كعب بن مالك:

فذلت بعد مصرعه النضيرُ
بأيدينا مشهرة ذكور
إلى كعب أخا كعب يسير
ومحمود أخو ثقة جسور

فغودر منهم كعب صريعاً
على الكفين ثم وقد علت
بأمر محمد إذ دس ليلاً
فماكره فأنزله بمكر

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ستأتي. قلت: كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحقيق بعد وقعة أحد كما سيأتي بيانه إن شاء الله وبه الثقة. وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت:

يا بن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
مرحاً كأسد في عرين مغرف
فسقوكم حتفاً ببيض دُف^(٣)
مستصغرين لكل أمر مجحف

لله در عصابة لاقيتهم
يسرون بالبيض الخفاف إليكم
حتى أتوكم في محل بلادكم
مستبصرين لنصر دين نبيهم

قال محمد بن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ «من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه» فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسي على ابن سنية - رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبايعهم - فقتله، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول: أي عدو الله أقتلته؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله.

(١) مغولاً: حديدة دقيقة لها حد ماضٍ «شرح على المواهب اللدنية» (١٥/٢).

(٢) في رواية موسى بن عقبة: أن الذي أصيب هو عباد بن بشر؛ وهو أيضاً في رواية جابر بن عبد الله انظر «دلائل البيهقي» و «درر ابن عبد البر».

(٣) دُف: أي سريمة القتل.

قال محيصة: فقلت والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة وقال والله لو أمرك محمد بقتلي لتقتلني؟ قال: نعم، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربت بها. قال: فوالله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حويصة. قال ابن إسحاق: حدثني بهذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها. وقال في ذلك محيصة:

يلوم ابن أم لو أمرت بقتله لطبقت ذفراه بأبيض قارب^(١)
حسام كلون المح أخلص صقله متى ما أصوته فليس بكاذب
وما سرني أني قتلثك طائعا وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة عن أبي عمرو المدني: أن هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة فإن المقتول كان كعب بن يهودا فلما قتله محيصة عن أمر رسول الله ﷺ يوم بني قريظة قال له أخوه حويصة ما قال فرد عليه محيصة بما تقدم فأسلم حويصة يومئذ. فالله أعلم.

تنبيه: ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد والصواب إيرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي، وبرهانه أن الخمر حرمت ليالي حصار بني النضير وثبت في «الصحیح» أنه اصطبغ الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً وإنما حرمت بعد ذلك فتبين ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد. والله أعلم.

تنبيه آخر: خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهودي على يدي الأوس وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتي وكذلك مقتل أبي رافع اليهودي تاجر أهل الحجاز على يدي الخزرج وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق كما سيأتي.

غزوة أحد في شوال سنة ثلاث

فائدة: ذكرها المؤلف في تسمية أحد قال: سمي أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال وفي «الصحیح» «أحد جبل يحبنا ونحبه» قيل معناه أهله وقيل لأنه كان يبشره بقرب أهله إذا رجع من سفره كما يفعل المحب وقيل على ظاهره كقوله ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وفي الحديث عن أبي عبيس بن جبر «أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة، وغير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار» قال السهيلي مقولاً لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه السلام قال «المرء مع من أحب» وهذا من غريب صنع السهيلي فإن هذا الحديث إنما يراد به الناس ولا يسمى الجبل امرءاً. وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك. قال ابن إسحاق: للنصف من شوال وقال قتادة يوم السبت الحادي عشر منه، قال مالك: وكانت الوقعة في أول النهار^(٢). وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [١٧١] إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [١٧٢] وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [١٧٣] إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ رِجْلَكُمْ بِرِجْلِكُمْ بِثَلَاثَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ [١٧٤] بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ [١٧٥] [آل عمران: ١٢١ - ١٢٥] والآيات وما بعدها إلى قوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب «التفسير» بما فيه كفاية والله الحمد والمنة. ولنذكر هنا ملخص الوقعة مما ساقه محمد بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رح: وكان من حديث أحد كما حدثني محمد بن مسلم الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمرو بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت. قالوا أو من قال منهم: لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب، ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل

(١) في ابن هشام: ابن أمي بدلاً من ابن أم. وفيه أبيض قاضب بدلاً من قارب؛ وقاضب: قاطع.

(٢) قال الواقدي وابن سعد: كانت يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجره وقال مالك علي أحد وثلاثين.

وصفوان بن أمية، في رجال من قريش، ممن أصيب أبائهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة. فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وترككم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربته، لعلنا ندرك منه ثاراً، ففعلوا. قال ابن إسحاق: ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦] قالوا: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحايشها^(١) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، قد من عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، وكان في الأسارى، فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة، إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا فقال: إن محمداً قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه. قال: بلى، فأعنا بنفسك فلك الله إن رجعت أن أغنيك وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر. فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول:

أيا بني عبد مناة الرزام أنتم حُماة وأبوكم حام^(٢)
لا يعدوني نصرُكم بعدد العام لا تسلموني لا يحل إسلام
قال: وخرج نافع^(٣) بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول:
يا مال مال الحسب المقدم أنشد ذا القُربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم

قال: ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشي، يقذف بحربة له قذف الحبشة، قلما يخطيء بها فقال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فانت عتيق. قال: فخرجت قريش بحدها وحديدها وجددها وأحايشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن^(٤) التماس الحفيظة وأن لا يفروا، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب، وهو قائد الناس، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببيزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أم ابنة عبد الله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بامراته. قال: وكان وحشي كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول ويهاأبا دسمة اشف واشتف. يعني تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب. قال: فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال لهم قد رأيت والله خيراً رأيت بقرأ تذبج ورأيت في ذباب^(٥) سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة. وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم جميعاً عن أبي كريب عن أبي أسامة عن بُريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أحد، ثم هزرته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقرأ^(٦) والله خير^(٧) فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي أتانا بعد يوم بدر^(٨)» وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا الأصم، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا ابن

- (١) أحايشها: من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم.
- (٢) الرزام: جمع رازم، وهو الذي يثبت ولا يبرح مكانه، يريد أنهم يثبتون في الحرب ولا ينهزمون (قاله أبو ذر).
- (٣) في ابن هشام: مسافع.
- (٤) الظعن: جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج؛ قال الطبري: وكن خمس عشرة امرأة.
- (٥) في رواية البيهقي: ذؤابة سيفي.
- (٦) جاء في غير مسلم زيادة: ورأيت بقرأ تنحر؛ وبها يتم تأويل الرؤيا - حيث أن نحر البقر أول بقتل الصحابة الذين قتلوا يوم أحد.
- (٧) والله خير: قال القاضي عياض: قد ضبطنا هذا الحرف عن جميع الرواة: والله خير، على المبتدأ والخبر.
- (٨) أخرجه مسلم في (٤٢) كتاب «الرؤيا» (٤٢) بسابح (٢٠) والبخاري في أكثر من موضع في كتاب المغازي «فتح الباري» =

وهب، أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: تنفل^(١) رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر. قال ابن عباس: وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيهم أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرًا: نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحد، ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أذاته، ثم ندموا وقالوا: يا رسول الله أقم فالرأي رأيك. فقال لهم ما ينبغي لنبي أن يضع أذاته بعدما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه. قال: وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الأداة: إني رأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة، وأنى مردف كبشاً وأولته كبش الكتيبة، ورأيت أن سيفي ذا الفقار فل فأولته فلا فيكم، ورأيت بقرًا يذبح فبقرٌ والله خير^(٢) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به. وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال: رأيت فيما يرى النائم كأنى مردف كبشاً وكان ضبة سيفي انكسرت فأولت أنى أقتل كبش القوم، وأولت كسر ضبة سيفي، قتل رجل من عترتي. فقتل حمزة وقتل رسول الله ﷺ طلحة وكان صاحب اللواء^(٣). وقال موسى بن عقبة رح ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب وسار أبو سفيان بن حرب في جمع قريش وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر، حتى [طلعوا من بئر الحماوين ثم]^(٤) نزلوا ببطن الوادي الذي قبلي أحد وكان رجال مع المسلمين لم يشهدوا بدرًا قد ندموا على ما فاتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو ليلبوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر، فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرًا بقدوم العدو عليهم وقالوا: قد ساق الله علينا أمينتنا، ثم إن رسول الله ﷺ أرى ليلة الجمعة رؤيا فأصبح فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم «رأيت البارحة في منامي بقرًا تذبح والله خير ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ضبته. أو قال: به فلول فكرهته وهما مصيبتان ورأيت أنى في درع حصينة وأنى مردف كبشاً». فلما أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه، قالوا: يا رسول الله، ماذا أولت رؤياك؟ قال: أولت البقر الذي رأيت بقرًا فينا وفي القوم وكرهت ما رأيت بسيفي. ويقول رجال: كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه فإن العدو أصاب وجهه يومئذ وقصموا رباعيته وخرقوا شفته يزعمون أن الذي رماه عتبة بن أبي وقاص، وكان البقر من قتل من المسلمين يومئذ. وقال: أولت الكبش أنه كبش كتيبة العدو ويقتله الله وأولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام فإن دخل علينا القوم في الأزقة قاتلناهم ورُموا من فوق البيوت وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبنيان حتى صارت كالحصن. فقال الذين لم يشهدوا بدرًا: كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير. وقال رجل من الأنصار: متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا؟ وقال رجال: ماذا نمنع إذا لم تمنع الحرب بروع^(٥)؟ وقال رجال قولاً صدقوا به ومضوا عليه منهم: حمزة بن عبد المطلب قال: والذي أنزل عليك الكتاب لنجادلنهم^(٦). وقال نعيم^(٧) بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم: يا نبي الله لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها. فقال له رسول الله ﷺ: بم؟ قال: بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف. فقال له رسول الله ﷺ: صدقت، واستشهد يومئذ. وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهاوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه ولو رضوا

= (٧/٣٧٤)، وفي كتاب «المناقب» باب علامات النبوة في الإسلام وفي كتاب «التعبير» باب إذا رأى بقرًا تنحر. كما أخرجه ابن ماجه في كتاب «تعبير الرؤيا» باب تعبیر الرؤيا.

- (١) من البيهقي: وفي الأصل تعقل تحريف.
- (٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٠٤/٣)، ورواه أحمد في «مسنده» (٢٧١/١) عن ابن عباس.
- (٣) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٠٥/٣)؛ وفيه وقتل طلحة بن أبي طلحة وكان صاحب اللواء. وفي «سيرة ابن هشام»: وقتل من المشركين يوم أحد: من قريش ثم من بني عبد الدار بن قصي من أصحاب اللواء: طلحة بن أبي طلحة... قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والحديث نقله الصالح في «السيرة الشامية» (٢٧٤/٤) وعزاه للإمام أحمد، والطبراني والحاكم والبيهقي وذكره الهيثمي في «زوائد» (١٠٧/٦) وقال رواه الطبراني واللفظ له، والبخاري وأحمد وفيه علي بن زيد وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) زيادة من رواية موسى بن عقبة في «دلائل البيهقي».

(٥) في رواية موسى في «دلائل البيهقي»: إذا لم تمنع الحرث يُزرع.

(٦) في «البيهقي»: لنجادلنهم. وهو مناسب أكثر.

(٧) في «البيهقي»: يعمر؛ وفي «الواقدي»: النعمان.

بالذي أمرهم كان ذلك ولكن غلب القضاء والقدر، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرأ، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضيلة، فلما صلى رسول الله ﷺ الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلامته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج. فلما رأى ذلك رجال من ذوي الرأي قالوا: أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة، وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحي من السماء فقالوا: يا رسول الله أمكث كما أمرتنا فقال: ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا. قال: فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف، فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة. قال البيهقي رح هذا هو المشهور عند أهل المغازي أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل قال والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن الزهري وقيل عنه بهذا الإسناد سبعمائة فإله أعلم^(١). قال موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة^(٢) قال ولم يكن من المسلمين فرس واحدة^(٣) ثم ذكر الواقعة كما سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى. وقال محمد بن إسحاق: لم قص رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم: إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرج إليهم، فقال رجال من المسلمين، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون آتاً جبناً عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبي: يا رسول الله لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه. فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو فصلى عليه، ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم قالوا: يا رسول الله إن شئت فاقعد فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل. فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه. قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم. قال ابن إسحاق: حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بلثث الناس، وقال أطاعهم وعصاني ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي والد جابر بن عبد الله فقال: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونيبكم عندما حضر من عدوهم. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكننا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال: أبعدم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه ﷺ. قلت: وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَقَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٧] يعني أنهم كاذبون في قولهم: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لاخفاء ولا شك فيه وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئْتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨] الآية وذلك أن طائفة قالت نقاتلهم وقال آخرون لا نقاتلهم كما ثبت وبين في «الصحیح». وذكر الزهري أن الأنصار استأذنوا حينئذ رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال لا حاجة لنا فيهم. وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بني سلمة وبني حارثة لما رجع عبد الله بن أبي وأصحابه همتا أن تفشلا فثبتهما الله تعالى، ولهذا قال: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٧] قال جابر بن عبد الله: ما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿والله وليهما﴾ كما ثبت في «الصحیحين» عنه^(٤). قال ابن إسحاق: ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بني حارثة،

(١) «دلائل النبوة» (٣/٢٢٠).

(٢) في رواية البيهقي عنه: طلحة بن عثمان أخو شيبه بن عثمان والصواب عثمان بن أبي طلحة - أبو شيبه - وقد حمل اللواء بعد قتل أخيه طلحة بن أبي طلحة «مغازي الواقدي» (١/٢٢٦).

(٣) قال الطبري: لم يكن معه إلا فرسان، فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي.

(٤) رواه البخاري في كتاب «التفسير» سورة آل عمران «فتح الباري» (٨/٢٢٥) وفي كتاب «المغازي» (١٨) باب «فتح الباري» (٧/٣٥٧) ومسلم في (٤٤) كتاب «فضائل الصحابة» ح (١٧١).

فذب فرسٌ بذنبه فأصاب كلاب سيف فاستله، فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف شم سيفك أي أغمده فإني أرى السيوف تستسل اليوم. ثم قال النبي ﷺ لأصحابه: من رجل يخرج بنا على القوم من كشب (أي من قريب) من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث أنا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال لمربع بن قبيظي وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله ومن معه من المسلمين قام يحشي في وجوههم التراب ويقول إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل في حائطي. قال ابن إسحاق: وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من التراب في يده ثم قال والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ فضربه بالقوس في رأسه فشجه ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وفي الجبل وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال لا يقاتلن أحد حتى أمره بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة كانت للمسلمين فقال رجل^(١) من الأنصار حين نهي رسول الله ﷺ عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب؟ وتعباً رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة رجل وأمر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلاً فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فائتت مكانك لا نؤتين من قبلك. وسيأتي شاهد هذا في «الصحاحين» إن شاء الله تعالى. قال ابن إسحاق وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يعني لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخي بني عبد الدار. قلت وقد رد رسول الله ﷺ جماعة من الغلمان يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت في «الصحاحين» قال: عرضت على النبي ﷺ يوم أحد فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس بن قبيظي ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي، وهو الذي يقول فيه الشماخ:

إذا ما راية رُفعت لمجدٍ تلقاها عرابة باليمين^(٢)

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة ذكره السهيلي أيضاً وأجازهم كلهم يوم الخندق وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقبل يا رسول الله إن رافعاً رام فأجازه فقبل يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه. قال ابن إسحاق رح: وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشام وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في العدو حتى ينحني. قال أنا أخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه إياه. هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد وعفان قالا: حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا ثابت عن النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: من يأخذ هذا السيف فأخذ قوم فجعلوا ينظرون إليه فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سماك: أنا أخذه بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به. قال ابن إسحاق: وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يفتال عند الحرب وكان له عصاة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقاتل، قال: فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين. قال: فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم، مولى عمرو بن الخطاب، عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن. قال ابن إسحاق: وقد قال أبو صفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال: يا بني عبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد وأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع^(٣). وذلك الذي أراد أبو صفيان. قال: فلما

(١) في الواقدي هو: عمارة بن يزيد بن السكن.

(٢) وقيل في الطبري:

رايت عرابة الأوسي ينمي إلى الخيبرات منقطع القرين

(٣) تقدم أن لواء المشركين كان مع طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي. =

التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويجرضن على القتال فقالت هند فيما تقول:

وَيَهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَا حَمَاءُ الأَدْيَارِ
ضَرْباً بِكُلِّ بَشْتَارِ

وتقول أيضاً:

إن تُقْبِلُوا نُعْمَانِقَ وَنَفْرَشَ النَّمَمَارِقِ
أَوْ تُدْبِرُوا نَفْرَارِقَ فِرَاقِ غَيْرِ وَامْسِقِ

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة، وكان قد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاماً من الأوس وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان. فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة فنأدى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر قالوا؛ فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. وكان يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق. فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم أرضخهم بالحجارة. قال ابن إسحاق: فأقبل^(١) الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجاجة حتى أمعن في الناس. قال ابن هشام: وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعني وأعطاه أبا دجاجة وقتل أنا ابن صافية عمته ومن قريش وقد قمت إليه وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دجاجة وتركني والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصاة له حمراء، فعصب بها رأسه فقالت الأنصار أخرج أبو دجاجة عصاة الموت، وهكذا كانت تقول إذا تعصب فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحزُّ بالسَّفْحِ لَدَى النَخِيلِ
أن لا أقومَ الدهرَ في الكيولِ أضربُ بسيفِ اللَّهِ والرسولِ^(٢)

وقال الأموي: حدثني أبو عبيد في حديث النبي ﷺ أن رجلاً أتاه وهو يقاتل به فقال: لعلك إن أعطيتك تقاتل في الكيول؟ قال لا. فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول:

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقوم الدهرَ في الكيولِ

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عن هند بنت خالد أو غيره يرفعه الكيول يعني مؤخر الصفوف سمعته من عدة من أهل العلم ولم أسمع هذا الخرف إلا في هذا الحديث. قال ابن هشام: فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله وكان في المشركين رجلاً لا يدع جريحاً إلا ذفف عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجاجة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه، وضربه أبو دجاجة فقتله. ثم رأته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم. وقد رواه البيهقي في «الدلائل» من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك^(٣). قال ابن إسحاق: قال أبو دجاجة: رأيت إنساناً يحمس الناس حمساً شديداً، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه فوجدوا في أنفسهما من ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجاجة فدفعه إليه فأعطى السيف حقه قال: فزعموا أن كعب بن مالك قال: كنت فيمن خرج من المسلمين فما رأيت مثل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاورت فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول: استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم. قال وإذا رجل من المسلمين

= وقد حملة بعد قتله أخوه عثمان.

(١) في ابن هشام: اقتل.

(٢) الكيول: آخر الصفوف في الحرب.

(٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢٣٣/٣) وفيه أن الزبير سأل أبا دجاجة لما انكشف القتال قلت له: كل عملك قد رأيت ما خلا رفعتك السيف على المرأة - لم يذكر اسمها البيهقي - ثم لم تضربها. قال: أي والله أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل امرأة. قال الواقدي هي: عمرة بنت الحارث.

ينتظره وعليه لأمته فمضيت حتى كنت من ورائه ثم قمت أقدر المسلم والكافر ببصري فإذا الكافر أفضلهما عدة وهيئة . قال: فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا ف ضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق فوقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟ أنا أبو دجاجة^(١).

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن إسحاق وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول:

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِبُوا الصَّفْدَةَ أَوْ تَنْدُقًا

فحمل عليه حمزة فقتله، ثم مر به سباع بن عبد العزى العُشَيَّانِي وكان يكنى بأبي نيار، فقال حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور، وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله فقال وحشي - غلام جبير بن مطعم - والله إني لأنظر لحمزة يهد^(٢) الناس بسيفه، ما يليق شيئاً يمرُّ به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمني إليه سباع فقال حمزة: هلم يا ابن مقطعة البظور، فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في نُتَيْتِهِ حتى خرجت من بين رجله فأقبل نحوي، فغُلب فوقع وأمهلت حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيتُ إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن الفضل بن عياش^(٣) بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار، أحد بني نوفل بن عبد مناف، في زمان معاوية فأدربنا مع الناس فلما مررنا بحمص وكان وحشي مولى جبير قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال عبيد الله بن عدي: هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال قلت له: إن شئت. فخرجنا نسأل عنه بحمص، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه إنكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فإن تجدها صاحياً تجداً رجلاً عربياً وتجداً عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه وإن تجدها وبه بعض ما به فانصرفا عنه ودعاه. قال: فخرجنا نمشي حتى جئناه فإذا هو بفناء داره على طنفسة له وإذا شيخ كبير مثل البغاث، وإذا هو صاح لا بأس به، فلما انتهينا إليه سلمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي فقال: ابن لعدي بن الخيار أنت؟ قال: نعم. قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى فإني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لي قدماك حتى رفعتك إليها فوالله ما هو إلا أن وقفت علي فعرفتهما. قال: فجلسنا إليه فقلنا: جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتله؟ فقال أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألتني عن ذلك، كنت غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد، قال لي جبير^(٤): إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق. قال فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قل ما أخطىء بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيت في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدأ ما يقوم له شيء، فوالله لأتبعه له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال هلم إلي يا ابن مقطعة البظور، قال فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه، قال وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ننته، حتى خرجت من بين رجله، وذهب لينوء نحوي فغُلب وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيت فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر وقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة إنما قتله لأعتق، فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى إذا افتتح

(١) الخبر في «دلائل البيهقي» (٢١٦/٣) عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري.

(٢) يهد: فيها روايتان، يهد بالدال أي يردي الناس ويهلكهم. ويهد بالذال يسرع في قطع لحوم الناس بسيفه قاله الخشني في «شرح غريب السيرة»؛ وفي الواقدي يفري الناس فرياً.

(٣) عياش في الأصل، وهو تحريف، والصواب عباس. قاله أبو ذر.

(٤) الخبر في «مغازي الواقدي» (٢٨٦/١)، وقال في رواية أخرى:

كان وحشي عبداً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل. قالت له: إن أبي قتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر: إن قتلت محمداً، أو حمزة بن عبد المطلب، أو علي بن أبي طالب (٢٨٥/١).

رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيبت علي المذاهب فقلت الحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل: ويحك إنه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق، قال فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رأي قال لي: أوحشي أنت؟ قلت نعم يا رسول الله. قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟ قال فحدثته كما حدثتكما، فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك، قال فكنت أتكنب برسول الله ﷺ حيث كان لثلاثي يراي حتى قبضه الله عز وجل، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً ويده السيف وما أعرفه فتهيأت له وتهايا له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريد فبرزت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع في، وشد عليه الأنصاري بالسيف فربك أعلم أينما قتله، فإن كنت قتلته، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ وقتلت شر الناس. قلت: الأنصاري هو أبو دجاجة سماك بن خزيمة كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة. وقال الواقدي في «الردة»: هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني. وقال سيف بن عمرو: هو عدي بن سهل وهو القاتل:

ألم تر أني ووحشيهم
ويسالني الناس عن قتله
قتلت مسيلمة المعتبين
فقلت ضريبت وهذا طعن

والمشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة وذفف عليه أبو دجاجة. لما روى ابن إسحاق عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن ابن عمر قال: سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول: قتله العبد الأسود. وقد روى البخاري قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبد الله بن عدي بن الخيار. فذكر القصة كما تقدم. وذكر أن عبيد الله بن عدي كان معتجراً عمامة لا يرى منه وحشي إلا عينيه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم^(١)، وهذه قياة عظيمة كما عرف مجزز المدلجي أقدام زيد وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما. وقال في سباقته: فأما أن صف الناس للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتجاد الله ورسوله؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذهاب، قال وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه قال: فكان ذلك آخر العهد به، إلى أن قال: فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرج إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال: فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جل أورك نائر الرأس، قال فرميته بحربتي فأضعها بين ثديه حتى خرجت من كتفيه، قال ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته، قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر البيت: وأمير المؤمنين قتله العبد الأسود، قال ابن هشام فبلغني أن وحشياً لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة. قلت: وتوفي وحشي بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بجمص^(٢) وكان أول من لبس الثياب المدلوكة. قال ابن إسحاق: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش فقال قتلت محمداً. قلت: وذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» عن سعيد بن المسيب أن الذي قتل مصعباً هو أبي بن خلف فالله أعلم. قال ابن إسحاق: فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب. وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: كان اللواء أولاً مع علي بن أبي طالب، فلما رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع عبد الدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أخذ اللواء من علي بن أبي طالب فدفعه إلى مصعب بن عمير، فلما قتل مصعب أعطى اللواء علي بن أبي طالب. قال ابن إسحاق: وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين. قال ابن هشام: وحدثني مسلمة بن علقمة المازني، قال: لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار وأرسل إلى علي أن قدم الراية، فقدم علي وهو يقول: أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين. هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم فبرزنا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه، ثم انصرف ولم يجهر

(١) رواه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٣) باب مقتل حمزة بن عبد المطلب ح (٤٠٧٢) «فتح الباري» (٣٦٧/٧).
(٢) قال البيهقي: مات غريقاً في البحر، وفي «الإصابة» (٦٣١/٣) سكن حمص ومات فيها.

عليه. فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعظمتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله. وقد فعل ذلك علي رضي الله عنه يوم صفين مع بسر بن أبي أرطاة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه. وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي في بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع علي أيضاً. ففي ذلك يقول الحارث بن النضر:

أفي^(١) كل يوم فارس غير منته
وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه
ويضحك منها في الخلاء معاويه

وذكر يونس عن ابن إسحاق: أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحجم عنه الناس فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جملة، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه فأثنى عليه رسول الله ﷺ قال «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير»^(٢) وقال: لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه. وقال ابن إسحاق: قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص^(٣) وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتل نافع^(٤) بن أبي طلحة وأخاه الجلاس كلاهما يشعره سهماً فيأتي أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها، فتقول يا بني من أصابك؟ فيقول سمعت رجلاً حين رماني يقول خذها وأنا ابن أبي الأفلح. فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركاً أبداً ولا يمسسه. ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سيأتي. قال ابن إسحاق: والتقى حنظلة بن أبي عامر، واسمه عمرو، ويقال عبد عمرو بن صيفي، وكان يقال لأبي عامر في الجاهلية الراهب، لكثرة عبادته، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، لما خلف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الإسلام ومخالفة للرسول عليه السلام. وحنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل - لأنه غسلته الملائكة كما سيأتي - هو أبو سفيان صخر بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأوس^(٥) وهو الذي يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله فقال رسول الله ﷺ «إن صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه» فسئلت صاحبه قال الواقدي: هي جميلة بنت أبي بن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة. فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله ﷺ: كذلك غسلته الملائكة. وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله في صدره وقال ذنبان أصبتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا، ولقد والله كنت وصولاً للرحم برأ بالوالد. قال ابن إسحاق: وقال ابن شعوب في ذلك:

لأحمين صاحبني ونفسي
بطعنة مثل شعاع الشمس
وقال ابن شعوب:

ولولا دفاعي يا بن حرب ومشهدني
ولولا مكري المهر بالنعف فرفرت
وقال أبو سفيان:

ولو شئت نجتني كميّة طيرة
وما زال مهري مزجر الكلب منهم
ولم أحمل النعماء لابن شعوب
لذن غدوة حبتى دنت لغروب

(١) في الأصل: آتى، وأثبت ما في «الروض الأنف» (١٣٣/٢).

(٢) الخبر في البيهقي عن يونس بن بكير، وقال فيه: إن رجلاً من المشركين ولم يسم طلحة.

(٣) الخبر في «ابن هشام» (٧٨/٣) و«دلائل البيهقي» (٢٣٩/٣). وقال السهيلي: «رواه الكشي في «تفسيره» عن سعد قال: لما

كف عنه علي طعنته في حنجرته، فدلح لسانه اندلاع لسان الكلب ثم مات». وكان أبو سعد قد أخذ لواء المشركين بعد مقتل طلحة كما في رواية البيهقي وذكره الواقدي - أبو سعيد وقتله سعد بن أبي وقاص.

(٤) في «ابن هشام»: مسافع، وفي الواقدي وابن سعد مسافع بن طلحة بن أبي طلحة.

(٥) في «ابن هشام»: شداد بن الأسود. وفي الواقدي: قتله الأسود بن شعوب.

وقال السهيلي في «الروض»: إن الذي قتل حنظلة جعونة بن شعوب الليثي مولى نافع بن أبي نافع.

(٦) النعف: ما انحدر من حزونة الجبل.

(٧) في «ابن هشام»: فرقت بدل فرفرت أي أسرعت وخفت.

وفيهما: ضباع عليه؛ بدل من: عليه ضباع.

وأدفعهم عني بركن صليب
ولا تسأمي من عبرة ونحيب
وحق لهم من عبرة بنصيب
قتلت من النجار كل نجيب
وكان لدى الهيجاء غير هيب^(١)
لكانت شجى في القلب ذات ندوب
بهم خذب من مغبط وكثيب^(٢)
كفاء ولا في خطبة بضريب

ولست لزور قلته بمصيب
نجيباً وقد سُميتَه بنجيب
وشيبة والحجاج وابن حبيب
بضربة غضب بله بخضيب

أقاتلهم وأدعي بالقبالب
فبكي ولا ترعى مقالة عاذل
أباك وإخواناً له قد تتابعوا
وسلي الذي قد كان في النفس أني
ومن هاشم قرماً كريماً ومصعباً
فلو أنني لم أشف نفسي منهم
فأبوا وقد أودى الجلابيب منهم
أصابهم من لم يكن لدمائهم
فأجابه حسان بن ثابت:

ذكرت القروم الضيّد من آل هاشم
أعجب أن أفصدت حمزة منهم
الم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه
غداة دعا المعاصي علياً فراغه

فصل

قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وعده، فحسّوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها. وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل، فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه أحد منهم، [قال ابن إسحاق]^(٣) فحدثني بعض أهل العلم: أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان اللواء مع صؤاب غلام لبني أبي طلحة حبشي وكان آخر^(٤) من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذ اللواء ب صدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول: اللهم هل أعزرت - يعني اللهم هل أعذرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لواء حين رُدَّ إلى صواب
والأم من يطأ عُفر التراب
وما إن ذاك من أمر الصواب
بمكة بئعكم حمر العياب
وما أن تُعصبان على خضاب

فخرتم باللواء وشرُّ فخر
جفَلتم فخركم فيه لعبيد
ظننتم والسفوية له ظنون
بأن جلاذنا يوم التقينا
أقر العيين أن عُصبت يده
وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم:

- (١) القرم: الفحل من الإبل، ويريد به هنا حمزة رضي الله عنه.
- (٢) الجلابيب: جمع جلباب، الإزار. وكان المشركين يسمون من أسلم مع رسول الله ﷺ الجلابيب.
- (٣) من «سيرة ابن هشام».
- (٤) قال ابن سعد في «الطبقات» (٤٠/٢).

حمل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة (من بني عبد الدار) وبعدهما قتله علي حمل اللواء عثمان بن أبي طلحة أبو شيبة قتله حمزة. فحملة أبو سعد بن أبي طلحة فقتله سعد بن أبي وقاص فحملة مسافع بن طلحة بن أبي طلحة - قتله عاصم بن أبي الأقلح - فحملة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة قتله عاصم أيضاً. فحملة كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير ثم حملة الجلاس أخوه فقتله طلحة بن عبيد الله، فحملة أرطاة بن شرحبيل فقتله علي. ثم حملة شريح بن قارظ فقتل ثم كان آخرهم صؤاب قتله قرمان وهو أثبت القول.

إذا عضل سيقت إلينا كأنها
أقمنالهم طعناً مُبِيراً منكلاً
فلولا لواء الحارثية أصبحوا
جدايةً شركٍ مُغَلّمات الحواجب^(١)
وحزناتهم بالضرب من كل جانب
يُباعون في الأسواق ببيع الجلائب

قال ابن إسحاق: فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلع العدو إلى رسول الله ﷺ فذبت بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص، فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشج في وجهه، فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] قال ابن جرير في «تاريخه»^(٢): حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا أسباط عن السدي قال: أتى ابن قمئة الحارثي فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة، وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: إلى عباد الله، إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فجعلوا يسيرون بين يديه، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمى بسهم في يده فبيست يده وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي ﷺ فقال بل أنا أقتله. فقال: يا كذاب أين تفر؟ فحمل عليه فطعنه النبي ﷺ في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوق مخور خوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجزئك؟ قال: أليس قال لأقتلنك لو كانت تجتمع^(٣) ربيعة ومضر لقتلهم. فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح، وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قُتل، فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان، يا قوم إن محمداً قد قُتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، فقال أنس بن النضر يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قُتل، وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهماً في قوسه يرميه فقال: أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن أصحابه من يمتنع به، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، فقال الله عز وجل في الذين قالوا إن محمداً قد قُتل فارجعوا إلى قومكم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية. فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمهم أبو سفيان. فقال رسول الله ﷺ «ليس لهم أن يعلونا، اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض». ثم ندب أصحابه فرموا بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ: أعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم أحد بيوم بدر. وذكر تمام القصة. وهذا غريب جداً وفيه نكارة. قال ابن هشام: وزعم ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وأن عبد الله بن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال من مس دمه دمي لم تمسه النار قلت: وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لما وقع لشقه أغمي عليه فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية. رواه ابن جرير وهو مرسل وسيأتي بسط هذا في فصل وحده. قلت: كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَفَرْنَا بِكَ اللَّهُ وَعَدَدُهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَدِّ مَا أَرْسَلْنَا مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ كَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] إذ تصودون ولا تكونون على أكبر والرسل

(١) شرك: قال أبو ذر بكسر الشين وضمها: موضع. قيل: جبل بالحجاز.

(٢) «تاريخ الطبري» (٢٠/٣) دار القاموس الحديث.

(٣) في الطبري: بجميع.

يَدْعُوَكُمْ فِي أَخْرَانِكُمْ فَأَتْبِكُمْ غَمًّا يَصْرُ ﴿[آل عمران: ١٥٢-١٥٣]. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله، حدثني أبي حدثني سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله، عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أحد قال فأنكر ذلك فقال: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله إن الله يقول في يوم أحد ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ يقول ابن عباس والحسن القتلى ﴿حتى إذا فشلتم﴾ إلى قوله ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع. ثم قال أحوا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا نغتم فلا تشركونا. فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم هكذا (وشبك بين أصابع يديه) والتبسوا فلما أخل الرماة تلك المحلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجمال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، إنما كان تحت المهراس، وصاح الشيطان: قتل محمداً فلم يشك فيه أنه حق، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بتكفيه إذا مشى. قال: ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا. قال فرقى نحونا، وهو يقول: اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله. ويقول مرة أخرى: اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا حتى انتهى إلينا فمكث ساعة أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أعل هبل أعل هبل، مرتين (يعني آلهته)، أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر بن الخطاب ألا أجيبه؟ قال: بلى. قال: فلما قال أعل هبل قال: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان يا ابن الخطاب قد أنعمت عينها، فعاد عنها - أو فعال عنها - فقال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر وها أنا ذا عمر، قال: فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال. قال فقال عمر: لا سواء، قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا. ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف تجدون في قتلاكم مثله ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا. قال ثم أدركته حمية الجاهلية فقال: أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه. وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم في «مستدرکه» والبيهقي في «الدلائل»^(١) من حديث سليمان بن داود الهاشمي به وهذا حديث غريب وهو من مراسلات ابن عباس. وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان. قال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال: لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهوراً علينا فلا تعينونا. فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة! فقال عبد الله: عهد إلي النبي ﷺ أن لا تبرحوا. فأبوا، فلما أبوا صرفت^(٢) وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال لا تجيبوه. فقال أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال لا تجيبوه. فقال أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يحزنك. فقال أبو سفيان: أعل هبل. فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا ما نقول: قال قولوا: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا ما نقول؟ قال قالوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني^(٣). وهذا من أفراد البخاري دون مسلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق: أن البراء بن عازب قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير، قال ووضعهم موضعاً وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطاناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، قال فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم، الغنيمة. ظهر

(١) روى الطبري طرفاً منه في «تاريخه» (٢٣/٣). وفي «تفسيره» (٢٨٧/٧) ورواه البيهقي في «الدلائل» (٢٦٩/٣ - ٢٧١). من لفظ الدارمي.

(٢) أي تحيروا فلم يدروا أين وكيف يذهبون.

(٣) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٧) باب غزوة أحد ح (٤٠٤٣).

أصحابكم، فما تنظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصين من الغنمة! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين رجلاً، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد، أفي القوم محمد، أفي القوم محمد؟ ثلاثاً، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيئوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة، أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب، أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عدت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك. فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثله لم أمر بها ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز: **أعلُّ هُبْلُ أعلُّ هُبْلُ**. فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيئونه قالوا يا رسول الله وما نقول؟ قال قولوا: الله أعلى وأجل. قال: إن العزى لنا ولا عز لكم؟ قال رسول الله ﷺ: ألا تجيئونه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. ورواه البخاري من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً وقد تقدم روايته له مطولة من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق^(١). وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وعلي بن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهقوا النبي ﷺ وهو في سبعة من الأنصار ورجل من قريش، قال: من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟ فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل. فلما رهقوه أيضاً قال: من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة، حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ ما أنصفنا أصحابنا. ورواه مسلم عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به. وقال البيهقي في «الدلائل»: بإسناده عن عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار [فيهم]^(٢) طلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال: ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله^(٣). فقال: كما أنت يا طلحة، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قُتل الأنصاري فلحقوه، فقال: ألا رجل لهؤلاء؟ فقال طلحة مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قُتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة أنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما، فقال رسول الله ﷺ: من لهؤلاء؟ فقال طلحة أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيب أنامله فقال: حس، فقال لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء. ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون^(٤). وروى البخاري: عن عبد الله بن أبي شيبه، عن وكيع، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاءً وقى بها النبي ﷺ يوم أحد^(٥). وفي «الصحيحين» من حديث موسى بن إسماعيل عن معتمر بن سليمان، عن أبيه عن أبي عثمان النهدي قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما^(٦). وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم السعدي^(٧) سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نزل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال: ارم فداك أبي وأمي. وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد عن مروان

- (١) رواه البخاري عن عمرو بن خالد عن زهير في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٠) باب ح (٣٩٨٦). وأخرجه أبو داود في «الجهاد» (١١٦) باب في الكمائن ح (٢٦٦٢).
- (٢) من «دلائل البيهقي»؛ وفي الأصل وطلحة وهو تحريف.
- (٣) في «سنن النسائي»: فالتفت رسول الله ﷺ وقال: من للقوم؟ فقال طلحة بن عبيد الله: أنا.
- (٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٣٦/٣)، وأخرجه النسائي في كتاب «الجهاد» باختلاف باب: ما يقول من يطعنه العدو، عن عمرو بن سواد (٢٩/٦ - ٣٠).
- (٥) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٨) باب ح (٤٠٦٣) وفي كتاب «فضائل الصحابة» ح (٣٧٢٤).
- (٦) عن حديثهما: أي هما حدثاني بذلك.
- روى الحديث البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٨) باب ح (٤٠٦٠) وفي (٦٢) كتاب «فضائل الصحابة» ح (٣٧٢٢) ومسلم في (٤٤) كتاب «فضائل الصحابة» (٦) باب ح (٤٧).
- (٧) في البيهقي: الزهري.

به^(١). وفي «صحيح البخاري» من حديث عبد الله بن شداد عن علي بن أبي طالب قال ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك فإني سمعته يقول يوم أحد: يا سعد ارم فداك أبي وأمي. قال محمد بن إسحاق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص: أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل ويقول: ارم فداك أبي وأمي. حتى إنه لناولني السهم ليس له نصل فأرمي به^(٢). وثبت في «الصحيحين» من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده. يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام. وقال أحد: حدثنا عفان، أخبرنا ثابت، عن أنس أن أبا طلحة^(٣) كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يترس به وكان رامياً وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك. وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: إني جلد يا رسول الله، فوجهني في حوائجك ومرني بما شئت. وقال البخاري حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز، عن أنس قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوب عليه بجحفة له وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزاع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة. قال ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وأنها لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان^(٤) القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأها ثم تحيثان فتفرغانه في أفواه القوم. ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً^(٥). قال البخاري وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً يسقط وأخذه ويسقط فأخذه^(٦). هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ويشهد له قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُغْشَى بِهَا بِطُونَكُمْ وَمَنْ يَنْظُرْ إِلَيْكُمْ يَنْظُرْ إِلَى ظُنٍّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَقَدْ هَمَّتْمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَمَّا هُمْ فِيكُمْ فَخَسَفْنَا عَنْكُمْ صَدُورَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤ - ١٥٥] قال البخاري: حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال من هؤلاء القعود قال هؤلاء قريش قال من الشيخ؟ قالوا ابن عمر فأتاه فقال إني سائلك عن شيء أتحدثني. قال أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد قال: نعم. قال فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا؟ قال نعم. قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال نعم. قال فكبير. قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت النبي ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه، أما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان. اذهب بهذا

(١) في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٨) باب ح (٤٠٥٥).

(٢) الخبر في البيهقي (٢٣٩/٣) وفي «سيرة ابن هشام» (٢٥/٣).

(٣) أبو طلحة هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الخزرجي النجاري الأنصاري أحد أصحاب رسول الله ﷺ ومن بني أخواله، من أعيان البدرين، أحد النقباء الأثني عشر العقبيين. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ. مات في غزوة بحرية.

(٤) من «الصحيح» والبيهقي، وفي الأصل تنقران وهو تحريف.

(٥) أخرجه البخاري في (٦٣) كتاب «مناقب الأنصار» (١٨) باب ح (٣٨١١) ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٤٧) باب ح (١٣٦).

(٦) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢١) باب ح (٤٠٦٨).

والنعاس: هو الذي من الله به على أهل الصدق واليقين من المؤمنين يوم أحد، لما علم ما في قلوبهم من خوف، فصرفهم عن التفكير في ذلك بانزال النعاس عليهم لتلا يرهقهم الخوف ويضعف عزائمهم.

الآن معك . وقد رواه البخاري أيضاً في موضع آخر والترمذي من حديث أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به . وقال الأموي في «مغازيه» عن ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المَبْقَى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجَلْعَب جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم . لقد ذهبتم فيها غريضة . والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدر ، منها حصول النعاس حال التحام الحرب وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكلها على خالقها وبارئها . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿ إِذْ يُفَشِّكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١] الآية وقال هاهنا ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَفْشُونَ طَأْفَئَةً مِّنْكُمْ ﴾ يعني المؤمنين الكُمل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف: النعاس في الحرب من الإيمان والنعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا ﴿ وَطَأْفَئَةً قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية . ومن ذلك أن رسول الله ﷺ استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله: «إن تشأ لا تعبد في الأرض» كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد وعفان قالا حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد: «اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض» ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به ، وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: «أرأيت إن قُلتُ فأين أنا؟ قال في الجنة، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قُتل». ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاهما .

فصل

فيما لقي النبي ﷺ يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخاري^(١): ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله» ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: «اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ». وقال أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد وهو يسلم^(٢) الدم عن وجهه وهو يقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته، وهو يدعو إلى الله» فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ورواه مسلم عن القعنبى عن حماد بن سلمة به^(٣)، ورواه الإمام أحمد: عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم» فأنزل الله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وقال البخاري: حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي ﷺ فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها [حتى إذا صارت رماداً]^(٤) ألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على

(١) في كتاب «المغازي» (٢٤) باب ما أصاب النبي ﷺ يوم أحد ح (٤٠٧٣) ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٣٨) باب ح (١٠٦).

(٢) يسلمت: يمسح.

(٣) رواه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٣٧) باب غزوة أحد. ح (١٠٤).

(٤) زيادة من «دلائل البيهقي». وقال محققه في هامشه: لأنها تعمل عمل المواد القابضة، فإنها عندما تستعمل على الجرح فإنها ترسب البروتين السطحي فيكون طبقة على التهتكات والجروح، فتحمي الجرح من المخترقات الجرثومية وغيرها. وتوقف

رأسه. وقال أبو داود الطيالسي في «مسنده»: حدثنا ابن المبارك عن إسحاق عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه وأراه قال حمية، قال فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، فقلت يكون رجلاً من قومي أحب إلي، وبين المشركين رجلاً لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه وهو يخطف المشي خطفاً، لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله ﷺ «عليكما صاحبكما» يريد طلحة وقد نزع، فلم نلتفت إلى قوله قال: وذهبت لأنزع ذاك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحقي لما تركتني، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فأزم عليها بفيه. فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني. قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة رضي الله عنه من أحسن الناس هتماً^(١). فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة [أو أقل أو أكثر]^(٢) وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه^(٣). وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي الخويرث عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت إلى النبل تأتي من ناحية، ورسول الله ﷺ وسطها، كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول: دلوني على محمد، لا نجوت إن نجا، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحد، فجاوزه، فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية، فقال والله ما رأيت، أحلف بالله إنه منا ممنوع خرجنا أربعة^(٤) فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إليه^(٥). قال الواقدي: ثبت عندي أن الذي رمى في وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة، والذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص، وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا وإن الرباعية التي كسرت له عليه السلام هي اليمنى السفلى. قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال: [والله] ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على من دمی وجه رسوله». وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عثمان الجزري، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته، ودمى وجهه فقال «اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار^(٦). وقال أبو سليمان الجوزجاني: حدثنا محمد بن الحسن، حدثني إبراهيم بن محمد، حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب عن أبيه، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أحد بعظم بال. هذا حديث غريب رأيت في أثناء كتاب «المغازي» للأمامي في وقعة أحد. ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال رجع وهو يقول: قتلتُ محمداً. وصرخ الشيطان أذب العقبة يومئذ بأبعد صوت: ألا إن محمداً قد قتل! فحصل بهتة عظيمة في المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصمموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره، وقد أنزل

- النزيف بترسيب العنصر البروتيني في الدم، ومن جهة أخرى فإن لها خاصية ترسيب بروتين البكتريا فتموت، فيكون فعلها في حماية الجرح والقضاء على أي جرثوم قريب منه «دلائل البيهقي» (٣/٢٦٠).
- (١) الهتم: كسر الثنايا من أصلها.
 - (٢) من رواية البيهقي.
 - (٣) الحديث في «دلائل البيهقي» (٣/٢٦٣) من طريق يونس بن حبيب، ورواه ابن حبان عن عائشة والصالح في «السيرة الشامية» من ابن حبان والطيالسي (٤/٢٩٥).
 - (٤) وهم: عبد الله بن شهاب، وعتبة بن أبي وقاص، وابن قمئة، وأبي بن خلف.
 - (٥) الخبر في الواقدي (١/٢٣٧).
 - (٦) الخبر في تفسير عبد الرزاق عن مقسم، ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن ابن عباس، ونقله عنهما الصالح في «السيرة الشامية» (٤/٢٩٤) ونقله البيهقي عنه في «الدلائل» (٣/٢٦٥).

الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَالْتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذَلُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَهُمْ الشَّكْرُ وَيَسَّ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴿آل عمران: ١٤٤ - ١٥١﴾. وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا «التفسير» والله الحمد. وقد خطب الصديق رضي الله عنه في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ الآية. قال: فكان الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من الناس أحد إلا يتلوها. وروى البيهقي في «دلائل النبوة»^(١): من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال: مر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه. فقال له: يا فلان، أشعرت أن محمداً قد قتل. فقال الأنصاري: إن كان محمد ﷺ قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم، فنزل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية. ولعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه وهو عم أنس بن مالك. قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر، فقال غبت عن أول قتال قاتله النبي ﷺ للمشركين، لئن الله أشهدني قتالاً للمشركين ليرين ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أعترز إليك عما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقبه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد: أنا معك قال سعد: فلم أستطع أصنع ما صنع، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم^(٢)، قال: فكنا نقول: فيه وفي أصحابه نزلت ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن إسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي: حسن، قلت: بل على شرط «الصحيحين» من هذا الوجه^(٣). وقال أحمد: حدثنا بهز وحدثنا هاشم قال: حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قال أنس. عمي (قال هاشم: أنس بن النضر) سميت به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر. قال فشق عليه وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع. قال فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ واهأ لريح الجنة أجده دون أحد. قال فقاتلهم حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية. قال فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا بينانه ونزلت هذه الآية ﴿مَنْ أَلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه. ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد. ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائي وأبو داود وحماد بن سلمة أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به. وقال الترمذي حسن صحيح. وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال: كان أبي بن خلف أخو بني جُمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ. فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال: بل أنا أقتله إن شاء الله. فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقتعاً وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد. فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بقي رسول الله ﷺ بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحرية فوقع إلى الأرض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له: ما أجزعك؟ إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله ﷺ أنا أقتل أبياً، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي

(١) الخبر في «دلائل النبوة» (٣/٢٤٨).

(٢) زاد البيهقي في روايته: وقد مثلوا به؛ قال: فما عرفناه حتى عرفته أخته بينانه.

(٣) رواه البخاري في (٥٦) كتاب «الجهاد» (١٢) باب ح (٢٨٠٥). وأخرجه مسلم عن أنس في (٣٣) كتاب «الإمارة» (٤١) باب ح (١٤٨).

بأهل ذي المجاز لما تواروا أجمعون فمات إلى النار فسحقاً لأصحاب السعير^(١). وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب نحوه. وقال ابن إسحاق: لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: [أي محمد]^(٢) لا نجوث إن نجوث. فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه! فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم - كما ذكر لي - فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض انتفاضة، تطايرنا عنه تطاير الشعر^(٣) عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تداداً منها عن فرسه مراراً. ذكر الواقدي عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك. قال الواقدي وكان ابن عمر يقول: مات أبي بن خلف ببطن رابع، فإني لأسير ببطن رابع بعد هوي^(٤) من الليل إذا أنا بنار تأججت فهبتها وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش فإذا رجل يقول: لا تسقه، فإنه قتيل رسول الله ﷺ، هذا أبي بن خلف. وقد ثبت في «الصحيحين» كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله» ورواه البخاري من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس «اشتد غضب الله على من قتل رسول الله بيده في سبيل الله» وقال البخاري: وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابراً قال: لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لم يمه، وقال النبي ﷺ لا تبكوه أو ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع. هكذا ذكر هذا الحديث ههنا معلقاً وقد أسنده في الجنائز عن بندار عن غندر عن شعبة. ورواه مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به وقال البخاري: حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال وقاتل حمزة هو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط (أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا) وقد خشينا أن تكون حسانتنا عجلت لنا. ثم جعل يبكي حتى برد الطعام^(٥). انفرد به البخاري. وقال البخاري: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا الأعمش عن شقيق عن خباب بن الارت قال: هاجرنا مع النبي ﷺ نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه فقال النبي ﷺ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الأذخر. ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها^(٦). وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به. وقال البخاري: حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم. فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي. قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه. فقال حذيفة يغفر الله لكم. قال عروة: فوالله ما زال في حذيفة بقية خير حتى لقي الله عز وجل. قلت: كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا في الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما فقالا: إنه لم يبق من آجالنا إلا ظمء حمار فنزلا ليحضرا الحرب فجاء طريقهما ناحية المشركين فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ. وتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ولم يعاتب أحداً منهم لظهور العذر في ذلك.

(١) تقدم الحديث عن موسى بن عقبة في سياق كيف كانت الواقعة؛ والخبر رواه البيهقي في «الدلائل» (٢٥٨/٣).

(٢) من «ابن هشام» (٨٩/٣).

(٣) في «ابن هشام»: الشعراء، وقال: الشعراء ذباب له لدغ.

(٤) أي بعد ساعة؛ وهم في طريقهم إلى مكة. والخبر في «مغازي الواقدي» (٢٥٢/١) و«دلائل البيهقي» (٢٥٩/٣).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب «الجنائز» ح (١٢٧٤) «فتح الباري» (٣/١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢).

(٦) يهدبها: أي يجتنيها، وهذا استعارة لما فتح الله عليهم من الدنيا.

والخبر أخرجه البخاري في (٨١) كتاب «الرقائق» (٧) باب (٢٣) وفي كتاب «الجنائز» (٢٧) باب ح (١٢٧٦) وأخرجه مسلم في (١١) كتاب «الجنائز» (١٣) باب ح (٤٤).

فصل

قال ابن إسحاق: وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما. وفي الحديث عن جابر بن عبد الله أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سألت على خده، فردها رسول الله ﷺ مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدهما وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى. وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيني يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. والمشهور الأول أنه أصيبت عينه الواحدة. ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت: فقال له مرتجلاً:

أنا ابنُ الذي سألت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعدت كما كانت لأول أمرها فيا حُسْنَهَا عيناُ ويا حُسْنَ ما خد
فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

تلك المكارمُ لا قعبانٍ من لبنٍ شيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا
ثم وصله فأحسن جائزته رضي الله عنه.

فصل

قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعني سقاء فيه ماء، فأنتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقممت بأبشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي. قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت ابن قمئة، أقماه الله، لما ولي الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان. قال ابن إسحاق: وترس أبو دجاجة دون رسول الله ﷺ بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه، حتى كثر فيه النبل. قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيبتها، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده. قال ابن إسحاق: وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم، فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ. ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قُتل، وبه سمي أنس بن مالك. فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته بينانه. قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم: أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها في رجله فخرج.

فصل

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس قُتل رسول الله ﷺ - كما ذكر لي الزهري - كعب بن مالك قال: رأيت عينيه تزهرا من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ. فأشار رسول الله ﷺ [إلي] ^(١) أن انصت. قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين. فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف (فذكر قتله عليه السلام أياً كما تقدم). قال ابن إسحاق: وكان أبي بن خلف، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن

(١) من ابن هشام.

عبد الرحمن بن عوف، يلقي رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إن عندي العودَ - فرساً - أعلفه كل يوم فرقاً^(١) من ذرة، أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم فقال: قتلني والله محمد. فقالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك بأس قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف^(٢) وهم قافلون به إلى مكة. قال ابن إسحاق فقال حسان بن ثابت في ذلك:

أبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
وَتَوَعَّدَهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ
أَمِيَّةٌ إِذْ يَغْثُوثُ: يَا عَقِيلُ
أَبَا جَهْلٍ لِأَمَّهُمَا الْهُبُولُ^(٣)
بِأَسْرِ الْقَوْمِ أَسْرَتِهِ قَلِيلُ

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمِ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو النَّجَارِ مِنْكُمْ
وَتَبَّ ابْنَا رَبِيعَةَ إِذْ أَطَاعَا
وَأَفَلْتَ حَارِثٌ لَمَّا شَغَلْنَا
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضاً:

فَقَدْ أَلْقَيْتَ فِي سَحْقِ السَّعِيرِ^(٤)
وَتَقْسِيمُ إِنْ قَدَّرْتَ مَعَ النُّذُورِ
وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فَجُورِ
إِذَا تَابَتْ مُلِيمَاتُ الْأُمُورِ

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي أُبَيًّا
تُمْنِي بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدِ
تَمْنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدِ
فَقَدْ لَاقَتِكَ طَعْنَةُ ذِي جِفاظِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طُرّاً

قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب، حتى ملأ درفته ماء من المهراس^(٥) فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول: «اشتد غضب الله على من دمي نبيه» وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية. قال ابن إسحاق؛ فبينما رسول الله ﷺ في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل. قال ابن هشام: فيهم خالد بن الوليد. قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا. فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل، ونهض النبي ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدن رسول الله ﷺ ظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به حتى استوى عليها، فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ «أوجب^(٦) طلحة» حين صنع برسول الله ﷺ يومئذ ما صنع. قال ابن هشام: وذكر عمر مولى عفرة: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً. قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أتي^(٧) لا يُدرى من هو يقال له: قُزَمان فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر «إنه لمن أهل النار» قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتُمِلَ إلى دار بني ظفر، قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبلت اليوم يا قُزَمان، فأبشر. قال بماذا أبشر فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت.

- (١) الفرق: بفتح الراء واسكانها: مكيال يسع ستة عشر مثلاً، وقيل اثني عشر رطلاً.
- (٢) سرف: موضع على ستة أميال من مكة وقيل سبعة وتسعة واثني عشر، بها تزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث وبنى بها فيها وبها توفيت «معجم البلدان».
- (٣) الهبول: الفقد، هبلته أمه: أي فقده.
- (٤) في ابن هشام: لقد.
- (٥) المهراس: ماء بأحد، وقيل حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر، ويصب فيه الماء ليتفجع به الناس.
- (٦) أوجب: أي وجبت له الجنة.
- (٧) أتي: غريب. قال الواقدي: كان قُزَمان عديداً في بني ظفر، وكان لهم حائطاً محبباً، وكان مقلداً لا ولد له ولا زوجة وكان شجاعاً يعرف بذلك في حروبهم وكان يكنى بأبي الغيداق.

قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه. وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي إن شاء الله. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر، عن الزهري، عن المسيب عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل من يدعي الإسلام «هذا من أهل النار» فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فليل يا رسول الله الرجل الذي قلت إنه من أهل النار قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات فقال النبي ﷺ: «إلى النار» فكاد بعض القوم يرتاب فيبينما هم على ذلك إذ قيل فإنه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «الله أكبر، أشهد أي عبد الله ورسوله» ثم أمر بلالاً فنادى في الناس «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». وأخرجاه في «الصحيحين» من حديث عبد الرزاق به قال ابن إسحاق: وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الغيطون فلما كان يوم أحد قال يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما يشاء. ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل. قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا «مخيريق خير يهود» قال السهيلي فجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق - وكانت سبع حوائط - أوقافاً بالمدينة لله قال محمد بن كعب القرظي وكانت أول وقف بالمدينة. وقال ابن إسحاق: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هريرة أنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول أصيرم بن عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش. قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه. فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه، فغدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال: فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم ما جاء به لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه فقالوا [ما جاء بك يا عمرو] (١) أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي، وغدت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابني ما أصابني. فلم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ فقال «إنه من أهل الجنة». قال ابن إسحاق: وحدثني أبي، عن أشياخ من بني سلمة قالوا: كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا: إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ وقال: إن بني يريدون أن يجسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فقال رسول الله ﷺ «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» وقال لبيته «ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة» فخرج معه فقتل يوم أحد رضي الله عنه (٢). قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثني صالح بن كيسان - والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً (٣) وقلائد وأعطت خدماً وقلائدها وقرطها وحشياً. وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها. وذكر موسى بن عقبة: أن الذي بقر عن كبد حمزة وحشي فحملها إلى هند فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فالفظتها. وذكر

قال ابن إسحاق ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

والحربُ بعد الحربِ ذاتُ سُعْرِ
ولا أخِي وعمُّه وبِكْرِ
شَفِيَتْ وحشِي غليلِ صَدْرِي
حتى ترمَّ أعظْمِي في قَبْرِي

نَحْرُ جَزِينَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ
مَا كَانَ لِي عَنْ عُتْبَةَ مِنْ صَبْرِ
شَفِيَتْ نَفْسِي وَقَضِيَتْ نَذْرِي
فَشَكَرُ وَحشِي عَلِيٍّ عُمْرِي

(١) من ابن هشام (٣/٩٥).

(٢) قال الواقدي: «قال أبو طلحة: نظرت إلى عمرو حين انكشف المسلمون، وهو في الرعيل الأول.. وابنه يعدو في أثره حتى قتلا جميعاً، ودفن هو وعبد الله بن عمرو في قبر واحد.

وقال السهيلي: أنه لما خرج - عمرو - قال: اللهم لا تردني، فاستشهد، فجعله بنوه على بعير ليحملوه إلى المدينة، فاستصعب عليهم البعير... فلما لم يقدروا عليه، دفنوه في مصرعه.

(٣) الخدم: جمع خدمة، وهي الخلخال.

قال فأجابتها هند بنت أئمة بن عباد بن المطلب فقالت:

خزيت في بدرٍ ويعد بدرٍ
صبحك الله غداة الفجر
بكل قطع خسام يفري
إذ رام شيباً وأبوك غدري
ونذرك المسوءة فشرب نذير
يا بنت وقاع عظيم الكفر
م الهاشميين الطوال الزهر^(١)
حمزة ليثي وعلي صقري
فخضبا منه ضواحي النحر

قال ابن إسحاق: وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد الأحابيش - مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول: ذق عقق. فقال الحليس: يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لهما^(٢). فقال: ويحك اكنمها عني فإنها كانت زلة. قال ابن إسحاق: ثم إن أبا سفيان، حين أراد الانصراف، أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت [فعال]^(٣)، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعل هبل (أي ظهر دينك). فقال رسول الله ﷺ لعمر «قم يا عمر فأجبه فقل: الله أعلى وأجل، لا سواء^(٤)»، «قتلنا في الجنة وقتلاكم في النار» فقال له أبو سفيان: هلم إلي يا عمر. فقال رسول الله ﷺ لعمر: ائتته فانظر ما شأنه. فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت عندي أصدق من ابن قمئة وأبر. قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سفيان: إنه كان في قتلاكم مثل، والله ما رضيت وما سخطت، وما نبيت ولا أمرت. قال: ولما أنصرف أبو سفيان نادى: إن موعدكم بدر العام المقبل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل نعم هو بيننا وبينك موعد. قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة. والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأنجزنهم. قال علي: فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة.

دعاء النبي ﷺ يوم أحد

قال الإمام أحمد: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي، عن ابن رفاعة الزرقي، عن أبيه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ «استووا حتى أثنى على ربي عز وجل» فصاروا خلفه صفوفاً فقال «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت. اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف. اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا. اللهم حجب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين. اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك. اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق^(٥)» ورواه النسائي في اليوم واللييلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به.

فصل

قال ابن إسحاق وفرغ الناس لقتالهم، فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني، أخو بني النجار: أن رسول الله ﷺ قال: من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل

(١) م الهاشميين: أراد من الهاشميين. فحذف النون من (من) لالتقاء الساكنين.

(٢) لهما: أي ميتاً لا يستطيع الانتصار لنفسه.

(٣) من «ابن هشام».

(٤) لا سواء: أي لا نحن سواء؛ وقد جاز دخول لا في هذا الموضع، لأن القصد فيه نفي الفعل: أي لا نستوي.

(٥) الدعاء في «مسند أحمد» (٣/٤٢٤).

﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ مَكَّرْنَا مِنْكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] فلما خلف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله ﷺ في تسعة^(١) - سبعة من الأنصار واثنين من قريش وهو عاشرهم - فلما رهبوه قال: رحم الله رجلاً ردهم عنا... فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا، فجاء أبو سفيان فقال: أعلُّ هُبُلًا! فقال رسول الله ﷺ: قولوا الله أعلى وأجل، فقالوا الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عز لكم، فقال رسول الله ﷺ: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، يوم لنا ويوم علينا، ويوم نساء ويوم نُسْر، حنظلة بحنظلة^(٢)، وفلان بفلان، فقال رسول الله ﷺ: لا سواء، أما قتلتنا فأحياء يرزقون وقتلناكم في النار يعذبون. قال أبو سفيان: قد كانت في القوم مُثْلَةٌ وإن كانت لعن غير ملامنا، ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءني ولا سرتي، قال فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله ﷺ: أأكلت شيئاً؟ قالوا: لا، قال ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار، قال: فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة وجيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاةً تفرد به أحد وهذا إسناد فيه ضعف أيضاً من جهة عطاء بن السائب. فالله أعلم. والذي رواه البخاري أثبت حيث قال: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة. وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يُغسلوا^(٣). تفرد به البخاري دون مسلم. ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به. وقال أحمد حدثنا محمد يعني ابن جعفر حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهري عن ابن جابر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال في قتلى أحد: فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامة ولم يصل عليهم وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير كما قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا زكريا بن عدي، أخبرنا [ابن] ^(٤) المبارك، عن حيوة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبه بن عامر قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانين سنين كالمدوخ للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها. قال: فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ. ورواه البخاري في مواضع آخر ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث يزيد بن أبي حبيب به نحوه. وقال الأموي حدثني أبي، حدثنا الحسن بن عمار، عن حبيب بن أبي ثابت قال: قالت عائشة: خرجنا من السحر فخرج رسول الله ﷺ إلى أحد نستطلع الخبر حتى إذا طلع الفجر إذا رجل محتجر يشتم ويقول:

لَبَّثْتُ قَلِيلاً يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ^(٥)

قال: فنظرنا فإذا أسيد بن حضير، ثم مكثنا بعد ذلك، فإذا بعير قد أقبل، عليه امرأة بين وسقين قالت فدنونا منها فإذا هي امرأة عمرو بن الجموح. فقلنا لها ما الخبر قالت: دفع الله عن رسول الله ﷺ واتخذ من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. ثم قالت لبعيرها: حل. ثم نزلت، فقلنا

(١) في الواقدي: في أربعة عشر: سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار.

(٢) يعني: حنظلة بن أبي عامر بحنظلة بن أبي سفيان.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» عن «قتيبة» في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٦) باب «فتح الباري» (٣٧٤/٧). وفي (٢٣) كتاب «الجنائز» (٧٢) باب «فتح الباري» (٣٠٩/٣). ورواه أبو داود في «الجنائز» باب في الشهيد هل يغسل. ورواه الترمذي في «الجنائز» باب ما جاء في ترك الصلاة على الشهيد. ورواه النسائي في «الجنائز» باب ترك الصلاة عليهم. وابن ماجه في «الجنائز» باب ما جاء في الصلاة على الشهداء.

(٤) من «صحيح البخاري».

(٥) البيت في «تاج العروس» ونسبه: لحمل بن سعدانة وعجزه:

ما أحسن الموت إذا حان الأجل

وقال في «اللسان»: يعني به حمل بن بدر.

لها: ما هذا؟ قالت: أخي وزوجي وقال ابن إسحاق: وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه^(١) وكان أخاها لأبيها وأمه، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها، فقال لها: يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي. قالت ولم؟ وقد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا ما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، قال: خلّ سبيلها، فأتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت. قال ابن إسحاق: ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثل به غير أنه لم ينقر عن كبه رضي الله عنهما. قال السهيلي: وكان يقال له المجدع في الله قال وذكر سعد أنه هو وعبد الله بن جحش دعيا بدعوة فاستجيب لهما فدعا سعد أن يلقي فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش أن يلقيه فارس فيقتله ويجدع أنفه في الله فكان ذلك وذكر الزبير بن بكار: أن سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً فصار في يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار وهذا كما تقدم لعكاشة في يوم بدر. وقد تقدم في «صحيح البخاري» أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد في الكفن الواحد وإنما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد ويقدم في اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وبين عمرو بن الجموح لأنهما كانا متصاحبين ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم كما روى ابن إسحاق: عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير أن رسول الله ﷺ لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال: أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك. قال: وحدثني عمي موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمي اللون لون الدم والريح ريح المسك وهذا الحديث ثابت في «الصحيحين» من غير هذا الوجه. وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود وقال ادفنهم بدمائهم وثيابهم. رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به. وقال الإمام أبو داود في «سننه»: حدثنا القعنبى، أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن حميد بن هلال، عن هشام بن عامر أنه قال: جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا قد أصابنا قرح وجهه فكيف تأمر؟ فقال: احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد. قيل: يا رسول الله فأيهم يقدم؟ قال: أكثرهم قرأنا. ثم رواه من حديث الثوري عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فذكره: وزاد واعمقوا^(٢). قال ابن إسحاق: وقد احتمل ناس من المسلمين قتلهم إلى المدينة فدفنهم بها ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: ادفنهم حيث صرعوا^(٣). وقد قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله وعتاب، حدثنا عبد الله، حدثنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المدني، حدثني أبي سمعت جابر بن عبد الله يقول: استشهد أبي بأحد فأرسلني إخواني إليه بناضح لهن فقلن: اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة. فقال فجنته وأعوان لي فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد فدعاني فقال: والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته فدفن مع أصحابه بأحد. تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الأسود بن قيس، عن نبيح، عن جابر بن عبد الله: أن قتلى أحد حملوا من مكانهم فنادى منادي النبي ﷺ أن ردوا القتلى إلى مضاجعهم^(٤). وقد رواه أبو داود والنسائي من حديث الثوري والترمذي من حديث شعبة والنسائي أيضاً وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة كلهم عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ من

(١) أي إلى حمزة بن عبد المطلب.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب «الجنائز» باب في تعميق الحفر ح (٣٢١٥) وح (٣٢١٦ و ٣٢١٧) وأخرجه الترمذي ح (١٧١٣) وقال حسن صحيح.

(٣) الخبر في «سيرة ابن هشام» (١٠٣/٣).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٩٧/٣) وأبو داود في «الجنائز» باب في الميت يحمل من أرض إلى أرض، والترمذي في كتاب «الجهاد»، باب ما جاء في دفن القتيل في مقتله (٢١٥/٤). وأخرجه النسائي في «الجنائز»، باب أين يدفن الشهيد (٧٩/٤) وابن ماجه في «الجنائز» باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم.

المدينة إلى المشركين يقاتلهم، وقال لي أبي عبد الله: يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما مصير أمرنا فإني والله لولا أي أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي. قال: فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا إذ لحق رجل ينادي: ألا إن النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتل فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، فرجعنا بهما فدفنهما حيث قتلا فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال يا جابر بن عبد الله والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدأ فخرج طائفة منه. فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتل^(١)، ثم ساق الإمام قصة وفاته دين أبيه كما هو ثابت في «الصحيحين». وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: لما أجرى معاوية العين عند قتل أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم فأصابنا المسحاة قدم حمزة فانبعث^(٢) دماً وفي رواية ابن إسحاق عن جابر قال: فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس. وذكر الواقدي: أن معاوية لما أراد أن يجري العين^(٣) نادى مناديه: من كان له قتيل بأحد فليشهد، قال جابر: فحفرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته [وما تغير من حاله قليل ولا كثيراً]^(٤) ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح^(٥) ويده على جرحه فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً، ويقال: إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضي الله عنهم أجمعين وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا. وقد قال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا حسين المعلم، عن عطاء، عن جابر قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ وإن علي ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً، فأصبحنا وكان أول قتيل، فدفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعتة هيئة^(٦) غير أذنه وثبت في «الصحيحين»: من حديث شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر: أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن الثوب ويبكي فنهاه الناس فقال رسول الله تبكيه أو لا تبكيه، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه. وفي رواية أن عمته هي الباكية^(٧). وقال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا فيض بن وثيق البصري حدثنا أبو عبادة الأنصاري، عن الزهري، عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر «يا جابر ألا أبشرك؟ قال بلى بشرك الله بالخير، فقال: أشعرت أن الله أحيا أباك فقال: تمن علي بعدي ما شئت أعطكه. قال: يا رب عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى، قال: إنه سلف مني أنه إليها لا يرجع»^(٨) وقال البيهقي: حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف الأسفرايني، حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد، حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر، حدثنا علي بن المديني، حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير^(٩) بن بشير بن الفاكه الأنصاري قال: سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصاري ثم السلمى قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: نظر إلي رسول الله ﷺ فقال «مالي أراك مهتماً؟ قال: قلت يا رسول الله قتل أبي وترك ديناً وعيالاً، فقال: ألا أخبرك ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحاً وقال

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) في «دلائل البيهقي» (٢٩١/٣) فانثب.

(٣) في «مغازي الواقدي» (٢٦٧/١): الكظامة؛ والكظامة: قناة وهي آبار تحفر في الأرض متناسقة ويخرق بعضها إلى بعض تحت الأرض فتجمع مياهها جارية، ثم تخرج عند متنها فتسبح على وجه الأرض «النهاية» (٢٢/٤).

(٤) من الواقدي.

(٥) في الواقدي والبيهقي: عبد الله قد أصابه جرح في وجهه، فيده على وجهه فأميظت يده عن جرحه فثعب الدم (جري) فردت إلى مكانها فسكن الدم.

(٦) في البيهقي: منية.

(٧) أخرجه البخاري في (٢٣) كتاب «الجنائز» (٧٧) ح (١٣٥١) «فتح الباري» (٢١٤/٣). وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٩٤/٣) وفي «السنن الكبرى» (٥٧/٤).

(٨) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٢٦) باب ح (٤٠٨٠) ومسلم في (٤٤) كتاب «فضائل الصحابة» (٢٦) باب ح (١٣٠).

(٩) «دلائل النبوة» (٢٩٨/٣).

(٩) سقطت من «الدلائل».

له: يا عبدي سلني أعطك. فقال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال: إنه قد سبق مني القول: أنهم إليها لا يرجعون. قال يارب: فأبلغ من ورائي فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩). وقال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل، سمعت جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ «ألا أبشرك يا جابر؟ قلت بلى، قال: إن أباك حيث أصيب بأحد، أحياء الله ثم قال له: ما تحب يا عبد الله ما تحب أن أفعل بك؟ قال: أي رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى»^(١) وقد رواه أحمد عن علي بن المديني، عن سفيان بن عيينة، عن محمد بن علي بن ربيعة السلمي، عن ابن عقيل عن جابر، وزاد: فقال الله إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون. وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر عن عبد الله بن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر أصحاب أحد «أما والله لو ددت أني غودرت مع أصحابه بحضن الجبل» يعني سفح الجبل، تفرد به أحمد. وقد روى البيهقي عن حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرز على مصعب بن عمير، وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه فدعا له ثم قرأ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزورهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»^(٢) وهذا حديث غريب، وروى عن عبيد بن عمير مرسلًا. وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء فإذا أتى فرضة الشعب قال «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعلها وكان عمر بعد أبي بكر يفعلها، وكان عثمان بعد عمر يفعلها^(٣). قال الواقدي: كان النبي ﷺ يزورهم كل حول فإذا بلغ نقرة الشعب^(٤) يقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول: ألا تسلمون على قوم يردون عليكم. ثم حكى زيارتهم عن أبي سعيد وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضي الله عنهم^(٥). وقال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم^(٦)، حدثني الحكم بن نافع، حدثنا العطف بن خالد، حدثني خالتي قالت: ركبت يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لا تزال تأتيهم - فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلي وما في الوادي داع ولا مجيب إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي «السلام عليكم» قالت: فسمعت رد السلام علي يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة مني^(٧). وقال محمد بن إسحاق: عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ «لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لثلاً ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد. فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩). وروى مسلم والبيهقي: من حديث أبي معاوية، عن الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق قال:

(١) «سيرة ابن هشام» (١٢٧/٣).

(٢) «دلائل البيهقي» (٢٨٤/٣) وقال في آخره: كذا وجدته في كتابي عن أبي هريرة. ورواه الحاكم في «المستدرک» (٢٠٠/٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي: والحديث عند الحاكم عن أبي ذر، ورواه ابن مردويه عن خباب بن الارت.

(٣) «دلائل البيهقي» (٣٠٦/٣).

(٤) في رواية البيهقي عن الواقدي: تفوه الشعب رفع صوته: أي دخل في أوله.

(٥) الخبر في «مغازي الواقدي» (٣١٣/١ - ٣١٤).

(٦) وهو إبراهيم بن سعيد.

(٧) الخبر في «دلائل البيهقي» من طريق الحسين بن صفوان البردعي (٣٠٨/٣).

(٨) الخبر في «دلائل البيهقي» (٣٠٤/٣) وفي «سنن أبي داود» في «الجهاد» باب في فضل الشهادة ح (٢٥٢٠) و «سيرة ابن هشام» (١٢٦/٣).

سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال «أرواحهم في جوف طير خضر»^(١) تسرح في أيها شاءت، ثم تأتي إلى قناديل معلقة بالعرش، قال فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة، فقال: اسألوني ما شئتم فقالوا يا ربنا ما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك مرة أخرى قال: فلما رأى^(٢) أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا^(٣).

فصل

في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً فالله أعلم. وقال قتادة عن أنس قتل من الأنصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون. وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه كان يقول قارب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة. وقال مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قتل من الأنصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبي عبيد سبعون وهكذا قال عكرمة وعروة والزهري ومحمد بن إسحاق في قتلى أحد ويشهد له قوله تعالى ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] يعني أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وعن ابن إسحاق قتل من الأنصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون أربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان والباقون من الأنصار، وسرد أسماءهم على قبائلهم وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً. وعن عروة كان الشهداء يوم أحد أربعة أو قال سبعة وأربعين وقال موسى بن عقبة تسعة وأربعون وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلاً^(٤) وقال عروة تسعة عشر وقال ابن إسحاق اثنان وعشرون^(٥). وقال الربيع عن الشافعي ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي وقد كان من الأسارى يوم بدر فمن عليه رسول الله ﷺ بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله فلما أسر يوم أحد قال: يا محمد امنن علي لبناتي وأعاهد أن لا أقاتلك فقال له رسول الله ﷺ لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً مرتين ثم أمر به فضربت عنقه. وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله ﷺ «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»^(٦).

فصل

قال ابن إسحاق ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فلقيته حمزة بنت جحش كما ذكر لي فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ «إن زوج المرأة منها لبعكان» لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها^(٧). وقد قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا إسحاق بن محمد

(١) في البيهقي: أرواحهم كطير خضر.

(٢) في صحيح مسلم: فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا.

(٣) الحديث موقوف. أخرجه مسلم في (٣٣) باب ح (١٢١).

(٤) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣٠٣/٣)، والترمذي في تفسير سورة آل عمران: وقال: حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه في «الجهاد».

(٥) في «الدرر في المغازي» لابن عبد البر: جميعهم سبعون رجلاً ص (١٥٦) وقد ذكر ابن سيد الناس في «عيون الأثر» ما يزيد على المائة نقلاً عن كتب «السير» و «الطبقات» وعقب على ذلك بأنه ذكر أن قتلى أحد سبعون، وإنما نشأت هذه الزيادة من الخلاف في الرواية والأسماء.

(٦) أسماء القتلى من المسلمين والمشركين.

(٧) الخبر رواه البيهقي في «الدلائل» (٢٨٠/٣).

(٧) «سيرة ابن هشام» (١٠٤/٣).

الفروي، حدثنا عبد الله بن عمر، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش، عن أبيه عن حمته بنت جحش: أنه قيل لها: قتل أخوك. فقالت: رحمه الله وإنا لله وإنا إليه راجعون. فقالوا: قتل زوجك قالت: واحزنناه. فقال رسول الله ﷺ: «إن للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء» قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن إسماعيل عن^(١) محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها^(٢) مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل. قال ابن هشام: الجليل يكون من القليل والكثير وهو ههنا القليل. قال امرؤ القيس:

لَقَتْلُ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ أَلَا كُئِلُ شَيْءٍ خَلَاءُ جَلَّلٍ^(٣)

أي صغير وقليل. قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: «اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم» وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم. فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت صدقت القتال لقد صدقته معك سهل بن حنيف وأبو دجاجة». وقال موسى بن عقبة في موضع آخر: ولما رأى رسول الله ﷺ سيف علي مخصباً بالدماء قال: «لئن أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف» وروى البيهقي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة: هاك السيف حميداً فإنها قد شففتني، فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجاجة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة»^(٤) قال ابن هشام: وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقار^(٥)، قال: وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجیح قال: نادى مناد يوم أحد لا سيف إلا ذو الفقار^(٦)، قال: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا» قال ابن إسحاق: ومرّ رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: «لكن حمزة لا بواكي له» فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهن أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ. فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال: «ارجعن يرحمك الله فقد آسيتن بأنفسكن»^(٧) قال: ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام، وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل وقد أسنده الإمام أحمد فقال: حدثنا زيد بن الحباب حدثني أسامة بن زيد، حدثني نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحد فجعل نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال: فقال رسول الله ﷺ: «ولكن حمزة لا بواكي له» قال: ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال: «فهن اليوم إذا يبكين يندبن حمزة» وهذا على شرط مسلم. وقد رواه ابن ماجه: عن هارون بن سعيد، عن ابن وهب، عن أسامة بن زيد الليثي، عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ مرّ بنساء بني عبد الأشهل يبكين هلکاهن يوم أحد فقال رسول الله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له» فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «ويجهن ما انقلبن بعد مرورهن فليقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم» وقال موسى بن عقبة: ولما دخل رسول الله ﷺ أزقة المدينة إذا النوح والبكاء في الدور قال: «ما هذا» قالوا: هذه نساء الأنصار يبكين

(١) من «ابن هشام» وفي الأصل «عن» تحريف.

(٢) في «مغازي الواقدي» السميراء بنت قيس إحدى نساء بني دينار وقد نعي لها ابناها: النعمان بن عبد عمرو، وسليم بن الحارث - ولم يذكر ابن إسحاق غيرهما فيمن استشهد من بني دينار - وسماه ابن سعد: سلم. ولم أجد في الأسماء التي ذكرت فيمن استشهد يوم أحد اسم زوجها وكانت تحت الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار وسليم ابنه «مغازي الواقدي» (٢٩٢/١) - «سيرة ابن هشام» (١٣١/٣) «طبقات ابن سعد» (٣) - (٨).

(٣) في نسخة «لابن هشام»: سواء بدل خلاه. وريبهم: يعني ملك بني أسد «حجر».

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢٨٣/٣) والحاكم في «المستدرک» (٢٤/٣) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٥) كان ذو الفقار سيفاً للعاصي بن منه، فلما قتل كافراً يوم بدر صار إلى النبي ﷺ ثم إلى علي بن أبي طالب.

(٦) في «ابن هشام»: لا سيف إلا ذو الفقار لا فتى إلا علي.

(٧) نقله البيهقي في «الدلائل» (٣٠١/٣).

قتلهم فقال: «لكن حمزة لا بواكي له» واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة فمشوا إلى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا: والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم النبي ﷺ فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة وزعموا أن الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله ﷺ قال: «ما هذا» فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيراً وقال: «ما هذا أردت، وما أحب البكاء» ونهى عنه^(١). وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير سواء. قال موسى بن عقبة: وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور الرجل وقالت اليهود: لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين: لو كنتم أطعمتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين يعني فيمن قتل منهم فقال: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [آل عمران: ١٢١] الآيات كلها كما تكلمنا على ذلك في «التفسير» والله الحمد والمنة.

خروج النبي ﷺ بأصحابه على ما بهم من القرع والجراح في أثر أبي سفيان

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد، وذكره رجوعه عليه السلام إلى المدينة: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكه القوم وحدهم، ثم تركتموهم ولم تبتروهم^(٢)، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فأمر رسول الله ﷺ - وبهم أشد القرع - بطلب العدو ليسمعوا بذلك وقال: لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال. فقال عبد الله بن أبي: أنا راكب معك. فقال لا، فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء فانطلقوا. فقال الله في كتابه: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] قال وأذن رسول الله ﷺ لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته^(٣)، قال وطلب رسول الله ﷺ العدو حتى بلغ حمراء الأسد^(٤). وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير سواء. وقال محمد بن إسحاق في مغازيه: وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه ألا يخرجن أحد من حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله فأذن له. قال ابن إسحاق: وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو ليلبغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم. قال ابن إسحاق رحمه الله: فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحداً وأنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: اتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عقبة^(٥) ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية^(٦) أميال فأقام بها الاثنین والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة. قال ابن هشام: وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، [أن] معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم غيبة رسول الله ﷺ بتهمته، صفتهم^(٧) معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ مشرك مرّ برسول الله ﷺ وهو مقيم بحمراء الأسد فقال: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج من عند

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/٣٠٠) عن عروة بن الزبير.

(٢) في رواية البيهقي: تبيدوهم.

(٣) في قتال أحد، وقد ناشدني ألا أترك نساءنا جميعاً وإنما أوصاني بالرجوع للذي أصابه من القتل فاستشهده الله عز وجل - زيادة في رواية البيهقي. قال الواقدي: قال جابر: فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيري.

(٤) نقل الخبر البيهقي في «الدلائل» (٣/٣١٣) عن عروة بن الزبير.

(٥) عقبة: من الاعتقاب في الركوب، نوبة.

(٦) في «ابن سعد»: على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة إذا أخذتها في الوادي.

(٧) صفتهم معه: أي اتفاهم معه. يقال: أصفقت مع فلان على الأمر: إذا اجتمعت معه عليه.

رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا: أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم. فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الخنق عليكم شيء لم أر مثله قط. قال ويملك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل. قال فوالله لقد أجمعنا الكزة عليهم لنستأصل شأفتهم، قال فإني أنهارك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر قال وما قلت؟ قال قلت:

كادت تُهدُّ من الأصواتِ راحلتي
تُردي بأسد كرام لا تنابلية
فظلتُ غدواً أظنُّ الأرضَ مائلةً
فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم
إني نذيرٌ لأهلِ البَنسَلِ ضاحيةٌ
من جيشِ أحمدَ لا وخشُّ قنابله

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه. ومرَّ به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا المدينة، قال: ولم؟ قالوا نريد الميرة؟ قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زيبياً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. وكذا قال الحسن البصري. وقد قال البخاري: حدثنا أحمد بن يونس، أراه قال، حدثنا أبو بكر^(٣)، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل^(٤). تفرد بروايته البخاري وقد قال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] قالت لعروة: يا ابن أخي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في إثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير^(٥). هكذا رواه البخاري وقد رواه مسلم مختصراً من وجه عن هشام وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي جميعاً عن سفيان بن عيينة. وأخرجه ابن ماجه من طريقه عن هشام بن عروة به. ورواه الحاكم في «مستدرکه» من طريق أبي سعيد عن هشام بن عروة به ورواه من حديث السدي عن عروة وقال في كل منهما صحيح ولم يخرجاه. كذا قال وهذا السياق غريب جداً فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي الباقيون. وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون في ذي القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وأنهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصحاب المسلمين القرح واشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ واشتد عليهم الذي أصابهم، وإن رسول الله ﷺ نذب الناس لينطلقوا بهم، ويتبعوا ما كانوا متعبين، وقال لنا ترحلون الآن فتأتون الحج ولا يقدرتون على مثلها حتى عام قابل. فجاء الشيطان يخوف أولياءه. فقال: إن الناس قد

(١) الجرد: الخيل العتاق.

(٢) وفي رواية: إذا تعظمت البطحاء بالخيل.

(٣) أحمد بن عبد الله بن يونس. وأبو بكر هو ابن عياش.

(٤) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير» - تفسير سورة آل عمران (١٣) باب ح (٤٥٦٣).

(٥) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٥) باب ح (٤٠٧٧) ومسلم في كتاب «فضائل الصحابة» (٦) باب ح (٥١)

وح (٥٢) عن أبي كريب.

جمعوا لكم، فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلاً فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهذا غريب أيضاً. وقال ابن هشام: حدثنا أبو عبيدة: أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة، فقال لهم صفوان بن أمية: لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا^(١) وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعوا فرجعوا. فقال النبي ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة «والذي نفسي بيده لقد سؤمت لهم حجارة، لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب» قال: وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك، قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، جد عبد الملك بن مروان لأمه عائشة بنت معاوية، وأبا عزة الجمحي، وكان رسول الله ﷺ قد أسره بيد رثم من عليه فقال: يا رسول الله أقلني، فقال: لا والله لا تمسح عارضيك بمكة [بعدها و] تقول خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه. قال ابن هشام: وبلغني عن ابن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت^(٢)، فضرب عنقه» وذكر ابن هشام أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاث فبعث رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال: ستجدانه في مكان^(٣) كذا وكذا فاقتلاه ففعلوا رضي الله عنهما. قال ابن إسحاق: ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان عبد الله بن أبي كما حدثني الزهري، له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر، له شرفاً في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخاطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوه. ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع. ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون ثيابه من نواحيه، وقالوا اجلس أي عدو الله والله لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكانما قلت بُجراً^(٤) أن قمت أشدد أمره. فلقية رجال من الأنصار^(٥) بباب المسجد فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: قمت أشدد أمره، فوثب إلي رجال من أصحابه^(٦) يجذونني ويعنفونني لكانما قلت بُجراً أن قمت أشدد أمره، قالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ. قال: والله ما أبغي أن يستغفر لي. ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١] قال إلى تمام ستين آية. وتكلم عليها، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا «التفسير» بما فيه كفاية. ثم شرع ابن إسحاق في ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان رضي الله عنهم ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلاً واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام ثم سمي ابن إسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً على قبائلهم أيضاً. قلت: ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي كما ذكره الشافعي وغيره وقتله رسول الله ﷺ صبراً بين يديه أمر الزبير - ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح - فضرب عنقه.

فصل

فيما تقاول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الإسلام ليكون أبلغ في وقعها من الأسماع والأفهام وأقطع لشبهة

- (١) حربوا: غضبوا.
- (٢) قال الواقدي: لم يأخذ رسول الله ﷺ يوم أحد أسيراً غير أبي عزة، وقد أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه. أما المغيرة فلم يأخذ رسول الله ﷺ؛ فقد انهزم يومئذ فمضى على وجهه قريباً من المدينة، فلما أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفان فضرب بابه فأدخله عثمان ناحية البيت. فأجله ثلاثاً ثم ارتحل. «المغازي» (١/٣٣٢).
- (٣) في الواقدي: بالجماء.
- (٤) أي أمراً عظيماً.
- (٥) في الواقدي: لقيه معوذ بن عفراء.
- (٦) منهم: أبو أيوب الأنصاري وعبادة بن الصامت.

الكفرة الطغام. قال الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب المخزومي وهو على دين قومه من قريش فقال:

بالود من هند إذ تعدو عواديها^(١)
والحربُ قد شغلت عني مواليتها
ما قد علمت وما إن لست أخفيها
حمال عبءٍ وأثقال أعانيها^(٢)
ساطٍ سبوح إذا يجري يباريها^(٣)
مكدمٌ لاحقٌ بالعُون يحميها
كجذع شغراء مستعمل مراقيها^(٤)
ومارناً لخطوبٍ قد ألقىها^(٥)
لظت عليّ فما تبدو مساويها^(٦)
عرض البلادِ علي ما كان يزجيتها
قلنا النخيل فأموها ومن فيها^(٧)
هابث معدٌ فقلنا نحن نأتيها
مما يرون وقد ضمت قواصيها
وقام هامُ بني النجار يبكيها
من قيض ريدٍ نفثه عن أداحيها^(٨)
بالِ تعاوزه منها سوافيها
ونطعنُ الخيل شزراً في مآقيها
يختصُّ بالنقري المشرين داعيها^(٩)
جرباً جماديةً قد بثت أسريها
من القريس ولا تسري أفاعيها
كالبرقي ذاكبة الأركان أحميها
من قبله كان بالمشتي يُغاليها^(١٠)
دنت عن السورة العليا مساعيها^(١١)

ما بال هم عميد بات يطرقني
باتت تعاتبني هند وتعدلني
مهلاً فلا تعدليني إن من خلقي
مساعف لبني كعب بما كلفوا
وقد حملت سلاحي فوق مشترفي
كانه إذ جرى غيرُ بندقية
من آل أعوج يرتاح الندي له
أعدته ورقاق الحد منتخلاً
هذا وبيضاء مثل النهي مُحكمة
سُقنا كنانة من أطراف ذي يمن
قالت كنانة أئى تذهبون بنا
نحن الفوارس يوم الجز من أحد
هابوا ضرباً وطعنأ صادقاً خدماً
ثمت رحنا كأننا عارض برد
كان هامهم عند الوغى فلق
أو حنظل ذعدعته الريح في غضن
قد نبذل المال سخاً لا حساب له
وليلة يصطلي بالفرت جازرها
وليلة من جمادى ذات أنديّة
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة
أوقدت فيها لذي الضراء جاحمة
أورثني ذلكم عمرو ووالده
كانوا يُبارون أنواء النجوم فما

قال ابن إسحاق فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال (قال ابن هشام: وتروى لكعب بن مالك وغيره. قلت: وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر والله أعلم):

سُقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم
إلى الرسول فجنذ اللّه مخزيتها

(١) العميد: المؤلم الموجع. والعوادي: الشواغل.

(٢) المساعف: المطيع عبء: هنا الأمور الشاقة العظام.

(٣) مشترف: مشرف. الساطي: الفرس البعيد الخطو.

(٤) أعوج: اسم فرس مشهور في العرب.

(٥) المارن: الرمح اللين.

(٦) لظت: أي ألصقت؛ ورواية أبي ذر: نيطت: علفت.

(٧) النخيل: عين قرب مكة.

(٨) القيض: قشر البيض الأعلى. والأداحي: جمع أدحى. وهو الموضع الذي تبيض فيه النعام.

(٩) النقري: أن تخص قوماً بالعدوة دون قوم.

(١٠) في «ابن هشام»: بالمشي بدل المشتي.

(١١) السورة: الرفعة والمنزلة.

فالنار موعدها والقتل لاقبها
أئمة الكفر غرتكم طواغيها
أهل القلب ومن القيثه فيها^(١)
وجز ناصية كنا مواليتها

بن أبي وهب المخزومي أيضاً:
من الأرض خرق سيره متنوع^(٢)
من البعد نفع هامد متقطع
ويحلو به غيث السنين فيمرع
كما لاح كثان التجر الموضع
ويبيض نعام قيضه يتقلع^(٣)
مذربة فيها القوانس تلمع^(٤)
إذا لبست نهبي من الماء مترع
من الناس والأنباء بالغيب تنفع
سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا
أعدوا لما يزجي ابن حرب ويجمع
فنحن له من سائر الناس أوسع
البرية قد أعطوا يداً وتوزعوا
من الناس إلا أن يهابوا ويفزعوا
علام إذا لم نمنع العرض نزرع^(٥)
إذا قال فينا القول لا نتطلع^(٦)
ينزل من جو السماء ويرفع
إذا ما انتهى آنا نطيع ونسمع
ذروا عنكم هول المثيات واطمعوا
إلى ملك يحيا لديه ويرجع
على الله إن الأمر لله أجمع
ضحياً علينا البيض لا نتخشع
إذا ضربوا أقدامها لا توزع^(٧)
أحابيش منهم حاسر ومقتنع
ثلاث مئين إن كثرنا فأربع^(٨)
نشارعهم حوض المنايا ونشرع
وما هو إلا الميثري المقطع

أوردتموها حياض الموت ضاحية
جمعتموهم أحابيشاً بلا حسب
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت
كم من أسير فككنا بلا ثمن
قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يجيب هيرة
ألا هل أتى غسان عنا ودونهم
صحارى وأعلام كأن قتامها
تظل به البزل العراميس زرحاً
به جيف الحسرى يلوخ صليها
به العين والآرام يمشين خلفه
مجالدنا عن ديننا كل فخمة
وكل صموت في الصوان كأنها
ولكن ببدر سائلوا من لقيتم
وأنا بأرض الخوف لو كان أهلها
إذا جاء مثا راكب كان قوله
فمهما يهت الناس مما يكيدها
فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده
نجالد لا تبقى علينا قبيلة
ولما ابتنوا بالعرض قالت سراتنا
وفينا رسول الله نثبع أمره
تدلى عليه الروح من عند ربه
نشاوره فيما نريد وقصرنا
وقال رسول الله لما بدوا لنا
وكونوا كمن بشري الحياة تقرياً
ولكن أخذوا أسيافكم وتوكلوا
فبنا إليهم جهرة في رحالهم
بملمومة فيها السنور والقنا
فجئنا إلى موج من البحر وسطه
ثلاثة آلاف ونحن نصية
نفاورهم تجري المنية بيننا
تهادي قسي الثبوع فينا وفيهم

(١) أهل القلب: يعني قتل بدر من المشركين.

(٢) متنوع: مضطرب.

(٣) العين: بقر الوحش.

(٤) الفخمة: الكتيبة العظيمة. والقوانس: رؤوس بيض السلاح.

(٥) العرض: موضع خارج المدينة.

(٦) لا نتطلع: أي لا نميل عنه. وتروى: لا نتطلع.

(٧) الملمومة: الكتيبة المجمعمة.

(٨) نصية: خيار القوم.

يذّر عليها السّم ساعة تصنع^(١)
 تمرُّ بأعراض البصّار تُقعقع
 جرادٌ صّبا في قرةٍ يتريّع
 وليس لأمر حمّه اللّه مدفع
 كأنهم بالقاع خشبٌ مصرع
 كأنّ ذكّانا حرّ نارٍ تلتقع
 جهامٌ هراقت ماءه الريخ مُقلع^(٢)
 أسود على لحم بيّشة ضلع^(٣)
 فعلنا ولكن ما لدى اللّه أوسع
 وقد جعلوا كلّ من الشّر يشبع
 على كل من يحيى الذمّار ويمنع
 على هالك عيناً لنا الدهر تدمع^(٤)
 ولا نحن ما جرّت الحرب نجزع
 ولا نحن من أظفارنا نتوجع^(٥)
 ويُفرج عنه من يليه ويسفع
 لكم طلب من آخر الليل مثبع
 من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
 ومن خذّه يوم الكريهة أضرع
 عليكم وأطراف الأسنة شرّع
 عزالى مزاد ماؤها يتهزّع^(٦)
 بذكر اللّواء فهو في الحمدي أسرع
 أبى اللّه إلا أمره وهو أصنع
 وهو يومئذ مشرك بعد:

إنما تنطق شيئاً قد فعل
 وكلا ذلك وجّة وقبيل
 وسواء قبر مُثّر ومُقل
 وبنات الدهر يلعبن بكل^(٧)
 فقريض الشعر يشفي ذا الغل
 وأكف قد أتت ورجل
 عن كماء أهلكوا في المنزل^(٨)

ومنجوفة حرميّة ضاعديّة
 تَصُوبُ بأبدان الرجال وتارة
 وخيلٌ تراها بالفضاء كأنها
 فلما تلاقينا ودارت بنا الرحا
 ضربناهم حتى تركنا سراتهم
 لدن غدوة حتى استفقتنا عشية
 وراحوا سراعاً موجعين كأنهم
 ورحنا وأخرانا بطاء كأننا
 فنلنا ونال القوم متا وربما
 ودارت رحانا واستدارت رحاهم
 ونحن أناس لا نرى القتل سبّة
 جلاذ على زيب الحوادث لا نرى
 بنو الحرب لا نعيأ بشيء نقوله
 بنو الحرب إن نظفز فلسنا بفحش
 وكنا شهاباً يتقي الناس حرّه
 فخرت عليّ ابن الزبغري وقد سرى
 فسئل عنك في عليا معدٍ وغيرها
 ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً
 شدّنا بحول اللّه والنصر شدة
 تكرر القنا فيكم كأن فروعها
 عمدنا إلى أهل اللّواء ومن يطرز
 فحانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا
 قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبغري في يوم أخذ
 يا غراب البين أسمعك فقل
 إن للخير وللشرّ مدى
 والعطيّات خساس بينهم
 كل عيش ونعيم زائل
 أبلغنا حسان عنّي آية
 كم ترى بالجرّ من جمجمة
 وسراويل حسانٍ سُريت

(١) المنجوفة: السهام. الحرمية: نسبة إلى أهل الحرم. الصاعديّة: نسبة إلى صاعد أحد الصنّاع.

(٢) الجهام: السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء.

(٣) في «ابن هشام»: ظلع بدل ضلع، وبيشة: موضع كثير الأسود.

(٤) جلاذ: جمع جليد، وهو الصبور.

(٥) في «ابن هشام»: أظفارها.

(٦) فروعها في الأصل وهو تحريف والصواب في «ابن هشام»: فروغها بالغين وهي الطعنات المتسعة. عزالى: جمع عزلاء وهي فم المزايدة.

(٧) بنات الدهر: حوادثه.

(٨) سراويل: الدروع.

ماجدِ الجديينِ بِمِقدامِ بطلِ
غيرِ ملتاثٍ لِدَى وَقَعِ الأسلِ
بِينِ أَحقافِ وهامِ كالْحَجَلِ
جَزَعِ الخِزرجِ مَنْ وَقَعِ الأسلِ
وَاستَحزَّ القَتْلُ في عِبْدِ الأهلِ^(١)
رَقَصَ الحَقانِ يعلووا في الجبلِ^(٢)
وعَدَلنا مَيلَ بَدْرِ فاعتدل
لو كررنا لَفعلنا المَفْتَعَلِ
عَلَّأَ تعلوهمُ بعدَ نَهْلِ

كَانَ مِنّا الفِضْلُ فيها لو عدلُ
وكِذاكَ الحِربُ أَحياناً ذولُ
حيثُ نَهوى عَلَّأَ بعدَ نَهْلِ
كسلاحِ النُّيبِ يَأكلُنَ العِصْلِ^(٣)
هَرَباً في الشُّعبِ أَشباةَ الرِسلِ
فأجأناكم إلى سَفْحِ الجِبلِ
مَنْ يلاقوه مِنَ النَّاسِ يَهْلِ^(٤)
وملأنا الفِرطَ مِنهَ والرجلِ
أيدوا جِبريلَ نَصراً فنزلِ^(٥)
طاعةَ اللّهِ وتَصديقِ الرُّسلِ
وقتلنا كلَّ جِحجاجِ رفلِ^(٦)
يَوْمَ بَدْرِ وَأحاديثِ المَثَلِ
يَوْمَ بَدْرِ والتَّنابيلِ الهَبْلِ
مِثْلَ ما يُجمَعُ في الخِصْبِ الهَمْلِ^(٧)
نَحْضِرُ البِئاسَ إذا البِئاسُ نزلِ

وكننتَ متى تَدُكِرُ تلججِ
أحاديثِ في الزمَنِ الأعوجِ
مِنَ الشُّوقِ والحِزَنِ المَنضِجِ
كرامِ المِداخِلِ والمِخْرَجِ

كم قتلنا من كريم سيدِ
صادقِ الننجدة قزمِ بيارعِ
فسل المِهْرَاسَ ما ساكئهُ
ليتَ أشياخي ببدرِ شهدوا
حينَ حَكَّتْ بِقِباءِ بركها
ثم خَفُوا عندَ ذاكِمْ رُقُصاً
فقتلنا الضُّعَفَ من أشرافهم
لا ألومُ النِّفْسَ إلا أننا
بسيوفِ الهِنْدِ تعلو هامهم
قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ذهبتِ بابنِ الزبَعْرِى وَقِعةُ
ولقد نلتُمُ ونلنا منكمُ
نضعُ الأسيافَ في أكتافكم
نخرجُ الأصباحَ من أستاذكم
إذ تولُّونَ على أعقابكم
إذ شددنا شدةً صادقَةً
بخناطيلِ كأشداقِ المِلا
ضاقَ عِنا الشُّعبُ إذ نجزعهُ
برجالِ لستُمُ أمثالهم
وعلونا يومَ بدرِ بالتقى
وقتلنا كل رأسٍ منهم
وتركنا في قريشِ عورة
ورسولَ اللّهِ حقاً شاهداً
في قريشِ من جموعِ جمعوا
نحنُ لا أمثالكم وُلدُ آستِها
قال ابن إسحاق: وقال كعب يبيكي حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم

نشجتَ وهل لك من منشجِ
تدُكِرُ قومِ أتاني لهم
فقلبك من ذكرهم خافقُ
وقتلاهم في جنانِ النعيمِ

(١) بركها: صدرها. عبد الأشل: هم بنو عبد الأشهل.

(٢) الحقان: فراخ النعام.

(٣) الأصبح: قال السهيلي: وصف اللبن الممدوق المخرج من بطونهم؛ وفي «ابن هشام» الأضياع: اللبن الممزوج بالماء. العصل: نبات يصلح الإبل إذا أكلته.

(٤) أشداق: تحريف؛ وفي «ابن هشام» أشداف ويراد بها جمع شدف، وكتب اللفظة جمعت شدف على شدوف. وروى أبو ذر: أمذاق أي: أخلاط الناس.

(٥) أيدوا جبريل: قال أبو ذر: أي أيدوا بجبريل.

(٦) الجحجاج: السيد؛ رفل: الذي يجرتوبه خيلاء.

(٧) الهمل: الإبل المهملة التي تترك في المرعى دون راع.

بما صبروا تحت ظلّ اللواء
غداة أجابت بأسياها
وأشباعُ أحمد إذ شايعوا
فما برحوا يضربون الكماة
كذلك حتى دعاهم عليك
وكلهم مات حرّ البلاء
كحزمة لما وفي صادقاً
فلقاء عبد^(٣) بنسي نوفل
فأوجره حربة كالشهاب
ونعمان أوفى بميثاقه
عن الحق حتى غدت روحه
أولئك لا من ثوى منكم

لواء الرسول بذي الأضوج^(١)
جميعاً بنو الأوس والخزرج
على الحق ذي النور والمنهج
ويمضون في القسط المرهج
إلى جنّة دوحه المولج
على ملّة الله لم يخرج
بذي هبة صارم سلجج^(٢)
يبربر كالجمل الأدعج
تلهب في اللهب الموهج
وحنظلة الخير لم يُحنج^(٤)
إلى منزل فاخر الزبرج
من النار في الدرك المرتج

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد وهي على روي قصيدة
أمية بن أبي الصلت في قتل المشركين يوم بدر. قال ابن هشام: ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان والله أعلم:

يامي قومي فاندبي بسحيرة شجو النوائح
المعولات الخامشات وجوه حرات صحائح
ينقضن أشعاراً لهنّ هناك بادية المسائح
من بين مشرور ومجزور يذعزع بالبوارح
ولقد أصاب قلبها مجل له جلب قوارح
أصحاب أحد غالهم دهر ألم له جوارح
يا حمز لا والله لا أنساك ما صرّ اللقائح
ولما ينوب الدهر في حرب لحرب وهي لافح
عنا شديداً الخطوب إذا ينوب لهنّ فادح
عنا وكان يعدّ إذ غد الشريفون الجحاح
لا طائش رعرع ولا ذو علة بالحمل آنح
أودي شباب إلى الحفاظ والثقلون المراجح
لحم الجلال وفوقه من شحمه شطب شرائح
لهفي لشبان رزئناهم كأنهم المصباح
المشترون الحمد بالأموال أن الحمد رابع

كالحاملات الوقير بالثقل الملحاح الدوالح
وكان سيل دموعها الأنصاب تُصبّ بالذباح
وكانها أذنان خيل بالضحي شمس روامح
يبكين شجو مسلمات كدحتهن الكوادح^(٥)
إذ أقصد الحدّثان من كئا نرجي إذ نشايح^(٦)
من كان فارسنا وحامينا إذا بُعث المسالِح
لمناخ أيتام وأضياف وأرملة تلامح^(٧)
يا فارساً يا مذرّها يا حمز قد كنت المصامح^(٨)
ذكرتني أسد الرسول وذاك مذرّهنا المنافع
يعلو القماقم جهرة سبط اليدين أغرّ واضح
بحرّ فليس يغب جاراً منه سيب أو منادح^(٩)
المطعمون إذا المشاتي ما يصفقهن ناضح
ليدفعوا عن جارهم ما رام ذو الضغن المكاشح
شم بطارقة غطارفة خضارمة مسامح^(١٠)
والجامزون بلجمهم يوماً إذا ما صاح صائح^(١١)

(١) الأضوج: جمع ضوج جانب الوادي.

(٢) السلجج: المرهج.

(٣) يريد به وحشي قاتل حمزة.

(٤) لم يحنج: لم يحد عن وجه الحق ولم يمل عما أراده.

(٥) مشرور: الذي وضع لحمه على خصفة ليحلف. يذعزع: يفرق. البوارح: الرياح الشديدة.

(٦) مجل: أي جرح ندي. جلب: جمع جلبه وهي قشرة الجرح التي تكون عند البرء.

(٧) اللقائح: جمع لقحة، وهي الناقة التي لها لبن. تلامح: أي تنظر بعينها نظراً سريعاً ثم تغضها.

(٨) المدره: المدافع عن القوم بلسانه ويده. والمصامح: الشديد الدفاع.

(٩) الآنح: البعير الذي إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المعتصر.

(١٠) الغطارفة: السادة، الخضارفة: المكثرون من العطاء.

(١١) الجامزون: الواثيون.

ما أن تزال ركابهُ يرسمن في غُبر صحاصح^(١)
حتى تؤوب له المعالي ليس من فوزِ السفائح^(٢)
أشكو إليك وفوقك التُّربُ المكورُ والصفائح^(٣)
في واسع يحشونه بالتُّرب سوتهُ المماسح
مَن كان أمسى وهو عما أوقعَ الحدثانِ جانح
القائلينَ الفاعلينَ ذوي السماحة والممادح
من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مائح^(٤)

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان. قال ابن إسحاق وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وأصحابه.

وجزعت أن سلخ الشباب الأغيذ
فهواك غوري وصخوك منجد
قد كنت في طلب الغواية تفند
أو تستفيق إذا نهاك المرشد
ظلت بنات الجوف منها ترعد
لرأيت رأسي صخرها يتبدد
حيث النبوة والندى والسؤدد
ريح يكاد الماء منها يجمد
يوم الكريهة والقنا يتقصد
ذو لبدة الششن البرائن أريد^(٥)
ورد الجمام فطاب ذاك المورد
نصروا النبي ومنهم المستشهد
لتميت داخل غصة لا تبرد
يوماً تغيب فيه عنها الأسعد^(٦)
جبريل تحت لوائنا ومحمد
قسمين نقتل من نشاء ونطرد
سبعون غتبه منهم والأسود
فوق الوريد لها رشاش مزبد
عضب بأيدي المؤمنين مهتد
والخيل تشفونهم نعام شرد^(٧)
أبدأ ومن هو في الجنان مخلد

وقال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة وأصحابه يوم أحد. قال ابن هشام: وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك فالله أعلم:

من كان يرمى بالنواقر من زمانٍ غير صالح
راحت تبارى وهو في ركب صدورهم رواشح
يا حمزُ قد أوحدتني كالعودِ شذبه الكوافح
من جندلٍ يُلقيه فوقك إذ أجاد الضرح ضارح
فمزاؤنا أنا نقول وقولنا بُزح بوارح
فليأتنا فلتبكِ عيناه لهلكانا النوافح

طرفت همومك فالرقاد مسهد
ودعت فؤادك للهوى ضميرية
فدع التماذي في الغواية سادراً
ولقد أتى لك أن تناهى طائعاً
ولقد هددت لفقد حمزة هدة
ولو أنه فجعته جراء بمثليه
قرم تمكّن في ذؤابة هاشم
والعاقرة الكوم الجلاذ إذا غدت
والتارك القرن الكمي مجدلاً
وتراه يرفل في الحديد كأنه
عم النبي محمد وصفية
وأتى المنية معلماً في أسرة
ولقد إخال بذاك هنداً بشرت
مما صبّخنا بالعقنقل قومها
وببئر بدر إذ يرد وجوههم
حتى رأيت لدى النبي سراتهم
فأقام بالعطن المعطن منهم
وابن المغيرة قد ضربنا ضربة
وأمية الجمحي قوم منله
فأتاك فل المشركين كأنهم
شئان من هو في جهنم ثاويأ

(١) النواقر: الدواهي والمصائب؛ والصحاصح: جمع صحصح: الأرض المستوية الملساء.

(٢) السفائح: جمع سفيح وهو من قدام الميسر.

(٣) الكوافح: الذين يتناولون بالقطع.

(٤) المائح: الذي ينزل في البئر فيملا الدلو إذا كان ماؤها قليلاً.

(٥) الششن: الغليظ.

(٦) العقنقل: الكتيب من الرمل.

(٧) تشفونهم: تطردهم.

وما يغني البكاء ولا العويل
أحمزة ذاكم الرجل القليل
هناك وقد أصيب به الرسول
وأنت الماجد البر الوصول^(١)
مخالطها نعيم لا يزول
فكل فعالكم حسن جميل
بأمر الله ينطق إذ يقول
فبعد اليوم دائلة تدول
وقائمتها بها يُشفى الغليل
غداة أتاكم الموت العجيل
عليه الطير حائمة تجول
وشيبة عضه السيف الصقيل
وفي حيزومه ليدن نبيل^(٢)
ففي أسيافنا منها فلول
فأنت الواله العبري الهبول
بحمزة إن عزكم ذليل

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب وهي أم الزبير عمة النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين:

بنات أبي من أعجم وخبير
وزير رسول الله خير وزير
إلى جنة يحيا بها وسرور
لحمزة يوم الحشر خير مصير
بكاء وحنناً مخضري ومسيري
يذود عن الإسلام كل كفور
لدى أضبع تعنادني ونسور
جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن إسحاق: وقالت نعم، امرأة شماس بن عثمان تبكي زوجها والله أعلم، والله الحمد والمنة:

على كريم من الفتيان لباس^(٣)
حمال ألوية ركب أفراس
أودي الجواد وأودي المطعم الكاسي
لا يبعد الله منا قرب شماس

قال فأجابها أخوها [أبو] ^(٤) الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال:

فإنما كان شماس من الناس
في طاعة الله يوم الروع والباس

بكت عيني وحق لها بكاهما
على أسد الإله غداة قالوا
أصيب المسلمون به جميعاً
أبا يعلى لك الأركان هدت
عليك سلام ربك في جنان
ألا يا هاشم الأخيار صبراً
رسول الله مصطبب كريم
ألا من مبلغ عني لؤياً
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا
نسيتم ضررتنا بقليب بدر
غداة ثوى أبو جهل صريعاً
وعتبه وابنه خراً جميعاً
ومتركنا أمية مجلعباً
وهام بني ربيعة سائلوها
ألا يا هند فابكي لا تملي
ألا يا هند لا تُبدي شماتاً

أسئلة أصحاب أخذ مخافة
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي
فوالله لا أنساك ما هبت الضبا
على أسد الله الذي كان مدرهاً
فياليت ثلوي عند ذاك وأعظمي
أقول وقد أعلى النعمي عشيرتي

يا عين جودي بفيض غير إساس
صعب البديهة ميمون نقيبته
أقول لما أتى الناعي له جزعاً
وقلت لما خلت منه مجالسه

أقنى حياءك في ستر وفي كرم
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته

(١) أبو يعلى: كنية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٢) مجلعب: الممتد مع الأرض الحيزوم: أسفل الصدر اللدن: الرمح اللين.

(٣) لباس: أن تستدر لين الناقة بأن تمسح ضرعها وتقول لها: بس بس. وهنا: استعارة للدمع الفاض.

(٤) من «ابن هشام».

قد كان حمزة ليث الله فاصطبري
وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان حين رجعوا من أحد:
رجمتُ وفي نفسي بلائيلُ جنة
من أصحاب بدرٍ من قريشٍ وغيرهم
ولكنني قد نلتُ شيئاً ولم يكن
وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة وفيما ذكرنا كفاية والله
الحمد. وقد أورد الأموي في «مغازيه» من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته ولا سيما ههنا فمن ذلك
ما ذكره لحسان بن ثابت: أنه قال في غزوة أحد فإله أعلم:

طاؤسوا الشيطان إذ أخزاهم
حين صاحوا صيحة واحدة
فأجبناهم جميعاً كلنا
أثبتوا نستعملوها مرة
واعلموا آتاً إذا ما نُضِجَتْ
فاستبان الخزي فيهم والفشل
مع أبي سفيان قالوا اعلُ هُبيل
رئنا الرحمن أعلسى وأجل
من حياض الموت والموت نهل
عن خيال الموت قذرٌ تشتعل
وكان هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبير والله أعلم.

آخر الكلام على وقعة أحد

فصل

قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا، ومن أشهرها وقعة أحد كانت في النصف من شوال منها، وقد تقدم بسطها والله الحمد.

وفيها في أحد توفي شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عمارة أيضاً حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ الملقب بأسد الله وأسد رسوله وكان رضيح النبي ﷺ هو وأبو سلمة بن عبد الأسد أرضعتهم ثويبه مولاة أبي لهب كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضيح الله عنهم فإنه كان من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضيح الله عنهم أجمعين.

وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقية وكان عقده عليها في ربيع الأول منها وبنى في جمادى الآخرة منها كما تقدم فيها ذكره الواقدي.

وفيها قال ابن جرير: ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب^(١) قال: وفيها علق بالهسين رضيح الله عنهم.

(١) في «تاريخ الطبري»: في النصف من شهر رمضان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها: كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد أبي طلحة الأسدي فانتهى إلى ما يقال له قطن^(١). قال الواقدي: حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا: شهد أبو سلمة أحداً، فجرح جرحاً على عضده [فرجع إلى منزله]^(٢) فأقام شهراً يداوى، فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة دعاه رسول الله ﷺ فقال: اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها وعقد له لواء وقال: سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة فانتهى إلى أدنى قطن وهو ماء لبني أسد وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جمعا حلفاء من بني أسد ليقتصدوا حرب النبي ﷺ فجاء رجل منهم^(٣) إلى النبي ﷺ فأخبره بما تمالأوا عليه فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه. فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعماً كثيراً لهم من الإبل والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة مماليك وأقبل راجعاً إلى المدينة فأعطى ذلك الرجل الأسدي الذي دلهم نصيباً وافرأ من المغنم، وأخرج صفى النبي ﷺ عبداً وخمس الغنيمة وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة. قال عمر بن عثمان فحدثني عبد الملك بن عبيد^(٤) عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، عن عمر بن أبي سلمة قال: كان الذي جرح أبي أسامة الجشمي فمكث شهراً يداويه فبرأ فلما برأ بعثه رسول الله ﷺ في المحرم يعني من سنة أربع إلى قطن فغاب بضع عشرة ليلة، فلما دخل المدينة انتفض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى^(٥). قال عمر: واعتدت أُمي حتى خلت أربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليال بقين من شوال فكانت أُمي تقول: ما بأس بالنكاح في شوال والدخول فيه، قد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبني فيه. قال: وماتت أم سلمة في ذي القعدة سنة تسع وخسين. رواه البيهقي^(٦). قلت سنذكر في أواخر هذه السنة في شوالها تزويج النبي ﷺ بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه في النكاح ومذاهب العلماء في ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

غزوة الرجيع

قال الواقدي: وكانت في صفر يعني سنة أربع بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليجيزوه قال والرجيع^(٧) على ثمانية أميال من عسفان. قال البخاري: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد^(٨) عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر

(١) قطن: جبل بناحية فيد، به ماء لبني أسد بن خزيمة ابن سعد (٥٠/٢).

(٢) من الواقدي.

(٣) هو الوليد بن زهير بن طريف عم زينب الطائية وكانت تحت طليب بن عمير من أصحاب رسول الله ﷺ قاله الواقدي.

(٤) في الواقدي: ابن عمير.

(٥) في الواقدي: الآخرة.

(٦) رواه البيهقي عن الواقدي مطولاً في «الدلائل» (٣١٩/٣، ٣٢٢) وقال في نهايته: ماتت أم سلمة بعد ذلك سنة إحدى وستين والله أعلم.

(٧) الرجيع: ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهذة والهذة على سبعة أميال من عسفان الطبري - ابن سعد - الواقدي.

(٨) قال الحافظ عبد العظيم: غلط عبد الرزاق وابن عبد البر، فقالا هذا في عاصم: هو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، وذلك وهم، وإنما هو خال عاصم، لأن أم عاصم بن عمر جميلة بنت ثابت، وعاصم هو أخو جميلة. ذكر ذلك الزبير القاسمي وعمه مصعب. «إرشاد الساري» (٣١٢/٦).

يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدغد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أونار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة [بعد بدر] (١) فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات (٢) الحارث يستحذ بها فأعارتها، قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيت يأكُل من قِطْفِ عنب وما بمكة يومئذ من ثمرة، وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت. فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو. ثم قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً. ثم قال:

ولستُ أبالي حينَ أقتل مسلماً على أي شقِّ كانَ في اللّهُ مصرعِي
وذلكَ في ذاتِ الإله وإنْ يشأ يباركُ على أوصالِ شِلْوِ ممزَعِ

قال: ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدُّبُرِ فحمته من رُسُلِهِمْ فلم يقدرُوا منه على شيء (٣). وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول: الذي قتل خبيبا هو أبو سَرْوَعَةَ قلت واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث في الرضاع وقد قيل: إن أبا سرّوعة وعقبة إخوان. فالله أعلم.

هكذا ساق البخاري في كتاب «المغازي» من صحيحه قصة الرجيع ورواه أيضاً في «التوحيد» وفي «الجهاد» من طرق عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان وأسد بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان والمشهور عمرو. وفي لفظ للبخاري بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وساق بنحوه. وقد خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف على أن ابن إسحاق إمام في هذا الشأن. غير مدافع كما قال الشافعي رحمه الله من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق. قال محمد بن إسحاق حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب. قال ابن إسحاق وهو أمير القوم (٤)، وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي أخو بني جَحْجَبِي بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر (٥) وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر رضي الله عنهم هكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة (٦) وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماههم كما قال ابن إسحاق، وعند البخاري أنهم كانوا عشرة وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فالله أعلم. قال ابن إسحاق فخرجوا مع القوم حتى إذا

(١) من «دلائل البيهقي» والواقدي. وفي الطبري يوم أحد.

(٢) ذكرها الواقدي: ماوية مولاة لبني عبد مناف، قال: وقد أسلمت بعدُ وحسن إسلامها.

(٣) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٠) باب ح (٣٩٨٩). وأخرجه في كتاب «الجهاد» باب هل يستأسر الرجل؟ وأعادته في المغازي وأخرجه أبو داود في «الجهاد» باب: في الرجل يستأسر.

(٤) في ابن سعد والسهيلي: أمر عليهم عاصم بن ثابت.

(٥) في «ابن هشام»: عمرو.

(٦) قال الواقدي: سبعة نفر، وزاد معتب بن عبيد أخا عبد الله بن طارق لأمه.

كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة^(١) غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلاً، فلم يرع القوم، وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوههم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم إنا والله ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت^(٢) فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، وقال عاصم بن ثابت والله أعلم والله الحمد والمنة:

ما علّتي وأنا جلدُ نابلُ والقوسُ فيها وترٌ عنابِلُ^(٣)
تزلُّ عن صفحتها المعابِلُ الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ^(٤)
وكلُّ ما حَمَّ الإلهُ نازلُ بالمرءِ والمرءُ إليه آيلُ
إن لم إقاتلُكم فأمي هابِلُ

وقال عاصم أيضاً:

أبو سليمانَ وريشُ المقعدِ وضالَةٌ مثلُ الجحيمِ الموقدِ
إذا النواجي افترشتْ لم أرعدِ ومجنأً من جلدِ ثورٍ أجردِ
ومؤمنٌ بما على محمد

وقال أيضاً:

أبو سليمانَ ومثلي راما وكان قومي مَغشراً كراماً^(٥)

قال: ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحبه. فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعه من سلافة بنت سعد بن سهيل وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها^(٦) يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فمنعته الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه، فناخذته، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً أبداً تنجساً. فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعه: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته. قال ابن إسحاق: وأما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق، فلانوا ورقوا ورجبوا في الحياة، وأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة، ليبيعهوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران^(٧) انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبه بالظهران. وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة. فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة. قال ابن إسحاق: فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهاب التميمي^(٨) حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه ليقتله بأبيه. قال: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فبعثه مع مولى له يقال له

وذكر ابن سعد أنهم كانوا عشرة؛ عليهم عاصم، ولم يذكر سوى سبعة زاد على ابن إسحاق معتب بن عبيد.

(١) الهدأة: قال ياقوت: الهدأة. وهو موضع بين عسفان ومكة، وكذا ضبطه أبو عبيد البكري الأندلسي، وقال أبو حاتم: يقال لموضع بين مكة والطائف الهدأة بغير ألف، وهو غير الأول.

(٢) زاد الواقدي وابن سعد: ومعتب بن عبيد.

(٣) عجزه في الواقدي: النبل والقوس لها بلايل (بلايل جمع بلبل: أي شدة الهم).

(٤) المعابل: جمع معبلة، وهو نصل عريض طويل.

(٥) في الواقدي:

أن أبو سليمان ومثلي رامي ورثت مجداً مَغشراً كراماً
أصبت مرثداً وخالداً قياماً

(٦) الحارث ومسافع: وفي ابن سعد: مسافع وجلاس.

(٧) الظهران: واد قرب مكة.

(٨) ذل الواقدي وابن سعد: ابتاعه (حجير) بشمانين مثقال ذهب؛ ويقال اشترته ابنة الحارث بن عامر بن نوفل بمائة من الإبل، والأول أصح.

نسطاس إلى التنعيم^(١) وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع رهط من قريش فيهم: أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قَدِمَ لِيقتل: أنشدك بالله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وأنت في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحُب أصحاب محمد محمداً قال: ثم قتله نسطاس. قال: وأما خبيب بن عدي: فحدثني عبد الله بن أبي نجيع، أنه حَدَّثَ عن ماوية مولاة حجيرة بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان عندي خبيب حبس في بيتي فلقد اطلعت عليه يوماً وأن في يده لقطفاً من عنب، مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل. قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيع أنهما قالوا: قالت قال لي حين حضره القتل: ابغني إليّ بحديدة أتطهر بها للقتل. قالت: فأعطيت غلاماً من الحلي الموسى، فقلت له: أدخل بها على هذا الرجل البيت؛ فقالت فوالله إن هو إلا أن ولي الغلام بها إليه، فقلت: ماذا صنعت! أصاب والله الرجل وثأره يقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك، ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ. ثم خلى سبيله. قال ابن هشام: ويقال إن الغلام ابنها^(٢). قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه، وقال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين^(٣) قال: ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدءاً^(٤) ولا تغادر منهم أحداً، ثم قتلوه. وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دُعي عليه، فاضطجع لجنبه زلت عنه. وفي «مغازي» موسى بن عقبة: أن خبيباً وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد وأن رسول الله ﷺ سمع يوم قُتلا وهو يقول وعليكما أو عليك السلام خبيب قتلته قريش. وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاده إلا إيماناً وتسليماً. وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه فضحكوا منه. وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن

- (١) التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة «معجم البلدان».
- (٢) قيل هو أبو حسين بن الحارث بن عدي بن نوفل بن عبد مناف «شرح المواهب اللدنية» وفي الواقدي: أبي حسين ابن ماوية «مغازي» (٣٥٨/١).
- (٣) يوجد على الهامش في هذا المكان ما نصه: «حاشية بخط المصنف؛ قال السهيلي: وإنما صارت سنة لأنها فعلت في زمن النبي ﷺ واستحسن من صنيعه، قال وقد صلاها زيد بن حارثة في حياة النبي ﷺ ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال: بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلاً من الطائف واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء، فمال به إلى خربة فإذا بها قتلى كثيرة، فلما هم بقتله قال له زيد: دعني حتى أصلي ركعتين. فقال: صل ركعتين فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، قال: فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين. فإذا صارخ يقول لا تقتله، فهاب وذهب لينظر فلم ير شيئاً، ثم جاء ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، فسمع أيضاً الصوت يقول: لا تقتله، فذهب لينظر ثم جاء، فقلت: يا أرحم الراحمين، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة في رأسها شعلة من نار فطعنه بها حتى أنفذه فوق ميثاً ثم قال: لما دعوت الله في المرة الأولى كنت في السماء السابعة ولما دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ولما دعوته في الثالثة أتيتك. قال السهيلي: وقد صلاها حجر بن عدي بن الأدبر حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه أنه خرج عليه وأراد خلعه، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين، فلما دخل على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: أو أنا أمير المؤمنين؟ وأمر بقتله فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتله رحمه الله. قال: وقد عاتبت عائشة معاوية في قتله فقال إنما قتله من شهد عليه، ثم قال: دعيني وحجراً فإني سألقاه على الجادة يوم القيامة، قالت: فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: حين غاب مثلك من قومي أ هـ. من الهامش.
- (٤) قال ابن الأثير في «النهاية»: يروى بكسر الباء: جمع بدة وهي الحصاة والنصيب، أي اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحدة حصته ونصيبه ويروى بالفتح: أي متفرقين في القتل واحداً بعد واحد، من التبديد (٦٥/١).

الدثنة فانه أعلم قال موسى بن عقبة: زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيبا^(١). قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث قال سمعته يقول: والله ما أنا قتل خبيبا لأنا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا مبصرة أخا بني عبد الدار أخذ الحرية فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحرية ثم طعنه بها حتى قتله. قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا قال: كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام^(٢) فكانت تصيبه خشية، وهو بين ظهري القوم، فذكر ذلك لعمر، وقيل إن الرجل مصاب، فسأله عمر في قدمة قدمها عليه فقال: يا سعيد ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته، فوالله ما خطررت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا أنشيت على. فزادته عند عمر خيرا. وقد قال الأموي: حدثني أبي قال: قال ابن إسحاق وبلغنا أن عمر قال: من سره أن ينظر إلى رجل نسيج وحده فليتنظر إلى سعيد بن عامر. قال ابن هشام: أقام خبيب في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه. وقد روى البيهقي من طريق إبراهيم بن إسماعيل حدثني جعفر بن عمرو بن أمية، عن أبيه، عن جده عمرو بن أمية، أن رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده قال جنت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون، فأطلقت، فوقع إلى الأرض ثم اقتحمت فانبذت قليلاً، ثم التفت فلم أر شيئاً فكانما بلعته الأرض فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة^(٣). ثم روى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو حكيم عن ابن عباس قال: لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لا هم أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله فيهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا لِي بِقَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَصَّاصُ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤] وما بعدها وأنزل الله في أصحاب السرية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْغَاتٍ اللَّهُ وَآفَةُ زُؤْفَاءٍ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال ابن إسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيب حين اجتمعوا على قتله (قال ابن هشام: ومن الناس من ينكرها له):

قبائلهم واستجمعوا كل مجمع^(٤)
علي لاني في وثاق بمضجع^(٥)
وقرنت من جذع طويل ممنع^(٦)
وما أرصد الأعداء لي عند مصرعي^(٧)
فقد بضعوا لحمي وقد باس مطمعي
ببشارك على أوصال ثلبو ممزع
وقد هملت عيناي من غير مجزع^(٨)
ولكن خذاري جحيم نار ملفع^(٩)
على أي جنب كان في الله مضجعي^(١٠)
ولا جزعا أني إلى الله مرجعي

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا
وكلهم مبيدي المداوة جاهد
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتي
فذا العرش صبرني على ما يزداد بي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
وقد خيروني الكفر والموت دونه
وما بي خذاز الموت إنني لميت
فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً
فليست بمبيد للمدو تخضماً

وقد تقدم في «صحيح البخاري» بيتان من هذه القصيدة وهما قوله:

(١) الخبر نقله البيهقي عن موسى بن عقبة وحرره في «الدلائل» (٣/٣٢٦) واختصر ابن عبد البر في «المدر» (١٥٩، ١٦١).

(٢) في الواقدي: على حمص.

(٣) «دلائل النبوة» (٣/٣٣١ - ٣٣٢).

(٤) ألبوا: جمعوا. تقول ألبت القوم على فلان إذا جمعتهم عليه وحضضتهم وحرشتهم به، فتألبوا أي اجتمعوا. مجمع: مكان الاجتماع.

(٥) في «ابن هشام»: بمضجع.

(٦) في «ابن هشام»: الأحزاب بدل الأعداء.

(٧) الجحيم: الملتهب المتقد، ومنه سميت النار الجحيم، ملفع: مشتعل. تلفع بالثوب: إذا اشتعل به.

(٨) في «ابن هشام»: مصرعي بدل مضجعي أرجو: أي أخاف وهي لفة وقد حمل بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ما لكم لا ترجون الله وقاراً﴾ أي لا تخافون.

فلسْتُ أبالي حين أقتل مسلماً
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
وقال حسان بن ثابت يرثي خبيبا فيما ذكره ابن إسحاق:
ما بال عينك لا ترقا مدامها
على خبيب فتى الفتيان قد علموا
فاذهب خبيبُ جزاك الله طيبة
ماذا تقولون إن قال النبي لكم
فيم قتلتم شهيد الله في رجل
وقال ابن هشام: تركنا بعضها لأنه أقدح فيها، وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بني لحيان فيما ذكره ابن إسحاق، والله أعلم والله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة.

إن سرُّك الغدرُ صرفاً لا مزاج له
قومٌ تواصلوا بأكل الجار بينهم
لو ينطقُ التنيس يوماً قام يخطبهم
وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلًا وبني لحيان على

فأت الرجيعَ فسأل عن دارٍ لحيان
فالكلبُ والقردُ والإنسان مثلان
وكان ذا شرف فيهم وذا شأن
غدرهم بأصحاب الرجيع رضي الله تعالى عنهم أجمعين:
أحاديثُ كانت في خبيب وعاصم
ولحيان جرامون شرُّ الجرائم^(٣)
بمنزلة الزمعانِ ذُبر القوادم^(٤)
أمانتهم ذا عفة ومكارم
هذيل توقى منكرات المحارم
بقتل الذي تحميه دون الحرائم^(٥)
حمت لحم شهادٍ عظيم الملاحم
مصارع قتلى أو مقاماً لماتم
بوافي بها الركبان أهل المواسم
رأى رأي ذي حزم بللحيان عالم
وإن ظلموا لم يدفعوا كف ظالم
بمجرى مسيل الماء بين المخارم
إذا نابهم أمر كراي البهائم
ويسميه بشعره كما ذكره ابن إسحاق رحمه الله تعالى:

يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
وابن البكير إمامهم وخبيب
واقاه ثم حمامه المكتوب^(٦)
كسب المعالي إنه لكسوب

(١) في «الديوان» و «ابن هشام»: القلق أي المتحرك الساقط.

(٢) الفشل: الجبان الضعيف. ورواية الصدر في الديوان: على خبيب وفي الرحمن مصرعه.

(٣) جرامون: كاسبون.

(٤) الزمعان: جمع زمع، وهو الشعر الذي يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها.

(٥) تحميه: يعني حاصم وقد حمته الذير.

(٦) لم ينون طارق لضرورة الشعر، على مذهب الكوفيين، والبصريون لا يرونه ضرورياً.

منع المقادة أن ينالوا ظهره حتى يُجالد إنه لتجيب
قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

سرية عمرو بن أمية الضمري

قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن] (١) عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف (٢) (وزاد بعضهم على بعض) قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمداً فإنه يمشي في الأسواق فنذكر ثارنا؟ فاتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله، وقال له: إن أنت وفيتني (٣) خرجت إليه حتى أغتاله، فإني هاد بالطريق خريث، معي خنجر مثل خافية النسرة. قال: أنت صاحبنا. وأعطاه بغيراً ونفقة وقال: اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد. قال قال العربي: لا يعلمه أحد. فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصبح ظهر الحية (٤) يوم سادسه، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلى فقال له قائل: قد توجه إلى بني عبد الأشهل، فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل، فعقل راحلته، ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده. فلما دخل ورآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه إن هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد. فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال له رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحني على رسول الله ﷺ كأنه يسارّه، فجبذه أسيد بن حضير وقال: تنح عن رسول الله ﷺ وجذب بداخل إزاره فإذا الخنجر فقال: يا رسول الله هذا غادر. فأسقط في يد الأعرابي وقال: دمي يا محمد. وأخذ أسيد بن حضير يلبيه، فقال له النبي ﷺ أصدقني ما أنت وما أقدمك؟ فإن صدقتني نفعك الصدق وإن كذبتني فقد اطلعت على ما هممت به. قال العربي فأنا آمن؟ قال وأنت آمن. فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال قد أمنتك فاذهب حيث شئت، أو خير لك من ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت أنت رسول الله، والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي. وضعفت (٥) ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان، ولم يطلع عليه أحد، فعرفت أنك ممنوع، وأنت على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان. فجعل النبي ﷺ يتبسم وأقام أياماً ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر. وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن حريس (٦) أخرجنا حتى تأتينا أبا سفيان بن حرب فإن أصبنا منه غرة فاقتلاه. قال عمرو فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بغيرنا، وقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في أن تأتي مكة فنطوف بالبيت سبعاً، ونصلي ركعتين فقلت [أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشوا أفئيتهم ثم جلسوا بها] (٧) إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق. فأبى عليّ فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً (٨) وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أمية واحزننا. فنذر (٩) بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير. وكان عمرو فاتكاً في الجاهلية. فحشد أهل مكة وتجمعوا، وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل. قال عمرو: فدخلت في غار، فتغيبت عنهم حتى أصبحت وياتوا يطلبوننا في الجبل، وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التميمي يَحْتَلِي لفرسه حشيشاً فقلت لسلمة بن أسلم: إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة، وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا، قال فخرجت إليه

(١) سقطت من الأصل واستدركت من الطبري: (٣٢/٣).

(٢) في رواية البيهقي: عون.

(٣) في رواية البيهقي: قويتني.

(٤) في البيهقي: الحرة. صبح سادسه.

(٥) في البيهقي: وضعفت نفسي.

(٦) في الأصل حريس، وهو تحريف، وما أثبتناه من «شرح المواهب» (١٧٨/٢).

(٧) سقط من الأصل واستدركت من «تاريخ الطبري» (٣٢/٣) وفي البيهقي: وأنا أعرف أهل مكة أنهم إذا أمسوا انفجروا بأنيتهم.

(٨) في الأصول والطبري، وفي البيهقي: سبعاً وهو مناسب أكثر.

(٩) في الطبري: فتبادرنا: وفي البيهقي: فنيد بنا.

فطعمته طعمته تحت الثدي بخنجري فسقط وصاح، فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه^(١)] وقلت لصاحبي لا تتحرك، فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك؟ قال: عمرو بن أمية الضمري. فقال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت لخير. ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فإنه كان بأخر رمق فمات، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [إلى التنعيم]^(٢) فقال صاحبي: يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله؟ فقلت له: أين هو؟ قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس. فقلت: أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئاً فانجُ إلى بعيرك فاقعد عليه، فأت رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، ودعني فإني عالم بالمدينة. ثم استدرت^(٣) عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثري، فطرحوا الخشبة فما أنسى وجيبها - يعني صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي، فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدري مع بقاء نفسي فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه، وأتى النبي ﷺ فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغليل: غليل ضجنان^(٤) فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي وخنجري، فبينما أنا فيه إذا أقبل رجل من بني الدبل بن بكر أعور طويل يسوق غنماً ومعزى، فدخل الغار وقال: من الرجل؟ فقلت رجل من بني بكر فقال: وأنا من بيني بكر ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول:

فلسْتُ بمسلم ما دمْتُ حياً ولستُ أدينُ دينَ المسلمينا

فقلت في نفسي: والله إني لأرجو أن أقتلك. فلما نام قمت إليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط، ثم خرجت حتى هبطت، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الأخبار، فقلت: استأسرا فأبى أحدهما فرمته فقتلته، فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقاً ثم أقبلت إلى النبي ﷺ فلما قدمت المدينة أتى صبيان الأنصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون: هذا عمرو، فاشتد الصبيان إلى النبي ﷺ فأخبروه، وأتته بالرجل قد ربطت إبهامه بوتر قوسي فلقد رأيت النبي ﷺ وهو يضحك ثم دعا لي بخير. وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام. رواه البيهقي^(٥). وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيبا لم ير له رمة ولا جسداً فلعله دفن مكان سقوطه. والله أعلم. وهذه السرية إنما استدرتها ابن هشام على ابن إسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدي لها لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر. فإله أعلم والله الحمد.

سرية بئر معونة^(٦)

وقد كانت في صفر منها وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال: إنها كانت بعد الخندق. قال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز، عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بني سليم رغل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقال القوم: والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ فقتلوهم فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت. ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه. ثم قال البخاري: حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن رغلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصباح على أحياء من العرب على رغل وذكوان وعصية وبني لحيان. قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً ثم إن ذلك رفع «بلغوا عنا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»^(٧) ثم قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا همام، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي

(١) من الطبري، وفي البيهقي: ودخلت الغار.

(٢) ما بين معكوفين من الطبري.

(٣) في «الطبري» و«البيهقي»: اشتدت.

(٤) الغليل: منابت الطلح، وضجنان: موضع بعينه.

(٥) رواه الطبري في «تاريخه» (٣١/٣ - ٣٢) والبيهقي عنه في «دلائله» (٣٢٣/٣، ٣٣٧).

(٦) انظر في غزوة بئر معونة: «طبقات ابن سعد» (٥١/٢)، «سيرة ابن هشام» (١٩٣/٣)، «مغازي الواقدي» (٣٣٧/١)، «تاريخ الطبري» (٣٣/٣)، ابن حزم ص (١٧٨)، «هيون الأثر» (٦١/٢)، «النويري» (١٣٠/١٧)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٣٣٨/٣).

(٧) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٨) باب غزوة الرجيع ح (٤٠٩٠) «فتح الباري» (٣٨٥/٧).

طلحة، حدثني أنس بن مالك: أن النبي ﷺ بعث حراماً (أخاً لأم سليم)^(١) في سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال، فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر^(٢) أو أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف^(٣) فطعن^(٤) عامر في بيت أم فلان فقال: غدة كغدة البكر^(٥) في بيت امرأة من آل فلان^(٦)، اتنوني بفرسي فمات على ظهر فرسه فانطلق حرام أخو أم سليم وهو^(٧) رجل أعرج ورجل من بني فلان فقال: كونا قريباً حتى آتيهم فإن آمنوني كنتم قريباً وإن قتلوني أتيتم أصحابكم فقال: أتؤمنوني حتى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يمدتهم وأومأوا إلى رجل فاتاه من خلفه فطعنه قال همام أحسبه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة فلجق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان في رأس جبل فأنزل الله علينا. ثم كان من المنسوخ «أنا لقد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» فدعا النبي ﷺ ثلاثين صباحاً على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله^(٨). وقال البخاري: حدثنا حبان، حدثنا عبد الله، أخبرني معمر حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس أنه سمع أنس بن مالك يقول لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضح على وجهه ورأسه وقال فزت ورب الكعبة. وروى البخاري عن عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا وأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة قال لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا أخبرنا بما رضينا عنك ورضيت عنا، فأخبرهم عنهم وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به، ومنذر بن عمرو وسمى به منذر. هكذا وقع في رواية البخاري مرسلأ عن عروة وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة فساق من حديث الهجرة وأدرج في آخره ما ذكره البخاري ههنا فالله أعلم^(٩). وروى الواقدي: عن مصعب بن ثابت، عن أبي الأسود وعن عروة: فذكر القصة وشأن عامر بن فهيرة وأخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء وذكر أن الذي قتله جبار بن سلمى الكلابي قال: ولما طعنه بالرمح قال فزت ورب الكعبة ثم سأل جبار بعد ذلك: ما معنى قوله فزت قالوا: يعني بالجنة، فقال: صدق والله ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك^(١٠). وفي مغازي موسى بن عقبة عن عروة أنه قال: لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون أن الملائكة وارته. وقال يونس عن ابن إسحاق فأقام رسول الله ﷺ يعني بعد أحد بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن

(١) حرام خال أنس بن مالك، وأم سليم قيل اسمها سهلة وقيل رملة وقيل مليكة (قاله ابن عبد البر) بنت ملحان كانت تحت مالك بن النضر أبو أنس بن مالك في الجاهلية فولدت له أنساً أسلمت مع قومها وعرضت الإسلام على زوجها فغضب ورفض وخرج إلى الشام وهناك هلك، فخلف عليها أبو طلحة الأنصاري.

(٢) السهل: البوادي، وأهل المدر: أي أهل البلاد.

(٣) في البيهقي: بألف أشقر وألف شقراء.

(٤) طعن: أصابه الطاعون.

(٥) البكر: بفتح الباء الموحدة، وسكون الكاف: الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس، والأنثى: بكرة وقيل في الطاعون أنواع: الطاعون من حيث اللغة: نوع من الوباء قاله في «الصحاح» وعند أهل الطب: ورم رديء قتال. يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً.

(٦) قيل من آل سلول؛ وقيل هي سلول بنت شيبان امرأة أخيه. والرجل الذي من بني فلان: المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح الخزرجي.

(٧) في الأصل: وهو رجل أعرج؛ ورواية البيهقي: ورجلان معه: رجل أعرج؛ هذا الرجل هو كعب بن زيد من بني دينار بن النجار؛ قال الذهبي: شهد بدرأً وقل مع النبي ﷺ يوم الخندق.

(٨) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٨) باب غزوة الرجيع ح (٤٠٩١).

(٩) رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/٣٥٢) وقال رواه البخاري في «الصحاح» كما تقدم. في الحاشية السابقة.

(١٠) «مغازي الواقدي» (٣٤٩/١).

محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة^(١) على رسول الله ﷺ بالمدينة فعرض عليه الإسلام، ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد وقال: يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك. فقال ﷺ إني أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو براء أنا لهم جار. فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المعتق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين فيهم: الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر في رجال من خيار المسلمين: فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم. فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم وقالوا: لن نحفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم - عَصِيَّة ورِعْلًا وذكوان والقارة - فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا أسيافهم، ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار، فإثمهم تركوه به رمق فارتث من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق. وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار، من بني عمرو بن عوف، فلم ينبتهما بمصاب القوم، إلا الطير تحوم حول العسكر فقالا: والله إن لهذه الطير لساناً، فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ فقال أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر فقال الأنصاري لكني لم أكن لأرغب بنفسني عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لأخبر عنه الرجال. فقاتل القوم حتى قتل. وأخذ عمرو أسيراً فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته، وأعتقه عن رقة كانت على أمه فيما زعم. قال وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بني عامر، حتى نزلا في ظل هو فيه وكان مع العامرين عهد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا: ممن أنتما قالوا: من بني عامر، فأمهلهم، حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلتهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثاراً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ: «لقد قتلت قتيلين لأديتكما» ثم قال رسول الله ﷺ: «هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً» فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره، فقال حسان بن ثابت في إخفاء عامر أبا براء ويحرض بني أبي براء على عامر:

بني أم البنين ألم يرغكم
تهكم عامر بأبي براء
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي
أبوك أبو الحروب أبو براء
قال ابن هشام: أم البنين أم أبي براء^(٣) وهي بنت عمرو بن عامر بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قال فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه في فخذه فأشواه^(٤) ووقع عن فرسه وقال: هذا عمل أبي براء، إن

وأنتم من ذوائب أهل نجد^(٢)
ليخفره وما خطأ كعمد
فما أحدثت في الحدثن بعدي
وخالك ماجد حككم بن سعد

(١) سمي عامر بملاعب الأسنة في يوم سوبان، يوم حرب كانت بين قيس وتميم، وذلك أن كان يخاطب أخاه طفيل فارس قرزل الذي كان قد أسلمه في هذا اليوم وفر. فقال:

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً
قال أبو ذر: يريد قول لييد:

نحن بني أم البنين الأربعة
قال السهيلي: وإنما قال الأربعة وهم خمسة: طفيل وعامر وربيعة وعبيدة الوضاح ومعاوية معوذ الحكماء. لأنه أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك لا كما قال بعضهم من أجل القافية.

(٣) قال السهيلي: واسمها ليلى بنت عامر.

(٤) أشواه: أخطأ مقتله. وقيل إنه بعدما وقع وثب قوم عامر عليه فأخذوه وقالوا لعامر: اقتصر فأخرجه من الحي، ثم حفر بئراً وقال: اشهدوا أنني قد جعلت ديتي في هذه البئر ثم رد فيها ترابها، قال الزرقاني: وعامر بن الطفيل ابن أخي أبي براء ملاعب الأسنة.

أمت قدمي لعمي فلا يتبعن به، وإن أعتس فسأرى رأيي^(١).

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحو سياق محمد بن إسحاق، قال موسى وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل مرثد بن أبي مرثد.

وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة - فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله - والله أعلم:

على قتلى معونة فاستهلي	بدمع العين سحاً غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا	ولاقتهم منايهم بقدر ^(٢)
أصابهم الفناء بمقد قوم	تخون عقداً حبلهم بقدر
فيا لهفي لمنذر إذ تولى	وأعتق في منيته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم	من أبيض ماجد من سر عمرو

غزوة بني النضير وفيها سورة الحشر

في «صحيح البخاري» عن ابن عباس: أنه كان يسميها سورة بني النضير. وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد. وقد أسنده ابن أبي حاتم في «تفسيره»: عن أبيه، عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري به، وهكذا روى حنبل بن إسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي، عن مطرف بن مازن اليماني، عن معمر، عن الزهري فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين، قال ثم غزا بني النضير، ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع. وقال البيهقي: وقد كان الزهري يقول هي قبل أحد، قال وذهب آخرون إلى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً^(٣). قلت: هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ولم يشعر بهما الذي معهما من رسول الله ﷺ ولهذا قال له رسول الله ﷺ «لقد قتلت رجلين لأديتهما»، قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية للعهد الذي كان ﷺ أعطاهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف، فلما أتاهم ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة ويريجنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي. فأتى رسول الله ﷺ من الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسأله عنه فقال رأيت داخل المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر، بما كانت يهود أرادت من الغدر به^(٤)، قال الواقدي: فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث إليهم أهل النفاق يشتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم وحى حبي بن أحطب وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ونابدوه بنقض العهد فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم، قال الواقدي: فحاصروهم خمس عشرة ليلة^(٥). وقال ابن إسحاق: وأمر النبي ﷺ بالتهيوء لحربهم والمسير إليهم. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول. قال ابن إسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليال، ونزل تحريم الخمر حيثنذ، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيب من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها، قال وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعة ومالك [بن أبي قوئل] وسويد وداعس قد بعثوا إلى

(١) الخبر في «ابن هشام» (١٩٥/٣) ونقله صاحب «الدرر» ص (١٦٢). وقال: سياق ابن إسحاق أحسن وأبين.

(٢) عجزه في الديوان: منايهم ولاقتهم بقدر.

(٣) «دلائل النبوة» (٣/٣٥٤).

(٤) «سيرة ابن هشام» (٣/٢٠١).

(٥) في الواقدي (١/٣٧٤) يوماً.

بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. فترىصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(١). وقال العوفي عن ابن عباس أعطى كل ثلاثة بغيراً يعتقبونه وسقاً^(٢) رواه البيهقي وروى: من طريق يعقوب بن محمد عن الزهري^(٣) عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن مسلمة: أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير، وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال. وروى البيهقي وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله ﷺ ضعوا وتعجلوا. وفي صحته نظر، والله أعلم، قال ابن إسحاق: فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٤) بابه، فيضعه على ظهر بغيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام. فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خيبر: سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها. فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ما رؤي مثله لحي من الناس في زمانهم. قال: وخلصوا الأموال لرسول الله ﷺ - يعني النخيل والمزارع - فكانت له خاصة، يضعها حيث شاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة ذكرا فقراً فأعطاهما^(٥) (وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة حكاة السهيلي). قال ابن إسحاق: ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان: وهما يامين بن عمير، أبو^(٦) كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما. قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني؟ فجعل يامين^(٧) لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله. قال ابن إسحاق: فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكما لها، يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته، وما سلط عليهم به رسوله، وما عمل به فيهم. ثم شرع ابن إسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطاً في كتابنا «التفسير» والله الحمد قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ عَلَيْنِهِمُ الْجَلَاءَ لَعْنَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٣ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ۝٤﴾ [الحشر: ١-٥] سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز وهو منيع الجناح فلا ترام عظمته وكبرياؤه وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه وما كان من السبب المفضي لقتالهم كما تقدم حتى حاصرهم المؤيد بالمرعب والرهب مسيرة شهر ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركايبهم على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانة لهم واحتقاراً فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار. ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل مع ما ادخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم. ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم وترك ما بقي لهم وأن ذلك كله سائغ فقال ما قطعتم من لينة - وهو جيد الثمر - أو تركتموها قائمة على

(١) الحلقة: السلاح كله، أو خاص بالدرع.

(٢) في البيهقي: وسقاء قال والجلاء: إخراجهم من أراضيهم إلى أرض أخرى.

(٣) في رواية البيهقي (٣/٣٦٠) يعقوب بن محمد الزهري.

(٤) النجاف: العتبة التي بأعلى الباب. والأسكفة: العتبة التي بأسفله.

(٥) زاد الواقدي: أنه أعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق.

(٦) في الأصول بن وهو تحريف، والتصويب عن «شرح السيرة» لأبي ذر الخشني.

(٧) كانت أخت يامين: الرواع بنت عمير تحت عمرو بن جحاش ابن عم يامين الذي جعل لرجل من قيس عشرة دنائير على أن يقتل عمرو فاغتاله فقتله فسز رسول الله ﷺ بذلك «الواقدي» (١/٣٧٤).

(٨) قوله أول الحشر: عن عروة عن عائشة: كان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام.

أصولها فيأذن الله . إن الجميع قد أذن فيه شرهاً وقدرأ فلا حرج عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد إنما هو إظهار للقوة وإخزاء للكفرة الفجرة . وقد روى البخاري ومسلم جميعاً عن قتبية عن الليث عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع ، وهي البويرة ، فأنزل الله ﴿ مَا قَلَعْتُمْ مِنْ لَيْتِهِ أَوْ تَرَكَتُمْهَا قَائِمَةً عَلَى أَسْوَلِهَا فَيَأْذِنَ اللَّهُ وَيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) [الحشر: ٥] وعند البخاري : من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير [وقطع وهي البويرة] (٢) ولها يقول حسان بن ثابت :
وهان على سرة بني لؤي
فأجابه أبو سفيان بن الحارث (٣) أنه يقول :

أدام الله ذلك من صنيع
ستمعلم أينما منها بيثري
قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف فإله أعلم .

لقد خزيت بفدرتها الحُبُورُ
وذلك أتهم كفروا برب
وقد أتوا معاً فهماً وعلماً
نذير صادق أدى كتاباً
فقالوا ما أتيت بأمرٍ صدق
فقال : بلى لقد أديتُ حقاً
فمن يتبعه يُهد لكل رُشد
فلما أشربوا غدراً وكفراً
أرى الله النبي برأي صدق
فأيده وسلطه عليهم
فغودر منهم كعب صريعاً
على الكفين ثم وقد علثه
بأمر محمد إذ دس ليلاً
فماكرة فأنزله بمكر
فتلك بنو النضير بدار سوء
غداة أتاهم في الزحف رهواً
وغسان الحماة مؤازروه
فقال السلم ويحكمم فصدوا
فذاقوا غيب أمرهم وبالا

وحرق في نواحيها السعير
وتعلم أي أرضينا نضير
كذلك الدهر ذو صرغ يدور (٥)
عظيم أمره أمر كبير
وجاءهم من الله النذير
وآيات مبينة تنير
وأنت بمنكر منا جدير
يصدقني به الفهم الخبير
ومن يكفر به يخز الكفور
وجد بهم عن الحق الثفور (٦)
وكان الله يخكم لا يجور
وكان نصيره نغم النصير
فذلت بعد مصرعه النصير
بأيدينا مشهورة ذكور
إلى كعب أخا كعب يسير
ومحمود أخو ثقة جسور
أبارهم بما اجترموا المبير (٧)
رسول الله وهو بهم بصير
على الأعداء وهم لهم وزير
وخالف أمرهم كذب وزور (٨)
لكل ثلاثة منهم بصير

- (١) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة الحشر، ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» و«السير» (١٠) باب ح (٢٩).
- (٢) ما بين معكوفين سقطت من «الصحيح»، واثبتت في رواية الليث. والحديث أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٤) باب حديث بني النضير، «فتح الباري» (٣٢٩/٧).
- (٣) سرة القوم: سادتهم. بني لؤي: يريد بهم شجعان قريش. قال الكرماني. رسول الله ﷺ وأقاربه؛ وذلك لأن قريشاً هم الذين حملوا كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة على نقض العهد بينه وبين رسول الله ﷺ حتى خرج معهم إلى الخندق.
- (٤) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي ﷺ وكان على كفره وقد أسلم بعد في «الفتح» وثبت مع النبي ﷺ.
- (٥) الحبور: جمع حبروهم علماء اليهود.
- (٦) في «شرح السيرة» لأبي ذر: وحاد بهم بدل وجد بهم: أي مال بهم.
- (٧) أبارهم: أهلكتهم.
- (٨) في رواية أبي ذر: وحالف: أي صاحب.

وأجلّوا عامدين لقينقاع وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لسؤال^(١) اليهودي، فتركناها قصداً. قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في بني النضير قول ابن لقيم العبسي، ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعي:

أحلّ اليهود بالجسي المزنم^(٢)
أهيبب عوداً بالودي المكمم^(٣)
تروا خيلةً بين الصلا ويرمرم^(٤)
عدو وما حيّ صديقي كمجرم
يهزون أطراف الوشيح المقوم
توورثن من أزمان عادٍ وجرهم
فهل بعدهم في المجد من متكرم
تليد الندى بين الحجون وزمزم
وتسمو من الدنيا إلى كل معظم
ولا تسألوه أمر غيب مرجم
لكم يا قريش والقليب الملمم
إليكم مطيعاً للعظيم المكرم
رسولاً من الرحمن حقاً بمعلم^(٥)
فلما أنار الحق لم يتلعثم
علواً لأمر خبئه الله مخكم
وأيقنت حقاً ولم أصدف
لدى الله ذي الرأفة الأراف
بهن اصطفى أحمد المصطفى
عزيز المقامة والموقف
ولم يأت جوراً ولم يعثف
وما آمن الله كالأخوف
كمصرع كعب أبي الأشرف
وأعرض كالجمال الأجنف
بوحى إلى عبده ملطف
بأبيض ذي هبة مرهف
متى يُنع كعب لها تذرف
فلنا من الشوح لم نشتف
دحوراً على زغم الأنف

أهلي فداء لامرئ غير هالك
يقيلون في خمر العضاء ويدلوا
فإن يك ظني صادقاً بمحمد
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم
عليهن أبطال مساعير في الوغى
وكل رقيق الشفرتين مهند
فمن مبلغ عني قريشاً رسالةً
بأن أخاهم فاعلمن محمداً
فدينوا له بالحق تجسم أموركم
نبي تلافته من الله رحمة
فقد كان في بدرٍ لعمري عبرة
غداة أتى في الخزرجية عامداً
مُعاناً بروح القدس ينكى عدوه
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه
أرى أمره يزداد في كل موطن
قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب، وقال ابن هشام قالها رجل من المسلمين ولم أر أحداً يعرفها لعلّي:
عرفت ومن يعتدل يعرف
عن الكلام المحكم اللاء من
رسائل تُدرس في المؤمنين
فأصبح أحمد فينا عزيزاً
فيا أيها الموعدوه سفاهاً
الستم تخافون أدنى العذاب
وإن تُضرعوا تحت أسيفه
غداة رأى الله طغيانه
فأنزل جبريل في قتله
فدس الرسول رسولاً له
فباتت عيون له معولات
وقلن لأحمد ذننا قليلاً
فجلاهم ثم قال: اظعنوا

(١) في «ابن هشام»: سماك اليهودي.

(٢) الحسى والحساء: مياه تغور في الرمل وتمسكها صلابة الأرض قاله أبو ذر. وقال السهيلي: ما يحس من الطعام. والمزنم: المقلل اليسير قال السهيلي: يريد أهلهم دار غربة في غير عشائهم. والمزنم هنا: الرجل يكون في القوم وليس منهم؛ أي المبعد الطريد «الروض الأنف» (١٧٧/٢).

(٣) في «ابن هشام»: جمر بدل خمر. والودي: صغار النخل.

(٤) الصلا ويرمرم: موضعان.

(٥) معلم: الموضع المرتفع المشرف.

وأجلى النضير إلى عُربة
إلى أذرعات ردافاً وهم
وتركنا جوابها أيضاً من سماك^(٢) اليهودي قصداً.
وكانوا بدارِ ذوي زُخرف
على كل ذي دَبْرٍ أعجف^(١)

ثم ذكر تعالى حكم الفيء وأنه حكم بأموال بني النضير لرسول الله ﷺ وملكها له فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى كما ثبت في «الصحيحين» عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصة فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل^(٣). ثم بين تعالى حكم الفيء وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم وطريقتهم ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب. قال الإمام أحمد: حدثنا عارم وعفان قالا: حدثنا معتمر، سمعت أبي يقول: حدثنا أنس بن مالك عن نبي الله ﷺ: أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال: فجعل يرد بعد ذلك. قال: وإن أهلي أمروني أن آتي نبي الله ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله ﷺ أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله. قال: فسألت النبي ﷺ فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول: كلا والله الذي لا إله إلا هو لا أعطيكنهن وقد أعطانيهن أو كما قالت. فقال النبي ﷺ لك كذا وكذا وتقول كلا والله ويقول لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا حتى أعطاهما حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به. ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا إلى بني النضير في الباطن كما تقدم ووعدهم النصر فلم يكن من ذلك شيء بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم وغروهم من أنفسهم فقال ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِئَكُمُ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَنَّ الْأَظْفَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: ١١-١٢]. ثم ذمهم تعالى على جنبهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشیطان حين قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهم أنهما في النار خالدین فیها وذلك جزاء الظالمین.

قصة عمرو بن سعدى القرظي

حين مر على ديار بني النضير وقد صارت يباباً ليس بها داع ولا مجيب وقد كانت بنو النضير أشرف من بني قريظة، حتى هداه ذلك على الإسلام وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة. قال الواقدي حدثنا إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تنزل^(٤) وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية. قال رأيت اليوم عبراً قد عبّرنا بها، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل، والعقل البار قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم، وخرجوا خروج ذل. ولا التوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزم ثم بيته في بيته أمنأ، وأوقع بابن سنية

(١) أذرعات: موضع بالشام. أعجف: هزيل ضعيف.

(٢) في الأصل سماك وهو تحريف.

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الحشر (٣) باب ح (٤٨٨٥) من طريق سفيان بن عيينة. وأخرجه مسلم في (٣٢) كتاب «المغازي» (١٥) باب ح (٤٨). والنسائي في «هشرة النساء» وأبو داود في الإمارة والترمذي في الجهاد وقال: حسن صحيح. والبيهقي في «الدلائل» (٣/١٨٥).

- الكراع: الدواب الصالحة للحرب عدة للحوادث.

- وفي رواية البيهقي: فكانت خالصة لرسول الله ﷺ خالصة ينفق منها على أهله نفقة سنة...

(٤) في البيهقي: لم تنزل.

سيدهم، وأوقع بيني قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب. يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني، وتعالوا نتبع محمداً والله إنكم لتعلمون أنه نبي، قد بشرنا به ويأمره ابن الهيثبان أبو عمير، وابن حراش وهما أعلم يهود جاءنا يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه، جاءنا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرته منهما السلام، ثم ماتا على دينهما ودفنهما بحرتنا هذه، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسبأ والجلأء. فقال الزبير بن باطا: قد والتوراة قرأت صفتة في كتاب باطا التوراة التي نزلت على موسى، ليس في المثاني الذي أحدثنا، قال فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال: أنت يا كعب. قال كعب: فلم والتوراة ما حُلت بينك وبينه قط، قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أينا. فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال عمرو ما عندي في أمره إلا ما قلت: ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً. رواه البيهقي.

غزوة بني لحيان

ذكرها البيهقي في «الدلائل»، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه في جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا: لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرة، فسلك طريق الشام ليرى^(١) أنه لا يريد بني لحيان، حتى نزل بأرضهم [من هذيل، ليصيب منهم غرة] فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنا هبطنا عسفان لرات قريش أنا قد جئنا مكة» فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين حتى جاء كراع الغميم ثم انصرفا، فذكر أبو عياش الزرقني: أن رسول الله ﷺ صلى بعسفان صلاة الخوف^(٢). وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عياش قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم^(٣). ثم قالوا تأتي الآن عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر [وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة] قال فحضرت فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع فرفعنا جميعاً، ثم سجد بالصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء قال ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف. قال فصلاها رسول الله ﷺ مرتين مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بني سليم. ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه^(٤). وقد رواه أبو داود: عن سعيد بن منصور، عن جرير بن عبد الحميد والنسائي عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن محمد بن المثني وبندار عن غندر عن شعبة ثلاثهم عن منصور به. وهذا إسناد على شرط «الصحيحين» ولم يخرج واحد منهما لكن روى مسلم^(٥) من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة فقاتلوا قتالاً شديداً فلما أن صلى الظهر قال

- (١) رواه البيهقي عن الواقدي في «الدلائل» (٣/٣٦١، ٣٦٣) وفي الواقدي منه وباختلاف كبير ونقله الصالحي في «السيرة الشامية» (٤/٤٦٣، ٤٦٥) وزاد في آخره؛ على المحاوراة بين عمرو بن سعدى وكعب بن أسد.
- (٢) في «الدلائل»: ووزا على الناس. قال بعض العلماء أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الخوف في عشرة مواضع؛ وقال أصحاب «المغازي» و«السير»، في أربعة مواضع: ذات الرقاع، وبعظن نخل، وعسفان وذو قرد.
- (٣) قال الواقدي: أول ما صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع، ثم صلاها بعد بعسفان بينهما أربع سنوات (قال الواقدي غزوة بني لحيان سنة ست) قال الواقدي: وهذا أثبت عندنا من غيره. الحديث رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/٣٦٥)، وما بين معكوفين من «الدلائل» وانظر «مغازي الواقدي» (١/٣٩٦).
- (٤) في «سنن أبي داود»: لقد أصبنا غرة، لقد أصبنا غفلة، لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة.
- (٥) أبو داود في كتاب «الصلاة»، صلاة الخوف ح (١٢٣٦) (١١/٢).
- (٥) «صحيح مسلم»: (٦) كتاب صلاة المسافرين (٥٧) باب صلاة الخوف (٣٠٧).

المشركون لو ملنا عليهم ميلا لاقتطعناهم فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وذكر لنا رسول الله ﷺ قال: «وقالوا إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد» فذكر الحديث كنعو ما تقدم وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا هشام عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: «صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل فهتم به المشركون ثم قالوا: دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب إليهم من أبنائهم، قال: فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره فصلى بأصحابه صلاة العصر فصفهم صفين: بين أيديهم رسول الله ﷺ والعدو بين يدي رسول الله ﷺ فكبر وكبروا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرين قيام، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرين قيام فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون^(١)، وقد استشهد البخاري في «صحيحه» برواية هشام هذه عن أبي الزبير عن جابر. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي^(٢)، حدثنا عبد الله بن شقيق حدثنا أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر، فأجمعوا أمرهم فميلوا عليهم ميلا واحدة. وإن جبريل أتى رسول الله ﷺ وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلي بعضهم ويقدم الطائفة الأخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم تأتي الأخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ولرسول الله ركعتان. ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصمد به، وقال الترمذي حسن صحيح. قلت إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خير إلا فهو من مراسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم. ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة. بقي الشأن في أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها، فإن من العلماء منهم الشافعي من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فإنهم أخرت الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها، ولهذا قال بعض أهل المغازي: إن غزوة بني لحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بني قريظة. وقد ذكر الواقدي بإسناده عن خالد بن الوليد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بأزائه وتعرضت له، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهمنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا فأطلعنا الله على ما في أنفسنا من الهتم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف. قلت: وعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي. وفي سياق حديث أبي عياش الزرقني ما يقتضي أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فافتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها والله أعلم. وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب «الأحكام الكبير» إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

غزوة ذات الرقاع^(٣)

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر^(٤). قال ابن هشام: ويقال عثمان بن عفان، قال ابن إسحاق فسار حتى نزل نخلاً وهي غزوة ذات الرقاع. قال ابن هشام لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع، وقال الواقدي بجبل فيه بقع حمر وسود ويبيض. وفي حديث أبي موسى: إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر. قال ابن إسحاق: فلقني بها جمعاً [عظيماً] من غطفان فتقارب الناس، ولم يكن بينهم

(١) أخرجه البخاري معلقاً «فتح الباري» (٤٣٦/٧). وأخرجه مسلم في (٦) كتاب «المساجد» (٥٧) باب صلاة الخوف (٣٠٨) (١/٥٧٥).

(٢) الهنائي: نسبة إلى هناة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس، بطن من الأزدي. «اللباب» (٢٩٤/٣).

(٣) انظر في غزوة ذات الرقاع: «ابن سعد» (٦١/٢) «سيرة ابن هشام» (١١٣/٣) «أنساب الأشراف» (١٦٣/١) «مغازي الواقدي»

(٣٩٥/١) «صحيح مسلم شرح النووي» (١٧/١٢) «تاريخ الطبري» (٣٩/٣) ابن حزم ص (١٨٢) «عيون الأثر» (٧٢/٢)

«التويري» (١٥٨/١٧) «دلائل البيهقي» (٣٦٩/٣) «السيرة الحلبية» (٣٥٣/٢).

(٤) قال ابن سعد: استعمل عثمان بن عفان؛ وقال الزرقاني: قاله ابن إسحاق وتعقبه ابن عبد البر بأنه خلاف ما عليه الأكثر، ويأن أبا ذر لما أسلم بمكة رجع إلى بلاده فلم يجيء إلا بعد الخندق.

حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، [ثم انصرف الناس] (١) وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ههنا: عن عبد الوارث بن سعيد التنوري، عن يونس بن عبيد، عن الحسن بن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر. وقد ذهب البخاري إلى أن ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بأن أبا موسى الأشعري شهدا كما سيأتي وقدمه إنما كان ليالي خيبر صحبة جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال: صليت مع رسول الله ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف، وما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله ﷺ في القتال أول ما أجازه يوم الخندق. وقد ثبت عنه في «الصحیح» أنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر صلاة الخوف، وقول الواقدي: أنه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع في أربعمائة ويقال سبعمائة من أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر، ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق لأن الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهود، وقيل في شوال سنة أربع، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا.

قصة غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة: حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن بن جابر بن عبد الله أن رجلاً من بني محارب، يقال له: غورث (٢)، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حجره. فقال: يا محمد، انظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم، فأخذه ثم جعل يهزه ويهم، فكبته الله. ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا، ما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف. قال: لا، يمنعني الله منك. ثم عمد إلى سيف النبي ﷺ فرده عليه فأنزل الله عز وجل ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١١]. قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش، أخي بني النضير وما هم به (٣). هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدري رأس الفرقة الضالة وهو إن كان لا يتهم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها. وهذا الحديث ثابت في «الصحیحين» من غير هذا الوجه والله الحمد. فقد أورد الحافظ البيهقي (٤) هاهنا طرقاتاً لهذا الحديث من عدة أماكن، وهي ثابتة في «الصحیحين» من حديث الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة عن جابر: أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القائلة في واد كثير العضاء (٥) فتفرق الناس يستظلون بالشجر، وكان رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة (٦) فعلق بها سيفه. قال جابر: فمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فأجبناه، وإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله فشام (٧) السيف وجلس، ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك، وقد رواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عفان، عن أبان، عن يحيى بن أبي

- (١) من «ابن هشام»: قال ابن سعد والواقدي: وقد غاب خمس عشرة ليلة.
 - (٢) قال الخطابي: غورث، وحكى الخطيب فيه: كورث «شرح المواهب».
 - (٣) «سيرة ابن هشام» (٢١٦/٣).
 - (٤) تناول البيهقي قصة غورث في «دلائل النبوة» في باب عصمة الله عز وجل رسوله ﷺ عما هم به غورث بن الحارث من قتله وكيفية صلاته في الخوف (٣٧٣/٣).
 - (٥) العضاء: شجر عظيم الشوك، شوكه كالطلع، والعوسج.
 - (٦) في البيهقي: سمرة.
 - (٧) شام: كلمة من الأضداد تعني إذا سل سيفه وإذا أغمدته، والمراد هنا: أغمدته.
- والحديث أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٣١) باب غزوة ذات الرقاع «فتح الباري» (٤٢٦/٧) ورواه مسلم في (٤٣) كتاب «الفضائل» (٤) باب ح (١٣) وح (١٤).

كثير، عن أبي سلمة، عن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع، وكنا إذا أتينا على الشجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاخترطه وقال لرسول الله ﷺ تخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك، قال: فهده أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلقه. قال: ونودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان. وقد علقه البخاري بصيغة الجزم عن أبان به. قال البخاري وقال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر: أن اسم الرجل غورث بن الحارث. وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس، عن جابر قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان^(١) بنخل فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، وقال: من يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف. وقال: من يمنعك مني؟ فقال كن خير آخذ. قال: تشهد أن لا إله إلا الله قال: لا. ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس. ثم ذكر صلاة الخوف وأنه صلى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين^(٢). وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حثمة، وحديث الزهري عن سالم [ابن عبد الله] عن أبيه [عبد الله بن عمر] في صلاة الخوف بنجد^(٣). وموضع ذلك كتاب الأحكام. والله أعلم.

قصة الذي أصيبت امرأته يومذاك

قال محمد بن إسحاق: حدثني عمي صدقة^(٤) بن يسار عن عقيل بن جابر، عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها، وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دمماً فخرج يتبع إثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا [هذه] فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار. فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونا بقم الشعب من الوادي، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا إلى قم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره؟ قال: بل أكفي أوله، فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريثة^(٥) القوم فرمى بسهم فوضعه فيه، فانتزعه ووضعه وثبت قائماً قال: ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً قال: ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أمهّب صاحبه، فقال: اجلس فقد أثبت قال: فوثب الرجل فلما رآها عرف أنه قد نذرا به، فهرب قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال سبحان الله: أفلا أهبتني أول ما رماك؟ قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع علي الرمي ركعت فأذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها. هكذا ذكره ابن إسحاق في «المغازي» وقد رواه أبو داود عن أبي توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن إسحاق به. وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن أبيه حديث صلاة الخوف بطوله قال: وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالهم نسوة، وكان في السبي جارية وضيئة وكان زوجها يحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دمماً أو يخلص صاحبه ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق. قال الواقدي وكان جابر بن عبد الله يقول بينا أنا مع رسول الله ﷺ إذا جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله ﷺ ينظر إليه فأقبل إليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه، فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: أتعجبون من هذا الطائر

(١) في البيهقي: محارب خصفه بنخل.

(٢) «دلائل البيهقي» (٣/٣٧٥).

(٣) «دلائل النبوة» (٣/٣٧٩) وما بين معكوفين من «الدلائل».

(٤) صدقة بن يسار رجل خزري سكن مكة، وليس بعم لمحمد بن إسحاق. وأخرج الحديث أبو داود في «سننه» عن ابن إسحاق

ولم يذكر فيه «عمي» قاله أبو ذر؛ وراه ابن جرير بإسناده دون ذكر عمي. راجع الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣/٢١٨).

(٥) الريثة: الطليعة الذي يحرس القوم، يقال ربأ القوم إذا حرسهم «شرح أبي ذر» ص (٢٩٥).

أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه فوالله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه^(١).

قصة جمل جابر

قال محمد بن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: ما لك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا. قال: أنخه، قال فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو أقطع عصاً من شجرة، ففعلت. فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات، ثم قال: اركب، فركبت فخرج، والذي بعثه بالحق يواثق^(٢) ناقته مواهقة. قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال: أتبيعي جملك هذا يا جابر؟ قال: قلت بل أهبه لك قال: لا ولكن بعنيه، قال: قلت فسمنيه، قال: قد أخذته بدرهم، قال: قلت لا إذا تغبني يا رسول الله، قال: فبدرهمين، قال: قلت لا، قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية، قال فقلت: أفقد رضىيت؟ قال: نعم، قلت فهو لك، قال: قد أخذته ثم قال: يا جابر هل تزوجت بعد، قال قلت: نعم يا رسول الله، قال: أثيباً أم بكرأ، قال: قلت بل ثيباً، قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك، قال: قلت يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً^(٣)، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رؤوسهن فتقوم عليهن. قال: أصبت إن شاء الله، أما إننا لو جئنا صراراً^(٤) أمرنا بجزور فنحرت، فأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها، قال: فقلت والله يا رسول الله ما لنا نمارق، قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً، قال: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا. قال: فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونك فسمع وطاعة، فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست في المسجد قريباً منه، قال: وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: ما هذا، قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر، قال: فأين جابر؟ فدعيت له، قال: فقال: يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك، قال: ودعا بلالاً فقال: اذهب بجابر، فأعطه أوقية، قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً سيراً، قال: فوالله ما زال ينمي عندي، ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا، يعني يوم الحرة^(٥). وقد أخرجه صاحب «الصحیح» من حديث عبيد الله بن عمر العمري عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه^(٦) قال السهيلي: في هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له تمن علي. وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] وزادهم على ذلك في قوله ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] والروح للإنسان بمنزلة المطية كما قال عمر بن عبد العزيز. قال: فلذلك اشترى رسول الله ﷺ من جابر جملة وهو مطيته، فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك. قال ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه. وهذا الذي سلكه السهيلي هاهنا إشارة غريبة وتخييل بدیع والله سبحانه وتعالى أعلم. وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه «دلائل النبوة»^(٧) على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال: باب ما كان ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن الجمل

(١) مغازي الواقدي (٣٩٧/١) ونقله عنه البيهقي في «الدلائل» (٣٧٩/٣).

(٢) يواثق ناقته: أي يباريها في «السير» ويماشيها، ومواهقة الإبل مد أعناقها في «السير» النهاية (٢٣٤/٤).

(٣) في الواقدي: تسعاً.

(٤) صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة «معجم البلدان».

(٥) المراد وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المري، وكان سببها حركة المدينة ضد يزيد وأخراجهم مروان بن الحكم وبني أمية من المدينة. ورد يزيد بإرساله قائده ابن عقبة حيث أبيضت المدينة ثلاثة أيام أمام جيشه بما فيها من مال أو ورقة أو سلاح أو طعام انظر الطبري (٦/٧ - ٧).

(٦) في (٣٤) كتاب «البيع» (٣٤) باب شراء الدواب «فتح الباري» (٣٢٠/٤).

(٧) (٣٨١/٣).

وكيفية ما اشترط في البيع. وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم. وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتي ومستبعد تعداد ذلك والله أعلم.

غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم. قال ابن إسحاق: ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول. قال ابن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ بدرأ وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان. وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظهران. وبعض الناس يقول قد بلغ عُسفان، ثم بدا له في الرجوع فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، فإن عامكم هذا عام جذب، وإني راجع فارجعوا. فرجع الناس، فسامهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق. قال: وأتى مخشي بن عمرو الضمري، وقد كان وادع النبي ﷺ في غزوة ودان على بني ضمرة فقال: يا محمد أجيئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بني ضمرة، وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، قال: لا والله يا محمد ما لنا بذلك من حاجة. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً. قال ابن إسحاق وقد قال عبد الله بن رواحة يعني في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك قال ابن هشام وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك:

لميعاده صدقاً وما كان وافيأ
لأبت ذميماً وافتقدت المواليا
وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويأ
وأمركم السيء الذي كان غاويأ
فدى لرسول الله أهلي وماليا
شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديأ

وعَدْنَا أبا سفيانَ بدرأ فلم نجد
فأقسمُ لو لاقيتْنَا فلقيتْنَا
تركنا به أوصال عتبه وابنة
عصيتم رسول الله أف لدينكم
فإني وإن عئفتموني لقائل
أطعناه لم نعدله فينا بغيره
قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في ذلك:

جِلادٌ كأفواه المخاض الأوارك^(١)
وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
فقولاً لها ليس الطريق هنالك^(٢)
بأرعن جرارٍ عريض المبارك^(٣)
وقب طوال مشرفات الحوارك
مناسم أخفاف المطي الرواتك
فراة بن حيان يكن رهن هالك
يزد في سواد لونه لون حالك
فإنك من غر الرجال الصعالك
وقد أسلم فيما بعد ذلك:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم
إذا سلكت للغور من بطن عالج
أقمنا على الرس النزوع ثمانياً
بكل كميته جوزه نصف خلقه
تري العرفج العامي تذي أصوله
فإن تلق في تطوافنا والتماسنا
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده
فأبلغ أبا سفيان عني رسالة
قال: فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
أحسن إننا يا ابن آكلة الففا
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

وجدك نغتيال الخروق كذلك^(٤)
ولو وألث منا بشد مدارك

(١) فلجات: جمع فلج، وهو الماء الجاري: سمي فلجاً لأنه فذخ في الأرض، وفرق بين جانبيه.

(٢) عالج: مكان فيه رمل كثير.

(٣) أرعن: الجيش الكثير الذي له اتباع وفضول.

(٤) الففا: التمر، وقيل: هو غبرة تعلقو التمر قبل أن يطيب. نغتيال: نقطع. الخروق: القفار.

مد من أهل الموسم المتعارك^(١)
وتتركنا في النخل عند المدارك
فما وطئت الصقته بالدكادك
بجزي الجياد والمطي الرواتك^(٢)
كما أخذكم بالعين أرطال أنك
على نحو قول المعصم المتماسك
فوارس من أبناء فهير بن مالك
ولا حرمات دينها أنت ناسك^(٤)

إذا ما انبعثنا من مناخ حسنته
أقمت على الرس النزوع تيريدنا
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا
أقمنا ثلاثاً بين سلع وفارح
حسبتم جلاد القوم عند فنائكم^(٣)
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها
سعدتم بها وغيركم كان أهلها
فإنك لا في هجرة إن ذكرتها

قال ابن هشام: تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعده أبي سفيان وانبعث المنافقون في الناس يشبطونهم فسلم الله أوليائه، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدر وأخذوا معهم بضائع، وقالوا: إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنة ورجوعه وفي مقابلة الضمري، وعرض النبي ﷺ المناظرة فأبى ذلك^(٥). قال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة. وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع، والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان لكن قال في سنة ثلاث وهذا وهم فإن هذه تواعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم. قال الواقدي: فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين^(٦). وقال غيره: فانقلبوا كما قال الله عز وجل: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَفَضِّلُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ سَوَاءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٤].

فصل

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير: وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه يعني من رقية بنت رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه. قلت: وفيه توفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وأمه برة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكان رضيح رسول الله ﷺ ارتضعا من ثوية مولاة أبي لهب. وكان إسلام أبي سلم وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ثم عاد إلى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد، ثم هاجر من مكة إلى المدينة وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم، وشهد بدرًا وأحدًا ومات من آثار جرح جرحه بأحد رضي الله عنه وأرضاه، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله ﷺ بأم سلمة قريباً. قال ابن جرير: وفي ليال خلون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية. وقد حكى أبو عمر بن عبد البر: عن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال: كانت أخت ميمونة بنت الحارث^(٧). ثم استغربه وقال لم أراه

(١) المدمن: الموضع الذي ينزلون فيه فيتركون به الدمن، أي آثار الدواب والإبل، وأرواها وبعارها.

(٢) سلع وفارح: جبلان.

(٣) في «ابن هشام»: قباهم؛ وفي «طبقات الشعراء»: حول بيوتكم.

(٤) وتروى: ولا حرمات الدين أنت بناسك.

(٥) نقل الخبر البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٨٥ - ٣٨٦). و «الدرر» في اختصار «المغازي» و «السير» ص (١٦٨).

(٦) «مغازي الواقدي» (١/ ٣٨٤).

(٧) تقدم نسب زينب بنت خزيمة، أما ميمونة فهي بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة.

لغيره. وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم. وأصدقها ثنتي عشرة أوقية ونشاً^(١) ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها. قال أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني: ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف. قال ابن الأثير في «أسد الغابة» وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد. قال أبو عمر: ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله ﷺ وقيل لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة^(٢) حتى توفيت رضي الله عنها. وقال الواقدي في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة^(٣) بنت أبي أمية. قلت: وكانت قبله عند زوجها أبي أولادها أبي سلمة بن عبد الأسد وقد كان شهد أحداً كما تقدم، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برىء، ثم خرج في سرية فغنم منها نعماً ومغنماً جيداً، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين^(٤) من جمادى الأولى من هذه السنة، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مرراً فتذكر أنها امرأة غيرى أي شديدة الغيرة وأنها مصيبة أي لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم، فقال: أما الصبية فلإلى الله وإلى رسوله أي نفقتهم ليس إليك، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها، فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له: قم فزوج النبي ﷺ تعني قد رضيت وأذنت. فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك والله الحمد والمنة. وإن الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر ولدها وساغ هذا لأن أباه ابن عمها فللابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة النبوة بالإجماع. وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً، فأما محض النبوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله. ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه وهو كتاب النكاح من «الأحكام الكبير» إن شاء الله.

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، يعني ابن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب، عن أم سلمة قالت: أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به، قال: «لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها إلا فعل به». قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي فغسلت يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة، ولكنني امرأة بي غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال. فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي، فقالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ. فقالت أم سلمة: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ. وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة عن أبي سلمة به. وقال الترمذي حسن غريب. وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه. ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبه عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة به.

وقال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ - يعني من بدر الموعد - راجعاً إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع. وقال الواقدي: وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود. قلت: ثبت عنه في «الصحيح» أنه قال تعلمته في خمسة عشر يوماً. والله أعلم.

(١) النش: نصف أوقية، وهو عشرون درهماً.

(٢) في «طبقات ابن سعد»: مكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في آخر ربيع الآخر، صلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبيع.

(٣) واسمها: هند بنت أبي أمية سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

(٤) في «ابن سعد»: لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع.

سنة خمس من الهجرة النبوية غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل^(١). قال ابن هشام في ربيع الأول، - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن عزة الغفاري. قال ابن إسحاق: ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقية سنته. هكذا قال ابن إسحاق^(٢). وقد قال محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا: أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام، وقيل له إن ذلك مما يفرغ قيصر، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مر بهم، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل له من بني عذرة، يقال له: مذكور، هاد خريت. فلما دنا من دومة الجندل، أخبره دليله بسوائم بني تميم، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ففرقوا، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمة رجلاً منهم فأتى به رسول الله ﷺ، فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمس، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة. قال الواقدي: وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر^(٣) سنة خمس. قال: وفيه توفيت أم سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة. وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيداً، وهو يقتضي أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله.

غزوة الخندق أو الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الأحزاب فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿٢﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٣﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِذْ يُبِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ آفَاقِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿٦﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآذِينَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿٧﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٩﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّضِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَسَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴿١٣﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ عَلَيهِمْ فَمَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٤﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ

(١) دومة الجندل: دومة بضم الدال وتفتح بالضم عند أهل اللغة، وبالفتح عند أصحاب الحديث قاله الجوهري. من أعمال المدينة، تقع شمالي نجد وهي طرف من أفواه الشام بينهما وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة. قال البكري: سميت بدومي بن إسماعيل وكان نزلها «الروض الأنف» و«شرح المواهب» (٢/٩٥).

(٢) «سورة ابن هشام» (٣/٢٢٤).

(٣) في «تاريخ ابن جرير» عن الواقدي: في ربيع الأول، وكذلك في «شرح المواهب»: «وكان في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة وكان رجوعه إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر». وفي «المغازي» للواقدي: في ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً، خرج رسول الله ﷺ لخمس ليال بقين من ربيع الأول، وقدم لعشر بقين من ربيع الآخر (١/٤٠٢).

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْزَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيُدْبِرُهُمْ وَأَمْرَهُمْ وَآرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴿[الأحزاب: ٩ - ٢٧] وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمة في «التفسير» والله الحمد والمنة، ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً وقد روى موسى بن عقبة، عن الزهري أنه قال: ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع. وكذلك قال الإمام مالك بن أنس فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه. قال البيهقي: ولا اختلاف بينهم في الحقيقة لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس^(١)، ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل، فذهب النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقریش لجذب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين، فتعين أن الخندق في شوال من سنة خمس والله أعلم. وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحد بستين ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها كما حكاها البيهقي. وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي وقد صرح بأن بدرأ في الأولى، وأحداً في سنة ثنتين، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث، والخندق في شوال سنة أربع^(٢). وهذا مخالف لقول الجمهور فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة، فصارت الأقوال ثلاث والله أعلم. والصحيح قول الجمهور أن أحداً في شوال سنة ثلاث، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم، فأما الحديث المتفق عليه في «الصحيحين»^(٣) من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال: عرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني، فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقي بأنه عرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة. قلت: ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز لمثلها الغلمان، فلا يبقى على هذا زيادة عليها. ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال: إن هذا الفرق بين الصغير والكبير. ثم كتب به إلى الآفاق^(٤) واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم.

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره^(٥). قال ابن إسحاق: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس. فحدثني يزيد بن رومان، عن عروة، ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي والزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث مالا يحدث بعض. قالوا: إنه كان

- (١) انظر «الدلائل» (٣/٣٩٥) وفيها فضل البيهقي أقوال غير واحد من العلماء وأصحاب «السير» في تاريخ وقعة الخندق في باب التاريخ لغزوة الخندق ص (٣٩٢) وما بعدها.
- (٢) نقل الخبر البيهقي في «الدلائل» (٣/٣٩٧).
- وقال ابن سعد في «الطبقات» (٢/٦٥): وكانت غزوة الأحزاب في ذي القعدة سنة خمس. وذكر الواقدي: أنها كانت يوم الثلاثاء لثمان ماضت من ذي القعدة سنة خمس (٢/٤٤٠).
- (٣) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٩) باب غزوة الخندق والترمذي في (١٣) كتاب «الأحكام» (٢٤) باب ح (١٣٦١) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح والعمل به عند أهل العلم. . . ويرون: أن الغلام إذا استكمل خمس عشرة سنة فحكمه حكم الرجال، وإن احتلم قبل خمس عشرة فحكمه حكم الرجال.
- (٤) انظر «دلائل النبوة» (٣/٣٩٥) وفي نهايته وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن افرضوا لابن خمس عشرة وما كان سوى ذلك، فالحقوه بالعيال وهو ما اعتمده سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.
- (٥) انظر في غزوة الخندق: «ابن سعد» (٢/٦٥) «سيرة ابن هشام» (٣/٢٢٤) «أنساب الأشراف» (١/١٦٥) «صحيح البخاري» (٥/١٠٧) ابن حزم ص (١٨٤) «السيرة الحلبي» (٢/٤٠١) «عيون الأثر» (٢/٧٦) «السيرة الشامية» (٤/٥١٢) «دلائل البيهقي» (٣/٣٩٢) «مغازي الواقدي» (٢/٤٤٠) «مسلم شرح النووي» (١٢/١٤٥).

من حديث الخندق أن نفرأ من اليهود منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري^(١) وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار^(٢) الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥١-٥٢]. فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان، من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب النبي ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة^(٣) بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعر بن ربيعة بن نيرة بن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع^(٤). فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة. قال ابن هشام: يقال إن الذي أشار به سلمان. قال الطبري والسهيلي: أول من حفر الخندق منوشهر بن أيرج بن أفريدون وكان في زمن موسى عليه السلام. قال ابن إسحاق: فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون، وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف، ومنهم من ينسل خفية بغير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام. وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا مِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لِمَن آتَىٰكَ اللَّهُ عَفْوَ رَجِيماً ﴿١٧﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَخْتَصِرُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتَبَهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النور: ١٧-١٨].

قال ابن إسحاق: فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعيل سماه رسول الله ﷺ عمراً، فقالوا فيما يقولون:

سماه من بعد جُعيل عمراً وكان للبنائس يوماً ظهراً

وكانوا إذا قالوا عمراً قال معهم رسول الله ﷺ عمراً، وإذا قالوا ظهراً قال لهم ظهراً^(٥). وقد قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن حميد سمعت أنساً قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

«اللهم أن العيش عيش الآخرة فاغفر الأنصار والمهاجرة»

- (١) النضري نسب إلى طائفة من بني نضير، والقياس نضيري إلا أن يكون من باب قولهم: ثقيفي وقرشي وهو خارج عن القياس.
- (٢) في الواقدي: أبو عامر الراهب.
- (٣) عيينة بن حصن؛ اسمه حذيفة وسمي عيينة لشر كان بعينه، أسلم ثم ارتد أسر يوم تنبأ طليحة الأسدي وأتى به أبو بكر فمَن عليه؛ ولم يزل مظهراً للإسلام حتى مات. قال فيه النبي ﷺ: الأحقق المطاع فقد كان يتبعه عشرة آلاف قناة انظر شرح المواهب و«الروض الأنف».
- (٤) زاد عقبه في روايته: وأقبل أبو الأور فيمن اتبعه من بني سليم مدداً لقريش.
- (٥) وقال عروة: كان الذين حزبوا الأحزاب نفرأ من بني وائل ومن بني النضير، ومن بني وائل حي من الأنصار من أوس الله وحوح بن عمرو... وقريش وغطفان.
- (٥) الظهر: القوة والمعونة؛ والضمير المستتر في «سماه» و«كان» راجع إلى النبي ﷺ وكان النبي ﷺ للبنائس الفقير أكبر عون. وكان النبي ﷺ يقول مع المسلمين آخره عندما كانوا يرتجزون الشعر كان يرد معهم أواخر الأبيات. وجُعيل هذا: هو جُعيل بن سُراقَة شرح أبي فراس ص (٣٠٠).

فقالوا مجيبين له :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا^(١)
وفي «الصحيحين» من حديث شعبة عن معاوية بن قررة عن أنس نحوه. وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة
عن ثابت وحميد عن أنس بنحوه^(٢). وقال البخاري: حدثنا أبو مَعْمَر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال:
جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدًا
قال يقول النبي ﷺ مجيباً لهم «اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة» قال يؤتون بملء
كفي من الشعر فيصنع لهم باهالة نسخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع، وهي بشعة في الخلق ولها ريح منتن^(٣).
وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ
في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر
للمهاجرين والأنصار»^(٤). ورواه مسلم عن القعني عن عبد العزيز به. وقال البخاري: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا
شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر
بطنه يقول:

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثُبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنْ الْأَلَى قَدْ بَغَّوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا

ورفع بها صوته: أيينا، أيينا^(٥). ورواه مسلم من حديث شعبة به. ثم قال البخاري: حدثنا أحمد بن عثمان، حدثنا
شريح بن مسلمة، حدثني إبراهيم بن يوسف، حدثني أبي عن أبي إسحاق عن البراء يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب
وخندق رسول الله ﷺ رأيت من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز
بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثُبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنْ الْأَلَى قَدْ بَغَّوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا

ثم يمد صوته بأخرها. وقال البيهقي في «الدلائل»: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار،
حدثنا إسماعيل بن الفضل البجلي^(٦) حدثنا إبراهيم بن يوسف البلخي، حدثنا المسيب بن شريك، عن زياد بن أبي زياد،
عن أبي عثمان، عن سلمان أن رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال:

بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ هُدَيْنَا وَلَوْ عَبْدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا
يَا حَبِيبْنَا يَا حَبِيبْنَا^(٧)

وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان، حدثنا شعبة، عن معاوية بن قررة، عن

(١) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٩) باب غزوة الخندق ح (٤٠٩٩).

(٢) مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٤٤) باب غزوة الأحزاب ح (١٣٠) ص (١٤٣٢).

(٣) «فتح الباري» الحديث (٤١٠٠) (٣١٦/٧).

- الإهالة: الزيت والشحم، والسنخة: المتغيرة الريح والطعم.

(٤) «فتح الباري» ح (٤٠٩٨) (٣١٤/٧) ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٤٤) باب ح (١٢٦) والاكثاد: جمع كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر وتروى أكبادنا.

(٥) «فتح الباري» ح (٤١٠٤) كتاب «المغازي» باب غزوة الخندق. ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٤٤) باب ح (١٢٥).

(٦) في «دلائل البيهقي»: البلخي.

(٧) كذا في الأصل و «السيرة الشامية» (٥١٧/٤) وفي «دلائل النبوة» للبيهقي (٤١٤/٣):

فأحب ربنا وأحب ديننا

أنس أن رسول الله ﷺ قال وهم يحفرون الخندق: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة» وأخرجه في «الصحيحين» من حديث غندر عن شعبة.

قال ابن إسحاق: وقد كان في حفر الخندق أحاديثُ بلغتنني، من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون فمن ذلك: أن جابر بن عبد الله كان يحدث: أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كذبة^(١)، فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق [نبياً]^(٢) لانهايت حتى عادت كالكتيب ما تردّ فأسأ ولا مسحاة هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وقد قال البخاري، رحمه الله: حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: أتيت جابراً فقال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كذبة شديدة فجاؤا النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل. ثم قام ويطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كتيباً أهيل^(٣) أو أهيم فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر؟ فعندك شيء؟ قالت عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطخت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة. ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال كم هو؟ فذكرت له، فقال كثير طيب، قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا. وبقي بقية قال: كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة. تفرد به البخاري. وقد رواه الإمام أحمد: عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم، عن جابر بقصة الكدية وربط الحجر على بطنه الكريم. ورواه البيهقي في «الدلائل»: عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة الكدية والطعام وطوله أتم من رواية البخاري قال فيه: لما علم النبي ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً قوموا إلى جابر فقاموا، قال: فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله، وقلت: جاءنا بخلق^(٤) على صاع من شعير وعناق. ودخلت على امرأتي أقول افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخندق^(٥) أجمعين، فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم. فقالت الله ورسوله أعلم [قد أخبرناه ما عندنا]^(٦). قال فكشفت عني غماً شديداً، قال فدخل رسول الله ﷺ فقال خذمي ودعيني من اللحم. وجعل رسول الله ﷺ يثرد، ويغرف اللحم، ويخمر هذا، ويخمر هذا، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين، ويعود التنور والقدر أملاً ما كانا، ثم قال رسول الله ﷺ كلي واهدي. فلم تزل تأكل وتهدي يومها. وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبه عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر به وأبسط أيضاً، وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة أو قال ثلثمائة. وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن أبي الزبير عن جابر. فذكر القصة بطولها في الطعام فقط وقال وكانوا ثلثمائة^(٧). ثم قال البخاري: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان، عن أبي الزبير، حدثنا ابن مينا سمعت جابر بن عبد الله قال: لما حفر الخندق رأيت من النبي ﷺ خصماً فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ خصماً شديداً. فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها فطختن ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في

(١) الكدية: القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول، وهي كالصخرة العظيمة.

(٢) من «ابن هشام».

(٣) في البخاري: أهيم، وأهيل: رمل يسيل لا يتماسك «فتح الباري» (٣١٧/٧) كتاب «المغازي» قال ابن حجر امرأة جابر اسمها: سهيلة بنت مسعود الأنصارية. وأخرجه أحمد في «مسنده».

(٤) في البيهقي: بالخلق.

(٥) في البيهقي: بالجند.

(٦) زيادة من «الدلائل» (٤١٥/٣، ٤١٧).

(٧) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤٢٤/٣) والحاكم في «المستدرک» (٣١/٣).

برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجثته فساررتته فقلت: يا رسول الله ذبحت بهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك. فصاح رسول الله ﷺ فقال: يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً فحيهلاً بكم، فقال رسول الله ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا تحبزن عجبتكم حتى أجيء. فجثت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جثت امرأتي، فقالت: بك وبك. فقلت: قد فعلت الذي قلت. فأخرجت لنا عجينة فبسق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك ثم قال: ادع خبازة فلتخبز معك، واقدحي من برمتك ولا تنزلوها وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجبتنا كما هو. ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم به نحوه^(١). وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال: حدثني سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال: علمنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وكانت عندي شوية غير جد سمينية، قال: فقلت والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ قال وأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة، فشوينها لرسول الله ﷺ فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق قال: وكنا نعمل فيه نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا فقلت: يا رسول الله إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأنا أحب أن تنصرف معي إلى منزلي قال وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده. قال: فلما أن قلت ذلك قال: نعم ثم أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله، قال: قلت إنا لله وإنا إليه راجعون. قال: فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه، فجلس وأخرجناها إليه، قال: فبرك وسمى الله تعالى ثم أكل، وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها. والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحاق عنه عن جابر مثله سواء. قال محمد بن إسحاق وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير قالت: دعيتني أمي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما. قالت: فأخذتها، وانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالتي، فقال: تعالي يا بنية، ما هذا معك؟ قالت: قلت يا رسول الله هذا تمر، بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالتي عبد الله بن رواحة يتغديانه. فقال: هاتيه قالت: فصبيته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء. فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب. هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد^(٢). قال ابن إسحاق: وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ورسول الله ﷺ قريب مني، فلما رأني أضرب ورأى شدة المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحت برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قال: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: قلت: نعم. قال: أما الأولى فإن الله فتح عليّ باب اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ باب الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق. قال البيهقي: وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في «مغازيه»^(٣)، وذكره أبو الأسود عن عروة ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر. لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار ويندار، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خط الخندق بين كل

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤٢٥/٣)، والبخاري في (٥٦) كتاب «الجهاد»، وفي «المغازي» (٢٩) باب غزوة الخندق، ومسلم في (٢٦) كتاب «الأشربة» (٢٠) باب ح (١٤١) والحاكم في «المستدرک» (٣١/٣) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- الخمص: ضمور البطن من الجوع.

- السور: يروى بالهمزة، ويتركها. وهي لفظة فارسية. وبالهمزة: البقية. وبدونه: الطعام الذي يدعى إليه.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢٢٨/٣) والبيهقي في «الدلائل» (٤٢٧/٣).

(٣) «دلائل النبوة» (٤١٨/٣).

عشرة أربعين ذراعاً قال: واحتقُّ المهاجرون والأنصار في سلمان فقال رسول الله ﷺ سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا بلغنا الندى ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو في قبة تركية، فأخبره عنها فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل^(١) مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها الثانية فكذلك، ثم الثالثة فكذلك، ثم الثالثة كذلك. وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ وسأله عن ذلك النور، فقال: لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فابشروا، واستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صادق. قال: ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً. وقال المنافقون: يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل فيهم ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] وهذا حديث غريب^(٢). وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هارون بن ملول، حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالخندق فخندق على المدينة قالوا: يا رسول الله إنا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها فقام النبي ﷺ وقمنا معه، فلما أتاها أخذ المعول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: فتحت فارس، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: فتحت الروم، ثم ضرب أخرى فكبر، فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: جاء الله بحمير أعواناً وأنصاراً. وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه. وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف فإله أعلم. وقال الطبراني أيضاً: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني سعيد بن محمد الجرمي، حدثنا أبو نميلة، حدثنا نعيم بن سعيد الغري أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: هل دلتتم على رجل يطعمنا أكلة؟ قال رجل: نعم. قال: أما لا فتقدم فدلنا عليه. فانطلقوا إلى [بيت] الرجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه، فأرسلت امرأته أن جيء فإن رسول الله ﷺ قد أتانا فجاء الرجل يسمى وقال: بأبي وأمي وله معزة ومعها جديها فوثب إليها فقال النبي ﷺ الجدي من ورائها فذبح الجدي وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجننتها وخبزت فأدركت القدر، فشردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فوضع رسول الله ﷺ أصبعه فيها وقال بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا، فأكلوا منها حتى صدروا، ولم يأكلوا منها إلا ثلثها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها، ثم مشوا إلى الخندق فقال: اذهبوا بنا إلى سلمان، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال رسول الله ﷺ: دعوني فأكون أول من ضربها. فقال: بسم الله. فضربها فوقعت الكعبة. فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم، ثم قال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا محمد^(٣) بن غالب بن حرب، حدثنا هود، حدثنا عوف، عن ميمون^(٤) بن استاذ الزهري، حدثني البراء بن عازب الأنصاري قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة، لا تأخذ فيها المعاول، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فلما

(١) في الطبري: بيت مظلم.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٩٨/٣) قال الذهبي سنده ضعيف.

كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال فيه الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن معين: ليس بشيء. قال الشافعي وأبو داود:

(٣) في البيهقي: أحمد.

(٤) هو ميمون مولى عبد الرحمن بن سمرة. قال فيه ابن معين: لا شيء. وضعفه العيني «الميزان» (٢٣٥/٤).

رآها أخذ المعول وقال: بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله، ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثاً آخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة، فقال: بسم الله فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة^(١). وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن استاذ هذا وهو بصري روى عن البراء وعبد الله بن عمرو وعنه حميد الطويل والجريري وعوف الأعرابي قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين كان ثقة وقال علي بن المديني كان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه. وقال النسائي حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبي زرعة السيباني عن أبي سكينه رجل من البحرين عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] فنذر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية وقال: وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمات الله وهو السميع العليم، فنذر الثلث الآخر، وبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال: وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فنذر الثلث الباقي وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة قال رسول الله ﷺ: يا سلمان رأيت ذلك؟ قال: أي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال: فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني فقال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال: ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي، مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني قالوا: يا رسول الله ادع أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا ثم قال: ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني.

ثم قال رسول الله ﷺ «دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم» هكذا رواه النسائي مطولاً وإنما روى منه أبو داود: دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم عن عيسى بن محمد الرملي، عن ضمرة بن ربيعة عن أبي زرعة يحيى بن عمرو السيباني^(٢) به. ثم قال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول، حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا ما بدا لكم فولذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك. وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه والله الحمد فقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثني عقيل بن خالد، عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي. وقد رواه البخاري منفرداً به عن يحيى بن بكير وسعد بن عفير كلاهما عن الليث به وعنده قال أبو هريرة فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تتثلثونها. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتلت في يدي». وهذا إسناد جيد قوي على شرط مسلم ولم يخرجوه. وفي «الصحيحين»: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله». وفي الحديث الصحيح: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها».

فصل

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزغابة، في عشرة آلاف^(٣) من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤٢١/٣) والنسائي في «السير» في «السنن» عن محمد بن عبد الأعلى، عن معتمر، عن عوف عن ميمون عن البراء... «تحفة الأشراف» بمعرفة الأطراف (٦٥/٢).

(٢) السيباني: نسبة إلى سيان، بطن من حمير، توفي أبو زرعة سنة ١٤٨ هـ. وكان ثقة «اللباب» (٥٨٥/١).

(٣) في «ابن سعد»: في أربعة آلاف، أما جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشرة آلاف.

أهل نجد، حتى نزلوا بدينب نقي، إلى جانب أحد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين. فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام. قال ابن هشام واستعمل على المدينة [عبد الله] (١) ابن أم مكتوم. قلت وهذا معنى قوله تعالى ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظَرُوا بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠] قال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبيد (٢)، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة [في قوله تعالى]: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ [الأحزاب: ١٠] قالت ذلك يوم الخندق. قال موسى بن عقبة: ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم (٣). قال ابن إسحاق: وخرج حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم، فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له فناداه: ويحك يا كعب افتح لي. قال ويحك يا حيي إنك امرؤ مشثوم، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً. قال: ويحك افتح لي أكلمك. قال: ما أنا بفاعل. قال والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً على جيشيتك (٤) أن آكل معك منها. فأحفظ الرجل ففتح له فقال: ويحك يا كعب جئتكم بعز الدهر وبحر طام، قال: وما ذاك؟ قال: جئتكم بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بدينب نقي إلى جانب أحد، وقد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام (٥) قد هراق ماؤه، يرعد ويبرق وليس فيه شيء، ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقاً. وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة: ذكرهم (٦) ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ومعاهدتهم إياه على نصره وقال: إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه. قال ابن إسحاق فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذورة والغارب حتى سمع له - يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ وفي محاربتهم مع الأحزاب - على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد العهد، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً، قالوا: وتكون الرهائن تسعين (٧) رجلاً من أشرفهم. فنازلهم حيي على ذلك. فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سعدة أسد وأسيد وثعلبة فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين، بعث سعد بن معاذ وهو يؤمئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة وهو يؤمئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير (٨). قال: انطلقوا حتى أتوا هؤلاء القوم فتناظروا أحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه (٩) ولا تفتوا في أعضاء المسلمين، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس. قال: فخرجوا حتى أتوهم. قال موسى بن عقبة: فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم إلى المودعة وتجديد الحلف فقالوا: الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بني النضير) ونالوا من رسول الله ﷺ فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم، فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ: إنا والله ما جئنا لهذا، ولما بيننا أكبر من المشاقمة. ثم ناداهم سعد بن معاذ

(١) من «ابن سعد».

(٢) في البخاري: عبدة. أخرجه البخاري في «المغازي» (٢٩) باب غزوة الخندق. ومسلم في كتاب «التفسير» ح (١٢) (٤) / (٢٣١٦).

(٣) انظر الخبر بطوله في سياق قصة الخندق من مغازي موسى بن عقبة «دلائل البيهقي» (٣/٤٠٠).

(٤) الجشيثة: طعام يصنع من الجشيش، وهو البر يطحن غليظاً.

(٥) الجهام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.

(٦) قال عمرو بن سعد القرظي: يا معشر يهود، إنكم قد حالتم محمداً على ما قد علمتم أن لا تخونوه ولا تنصروا عليه عدواً، وأن تنصروه على من دهم يثرب، فأوفروا على ما عاهدتموه عليه، فإن لم تفعلوا فخلوا بينه وبين عدوه واعتزلوهم «الدرر» في اختصار المغازي ص (١٦٩) - «دلائل البيهقي» (٣/٤٠١).

(٧) في رواية الدرر: سبعين.

(٨) قال الواقدي: الأثبت عندنا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير (٢/٤٥٨).

(٩) اللحن: اللغز، وهو أنه يخالف ظاهر الكلام معناه.

فقال: إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منة. فقالوا أكلت أير أبيك^(١). فقال: غير هذا من القول كان أجل بكم وأحسن^(٢). وقال ابن إسحاق: نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمهم لما بيننا وبينهم أربى من المشامة. ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة أي كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين. قال موسى بن عقبة: ثم تقنع رسول الله ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة فاضطجع ومكث طويلاً فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا أنه لم يأتهم عن بني قريظة خيراً. ثم إنه رفع رأسه وقال: أبشروا بفتح الله ونصره. فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمي بالنبل والحجارة. قال سعيد بن المسيب قال رسول الله ﷺ: اللهم إني أسألك عهدك ووعدك اللهم إن تشأ لا تعبد. قال ابن إسحاق: وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط^(٣) وحتى قال أوس بن قيطي: يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك عن ملا من رجال قومه، فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة. قلت: هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٧) ﴿وَلَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٨) [الأحزاب: ١٢ - ١٣].

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ مرابطاً وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن الزهري إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعديين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أمراً تجبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء. على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قري أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال النبي ﷺ: أنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا. قال: فأقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش - منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أحد بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر - تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهبثوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنت بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فافتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق ولسع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الشفرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنت نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما خرج هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال أجل قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى التزال. قال له: لم

(١) «الدرر» لابن عبد البر ص (١٧٠) «دلائل البيهقي» عن موسى (٤٠٣/٣).

(٢) في الواقدي: العبارة قيلت لسعد بن عبادة والذي قالها: نباش بن قيس.

(٣) زاد الواقدي: قال: وما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.

يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك. قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك. فحمى عمرو عند ذلك فاقترح من فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. قال ابن إسحاق وقال علي بن أبي طالب في ذلك:

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيه
فصدرت حين تركته متجدلاً
وعففت عن أثوابه ولو أنني
لا تحسبن الله خاذل دينه

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلِّي. قال ابن هشام: وألقى عكرمة ربحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال في ذلك حسان بن ثابت:

فرُّ وألقى لنا رمحه
ووليت تعدو كعدو الظليم
ولم تلو ظهرك مستأنساً

قال ابن هشام: الفراعيل صغار الضباع. وذكر الحافظ البيهقي^(٤) في «دلائل النبوة»: عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة قال: خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنادى: من يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب فقال: أنا لها يا نبي الله. فقال إنه عمرو، اجلس. ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلي رجلاً؟ فقام علي فقال: أنا يا رسول الله؟ فقال: اجلس. ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بُجِحْتُ من النداء
ووقفْتُ إذ جُبُنَ المشججُ
وللذاك إنني لسم أزل
إن الشجاعة في الفتى

قال فقام علي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أنا. فقال: إنه عمرو، فقال: وإن كان عمراً. فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه، حتى أتى وهو يقول:

لا تفجلن فقد أتاك
في نية وبصيرة
إنني لأرجو أن أقيم
من ضربية نجلاء

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فلاني أكره أن أهريق دمك؟ فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في درقته فقدمها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاجُ وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرفنا أن علياً قد قتله. فثم يقول علي:

أعلي تفتح الفوارس هكذا
اليوم يمتعني الفرار حفيظتي
إلى أن قال:

عني وعنهم أخروا أصحابي
ومصم في الرأس ليس بنابي

(١) الحجارة: يعني الأنصاب التي كانوا يعبدونها ويذبحون لها.

(٢) الظليم: ذكر النعام. يحور وفي رواية تجور.

(٣) ولم تلو: وتروى ولم تلق.

(٤) «دلائل النبوة» (٤٣٢/٣) باب ما أصاب النبي ﷺ والمسلمين من محاصرة المشركين إياهم من البلاء.

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت رب محمد بصواب إلى آخرها. قال ثم أقبل عليّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب: هلا استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها؟ فقال: ضربته فاتقاني بسوءته، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه، قال وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق.

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عن^(١) البيهقي أن علياً طعنه في ترقوته، حتى أخرجها من مرقه، فمات في الخندق؛ وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال هو لكم لا نأكل ثمن الموتى^(٢). وقال الإمام أحمد: حدثنا نصر بن باب، حدثنا حجاج، عن الحكم، عن مقسم عن ابن عباس أنه قال: قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالاً، فقال رسول الله ﷺ ادفعوا إليهم جيفته فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية، فلم يقبل منهم شيئاً. وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حجاج، وهو ابن أرطاة، عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس: أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم اثني عشر ألفاً فقال رسول الله ﷺ «لا خير في جسده ولا في ثمنه»^(٣). وقد رواه الترمذي: من حديث سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب. وقد ذكر موسى بن عقبة: أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل وعرضوا عليه الدية فقال: «إنه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته. فلا أرب لنا في ديته ولسنا نمنعكم أن تدفنوه»^(٤) وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي فسأل المبارزة فخرج إليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنتين حتى قل في سيفه فلا وانصرف وهو يقول:

إنني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي^(٥)

وقد ذكر ابن جرير^(٦): أن نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول: قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب. فنزل إليه عليّ فقتله وطلب المشركون رمته من رسول الله ﷺ بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ومكنهم من أخذه إليهم وهذا غريب من وجهين. وقد روى البيهقي: من طريق حماد بن يزيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم، ومعني عمر بن سلمة، فجعل يطأطئ لي فأصعد على ظهره فأنظر [إليهم كيف يقتتلون، وأطأطئ له، فيصعد فوق ظهري فينظر]^(٧) قال: فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا، فما يرتفع له شيء إلا أتاه، فلما أمسى جاءنا إلى الأطم قلت يا أبة رأيتك اليوم، وما تصنع قال ورأيتني يا بني؟ قلت: نعم قال فدى لك أبي وأمي^(٨). قال ابن إسحاق: وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن. قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب. قالت فمر سعد وعليه درع مقلصة، قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرفل بها ويقول:

لبث قليلاً يشهد الهيجاً جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل^(٩)

- (١) وفي الأصل عن وهو تحريف.
- (٢) روى البيهقي الخبر، في «الدلائل» (٤٣٨/٣) عن ابن إسحاق وفيه: أن علياً طعن نوفل بن عبد الله بن المغيرة في ترقوته.
- (٣) الحديث أخرجه الإمام في «مسنده» (٢٤٨/١) والبيهقي في «الدلائل» (٤٤٠/٣).
- (٤) نقله البيهقي عن موسى في «الدلائل» (٤٠٤/٣).
- (٥) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤٣٧/٣) وزاد في آخره. أن علياً طعنه في ترقوته فمات.
- انظر الحاشية رقم (٢). وهو الأرجح لما تقدم من حديثي الإمام أحمد وابن عقبة. ولعل إقحام رواية ابن إسحاق للخبر في مقتل عمرو سهو من الناسخ.
- (٦) «تاريخ الطبري» (٤٩/٣).
- (٧) من «دلائل البيهقي».
- (٨) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤٤٠/٣).
- (٩) جمل: قال أبو ذر جمل اسم رجل وهذا الرجز تمثل به سعد. وقال السهيلي: حمل بالحاء المهملة هو بيت تمثل به، يعني به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب بن عليم بن جناب الكلبي. «الروض الأنف» (١٩٢/٢).

فقلت له أمه: الحق بني فقد والله أخرت. قالت عائشة: فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي. قالت: وخفتُ عليه، حيث أصاب السهم منه، فزُمي سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكل. قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حيان^(١) بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقي لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه. اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمنني حتى تفرعيني من بني قريظة. قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك: أنه كان يقول ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل:

أعكروم هلاً لمتني إذ تقول لي
ألسك الذي ألزمت سعداً مريشة
قضى نحبّه منها سعيداً فأعولت
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعا
على حين ما هم جائر عن طريقه
فداك بأطام المدينة خالد
لها بين أثناء المرافق عاند^(٢)
عليه مع الشمط العذاري النواهد
عبيدة جمعاً منهم إذ يكابد
وأخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن إسحاق والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن هشام ويقال: إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان. قلت: وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتي بيانه. فحكم بقتل مقاتلهم وسبي ذراريهم حتى قال له رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة. قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ، حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذ أتانا آت. فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله. قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً، احتجزت ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتله. فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. قال: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب^(٣). قال موسى بن عقبة وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتابهم فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدري^(٤) أتم أم لا قال: ووجهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فقاتلوهم يوماً إلى الليل، فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة، فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم وفي رواية وقبورهم ناراً. فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير

(١) قال السهيلي: حبان هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي. وقال الواقدي في رواية ويقال رماه: أبو أسامة الجشمي.

(٢) مريشة وتروى: مُرْشَةٌ: يعني رمية أصابته فأطارت رشاش الدم منه، والعائد، العرق الذي لا ينقطع منه الدم.

(٣) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٢٣٩/٣) ونقله عنه البيهقي في «الدلائل» (٤٤٢/٣).

وقد علق أبو ذر والسهيلي عليه، واستبعدا أن يكون حسان بن ثابت من الجبن بهذه المنزلة. قال السهيلي: «وقد رفع هذا الحديث بعض العلماء وأنكره، وذلك أنه متقطع الإسناد. وقال: لو صح هذا لهجي به حسان، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبيري وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردون عليه؛ فما عيره أحد منهم بجبن. فدعل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق. وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلاً في ذلك اليوم بعله منعه من شهود القتال. وهذا أولى ما تأول عليه. وممن أنكر أن يكون هذا صحيحاً ابن عبد البر في «الدرر».

وقال ابن السراج: سكوت الشعراء عن تعبيره بذلك من «أعلام النبوة» لأنه كان شاعره ﷺ.

(٤) في رواية البيهقي: حتى مما يدري الرجل أتم صلاته أم لا.

وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول «والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله إلي مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنتفنن كنوزهما في سبيل الله»^(١).

وقد قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا روح، حدثنا هشام، عن محمد، عن عبيدة عن علي عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق «ملا الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»^(٢) وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن علي به. ورواه مسلم والترمذي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة عن علي به: وقال الترمذي حسن صحيح. ثم قال البخاري: حدثنا المكي بن إبراهيم حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب. قال النبي ﷺ: والله ما صليتها. فنزلنا مع رسول الله ﷺ بَطْحَانَ فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب^(٣) وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا ثابت، حدثنا هلال، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قاتل النبي ﷺ عدواً فلم يفرغ منهم حتى أخرج العصر عن وقتها، فلما رأى ذلك قال «اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملاً بيوتهم ناراً واملأ قبورهم ناراً» ونحو ذلك تفرد به أحمد وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره. وقد استدلت طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقد استدلت طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي وقد بوب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله ﷺ بوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة - كما سيأتي - «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقترب فتح الحصن. وقال آخرون من العلماء، وهم الجمهور، منهم الشافعي: هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلماذا أخروها يومئذ وهو مشكل قال ابن إسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بعُسْفَانَ وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام في المغازي قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فإله أعلم. وأما الذين قالوا: إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً كما حكاه «شراح مسلم» عن بعض الناس فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء من رواية أبي هريرة وأبي سعيد. قال الإمام [أحمد]: حدثنا يزيد وحجاج قالوا: حدثنا ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل حتى كفينا وذلك قوله ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] قال فدعا رسول الله ﷺ بلالاً فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصلها في وقتها ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل. قال حجاج في صلاة الخوف ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] وقد رواه النسائي عن الفلاس عن يحيى القطان عن ابن أبي ذئب به. قال: شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس

(١) رواه ابن عبد البر في «الدرر» ص (١٦٩، ١٧٧) والبيهقي عنه في «الدلائل» (٤٠٢/٣).

(٢) رواه البخاري في (٥٦) كتاب «الجهاد» (٩٨) باب ح (٢٩٣١) وأعادته في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٩) باب ح (٤١١١) ومسلم

في (٥) كتاب «المساجد» (٣٥) باب ح (٢٠٢) وح (٢٠٦) وح (٢٠٤) وأحمد في «مسنده» (٧٩/١، ٨١).

(٣) رواه البخاري في (٩) كتاب «مواقيت الصلاة» (٣٦) باب ح (٣٦) ومسلم في (٥) كتاب «المساجد» (٣٦) باب ح (٢٠٩).

- قوله هشام هو ابن أبي عبد الله. ويحيى بن أبي كثير. وأبي سلمة بن عبد الرحمن.

- بطحان: واد بالمدينة.

فذكره^(١). وقال أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا أبو الزبير، عن نافع بن جبير، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله. قال: فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ثم أقام فصلى المغرب، ثم أقام فصلى العشاء. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا مؤمل، يعني ابن إسماعيل، حدثنا حماد، يعني ابن سلمة، عن عبد الكريم يعني ابن أبي المخارق عن مجاهد عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى الظهر ثم أمره، فأذن وأقام فصلى العصر، ثم أمره فأذن، وأقام فصلى المغرب، ثم أمره فأذن وأقام، فصلى العشاء ثم قال «ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم» تفرد به البزار وقال لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله.

فصل في دعائه عليه السلام على الأحزاب

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - حدثنا ربيع بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر، قال «نعم، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح^(٢). وقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن أبيه عن أبي عامر - وهو العقدي^(٣) - عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد فذكره وهذا هو الصواب. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين، عن ابن أبي ذئب، عن رجل من بني سلمة عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدأ يدعو عليهم ولم يصل قال ثم جاء ودعا عليهم وصلى. وثبت في «الصحيحين» من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم»^(٤). وفي رواية اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم. وروى البخاري عن قتبية، عن الليث، عن سعيد المقبري، عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقول «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده»^(٥) وقال ابن إسحاق وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم. قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلّوّه بن أشجع بن ريث بن غطفان، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرفني بما شئت؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة»^(٦) فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرّون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤٤٥/٣) والنسائي في كتاب «الصلاة»، باب الأذان للغائب من الصلاة (١٧/٢).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣/٣).

(٣) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدي القيسي، يروي عن شعبة «اللباب» (١٤٤/٢) «الكاشف» للذهبي (٣١١/٣).

(٤) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٩) باب «فتح الباري» (٤٠٦/٧) ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» و«السير» (٧) باب ح (٢١).

(٥) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٩) باب غزوة الأحزاب ح (٤١١٤).

(٦) هي من جوامع كلمه، وهي أقوال صائبة بعيدة عن التكلف، نابعة من سلامة الطبع وصفاء الذهن. وهي موجزة تؤدي بالفاظ قليلة دالة على معانٍ وفيرة جليّة. وقد أخذت بعض أحاديث الرسول ﷺ صفات الحكمة من حيث طابعها وسمتها. قال الجاحظ: «إنه كلام لم يسبقه إليه عربي، ولم يشاركه فيه عجمي ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد مما صار مستعملاً ومثلاً سائراً». وقد حدد الجاحظ أسلوب الحكمة عند النبي ﷺ بأنه: «الكلام الذي قلّ حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف» ومن الأمثال لكلامه ﷺ.

يا خيل الله اركبي - مات حتف أنفه - الآن حمي الوطيس - لا يلسع المؤمن من جحر مرتين - الخيل معقود بنواصيها الخير - رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس - إنما الأعمال بالنيات.

محمد وأصحابه، وقد ظاهرتهم عليه، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم، يكونون بأيديهم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه. قالوا: لقد أشرت بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتبوا عني. قالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان، رجلاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تهموني. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتبوا عني قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنيع الله تعالى لرسول الله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، هلك الخف والحافر^(١) فأعدوا^(٢) للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشتموا إلى بلادكم وتركونا، والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهبوها وإن كان غير ذلك انشتموا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم، وبعث الله الريح في ليلة^(٣) شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آيتهم^(٤).

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة. وقد أورده عنه البيهقي في «الدلائل» فإنه ذكر ما حاصله: أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث، فاتفق أنه مر برسول الله ﷺ ذات يوم عشاء، فأشار إليه أن تعال، فجاء فقال: ما وراءك؟ فقال^(٥): إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك، فقالت قريظة نعم فأرسلوا إلينا بالرهن. وقد ذكر فيما تقدم: أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حيي بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة، قال فقال له رسول الله ﷺ: إني مسرٌ إليك شيئاً فلا تذكره، قال: إنهم قد أرسلوا إلي يدعونني إلى الصلح وأرد بني النضير إلى دورهم وأموالهم؛ فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان. وقال رسول الله ﷺ «الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا» فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا. قلت: وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يشوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله ﷺ يريدون منه الصلح على أن يرد بني النضير إلى المدينة. والله أعلم.

(١) الخف: يريد الإبل. والحافر: يعني الخيل.

(٢) في «ابن هشام»: فاغدوا.

(٣) في «ابن هشام»: ليال.

(٤) في «ابن هشام»: آيتهم. والخبر في «السيرة» (٣/٢٤١، ٢٤٤).

(٥) العبارة في «الدلائل»: فقال: إنه والله مالك طاقة بالقوم وقد تحزبوا عليك، وهم معاجلوك، وقد بعثوا إلى بني قريظة أنه قد طال ثاؤنا وأجدب ما حولنا، وقد أجبنا أن نعاجل محمداً وأصحابه فنستريح منهم. فأرسلت إليهم بنو قريظة: أن نعم ما رأيتم فإذا شتم فابعثوا بالرهن ثم لا يجسكم إلا أنفسكم «الدلائل» (٣/٤٠٤).

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جمعهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرايتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجتهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة، يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويماً من الليل ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد، فلما لم يقم أحد دعاني، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا، قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جلسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال فلان ابن فلان^(١)؛ ثم قال [أبو سفيان]: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي: لا تحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم. قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل^(٢) فلما رأني أدخلني إلى رجله وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه؛ فلما سلم أخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم، وهذا منقطع من هذا الوجه. وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في «صحيحه»: من حديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال له رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ ألا رجل يأتيني بخبر القوم، يكون معي يوم القيامة؟ [فسكتنا]^(٣) فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية ثم الثالثة مثله. ثم قال: يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم، فلم أجد بدأ إذ دعاني باسمي أن أقوم، فقال [أذهب] اتني بخبر القوم ولا تدعهم علي. قال: فمضيت كأنما أمشي في حمام^(٤) حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يُصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد قوسي، وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تدعهم علي، ولو رميته لأصبته، فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله ﷺ فأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصباح، فلما أن أصبحت، قال رسول الله ﷺ: قم يا نومان^(٥)!

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في «الدلائل» هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي^(٦) عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال: ذكر حذيفة مُشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه: أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا. فقال حذيفة: لا تمثوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صاقون قعود: وأبو سفيان ومن معه فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة، ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك، إذا

- (١) في «شرح المواهب» على جانبه عن يمينه معاوية بن أبي سفيان: وعن شماله: عمرو بن العاص. وفي الواقدي: معاوية عن شماله، وعمرو عن يمينه. انظر المغازي (٤٨٩/٢).
- (٢) في «السيرة»: مراجل. قال ابن هشام: مراجل ضرب من وشي اليمن.
- (٣) من «صحيح مسلم».
- (٤) كأنما أمشي في حمام: أي أنه لم يجد من البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة مشيناً بل عافاه الله، ببركة إجابته للنبي ﷺ فيما وجهه إليه.
- (٥) «صحيح مسلم» في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٣٦) باب غزوة الأحزاب ح (٩٩).
- (٦) في البيهقي: محمد بن عبيد أبي قدامة الحنفي.

استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً، رجلاً حتى أتى علي وما علي جنة من العدو، ولا من البرد، إلا مرط لامراتي ما يجاوز ركبتي قال: فاتاني وأنا جاث على ركبتي فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة، فقال حذيفة! فتقاصرت للأرض فقلت: بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم، فقامت، فقال: إنه كائن في القوم خبر، فاتني بخبر القوم. قال: وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قرأ. قال: فخرجت، فقال رسول الله ﷺ «اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته» قال: فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قرأ في جوفي إلا خرج من جوفي، فما أجد فيه شيئاً. قال: فلما وليت، قال: يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني. قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت [في] ضوء نار لهم توقد وإذا رجل أدهم ضخم، يقول بيديه على النار، ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل، الرحيل، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزعت سهماً من كنانتي^(١) أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي، لأرميه به في ضوء النار، فذكرت، قول رسول الله ﷺ لا تحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني، فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي، ثم إني شعجت نفسي حتى دخلت العسكر^(٢) فإذا أدنى الناس مني بنو عامر، يقولون: يا آل عامر الرحيل، الرحيل، لا مقام لكم. وإذا الريح في عسكرهم، ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفرشهم^(٣) الريح تضرب بها، ثم إني خرجت نحو رسول الله ﷺ فلما انتصفت بي الطريق، أو نحو من ذلك، إذا أنا بنحو من عشرين فارساً، أو نحو ذلك معتمين، فقالوا: أخبر صاحبك، أن الله قد كفاه. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلي، فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القر، وجعلت أقرقف، فأوما إلي رسول الله ﷺ بيده وهو يصلي، فدنوت منه فأسبل علي شملته؛ وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى. فأخبرته خبر القوم، أخبرته أني تركتهم يرحلون قال: وأنزل الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤﴾﴾ يعني الآيات كلها إلى قوله ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٩ - ٢٥]^(٤) أي صرف الله عدوهم بالريح التي أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم وكفى الله المؤمنين القتال أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته. لهذا ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده^(٥). وفي قوله: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم وهكذا وقع ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين كما قال محمد بن إسحاق رحمه الله، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم. قال: فلم تغز قريش بعد ذلك وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن إسحاق^(٦). وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني أبو إسحاق، سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: الآن يغزوهم ولا يغزوننا. وهكذا رواه البخاري^(٧) من حديث إسرائيل وسفيان الثوري كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي عن سليمان بن صرد به. قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بني عبد الأشهل وهم سعد بن معاذ - وستاتي وفاته مبسوطة - وأنس بن أوس بن عتيق بن عمرو، وعبد الله بن سهل، والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة الجشميان السلميان، وكعب بن زيد النجاري أصابه سهم غرب^(٨) فقتله قال: وقتل من المشركين ثلاثة وهم: منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمان كبير كما تقدم وعمرو بن عبد ود العامري قتله علي بن أبي طالب. قال ابن هشام:

(١) من البيهقي.

(٢) من البيهقي، وفي الأصل: العسكر.

(٣) في البيهقي: وفرسهم.

(٤) الخبر في «دلائل النبوة» للبيهقي (٤٥١/٣، ٤٥٣).

(٥) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٢٩) باب غزوة الأحزاب ح (٤١١٤).

(٦) «سيرة ابن هشام» (١١٥/٣).

(٧) «صحيح البخاري» (٤٨/٥).

(٨) قال ابن هشام: سهم غرب وسهم غرب بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يعرف من أين جاء ولا من رمى به.

وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال: قتل علي يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو وقال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد ود ويقال عمرو بن عبد.

فصل في غزوة بني قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعد الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم وذلك لكفرهم ونقضهم العهد التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ومما لاتهم الأحزاب عليه فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وياؤا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وقد قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْبِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فِرْقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْمُرُونَ فِرْقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْفَيْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ بِمَا نَفْسُهُنَّ وَآمَنْتُمْ بِأَرْضِنَا لَمْ نَقْطَعُهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧]. قال البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا عبد الله، حدثنا موسى بن عقبة عن سالم ونافع عن عبد الله: أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة. يبدأ فيكبر ثم يقول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون ثابتون عابدون ساجدون لرينا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده».

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة^(١) والمسلمون ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثني الزهري، معتجراً بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمززل بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

وقال البخاري: حدثني عبد الله بن أبي شيبه، حدثنا ابن نمير، عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه! فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال هاهنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ^(٢). وقال أحمد: وحدثنا حسن، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاء جبريل فرأيته من خلل البيت قد عصب رأسه الغبار، فقال: يا محمد أوضعتم أسلحتكم؟ فقال: وضعنا أسلحتنا فقال: إنا لم نضع أسلحتنا بعد انهد إلى بني قريظة. ثم قال البخاري: حدثنا موسى [بن إسماعيل] حدثنا جرير بن حازم، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك قال: كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني عثم موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة^(٣). ثم قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، حدثنا جويرية بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي العصر حتى تأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم^(٤). وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به. وقال الحافظ البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن خالد بن علي^(٥) حدثنا بشر بن حرب^(٦) عن أبيه، حدثنا الزهري، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك،

- (١) كان دخول النبي ﷺ المدينة يوم الأربعاء، يوم منصرفه من الخندق، لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر يوماً ثم انصرف يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس الواقي - «شرح المواهب».
- (٢) رواه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٠) باب مرجع النبي من الأحزاب. ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٢٢) باب ح (٦٥) ص (١٣٨٩).
- (٣) في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٠) باب ح (٤١١٨) عن موسى بن إسماعيل.
- (٤) البخاري: «المغازي» (٣٠) باب ح (٤١١٩) ومسلم (٣٢) كتاب «الجهاد» (٢٣) باب ح (٦٩).
- (٥) وفي رواية أبو بكر الإسماعيلي للحديث «الظهر بدل العصر» وقال: كذا في كتابي «الظهر» انظر روايته في «دلائل البيهقي» (٧/٤).
- (٦) في «الدلائل» شعيب.

أن عمه عبید الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستحم، فتبدي له جبريل عليه السلام فقال: عذيرك من محارب إلا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد، قال فوثب النبي ﷺ فرعاً فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر إلا في بني قريظة. قال: فلبس الناس السلاح، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس، فاخصم الناس عند غروب الشمس، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة، وإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم، وصلى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس، فصلوها حين جاؤوا بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين^(١).

ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري، عن أخيه عبید الله، عن القاسم بن محمد، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فرعاً وقمت في أثره فإذا بدحية الكلبي، فقال: هذا جبريل أمرني أن أذهب إلى بني قريظة، وقال: قد وضعت السلاح لكننا لم نضع، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد، وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق، فقام رسول الله ﷺ فرعاً وقال لأصحابه: عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر، حتى تأتوا بني قريظة، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم، فقالت طائفة من المسلمين: إن رسول الله ﷺ لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا، وقالت طائفة: والله إنا لفي عزيمة رسول الله ﷺ وما علينا من إثم، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ولم يعنف^(٢) رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين. وخرج رسول الله ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة، فقال: هل مر بكم أحد؟ فقالوا مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج، فقال: ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم، ويقذف في قلوبهم الرعب فحاصرهم النبي ﷺ وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم، فناداهم يا إخوة القردة والخنازير. فقالوا: يا أبا القاس لم تكن فحاشاً، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاء فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم ونساؤهم^(٣). ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها. وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو؟ بل الإجماع على أن كلا من الفريقين ماجور ومعذور غير معنف. فقالت طائفة من العلماء: الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوا في بني قريظة هم المصيبون، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً. قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب «السيرة»: وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام. وهذا القول منه ما شئ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر. وقالت طائفة أخرى من العلماء: بل الذين صلوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم المصيبون لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لا تأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حولت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك، وأما أولئك الذين أخروا فعذروا بحسب ما فهموا، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه. وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا فلا إشكال على من أخر ولا على من قدم أيضاً. والله أعلم.

ثم قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ على أبي طالب، ومعه رايته وابتدراها الناس. وقال موسى بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري: فبينما رسول الله ﷺ في مغتسله كما يزعمون قد رجل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته، حتى وقف بباب المسجد، عند موضع الجنائز، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له جبريل: غفر الله لك، أو قد وضعت السلاح؟ قال: نعم. فقال جبريل: لكننا لم نضعه منذ نزل بك العدو، وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله - ويقولون إن على وجه جبريل لأثر الغبار - فقال له جبريل: إن الله قد أمرك بقتال بني قريظة فأنا عامد إليهم بمن معي من الملائكة نزلزل بهم الحصون فاخرج بالناس، فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل، فمر على مجلس بني غنم وهم ينتظرون

(١) «دلائل النبوة» (٧/٤) وأخرجه الشيخان مختصراً والإمام أحمد والحاكم مطولاً عن عائشة ومن طريق جابر أخرجه أبو نعيم، ورواه الطبري من طريق عبد الله بن أبي أوفى.

(٢) في «الدلائل»: ولم يعب.

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقي: (٩/٤) وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٤/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٤٣٧) ونقله الصالح في «السيرة الشامية» (٩/٥).

رسول الله ﷺ فسألهم فقال: مرّ عليكم فارس آنفاً؟ قالوا: مرّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض، تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه اللامة، فذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ذاك جبريل. وكان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبي بجبريل، فقال: الحقوني ببني قريظة فصلوا فيهم العصر، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا إلى بني قريظة فحانت صلاة العصر، وهم بالطريق، فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض: ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة. وقال آخرون: هي الصلاة، فصلى منهم قوم وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوا في بني قريظة، بعد أن غابت الشمس، فذكروا لرسول الله ﷺ من عجل منهم الصلاة، ومن أخرها، فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعنف واحداً من الفريقين. قال فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال: ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود، وكان علي قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه رضي الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: لم تأمرني بالرجوع، فكتمه ما سمع منهم فقال: أظنك سمعت فيّ منهم أذى، فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت، فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم وكانوا في أعلاه، نادى بأعلى صوته نقرأ من أشرفهم حتى أسمعهم فقال: أجيئوا يا معشر يهود، يا إخوة القردة، قد نزل بكم خزّي الله عز وجل، فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة^(١) ورد الله حبي بن أخطب، حتى دخل حصن بني قريظة، وقذف الله في قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار، فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر^(٢). وكانوا حلفاء الأنصار. فقال أبو لبابة: لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: قد أذنت لك، فاتاهم أبو لبابة، فبكوا إليه وقالوا: يا أبا لبابة ماذا ترى، وماذا تأمرنا فإنه لا طاقة لنا بالقتال؛ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه، وأمر عليه أصابعه، يريهم إنما يراد بهم القتل. فلما انصرف أبو لبابة سقط في يده، ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة. فقال: والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث لله توبة نصوحاً يعلمها الله من نفسي، فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد. وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة، فقال رسول الله ﷺ حين غاب عليه أبو لبابة: أما فرغ أبو لبابة من حلفائه، فذكر له ما فعل؟ فقال: لقد أصابته بعدي فتنة ولو جاءني لاستغفرت له وإذ قد فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضي الله فيه ما يشاء^(٣). وهكذا رواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، وكذا ذكره محمد بن إسحاق في «مغازيه» في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهري ومثل رواية أبو الأسود عن عروة. قال ابن إسحاق ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أنى^(٤). فحاصرهم خمسا وعشرين^(٥) ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف [الله] في قلوبهم الرعب. وقد كان حبي بن أخطب دخل معهم حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصور عنهم حتى ينجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلا لا ثلاثاً فخذوا بما شئتم منها. قالوا وما هن؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون به على دمانكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم علي هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن ظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء. قالوا: أنقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم علي هذه فالليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا أنفسد سبتنا، ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عنك من المسخ، فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً. ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعت إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيرهم في أمرنا.

(١) في الواقدي: خمسة عشر يوماً.

(٢) أبو لبابة الأنصاري المدني، اسمه رفاعة، وقيل مبشر، وقيل بشير، أحد النقباء، كان مناصحاً لهم لأن ماله وولده وعياله في بني قريظة عاش إلى خلافة علي «الاستيحاب - الروض».

(٣) نقله البيهقي عن موسى بن عقبة في «الدلائل» (١٣/٤ - ١٤).

(٤) في الواقدي: لنا والصواب بئر أنا: وهو بئر من آبار بني قريظة «الروض - معجم البلدان - شرح المواهب».

(٥) قبل خمس عشرة ليلة «الطبقات - الواقدي».

فأرسله رسول الله ﷺ فلما رآه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا: يا أبا لبابة أتري أن ننزل على حكم محمد^(١)؟ قال نعم. وأشار بيده إلى حلقة، أنه الذبح قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أبي قد خنت الله ورسوله. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأتي رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت. وعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. قال ابن هشام: وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. قال ابن هشام: أقام مرتبطاً ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلاة، فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى ﴿وَأَخْرَجُوا بِدُونِهِمْ خَطْلُوا عَمَلًا صُلْحًا وَأَخْرَجَ سَبِقًا عَلَيَّ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]. وقول موسى بن عقبة: أنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به. والله أعلم. وذكر ابن إسحاق: أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم سلمة، فجعل يتسم، فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة فاستأذنته أن تبشره، فأذن لها، فخرجت فبشرته، فثار الناس إليه يبشرونه وأرادوا أن يجلوه من رباطه فقال والله لا يجلني منه إلا رسول الله ﷺ فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حله من رباطه رضي الله عنه وأرضاه. قال ابن إسحاق: ثم أن ثعلبة بن سعياً وأسيد بن سعياً، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هديل ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة، فلما رآه قال من هذا؟ قال أنا عمرو بن سعدى. وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبداً. فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمي إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب ولم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه. قال: وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق بني قريظة فأصبحت رمته ملقاة ولم يدر أين ذهب فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن إسحاق: فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله: إنهم كانوا موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت، يعنون عفوه عن بني قينقاع، حين سأله فيهم عبد الله بن أبي كما تقدم. قال ابن إسحاق: فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. قال فذلك إلى سعد بن معاذ وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها زُفيدة^(٢) في مسجده وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حماره قد وطئوا له بوسادة من آدم وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم. فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض^(٣) من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة، قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم فأما المهاجرون من قريش، فيقولون إنما أراد الأنصار، وأما الأنصار فيقولون قد عم رسول الله ﷺ المسلمين فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك، لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم قال: وعلي من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال سعد فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسي الذراري والنساء. قال ابن إسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي

(١) قال الزرقاني: «أنزل بنو قريظة شأس بن قيس، لما حوصروا وأيقنوا بالهلكة، فكلمه ﷺ أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والذراري وما حملت الإبل إلا الحلقة، فأبى رسول الله ﷺ... إلا أن ينزلوا على حكمه وعاد شأس إليهم بذلك انظر «شرح المواهب» و «الواقدي» وفيه نباش بن قيس.

(٢) ويقال: كعبية بنت سعد بن حنيفة كما ذكر الواقدي «مغازي» (٢/٥١٠).

(٣) منهم: الضحاك بن خليفة، ومعتب بن قشير، وحاطب بن أمية الظفري كما ذكرهم الواقدي (٢/٥١١).

قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(١). وقال ابن هشام: حدثني من أثق به من أهل العلم: أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان وتقدم هو والزبير بن العوام وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو أقتحم حصنهم، فقالوا: يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سعيد بن إبراهيم، سمعت أبا أمامة بن سهل، سمعت أبا سعيد الخدري قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ. قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد، قال رسول الله ﷺ: قوموا لسيدكم أو خيركم. ثم قال: إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: نقتل مقاتلتهم ونسبي ذريتهم، قال: فقال رسول الله ﷺ: قضيت بحكم الله. وربما قال: قضيت بحكم الملك، وفي رواية الملك^(٢). أخرجاه في «الصحيحين» من طرق عن شعبة. وقال الإمام أحمد: حدثنا حجين، ويونس قالا: حدثنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: رمى يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده فنزقة فحسمه أخرى فانتفخت يده، فنزفه فلما رأى ذلك قال اللهم لا تخرج نفسي حتى تفر عيني من بني قريظة، فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم ونسبي نساؤهم وذريتهم، يستعين بهم المسلمون فقال رسول الله ﷺ أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة. فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات^(٣) وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث به وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، عن هشام، أخبرني أبي عن عائشة قالت: لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح، واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال: قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها، أخرج إليهم. قال رسول الله ﷺ: فأين؟ قال: هاهنا وأشار إلى بني قريظة فخرج رسول الله ﷺ إليهم. قال هشام: فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ فرد الحكم فيهم إلى سعد قال فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبي النساء والذرية وتقسم أموالهم. قال هشام: قال أبي: فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال: لقد حكمت فيهم بحكم الله^(٤). وقال البخاري: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له جبان بن العرقه رماه في الأكحل فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفذ رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعتها أخرج إليهم. قال النبي ﷺ: فأين فأشار إلى بني قريظة فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي النساء والذرية وأن تقسم أموالهم. قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة: أن سعداً قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدكم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء، فأبقيني له حتى أجاهدكم فيك. وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها. فانفجرت من لبتة فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم فقالوا: يا أهل الخيمة. ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها^(٥). وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نمير به. قلت كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ولهذا قال فيه ولا تمتني حتى تفر عيني من بني قريظة فاستجاب الله له، فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أي قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضي الله عنه وأرضاه. وسيأتي ذكر وفاته قريباً إن شاء الله. وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً جداً وفيه فوائد فقال: حدثنا يزيد، أنبأنا محمد بن عمرو، عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال: أخبرني عائشة قالت خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وثيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس

- (١) الأرقعة: السموات، الواحدة رقيق «شرح أبي ذر» ص (٣٠٦).
- (٢) أخرجه البخاري في (٥٦) كتاب «الجهاد» (١٦٨) باب إذا نزل العدو على حكم رجل. وأخرجه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٢٢) باب جواز قتال في نقض العهد.
- (٣) «مسند الإمام أحمد» (٣/٣٥٠).
- (٤) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢٢/٣، ٧١) (٥٢/٦، ١٤٢).
- (٥) البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٠) باب مرجع النبي من الأحزاب. ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» باب جواز قتال من نقض العهد (٦٥) وح (٦٧) ص (١٣٨٩ - ١٣٩٠).

يحمل مجته، قالت: فجلست إلى الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول:

لَبِثَ قَلِيلاً يَدْرِكُ السَّهِيحَا جَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتُ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت: فقامت فافتحمت حديقة فإذا نفر من المسلمين، فإذا فيها عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه سبعة له - تعني المغفر - فقال عمر: ما جاء بك والله إنك لجرينة، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز، فما زال يلومني حتى تمتعت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها، فرفع الرجل السبعة عن وجهه، فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل. قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش يقال له ابن العرقة وقال: خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه، ومواليه في الجاهلية قالت: فرقاً كلمة وبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً. فلحق أبو سفيان ومن معه بتهمه، ولحق عينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصبيهم ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد في المسجد قالت: فجاء جبريل وإن على ثناباه لنقع الغبار فقال: أقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم. قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على بني غنم، وهم جيران المسجد حوله فقال: من مَرُّ بكم؟ قالوا: مر بنا دحية الكلبي - وكان دحية الكلبي تشبه لحينه وسنه ووجهه جبريل عليه السلام - فاتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبيح قالوا: نزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله ﷺ انزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبى به على حمار عليه أكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكابة ومن قد علمت، قالت: ولا يرجع إليهم شيئاً، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قالت: قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم فانزلوه قال عمر: سيدنا الله، قال: انزلوه، فانزلوه. قال رسول الله ﷺ: أحكم بهم، فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتبني فرارهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت بهم بحكم الله وحكم رسوله ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً، فأبقي لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك، قالت: فانفجر كلمه وكان قد برى حتى لا يرى منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبه التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت: فوالذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء عمر، من بكاء أبي بكر، وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (النح ١٢٩) قال علقمة: فقلت يا أمة فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد وإنما هو أخذ بلحيتيه. وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة، وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمه في بني قريظة ومرة بعد ذلك كما قلناه أولاً وله الحمد والمنة وسنذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضي الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصة. قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار قلت: هي نسيبة^(١) ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلمة الكلاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز، ثم خرج ﷺ إلى سوق المدينة، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم لضرب أعناقهم في تلك الخندق، فخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حبي بن أخطب وكعب بن أسد، رأس القوم، وهم ستمائة أو ستمائة. والكثير لهم يقول: كانوا ما بين الستمائة والتسمائة. قلت: وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الربير عن حابر أنهم كانوا أربعمائة فاه أعلم. قال ابن إسحاق: وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً. يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداهي لا ينزع، ومن ذهب

(١) قال السهلي: اسمها كبة بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس الطوسي (١٩٨/٢) زينب بنت الحارث. في رواية:

ابن بكر عن ابن إسحاق. وقال الزرقاني: هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد مطرح المواهب اللبية (٢٧)

به منكم لا يرجع هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم وأتى بحبي بن أخطب عليه حلة له فقاحية^(١) قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لثلا يسلبها، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل^(٢). ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه، فقال جبل بن جوال الثعلبي^(٣):

لعمرك ما لأم ابن أخطب نفسه
ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عُذرها
وقلقل يبغي العز كل مقلقل^(٤)

وذكر ابن إسحاق قصة الزبير بن باطا، وكان شيخاً كبيراً قد عمي وكان قد من يوم بعث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال: هل تعرفني يا أبا عبد الرحمن؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ فقال له ثابت: أريد أن أكافئك فقال: إن الكريم يجزي الكريم، فذهب ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلقه فأطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال شيخ كبير لا أهل [له]^(٥) ولا ولد فما يصنع بالحياة فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده فأطلقهم له ثم جاءه فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزبير بن باطا فأطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال له يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى حي كعب بن أسد؟ قال: قتل . قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حبي بن أخطب؟ قال قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شدتنا وحاميتنا إذا فررنا: عزال بن سموال^(٦)؟ قال: قتل . قال فما فعل المجلسان؟ - يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة - قال: ذهبوا قتلوا، قال فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا الحقنتي بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر لله فيلة^(٧) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة . فقدمه ثابت فضربت عنقه، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله «لقى الأحبة» قال «يلقاهم والله في نار جهنم فيها مخلدأ» قال ابن إسحاق: «فيلة» بالفاء والياء المشناة من أسفل، وقال ابن هشام: بالقاف والياء الموحدة، وقال ابن هشام: الناضح البعير الذي يستقى عليه الماء لسقي النخل، وقال أبو عبيدة: معناه إفراغه دلو .

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم . فحدثني شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظي قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم، وكنتُ غلاماً فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي . ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي نحوه . وقد استدل به من ذهب من العلماء إلى أن إنبات الشعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ، بل هو بلوغ في أصح قولي الشافعي . ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغاً في حقهم دون غيرهم، لأن المسلم قد يتأذى بذلك لمقصد . وقد روى [ابن]^(٨) إسحاق: عن أيوب بن عبد الرحمن أن سلمى بنت قيس، أم المنذر استطلقت من

قال الواقدي: أمر ﷺ بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد والنساء والذرية إلى دار رملة ابنة الحارث (٥١٢/٢).

(١) فقاحية: قال ابن هشام: ضرب من الوشي . وفي الواقدي: حلة شقحية: أي حمراء عن النهاية .
(٢) زاد الواقدي: ولقد التمس العز في مظانه . وأبى الله إلا أن يمكنك مني، ولقد قلقلت كل مقلقل .
(٣) من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، كان يهوداً فأسلم، وكانت له صحبة «الاستعياب» و «الروض الأنف» .

(٤) مقلقل: أي أني ذهبت في كل وجه في البلاد (أساس البلاغة - قلقل).

(٥) من «ابن هشام» .

(٦) في «ابن هشام»: سموال . وفي الواقدي: غزال بن سموال .

(٧) في «ابن هشام» والسيهلي: فتلة: لعله يريد مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبتها في الحوض، فيقتلها أو يردّها إلى موضعه؛ وقال الواقدي: إني لا أصبر إفراغ دلو من نضح .

وقال أبو ذر: منهم من رواه: قبلة؛ فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو، ليصبها في الحوض ثم يصرفها . وفي هذا المعنى قال زهير بن أبي سلمة:

وقابل يتفننى كلما قدرت
على العراقي يدها قائماً دفقا
(٨) من «سيرة ابن هشام» .

رسول الله ﷺ رفاعة بن شموال^(١)، وكان قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها، وكانت قالت: يا رسول الله إن رفاعة يزعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل. فأجابها إلى ذلك فأطلقه. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة^(٢)، قالت والله إنها لعندي تحدث معي، تضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ قتل رجالها في السوق، إذا هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك مالك؟ قالت أقتل اقلت ولم؟ قالت: لحدث أحدثه، قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجباً منها، طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل. هكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن إسحاق به. قال ابن إسحاق^(٣): هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته، يعني فقتلها رسول الله ﷺ به. قال ابن إسحاق: في موضع آخر وسماها نبأته امرأة الحكم القرظي. قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، بعدما أخرج الخمس، وقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين للفارس وسهماً لراكبه وسهماً للراجل، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين. قال: وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وخمس. قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ سعيد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً. وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة^(٤) وكان عليها حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الإسلام فامتنعت، ثم أسلمت بعد ذلك فسر رسول الله ﷺ بإسلامها وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاخترت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام، ثم تكلم ابن إسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة. وقد قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طرحت عليه رحا فشدخته شدخاً شديداً، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجر شهيدين». قلت: كان الذي ألقى عليه الرحي تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم. قال ابن إسحاق: ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان، من بني أسد بن خزيمة ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم.

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

قد تقدم: أن حبان بن العرقه لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكحله فحسمه رسول الله ﷺ كياً بالنار فاستمسك الجرح، وكان سعد دعا الله أن لا يميته حتى يقر عينه من بني قريظة، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب، فلما ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وسار إليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدم فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما أراه الله فرد الحكم فيهم إلى رئيس الأوس، وكانوا حلفاءهم في الجاهلية وهو سعد بن معاذ فرضوا بذلك ويقال بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد، لما يرجون من حنوه عليهم وإحسانه وميله إليهم ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير، لشدة إيمانه وصديقته رضي الله عنه وأرضاه، فبعث إليه رسول الله ﷺ وكان في خيمة في المسجد النبوي فجاء به على حمار تحته إكاف قد وطئ تحته لمرضه ولما قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له، قيل: لينزل من شدة مرضه، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه والله أعلم، فلما حكم فيهم بالقتل والسبي وأقر الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله ﷺ دعا الله عز وجل أن تكون له

(١) في «ابن هشام»: شموال.

(٢) قال أبو ذر: هي امرأة الحسن القرظي. وقال الواقدي: نبأته من بني النضير، وكانت تحت رجل من بني قريظة، وقد قتلت بخلاد بن سويد (٥١٧/٢).

(٣) في «السيرة»: قال ابن هشام.

(٤) في الواقدي: ريحانة بنت زيد من بني النضير متزوجة في بني قريظة. وقال ابن سعد: هي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن سمعون بن زيد من بني النضير، وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة يقال له الحكم، فنسبها بعض الرواة إلى بني قريظة لذلك «طبقات» (١٢٩/٨) «المغازي» (٥٢٠/٢).

شهادة واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً. [قال ابن إسحاق] (١) حدثني معاذ بن رفاعة الزرقني قال: حدثني من شئت من رجال قومي: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق، فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟ قال فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضي الله عنه، هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله، وقد قال الحافظ البيهقي في «الدلائل»: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا أبي وشعيب بن الليث، قالوا: حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن الهاد، عن معاذ بن رفاعة، عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش؟ قال: فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ، قال: فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن، فبينما هو جالس إذا قال «سبحان الله» مرتين، فسبح القوم، ثم قال «الله أكبر الله أكبر» فكبر القوم، ثم قال رسول الله ﷺ «عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره حتى كان هذا حين فرج له» (٢).

وروى الإمام أحمد والنسائي: من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، ويحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاعة، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن: سبحان الله لهذا الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء شدد عليه ثم فرج الله عنه. وقال محمد بن إسحاق: حدثني معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله قال: لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبح الصالح قبره حتى فرج الله عنه (٣). وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن ابن إسحاق به قال ابن هشام ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله ﷺ إن للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ. قلت: وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع عن عائشة عن النبي ﷺ قال: إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ. وهذا الحديث سنده على شرط «الصحيحين» إلا أن الإمام أحمد رواه عن غندر عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن إنسان عن عائشة به. ورواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا داود عن عبد الرحمن حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ولقد ضمه القبر ضمة (٤). ثم بكى نافع. وهذا إسناد جيد لكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلًا ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف عن أبي عتاب عن سكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها، وقال حين دفن: سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد. وقال البزار: حدثنا إسماعيل بن حفص، عن محمد بن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ فليل: إنما يعني السرير ورفع أبويه على العرش قال فتفتحت أعواده قال: ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبس فلما خرج قيل له يا رسول الله ما حبسك قال: ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه. قال البزار: تفرد به عطاء بن السائب. قلت: وهو متكلم فيه. وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضي الله عنه في القبر أثراً غريباً فقال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس، عن ابن إسحاق: حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد: ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال: كان يقصر في بعض الطهور من البول (٥). وقال البخاري: حدثنا محمد بن المثني، حدثنا الفضل بن مساور، حدثنا أبو

(١) من «سيرة ابن هشام» (٣/٢٦٢).

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٤/٢٩).

(٣) «سيرة ابن هشام»: (٣/٢٦٣).

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤/٣٠).

(٥) «دلائل النبوة» (٤/٣٠).

معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ. وعن الأعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبي ﷺ مثله فقال رجل لجابر فإن البراء بن عازب يقول: اهتز السرير [فقال]: إنه كان بين هذين الحيين ضفائين سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ. ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن إدريس وابن ماجه عن علي بن محمد عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به وليس عندهما: زيادة قول الأعمش عن أبي صالح عن جابر: وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، عن ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق به. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عوف، حدثنا أبو نضرة، سمعت أبا سعيد عن النبي ﷺ: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ. ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم عن يحيى بن عمار. وقال أحمد: حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، قال قتادة: حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنازته موضوعة اهتز لها عرش الرحمن. ورواه مسلم: عن محمد بن عبد الله الأزدي، عن عبد الوهاب به وقد روى البيهقي: من حديث المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسن البصري قال: اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه^(١). وقال الحافظ البزار: حدثنا زهير بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس قال: لما حملت جنازة سعد قال المنافقون ما أخف جنازته، وذلك لحكمه في بني قريظة، فسل رسول الله ﷺ فقال: لا ولكن الملائكة تحملته. إسناد جيد. وقال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق: سمعت البراء بن عازب يقول أهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال: أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين ثم قال: رواه قتادة والزهري: سمعنا أنساً عن النبي ﷺ وقال أحمد: حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، هو ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن أكيدر دومة: أهدى إلى رسول الله ﷺ جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها فعجب الناس منها فقال: والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه. وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه. وإنما ذكره البخاري تعليقاً وقال أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو، حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال محمد: وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم. قال: دخلت على أنس بن مالك فقال لي: من أنت؟ قلت أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ فقال إنك بسعد لشبيه، ثم بكى وأكثر البكاء، وقال رحمة الله على سعد كان من أعظم الناس وأطولهم ثم قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أكيدر دومة فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب فلبسها رسول الله ﷺ فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم، ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة، وينظرون إليها فقال رسول الله ﷺ: أتعجبون منها لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون. وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عمرو به. وقال الترمذي حسن صحيح. قال ابن إسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ وفي ذلك يقول رجل من الأنصار:

وما اهتز عرش الله من موت هالكٍ سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

قال: وقالت أمه يعني كيشة^(٢) بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تنديه:

ويل أم سعدٍ سعداً صراماً وحداً

وسؤدداً ومجداً وفارساً سعداً

سد به سعداً يقدما ماقداً

قال: يقول رسول الله ﷺ «كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ» قلت: كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة، إذ كان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم فأقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قريظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة خمس والله أعلم. وهكذا قال محمد بن إسحاق: إن فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر ذي الحجة قال: وولى تلك الحجة المشركون. قال ابن إسحاق: وقال حسان بن

(١) فيه انقطاع، وله ذكر في «سيرة ابن هشام».

(٢) في «الاستيعاب»: كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبيجر. وفي الواقدي: كبشة بنت عبيد.

ثابت يرثي سعد بن معاذ رضي الله عنه:

لقد سجمت من دمع عيني عبرة
قتيل ثوى في معرك فجمعت به
على ملة الرحمن وارث جنة
فإن تك قد وعدتنا وتركتنا
فأنت الذي يا سعد أبت بمشهد
بحكمك في حيي قريظة بالذي
فوافق حكم الله حكمك فيهم
فإن كان ربُّ الدهر أمضاك في الألى
فنعم مصيرُ الصادقين إذا دُعوا

وحق لعيني أن تفيض على سعد
عيون ذواري الدمع دائمة الوجد^(١)
مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
وأسيئت في غبراء مظلمة اللحد
كريم وأثواب المكارم والمجد^(٢)
قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد
شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
إلى الله يوماً للوجاهة والقصد

فصل الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخاري: حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا شعبة، حدثنا عدي بن ثابت أنه سمع البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ لحسان: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك. قال البخاري: وزاد إبراهيم بن طهمان عن الشيباني عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت: أهج المشركين فإن جبريل معك. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخاري يوم بني قريظة. قال ابن إسحاق رحمه الله: وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق (قلت: وذلك قبل إسلامه):

ومشفقة تظن بنا الظنوننا
كان زهاءها أحد إذا ما
تري الأبدان فيها مسبغات
وجردا كالقذاح مسومات
كانهم إذا صالوا وضلنا
أناس لا نرى فيهم رشيداً
فأحجرناهم شهراً كريماً
نراوهم ونغدو كل يوم
بأيدينا صوارم مرهفات
كان وميضهن معزيات
وميض عقيقة لمعت بليل
فلولا خندق كانوا لديه
ولكن حال دونهم وكانوا
فإن نرحل فلنا قد تركنا
إذا جن الظلام سمعت نوحاً
وسوف نزورك عمّا قريب

وقد قُذنا عرندسة طحونا^(٣)
بدت أركانه للناظرينا
على الأبطال واليلب الحصينا^(٤)
نؤم بها الغرابة الخاطئينا
بباب الخندقين مصافحونا
وقد قالوا ألسنا راشديننا
وكننا فوقهم كالقاهريننا^(٥)
عليهم في السلاح مدججيننا
نقدُّ بها المفارق والشئوننا^(٦)
إذا لاحت بأيدي مضلتينا
تري فيها العقائق مستبيننا
لدمرنا عليهم أجمعينا
به من خوفنا متعوذينا
لدى أبياتكم سعدا رهيننا
على سعد يرجعن الحنيننا
كما زرنناكم متوازيننا

- (١) ذواري الدمع: تسكبه وغزيرته.
- (٢) في «ابن هشام»: والحمد بدل والمجد.
- (٣) عرندسة: الشديدة القوة. والعرندس: القوي، يريد الكتيبة.
- (٤) اليلب: الترس أو الدروع من الجلد.
- (٥) شهراً كريماً: أي شهراً كاملاً.
- (٦) الشؤون: جمع شأن. مجمع العظام في أعلى الرأس.

كأسد الغابِ إذ حَمَتِ العرينا

بجمع من كنانة غير عُزِلِ
قال: فأجابه نجيب بن مالك أخو بني سلمة رضي الله عنه فقال:

ولو شهدتُ رأينا صابرينا

وسائلة تسائل ما لقينا

على ما نأبنا متوكِّلينا

صبرنا لا نرى لئله عدلاً

به نعلو البرية أجمعينا

وكان لنا النبي وزير صدق

وكانوا بالعداوة مرصدينا

نقاتل معشراً ظلموا وعقوا

بضرب يعجل المتسرعيننا

نعالجهم إذا نهضوا إلينا

كفُدران الملا مُتَسَرِّليناً^(١)

ترانا في فضافض سابغات

بها نشفي مراح الشاغبينا

وفي إيماننا بيض خفاف

شوابكهن يحمين العرينا

بباب الخندقين كأن أسداً

على الأعداء شوساً معلميناً^(٢)

فوارسنا إذا بكروا وراحوا

نكون عباد صدق مخلصينا

لننصر أحمداً واللّه حتى

وأحزاب أتوا متحزبيننا

ويعلم أهل مكة حين ساروا

وأن اللّه مولى المؤمنيننا

بأن اللّه ليس له شريك

فإن اللّه خير القادرينا

فإما تقتلوا سعداً سفاهاً

تكون مقامةً للصالحينا

سُيدخله جناناً طيبات

بغيتكم خزايا خائبينا

كما قد ردكم فلا شريداً

وكدتم أن تكونوا دامرينا

خزايا لم تنالوا ثم خيراً

فكُنتم تحتها متكُمهيناً^(٣)

بريح عاصف هبت عليكم

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبير السهمي في يوم الخندق (قلت وذلك قبل أن يسلم).

طول البلى وتراوخ الأحقاب

حي الديار محامعارف رسمها

ألا الكنيف ومعقد الأطناب^(٤)

فكانما كتب اليهود رسومها

في نعمة بأوانس أتراب

قفراً كأنك لم تكن تلهو بها

ومحلة خَلِقِ المقام بباب

فاترك تذكر ما مضى من عيشة

ساروا بأجمعهم من الأنصاب

واذكر بلاء معاشر واشكرهم

في ذي غياطل جحفل جبجاب^(٥)

أنصاب مكة عامدين ليثرب

في كل نشز ظاهر وشعاب

يدع الحرّون مناهجاً معلومة

قُبُ البطنون واحق الأقراب^(٦)

فيها الجياد شواذب مجنوبة

كالسيد بادر غفلة الرقاب

من كل سلهبة وأجرّد سلهب

فيه وصخر قائد الأحزاب

جيش عيينة قاصد بلوائه

غيث الفقير ومعقل الهُراب

قرمان كالبدزين أصبح فيهما

(١) الفضافض: الدروع المتسعة. والملا: المتسع من الأرض، وقيل الصحراء.

(٢) الشوس: جمع أشوس، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه كبراً. والمعلم: فتح وكسر اللام الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها.

(٣) المتكّم: الأعمى الذي لا يبصر.

(٤) الكنيف: الحظيرة، الزرية للإبل. والأطناب: الجبال التي تشد بها الخيام والأخية.

(٥) الغياطل: الجيوش كثيرة الأصوات. والجبجاب: الكثير.

(٦) الشواذب: الضوامر. المجنونة: المقودة، التي تقاد. قب: ضامرة. الأقراب: جمع قرب، وهي الخاصرة.

للموت كل مجرّب قضاب
وصحائبه في الحرب خير صحاب
كدنا نكون بها مع الخياب
قتلى لطير سغب وذئاب

متكلم لمحاور بجواب
وهبوب كل مطلقه مريباب^(١)
بيض الوجوه ثواقب الأحساب
بيضاء أنسة الحديد كعاب
من معشر ظلموا الرسول غضاب
أهل القري وبوادي الأعراب
متخمطون بحلبة الأحزاب^(٢)
قتل الرسول ومغنم الاسلاب
ردوا بغیظهم على الأعقاب
وجنود ريك سيد الأرباب
وأبهم في الأجر خير ثواب
تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأذل كل مكذب مرتاب
في الكفر ليس بطاهر الأثواب
في الكفر آخر هذه الأحقاب

من خير نحلة ربنا الوهاب
حم الجدوع غزيرة الأحلاب^(٣)
للجار وابن العم والمنتاب^(٤)
علف الشعير وجزة المقضاب^(٥)
جرد المتون وسائر الأراب^(٦)
فعل الضراء تراخ للكلاب^(٧)
تردي العدى وتثوب بالاسلاب
عبس اللقاء مبيئة الاتجاب^(٨)

حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا
شهرًا وعشرًا قاهرين محمداً
نادوا برحلتهم صبيحة قلتهم
لولا الخنادق غادروا من جمعهم
قال فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال:

هل رسم دارسة المقام يباب
قفر عفا رهم السحاب رسومه
ولقد رأيت بها الخلول يزينهم
فدع الديار وذكر كل خريدة
واشك الهموم إلى الإله وما ترى
ساروا بأجمعهم إليه وألبوا
جيش عيينة وابن حرب فيهم
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
وغدوا علينا قادرين بأيديهم
بهبوب معصية تفرق جمعهم
فكفى الإله المؤمنين قتالهم
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم
وأقر عين محمد وصحابه
عاتي الفؤاد موقع ذي ريبة
علق الشقاء بقلبه ففؤاده
قال وأجابه كعب بن مالك رضي الله عنه أيضاً فقال:

أبقى لنا حدث الحروب بقية
بيضاء مشرفة الذرى ومعاطناً
كاللوب يبدل جمها وحفيلاًها
ونزائعا مثل السراج نمتى بها
عزى الشوى منها وأردف نخضها
قوداً تراخ إلى الضباح إذا غدت
وتحوظ سائمة الديار وتارة
حوش الوحوش مطارة عند الوغى

- (١) رهم: جمع رهمة. وهو المطر الضعيف. مريباب: دائمة.
- (٢) متخمطون: مختلطون. ويقال: المتخمط: الشديد الغضب والتمكبر. قاله أبو ذر في «شرح السيرة».
- (٣) المعاطن: منابت النخل عند الماء؛ شبهها بمعاطن الإبل وهي مباركها عند الماء «الروض» (٢/٢٠٤). حم الجدوع: السواد، وصفها بالحمة لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة السهيلي (٢/٢٠٤).
- (٤) اللوب: جمع لوبة، وهي الحرة: أرض ذات حجارة سوداء. واللوب: أيضاً: النحل؛ ويحتمل تشبيهه بالنحل لكثرتها.
- (٥) النزاع: الخيل العربية التي حملت من أرضها إلى أرض أخرى.
- (٦) الشوى: القوائم. النخص: اللحم. جرد المتون: ملس الظهر. والأراب: جمع إربة وهي المفاصل.
- (٧) القود: الطوال الأعناق. الكلاب: جمع كالب، الصائد صاحب الكلاب.
- (٨) حوش: الوحشية. مطارة: مستخفة.

دُخَسَ البَضِيعَ خفيفة الأَقْصَابِ^(١)
 وبمترصاتٍ في الثُّقَابِ صِيَابِ^(٢)
 ويكَلُّ أروغَ ماجدِ الأنسابِ
 وكلتِ وقيعته إلى خَبَابِ^(٣)
 في طُخْيَةِ الظلماءِ ضوءُ شهابِ
 وتردُّ حد قواجزِ النَشَابِ^(٤)
 في كل مُجمعةٍ صريمةٍ غابِ^(٥)
 في صعدة الخَطِي فيءِ عُقَابِ
 وأبثَّ بسالتُّها على الأعرابِ
 بلسانِ أزهرِ طيِّبِ الأثوابِ
 من بعد ما عُرضت على الأحزابِ
 حَرَجاً ويفهمُها ذوو الألبابِ
 فليُغلبنَّ مُغالبُ المُغلابِ^(٦)

عُلفِت على دَعَةِ فصارت بُدناً
 يغدون بالزَغَفِ المضاعفِ شَكَّة
 وصورم نَزَعِ الصياقلِ عُلبَها
 يصلُ اليمينَ بمارنٍ متقاربِ
 وأغرَّ أزرق في القنناة كأنه
 وكتيبة ينفي القرآن قتيروها
 جاوى ملممةً كأن رماحها
 تاوي إلى ظل اللواءِ كأنه
 أعيت أبا كَرِبٍ وأعيثت تُبُعاً
 ومواعظٍ من رينا نهدي بها
 عُرضت علينا فاشتهدنا ذكرها
 حكما يراها المجرمون بزعمهم
 جاءت سَخِينَةُ كي تغالب ربها

قال ابن هشام: حدثني من أثنى به، حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير: أن رسول الله ﷺ قال له لما سمع منه هذا البيت: لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا. قلت ومراده بسخينة قريش وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي لا يتهاى لغيرهم غالباً من أهل البوادي^(٧) فالله أعلم. قال ابن إسحاق وقال كعب بن مالك أيضاً:

بعضاً كمعمعة الأبياء المحرق^(٨)
 بين المذاد وبين جذع الخندق^(٩)
 مهجاتٍ أنفسهم لربِّ المشرق
 بهمُ وكان بعبديه ذا مرفق
 كالنهي هبث ريحه المترق^(١٠)
 حذق الجنادب ذا شك موثق
 صافي الحديد صارم ذي رونق^(١١)
 يوم الهياج وكل ساعة مصدق
 قُدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 بُلَّة الأكف كأنها لم تخلق^(١٢)

من سره ضرب يُمعمعُ بعضه
 فيات مأسدة تسنُ سيوفها
 دربوا بضرِبِ المُعلمين وأسلموا
 في عُصبةٍ نصرَ الإله نبيّه
 في كل سابغةٍ تخطُ فُضولها
 بيضاء مُحكمةً كأن قتيروها
 جدلاء يحفزها نجاد مهئد
 تلكم مع التقوى تكون لباسنا
 نصلُ السيوف إذا قُضرن بخطونا
 فترى الجماجم ضاحياً هاماتها

(١) دخس: كثيرة اللحم.

(٢) المترصات: الشديدات. الزغف: الدروع اللينة الواسعة.

(٣) وقيعته: صنعه وصقله، خباب: اسم قين.

(٤) القتير: مسامير حلق الدرع. قواجز: النبال التي تصيب الأفخاذ؛ وفي «ابن هشام»: قواخذ.

(٥) جاوى: يخالط سوادها حمرة، والصريمة: اللهب المتوقد، وفي «ابن هشام»: الضريمة.

(٦) سخينة: لقب قريش في الجاهلية.

(٧) قال السهيلي: كان العرب إذا أستوتوا أكلوا العلهز، وهو الوبر والدم، وتاكل قريش الخزيرة، فنفت عليهم ذلك. فلقبوهم سخينة.

(٨) الأبياء: من «ابن هشام»، وفي الأصل الإناء. والأبياء القصب واحده: إباءة.

(٩) المذاد: موضع بالمدينة حيث حفر الخندق.

(١٠) النهي: الغدير.

(١١) جدلاء: الدرع المحكمة النسج. نجاد: حمائل السيف.

(١٢) بله: اسم فعل بمعنى اترك ودع.

تنفي الجموع كقصد رأس المشرق^(١)
ورد ومحجول القوائم أبلق
عند الهياج أسود طل ملثق^(٢)
تحت العماية بالوشيج المزهق
في الحرب إن الله خير موفق
للدار إن دلفت خيول النزق
منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
وإذا دعا لكريهة لم تسبق
ومتى نرى الحومات فيها نعتق
فيينا مطاع الأمر حق مصدق
ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق
كفروا وضلوا عن سبيل المتقي

علينا وراموا ديننا ما نودع
وخندق لم يدروا بما هو واقع^(٣)
عن الكفر والرحمن راء وسامع
على غيظهم نصر من الله واسع
علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
ولله فوق الصانعين صانع^(٤)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له - يعني طويلة - قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة:

وما وجدت لذل من نصير
سوى ما قد أصاب بني النصير
رسول الله كالقمر المنير
بفرسان عليها كالصقور^(٥)
دماؤهم عليها كالعبير
كذلك يدان ذو العنيد الفجور
من الرحمن إن قبلت نذيري

وليس لهم ببلدتهم نصير
وهم عمي من التوراة بور
بتصديقي الذي قال النذير
حريق بالبويرة مستطير^(٦)

نلقى العدو بفخمة ملمومة
ونعد للأعداء كل مقلص
تردى بفرسان كان كماتهم
صدق يعاطون الكماة حتوفهم
أمر الإله بربطها لعدوه
لتكون غيظاً للعدو وحيطاً
وبعيتنا الله العزيز بقوة
ونطيع أمر نبينا ونجيبه
ومتى ينادى للشدائد نأتها
من يتبع قول النبي فإنه
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا
إن الذين يكذبون محمداً
قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضاً:

لقد علم الأحزاب حين تألبوا
أضاميم من قيس بن غيلان أصفقت
يدودوننا عن ديننا ونذودهم
إذا غايظونا في مقام أعاننا
وذلك جفط الله فينا وفضله
هدانا لدين الحق واختاره لنا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له - يعني طويلة - قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة:

لقد لقيت قريظة ما ساءها
أصابهم بلاء كان فيه
غداة أتاهم يهوي إليهم
له خيل مجتبة تغادي
تركناهم وما ظفروا بشيء
فهم صرعى تحوم الطير فيهم
فأنذر مثلها نصحاً قريشاً
قال: وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قريظة:

تعاقد معشر نصرنا قريشاً
هم أوتوا الكتاب فضيعوه
كفرتم بالقرآن وقد أتيتهم
فهان على سراة بني لؤي

- (١) المشرق: جبل بين الصريف والمعصيم من أرض ضبة (معجم البلدان).
- (٢) ملثق: ما يكون عن الطل من زلق وطين. والأسد أجوع ما تكون وأجراً في ذلك الحين.
- (٣) أضاميم: واحدها أضامة وهو كل شيء مجتمع. وتروى أضاميم بالصاد: الخالصون في أنسابهم.
- (٤) في «ابن هشام»: صنائع.
- (٥) خيل مجتبة: هي التي تقاد ولا تتركب.
- (٦) سراة القوم: أشرافهم، والبويرة: موضع بني قريظة.

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال:

وحرق في طوائفها السعير
وتعلم أي أرضينا تضير
لقالوا لا مقام لكم فسيروا

أدام اللئيم ذلك من صنيع
ستعلم أيننا منها بنزوه
فلو كان النخيل بها ركاباً

قلت: وهذا ما قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم، وقد تقدم في «صحيح البخاري» بعض هذه الأبيات. وذكر ابن إسحاق جواب حسان في ذلك لجبل بن جوال الثعلبي تركناه قصداً.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قريظة:

وهل ما مضى من صالح العيش راجع
بنات الحشا وانهل مني المدامع
وقتلى مضى فيها طفيل ورافع^(١)
منازلهم فالأرض منهم بلاقع
ظلال المنايا والسيوف اللوامع
مطيع له في كل أمر وسامع
ولا يقطع الآجال إلا المصارع
إذا لم يكن إلا النبيون شافع
إجابتنا لله والموت ناقع
لأولنا في ملء اللئيم تابع^(٢)
وأن قضاء اللئيم لا بد واقع

ألا يا لقومي هل لما حتم دافع
تذكرت عصراً قد مضى فتهافتت
صبايةً وجدٍ ذكرتني إخوة
وسعداً فأضحوا في الجنان وأوحشت
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم
دعا فأجابوه بحق وكلمهم
فما نكلوا حتى توالوا جماعة
لأنهم يرجون منه شفاعة
فذلك يا خير العباد بلاؤنا
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا
ونعلم أن الملك لله وحده

مقتل أبي رافع اليهودي

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ وكانت الأوس، قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم. قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين لا تصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا وقالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك. قال: ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. قال: فتذكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر، فاستأذنوا الرسول ﷺ في قتله، فأذن لهم فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله. قال: وكان في عليه له إليها عجلة^(٣) قال: فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: أناس من العرب نلتمس الميرة. قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه. فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفاً أن يكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه. قال: فصاحت امرأته فنوّهت بنا، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافتنا، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه

(١) في الديوان:

وقتلى مضوا فيها نفيح ودافع

صباية وجدٍ ذكرتني أحبة

(٢) في الديوان: في طاعة بدل: في ملة.

(٣) عجلة: جذع النخلة ينقر ويجعل كالسلم فيصعد عليه إلى العلامي.

كانه قبطية^(١) ملقاة. قال: فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نبي رسول الله ﷺ فيكف يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال فلما ضربناه بأسيا فاحمل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قطني قطني أي حسبي حسبي. قال: وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر قال: فوقع من الدرجة فوثقت يده وثناً^(٢) شديداً وحملناه حتى نأتي منهراً من عيونهم، فندخل فيه فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبونا، حتى إذا يشسوا رجعوا إليه فاكتنفوه وهو يقضي. قال فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فانظر لكم. فانطلق حتى دخل في الناس قال: فوجدتها - يعني امرأته - ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول: أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي وقلت: أنى ابن عتيك بهذه البلاد. ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت: فاظ واله يهود، فما سمعت كلمة كانت ألد على نفسي منها. قالت: ثم جاءنا فأخبرنا، فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه. قال: فقال هاتوا أسيا فكم، فحجنا بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله أرى، فيه أثر الطعام. قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لله دُرُ عصابةٍ لا قيئهم
يسرون بالببيض الخفاف إليكم
حتى أتوكم في محل بلادكم
مستبصرين لنصر دين نبيهم
يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
مرحاً كأشد في عرين مغرف^(٣)
فسقوكم حتفاً بببيض ذؤف
مستصغرين لكل أمر مجحف

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق^(٤) رحمه الله. وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري: حدثنا إسحاق بن نصر، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن أبي زائدة عن أبيه، عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: بعث النبي ﷺ رهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله^(٥). قال البخاري: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبيد الله^(٦) بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً^(٧) من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه. وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس. وراح الناس بسرحهم قال عبد الله [لأصحابه]: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق متلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على ود قال: فقممت إلى الأقاليد^(٨) وأخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له فلما ذهب عنه أهل سمرة صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل فقلت إن القوم سدروا^(٩) لي لم يخلصوا إلي حتى أقتله. فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت قلت أبا رافع. قال من هذا. فأهويت نحو الصوت، فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت فأمكت غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع فقال: لأمك الويل إن رجلاً في البيت

(١) قبطية: ثياب بيض تصنع في مصر.

(٢) من «ابن هشام»؛ وفي الأصل: فوثبت يده وثباً. وثبت: أي أصاب عظمها شيء ليس بالكسر، وهو وجع يصيب اللحم دون العظم.

(٣) مغرف: ملتف الأغصان.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٣/٢٨٦).

(٥) في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٦) باب قتل أبي رافع ح (٤٠٣٨).

(٦) من البخاري؛ وفي الأصل: عبد الله وهو تحريف.

(٧) قال ابن حجر في «فتح الباري»: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن عتبة في أناس معهم.

(٨) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح.

(٩) في البخاري: نذروا لي.

[ضربني] قتل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثختته ولم أقتله ثم وضعت صيب^(١) السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً، حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله فلما صاح الديك، قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع ناصر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء. فقد قتل الله أبا رافع فأنتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم اشتكها قط^(٢). قال البخاري: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، حدثنا شريح، حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق: سمعت البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم، فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله بن عتيك: امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر قال: فتلطفت حتى أدخل الحصن، ففقدوا حماراً لهم فخرجوا بقيس يطلبونه، قال: فخشيت أن أعرف قال: فغطيت رأسي وجلست كأني أقضي حاجة [ثم نادى صاحب الباب]^(٣) فقال: من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه. فدخلت ثم اختبأت في مربوط حمار عند باب الحصن فتعشوا عند أبي رافع، وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل، ثم رجعوا إلى بيوتهم، فلما هدأت الأصوات ولا أسمع حركة خرجت، قال ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة فأخذته ففتحت به باب الحصن قال: قلت: إن نذر بي القوم، انطلقت على مهل، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم، فغلقتها عليهم من ظاهر، ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم، فإذا البيت مظلم، قد طفئ سراجهم فلم أدر أين الرجل، فقلت: يا أبا رافع قال: من هذا؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح فلم تغن شيئاً. قال: ثم جثت كأني أغيبه، فقلت: ما لك يا أبا رافع؟ وغيرت صوتي، قال: لا أعجبك لأملك الويل دخل علي رجل فيضربني بالسيف، قال: فعمدت إليه أيضاً فأضربه أخرى، فلم تغن شيئاً فصاح وقام أهله ثم جثت وغيرت صوتي كهيئة المغيث، فإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيف في بطنه ثم انكفئ عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشاً، حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه فانخلعت رجلي فعصبتها ثم أتيت أصحابي أحجل، فقلت: انطلقت فبشروا رسول الله ﷺ فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال: أنعي أبا رافع قال: فعمت أمشي ما بي قلبه^(٤) فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشرت^(٥). تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة ثم قال: قال الزهري: قال أبي بن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال أفلحت الوجوه قال أفلح وجهك يا رسول الله قال أفتكتموه قالوا: نعم قال: ناولني السيف فسله فقال أجل هذا طعامه في ذباب السيف^(٦). قلت يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثبت رجله فلما عصبتها استكن ما به لما هو فيه من الأمر الباهر ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرت نفسه ثاوره الوجع في رجله فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدمت والله أعلم. هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» مثل سياق محمد بن إسحاق وسمى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق وإبراهيم وأبو عبيد.

مقتل خالد بن سفيان الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في «الدلائل» تلو مقتل أبي رافع^(٧). قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن

- (١) صيب السيف لا معنى لها هنا والصيب سيلان الدم من الفم. وفي البخاري ضبة قال ابن حجر: وهو حرف حد السيف ويجمع على ضبات. قال أبو ذر صبة بالصاد: طرفه.
- (٢) البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (١٦) باب ح (٤٠٣٩). «فتح الباري» (٢٧٤/٧).
- (٣) ما بين معكوفين في الحديث من البخاري.
- (٤) قلبه: بفتح القاف واللام: أي علة انقلب بها قال الفراء: أصل القلاب بكسر القاف: داء يصيب البعير فيموت من يومه فقيل لكل من سلم من علة: ما به قلبه: أي ليست به علة تهلكه.
- (٥) البخاري (٦٤) كتاب «المغازي» (١٦) باب ح (٤٠٤٠) (٢٧٦/٧).
- (٦) رواية ابن عقبة ذكرها ابن عبد البر في «الدور» (١٨٦) باختصار. والبيهقي في «الدلائل» (٣٩/٤).
- (٧) «دلائل النبوة» (٤٠/٤) باب قتل ابن نبيح الهذلي.

إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعُرنة^(١) فائته فاقتله. قال قلت: يا رسول الله انعت لي، حتى أعرفه. قال: إذا رأيته وجدت له قشعريرة. قال: فخرجت متوشحاً سيفي، حتى وقعت عليه وهو بعُرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي للركوع والسجود فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل أنا في ذلك قال فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنتني، حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال: أفلح الوجه قال: قلت: قتلته يا رسول الله. قال: صدقت. قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخلت في بيته فأعطاني عصا فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها. قالوا: أولاً ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخضرون^(٢) يومئذ. قال فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه، حتى إذا مات أمر بها فوضعت في كفته ثم دفنا جميعاً^(٣) ثم رواه الإمام أحمد: عن يحيى بن آدم، عن عبد الله بن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن أنيس - أو قال عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس - عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه. وهكذا رواه أبو داود: عن أبي معمر، عن عبد الوارث عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر، عن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكر نحوه ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكره. وقد ذكر قصة عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيها مرسله فإله أعلم. قال ابن هشام وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان:

نوائحُ تفري كل جيب معدد^(٤)
بأبيض من ماء الحديد المهند
شهابٌ غضى من ملهب متوقد
أنا ابن أنيس فارس غير قعدد^(٥)
رحيب فناء الدار غير مزند^(٦)
خفيف على دين النبي محمد
سبقت إليه باللسان وباليد

تركتُ ابن ثورٍ كالحوار وحوله
تناولته والظعن خلفي وخلفه
عجوم لهام الدارعين كأنه
أقول له والسيف يعجم رأسه
أنا ابن الذي لم يُنزل الدهر قدره
وقلت له: خذها بضربة ماجد
وكننت إذا هم النبي بكافر

قلت: عبد الله بن أنيس^(٧) بن حرام: أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر، كان فيمن شهد العقبة وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور وقيل توفي سنة أربع وخمسين والله أعلم. وقد فرق علي بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاري الذي روى عن النبي ﷺ أنه دعا يوم أحد بأداة فيها ماء فحل فمها وشرب منها. كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري عن عيسى بن

(١) عُزنة: موضع بقرب عرفة موقف الحجيج. «معجم ما استعجم» (٣/٩٣٥).

(٢) المتخضرون: المتكثرون على المخاض وهي العصي، واحدها: مخصرة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/٤٩٦).

(٤) في «ابن هشام»: مقدد، والحوار: ولد الناقة إذا كانت صغيراً قبل أن يفصل عن أمه.

(٥) القعدد: الجبان اللثيم.

(٦) مزند: الضيق.

(٧) قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: عبد الله بن أنيس بن أسعد بن حرام بن خبيب بن مالك بن مالك بن غنم. كان مهاجرياً أنصاريّاً عقيماً شهد بدرًا وأحداً وما بعدهما. قيل من جهة حليفه للأنصار وقيل هو من الأنصار. مات سنة أربع وسبعين. قال ابن منده: فرق أبو حاتم بينه وبين ابن أنيس الجهني وأراهما واحداً انظر «أسد الغابة» (٣/١١٩). «الإصابة» (٢/٢٧٨).

عبد الله بن أنيس عن أبيه ثم قال الترمذي وليس إسناده يصح وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه .

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي

قال محمد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أوس [أبي] (١) الثقفي، عن حبيب بن [أبي] أوس، حدثني عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني لقد رأيت أمراً فما ترون فيه. قالوا: وما رأيت قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي. فإننا إن نكن تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: إن هذا لرأي. قلت: فاجمعوا لنا ما نهدي له، فكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه. فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر (٢) وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحباً بصديقي هل أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً. قال ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه. ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقاً. ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى فقتله؟ قال: قلت أيها الملك أكذاك هو؟ قال ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرون على من خالفه، كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده، قال: قلت: افتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين أبا سليمان؟ فقال والله لقد استقام الميسم (٣) وإن الرجل لنبي، اذهب والله أسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على النبي ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها. قال: فبايعته ثم انصرفت. قال ابن إسحاق وقد حدثني من لا أتهم: أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما، أسلم حين أسلما، فقال عبد الله بن أبي الزبير السهمي:

أنشد عثمان بن طلحة خلفنا
وما عقد الآباء من كل حلفة
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغي
فلا تأمننْ خالداً بعد هذه
وملقى نعال القوم عند المقبل (٤)
وما خالد من مثلها بمحلل
وما تبتغي من بيت مجد مؤئل
وعثمان جاء بالدهيم المعضل

قلت: كان إسلامهم بعد الحديبية (٥)، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب. ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الخندق الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس والله أعلم.

(١) من ابن هشام: في الموضعين.

(٢) في الواقدي: بعثه إليه بكتاب إليه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان (٧٤٢/٢).

(٣) الميسم: المكواة التي تكوى بها الإبل وتوسم. وفي رواية أبي ذر في «شرح السيرة»: «المنسم» قال: «ومعناه تبين الطريق ووضح».

(٤) قوله خلفنا، وفي نسخة لابن هشام: خلفنا ولعله الصواب.

(٥) في رواية الواقدي: كان ذلك قبيل الفتح، وإن عمراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا المدينة لهلال صفر سنة ثمان (٧٤٥/٢).

فصل في تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ يَتَنَكَّرَ وَيَبَيِّنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ [المتحنة: ٧] قال هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان، فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين^(١). ثم قال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ [قال: حدثنا علي بن عيسى، قال]^(٢) حدثنا أحمد بن نجدة، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، أنبأنا ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري عن عروة، عن أم حبيبة^(٣) أنها كانت عند عبيد الله^(٤) بن جحش وكان رحل إلى النجاشي فمات. وأن رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف درهم^(٥) وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها من عنده وما بعث رسول الله ﷺ بشيء. قال وكان مهور أزواج النبي ﷺ أربعمائة. قلت: والصحيح أن مهور أزواج النبي ﷺ كانت اثنتي عشرة أوقية ونشأ، والوقية أربعون درهماً والنش النصف وذلك يعدل خمسمائة درهم. ثم روى البيهقي: من طريق ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله ﷺ زوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قلت أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه، وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة استزله الشيطان، فزين له دين النصراني، فصار إليه حتى مات عليه، لعنة الله، وكان يعير المسلمين فيقول لهم أبصرنا وصاصاتم وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة. وأما قول عروة: إن عثمان زوجها منه فغريب. لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ثم هاجر إلى المدينة وصحبه زوجته رقية كما تقدم والله أعلم. والصحيح ما ذكره يونس، عن محمد بن إسحاق قال: بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص. قلت وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أصحمة النجاشي ملك الحبشة كما قال يونس عن محمد بن إسحاق حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربعمائة دينار.

وقال الزبير بن بكار: حدثنا محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي، جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ووهنه فاستأذنت علي فأذنت لها فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه، فقلت بشرك الله بالخير وقالت: يقول لك الملك وكلي من يزوجهك. قالت: فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته، وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين من فضة، كانتا علي وخواتيم من فضة، في كل أصابع رجلي سروراً بما بشرتني به. فلما أن كان من العشي، أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب، ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا، وخطب النجاشي وقال: الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، أما بعد فإن رسول الله ﷺ طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله أحمده واستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان. فبارك الله لرسول الله ﷺ ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا فإن من سنة

(١) «دلائل النبوة» (٤٥٩/٣) و«تفسير القرطبي» (٥٨/١٨). قال البيهقي: ذهب علماؤنا إلى أن هذا حكم لا يتعدى أزواج النبي ﷺ فمن يصرن أمهات المؤمنين في التحريم، ولا يتعدى هذا التحريم إلى إخوتهن. ولا إلى أخواتهن ولا إلى بناتهن والله أعلم.

(٢) سقطت من الأصل واستدركت من «دلائل البيهقي».

(٣) أم حبيبة: واسمها رملة وقيل: هند، والمشهور رملة وهو الصحيح عند أهل العلم بالنسب والسير، والحديث. ولدت قبل المبعث بسبعة عشر عاماً، تزوجها عبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي، فولدت له حبيبة وبها كُتبت. أسلمت، ثم هاجرت إلى الحبشة. ارتد زوجها عن الإسلام وتنصر وفارقها؛ وثبتها الله على دينها. وتوفيت سنة أربع وأربعين.

(٤) من «ابن سعد» والواقدي: وفي الأصل عبد الله تحريف.

(٥) في «ابن سعد» و«ابن هشام» و«القرطبي»: أربعمائة دينار.

الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج. فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا^(١) قلت: فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد الخندق إنما كان في قضية أم حبيبة فالحافظ البيهقي: ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست وأن تزويجه بأم سلمة كان في سنة أربع. قلت وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المثنى وابن البرقي وأن تزويج أم حبيبة كان في سنة ست وقال بعض الناس سنة سبع. قال البيهقي هو أشبه. قلت قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ويحتمل أن يكون بعده وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي فهو في قضيتها والله أعلم. وقد حكى الحافظ ابن الأثير في «الغابة»: عن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها. وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح واحتج هذا القائل بما رواه مسلم: من طريق عكرمة بن عمار اليماني، عن أبي زميل سماك بن الوليد، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال: يا رسول الله ثلاث أعطينهن قال: نعم. قال: تؤمري على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: نعم. قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها. الحديث بتمامه. قال ابن الأثير وهذا الحديث مما أنكر على مسلم، لأن أبا سفيان لما جاء يجدد العقد^(٢) قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبي ﷺ فقال والله ما أدري أرغبت بي عنه أو به عني؟ قالت بل هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك. فقال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر وقال ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لا يتابع عليه. وقال آخرون أراد أن يجدد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه. وقال بعضهم لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه. وهذه كلها ضعيفة والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى عمرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما في «الصحيحين» وإنما وهم الراوي في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً قال أبو عبيد القاسم بن سلام توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين وقال أبو بكر بن أبي خيثمة توفيت قبل معاوية لسنة وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين.

تزويجه بزینب بنت جحش

ابن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدية أم المؤمنين، وهي بنت أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه. قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة تزوجها عليه السلام سنة خمس، زاد بعضهم في ذي القعدة. قال الحافظ البيهقي تزوجها بعد بني قريظة وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده تزوجها سنة ثلاث والأول أشهر وهو الذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ وقد ذكره غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه السلام حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا إيراده قصداً لثلاث يضعه من لا يفهم على غير موضعه. وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لِيَكُنِيَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧]. ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقد تكلمنا على ذلك في «التفسير» بما فيه كفاية، فالمراد بالذي أنعم الله عليه هاهنا زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق وزوجه بابنة عمه زينب بنت جحش. قال مقاتل بن حبان: وكان صداقه لها عشرة دنانير، وستين درهماً وخمسة عشر درهماً ودرعاً وخمسين مداً وعشرة أمداد من تمر، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله ﷺ فكان ﷺ يقول له: اتق الله وأمسك عليك زوجك. قال الله ﷻ ﴿وَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] قال علي بن الحسين زيد العابدين

(١) الخبر في «دلائل البيهقي» (٤٦٢/٣).

(٢) يريد عقد هدنة الحديبية وليس عقد النكاح؛ والخبر في «ابن سعد» عن الزهري (٩٩/٨). وروى ابن سعد معارضاً تزويجها بعد الفتح: لما بلغ أبا سفيان بن حرب نكاح النبي ﷺ بابنته قال: ذلك الفحل لا يقدر أنفه.

والسدي: كان [رسول] الله قد علم أنها ستكون من أزواجه، فهو الذي كان في نفسه عليه السلام. وقد تكلم كثير من السلف هاهنا بآثار غريبة وبعضها فيه نظر تركناها. قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نِّسَاءَ وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ذلك أن زيد طلقها فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله ﷺ يخاطبها إلى نفسها ثم تزوجها وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى كما ثبت في «صحيح البخاري»: عن أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات^(١). وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال: كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: أنكحني الله من السماء. وفيها أنزلت آية الحجاب ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]^(٢). وروى البيهقي من حديث حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: فلو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه، فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات^(٣) ثم قال: رواه البخاري عن أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدمي عن حماد بن زيد، ثم روى البيهقي: من طريق عفان بن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش فقال النبي ﷺ: أمسك عليك أهلك فنزلت ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ثم قال [أخرجه] البخاري: عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن محمد مختصراً. وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن مغيرة عن الشعبي قال: كانت زينب تقول للنبي ﷺ إني لأدل عليك بثلاث ما من نساءك امرأة تدل بهن: إن جدي وجدك واحد تعني عبد المطلب فإنه أبو أبي النبي ﷺ وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب، وإني أنكحنيك الله عز وجل من السماء وإن السفير جبريل عليه السلام. وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم - يعني ابن القاسم - حدثنا النضر، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد اذهب فاذا ذكرها علي فأنطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها إن رسول الله ﷺ ذكرها^(٤) فوليتها ظهري ونكصت على عقبي. وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ بذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل، ثم قامت إلى مسجدها، ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال أنس: ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نساءه يسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر. قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية؛ وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة.

نزول الحجاب صبيحة عرس زينب

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها، ولأخواتها من أمهات المؤمنين، وذلك وفق الرأي العمري. قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله الرقاش، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي حدثنا أبو مجلز، عن أنس بن مالك قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون فإذا هو يتهاى للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام وقعد ثلاثة نفر وجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية، وقد رواه البخاري في مواضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر. ثم رواه البخاري منفرداً به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه. وقال البخاري: حدثنا

(١) أخرجه البخاري عن أحمد بن سيار المروزي عن محمد بن أبي بكر في كتاب «التوحيد» باب وكان عرشه على الماء «فتح الباري» (٤٠٢/١٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد «فتح الباري» (٤٠٣/١٣) عن خلاد بن يحيى عن عيسى.

(٣) «دلائل النبوة» (٤٦٥/٣).

(٤) العبارة في «ابن سعد» عن أنس: حين عرفت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها.

أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: بُني على النبي ﷺ بزینب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه. قال: ارفعوا طعامكم، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، قالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أمك بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي ﷺ فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون وكان النبي ﷺ شديد الحياء، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فخرج حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب، تفرد به البخاري من هذا الوجه. ثم رواه منفرداً به أيضاً: عن إسحاق هو ابن نصر، عن عبد الله بن بكير السهمي، عن حميد بن أنس بنحو ذلك، وقال «رجلان» بدل ثلاثة فالله أعلم.

قال البخاري: وقال إبراهيم بن طهمان، عن الجعد أبي عثمان، عن أنس فذكر نحوه. وقد قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا أبو المظفر، حدثنا جعفر بن سليمان، عن الجعد أبي عثمان الشكري، عن أنس بن مالك قال: أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه، فصنعت أم سلم حيساً ثم حطته في ثور فقالت: اذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في جهد فجننت به فقلت يا رسول بعث بهذا أم سليم إليك وهي تقرتك السلام وتقول: إن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال ضعه في ناحية البيت، ثم قال: اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً فسمى رجالاً كثيراً قال: ومن لقيت من المسلمين فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين، فجننت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس. فقلت يا أبا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلثمائة. قال أنس: فقال لي رسول الله ﷺ جيء فجننت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتحلق عشرة عشرة ويسموا وليأكل كل إنسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم، فقال لي رسول الله ﷺ ارفعه قال: فجننت فأخذت الثور فنظرت فيه فلا أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعت؟ قال: وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط فأطالوا الحديث، فشقوا على رسول الله ﷺ وكان أشد الناس حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً، فقام رسول الله ﷺ فسلم على حجره وعلى نسائه، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب، فخرجوا وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً وأنزل الله القرآن فخرج وهو يقرأ هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طُعِمْتُمْ فَاثْبُرُوا وَلَا مُسْتَنْبِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِهُوا أَرْوَاحَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الاحزاب: ٥٣-٥٤] قال أنس: فقرأهن علي قبل الناس، وأنا أحدث الناس بهن عهداً. وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، عن جعفر بن سليمان، عن الجعد أبي عثمان به. وقال الترمذي حسن صحيح. ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، عن معمر عن الجعد أبي عثمان به. وقد روى هذا الحديث البخاري والترمذي والنسائي من طرق: عن أبي بشر الأحمسي الكوفي عن أنس بنحوه. ورواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي نضرة العبدى، عن أنس بنحوه ولم يخرجوه. ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد، ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك. قلت: كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من المهاجرات الأول وكانت كثيرة الخير والصدقة وكان اسمها أولاً برة فسماها النبي ﷺ زينب وكانت تكنى بأم الحكم. قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى الله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة. وثبت في «الصحيحين» كما سيأتي في حديث الأفك عن عائشة أنها قالت: وسأل رسول الله ﷺ عني زينب بنت جحش وهي التي كانت تساميني من نساء النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً. وقال مسلم بن الحجاج في «صحيحه»: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا الفضل بن موسى الشيباني، حدثنا طلحة بن يحيى عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً قالت: فكنا نتناول أينا أطول يداً، فكانت زينب أطولنا يداً لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق. انفرد به مسلم. قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازي والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة وصل عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالقيع، وهي أول امرأة صنع لها النعش.

سنة ست من الهجرة

قال البيهقي^(١): كان يقال في المحرم منها، سرية محمد بن مسلمة قبل نجد وأسروا فيها ثمامة بن أثال اليمامي قلت: لكن في سياق ابن إسحاق: عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أنه شهد ذلك وهو إنما هاجر بعد خيبر فيؤخر إلى ما بعدها والله أعلم^(٢). وهي السنة التي كانت في أوائلها غزوة بني لحيان على الصحيح قال ابن إسحاق: وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة وولى تلك الحجة المشركون يعني في سنة خمس كما تقدم. قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم والمقصود أنه عليه السلام لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه فتحصنوا في رؤوس الجبال فمال إلى عسفان فلقى بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف. وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقي والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق وقد ثبت أنه صلى بعسفان يوم بني لحيان فلتكتب هاهنا وتحول من هناك اتباعاً لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده كما قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق. وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان:

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا
لقوا سَرَعَاناً يملأ السُّرب روعه
لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق
أمام طحون كالمجرّة فيلق^(٣)
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت
شعاب حجازٍ غير ذي متنفق^(٤)

غزوة ذي قرد^(٥)

قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يبق بها إلا ليالي قلائل^(٦)، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري^(٧)، في خيل من غطفان على لقاح النبي ﷺ بالغابة وفيها رجل^(٨) من بني غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح، قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - كلٌ قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله، معه فرس له يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سلع ثم صرخ: واصباحاه! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع، حتى لحق بالقوم، فجعل يردهم بالنبل ويقول:

- (١) «دلائل النبوة» (٧٨/٤) باب سرية نجد: يقال أنها كانت في المحرم سنة ست.
- (٢) «سيرة ابن هشام» (٢٨٧/٤). قال البيهقي: رواية ابن إسحاق تدل على شهود أبي هريرة ذلك، وأبو هريرة إنما قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر فيشبه أن يكون قصة ثمامة فيما بين خيبر وفتح مكة.
- (٣) سرعان: أول القوم. السرب: بفتح السين: الطريق. وبكسرهما: النفس.
- (٤) الوبار: جمع وبر، وهي دوية على قدر الهرة. يشبه بها الضعيف. غير ذي متنفق: أي ليس له باب يخرج منه.
- (٥) الواقدي و«ابن سعد»: يسميانها غزوة الغابة. وذي قرد: بفتح القاف وضمها: ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان، وقيل على مسافة يوم منها.
- (٦) في ابن سعد: في ربيع الأول سنة ست. وفي الواقدي: ربيع الآخر.
- (٧) وقيل عبد الرحمن بن عيينة. قال الحافظ يحتمل أن تكون إغارة ابن عيينة حصلت مرتين، الأولى التي ذكرها ابن إسحاق قبل الحديبية والثانية بعد الحديبية قبل خيبر كما ساقها البيهقي متبوعاً أثر البخاري؛ وكان على رأس الثانية عبد الرحمن بن عيينة كما عند مسلم؛ وهو ما رواه الإمام أحمد عن ابن الأكوع قال في آخرها بعد ذكر قصة ذي قرد: فرجعنا إلى المدينة فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر.
- (٨) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة. والرجل الغفاري هو ابن أبي ذر وامرأته: ليلي «طبقات ابن سعد».

خذهما وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضوع^(١) فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى، ثم قال:

خذهما وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضوع

قال فيقول قائلهم^(٢): أو يكعنا هو أول النهار، قال: وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفرع الفرع. فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان: المقداد بن الأسود ثم عباد بن بشر، وسعد بن زيد، وأسيد بن ظهير - يشك فيه - وعكاشة بن محصن، ومحرز بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمة وأبو قتادة الحارث بن ربيعي أخو بني سلمة، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت، أخو بني زريق قال: فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال: اخرج في طلب القوم، حتى ألحقك في الناس، وقد قال النبي ﷺ لأبي عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق: يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم قال أبو عياش: فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس، ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني فعجبت من ذلك، فزعم رجال من زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن معاص أو عائذ بن معاص بن قيس بن خلدة، وكان ثامناً قال وبعض الناس يعد سلمة بن الأكوع ثامناً وي طرح أسيد بن ظهير. فوالله أعلم أي ذلك كان. قال: ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. قال: فخرج الفرسان حتى تلاحقوا فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة وكان يقال له الأخرم، ويقال له قمير^(٣) وكانت الفرس التي تحته لمحمود بن مسلمة، وكان يقال للفرس ذو اللمة فلما انتهى إلى العدو قال لهم: قفوا معشر بني اللكية حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار قال: فحمل عليه رجل^(٤) منهم فقتله، وجال الفرس، فم يقدر عليه حتى وقف على أريه^(٥) من بني عبد الأشهل أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة.

قال ابن إسحاق ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره. قال ابن هشام: وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قتل معه أيضاً وقاص بن مجزز المدلجي. قال ابن إسحاق وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك: أن محرزاً كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها الجناح، فقتل محرز واستلب جناح فوالله أعلم. قال ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة وغشاه برده ثم لحق بالناس. وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين. قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم^(٦). فإذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة، فاسترجع الناس وقالوا: قتل أبو قتادة فقال رسول الله ﷺ: ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه. قال: وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً^(٧) وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد، فانتظمهما بالرمح فقتلها جميعاً، واستنقذوا بعض اللقاح، قال: وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد، وتلاحق به الناس، فأقام عليه يوماً وليلة. وقال له سلمة بن الأكوع: يا رسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح، وأخذت بأعناق القوم فقال رسول الله ﷺ فيما بلغني: إنهم الآن ليغبقون في غطفان. فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة^(٨) رجل جزوراً، وأقاموا عليها ثم رجع قافلاً حتى قدم المدينة، قال: وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل النبي ﷺ حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر، فلما فرغت قالت: يا رسول الله إني قد نذرت الله أن أنحرها إن نجاني الله عليها، قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال «بشما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها، إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنما هي ناقة من إبلي فارجمي إلى أهلك على بركة الله». قال ابن إسحاق: والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري. هكذا أورد

(١) الرضوع: اللثيم. والمعنى: اليوم يوم هلاك اللثام.

(٢) في رواية للواقدي: ربيعة بن أكثم بدل عباد بن بشر. ولم يذكر أسيد بن حضير. وفي رواية له عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار: ذكر فيهم عباد بن بشر وأسيد. ولم يذكر معاذ وربيعه.

(٣) في «الاستيعاب»: فهيرة.

(٤) في الواقدي: قتله مسعدة بن حكمة ويقال: أوثار.

(٥) الأري: الحبل الذي تشد به الدابة؛ وقد يسمى موضع وقوفها أيضاً أرياً.

(٦) وجعل سعد بن عباد في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة ابن سعد - الواقدي.

(٧) في «الواقدي»: أوثار. وفي «الطبقات»: أثار.

(٨) قال الواقدي وابن سعد: كانوا خمسمائة.

ابن إسحاق هذه القصة بما ذكر من الإسناد والسياق. وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خيبر غزوة ذي قرد وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم، عن يزيد بن أبي عبيد، سمعت سلمة بن الأكوع يقول: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى^(١) وكانت لقاح النبي ﷺ ترعى بذئ قرد، قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، فقال: أخذت لقاح النبي ﷺ فقلت من أخذها؟ قال غطفان قال: فصرخت ثلاث صرخات: وا صباحاه قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم، وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً وأقول: أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع. وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بردة. قال: وجاء النبي ﷺ والناس فقلت: يا رسول الله قد حمت القوم الماء^(٢) وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة. فقال «يا ابن الأكوع، ملكت فأسجح» ثم رجعنا وردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة^(٣). وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ورواه البخاري عن أبي عاصم السهيلي عن يزيد بن أبي عبيدة عن مولا سلمة بنحوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ فخرجت أنا ورباح غلام النبي ﷺ بظهر رسول الله ﷺ وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه^(٤) مع الإبل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ فقتل راعيها، وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل، فقلت يا رباح أقعد على هذا الفرس فالحقه بطلحة وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أغير على سرحه. قال: وقمت على تل، فجعلت وجهي من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات: يا صباحاه! قال: ثم اتبعت القوم معي سيفي ونبلي فجعلت أرميهم وأعقر بهم وذلك حين يكثر الشجر فإذا رجعت إلى فارس جلست له في أصل شجرة، ثم رميت فلا يقبل إلي فارس إلا عقرت به فجعلت أرميهم وأنا أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال: فالحق برجل منهم فأرميه، وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كتفه، فقلت:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل، فإذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرديتهم بالحجارة، فما زال ذلك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز، حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري^(٥) فاستنقذته من أيديهم. ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رحماً وأكثر من ثلاثين بردة، يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة وجمعت على طريق رسول الله ﷺ حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مدداً لهم، وهم في ثنية ضيقة ثم علوت الجبل فأنا فوقهم. فقال عيينة: ما هذا الذي أرى؟ قالوا لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره. فقال عيينة: لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم، ليقم إليه نفر منكم. فقام إلي^(٦) نفر منهم أربعة فصعدوا في الجبل، فلما أسمعتهم الصوت قلت أتعرفونني؟ قالوا: ومن أنت؟ قلت: أنا ابن الأكوع والذي كرم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني. فقال رجل منهم: إن أظن. قال فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يخللون الشجر وإذا أولهم الأخرم الأسدي، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندي، فولى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل [فأعرض للأخرم]^(٧) فأخذ عنان فرسه، فقلت: يا أخرم ائذن القوم - يعني احذرهم - فإني لا آمن من أن يقتطعوك فأتد حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه. قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني

(١) يعني صلاة الصبح، ويؤيده قوله في رواية مسلم: أنه تبعهم من الغلس إلى غروب الشمس.

(٢) أي منعهم من الشرب.

(٣) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٧) باب غزوة ذي قرد ح (٤١٩٤) ورواه في كتاب «الجهاد» (١٦٦) باب «فتح الباري» (١٦٤/٦) ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٤٥) باب ح (١٣١).

(٤) أنديه: أو يورد الماشية الماء فتسقى قليلاً ثم ترسل في المرعى، ثم ترد الماء ثم ترد إلى المرعى.

(٥) يريد أنه استخلص منهم البعير الذين أخذوهم وأصبحت بحوزته وحال بينهم وبينها.

(٦) من رواية الإمام أحمد في البيهقي: وفي الأصل: إليه تحريف.

(٧) من «دلائل البيهقي» (١٨٤/٤).

وبين الشهادة. قال: فخلت عنان فرسه، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة، ويعطف عليه عبد الرحمن، فاختلفا طعنتين فعقر الأخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله، فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن، فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم. ثم إني خرجت أعدو في أثر القوم، حتى ما أرى من غبار صحابة النبي ﷺ شيئاً ويعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى شعب فيه ماء، يقال له ذو قرد، فأرادوا أن يشربوا منه فأبصروني أعدو وراءهم، فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية ثنية ذي بئر^(١) وغربت الشمس، وألحق رجلاً فأرميه فقلت: خذها وأنا ابن الأكوخ واليوم يوم الرضع، قال: فقال: يا ثكل أم أكوخ بكرة^(٢). فقلت نعم أي عدو نفسه. وكان الذي رميته بكرة وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان ويخلفون فرسين، فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ذو قرد، وإذا بنبي الله ﷺ في خمسمائة وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفت، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله خلني، فأنتخب من أصحابك مائة فأخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته. فقال: أكنت فاعلاً ذلك يا سلمة؟ قال: قلت: نعم والذي أكرمك. فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه في ضوء النار. ثم قال: إنهم يقرون الآن بأرض غطفان فجاء رجل من غطفان فقال: مروا على فلان الغطفاني فنحرلهم جزوراً فلما أخذوا يكشطون جلودها رأوا غيرة فتركوها وخرجوا هراباً، فلما أصبحنا، قال رسول الله ﷺ: خير فرساننا [اليوم]^(٣) أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة، فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً، ثم أردفني وراءه على العضباء، راجعين إلى المدينة فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق جعل ينادي: هل من مسابق، ألا رجل يسابق إلى المدينة؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفي فقلت له: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا إلا رسول الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلأسابق الرجل. قال: إن شئت. قلت: أذهب إليك فطفر عن راحلته وثبتت رجلي فطفرت عن الناقة، ثم إني ربطت عليه شرفاً أو شرفين يعني استبقيت من نفسي، ثم إني عدوت حتى ألحقه فأصك بين كتفيه بيدي قلت سبقتك والله أو كلمة نحوها قال فضحك وقال: إن أظن. حتى قدمنا المدينة^(٤). وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده فسبقته إلى المدينة فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. ولأحمد هذا السياق. ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر. وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم. فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة فإن خيبر كانت في صفر منها.

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبي الزبير عن الحسن البصري مرسلًا. وقد جاء متصلًا من وجوه آخر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن عمران بن حصين قال: كانت العضباء لرجل من بني عقيل، وكانت من سوابق الحاج، [فأسر الرجل]^(٥) فأخذت العضباء معه، قال فمر به رسول الله ﷺ وهو في وثاق ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة فقال: يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابقه الحاج^(٦)؟ فقال رسول الله ﷺ نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف، قال: وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي ﷺ. وقال: فيما قال [إني]^(٧) مسلم فقال رسول الله ﷺ لو قتلتها وأنت تملك أمرك^(٨) أفلحت كل الفلاح، قال: ومضى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إني جائع فأطعمني وإني ظمآن فاسقني فقال رسول الله ﷺ: هذه حاجتك، ثم فُدي بالرجلين، وحبس رسول الله ﷺ العضباء لرحله. قال: ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة، فذهبوا به وكانت

(١) في البيهقي: ذي شر.

(٢) أي أنت الأكوخ الذي كنت بكرة هذا اليوم؟

(٣) من البيهقي.

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤/١٨٥)، ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٤٥) باب غزوة ذي قردح (١٣٢).

(٥) سقطت من الأصل واستدركت من رواية البيهقي.

(٦) سابقة الحاج: أراد بها العضباء، فإنها كانت لا تُسَبَق.

(٧) من البيهقي.

(٨) معناه: لو كنت قد أسلمت قبل الأسر، حيث كنت مالك أمرك؛ لكنك فزت بالإسلام من الأسر، لأنه لا يجوز أسر مسلم.

العضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين. قال: وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبله بأفئيتهم، قال: فقامت المرأة ذات ليلة بعدما نوموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء، فأتت على ناقة ذلول مجرسة فركبتها، ثم وجهتها قبل المدينة قال: ونذرت إن الله أنجاها عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة عرفت الناقة فقيل ناقة رسول الله ﷺ قال: وأخبر رسول الله ﷺ بنذرها أو أنه فأخبرته فقال بنس ما جزيتها أو بنس ما أنجاها الله عليها لتنحرنها. قال: ثم قال رسول الله ﷺ: لا وفاء لنذر^(١) في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم. ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد.

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لولا الذي لاقت ومسن نسورها
للقبنكم يحملن كل مدجج
ولسّر أولاد اللقيطة أننا
كنا ثمانية وكانوا جحفاً
كنا من القوم الذين يُلونهم
كلاً وربّ الراقصات إلى منى
حتى تُبيل الخيل في عرصاتكم
زهواً بكل مُقلّص وطمرة
أفنى دوابرها ولاخ مُثونتها
فكذلك إن جياذنا ملبونة
وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي
أخذ الإله عليهم لحرامه
كانوا بدار ناعمين فبدلوا

بجنوب ساية أمس في التقواد^(٢)
حامي الحقيقة ماجد الأجداد
سَلَم غداة فوارس المقداد
لجباً فشكوا بالرماح بداد
ويقدمون عنان كل جواد
يَقطغن عرض مخارم الأطواد^(٣)
ونثوب بالملكات والأولاد
في كل معترك عطفن وواد
يوم تقاد به ويوم طراد
والحرب مُشغلة بريح غواد
جنن الحديد وهامة المرتاد^(٤)
ولعزة الرحمن بالأسداد
أيام ذي قرد وجوة عناد^(٥)

قال ابن إسحاق: فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسان وحلف لا يكلمه أبداً وقال: انطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد. فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروي اسم المقداد، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد:

إذا أردتم الأشد الجندا
أو ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهد هذا

قال فلم تقع منه بموقع. وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أظن عيينة إذ زارها
فأكذبت ما كنت صدقته
فعمفت المدينة إذ زرتها
وولوا سراعاً كشد النعمام
أمير علينا رسول المليك
رسول يصدق ما جاءه

بأن سوف يهدم فيها قصورا
وقلتم سنغنم أمراً كبيراً
وأنست للأسد فيها زئيراً
ولم يكشفوا عن ملط حصيراً^(٦)
أحبب بذاك إلينا أميراً
ويتلو كتاباً مضيئاً منيراً

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين:

- (١) روى الحديث البيهقي في «الدلائل» (٤/١٨٨) ومسلم في (٢٦) كتاب «النذور» (٣) باب الحديث (٨).
- (٢) لاقت: يريد الخيل، وأضمر ذكرها. النور: ما يكون في باطن حافر الدابة. ساية: موضع.
- (٣) الراقصات: الإبل. المخارم: الطريق بين الجبال.
- (٤) جنن: جمع جنة وهي السلاح.
- (٥) في «ابن هشام»: عباد.
- (٦) الملط: الناقة، من قولهم لطت الناقة وألطت بذنباها: إذا ادخلته بين رجلها.

على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
ولا ننثني عند الرماح المداعس
ونضرب رأس الأبلج المتشاوس^(١)
بضرب يسلي نخوة المتقاعس
كريم كسرحان العضة مخالس
ببيض تقد الهام تحت القوانس
بما فعل الإخوان يوم التمارس
ولا تكثموا أخباركم في المجالس
به وحر في الصدر ما لم يمارس

أحسب أولاد اللقيطة أننا
وإننا أناس لا نرى القتل سبة
وإننا لنقري الضيف من قمع الذرى
نرد كماء المُفلمين إذا انتحوا
بكل فتى حامى الحقيقة ماجد
يذودون عن أحسابهم وبلادهم
فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم
وقولوا زلنا عن مخالف خادر

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخاري وهي غزوة المريسيع^(٢). قال محمد بن إسحاق: وذلك سنة ست. وقال موسى بن عقبة سنة أربع. وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الإفك في غزوة المريسيع هكذا رواه البخاري عن «مغازي» موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع. والذي حكاه عنه وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس. وقال الواقدي كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعمئة من أصحابه^(٣). وقال محمد بن إسحاق بن يسار بعد ما أورد قصة ذي قرد. فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ويقال نميلة بن عبد الله الليثي. قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرية بنت الحارث، التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد هذا، فلما سمع بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحم الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفأهم عليه^(٤). وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمئة من أصحابه إلى بني المصطلق وكانوا حلفاء بني مدلج فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق ويقال إلى عمار بن ياسر وراية الأنصار إلى سعد بن عباد، ثم أمر عمر بن الخطاب: فنادى في الناس: أن قولوا لا إله إلا الله، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد^(٥). وثبت في «الصحاحين»: من حديث عبد الله بن عون قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال: قد أغار

(١) القمع: جمع قمعة وهي أعلى سنام البعير. والأبلج: في «ابن هشام» الأبلج يعني: المتكبر.

(٢) المريسيع: ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم، مأخوذ من قولهم: رسعت عين الرجل إذا دمعت من فساد.

(٣) اختلف في زمن غزوة المريسيع، قال البخاري عن ابن عقبة: كانت سنة أربع؛ وما أخرجه عنه الحاكم والبيهقي في «الدلائل» وغيرهما: سنة خمس وهذا ما أيده قتادة وعروة كما روى عنهما البيهقي. وقال ابن إسحاق والطبري: في شعبان سنة ست. وعقب الزرقاني على هذا الخلاف في «شرح المواهب»؛ قال: «وقال الحاكم في الإكليل: قول عروة وغيره أنها كانت سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق؛ قلت: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عباد في أصحاب الإفك، فلو كانت المريسيع في شعبان سنة ست مع كون الإفك منها، لكان ما وقع في «الصحاح» من سعد بن معاذ غلطاً، لأنه مات أيام قريظة، وكانت سنة خمس على الصحيح، وإن كانت سنة أربع، فهو أشد غلطاً. فظهر أن غزوة المريسيع كانت في سنة خمس في شعبان قبل الخندق، لأنها كانت في شوال سنة خمس، فتكون بعدها فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ورمي بها بعد ذلك بسهم في الخندق، ومات من جراحته بعد تحكيمة في بني قريظة.

(٤) الخبر في «ابن هشام»: (٣/٣٠٢).

(٥) «مغازي الواقدي»: (٤٠٧/١) وفيه: يقال للرجل هاشم بن ضبابة وقتله رجل يقال له أوس، لأنه ظن أنه من المشركين فحمل عليه فقتله. فعلم بعد أنه مسلم. وفي ابن هشام وكتب «السيرة»: ابن ضبابة.

رسول الله ﷺ على بني المصطلق، وهم غارون في أنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى سبيهم، فأصاب يومئذ - أحسبه قال - جويرية بنت الحارث. وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك، وكان بذلك الجيش^(١). قال ابن إسحاق وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه أصابه رجل من الأنصار وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ. وذكر ابن إسحاق: أن أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكة مظهراً للإسلام، فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ لأنه قتل خطأ فأعطاه ديته ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع مرتداً إلى مكة وقال في ذلك:

شفي النفس أن قد بات بالقاع مسنداً
وكانت هموم النفس من قبل قتله
حللت به وتري وأدركت ثورتني
ثارت به فهراً وحملت عقلة

يضرجُ ثوبيه دماء الأخادع^(٢)
تلم فتحميني وطاء المضاجع
وكننتُ إلى الأوثان أول راجع
سراة بني النجار أرباب فارع^(٣)

قلت: ولهذا كان مقيس هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم وإن وجدوا معلقين بأستار الكعبة. قال ابن إسحاق: فبينما الناس^(٤) على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فزدحم جهجاه وسان بن وبر^(٥) الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أو قد فعلوها؟ قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول «سمن كلبك يأكلك» أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه! لا ولكن آذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فاترحل الناس. وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به وكان في قومه شريفاً عظيماً فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل حذياً على ابن أبي ودفعاً عنه. فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، وقال: يا رسول الله، والله لقد رحمت في ساعة منكراً، ما كنت تروح في مثلها. فقال له رسول الله ﷺ: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: أي صاحب يا رسول الله؟ قال عبد الله بن أبي. قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج منها الأذل، قال: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الدليل وأنت العزيز ثم قال: يا رسول الله ارفق، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً. ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس، ثم نزل الناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي. ثم راح رسول الله ﷺ بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع، يقال له بقعاء. فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة فأذتهم وتخوفوها، فقال رسول الله ﷺ: لا تخوفوها فإنما هبت لموت عظيم

- (١) أخرجه البخاري في (٤٩) كتاب «العتق» (١٣) باب ح (٢٥٤١) وأخرجه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (١) باب الحديث (١). وأخرجه أبو داود في «الجهاد» عن سعيد بن منصور.
- (٢) الأخادع: عروق في القفا، وإنما هما اخدعان، فجمعهما مع ما يليهما «شرح أبي ذر» ص (٣٣٤).
- (٣) فارع: أطم كان في موضع دار جعفر بن يحيى بباب الرحمة «وفاء الوفاء» (٣٥٤/٢).
- (٤) في «ابن هشام»: رسول الله ﷺ.
- (٥) قال السهيلي: «وقال غيره: سنان بن تميم، من جهينة بن سود بن أسلم، حليف الأنصار» وفي «دلائل البيهقي»: سنان بن زيد.

من عظماء الكفار. فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان عظيماً من عظماء اليهود وكهناً للمنافقين مات ذلك اليوم^(١). وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي. وروى مسلم من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر نحو هذه القصة، إلا أنه لم يسم الذي مات من المنافقين: قال هبت ريح شديدة والنبي ﷺ في بعض أسفاره فقال هذه لموت منافق، فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين. قال ابن إسحاق: ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فأخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم وقال هذا الذي أوفى الله بإذنه. قلت: وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها في كتابنا «التفسير» بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله الحمد والمنة، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك وبالله التوفيق. قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمري لي به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل [رجلاً]^(٢) مؤمناً بكافر، فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ بل نتفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا. وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلتك يوم قلت لي، لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. فقال عمر: قد والله علمتُ لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري. وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما: أن ابنه عبد الله رضي الله عنه وقف لأبيه عبد الله بن أبي بن سلول، عند مضيق المدينة فقال: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك، فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة. قال ابن إسحاق: وأصيب يومئذ من بني المصطلق ناس^(٣) وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين مالكاً وابنه. قال ابن هشام وكان شعار المسلمين: يا منصور أمت أمت.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً فقسّمهم في المسلمين. وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، أخبرني إسماعيل بن جعفر، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز أنه قال: دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل فقال أبو سعيد خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتهدنا النساء وأشدت علينا العزوبة وأحببنا العزل وقلنا نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا كائنة. وهكذا رواه^(٤). قال ابن إسحاق: وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار. فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة عن عائشة قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحية، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأنت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت. فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله قال: أقضي عنك كتابك وأتزوجك. قالت: نعم يا رسول الله قد فعلت. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن

(١) الخبر في «السيرة» (٣/٣٠٣ - ٣٠٤). «مغازي الواقدي» (٢/٤٢٤) و «الدور» لابن عبد البر (١٨٩) والبيهقي عنهما في «الدلائل» (٤/٥٦، ٥٩، ٦٠). وعند ابن عقبة: أن الريح هبت لما نزل رسول الله ﷺ صنعاء من طريق عُمان.

(٢) من «ابن هشام».

(٣) في «ابن سعد» والواقدي: قتل منهم عشرة وأسر سائرهم.

(٤) أخرجه البخاري في (٣٤) كتاب «البيوع» (١٠٩) باب «فتح الباري» (٤/٤٢٠). ومسلم في (١٦) كتاب «النكاح» (٢٢) باب ح (١٢٥).

- العزل: نزع الذكر من الفرج وقت الانزال خوفاً من الانجاب.

- إن لا تفعلوا: ما عليكم ضرر في ترك العزل، لأن كل نفس قدر الله خلقها لا بد أن يخلقها سواء عزلتم أم لا فلا فائدة في عزلكم.

رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها^(١) ثم ذكر ابن إسحاق قصة الإفك بتمامها في هذه الغزوة وكذلك البخاري وغير واحد من أهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور فليحق بكماله إلى هاهنا وبالله المستعان.

وقال الواقدي: حدثنا حرام، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قالت جويرية بنت الحارث رأيت قبل قدم النبي ﷺ بثلاث ليالٍ كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس، حتى قدم رسول الله ﷺ فلما سُبينا رجوت الرؤيا قالت: فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى. قال الواقدي: ويقال إن رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق^(٢). وذكر موسى بن عقبة عن بني المصطلق أن أباهما طلبها وافتداها ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوجه إياها^(٣).

قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن إسحاق حديث الإفك: قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد الله^(٤) بن عتبة قال الزهري: وكل قد حدثني بهذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت كل الذي حدثني القوم. قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الأفك ما قالوا، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً، يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه، وكل كان عنها ثقة، فكلهم حدث عنها بما سمع قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله ﷺ. قالت: وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق^(٥) لم يهجن اللحم فيثلقن، وكنت إذا رُحلت لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملونني، ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذن مؤذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي فيه جزع^(٦) ظفار، فلما فرغ انسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت التمسه في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي، الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه، كما كنت أصنع فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوا أني فيه ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به فرجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب، قد انطلق الناس. قالت فتلفتت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني وعرفت أن لو افتقدت لرجع الناس إلي قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان^(٧) بن المعطل السلمي وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبيت مع الناس فرأى سوادي فأقبل

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣/٣٠٨).

(٢) «مغازي الواقدي» (٢/٤١١) وفيه: حزام بن هشام عن أبيه قال:

(٣) ذكر رواية ابن عقبة البيهقي في «الدلائل» من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة (٤/٥١).

وفي رواية لابن هشام وردت في «السيرة» (٣/٣٠٨) قال: فأقبل أبوها الحارث بفداء ابنته ودفعت إليه ابنته، فأسلمت وحسن إسلامها، فخطبها إلى أبيها، فزوجه إياها وأصدقها أربعمئة درهم.

(٤) في «سيرة ابن هشام»: وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة.

(٥) العلق: جمع علقة، وهو الطعام القليل ما يسد به الرمق.

(٦) جزع: خرز يمان يصنع في ظفار، مدينة باليمن قرب صنعاء.

(٧) وهو صفوان بن المعطل بن وبيصة بن المؤمل بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهنة بن سليم ذكره الكلبي. قال السهيلي: «كان صفوان على ساق العسكر يلتقط ما يسقط من متاع الجيش ليرده إليهم، ولذلك تخلف». وقيل أنه كان ثقيل النوم؛ ذكره أبو داود.

حتى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب فلما رأي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ظعينة رسول الله ﷺ؟ وأنا متلففة في ثيابي. قال ما خلفك يرحمك الله؟ قالت فما كلمته. ثم قرب إليّ البعير فقال: اركبي واستأخر عني. قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الأفك ما قالوا وارنج العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك، ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شيء. وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحماني، ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك، فأنكرت ذلك منه، وكان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرّضني قال كيف تيكم؟ لا يزيد على ذلك. قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله حين رأيتُ ما رأيتُ من جفائه لي: لو أذنت لي، فانتقلت إلى أمي فمرضتني؟ قال: لا عليك. قالت: فانقلبت إلى أمي، ولا علم لي بشيء، مما كان حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف^(١) التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نخرج في فُسح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب، قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها فقالت تعس مسطح (ومسطح لقب واسمه عوف) قالت: فقلت بشس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرًا، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت وما الخبر فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الأفك. قلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم والله لقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي.

قالت: وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً، قالت: أي بنية خففي عليك الشأن، فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ [في الناس]^(٢) فخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت عليهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي.

قالت: وكان كبير ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحملة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني في المنزلة عنده غيرها فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حملة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لأختها فشقيت بذلك. فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم، قالت: فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال: كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت إنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد بن حضير: كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: وتساور^(٣) الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليّ فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما. فأما أسامة فأنثى خيراً وقاله، ثم قال: يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً وهذا الكذب والباطل. وأما علي، فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها قالت: فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ويقول: أصدقني رسول الله ﷺ. قالت فتقول والله ما أعلم إلا خيراً وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله. قالت: ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي

(١) الكُنف: جمع كنيف، وهو مكان الغائط. وفي الواقي: المناصب.

(٢) من «ابن هشام».

(٣) تساور الناس: وفي نسخة لابن هشام تثاروا: أي قام بعضهم إلى بعض.

الله، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبني إلى الله، فإن الله يقبل التوبة من عباده. قالت: فوالله إن هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي، حتى ما أحس منه شيئاً. وانتظرت أبوي أن يجييا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلما قالت: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأناً من أن ينزل الله في قرآناً يقرأ به ويُصلى به، ولكنني كنت أرجو أن يرى النبي ﷺ في نومه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي ويخبر خبراً وأما قرآناً ينزل في فوالله لئن كنت أحقر عندي من ذلك. قالت: فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما: ألا تجييان رسول الله ﷺ؟ فقالا: والله ما ندري بما نجيبه. قالت ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام. قالت: فلما استعجما عليّ استعبرت فبكيت، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني. قالت: ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره. فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف [فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون] قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه. فسجى بثوبه ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالمي وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس. قالت ثم سرى عن رسول الله ﷺ فجلس، وأنه ليتحدر من وجهه مثل الجمال في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: أبشري يا عائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك. قالت: قلت الحمد لله. ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حذهم.

وهذا الحديث مخرج في «الصحيحين»^(١) عن الزهري. وهذا السياق فيه فوائد جمة. وذكر حد القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود في «سننه» قال ابن إسحاق وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه:

لقد ذاق حسان الذي كان أهله
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم
وآذوا رسول الله فيها فجللوا
وضُبت عليهم محصّداً كأنها
وحمنة إذ قالوا هجيراً ومسطح
وسخطة ذي العرش الكريم فأتروا
مخازي تبقى عمموها وفضحوا
شآبيب قطر في ذرا المزن تسفح^(٢)

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء من أصحاب جهجهاه كما تقدم أوله هي:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
قد نكلت أمه من كنت صاحبه
ما لقتيلي الذي أغدو فأخذه
ما البحر حين تهبّ الريح شامية
يوماً بأغلب مني حين تبصرني
أما قريش فإني لا أسالمها
ويتركوا اللات والعزى بمعزلة
وابن الفريعة أمسى بيضة البلد^(٣)
أو كان منتشيباً في برثن الأسد
من دية فيه يُعطاهما ولا قود
فيغطيل ويرمي العبر بالزبد^(٤)
ملغيط أفري كقري العارض البرد
حتى يُنيبوا من الغيات للرشد
ويسجدوا كلهم للواحد الصمد

- (١) رواه البخاري عن معمر في تفسير سورة الفتح «فتح الباري» (٤٥١/٨) ومسلم في (٤٩) كتاب «التوبة» (١٠) باب ح (٥٦) والبخاري في «التوحيد» باب (٥٢) وأخرجه في (٥٢) كتاب «الشهادات» (١٥) باب ح (٢٦٦١).
- (٢) محصّداً: يعني سياتاً محكمة القتل شديداً.
- (٣) ابن الفريعة: أم حسان بن ثابت. بيضة البلد: يعني واحداً لا يحاربه أحد، وهو في هذا الموضع مدح، وقد يكون بيضه البلد: ذماً. وأصل ذلك أن يؤخذ بيضة واحدة من بيض النعام ليس معها غيرها؛ فإذا أريد به الدم شبه بها الرجل الذي لا رهط له ولا عشيرة «شرح أبي ذر» ص (٣٣٦).
- (٤) يغطيل: يجول ويتحرك: والعبر جانب البحر.

ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق فَيُوفُوا بِحَقِّ اللَّهِ وَالْوَكْدُ^(١)

قال: فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول:

تلقُ دُبابَ السيفِ عني فإنني غلامٌ إذا هُوجيتُ لسْتُ شاعر

وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس، أخذ صفوان حين ضرب حسان فشدته وثاقاً، فلقبه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ فقال: ضرب حسان بالسيف. فقال عبد الله هل علم رسول الله ﷺ بشيء من ذلك؟ قال: لا. فأطلقه ثم أتوا كلهم رسول الله ﷺ فقال ابن المعطل: يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني الغضب فضربتني. فقال رسول الله ﷺ: يا حسان أتشوهت^(٢) على قومي إذ هداهم الله. ثم قال: أحسن يا حسان فيما أصابك. فقال: هي لك يا رسول الله. فعوضه منها بيرحاء التي تصدق بها أبو طلحة وجارية قبطية، يقال لها: سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن. قال: وكانت عائشة تقول سئل عن ابن المعطل فوجد رجلاً حصاراً ما يأتي النساء. ثم قتل بعد ذلك شهيداً^(٣) رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة:

حَصَانُ رِزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَيْبَةٍ
عَقِيلَةٌ حِي مِنْ لَوْيِ بْنِ غَالِبِ
وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِبَلَائِطِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ
فَكَيْفَ وَوَدِّي مَا حَيْثُ وَنُضْرَتِي
وَإِنْ لَهُمْ عِزًّا تَرَى النَّاسَ دُونَهُ
وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَاقِلِ^(٤)
كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
بِكَ الْدَهْرَ بَلْ قِيلَ أَمْرِي بِي مَا حَلَّ^(٥)
فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ أَنْ أَمْلِي
لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْمُحَافِلِ
قِصَاراً وَطَالَ الْعِزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ^(٦)

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهي من قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مَنَّكَ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ إلى ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٦﴾ [النور: ١١ - ٢٦] وما أوردناه هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق.

غزوة الحديبية^(٧)

وقد كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف. وعمن نصر على ذلك الزهري ونافع مولى ابن عمر، وقتادة وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم. وهو الذي رواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة أنها كانت في ذي القعدة سنة ست. وقال يعقوب بن سفيان حدثنا إسماعيل بن الخليل، عن علي بن مسهر أخبرني هشام بن عروة

(١) الوكد: العهود والمواثيق.

(٢) أشوهت: أي أقبحت ذلك من فعلهم - في قوله فيهم: الجلابيب أي الغرباء - من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله.

(٣) قتل في غزوة أرمينيا سنة تسع عشرة واندقت رجله يوم قتل فطاعن بها وهي منكسرة حتى مات. وقيل توفي في أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٨ هـ.

(٤) الحصان: العفيفة. ما تزن: أي ما تتهم. غرنى: جائعة.

(٥) في «ابن هشام»:

ولكنه قول امرئ بي ما حل

فإن الذي قد قيل ليس بللائط

(٦) البيت في «ابن هشام»:

تقاصر عنه سورة المتطاول

له رتب عالٍ على الناس كلهم

(٧) قال البراء: الحديبية بئر. قال الحافظ: بينها وبين مكة نحو مرحلة واحدة، وبين المدينة تسع مراحل.

- الحديبية: حاء مهملة مضمومة، دال مهملة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحية مفتوحة. قال أكثر أهل الحديث مشددة. وقال النووي: من قال مخففة ومن قال مشددة فهما وجهان مشهوران.

عن أبيه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال. وهذا غريب جداً عن عروة. وقد روى البخاري ومسلم جميعاً: عن هذبة عن همام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره: أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر [كلهن] في ذي القعدة إلا العمرة التي مع حجته عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ومن الجعرانة في ذي القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته. وهذا لفظ البخاري^(١). وقال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوال وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُميلة بن عبد الله الليثي^(٢). قال ابن إسحاق: واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة، ليأمن الناس من حربته، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه الهدى سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر. وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني، يقول: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة. قال الزهري: وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر^(٣) بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٤) قد لبسوا جلود النمرور وقد نزلوا بذئ طوى، يعاهدون الله لا تدخلوا عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم^(٥) قال: فقال رسول الله ﷺ: يا ويح قريش! قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة، ثم قال: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقاً وعرأً أجزل بين شعاب، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ [للناس]^(٦): قولوا نستغفر الله ونتوب إليه، فقالوا ذلك! فقال: والله إنها للحطّة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها. قال ابن شهاب. فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض، في طريق يخرج على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة. قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش فترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش. وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته، فقال الناس: خلأت فقال: ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى خطه يسألوني فيها صلة الرحم ألا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس: انزلوا. قيل له يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه. فأخرج سهماً من كنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القُلب فغرزته في جوفه. فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن. قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم: أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب سائق بدن رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: وقد زعم بعض أهل العلم: أن البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ فوالله أعلم أي ذلك كان. ثم استدل ابن إسحاق للأول أن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية أسفله يميح فقالت:

يا أيها المائحُ دلوي دونكا
إني رأيتُ الناسَ يحمدونكا

(١) أخرجه البخاري في (٦٤) «المغازي» (٣٥) باب ح (٤١٤٨) ومسلم في كتاب «الحج» (٣٥) باب ح (٢١٧) وأبو داود في «الحج» عن أبي الوليد، وعن هذبة. والترمذي في «الحج» عن حبان وقال: حسن صحيح.

(٢) في الواقدي: ابن أم مكتوم.

(٣) قال ابن هشام: بشر.

(٤) العوذ: جمع عائد وهي الإبل الحديبية التاج: المطافيل: التي معها أولادها. يريد: النساء ومعهن أطفالهن.

(٥) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة، وهو وادٍ أمام عُسفان بثمانية أميال.

(٦) من «ابن هشام».

يثنون خيراً ويمجدونك

فأجابها فقال:

قد علمت جارية يمانية أني أنا المائخ واسمي ناجية
وطعنة ذات رشاش واهية طعننها عند صدور العادية

قال الزهري في حديثه: فلما اطمأن رسول الله ﷺ آتاه بديل بن ورقاء، في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظماً لحرمة. ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، وإن محمداً لم يأت لقتال، إنما جاء زائراً لهذا البيت. فاتهموه وجبهوه، وقالوا: وإن جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدثك بذلك عنا العرب. قال الزهري: وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ مسلمها ومشرکها لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة. قال: ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف، أخا بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: هذا رجل غادر، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ثم بعثوا بحليس بن علقمة أو ابن زيان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظماً لما رأى، فقال لهم ذلك. قال: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك. قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن الحليس غضب عند ذلك وقال يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاهدناكم، أیصد عن بيت الله من جاءه معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. قالوا: مه كف عنا نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. قال الزهري في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي فقال: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس، وقد سمعتُ بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد أجمعت أو شاب الناس، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وإيم الله لكأن بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً. قال: وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ امصص بظر اللات، ونحن ننكشف عنه؟ قال من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قحافة. قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بهذه قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، قال: فجعل يقرع يده إذ يتناول لحية رسول الله ﷺ ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك، قال: فيقول عروة ويحك، ما أفظك وأغلظك. قال: فتبسم رسول الله ﷺ فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال: أي عُدر، وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس. قال الزهري: فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً، فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه. لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم. قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله^(١)، فمعه الأحابيش، فخلوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: وحدثني بعض من لا اتهم عن عكرمة عن ابن عباس: أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين أمرهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا فأتى بهم

(١) قال الواقدي: الذي ولي عقره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله.

رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلق سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل: ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة، فخرج عثمان إلى مكة، فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله ﷺ، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل. قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم. ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله ﷺ الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجعد بن قيس أخو بني سلمة. وكان جابر بن عبد الله يقول والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بأبط ناقته قد ضباً إليها، يستر من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل. قال ابن هشام: وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي: أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي^(١). قال ابن هشام: وحدثني من أثق به عن حدثه بإسناد له عن ابن أبي مليكة، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى. وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف لكنه ثابت في «الصحيحين». قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله ﷺ وقالوا: آت محمداً وصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً. فاتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح. فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى قال أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله: ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنت برسول الله؟ قال: بلى قال أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني. وكان عمر رضي الله عنه يقول ما زلت أصوم واتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً. قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال: فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، قال: فقال رسول الله ﷺ اكتب باسمك اللهم فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. قال فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن اكتب أسمك واسم أبيك. قال فقال رسول الله ﷺ: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً بمن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنه لا إسلال ولا إغلال، وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. فتوالت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده وتوالت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف

(١) اختلفوا في اسم أبي سنان؛ قيل وهب بن عبد الله وقيل عامر، وقيل عبد الله بن وهب وقيل اسمه وهب بن محصن بن حرثان أخو عكاشة بن محصن؛ ولعل القول الأخير أصحها. مات سنة خمس من الهجرة «الاستيعاب» وقال الواقدي: أول من بايعه سنان بن أبي سنان بن محصن. وقال ابن سعد عن الواقدي: أبو سنان قتل في حصار بني قريظة قبل الحديبية، وعنه: الذي بايع الحديبية سنان بن سنان الأسدي.

في القرب لا تدخلها غيرها. قال: فبينما رسول الله ﷺ يكتب^(١) الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذا جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه وقال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت فجعل يتره بتلبيبه ويجزه يعني يرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم» قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويدني قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه. قال فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلي بن أبي طالب وكتب وكان هو كاتب الصحيفة^(٢).

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل^(٣) وكان يصلي في الحرم، فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق توثبوا ينحرون ويحلقون. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن عباس قال: حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال «والمقصرين» قالوا: يا رسول الله فلم ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: لم يشكوا وقال عبد الله بن أبي نجيع. حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين.

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة، وفي سياق البخاري كما سيأتي مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترها إن شاء الله وبه الثقة. ولنوردها بتمامها ونذكر في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه... إن شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان.

قال البخاري: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثنا صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي^(٤). وهكذا رواه في غير موضع من «صحيحه»، ومسلم من طرق عن الزهري، وقد روي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة.

وقال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن إسحاق عن البراء قال: تعدون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بأناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه

(١) قال في «مغازي الواقدي»: أن أبا جندل جاء قبل أن يكتب الكتاب. ولما أراد سهيل رده قال رسول الله ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد. فقال سهيل: والله لا أكاتبك على شيء حتى ترده إلي. فرده.

(٢) زاد الواقدي: أبو عبيدة بن الجراح، وحويطب بن عبد العزى ولم يذكر عبد الله بن سهيل بن عمرو.

(٣) مضطرباً في الحل: أي أن أبنيته مضروبة في الحل، وكانت صلواته في الحرم، وهذا القرب الحديبية من حرم.

(٤) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٥) باب ح (٤١٤٧) وأخرجه في الصلاة عن القعني وفي «التوحيد» مختصراً عن

مسدد. ومسلم في (١) كتاب «الإيمان» (٣٢) عن يحيى بن يحيى ح (١٢٥).

فيها فتركناها غير بعيد ثم أنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا. انفرد به البخاري.

وقال ابن إسحاق في قوله تعالى ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] صلح الحديبية. قال الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. قال ابن هشام: والدليل على ما قاله الزهري: أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة رجل في قول جابر، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف.

وقال البخاري: حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا ابن فضيل، حدثنا حصين، عن سالم، عن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركة فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله ﷺ: ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا ما في ركوتك. فوضع النبي ﷺ يده في الركة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قال: فشربنا وتوضأنا. فقلنا لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة^(١). وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به.

وقال البخاري: حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب: بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول: كانوا أربع عشرة مائة. فقال لي سعيد حدثني جابر: كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية^(٢). تابعه أبو داود حدثنا قرة عن قتادة. تفرد به البخاري.

ثم قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال عمرو سمعت جابراً قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة^(٣). وقد روى البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به. وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر قال: إن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ «كذبت لا يدخلها، شهد بديراً والحديبية» رواه مسلم^(٤). وعند مسلم أيضاً من طرق ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: أخبرني أم مبشر^(٥) أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة «لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» فقالت حفصة: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة «وَإِنْ مَنَكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» [مريم: ٧١] فقال رسول الله ﷺ قد قال تعالى ﴿ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَّرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ٧٢]^(٦) قال البخاري: وقال عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، حدثني عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين^(٧). تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة. هكذا رواه البخاري معلقاً عن عبد الله. وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به. وعن محمد بن المثني عن أبي داود عن إسحاق بن إبراهيم عن النضر بن شميل كلاهما عن شعبة به.

ثم قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة عن مروان والمسور بن مخرمة قال: خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه؛ فلما كان بذي الحليفة قلد الهدى وأشعر وأحرم

- (١) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٥) باب «فتح الباري» (٤٤١/٧) ح (٤١٥٢) و «فتح الباري» (٥٨١/٦) عن موسى بن إسماعيل في كتاب «المناقب» باب علامات النبوة في الإسلام.
- (٢) «فتح الباري» (٤٤٣/٧) ح (٤١٥٣).
- (٣) المصدر السابق ح (٤١٥٤) وأخرجه مسلم عن قتيبة عن الليث في (٣٣) كتاب «الإمارة» ح (٦٧) ص (١٤٨٣)
- (٤) أخرجه مسلم في (٤٤) كتاب «الصحابة» (٣٦) باب ح (١٦٢) ص (١٩٤٢).
- (٥) من مسلم، وفي الأصل ميسر وهو تحريف.
- (٦) سورة مريم: (٧٢) أخرجه مسلم في (٤٤) كتاب «فضائل الصحابة» (٣٧) باب ح (١٦٣) (١٩٤٢).
- (٧) رواه البخاري في «المغازي» ح (٤١٥٥) «فتح الباري» (٤٤٣/٧) ومسلم في (٣٣) كتاب «الإمارة» (١٨) باب ح (٧٥) ص (١٤٨٥) ونقل البيهقي في «الدلائل» (٩٥/٤) الحديث من طرق عن ابن أبي أوفى.

منها^(١). تفرد به البخاري وسيأتي هذا السياق بتمامه والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة، وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه من حيث أن البدن كن سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره، فيكون المهلون سبع مائة، ولا يلزم أن يهدي كلهم، ولا أن يحرم كلهم أيضاً، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم فيهم: أبو قتادة ولم يحرم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه وحملوا منه إلى رسول الله ﷺ في أثناء الطريق فقال: هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟ قالوا: لا. قال: فكلوا ما بقي من الحمار. وقد قال البخاري: حدثنا شعبة بن الربيع، حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى، عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال: انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحديبية فأحرم أصحابي ولم أحرم.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن رافع، حدثنا شبابة بن سوار الفزاري، حدثنا شعبة، عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها. حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا طارق، عن سعيد بن المسيب عن أبيه: أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا. وقال البخاري أيضاً حدثنا محمود، حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون، فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها. ثم قال سعيد: إن أصحاب محمد لم يعلموها، وعلمتموها أنتم! فأنتم أعلم؟ ورواه البخاري ومسلم من حديث الثوري وأبي عوانة وشبابة عن طارق^(٢). وقال البخاري: حدثنا سعيد، حدثني أخي عن سليمان عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم قال: لما كان يوم الحرة والناس يبائعون لعبد الله بن حنظلة، فقال ابن زيد: على ما يبائع ابن حنظلة الناس قيل له على الموت، فقال: لا أباع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ؛ وكان شهد معه الحديبية. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به. وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت^(٣). ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبي عبيد. وفي «صحيح مسلم»: عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم. وفي «الصحيح»^(٤) عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبائع الناس، وكان أول من بايع رسول الله ﷺ يومئذ أبو سنان وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن وقيل سنان بن أبي سنان.

وقال البخاري: حدثني شجاع بن الوليد، سمع الثضر بن محمد، حدثنا صخر بن الربيع، عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتيه ليقاتل عليه، ورسول الله ﷺ يبائع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله، فانطلق فذهب معه، حتى بايع رسول الله ﷺ، وهي التي تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر. وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمري: أخبرني نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجرة، فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ فقال يا عبد الله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ فوجدهم يبائعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع. تفرد به البخاري من هذين الوجهين.

سياق البخاري لعمر الحديبية

قال في كتاب «المغازي»: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه، قالوا:

- (١) أخرجه في المغازي في باب الحديبية «فتح الباري» (٤٤٤/٧).
- (٢) رواه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٥) باب غزوة الحديبية. ومسلم في (٣٣) كتاب «الإمارة» ح (٧٧).
- (٣) رواه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٥) باب ح (٤١٦٩) وفي (٩٣) كتاب «الأحكام» (٤٤) باب وأخرجه مسلم في (٣٣) كتاب «الإمارة» (١٨) باب ح (٨٠) ص (١٤٨٦).
- (٤) أخرجه مسلم في (٣٣) كتاب «الإمارة» (١٨) باب ح (٧٦).

خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره^(١) وأحرم منها بعمره وبعث عيناً له من خزاعة^(٢)، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال: إن قريشاً قد جمعوا لك جمعاً وقد جمعوا الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال: أشيروا أيها الناس علي أترون أن أميل إلى عيالهم وذريهم هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركنا لهم محروبين. قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا نريد قتل أحد ولا حرب فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه. قال امضوا على اسم الله. هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا.

وقال في كتاب «الشهادات»^(٣): حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالوا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل^(٤)، فألحت. فقالوا: خلأت القصواء^(٥) خلأت القصواء، فقال رسول الله ﷺ: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء يتبرضه [الناس]^(٦) تبرضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي ﷺ: إنا لم نجىء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جوا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي^(٧) ولينفذن أمر الله. قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، ألسنت بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: أولستم بالولد؟ قالوا بلى قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا قال: ألسنت تعلمون أني استنشرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتية، فقالوا: آتته، فاتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك. أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً^(٨) من الناس خليفاً أن يفتروا ويدعوك. فقال له أبو بكر: أمصص بظر اللات، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ قال من ذا؟ قالوا أبو بكر. قال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك. قال وجعل

- (١) أشعره: أي وخز سنامها حتى يُعرف أنها هدي؛ قال الزرقاني: ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعاراً بأنه هدي «شرح المواهب اللدنية» (٢/٢١٨).
- (٢) ذكره في «مغازي الواقدي» بئر بن سفيان.
- (٣) كذا في الأصل؛ وهو تحريف. وقد أخرجه البخاري في كتاب «الشروط» باب الشروط في الجهاد.
- (٤) حل حل: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.
- (٥) القصواء: الزرقاني: القصو: قطع طرف الأذن. قال الداودي: أنها كانت لا تسبق.
- (٦) تبرض الماء: قال الخليل في «المعين»: جمعه بالكفين. وقال في «الصحيح»: برض الماء من العين إذا خرج وهو قليل. وفي البخاري: تبرضه الناس.
- (٧) السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه، وكنتي بانفردهما عن الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت النهائية.
- (٨) في «الصحيح»: الأوشاب: الأخلاط. وفي الواقدي: أوباشاً.

يكلّم النبي فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أخرج يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة. فقال أي عُذْرُ أَسْتِ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم. فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم، عنده وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً. والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة دعوني آتية. فقالوا آتته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: هذا فلان وهو من قوم يعظمون البُذُن فابعثوها له. فبعثت له واستقبله الناس يلبون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُذُن قد قُلت وأشعرت، فما أرى أن يُصدوا عن البيت. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتية. قالوا آتته. فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ: هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلّم النبي ﷺ فبينما هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ: لقد سهل لكم من أمركم. قال معمر قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل فقال هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا باسم الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ: اكتب باسمك اللهم، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني. اكتب محمد بن عبد الله. قال الزهري: وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرّات الله، إلا أعطيتهم إياها؟ فقال له النبي ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به. قال سهيل: والله لا تتحدث العرب إنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب. فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً. فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد. قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: فأجزه لي. قال ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى فافعل قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بلى قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أريد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت - وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله - فقال عمر رضي الله عنه فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن. قال: إني رسول الله ﷺ ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا. فإنك آتية ومطوف به. قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً. قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل. قال: بلى. قلت: نُعطي الدنيا في ديننا إذن. قال: إياها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بفرزه فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى فأخبرك أنك تأتيه العام. فقلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به. قال الزهري قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدُنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً. ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ﴿١٠﴾ - حتى بلغ - ﴿بِعَصِمِ الْكَافِرِ﴾ [المتحنة: ١٠] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك. فتزوج إحداها معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية. ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش، وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ونزلوا يأكلون من تمر لهم. فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً. فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه. فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه «لقد رأى هذا دُعراً» فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال النبي ﷺ «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر. قال: وبنفتل منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم، لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ - حتى بلغ - ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٥-٢٦] وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت. فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري، فقد رواه عن الزهري عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمرو ومحمد بن إسحاق كلهم عن الزهري عن عروة عن مروان ومسور فذكر القصة.

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن عقيب عن الزهري عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله ﷺ فذكر القصة. وهذا هو الأشبه فإن مروان ومسورا كانا صغيرين يوم الحديبية، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقال البخاري: حدثنا الحسن بن إسحاق، حدثنا محمد بن سابق، حدثنا مالك بن مغول، سمعت أبا حُصين قال: قال أبو وائل: لما قدم سهيل بن حُنيف من صفين أتينا نستهيره فقال: اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم، وما وضعنا أسيافنا عن عواتقنا لأمر يقطعنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه، قبل هذا الأمر ما نئسنا منها خضماً إلا انفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي له.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نُسبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال «لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١). قلت: وقد تكلمنا على سورة الفتح بكما لها في كتابنا «التفسير» بما فيه كفاية والله الحمد والمنة، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل.

(١) أول سورة الفتح. والحديث أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب «التفسير»، تفسير سورة الفتح ح (٤٨٣٣) «فتح الباري» (٨/٥٨٢).

قال القرطبي في «التفسير»: اختلف في هذا الفتح ما هو. وقال الرازي في «تفسيره الكبير»: في الفتح وجوه: أحدها فتح مكة وهو ظاهر. وهو مناسب لآخر ما قبلها آخر سورة محمد: ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله. فإن كان المراد فتح مكة. فمكة لم تكن قد فتحت، فكيف قال تعالى ﴿فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ بلفظ الماضي؟ فالجواب عنه من وجهين: أحدهما: فتحنا في حكمنا وتقديرنا. وثانيهما: ما قدره الله تعالى فهو كائن، فأخبر بصيغة الماضي إشارة إلى أنه أمر لا دافع له، واقع لا رافع له. وقال العوفي ومجاهد: هو فتح خيبر. قال القرطبي: فتح الحديبية، هو الأرجح.

فصل في السرايا^(١) التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي^(٢) عن الواقدي:

في ربيع الأول منها أو الآخر بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى [الغمر، وفيهم ثابت بن أقرم وسباع بن وهب، فأغذا السير ونذر القوم بهم]^(٣) فهربوا منه ونزل على مياهم، وبعث في آثارهم وأخذ منهم مائتي بعير فاستاقها إلى المدينة.

وفيهما كان بعث أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة بأربعين رجلاً أيضاً فساروا إليهم مشاة، حتى أتوها في عمية الصبح، فهربوا منه في رؤوس الجبال فأسر منهم رجلاً فقدم به على رسول الله ﷺ وبعثه محمد بن مسلمة في عشرة نفر وكمن القوم لهم حتى باتوا [فما شعروا إلا بالقوم، فقتل]^(٤) أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وأفلت هو جريحاً^(٥).

وفيهما كان بعث زيد بن حارثة بالحوم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليلة فدلتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا منها نعماً وشاة وأسروا [جماعة من المشركين]^(٦) وكان فيهم زوج حليلة هذه فوهبه رسول الله ﷺ لزوجها وأطلقهما.

وفيهما كان بعث زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الأولى^(٧) إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فهربت منه الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال.

وفيهما خرج زيد بن حارثة في جمادى الأولى إلى العيص^(٨).

قال وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع، فاستجار بزینب بنت رسول الله ﷺ فأجارته. وقد ذكر ابن إسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفر هو من بينهم حتى قدم المدينة، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بدر فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح فأجاره لها رسول الله ﷺ وأمر الناس برد ما أخذوا من عيره فردوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً. فلما رجع إلى مكة وأدى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة فردّ عليه رسول الله ﷺ زوجته بالنكاح الأول ولم يحدث نكاحاً ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك. وكان بين إسلامه وهجرتها ست سنين ويروى ستين. وقد بينا أنه لا منافاة بين الروايتين وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بستين وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام الواقدي من أنه سنة ست. فالله أعلم.

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر قد أجازته بأموال وخلع، فلما كان بجسّمي لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئاً، فبعث إليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً

(١) السرايا: جمع سرية وهي الكتيبة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة نفر تبعث إلى العدو، وسميت بالسرية من الشيء السري: النفيس حيث كان يتم اختيارهم من شجعان العسكر ومقدميهم. قال صاحب «النهاية»: سمو بذلك لأنهم ينفذون سراً، وخفية وليس بالوجه لأن لام السراء وهذا ياء.

(٢) «دلائل النبوة» في باب السرايا التي كانت في سنة ست من الهجرة فيما زعم الواقدي (٨٢/٤) وما بعدها.

(٣) ما بين معكوفين بياض بالأصل واستدرك من «الدلائل». وفي «المواهب»: إلى مرزوق. والغمر: ماء لبني أسد على ليلتين من فيد كما في «طبقات ابن سعد».

«مغازي الواقدي» (٥٥٠/٢) والبيهقي (٨٣/٤) واختصرها عنه.

(٤) سقطت من الأصل واستدركت من «الدلائل».

(٥) السريتان في الواقدي (٥٥١/٢)، إنما ذكر بعثة محمد بن مسلمة، إلى بني ثعلبة وغوال في ربيع الآخر وجاء بعث أبي عبيدة إلى ذي القصة إلى تغلمين: وهو موضع من بلاد بني فزارة قبل ريم بعد بعث محمد بن مسلمة.

(٦) من «المواهب»، وفي الأصل بياض.

(٧) في «مغازي الواقدي»: في جمادى الآخرة. بعثه إلى الطرف والطرف: ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة «طبقات ابن سعد» (٦٣/٢).

(٨) العيص: بينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي المروة ليلة «ابن سعد» (٦٣/٢).

رضي الله عنه^(١).

قال الواقدي: حدثني عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن عتبة قال: خرج علي رضي الله عنه في مائة رجل إلى أن نزل إلى حي من بني أسد^(٢) بن بكر، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فسار إليهم بالليل وكمن بالنهار وأصاب عيناً لهم فأقر له أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر.

قال الواقدي رحمه الله تعالى وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، وقال له رسول الله ﷺ إن هم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الأصبع^(٣) الكلبيّة وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

قال الواقدي في شوال سنة ست: كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا النعم، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً فردّوهم^(٤). وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم: من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس بن مالك أن رهطاً من عكل وعرينة - وفي رواية من عكل أو عرينة - أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا أناس أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف فاستوخنا^(٥) المدينة. فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم، فبعث النبي ﷺ في طلبهم فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر^(٦) أعينهم، وتركهم في الحرة حتى ماتوا وهم كذلك. قال قتادة فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حَضَّ على الصدقة ونهى عن المثلة^(٧). وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك. وفي رواية مسلم: عن معاوية بن قرة عن أنس أن نفرأ من عرينة أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوه، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام - فقالوا هذا الموم، قد وقع يا رسول الله، لو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل. قال نعم فاخرجوا فكونوا فيها. فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالإبل. وعنده سار من الأنصار قريب عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائفاً يقتص أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم^(٨) وفي «صحيح البخاري» من طريق أيوب عن أبي قلابة عن أنس أنه قال قدم رهط من عكل فأسلموا واجتروا المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال الحقوا بالإبل واشربوا من أبوالها وألبانها. فذهبوا وكانوا فيها ما شاء الله، فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، فجاء الصريخ إلى رسول الله ﷺ فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحيت فكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم وألقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحمهم. وفي رواية عن أنس قال فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش. قال أبو قلابة فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ﷺ. وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة عن عبد الرحمن^(٩) بن سليمان عن محمد بن عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر: «أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال: اللهم عمّ عليهم الطريق، واجعلها عليهم أضيّق من مسك جمل، قال: فعتمّى الله عليهم السبيل فأدركوا فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم». وفي «صحيح مسلم» إنما سملهم لأنهم سملوا أعين الرعاء^(١٠).

(١) في «مغازي» الواقدي: كان ذلك في جمادى الآخرة.

(٢) في البيهقي والواقدي: بني سعد بن بكر؛ بفدك وكانت سرية في شعبان سنة ست. وانتهى علي رضي الله عنه إلى معسكرهم - فلم ير أحداً - فساق النعم والشاء: خمسمائة بعير، وألفا شاة.

(٣) في الواقدي: الأصبع بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً.

(٤) «مغازي» الواقدي (٥٧٠/٢) والخبر فيه مطول. ونقله عنه البيهقي في «الدلائل» مختصراً (٨٥/٤).

(٥) في الواقدي: فاستوباوا المدينة: أي وجدوها وبثت.

(٦) في «مغازي الواقدي»: وسمل أعينهم.

(٧) كان ذلك بعد نزول قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ جَنْبٍ﴾ [المائدة: ٣٣] قال أبو هريرة: فلم تسمل بعد ذلك عين. والحديث رواه البخاري في (٨٦) كتاب «الحدود» (١٧) باب «فتح الباري» (١١١/١٢) وأخرجه مجتزئاً في عدة مواضع.

(٨) مسلم في (٢٨) كتاب «القسامة» (٢) باب ح (٩) ص (١٢٩٦).

(٩) في «الدلائل» عبد الرحيم.

(١٠) الحديث أخرجه جماعة من عدة طرق عن أنس: وأخرجه أبو داود في كتاب «الحدود» ح (٤٣٦٤) والترمذي في كتاب =

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كما قرره الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْمَعْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور، لأنه ﷺ لم يحج إلا في سنة عشر. وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد، فعندهم: أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْمَعْرَةَ لِلَّهِ﴾ وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا «التفسير» والله الحمد والمنة بما فيه كفاية.

وفي هذه السنة حرمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد. وإن كان على دينك إلا رددته علينا، فنزل قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ جِلٍّ لَمَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المنحة: ١٠]. وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الأفك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم.

وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صدّ المشركين رسول الله ﷺ وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين، فأمن الناس فيهنّ بعضهم بعضاً، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال. وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أماكنه والله الحمد والمنة. وولي الحج في هذه السنة المشركون.

قال الواقدي وفيها في ذي الحجة منها: بعث رسول الله ﷺ ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة شهد بدرأ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يعني ملك عرب النصارى، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وسليط بن عمرو العامري إلى هودبة بن علي الحنفي، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن الحر.

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر^(١) في أولها

قال شعبة: عن الحاكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي في قوله ﴿وَأَنْبَهُمْ فَتَعَمَا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] قال خيبر. وقال موسى بن عقبة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج إلى خيبر وهي التي وعده الله إياها. وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست^(٢). والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدمنا: قال ابن إسحاق. ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية، ذا الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر. وقال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور قالاً: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فنزل بالرجيع واد بين [خيبر و]^(٣) غطفان فتخوف أن تدمهم غطفان [فبات به]^(٤) حتى أصبح فغدا عليهم. قال البيهقي: وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخه في خروجه أول سنة سبع من الهجرة^(٥) وقال عبد الله بن إدريس، عن

= «الطهارة» باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه ح (٧٢) والنسائي في كتاب «التحريم»؛ وجمع طرقة كلها. وأخرجه ابن ماجه في كتاب «الحدود» ح (٢٠) والإمام أحمد في «مسنده» (١٦٣/٣، ١٧٧).

(١) خيبر: بخاء معجمة فتحتية فموحدة وهي اسم ولاية تشتمل على عدة حصون ومزارع ونخل كثير؛ تقع على ثلاثة أيام من المدينة على يسار حاج الشام. والخيبر تعني الحصن بلسان اليهود. وقبل سميت خيبر على اسم خيبر أخو يثرب بن قانية بن مهلايل بن آدم.

(٢) الخبر في «الدرر» لابن عبد البر (١٩٦) عن موسى بن عقبة، وعنه رواه البيهقي في «الدلائل» (١٩٥/٤).

(٣) في الأصل بياض، واستدرك النقص من رواية البيهقي (١٩٧/٤).

(٤) سقطت من الأصل، واستدركت من «دلائل البيهقي».

(٥) من «دلائل البيهقي» (١٩٧/٤) و«مغازي الواقدي» (٦٣٢/٢).

[ابن] (١) إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر قال كان (٢) افتتاح خيبر في عقيب المحرم وقدم النبي ﷺ في آخر صفر. قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي (٣). وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا خيثم، يعني ابن عراك، عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي ﷺ في خيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة يعني الغطفاني على المدينة قال فأنتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى ﴿كَيْهَمَ﴾ وفي الثانية ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، فقلت في نفسي ويل لفلان إذا اکتال [اكتال] (٤) بالوافي وإذا كال كال بالناقص قال: فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي ﷺ خيبر. قال فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم. وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب، عن وهيب، عن خيثم بن عراك، عن أبيه عن نفر من بني غفار قال: إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره. قال ابن إسحاق. وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر وبني له فيها مسجداً ثم على الصهباء (٥) ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بوادٍ يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ، فبلغني أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أموالهم وأهلهم، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر. وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن بشير، أن سويد بن النعمان أخبره: أنه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فثرى فأكل وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلى ولم يتوضأ (٦). وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع؛ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنياتك - وكان عامر رجلاً شاعراً - فنزل يحدو بالقوم يقول:

لا هُم (٧) لولا أنت ما امتدنا
فاغفر فداء لك ما أبقينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
وبالصياح عولوا علينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
والقين سكيناً علينا
إننا إذا صيح بنا أبينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق؟ قالوا عامر بن الأكوع، قال: يرحمه الله. فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به. فأتينا خيبر فناصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة. ثم إن الله فتحها عليهم، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: ما هذه النيران على أي شيء توقدون؟ قالوا: على لحم قال: على أي لحم؟ قالوا: لحم الحمر الأنسية، قال النبي ﷺ: اهريقوها واكسروها فقال رجل: يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها فقال أو ذاك. فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركة عامر فمات منه. فلما قفلوا، قال سلمة رأني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي قال مالك؟ قلت: فذاك أبي وأمي، زعموا أن عامراً محبط عمله قال النبي ﷺ: كذب من قاله، إن له لأجرين - وجمع بين أصبعيه - إنه لجاهد مجاهد قل عربي مشى بها مثله (٨). ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبي عبيد مثله. ويكون منصوباً على الحالية من نكرة وهو سائح إذا دلت على تصحيح معنى كما جاء في الحديث فصلى وراءه رجل قياماً. وقد

(١) من البيهقي.

(٢) في الأصل لما كان تحريف.

(٣) في «مغازي الواقدي» و«ابن سعد»: سباع بن عرفطة.

(٤) من رواية البيهقي في «الدلائل» (٤/١٩٨) في باب: استخلافه على المدينة حين خرج إلى خيبر: سباع بن عرفطة.

(٥) عصر: بالكسر. جبل بين المدينة ووادي الفرع. والصهباء موضع بينه وبين خيبر روحة «معجم البلدان».

(٦) أخرجه في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٨) باب غزوة خيبر ح (٤١٩٥) وأخرجه في الطهارة عن خالد بن مخلد وفي الجهاد عن محمد بن المثنى.

(٧) في البخاري: اللهم.

(٨) «فتح الباري» (٧/٣٧٣) ومسلم في (٣٤) كتاب «الصيد» (٥) باب ح (٣٣).

روى ابن إسحاق قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال حدثني: محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي الهيثم بن نصر بن زهر الأسلمي أن أباه حدثه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: انزل يا بن الأكوع فخذ لنا من هنالك، فقال: فنزل يرتجز لرسول الله ﷺ:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قومٌ بغوا علينا
وإن أرادوا فتنةً أبينا
فأنزلن سكيناً علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ يرحمك ربك. فقال عمر بن الخطاب: وجبت يا رسول الله، لو أمتعتنا به. فقتل يوم خيبر شهيداً. ثم ذكر صفة قتله كنعو ما ذكره البخاري. قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو: أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: قفوا، ثم قال: اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، نعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله. وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. وقد رواه الحافظ البيهقي: عن الحاكم عن الأصم عن العطاردي عن يونس بن بكير عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن صالح بن كيسان، عن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه عن جده قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر حتى إذا كنا قريباً، وأشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ للناس: قفوا فوقف الناس فقال: اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن، فإننا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار، فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ حتى أصبح لم يسمع أذاناً، فركب وركبنا معه، وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا: محمد والخميس معه! فأدبروا هرباً، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين^(٢)، قال ابن إسحاق حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا مالك، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغر بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله. محمد والخميس! فقال رسول الله ﷺ: خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين^(٣). تفرد به دون مسلم.

وقال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا أبو عيينة، حدثنا أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك قال: صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد والله، محمد والخميس! فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. قال فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادي النبي ﷺ: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس^(٤). تفرد به البخاري دون مسلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة عن أنس قال: لما أتى النبي ﷺ خيبر فوجدتهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساحيهم فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبي ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. تفرد به أحمد وهو على شرط «الصحيحين».

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣٤٣/٤) و «دلائل البيهقي» (٢٠٤/٤).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٣٤٤/٤).

(٣) في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٨) باب غزوة خيبر ح (٤١٩٧) «فتح الباري» (٣٧٥/٧).

(٤) أخرجه في كتاب «المغازي» ح (٤١٩٧).

وقال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: [صلى النبي] ^(١) الصبح قريباً من خيبر بغلس، ثم قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبي ^(٢) المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي ^(٣) فجعل عتقها صداقها. قال عبد العزيز بن صهيب لثابت: يا أبا محمد أنت قلت لأنس: ما أصدقها، فحرك ثابت رأسه تصديقاً له ^(٤). تفرد به دون مسلم. وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن لحوم الحمر الأهلية من طرق تذكر في كتاب «الأحكام».

وقد قال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو طاهر الفقيه، أنبأنا حاجب ^(٣) بن أحمد الطوسي، حدثنا محمد بن حميد الأبيوردي، حدثنا محمد بن الفضل ^(٤) عن مسلم الأعمور الملائني، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ^(٥) يعود المريض، ويتبع الجنائز، ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار، وكان يوم بني قريظة والنضير على حمار، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسني ليف وتحتة إكاف من ليف. وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي: عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، وابن ماجه: عن محمد بن الصباح عن سفيان، وعن عمر بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملائني الأعمور الكوفي عن أنس به. وقال الترمذي لا نعرفه إلا من حديثه وهو يضعف. قلت: والذي ثبت في «الصحيح» عند البخاري عن أنس: أن رسول الله ^(٦) أجرى في رفاق خيبر حتى انحسر الأزار عن فخذه، فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس ^(٥) لا على حمار. ولعل هذا الحديث إن كان صحيحاً محمول على أنه ركبه في بعض الأيام وهو محاصرهما. والله أعلم.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن سعيد الخزازي، حدثنا زياد بن الربيع، عن أبي عمران الجوني قال: نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة فقال كأنهم الساعة يهود خيبر. وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا حاتم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله ^(٧) في خيبر، وكان رمداً فقال: أنا أتخلف عن النبي ^(٧)؟ فلحق به. فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال: لأعطين الراية غداً (أو ليأخذن الراية غداً) رجل يحب الله ورسوله يفتح عليه. فنحن نرجوها فقبل هذا علي فاعطاه ففتح عليه ^(٦). وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتبية عن حاتم به. ثم قال البخاري: حدثنا قتبية، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد: أن رسول الله ^(٧) قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال فبات الناس يدركون ^(٧) ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على النبي ^(٧) كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسل إليه فأتى فبصق رسول الله ^(٧) في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ^(٧) أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم ^(٨). وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتبية به. وفي «صحيح مسلم» و«البيهقي» من حديث سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال

(١) سقطت من نسخ «البداية» المطبوعة.

(٢) رواه البخاري في كتاب «المغازي» (٣٨) باب ح (٤١٩٩).

- قوله فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي ^(٢) المقاتلة... قال ابن حجر: فيه اختصار كبير لأنه يوهم أن ذلك وقع عقب الإغارة عليهم وليس كذلك... فالنبي ^(٢) أقام على محاصرته بضع عشرة ليلة وقيل أكثر...

(٣) من البيهقي، وفي الأصل خطاب.

(٤) من البيهقي، وفي الأصل الفضل. والخبر في «الدلائل» (٢٠٤/٤).

(٥) في «مغازي الواقدي»: كان رسول الله ^(٥) ليلة الفتح على فراس يقال له الظرب: (٦٥٣/٢).

(٦) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٨) باب غزوة خيبر، ومسلم في (٤٤) كتاب «فضائل الصحابة» (٤) باب ح (٣٤).

(٧) يدركون: أي يخوضون ويموجون.

(٨) البخاري، الموضع السابق، ومسلم في الموضع السابق.

رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه، قال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فدعا علياً فبعثه ثم قال: اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت. قال علي: على ما أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله^(١) لفظ البخاري.

وقال الإمام أحمد: حدثنا مصعب بن المقدم، وجحش بن المنثى قالوا: حدثنا إسرائيل، حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي: سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها ثم قال: من يأخذها بحقها؟ فجاء فلان فقال: أنا، قال: امض، ثم جاء رجل آخر فقال امض، ثم قال النبي ﷺ: والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر، فقال هاك يا علي. فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها. تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به، وفيه غرابة وعبد الله بن عصمة، ويقال ابن أعصم، وهكذا يكنى بأبي علوان العجلي وأصله من اليمامة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين، وقال أبو زرعة لا بأس به، وقال أبو حاتم شيخ، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال يخطيء كثيراً وذكره في «الضعفاء»، وقال يحدث عن الإثبات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة.

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه إلى بعض حصون خيبر، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد. ثم بعث عمر رضي الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح. فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه وليس بفزار. قال سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يومئذ أرمم فتفل في عينيه ثم قال: خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك، فخرج بها والله يصول^(٢) يهول هرولة، وأنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: غلبتم وما أنزل على موسى، فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وقال البيهقي: أنبأنا الحاكم الأصم أنبأنا العطاردي^(٣) عن يونس بن بكير عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة أخبرني أبي قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر، فرجع ولم يفتح له [ولما كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له]^(٤) وقتل محمود بن مسلمة، ورجع الناس، فقال رسول الله ﷺ: لأدفعن لوائي غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح الله له، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الغداة، ثم دعا باللواء وقام قائماً فما منا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تناولت أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه قال فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له، فسمعت عبد الله بن بريدة يقول: حدثني أبي أنه كان صاحب مرحب.

قال يونس قال ابن إسحاق: كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحي منه فقتلته.

ثم روى البيهقي عن يونس بن بكير، عن المسيب بن مسلمة الأزدي، حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة^(٥) فلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وأن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال لأعطينها غداً [رجلاً]^(٦) يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

(١) مسلم ح (٣٣) كتاب (٤٤) و «دلائل البيهقي» (٢٠٦/٤).

(٢) في «ابن هشام»: يأنح. قال السهيلي: هو من الأنح. وهو علو النفس من شدة العدو.

(٣) وهو أحمد بن عبد الجبار.

(٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل واستدرك من «دلائل البيهقي».

(٥) الشقيقة: صداع يعرض في مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه.

(٦) من البيهقي؛ سقطت من الأصل.

بأخذها عنوة. وليس ثمَّ عليّ، فتطاوت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينه بشقة بردٍ قطري، فقال رسول الله ﷺ: ما لك؟ قال: رمدتُ بعدك، قال ادنُ مني فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء، قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمتُ خيبرُ أني مرحبُ شاكٍ سلاحي بطلٌ مجربُ
إذا الليوثُ أقبلتْ تلهبُ وأحجمتُ عن صولة المقلبِ
فقال علي رضي الله عنه:

أنا الذي سمّيتني أمي حينَ ذرّه كليثُ غاباتٍ شديدِ القسوره
أكيلُكم بالصاع كَيْلَ السندره

قال: فاختلفا ضربتين، فبدره علي بضربة فقد الحجر والمغفر ورأسه ووقع في الاضراس، وأخذ المدينة^(١).

وقد روى الحافظ البزار: عن عباد بن يعقوب، عن عبد الله بن بكر، عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث علي فكان الفتح على يديه. وفي سياقه غرابة ونكارة وفي إسناده من هو متهم بالتشيع. والله أعلم.

وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له: من طريق عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة قال: فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. قال: وخرج عامر فجعل يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغنينا فأنزلن سكيناً علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال فقال رسول الله ﷺ: من هذا القائل؟ فقالوا عامر. فقال غفر لك ربك. قال: وما خص رسول الله ﷺ قط أحداً به إلا استشهد. فقال عمر وهو على جمل: لولا متعتنا بعامر. قال فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:

قد علمتُ خيبرُ أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجربُ
إذا الحروبُ أقبلتْ تلهبُ
قال: فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر
قال فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسعل^(٢) له فرجع على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه. قال: فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال مالك؟ فقلت قالوا: إن عامراً بطل عمله. فقال من قال ذلك؟ فقلت نفر من أصحابك. فقال: كذب أولئك بل له الأجر مرتين. قال وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه يدعو وهو أرمد وقال لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله. قال: فجئت به أقوده قال: فبصق رسول الله ﷺ في عينه فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

(١) الحديث بتمامه في «دلائل البيهقي» (٤/٢١٠، ٢١٢) وأخرج الجزء الأول منه الحاكم في «المستدرک» (٣/٣٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) في البيهقي: يسفل له: أي يضربه من أسفله.

قال فبرز له علي وهو يقول:

أنا الذي سممتني أمي حيدرته كليث غابات كريبه المنظره
أو فيهم بالصاع كيل السندره^(١)

قال فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله. وكان الفتح. هكذا وقع في هذا السياق أن علياً هو الذي قتل مرحباً اليهودي لعنه الله^(٢).

وقال أحمد: حدثنا حسين بن حسن الأشقر، حدثني قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه عن جده عن علي قال: لما قتلت مرحباً جنت برأسه إلى رسول الله ﷺ.

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة. وكذلك قال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن سهل أحد بني حارثة، عن جابر بن عبد الله قال: خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تلهب
إن حمائي للحمي لا يقرب^(٣)

قال: فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغماء جري صلب
إذ شبت الحرب وثار الحرب معي حسام كالعقيق غضب
يطأكمو حتى يذل الصعب بكف ماض ليس فيه عيب^(٤)

قال وجعل مرحب يرتجز ويقول: هل من مبارز. فقال رسول الله ﷺ من لهذا: فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور والثائر قتلوا أخي بالأمس. فقال: قم إليه، اللهم أعنه عليه. قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عمرية^(٥) من شجر العشر^(٦) المسد فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه ما دونه حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن، ثم حل على محمد بن مسلمة فضربه، فاتقاه بالدرقة فوق سيفه فيها، فعضت فاستله وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله^(٧).

وقد رواه الإمام أحمد: عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه.

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال:

قد علمت خيبر أني ماض حلوا إذا شئت وسم قاض

وهكذا رواه الواقدي: عن جابر وغيره من السلف: أن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً ثم ذكر الواقدي أن محمداً قطع رجلي مرحب فقال له أجهز علي. فقال: لأذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة. فمر به علي وقطع رأسه فاخصمهما في سلبه إلى رسول الله ﷺ فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته. قال وكان مكتوباً على سيفه:

هذا سيف مزحَب من يذُقهُ يَـفْطَب^(٨)

(١) السندرة: مكيال واسع، معناه أقتل العدو قتلاً سريعاً عاجلاً.

(٢) الحديث في «دلائل البيهقي» (٢٠٨/٤ - ٢٠٩). ورواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم عن أبي عامر في (٣٢) كتاب «الجهاد» باب غزوة ذي قرد ص (١٤٣٩).

(٣) في نسخة لابن هشام زاد شطراً رابعاً: يحجم عن صوتي المجرب.

(٤) قبل هذا الشطر في ابن هشام: نعطي الجزاء أو يفيء النهب.

(٥) عمرية: قديمة.

(٦) العشر: شجر أملس له صمغ.

(٧) «سيرة ابن هشام» (٣٤٨/٤) ونقله البيهقي عنه في «الدلائل» (٢١٥/٤).

(٨) «منازي الواقدي»: (٦٥٦/٢).

ثم ذكر ابن إسحاق: أن أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول، هل من مبارز؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له، فقالت أم^(١) صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا رسول الله! فقال: بل ابنك يقتله إن شاء الله فالتقيا فقتله الزبير. قال فكان الزبير إذا قيل له والله إن سيفك يومئذ صارماً يقول: والله ما كان بصارم ولكني أكرهته.

وقال يونس عن ابن إسحاق [حدثني عبد الله بن الحسن]^(٢) عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي إلى خيبر، بعثه رسول الله ﷺ برأيته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل منهم من يهود، فطرح ترسه من يده، فتناول علي باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده. فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه. وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر. ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مطلب بن زياد، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي جعفر الباقر عن جابر: أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعده المسلمون عليه فافتتحوها وأنه جرب بعد ذلك فلم يحملة أربعون رجلاً. وفيه ضعف أيضاً. وفي رواية ضعيفة عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب^(٣).

وقال البخاري: حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتنني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة فأتيت النبي ﷺ فنفت فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة^(٤).

ثم قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا ابن أبي حازم، عن أبيه عن سهل قال: التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فافتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه، فقيل يا رسول الله ما أجراً منا أحد ما أجراً فلان. قال إنه من أهل النار. فقالوا أينما من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه. فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله. وقال وما ذاك؟ فأخبره فقال: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وأنه من أهل الجنة^(٥). رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب عن أبي حازم عن سهل فذكره مثله أو نحوه.

ثم قال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام هذا من أهل النار. فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب. فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه. فقال قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر^(٦).

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة. وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال: وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم، قال ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي. فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله ﷺ فقال إلى ما تدعو؟ قال أدعوك إلى الإسلام إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ وأن لا تعبدوا إلا الله. قال: فقال العبد: فماذا يكون لي إن شهدت بذلك وآمنت بالله. قال

(١) من «ابن هشام». وفي الأصل أم تحريف.

(٢) سقطت من الأصل. واستدركت من «سيرة ابن هشام».

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢١٢/٤).

(٤) أخرجه في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٨) باب غزوة خيبر ح (٤٢٠٦) وأخرجه أبو داود في الطب عن أحمد بن أبي سريح الرازي والبيهقي في «الدلائل» (٢٥١/٤).

(٥) في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٨) باب غزوة خيبر ح (٤٢٠٧) وح (٤٢٠٢).

(٦) المصدر السابق: «فتح الباري» (٤٧١/٧).

رسول الله ﷺ: الجنة إن مت على ذلك. فأسلم العبد فقال: يا نبي الله إن هذه الغنم عندي أمانة. فقال رسول الله ﷺ أخرجها من عسكرينا وارمها بالحصا فإن الله سيؤدي عنك أمانتك. ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها فعرف اليهودي أن غلامه أسلم. فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس فذكر الحديث في إعطائه الراية علياً ودنوه من حصن اليهودي وقتله مرحباً وقتل مع علي ذلك العبد الأسود فاحتمله المسلمون إلى عسكريهم فأدخل في الفسطاط فزعموا أن رسول الله ﷺ اطلع في الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال: لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير قد كان الإسلام في قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين^(١).

وقد روى الحافظ البيهقي: من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح، عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها، فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه: قتل شهيداً وما سجد لله سجدة.

ثم قال البيهقي: حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن محمد^(٢) الفقيه، حدثنا أبو بكر القطان، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا موسى^(٣) بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا ثابت عن أنس: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟ قال: نعم، فتقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول فقال: لقد حسن الله وجهك وطيب روحك وكثر مالك وقال: لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته. ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج: أخبرني عكرمة بن خالد، عن ابن أبي عمار عن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فأمن به واتبعه، فقال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ فقسمه، وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه؛ فقال ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ [فأخذه فجاء به النبي ﷺ فقال: ما هذا يا محمد؟ قال: قسم قسمته لك]^(٤) فقال: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمي هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك. ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به رسول الله ﷺ يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ هو هو؟ قالوا: نعم. قال صدق الله فصدقه. وكفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلواته: اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد^(٥). وقد رواه النسائي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه.

فصل

قال ابن إسحاق: وتدنى^(٦) رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصناً حصناً، وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه رحى منه فقتلته، ثم القموص حصن بني أبي الحقيق. وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهن صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها. قال: وفشت السبايا من خيبر في المسلمين وأكل الناس لحوم الحمر، فذكر نهي رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها^(٧). وقد اعتنى البخاري بهذا الفصل فأورد النهي عنها من طرق جيدة وتحريمها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة. وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس إلى إباحتها وتنوعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها فقيل لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في الحمولة، وقيل لأنها لم تكن تُحست بعد، وقيل لأنها كانت تأكل العذرة يعني جلاله. والصحيح أنه نهي عنها لذاتها فإن في الأثر الصحيح أنه نادى منادي رسول الله ﷺ إن الله ورسوله

(١) رواه البيهقي عن موسى بن عقبة في «الدلائل» (٤/٢١٩).

(٢) في «البيهقي»: محمش.

(٣) في «البيهقي»: مؤمل.

(٤) من «البيهقي».

(٥) الأخبار رواها البيهقي في «الدلائل» (٤/٢٢٠، ٢٢٢).

(٦) تدنى: أي أخذ الأدنى فالأدنى.

(٧) «سيرة ابن هشام» (٣/٣٤٥).

ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس فاكفثوها والقدر تفور بها. وموضع تقرير ذلك في كتاب «الأحكام». قال ابن إسحاق: حدثني سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله ولم يشهد جابر خيبر: أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر، أذن لهم في لحوم الخيل. وهذا الحديث أصله ثابت في «الصحيحين» من حديث حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي، عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في الخيل. لفظ البخاري.

قال ابن إسحاق: وحدثنا عبد الله بن أبي نجيع عن مكحول: أن النبي ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع: عن إتيان الجبال من النساء، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم. وهذا مرسل. وقال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرزوق مولى تميم عن حسن الصنعاني قال: غزونا مع رويغ بن ثابت الأنصاري المغرب، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة^(١)، فقام فيها خطيباً فقال: أيها الناس، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خيبر، قام فينا رسول الله ﷺ فقال: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماء زرع غيره، يعني إتيان الجبال من السبي، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوماً من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوماً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه^(٢). وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن بشر بن عبيد الله عن رويغ بن ثابت مختصراً. وقال حسن.

وفي «صحيح البخاري» عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم. وقد حكى ابن حزم عن علي وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم النيء. والذي نقله الترمذي عنهما الكراهة فالله أعلم. وقد تكلم الناس في الحديث الوارد في «الصحيحين» من طريق الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية. هذا لفظ «الصحيحين»، من طريق مالك وغيره عن الزهري وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين: أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثم نساء يتمتعون بهن إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسبأ عن نكاح المتعة. الثاني: أنه قد ثبت في «صحيح مسلم» عن الربيع بن سبرة عن معبد عن أبيه أن رسول الله ﷺ أذن لهم في المتعة زمن الفتح، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال: إن الله قد حرّمها إلى يوم القيامة فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد. ومع هذا فقد نص الشافعي على أنه لا يعلم شيئاً أبيض ثم حرم ثم أبيض ثم حرم غير نكاح المتعة وما حداه على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه^(٣).....

وقد حكى السهيلي وغيره عن بعضهم: أنه ادّعى أنها أبيضت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات وقال آخرون أربع مرات وهذا بعيد جداً والله أعلم. واختلفوا أي وقت أول ما حرمت فقيل في خيبر وقيل في عمرة القضاء وقيل في عام الفتح وهذا يظهر وقيل في أوطاس وهو قريب من الذي قبله وقيل في تبوك وقيل في حجة الوداع. رواه أبو داود.

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي رضي الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن الزهري عن الحسن وعبد الله ابني محمد عن أبيهما - وكان حسن أرضاهما في أنفسهما - أن علياً قال لابن عباس: إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر. قالوا فاعتقدنا الراوي أن قوله خيبر ظرف للمنهى عنهما وليس كذلك، إنما هو ظرف للنهي عن لحوم الحمر، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً وإنما جمعه معه لأن علياً رضي الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية كما هو المشهور

(١) جربة: بالكسر: جزيرة بالمغرب من ناحية قابس «معجم البلدان».

(٢) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣/٣٤٦).

(٣) يبايض بالأصول بمقدار سطر.

عنه، فقال له أمير المؤمنين علي: إنك امرؤ تائه أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقد في ذلك من الإباحة. وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني تغمده الله برحمته أمين. ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب [إليه] من [إباحة] الحمر والمتعة، أما النهي عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولتهم، وأما المتعة فإنما كان يبيحها عند الضرورة في الأسفار، وحمل النهي على ذلك في حال الرفاهية والوجدان وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جريج وبعده. وقد حكى عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمنذهب ابن عباس وهي ضعيفة وحاول بعض من صنف في الحلال نقل رواية عن الإمام بمثل ذلك ولا يصح أيضاً والله أعلم. وموضع تحرير ذلك في كتاب «الأحكام» وبالله المستعان.

قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض من أسلم: أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه، فقال: اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غني، وأكثرها طعاماً وودكاً. فغدا الناس، ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه^(١).

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسُّلام وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً فحاصروهم رسول الله ﷺ بضع عشر ليلة. قال ابن هشام: وكان شعارهم يوم خيبر: يا منصور أمت أمت^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان الأسدي الأسلمي عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال: إني لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم، ونحن محاصروهم؛ فقال رسول الله ﷺ من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟ قال أبو اليسر: فقلت: أنا يا رسول الله قال: فافعل. قال فخرجت أشد مثل الظليم^(٣) فلما نظر إلي رسول الله ﷺ مولياً قال: اللهم أمتعنا به قال: فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن^(٤)، فأخذت شاتين من أخراها، فاحتضتتهما تحت يدي، ثم جئت بهما أشد كأنه ليس معي شيء حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ فذبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً وكان إذا حدث الحديث بكى، ثم قال: امتعوا بي لعمرى حتى كنت من آخرهم^(٥). وقال الحافظ والبيهقي في «الدلائل»: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، حدثنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدثنا سعدان بن نصر، حدثنا أبو معاوية، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي أو عن أبي قلابة قال: لما قدم النبي ﷺ خيبر قدم والثمرة خضرة قال فأسرع الناس إليها، فحموا فشكوا ذلك إليه فأمرهم أن يقرسوا الماء في الشنان^(٦) ثم يجرونه عليهم إذا أتى الفجر، ويذكرون اسم الله عليه، ففعلوا ذلك فكانما نشطوا من عقل. قال البيهقي ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً وعنه بين صلاتي المغرب والعشاء^(٧). وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى وبهز قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، حدثنا عبد الله بن مغفل قال: دلي جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت لا أعطي أحداً منه شيئاً، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ يتبسم^(٨). وقال أحمد: حدثنا عفان، حدثنا شعبة عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن مغفل قال: كنا نحاصر قصر خيبر فألقي إلينا جراب فيه شحم، فذهبت فأخذه فرأيت النبي ﷺ فاستحييت وقد أخرجه صاحباً

(١) في «مغازي الواقدي»: حصن النطاة؛ وكان فيه خمسمائة مقاتل. وفيه: الطعام والودك والماشية والمتاع والودك: دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه.

(٢) الخبران في ابن هشام (٣/٣٤٧).

(٣) الظليم: ذكر النعام.

(٤) في الواقدي: كان ذلك خلال حصارهم حصن الصعب بن معاذ.

(٥) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣/٣٥٠) و «مغازي الواقدي» (٢/٦٦٠).

(٦) يقرسوا: يبردوا. الشنان: الأسقية الخلقة، وهي أشد تبريداً للماء من الجدد.

(٧) الخبران في «الدلائل» للبيهقي (٤/٢٤٢).

(٨) رواه البخاري في باب غزوة خيبر. ومسلم في «الجهاد» (٢٥) باب ح (٧٢).

«الصحيح» من حديث شعبة^(١). ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ، عن عثمان بن المغيرة. وقال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال: أصبت من فيء خيبر جراب شحم، قال: فاحتلمته على عنقي إلى رحلي وأصحابي، قال: فلقيني صاحب المغانم، الذي جعل عليها فأخذ بناحيته وقال: هلم حتى نقسمه بين المسلمين، قال: وقلت لا والله لا أعطيكه قال: وجعل يجاذبني الجراب قال: فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكاً ثم قال لصاحب المغانم: خل بينه وبينه، قال: فأرسله فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه. وقد استدل الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال: وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال لكم. قال وليس هذا من طعامهم فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم. وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يخمس ويعضد ذلك ما رواه الإمام أبو داود: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو معاوية، حدثنا إسحاق الشيباني، عن محمد بن أبي مجالد، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قلت كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ فقال أصبنا طعاماً يوم خيبر وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف. تفرد به أبو داود وهو حسن^(٢).

ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية

كان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة كما تقدم، فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي الحقيق، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ، ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها فلما زفت إليه، وأدخلت إليه بنى بها ومضى على ذلك ليالي رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها فقصت رؤياها على ابن عمها فلطم وجهها أتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك. فما كان إلا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إياهم فكانت صفية في جملة السبي وكان زوجها في جملة القتلى. ولما اصطفاها رسول الله ﷺ وصارت في حوزة وملكه كما سيأتي، وبنى بها بعد استبرائها وحلها، وجد أثر تلك اللطمة في خدها فسألها ما شأنها، فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها. قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: صلى النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلس ثم قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبى الذرية، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها. ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن زيد وله طرق عن أنس. وقال البخاري: حدثنا آدم عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سبى النبي ﷺ صفية فأعتقها وتزوجها. قال ثابت لأنس ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسها، فأعتقها تفرد به البخاري من هذا الوجه^(٣). وقال البخاري: حدثنا عبد الغفار بن داود، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، ح. وحدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا ابن وهب، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك قال: قدمنا خيبر فلما فتح ﷺ الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروساً فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغ بها سُدَّ الصهباء حلت، فبنى بها رسول الله ﷺ ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال لي: أذن من حولك فكنت تلك وليمته على صفية. ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي ﷺ يجوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيه فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب^(٤). تفرد به دون مسلم. وقال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حميد أنه سمع أنساً يقول: أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبنى عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته وما كان فيها من خبز ولحم وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت فألقى عليها التمر والأقط والسمن، فقال

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه أبو داود في «الجهاد» باب: النهي عن النهي ح (٢٧٠٤) ص (٦٦/٣).

(٣) أخرجه البخاري عن مسدد في (٨) كتاب «الصلوة» (١٢) باب ما يذكر في الفخذ. ومسلم عن أبي الربيع عن حماد في (١٦) كتاب «النكاح» (١٣) باب فضيلة اعتاق أمته ثم يتزوجها.

(٤) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٣٨) باب غزوة خيبر ح (٤٢١١).

المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب^(١). انفرد به البخاري. وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا حماد بن زيد، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: صارت صفية لدحية الكلبي ثم صارت لرسول الله ﷺ. وقال أبو داود: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا ابن عليه، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال: جمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال: يا رسول الله اعطني جارية من السبي قال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حبي، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله أعطيت دحية قال يعقوب صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك. قال: ادعوا بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال خذ جارية من السبي غيرها، وإن رسول الله ﷺ اعتقها وتزوجها. وأخرجاه من حديث ابن عليه. وقال أبو داود: حدثنا محمد بن خالد الباهلي حدثنا بهز بن أسد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت عن أنس قال: وقع في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ثم دفعها إلى أم سلمة تصنعها وتهيئها قال حماد: وأحسبه قال وتعتد في بيتها صفية بنت حبي. تفرد به أبو داود.

قال ابن إسحاق: فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص، حصن بني أبي الحقيق، أي بصفية بنت حبي بن أخطب وأخرى معها فمر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت، وصكت وجهها، وحشت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أعزبوا عني هذه الشيطانة. وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه. وقال رسول الله ﷺ لبلال - فيما بلغني - حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: أنزعت منك الرحمة يا بلال، حتى تمر بمرأتين على قتلى رجالهما؟ وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، أن قمرأ وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمه خضر عينها منها. فأتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هذا، فأخبرته الخبر. قال ابن إسحاق: وأتي رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه. فأتى رسول الله ﷺ رجل^(٢) من اليهود فقال لرسول الله ﷺ: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: رأيت إن وجدناه عندك أقتلك؟ قال: نعم. فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده. وكان الزبير يقده بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة^(٣).

فصل

قال ابن إسحاق وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلام حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيرهم^(٤) وأن يحقن دماءهم ففعل، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها الشق والنظاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من دينك الحصنين، فلما سمع أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ [يسألونه] أن يسيرهم، ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل. وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محبصة بن مسعود أخو بني حارثة. فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. وعامل أهل فدك بمثل ذلك.

فصل

فتح حصونها وقسيمة أرضها

قال الواقدي لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله ﷺ

- (١) أخرجه في المغازي (٣٨) باب ح (٤٢١٣).
- (٢) «سيرة ابن هشام» (٣/٣٥١).
- (٣) ذكره الواقدي واسمه: ثعلبة بن سلام بن أبي الحقيق.
- (٤) يسيرهم: يفيهم.

ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يقال له غزال^(١) فقال: يا أبا القاسم، تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاقة وتخرج إلى أهل الشق، فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك؟ قال: فأمنه رسول الله ﷺ على أهله وماله، فقال له اليهودي: إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك، إن لهم تحت الأرض دبولاً^(٢) يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعته. فأمر رسول الله ﷺ بقطع دبولهم فخرجوا فقاتلوا أشد القتال، وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة وافتتحه رسول الله ﷺ وكان آخر حصون النطاقة. وتحول إلى الشق وكان به حصون ذوات عدد، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سموان^(٣) فقاتل عليها أشد القتال فخرج منهم رجل يقال له عزول^(٤) فدعا إلى البراز، فبرز إليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعاً فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه وبرز منهم آخر، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي فنهض إليه أبو دجاجة فوجدوا فيه أثناً ومتاعاً وغنماً وطعاماً وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحموا الجزر كأنهم الضباب^(٥) حتى صاروا إلى حصن البزاة^(٦) بالشق وتمنعوا أشد الامتناع، فزحف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة حتى أصاب نبلهم بنانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساخ في الأرض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد. قال الواقدي: ثم تحول رسول الله ﷺ إلى أهل الأخبية^(٧) والوطيح والسلام حصني [ابن] ^(٨) أبي الحقيق وتمحصنوا أشد التحصن، وجاء إليهم كل من كان انهزم من النطاقة إلى الشق فتحصنوا معهم في القموص وفي الكتيبة وكان حصناً منيعاً، وفي الوطيح والسلام، وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى هم رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم، فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق فصالحه عن حقن دمائهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البز، إلا ما كان على ظهر إنسان - يعني لباسهم - فقال رسول الله ﷺ وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم شيئاً فصالحوه على ذلك^(٩).

قلت: ولهذا لما كنتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك^(١٠) الذي كان فيه أموال جزيلة تبين أنه لا عهد لهم فقتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله بسبب نقض العهود منهم والمواثيق.

وقال الحافظ البيهقي: حدثني أبو الحسن علي بن محمد المقرئ الإسفرايني، حدثنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا عبد الواحد بن غياث، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا عبيد الله بن عمر فيما يحسب أبو سلمة عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى أجأهم إلى قصرهم فغلب على الأرض والزرع والنخل فصالحوه على أن يجلوها منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء [والحلقة] ويخرجون منها واشتراط عليهم أن لا يكتموا ولا يُغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم، ولا عهد فغيبوا مسكاً فيه مال وحلى لحبي بن أخطب، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ حيثئذ [لعم حبي]: ما فعل مسك حبي الذي جاء به من النضير؟ فقال: أذهبته النفقات والحروب، فقال: العهد قريب والمال أكثر من ذلك، فدفعه

(١) من «مغازي الواقدي»: وفي الأصل: غزال.

(٢) في الواقدي: ذبول. والصواب ما أثبتناه؛ والدبول: جمع دبل وهو الجدول «القاموس».

(٣) في «مغازي الواقدي»: سُمران.

(٤) في الواقدي: غزال.

(٥) في الواقدي: تقحموا الجدر كأنهم الظباء.

(٦) في الواقدي: التزار.

(٧) في «المغازي»: إلى الكتيبة.

(٨) من الواقدي.

(٩) «مغازي الواقدي» (٢/٦٦٩، ٦٧١).

(١٠) في الواقدي: مسك الجمل وهو الجمل كما في «الصحيح». وفي حله: أسورة الذهب، ودمالج الذهب، وخلاخل الذهب وقرطة ونظم من جوهر وزمرد وخواتم وفتح خاتم كبير.

رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، وقد كان حيي قبل ذلك دخل خربة فقال: قد رأيت حياً يطوف في خربة هاهنا، فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذريتهم، وقسم أموالهم بالنكث الذي نكثوا، وأراد إجلاءهم منهما، فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه [غلال]^(١) يقومون عليها، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها، فأعطاهم خبير على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ. وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرصها^(٢) عليهم ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله تطعموني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنزير، ولا يحملني بغضي إياكم وحيي إياه على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. قال فرأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة فقال: يا صفية ما هذه الخضرة؟ فقالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قمرأ وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني، وقال: تتمنين ملك يثرب. قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليّ قتل زوجي وأبي، فما زال يعتذر إليّ ويقول إن أباك ألب عليّ العرب، وفعل ما فعل حتى ذهب ذلك من نفسي. وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير، فلما كان في زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه، فقال عمر: من كان له سهم بخبير فليحضر حتى نقسمها فقسمها بينهم. فقال رئيسهم لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر. فقال عمر: أتراني سقط عليّ قول رسول الله ﷺ كيف بك إذا وقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً. وقسمها عمر بين من كان شهد خبير من أهل الحديبية. وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة. قال البيهقي: وعلقه البخاري في كتابه فقال: ورواه حماد بن سلمة^(٣). قلت: ولم أره في الأطراف فالله أعلم وقال أبو داود: وحدثني سليمان بن داود المهري، حدثنا ابن وهب، أخبرني أسامة بن زيد الليثي، عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: لما فتحت خبير سألت يهود رسول الله ﷺ أن نقرهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله ﷺ أقرم فيها على ذلك ما شئنا، فكانوا على ذلك وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خبير، ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقاً من شعير. فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي ﷺ فقال لهن: من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا، ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا. وقد روى أبو داود: من حديث محمد بن إسحاق حدثني نافع عن عبد الله بن عمر: أن عمر قال أيها الناس إن رسول الله ﷺ عامل يهود خبير على أن يخرجهم إذا شاء فمن كان له مال فليلحق به فإني مخرج يهود. فأخرجهم. وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا أعطيت بني المطلب من خمس خبير، وتركنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك. فقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد. قال جبير بن مطعم ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً. تفرد به دون مسلم. وفي لفظ أن رسول الله ﷺ قال: إن بني هاشم وبني عبد المطلب شيء واحد، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام^(٤). قال الشافعي دخلوا معهم في الشعب وناصرهم في إسلامهم وجاهليتهم. قلت وقد ذم أبو طالب بني عبد شمس ونوفلاً حيث يقول:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شر عاجلاً غير آجل

(١) من «البيهقي»: وفي الأصل غلال وهو تحريف.

(٢) من «البيهقي»، وفي الأصل فيخرجها.

(٣) الحديث بتمامه في «دلائل البيهقي» (٤/٢٢٨، ٢٣١)؛ وما بين معكوفين في الحديث زيادة من «الدلائل» وأخرج شطره الأول أبو داود في كتاب «الخراج والإمارة» باب ما جاء في حكم أرض خبير ح (٣٠٠٦) والبخاري في (٥٤) كتاب «الشروط» (١٤) إذا اشترط في المزارعة.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٣٨) غزوة خبير. وأبو داود في «الخراج» عن القواريري، وابن ماجه في «الجهاد» عن يونس بن عبد الأعلى.

وقال البخاري: حدثنا الحسن بن إسحاق، ثنا محمد بن ثابت، ثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفارس سهمين وللراجل سهماً. قال فسرره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، وإن لم يكن معه فرس فله سهم^(١). وقال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا محمد بن جعفر أخبرني زيد عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بيانا^(٢) ليس لهم شيء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها. وقد رواه البخاري أيضاً من حديث مالك. وأبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر به. وهذا السياق يقتضي أن خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين. وقد قال أبو داود: ثنا ابن السرح، أنبأنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها [على الجلاء] بعد القتال، وهذا قال الزهري خمس رسول الله ﷺ خيبر ثم قسم ساثرها على من شهدها. وفيما قاله الزهري نظر فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه، وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام يخير في الأراضي المغنومة إن شاء قسمها وإن شاء أرسدها لمصالح المسلمين وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح.

قال أبو داود^(٣): حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا، حدثني سفيان، عن يحيى بن سعيد، عن بشير بن يسار، عن سهل بن أبي حثمة قال: قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين؛ نصفاً لنوابه، ونصفاً بين المسلمين، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً. تفرد به أبو داود، ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلأ فعين نصف النواب الوطوح والكتيبة والسلام وما حيز معها ونصف المسلمين الشق والنظاة وما حيز معهما وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهما^(٤). وقال أيضاً: حدثنا حسين بن علي ثنا محمد بن فضيل، عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار، عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر فقسمها على ستة وثلاثين سهماً، جمع كل سهم مائة سهم، فكان لرسول الله ﷺ ولللمسلمين النصف من ذلك. وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونواب الناس. تفرد به أبو داود^(٥) قال أبو داود: حدثنا محمد بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصاري سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول، عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري. وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن. قال قسمت خيبر على أهل الحديبية، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهماً^(٦). تفرد به أبو داود. وقال مالك عن الزهري أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة. ورواه أبو داود ثم قال أبو داود: قرىء على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم ابن وهب: حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة وبعضها صلحاً والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح، قلت لمالك: وما الكتيبة؟ قال: أرض خيبر وهي أربعون ألف عذق^(٧). قال أبو داود والعذق النخلة. والعذق المرجون. ولهذا قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار ثنا حرمي، ثنا شعبة، ثنا عمارة، عن عكرمة عن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر. حدثنا الحسن ثنا قره بن حبيب ثنا قره بن حبيب ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال: ما شبعنا. يعني من التمر. حتى فتحنا خيبر. وقال محمد بن إسحاق: كانت الشق والنظاة في سهمان المسلمين الشق ثلاثة عشر سهماً ونظاة خمسة أسهم قسم الجميع على ألف

(١) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» باب غزوة خيبر. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» من طريق سليم بن أحضر (٢٣٨/٤)، و«إسناده البيهقي» أخرجه مسلم في كتاب «الجهاد». باب كيفية قسمة الغنمة ح (٥٧) وأخرجه الترمذي في «السير» وقال حسن صحيح.

(٢) بياناً: أي على وتيرة واحدة، وهي كلمة غير عربية.

(٣) «سنن أبي داود» كتاب «المغازي» حديث (٣٠١٠) (١٥٩/٣).

(٤) «سنن أبي داود» كتاب «المغازي» ح (٣٠١٣).

(٥) المصدر السابق حديث (٣٠١٢).

(٦) «سنن أبي داود» كتاب «المغازي». حديث (٣٠١٥).

(٧) «سنن أبي داود» كتاب «المغازي» حديث (٣٠١٧).

وثمانمائة سهم ودفع ذلك إلى من شهد الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها، ولم يغب عن خيبر عن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله فضرب له بسهمه^(١)، قال وكان أهل الحديبية ألفاً وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهماً، وزيد المائتا فارس أربعمائة سهم لخيولهم^(٢). وهكذا رواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن صالح بن كيسان أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة معهما مائتا فرس^(٣).

قلت: وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن عدي.

قال ابن إسحاق: وكانت الكتيبة خمساً لله تعالى وسهم للنبي ﷺ وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وطعمة أزواج النبي ﷺ وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فديك، منهم محيصة بن مسعود أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من تمر وثلاثين وسقاً من شعير، قال وكان وادياها اللذان قسمت عليه يقال لهما: وادي السرير ووادي خاص^(٤). ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الاقطاعات منها فأجاد وأفاد رحمه الله. قال وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخو بني سلمة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما.

قلت: وكان الأمير على خرص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين، ثم لما قتل رضي الله عنه كما سيأتي في يوم مؤتة ولي بعده جبار بن صخر^(٥) رضي الله عنه وقد قال البخاري: حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر فجاء بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ «أكل تمر خيبر هكذا؟» قال: لا والله يا رسول الله إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة، فقال «لا نفعل بع الجمع بالدرهم ثم ابتع بالدرهم جنيباً». قال البخاري: وقال الدراوردي عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه: أن رسول الله ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر وأمره عليها، وعن عبد المجيد عن أبي صالح السمان عن أبي سعيد وأبي هريرة مثله.

قلت: كان سهم النبي ﷺ الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفديك بكمالها وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه. وأموال بني النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ثم يجعل ما بقي يجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبي ﷺ - أو أكثرهن - أن هذه الأراضي تكون مورثة عنه ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ «نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة» ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه إليهم؛ وذكر لهم قول رسول الله ﷺ «لا نورث ما تركنا صدقة» وقال: أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وصدق رضي الله عنه وأرضاه فإنه البار الراشد في ذلك التابع للحق، وطلب العباس وعلي على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظروا في هذه الصدقة وأن يصرفوا ذلك في المصارف التي كان النبي ﷺ يصرفها فيها، فأبى عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه. فتغضبت فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض الموجدة ولم يكن لها ذلك. والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محله ومنزلته من رسول الله ﷺ وقيامه في نصرة النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته فجزاه الله عن نبيه وعن الإسلام وأهله خيراً، وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد على البيعة بعد ذلك، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سأله أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضي الله عنه ذلك، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته، فتغلب على علي

(١) قال الواقدي: تخلف عنها: مري بن سنان، وأيمن بن عبيد، وسباع بن عرفطة - خلفه على المدينة - وجابر بن عبد الله ومات منهم رجلان فأسهم رسول الله ﷺ لمن تخلف منهم ومن مات. وأسهم لثلاثة مرضى لم يحضروا القتال: سويد بن النعمان وعبد الله بن سعد بن خيصة ورجل من بني خطامة. وأسهم للذين قتلوا من المسلمين.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/٣٦٣) ونقله البيهقي عنه في «الدلائل» (٤/٢٣٧).

(٣) «دلائل البيهقي» (٤/٢٣٨).

(٤) خاص: في الأصل وفي «معجم البلدان». وقال السهيلي خاص تحريف وصوابه خلص.

(٥) في الواقدي: أبا الهيثم بن التيهان بعث رسول الله ﷺ بعد ابن رواحة يخرص عليهم.

عمه العباس فيها ثم تساوقا يختصمان إلى عمر، وقدما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل منهما فيما لا ينظر فيه الآخر فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث، وقال: انظرا فيها وأنتما جميع فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاء غير هذا. فاستمر فيها ومن بعدهما إلى ولدهما إلى أيام بني العباس تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها؛ أموال بني النضير وفدك وسهم رسول الله ﷺ من خيبر.

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ^(١) لهم رسول الله ﷺ شيئاً من الغنيمة ولم يسهم لهم. قال أبو داود: حدثنا أحمد بن حنبل، ثنا بشر بن الفضل، عن محمد بن زيد حدثني عمير مولى أبي اللحم قال: شهدت خيبر مع سادتي فكلموا في رسول الله ﷺ فأمر بي فقلدت سيفاً، فإذا أنا أجره، فأخبرني مملوك فأمر لي بشيء من طريق^(٢) المتاع. ورواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن بشر بن الفضل به وقال الترمذي حسن صحيح. ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر عن منقذ عن عمير به.

وقال محمد بن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء فرضخ لهن [من الفيء]^(٣) ولم يضرب لهن بسهم. حدثني سليمان بن سحيم، عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قد سماها لي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خيبر - فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا؛ فقال «على بركة الله» قالت فخرجنا معه، قالت وكنت جارية حدثت السن، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رحله، [قالت فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله، قالت]^(٣) وإذا بها دم مني، وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحيت. فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال «ما لك؟ لعلك نفست» قالت: قلت: نعم، قال «فأصلحي من نفسك»، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك» قالت: فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها، وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً. وكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها، قالت: وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت في طهورها ملحاً وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت. وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن إسحاق به. قال شيخنا أبو الحجاج المزي في أطرافه ورواه الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة، عن سليمان بن سحيم، عن أم علي بنت أبي الحكم عن أمية بنت [قيس بن]^(٤) أبي الصلت عن النبي ﷺ به. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، ثنا رافع بن سلمة الأشجعي حدثني حشرج بن زياد، عن جدته أم أبيه قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة، قالت: فبلغ النبي ﷺ أن معه نساء، قالت فأرسل إلينا فدعانا. قالت: فرأينا في وجهه الغضب فقال «ما أخرجكن وبأمر من خرجتن؟» قلنا خرجنا نناول السهام ونسقي السويق، ومعنا دواء للجرحى، ونغزل الشعر فنعين به في سبيل الله. قال فمرن فانصرفن، قالت: فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاماً كسهام الرجال، فقلت لها يا جدة وما الذي أخرج لكن؟ قالت تمرأ.

قلت: إنما أعطاهن من الحاصل، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا! والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ بأن عبد الله الأصهباني أخبره حدثنا الحسن^(٥) بن الجهم، ثنا الحسين بن الفرغ، ثنا الواقدي: حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير، عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ومعني زوجتي وهي حبلى فنفتت في الطريق، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي «انقع لها تمرأ فإذا

(١) رضخ: أعطى من الغنيمة دون تحديد. قال السهيلي: الرضخ: أن تكسر من الشيء الرطب فتعطيها وأما الرضح: فهو أن تكسر اليابس.

(٢) في أبي داود: خرثي المتاع: أساس البيت وإسقاطه كالقدر وغيره.

وقال أبو داود: معناه أنه لم يسهم له. أبي اللحم: قال أبو داود: قال أبو عبيد: كان حرم اللحم على نفسه فسمي أبي اللحم.

(٣) من «ابن هشام» انظر الخبر في «السيرة» (٣/٣٥٧).

(٤) من «مغازي الواقدي».

(٥) من «البيهقي» وفي الأصل: الحسين.

انغمر فأمر به لتشربه» ففعلت فما رأت شيئاً تكرهه، فلما فتحنا خير أجدى النساء ولم يسهم لهن، فأجدى^(١) زوجتي وولدي الذي ولد، قال عبد السلام: لست أدري غلام أو جارية^(٢).

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون

قال البخاري: حدثنا محمد بن العلاء، ثنا أبو أسامة، ثنا يزيد بن عبد الله^(٣) «بن أبي بردة عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهم، إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين^(٤) أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة فآلقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خير، فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس - وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها فقال حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت أسماء ابنة عميس، قال عمر الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء نعم! قال سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء والبغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا قالت قال «فما قلت له؟» قالت: قلت: كذا وكذا، قال «ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة. ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان» قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني رسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد هذا الحديث مني. وقال أبو بردة: عن أبي موسى قال النبي ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقي العدو - أو قال الخيل - قال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم^(٥)». وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن براد عن أبي أسامة به. ثم قال البخاري: قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا حفص بن غياث ثنا بريد [بن عبد الله عن^(٦) أبي بردة عن أبي موسى قال: قدمنا على النبي ﷺ بعد أن افتتح خير فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا. تفرد به البخاري دون مسلم. ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث يزيد به. وقد ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبي ﷺ خير. قال: وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خير فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال «ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خير أم بقدوم جعفر^(٧)». وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلًا. وأسند البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال: لما قدم رسول الله ﷺ من خير قدم جعفر من الحبشة، فتلقاها وقبل جبهته وقال «والله ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خير أم بقدوم جعفر» ثم قال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا الحسين بن أبي إسماعيل العلوي، ثنا أحمد بن محمد البيروقي، ثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة، حدثني مكِّي بن إبراهيم الرعيني، ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر

(١) في «الواقدي»: أخذى وفي «النهاية» و«البيهقي» فكالأصل.

(٢) الخبر في «مغازي الواقدي» (٦٨٦/٢) ونقله عنه البيهقي في «الدلائل» (٢٤٣/٤).

(٣) من البخاري وفي الأصل: يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة وهو تحريف.

(٤) قال البلاذري بإسناده عن ابن عباس: أنهم كانوا أربعين رجلاً. وقال ابن إسحاق: كانوا ستة عشر رجلاً. وقيل أقل.

(٥) رواه «البخاري» في «المغازي» باب غزوة خير ح (٢٣) «فتح الباري» (٣٩٠/٧) وفي «المناقب» باب هجرة الحبشة. وأخرجه

مسلم في (٤٤) كتاب «فضائل الصحابة» (٤١) باب ح (١٦٩).

(٦) من «البخاري»، وفي الأصل: يزيد بن أبي بردة. وهو تحريف كتاب «المغازي» - باب غزوة خير.

(٧) الخبر في «دلائل البيهقي» (٢٤٦/٤). ونقله الصالح في «السيرة الشامية» (٢١٢/٥) و«سيرة ابن هشام» (٣/٤).

قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله ﷺ، فلما نظر جعفر إليه حجل - قال مكّي: يعني مشى على رجل واحدة - إعظماً لرسول الله ﷺ، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه، ثم قال البيهقي: في إسناده من لا يعرف إلى الثوري^(١).

قال ابن إسحاق: وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر: ستة عشر رجلاً، وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم: جعفر بن أبي طالب الهاشمي، وامرأته أسماء بنت عميس، وابنه عبد الله ولد بالحبشة، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وامرأته أمينة^(٢) بنت خلف بن أسعد، وولده سعيد، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص^(٣)، ومعيقب بن أبي فاطمة وكان إلى آل سعيد بن العاص، قال وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة، وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي، وجهم بن قيس بن عبد شريحيل العبدري، وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة، وابنه عمرو، وابنته خزيمة ماتا بها^(٤) رحمهم الله، وعامر بن أبي وقاص الزهري، وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل، والحارث بن خالد بن صخر التيمي، وقد هلكت بها امرأته ربيعة بنت الحارث رحمها الله، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجمحي، ومحمية بن جزة الزبيدي حليف بني سهم، ومعمار بن عبد الله بن نضلة العدوي، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدي، والحارث بن عبد شمس^(٥) بن لقيط الفهري.

قلت: ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمه أبا عامر، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في «صحيح البخاري». وكان ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك والله أعلم. قال: وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك. وقد حررها هنا شيئاً كثيراً حسناً. قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان سمعت الزهري وسأله إسماعيل بن أمية قال أخبرني عن عنبسة بن سعيد: أن أبا هريرة أتى رسول الله ﷺ وسأله - يعني أن يقسم له - فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تعطه، فقال أبو هريرة هذا قاتل ابن قوطل فقال: واعجباً لو بر تدلى من قدوم الضال^(٦). تفرد به دون مسلم. قال البخاري ويذكر عن الزبيدي عن الزهري أخبرني عن عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال: بعث رسول الله ﷺ أبانا على سرية من المدينة قبل نجد، قال أبو هريرة فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها، وأن حزم خيلهم لليف. قال أبو هريرة فقلت يا رسول الله لا تقسم لهم، فقال أبان: وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضال. وقال النبي ﷺ «يا أبان اجلس» ولم يقسم لهم، وقد أسند أبو داود هذا الحديث: عن سعيد بن منصور، عن إسماعيل بن عياش، عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه^(٧). ثم قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد، أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فقال أبو هريرة يا رسول الله هذا قاتل بن قوطل، فقال أبان لأبي هريرة: واعجباً لك يا وبر تردي من قدوم ضال تنعي علي امرءاً أكرمه الله بيدي، ومنعه أن يهينني بيده؟ هكذا رواه منفرداً به هاهنا. وقال في الجهاد بعد حديث الحميدي عن سفيان عن الزهري عن عنبسة بن سعيد عن أبي هريرة قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحها، فقلت يا رسول الله أسهم لي، فقال بعض آل سعيد بن العاص: لا تقسم له، فقلت يا رسول الله هذا قاتل بن قوطل الحديث. قال سفيان حدثني السعدي - يعني عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبي هريرة بهذا. ففي هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم في أول هذه الغزوة.

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٤/٢٤٦)،

(٢) في «الإصابة»: أميمة، وقال ابن هشام: همينة.

(٣) في «ابن هشام»: معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرت الكناني هلكت بأرض الحبشة.

(٤) في «ابن هشام»: أن امرأته فقط هلكت في الحبشة وجاء معه ابناه منها.

(٥) في «ابن هشام»: ابن عبد قيس. انظر تفاصيل الخبر في «السيرة» (٤/٣، ٥).

(٦) أخرجه البخاري في غزوة خيبر «فتح الباري» (٧/٣٩٣).

(٧) «سنن أبي داود» (٣/٧٣).

رواه الإمام أحمد: من طريق عراك بن مالك عن أبي هريرة وأنه قدم على رسول الله ﷺ بعدما افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا في أسهامهم وقال الإمام أحمد: حدثنا روح، ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمار بن أبي عمار قال: ما شهدت مع رسول الله ﷺ مغنماً قط إلا قسم لي، إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة.

قلت: وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بين الحديبية وخيبر. وقد قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن مالك بن أنس، حدثني ثور حدثني سالم مولى [عبد الله] بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول: افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مدغم أهدها له بعض بني الضبيب فينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله ﷺ «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً» فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شركين فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله ﷺ «شراك أو شركين من نار».

قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر

قال البخاري: رواه عروة عن عائشة عن النبي ﷺ. ثم قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، ثنا الليث حدثني سعيد عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، هكذا أورده هاهنا مختصراً^(١). وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ «اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود» فجمعوا له فقال النبي ﷺ «إني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟» قالوا نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ «من أبوكم؟» قالوا أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ «كذبتكم بل أبوكم فلان» قالوا صدقت وبررت فقال «هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في أبنائنا، فقال رسول الله ﷺ «من أهل النار؟» فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ «والله لا نخلفكم فيها أبداً» ثم قال لهم «هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم؟» فقالوا نعم يا أبا القاسم، فقال «هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً» فقالوا: نعم! قال «ما حملكم على ذلك؟» قالوا أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك وإن كنت نبياً لم يضرك^(٢). وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف، وفي المغازي أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث به. وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس الأصم [قال: حدثنا العباس بن محمد، قال]^(٣) حدثنا سعيد بن سليمان، ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فقال لأصحابه «أمسكوا فإنها مسمومة» وقال لها: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك. قال: فما عرض لها رسول الله ﷺ^(٤) رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به. ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نصر عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك. وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح ثنا عباد عن هلال هو ابن خباب - عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فأرسل إليها فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت أحببت - أو أردت - إن كنت نبياً فإن الله سيطلعك عليه، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك. قال فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم، قال فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم. تفرد به أحمد وإسناده حسن. وفي «الصحيحين» من حديث شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؟ قالت: أردت لأقتلك، فقال: «ما كان الله ليسلطك علي» أو قال: «على ذلك»

(١) أخرجه البخاري في «المغازي»، غزوة خيبر «فتح الباري» (٧/٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في (٥٨) كتاب «الجزية» (٧) باب «فتح الباري» (٦/٢٧٢). وفي كتاب «الطب» (٥٥) باب، ما يذكر في سم النبي ﷺ.

(٣) سقطت من الأصل واستدركت من «دلائل البيهقي».

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤/٢٥٩ - ٢٦٠).

قالوا: ألا تقتلها قال: «لا» قال أنس فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ وقال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود المهري ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية^(١) ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم» وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها فقال لها: «أسمت هذه الشاة؟» قالت اليهودية من أخبرك؟ قال: «أخبرتني هذه التي في يدي» وهي الذراع، قالت نعم قال: «فما أردت بذلك؟» قالت: قلت إن كنت نبياً فلن تضرك، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك. فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبي ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار. ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية، ثنا خالد بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر، قال: فمات بشر بن البراء بن معرور، فأرسل إلى اليهودية فقال: «ما حملك على الذي صنعت؟» فذكر نحو حديث جابر، فأمر رسول الله ﷺ فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة. قال البيهقي: ورويناه من حديث حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال: ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها^(٢). وروى البيهقي: من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال: «ما هذه؟» قالت هدية، وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل، قال: فأكل وأصحابه ثم قال: «امسكوا» ثم قال للمرأة: «هل سمت؟» قالت من أخبرك هذا؟ قال: «هذا العظم» لساقها وهو في يده، قالت: نعم قال «لم؟» قالت: أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك. قال فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا. ومات بعضهم. قال الزهري فأسلمت^(٣) فتركها النبي ﷺ. قال البيهقي: هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل منهم من قتل، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها، وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بني سلمة، فقدمت إليهم الشاة المصلية، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها، وتناول بشر عظماً فانتهش منه، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه، وتناول بشر عظماً فانتهش منه، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه، فقال رسول الله ﷺ «ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أنني نعت^(٤) فيها» فقال بشر بن البراء والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكملتُ فما منعتني أن ألفظها إلا أنني أعظمتك أن أبغضك^(٥) طعامك، فلما أسغت ما في فيك لم أرغب بنفسني عن نفسك، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي^(٦)، فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان، وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول^(٧). قال الزهري: قال جابر: واحتجم رسول الله ﷺ يومئذ حجه مولى بني بياضة

(١) مصلية: مشوية.

(٢) نقل البيهقي جملة الأحاديث التي وردت في «دلائله» (٢٥٦/٤) وما بعدها في باب: ما جاء في الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخيبر وما ظهر في ذلك من عصمة الله ورسوله ﷺ عن ضرر ما أكل منه.

(٣) اختلفوا في المرأة التي أهدت الشاة المسمومة للنبي ﷺ.

- هل كان عملها تصرفاً شخصياً انفردت بالتفكير فيه وتنفيذه؟ ولماذا قصدت قتل رسول الله ﷺ.

- هل كان تصرفها مخططاً له من شخص أو فئة أو مجموعة من الناس؟

- هل أسلمت أم لا؟

- هل قتلها النبي ﷺ أم لا؟

(٤) في رواية البيهقي: أن قد بُغيت فيها.

(٥) في «البيهقي»: أنغصك.

(٦) في «البيهقي»: بني.

(٧) الخبر في «الدرر» لابن عبد البر ص (٢٠٤) ونقله البيهقي في «الدلائل» (٢٦٣/٤) ولم يذكر ابن عقبة قول جابر في الحجامة إنما ذكره البخاري في «صحيحه» «فتح الباري» (١٣١/٨).

بالقرن والشفرة وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال: «ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً حتى كان هذا أو انقطاع أبهري» فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً.

وقال محمد بن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغاً، فلم يسفها، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال «إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم» ثم دعا بها فاعترفت، فقال «ما حملك على ذلك؟» قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان كذاباً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيُخبر. قال فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل.

قال ابن إسحاق وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أخت^(١) بشر بن البراء بن معرور - «يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت [فيه] انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر». قال ابن هشام: الأبر العرق المعلق بالقلب. قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوة^(٢). وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحراني قالوا: ثنا أبو غياث سهل بن حماد، ثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري: أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سمياً، فلما بسط القوم أيديهم، قال رسول الله ﷺ: «أمسكوا فإن عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة» فأرسل إلى صاحبته «أسممت طعامك؟» قالت: نعم، قال: «ما حملك على ذلك؟» قالت: إن كنت كاذباً أن أريح الناس منك، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه. فبسط يده وقال «كلوا بسم الله» قال: فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحداً منا. ثم قال لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلا من هذا الوجه.

قلت: وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم. وذكر الواقدي: أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤيا رسول الله ﷺ محاصر خيبر، فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله ﷺ فيظفر به، فلما قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها؛ فقال: يا محمد أعطني ما غنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله ﷺ «كذبت رؤياك» وأخبره بما رأى^(٣)، فرجع عيينة فلقية الحارث بن عوف فقال: ألم أقل إنك توضع في غير شيء، والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول: إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون، إنه لمسل، ويهود لا تطاوعني على هذا. ولنا منه ذبحان، واحد بيثرب وآخر بخيبر. قال الحارث: قلت لسلام يملك الأرض؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه.

فصل

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فحاصر أهلها ليالٍ ثم انصرف راجعاً إلى المدينة. ثم ذكر من قصة مدعم وكيف جاءه سهم غارب فقتله، وقال الناس هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله ﷺ «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً». وقد تقدم في «صحيح البخاري» نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم. وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى. قال الإمام أحمد:

= والحجامة: يطلق عليها اسم «كاسات الهواء» وهي فصد قليل من الدم من على سطح الجلد باستخدام كأس زجاجي خاص. وهي نوعان: حجامة جافة وحجامة رطبة.

تفيد الحجامة في بعض حالات الروماتيزم وأوجاع الصدر، وتخفيف الاحتقان الدموي في بعض أمراض القلب وبعض آلام المفاصل.

(١) في «ابن هشام»: أم بشر. وسياق الخبر يفهم منه: أنها أخته.

(٢) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٢٥٣/٣).

(٣) كان عيينة قد أرى أنه أعطي ذا الرقية - جبل بخيبر - وأنه أخذ برقية محمد ﷺ ولما طلب من النبي ﷺ قال له: أعطني مما

غنمت من حلفائي فإني انصرفت عنك وعن قتالك وخذلت حلفائي ولم أكثر عليك ورجعت عنك بأربعة آلاف مقاتل. فقال النبي ﷺ: كذبت «مغازي الواقدي» (٦٧٥/٢).

حدثنا يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبي عمرة عن زيد بن خالد الجهني: أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفي يوم خيبر، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال «صلوا على صاحبكم» فتغير وجوه الناس من ذلك، فقال «إن صاحبكم غل في سبيل الله» ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوي درهمين^(١). وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان. ورواه أبو داود وبشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به. وقد ذكر البيهقي: أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعاً^(٢) معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب وتقدم أن رسول الله ﷺ لما حلت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سد الصهباء في أثناء طريقه إلى المدينة؛ وأولم عليها بحيس، وأقام ثلاثة أيام يبنى عليه بها، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراه رضي الله عنها. وذكر محمد بن إسحاق في «السيرة» قال: لما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التي جملتها إلى رسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك، وبات بها رسول الله ﷺ في قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يجرس رسول الله ﷺ ويظيف بالقبة، حتى أصبح، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانه قال «مالك يا أبا أيوب؟» قال خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني» ثم قال: حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظاً فقال «ماذا صنعت بنا يا بلال؟» قال يا رسول الله أخذ بنفسى الذي أخذ بنفسك، قال «صدقت» ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلّى كما كان يصليها قبل ذلك. وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسلًا وهذا مرسل من هذا الوجه. وقد قال أبو داود: حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر، فسار ليلة حتى إذا أدركنا الكرى عرس^(٣) وقال لبلال «اكلاً لنا الليل»^(٤) قال فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ النبي ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، كان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً فزع رسول الله ﷺ وقال «يا بلال» قال: أخذ بنفسى الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال فاقفادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله ﷺ فأمر بلالاً فأقام الصلاة وصلّى لهم الصبح، فلما أن قضى الصلاة قال «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى يقول ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]»^(٥) قال يونس وكان ابن شهاب يقرأها كذلك. وهكذا رواه مسلم عن حرمة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر. وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية، ففي رواية عنه أن بلالاً هو الذي كان يكلوهم، وفي رواية عنه أنه هو الذي كان يكلوهم^(٦). قال الحافظ البيهقي: فيحتمل أن ذلك كان مرتين. قال: وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة وفيه حديث الميضاة فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة. قال وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك. قال وروى زافر بن سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك فالله أعلم^(٧). ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب «الصحيح» من قصة عوف الأعرابي عن أبي رجاء عن

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١١٤/٤) و (١٩٢/٥) ومالك في «الموطأ» في الجهاد، باب الغلول (٤٥٨/٢) وأبو داود في «الجهاد» باب في تعظيم الغلول. والنسائي في كتاب «الجنائز» (٦٦) باب الصلاة على من غلّ وابن ماجه في «الجهاد» (٢٤) باب الغلول.

(٢) ذكره البيهقي في «الدلائل» (٢٤٨/٤) والموضع: جنفا: وهو ماء من مياه بني فزارة بين خيبر وفدك.

(٣) التعريس: نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة قال أبو زيد. هو النزول أي وقت كان من ليل أو نهار.

(٤) أي ارقبه وأحفظه وأحرسه.

(٥) الحديث نقله البيهقي في «الدلائل» (٢٧٢/٤). وقوله.. كان يقرأها كذلك أي: أقم الصلاة للذكرى.

وأخرجه مسلم في (٥) كتاب المساجد (٥٥) باب ح (٣٠٩).

(٦) أخرجه أبو داود في الصلاة ح (٤٤٧) ص (١٢٢/١).

(٧) «دلائل البيهقي» (٢٧٥/٤).

عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطیحتین وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله ولم ينقص ذلك منهما شيئاً. ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضة^(١). وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة. وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبراً، وقال لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ «أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال «يا عبد الله بن قيس» قلت لبيك يا رسول الله قال «ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرحمن بن مل أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري، والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر فإن أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ - فيما بلغني - قد أعطى ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن، وكان فتح خيبر في صفر، فقال ابن لقيم في فتح خيبر:

رُمِيَتْ نَطَاةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلِقِ	شَهْبَاءُ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارِ ^(٢)
وَاسْتَيْقَنْتَ بِالذَّلِّ لِمَا شِيعْتَ	وَرَجَالُ أَسْلَمَ وَسَطَّهَا وَغَفَارِ
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بِنِ زَرْعَةٍ غَدْوَةٍ	وَالشَّقِ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارِ
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولُ فَلَمْ تَدَعْ	إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ بِالْأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ حَصْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ	مِنْ عِبْدِ الْأَشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِيْمَاهُمْ	فَوْقَ الْمَغْفَارِ لَمْ يَنْوَالُوا لِفَرَارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ لِيغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ	وَلِيَثْوِينَ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ ^(٣)
فَرَّتْ يَهُودٌ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْوَعْيِ	تَحْتَ الْعَجَاجِ غَمَائِمِ الْأَبْصَارِ ^(٤)

فصل

من استشهد بخيبر من الصحابة

على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي.

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدي مولى بني أمية، وثقيف بن عمرو^(٥) ورفاعة بن مسروح حلفاء بني أمية، وعبد الله بن الهيب^(٦) بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بني سعد بن ليث حليف بني أسد وابن أختهم، ومن الأنصار بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله ﷺ كما تقدم، وفضيل بن النعمان السلميان، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد^(٧) بن عامر بن زريق الزرقني، ومحمود بن مسلمة الأشهلي، وأبو ضياع^(٨)

(١) راجع تفاصيل الخبرين في «الدلائل» باب ذكر حديث عمران بن حصين وما ظهر في خبر النبي ﷺ عن صاحبة المزدتين (٤) / ٢٧٦. وفي باب ذكر حديث أبي قتادة الأنصاري في أمر الميضة (٤) / ٢٨٢.

(٢) نطاة: حصن بخيبر، وقيل عين بها، والفيلق: الكتيبة فقار: شديدة.

(٣) أصفار: جمع صفر.

(٤) الغمائم: جفون العين. وقال السهيلي: وهو بيت مشكل، غير أن في بعض النسخ وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال: فرت فتحت من قولك: فرت الدابة: إذا فتحت فاهها وغمائم الأبصار: هي مفعول فرت. وهي جفون أعينهم. «الروض الأنف».

(٥) في «الواقدي»: ثقف بن عمرو بن سميطة.

(٦) في «الواقدي»: عبد الله بن أبي أمية.

(٧) في «ابن هشام»: خَلْدَةُ.

(٨) في «الطبري» و «الاستيعاب»: النعمان، وفي «الاستيعاب»: قيل عمير.

فقال: حدثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال: لم افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلاً وإني أريد أن آتيهم أفأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً؟ فأذن لي رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء. فأتى امرأته حين قدم فقال: اجمعي لي ما كان عندك فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصببت أموالهم. قال وفشى ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً، قال وبلغ الخبر العباس فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم. قال معمر: فأخبرني عثمان الخزرجي^(١) عن مقسم قال: فأخذ ابناً يقال له قثم واستلقى ووضع على صدره وهو يقول:

حبي قثم شبه ذي الأنف الأشم بنبي ذي النعم بزعم من زعم
قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى حجاج بن علاط فقال: ويحك ما جئت به وماذا تقول؟ فما وعد الله
خير مما جئت به، فقال حجاج بن علاط: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له: فليخل لي في بعض بيوته لآتيه فإن الخبر
على ما يسره، فجاء غلامه فلما بلغ الدار، قال: أبشر يا أبا الفضل، قال فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه، فأخبره
ما قال حجاج فأعتقه، قال ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله
في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفيّة بنت حبي واتخذها لنفسه، وخبرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها
فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، قال ولكني جئت لئلا كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به فاستأذنت رسول الله ﷺ
فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف عليّ ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك. قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي أو متاع
فجمعتها ودفعته إليه ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب
يوم كذا وكذا، وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله
إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسوله، وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله ﷺ صفيّة لنفسه، فإن كان لك
حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقاً؟ قال: فإني صادق والأمر على ما أخبرتك، ثم ذهب حتى أتى
مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لم يصبني إلا خير بحمد الله، أخبرني
الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفيّة لنفسه، وقد سألتني أن أخفي عنه
ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب، قال فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين،
وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر، فسر المسلمون ورد ما كان من كآبة أو غيظ
أو حزن على المشركين^(٢). وهذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن
إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق به نحوه. ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق. ورواه
أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه. وكذلك ذكر موسى بن عقبة
في «مغازيه»: أن قريشاً كان بينهم تراهن عظيم وتبايع، منهم من يقول يظهر محمد وأصحابه، ومنهم من يقول: يظهر
الحليفان ويهود خيبر، وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خيبر، وكان
تحت أم شيبه^(٣) أخت عبد الدار بن قصي، وكان الحجاج مكثراً من المال، وكانت له معادن أرض بني سليم، فلما ظهر
رسول الله ﷺ على خيبر استأذن الحجاج رسول الله ﷺ في الذهاب إلى مكة يجمع أمواله فأذن له نحو ما تقدم والله
أعلم^(٤).

قال ابن إسحاق: وما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حسان:

بنس ما قاتلت خيابر عمّا	جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبيح حماهم	وأقروا فعل الذميمة الذليل
أمن الموت يهربون فإن المو	ت موت الهزال غير جميل

(١) في رواية البيهقي: الجزري.

(٢) في رواية الإمام أحمد في «مسنده» (١٣٨/٣ - ١٣٩) ونقله الصالح في «السيرة الشامية» (٢١٦/٥) والبيهقي في «الدلائل» (٤/٤) (٢٦٦). عن أنس.

(٣) في الواقدي: أم شيبه بنت عمير بن هاشم أخت مصعب العبدي.

(٤) رواه عن موسى بن عقبة وعروة البيهقي في «الدلائل» (٤/٢٦٥).

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري:

ونحنُ وردنا خيبراً وفروضه
جوادٍ لدى الغابات لا واهن القوى
عظيم رماد القدر في كل شتوة
يرى القتلَ مدحاً إن أصابَ شهادة
يذود ويحمي عن ذمار محمدٍ
وينصره من كل أمرٍ يريبه
يصدق بالإنبياء بالغيبِ مخلصاً

بكل فتى عاري الأشاجع مزودٍ
جريء على الأعداء في كل مشهد
ضروب بنصل المشرفي المهند
من اللئيم يرجوها وفوزاً بأحمد
ويدفع عنه باللسان وباليد
يجود بنفس دون نفس محمد
يريد بذاك العز والفوز في غد

فصل

مروره بوادي القرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم

قال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له مدعم، وكان يُرحل لرسول الله ﷺ، فلما نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود وقد قدم إليها ناس من العرب، فبينما مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ وقد استقبلتنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم نكن على تعبئة. وهم يصيحون في أطامهم فيقبل سهم عائر فأصاب مدعماً فقتله، فقال الناس هنيئاً له بالجنة. فقال النبي ﷺ «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً» فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين. فقال النبي ﷺ: «شراك من نار أو شراكان من نار»^(١). وهذا الحديث في «الصحيحين» من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه.

قال الواقدي: فعبي رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلى سعد بن عباد، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله، قال: فبرز رجل منهم فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً كل ما قُتل منهم رجلاً دعي من بقي منهم إلى الإسلام، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله، وقاتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة وغنمهم^(٢) الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً. وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، فقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها، فلما بلغ يهود تيماء^(٣) ما وطئ به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم، فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز، ومن وراء ذلك من الشام، قال ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه الله عز وجل.

قال الواقدي: حدثني يعقوب بن محمد، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن الحارث بن عبد الله بن كعب، عن أم عمارة قالت: سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول: «لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء» قالت: فذهب رجل من الحي فطرق أهله فوجد ما يكره، فخلى سبيلها ولم يهجر، وضمن^(٤) بزوجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها، فعصى رسول الله ﷺ فرأى ما يكره.

(١) «مغازي الواقدي» (٢/٧١٠)،

(٢) في المغازي: وغنمه.

(٣) تيماء:

(٤) العبارة في «الواقدي»: فخلى سبيلها ولم يهجر.

فصل

ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر عامل يودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع. وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالها، وفي بعضها وقال لهم النبي ﷺ «نقركم ما شئنا». وفي «السنن»: أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمّنهم إياها، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤنة بعث جبار بن صخر كما تقدم. وموضع تحرير الفاظه وبيان طرقه كتاب «المزارعة» من كتاب «الأحكام» إن شاء الله وبه الثقة.

وقال محمد بن إسحاق: سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه، خمسها وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: «إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، فأقركم ما أقركم الله» فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص. فلما توفي الله نبيه ﷺ أقرها أبو بكر بأيديهم، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفي، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» ففحص عمر عن ذلك، حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود فقال: إن الله أذن لي في إجلائكم. وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان» فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ، فليأتني به، أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله ﷺ، [منهم] (١). قلت: قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتاباً من رسول الله ﷺ فيه أنه وضع الجزية عنهم، وقد اغتر بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال باسقاط الجزية عنهم، من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون وهو كتاب مزور مكذوب مفتعل لا أصل له، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد، وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن الصباغ في «مسائله»، والشيخ أبي حامد في «تعليقته»، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه، وقد تحركوا به بعد السبعماية وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات قبل زمن خيبر، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ، وفي آخره وكتبه علي بن أبي طالب وهذا لحن وخطأ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذ من أهل نجران. وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع والله أعلم.

ثم قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال: خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدنا، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، قال: فعدي عليّ تحت الليل، وأنا نائم على فراشي ففدعت يداي من مرفقي، فلما استصرخت عليّ صاحبائي فأتياني فسألاني: من صنع هذا بك؟ فقلت لا أدري، فأصلحنا من يدي ثم قدما بي على عمر، فقال هذا عمل يهود خيبر. ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر، ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم (٢) على الأنصاري قبله، لا نشك أنهم كانوا أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به، فإن يخرج يهود فأخرجهم.

قلت: كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ كما هو ثابت في «الصحيحين»، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه.

قال الحافظ البيهقي في «الدلائل»: جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي.

(١) من «سيرة ابن هشام» (٣/٣٧١).

(٢) في «ابن هشام»: غدوهم.

سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز ثنا عكرمة بن عمار، ثنا أبياس بن سلمة، حدثني أبي قال: خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة وأمره رسول الله ﷺ علينا فغزونا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعزسنا، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مر قبلنا، قال سلمة: ثم نظرت إلى عنق^(١) من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فوقهم وبين الجبل، قال: فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من آدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب، قال فنقلني أبو بكر بنتها، قال فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوباً، قال فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي «يا سلمة هب لي المرأة» قال: فقلت: والله يا رسول الله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوباً، قال: فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال «يا سلمة هب لي المرأة» قال: فقلت: يا رسول الله والله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوباً، قال: فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: «يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك» قال: قلت: يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوباً وهي لك يا رسول الله، قال بعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة^(٢) وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به.

سرية عمر بن الخطاب إلى ثربة^(٣) وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكباً [إلى عجز هوازن بترية]^(٤) ومعه دليل من بني هلال، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعاً إلى المدينة، فقليل له هل لك في قتال خثعم؟ فقال إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم^(٥).

سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق إبراهيم بن لهيعة، عن أبي الأسود عن عروة، ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخيبر، وبلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم، فأتوه فقالوا أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خير، فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً من كل رجل منهم رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرقرة نيار^(٦) وهي من خيبر على ستة أميال ندم يسير بن رزام فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير فحمله فقطعها، واقتحم يسير وفي يده مخراش^(٧) من شوحط فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة. وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين أحد، وبصق رسول الله ﷺ في شجة عبد الله بن رواحة^(٨) فلم تقيح ولم تؤذه حتى مات.

(١) عنق من الناس: جماعة.

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢٩٠/٤) ومسلم في «صحيحه» (٣٢) كتاب «الجهاد» (١٤) باب ح (٤٦) من حديث عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار.

(٣) ثربة: موضع بناحية العبلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران.

(٤) من الواقدي والبيهقي.

(٥) الخبر في «المغازي» للواقدي (٧٢٢/٢) وقال كانت في شعبان سنة سبع. ونقل البيهقي عنه في «الدلائل» (٢٩٢/٤).

(٦) في «البيهقي» و «معجم البلدان»: نيار.

(٧) في «البيهقي»: مخرش وهو عصا معوجة الرأس.

(٨) رواية موسى بن عقبة في «دلائل البيهقي» (٢٩٤/٤) وفيه عبد الله بن أنيس الذي أصيب وليس ابن رواحة وهو كذلك في «سيرة ابن هشام» (٢٦٦/٤).

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روي من طريق الواقدي بإسناده: أن رسول الله ﷺ بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرة من أرض فذك فاستاق نعمهم، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً، وقاتل قتالاً شديداً، ثم لجأ إلى فذك فبات^(١) بها عند رجل من اليهود، ثم كر راجعاً إلى المدينة.

قال الواقدي: ثم بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة فذكر منهم أسامة بن زيد، وأبا مسعود البدر، وكعب بن عجرة ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرة وقوله حين علاه بالسيف: لا إله إلا الله، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل^(٢) وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ من بني سلمة عن رجال من قومه: أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة فأصاب مرداس بن نهيك حليفاً لهم من الحرقة فقتله أسامة. قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال: أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعني مرداس بن نهيك - فلما شهرنا عليه السيف قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرنا فقال: «يا أسامة من لك بلا إله إلا الله» فقلت: يا رسول الله إنما قالها تعوداً من القتل، قال: «فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله» فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها علي حتى تمنيت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني أسلمت يومئذ ولم أقتله. فقلت: إني أعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً، فقال: «بعدي يا أسامة» فقلت بعدك^(٣). قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن بشير، أنبأنا حصين، عن أبي ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يحدث قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، قال فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا، وإذا أدبروا كان حاميتهم، قال: فغشيت أنا ورجل من الأنصار، فلما تغشينا قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري وقتلته، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟» قال: قلت: يا رسول الله إنما كان متعوداً من القتل، قال فكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ^(٤). وأخرجه البخاري ومسلم من حديث هشيم به نحوه.

وقال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة، عن مسلم بن عبد الله الجهني، عن جندب بن مكيث الجهني قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث إلى بني الملوحة بالكديد وأمره أن يغير عليهم وكنت في سرية، فمضينا حتى إذا كنا بالكديد لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذناه فقال: إني إنما جئت لأسلم، فقال له غالب بن عبد الله إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك، قال فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويجلاً أسود كان معنا وقال: أمكث معي حتى نمر عليك فإن نازعك فاحتر رأسه. ومضينا حتى أتينا بطن الكديد فنزلنا عشية بعد العصر، فبعثني أصحابي إليه، فعمدت إلى تل يطلعي على الحاضر^(٥) فانبطحت عليه، وذلك قبل غروب الشمس، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التل. فقال لامرأته، إني لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته في أول النهار، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك؟ فنظرت فقالت: والله ما أفقد منها شيئاً، قال فناوليني قوسي وسهمين من نبي فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جيني فنزعته فوضعتة ولم أتحرك، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعته فوضعتة ولم أتحرك، فقال لامرأته: أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان رية لتحرك، فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما لا تمضغهما علي الكلاب، قال فأملنا حتى إذا راحت رويجهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل؛ شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به وخرج صريخ القوم إلى قومهم بقربنا، قال وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه، فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قديد، بعث الله من حيث شاء ماء

(١) في «الواقدي»: أقام عند يهودي بفذك أياماً حتى ارتفع من الجراح.

(٢) «مغازي الواقدي» (٧٢٤/٢) ورواهما عنه البيهقي في «الدلائل» (٢٩٥/٢).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢٧١/٤) و«دلائل البيهقي» (٢٩٧/٤).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب «الإيمان» عن يعقوب الدورقي، والبخاري في «المغازي» «فتح الباري» (٥١٧/٧).

(٥) الحاضر: الجماعة من الناس النازلون على الماء.

ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه، ونحن نجدبها أو نحدوها - شك النفيلي - فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك، ثم حذرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا^(١). وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق في روايته عبد الله بن غالب، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم. وذكر الواقدي هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه: وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلاً. ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعماً كثيراً، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حسبل بن نويرة وهو الذي كان دليل النبي ﷺ إلى خيبر. قاله الواقدي^(٢).

سرية بني حدرد إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن إسحاق: كان من حديث قصة أبي حدرد^(٣) وغزوته إلى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم، عن أبي حدرد قال: تزوجت امرأة من قومي فأصدقته مائتي درهم، قال: فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي فقال «كم أصدقت؟» فقلت: مائتي درهم، فقال: «سبحان الله! والله لو كنتم تأخذونها من وادٍ ما زدتم، والله ما عندي ما أعينك به» فلبثت أياماً ثم أقبل رجل من جُشم بن معاوية يقال له: رفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - في بطن عظيم من جُشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشرف في جُشم، قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين [معي] من المسلمين فقال «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم». وقدم لنا شارفاً عجفاء، فحمل عليه أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم، حتى استقلت وما كادت، وقال «تبلغوا على هذه» فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكمننا في ناحية، وأمرت صاحبي، فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبرت وشدت في العسكر فكبروا وشدا معي، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشنا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد، فأبطأ عليهم وتحوفوا عليه، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال: والله لأتيقن أمر راعينا ولقد أصابه شر، فقال نفر ممن معه، والله لا تذهب نحن نكفيك، فقال: لا إلا أنا، قالوا نحن معك. فقال: والله لا يتبعني منكم أحد، وخرج حتى مر بي فلما أمكنتني نفحته بسهم فوضعت في فواده، فوالله ما تكلم فوثبت إليه، فاحتزرت رأسه ثم شددت ناحية العسكر وكبرت، وشد صاحباي وكبراً، فوالله ما كان إلا التجأ ممن كان فيه، عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم؛ واستقنا إبلا عظيمة وغنماً كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحمله معي فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً^(٤) في صدقاتي فجمعت إلي أهلي.

السرية التي قتل فيها معلّم بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن^(٥) عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى أضم^(٦) في نفر من المسلمين منهم؛ أبو قتادة الحارث بن ربيعي ومعلّم بن جثامة بن قيس، فخرجنا

- (١) «سيرة ابن هشام» (٢٥٧/٤) ورواه البيهقي عنه في «الدلائل» (٢٩٨/٤). والواقدي في «المغازي» (٧٢٦/٢).
- (٢) «مغازي الواقدي» (٧٢٧/٢) وفيه سرية بشير بن سعد إلى الجنب سنة سبع. ونقله البيهقي عنه في «الدلائل» (٣٠١/٤).
- (٣) هو أبو حدرد الأسلمي: اختلف في اسمه فقيل سلامة بن عمير بن سلامة.. كذا قال خليفة، وقال علي بن المديني: اسمه عبيد. له ترجمة في «الإصابة» (٤٢/٤).
- (٤) روى الخبر البيهقي في «الدلائل» عن ابن إسحاق من طريق أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير (٣٠٣/٤) والخبر في ابن سعد وفيه: سرية أبي قتادة بن ربيعي إلى خُضيرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان من الهجرة، في خمسة عشر نفر، وفي الواقدي: كان السهم اثنا عشر بعيراً. والبعير يعدل عشراً من الغنم. وقال: كانت في رمضان سنة ثمان وكانوا ثمانية نفر «طبقات» (١٣٢/٢) «مغازي الواقدي» (٧٧٩/٢).
- (٥) في «ابن هشام»: القعقاع بن عبد الله وفي «الواقدي»: عبد الرحمن بن عبد الله.
- (٦) أضم: وهي فيما بين ذي خُشب وذي المروة. وبينها وبين المدينة ثلاثة بُرود. «ابن سعد» (١٣٩/٢).

حتى إذا كنا ببطن أضمر مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له، معه متيع^(١) له ووطب من لبن، فسلم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيه ومتيعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتُّونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء: ٩٤] هكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرود عن أبيه فذكره.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضميري^(٢) يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وعن جده قال - وكانا شهدا حيناً - قال: فصلى رسول الله ﷺ صلاة الظهر، فقام إلى ظل شجرة فقعده فيه فقام إليه عيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعي وهو سيد عامر^(٣) هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بغيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة؟ فقال عيينة بن بدر: والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن^(٤) مثل ما أذاق نسائي، فقال رجل من بني ليث يقال له: ابن مكيتل وهو قصير من الرجال فقال: يا رسول الله ما أجد لهذا القتل شياً في غرة الإسلام إلا كغنم وردت فشربت^(٥) أولها، فنفرت أخراها استن^(٦) اليوم وغير غداً، فقال رسول الله ﷺ «هل لكم أن تأخذوا خمسين بغيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة؟» فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية، فقال قوم محلم بن جثامة إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ قال: فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تهبأ فيها للقتل، فقام بين يدي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ «اللهم لا تغفر لمحلم» قالها ثلاثاً، فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه.

قال محمد بن إسحاق: زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك. وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر، عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه، والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة^(٧) عن أبيه وعن جده. وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، وعن عبد الرحمن ابن الحارث، عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم.

وقال ابن إسحاق: حدثني سالم أبو النضر أنه قال^(٨): لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم، وقال: يا معشر قيس سألكم رسول الله ﷺ قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ فيغضب الله لغضبه ويلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم، لتسلمنه إلى رسول الله ﷺ أو لآتين بخمسين من بني تميم كلهم يشهدون أن القتل كافر ما صلى قط فلا يطلبن دمه، فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية. وهذا منقطع معضل. وقد روى ابن إسحاق عمن لا يتهم عن الحسن البصري: أن محملاً لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له «أمنته ثم قتلته؟» ثم دعا عليه، قال الحسن فوالله ما مكث محلم إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم لما أراكم منه»^(٩). وقال ابن جرير: ثنا وكيع ثنا جرير عن ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ محلم بن جثامة مبعثاً فلقبهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام - وكانت بينهم هنة في الجاهلية - فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ

(١) القعود: البعير يقتعده الراعي في كل حاجة؛ والمتيع: تصغير متاع. والوطب: وعاء اللبن.

(٢) في «ابن هشام»: السلمي.

(٣) في «ابن هشام»: رئيس غطفان، وفي رواية البيهقي عن ابن إسحاق: سيد قيس.

(٤) في «ابن هشام» و «البيهقي»: من الحرقة.

(٥) في «ابن هشام»: فرميت.

(٦) استن اليوم: أي أحكم اليوم لنا بالدم في أمرنا هذا، وأحكم غداً بالدية لمن شئت.

(٧) في «ابن هشام»: زياد بن ضميرة بن سعد.

(٨) في «ابن هشام»: وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث: أن عيينة بن حصن..

(٩) «سيرة ابن هشام» (٢٧٦/٤) والبيهقي في «الدلائل» عن ابن إسحاق (٣٠٨/٤).

فتكلم فيه عيينة والأقرع فقال الأقرع: يا رسول الله سن اليوم وغير غداً، فقال عيينة: لا والله حتى تذوق نساؤه من الشكل ما ذاق نسائي فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال رسول الله ﷺ «لا غفر الله لك» فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض فجاؤوا النبي ﷺ فذكروا ذلك له فقال «إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم» ثم طرحوه في جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَّتْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَتَيَّنَّوْا﴾ الآية. وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ورواه شعيب عن الزهري عن عبد الله بن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة، إلا أنه لم يسم محلم بن جثامة ولا عامر بن الأضبط وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال وفيه نزل قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَّتْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَتَيَّنَّوْا﴾ [النساء: ٩٤] الآية^(١).

قلت: وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في «التفسير» بما فيه كفاية والله الحمد والمنة.

سرية عبد الله بن حذافة السهمي^(٢)

ثبت في «الصحيحين»^(٣): من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن علي بن أبي طالب قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأنصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، قال فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطباً فجمعوا فقال: أوقدوا ناراً فأوقدوا ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها قال: فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، قال فسكن غضبه وطفئت النار، فلما قدموا على النبي ﷺ ذكروا ذلك له فقال «لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف» وهذه القصة ثابتة أيضاً في «الصحيحين» من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية في «التفسير» والله الحمد والمنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عمرة القضاء

ويقال القصاص. ورجحه السهيلي ويقال: عمرة القضية، فالأولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى ﴿وَأَلْمَمْتُ بِقِصَاصٍ﴾ [البقرة: ١٩٤] والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتي في العام القابل، ولا يدخل مكة إلا في جلبان^(٤) السلاح وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية. وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا «التفسير» بما فيه الكفاية وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له: ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال «بلى أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا، قال: «فإنك آتبه ومطوف به» وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ إلى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

كَمَا نَضْرِبُنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

أي هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ جاءت مثل فلق الصبح.

- (١) رواية موسى بن عقبة عن الزهري، نقلها البيهقي في «الدلائل» (٣٠٩/٤) ونقل رواية الحسن البصري من غير ذكر اسم محلم ولا عامر إنما قال: رجل من أصحاب رسول الله ﷺ.
- (٢) في نسخ المطبوعة حزافة تحريف. والصواب حذافة، وهو من المسلمين الأوائل، هاجر إلى الحبشة فيمن هاجر ثانياً، قيل شهد بداراً، حمل كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى.
- (٣) الحديث في البخاري (٦٤) كتاب «المغازي» (٥٩) باب «فتح الباري» (٥٨/٨) ومسلم في (٣٣) كتاب «الإمارة» (٨) باب ح (٤٠).
- (٤) جلبان: شبه الجراب من الجلد يوضع فيه السيف، وقيل القوس.

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً يبعث فيما بين ذلك سراياه ثم خرج من ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صده عنها. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عوف بن الأضبط الدثلي^(١) ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقتصر رسول الله ﷺ منهم فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صده فيه من سنة سبع، بلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في «مغازيه» لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذي القعدة فنادى في الناس أن تجهزوا للعمرة فتجهزوا وخرجوا إلى مكة.

وقال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن محمداً في عسرة وجهد وشدة. قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن عباس قال: صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة» ثم استلم الركن ثم خرج يهول ويهول أصحابه معه حتى إذا وراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها. وقال البخاري ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد - هو ابن زيد - عن أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حتى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم. قال أبو عبد الله ورواه أبو سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ لعامهم الذي استأمن قال «ارملوا ليرى المشركون قوتكم» والمشركين من قبل قعيقعان. ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد وأسند البيهقي طريق حماد بن سلمة^(٢). وقال البخاري^(٣) ثنا علي بن عبد الله، ثنا سفيان، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، سمع ابن أبي أوفى يقول: لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ	خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبُّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ	أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ	كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ	وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام: نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم - يعني يوم صفين - قاله السهيلي. قال ابن هشام: والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين. والمشركون لم يقرؤا بالتزليل وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتزليل، وفيما قاله ابن هشام نظر. فإن الحافظ البيهقي روى من غير وجه: عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس قال: لما دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وفي رواية وهو أخذ بفرزه وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ	قَدْ نَزَّلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ ^(٤)
بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ	نَحْنُ قَاتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

(١) في «ابن سعد»: استعمل على المدينة أبا رهم الغفاري.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في (٢٥) كتاب «الحج» (٥٥) باب الحديث (١٦٠٢) ومسلم في (١٥) كتاب «الحج» (٢٩) باب ح (٢٤٠) والنسائي في «المغازي» وأبو داود في «سننه» (١٧٨/٢).

(٣) «فتح الباري» (٥٠٨/٧) الحديث رقم (٤٢٥٥).

(٤) في نسخة «البيهقي» المطبوعة: القرآن.

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه:

خلوا بني الكفار عن سبيله
ضرباً تنزيل الهام عن مقيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ويذهل الخليل عن خليله
يا رب إني مؤمنٌ بِمَقِيلِهِ^(١)

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم: أن رسول الله ﷺ دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن^(٢) بمحجنه. قال ابن هشام من غير علة، والمسلمون يشتدون حوله وعبد الله بن رواحة يقول:

بِسْمِ الَّذِي لَا دِينَ إِلَّا دِينُهُ
خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ^(٣)

قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع، وهو الشهر الذي صده المشركون عن المسجد الحرام حتى إذا بلغ يأجج وضع الأداة كلها^(٤) الحجف والمجان والرماح والنبل ودخلوا بسلاح الراكب السيوف وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية، فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس وكان تحتها أم الفضل بنت الحارث، فزوجها العباس رسول الله ﷺ، فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه قال «اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف» ليرى المشركون جلدتهم وقوتهم وكان يكأيدهم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحاً بالسيف وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله
قد أنزل الرحمن في تنزيله
فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله
أنا الشَّهيدُ أنه رسوله
في صُحُفٍ تُتلى على رسوله
كما ضربناكم على تنزيله
ويُذهل الخليل عن خليله

قال: وتغيب رجال من أشرف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ غيظاً وحنقاً، ونفاسة وحسدًا. وخرجوا إلى الخدمة فقام رسول الله ﷺ بمكة وأقام ثلاث ليال، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع، أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى، ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة، فصاح حويطب بن عبد العزى: نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث، فقال سعد بن عبادة: كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج. ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطباً فقال: «إن قد نكصت فيكم امرأة، لا يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا» فقالوا نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف فبنى بها ثم أدلج فسار حتى أتى المدينة، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين، فماتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ. ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال: وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة ﴿الْقَهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صد فيه. وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ففي «صحيح البخاري»: من طريق فليح بن سليمان، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً، فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا، فاعتمر من العام المقبل

(١) «دلائل النبوة» (٤/٣٢٢).

(٢) في رواية البيهقي: الحجر.

(٣) نقله البيهقي في «الدلائل» (٤/٣٢٥).

(٤) قال صاحب «الطبقات»: وخلف على السلاح أوس بن خولي الأنصاري في مائة رجل. وفي «الواقدي»: في مائتي رجل.

فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثاً أمره أن يخرج فخرج. وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: لم تكن هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدهم فيه المشركون. وقال أبو داود: ثنا النفيلي، ثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن ميمون: سمعت أبا حاضر الحميري يحدث أن ميمون بن مهران قال: خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة، وبعث معي رجال من قومي بهدي، قال: فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم، قال فنحرت الهدي مكاني، ثم أحللت ثم رجعت، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي، فأتيت ابن عباس فسألته فقال: أبدل الهدي، فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدي الذي نحروا عام الحديبية في عمرة القضاء^(١). تفرد به أبو داود من حديث أبي حاضر عثمان بن حاضر الحميري عن ابن عباس فذكره. وقال الحافظ البيهقي انبأنا الحاكم: أنبأنا الأصم، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني عمرو بن ميمون قال: كان أبي يسأل كثيراً أهل كان رسول الله ﷺ أبدل هديه الذي نحر حين صده المشركون عن البيت؟ ولا يجد في ذلك شيئاً، حتى سمعته يسأل أبا حاضر الحميري عن ذلك، فقال له: على الخبير سقطت، حججت عام ابن الزبير في الحصر الأول فأهديت هدياً، فحالوا بيننا وبين البيت، فنحرت في الحرم ورجعت إلى اليمن، وقلت: لي برسول الله ﷺ أسوة، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحر عليّ بدله أم لا؟ قال: نعم فأبدل، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدي الذي نحروا عام صدهم المشركون فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء، فعزت الإبل عليهم فرخص لهم رسول الله ﷺ في البقر^(٢).

وقال الواقدي^(٣): حدثني غانم بن أبي غانم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: جعل رسول الله ﷺ من ناجية ابن جندب الأسلمي على هديه يسير بالهدي أمامه يطلب الرعي في الشجر معه أربعة فتيان من أسلم، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضية ستين بدنة. فحدثني محمد بن نعيم المجرم، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: كنت مع صاحب البدن أسوقها. قال الواقدي: وسار رسول الله ﷺ يلبى والمسلمون معه يلبون، ومضى محمد بن مسلمة بالخييل إلى مر الظهران فيجد بها نفراً من قريش، فسألوا محمد بن مسلمة؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ يُصَبِّحُ هذا المنزل غداً إن شاء الله، ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً فأخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخييل، ففزع قريش وقالوا: والله ما أحدثنا حدثاً وإنما على كتابنا وهدنتنا^(٤) فقيم يغزونا محمد في أصحابه؟ ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقدم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم، وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله ﷺ في أصحابه والهدي والسلاح قد تلاحقوا، فقالوا: يا محمد ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شرطت، لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر، السيوف في القرب، فقال النبي ﷺ «إني لا أدخل عليهم السلاح» فقال مكرز بن حفص: هذا الذي تعرف به البر والوفاء، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة. فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي ﷺ خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال وخلّوا مكة، وقالوا: لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه، فأمر رسول الله ﷺ بالهدي أمامه حتى حبس بذئ طوى، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه [رحمهم الله] وهو على ناقته القصواء وهم محذقون به يلبون وهم متوشحون السيوف، فلما انتهى إلى ذي طوى وقف على ناقته القصواء [والمسلمون حوله، ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الحجون على راحلته القصواء]^(٥) وابن رواحة أخذ بزمامها [وهو يرتجز بشعره ويقول:

خلوا بنبي الكفار عن سبيله

(١) روى الحديث البيهقي في «الدلائل» (٣١٩/٤) ورواه الحاكم في «المستدرک» (٤٨٥/١).

(٢) «دلائل البيهقي» (٣٢٠/٤) وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٨٥/١ - ٤٨٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حاضر شيخ من أهل اليمن مقبول صدوق، ووافقه الذهبي.

(٣) عبارة الواقدي: حدثني غانم بن أبي غانم، عن عبيد الله بن نيار، قال: جعل رسول الله ﷺ...

(٤) في «الواقدي»: ومدتنا.

(٥) ما بين معكوفين من الواقدي.

إلى آخره^(١).

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعني من ذي القعدة سنة سبع - فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد هتتم حتى يثرب، فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركبتين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن الصباح ثنا إسماعيل ابن زكريا عن عبد الله بن عثمان، عن أبي الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل مر الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول: ما يتباعثون من العجف، فقال أصحابه: لو انتحرننا من ظهرنا فأكلنا من لحومه وحسونا من مرقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جمامة، فقال «لا تفعلوا ولكن اجعوا لي من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا، وحشى كل واحد منهم في جرابه، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، وقعدت قريش نحو الحجر، فاضطجع بردائه ثم قال «لا يرى القوم فيكم غميمة» فاستلم الركن ثم رمل، حتى إذا تغيب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود، فقالت قريش: ما يرضون بالمشي أما أنهم لينفرون نفر الطباء، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت ستة. قال أبو الطفيل: وأخبرني ابن عباس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع. تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أبو داود: ثنا أبو سلمة موسى ثنا حماد - يعني ابن سلمة - أنبأنا أبو عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل، قال: قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة؟ فقال: صدقوا وكذبوا، قلت ما صدقوا وما كذبوا؟ قال صدقوا رمل رسول الله ﷺ، وكذبوا ليس بسنة، إن قريشاً زمن الحديبية قالت: دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النخف^(٢)، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قعيقعان، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «ارملوا بالبيت ثلاثاً» قال وليس بسنة^(٣). وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن ابن عباس به نحوه. وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور، فإن رسول الله ﷺ رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانة أيضاً كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره. وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف، ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان وقد أطال الله الإسلام؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ، وموضع تقرير هذا كتاب «الأحكام». وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة كما ثبت في «الصحيحين» من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال: إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبالصفا والمروة ليري المشركين قوته. لفظ البخاري: وقال الواقدي: لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك، فقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول!! وقال صفوان بن أمية: الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا. وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت. وأما سهيل ابن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم^(٤). قال الحافظ البيهقي: قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام.

قلت: كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان في عمرة القضاء، والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح والله أعلم.

قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن إسحاق: حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيع، عن عطاء ومجاهد، عن ابن عباس أن

- (١) العبارة بين معكوفين ليست في الواقدي انظر الخبر في «مغازيه» (٧٣٣/٢).
- (٢) النخف: دود يسقط من أنوف الدواب. واحده: نغفة إذا ضعف الرجل واستضعف يقال له ما هو إلا نغفة.
- (٣) الحديث في «سنن أبي داود» في كتاب «المناسك» باب في الرمل ح (١٨٨٥) ص (١٧٧/٢) وأخرجه مسلم في (١٥) كتاب «الحج» (٣٩) باب الحديث (٢٣٧).
- (٤) «مغازي الواقدي» (٧٣٨/٢) زاد الواقدي: وأمر بلالاً فأذن فوق الكعبة يومئذ مرة ولم يعد بعد وهو الثبت. ورواه البيهقي عنه في «الدلائل» (٣٢٨/٤).

رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب. قال ابن هشام: كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس، فزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمئة درهم. وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيراً قالت: الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ قال وفيها نزلت الآية ﴿وَأَمْرًا تُؤْمِنَهُ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الاحزاب: ٥٠] (١). وقد روى البخاري من طريق أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال، وماتت بسرف (٢). قال البيهقي (٣). وروى الدارقطني من طريق أبي الأسود يتيمة عروة ومن طريق مطر الزقاق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال قال وتناولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرماً أي في شهر حرام كما قال الشاعر:

قتلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ مُحْرِمًا فدعا فلم أرَ مثله مَخْذولاً

أي في شهر حرام (٤).

قلت: وفي هذا التأويل نظر، لأن الرواية متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ولا سيما قوله تزوجها وهو محرم وبنى بها وهو حلال، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً وهو شهر حرام. وقال محمد بن يحيى الذهلي: ثنا عبد الرزاق قال: قال لي الثوري: لا يلتفت إلى قول أهل المدينة. أخبرني عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج وهو محرم، قال أبو عبد الله قلت لعبد الرزاق: روى سفيان الحديثين جميعاً عن عمرو، عن أبي الشعثاء عن ابن عباس، وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؟ قال: نعم، أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا - يعني باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم - يعني بمكة - وأخرجاه في «الصحاحين» من حديث عمرو بن دينار به (٥). وفي «صحاح البخاري» من طريق الأوزاعي أنبأنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم. فقال سعيد بن المسيب، وهم ابن عباس وإن كانت خالته، ما تزوجها إلا بعد ما أحل (٦). وقال يونس عن ابن إسحاق حدثني بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال: هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فكان الحل والنكاح جميعاً فشبّه ذلك على ابن عباس. وروى مسلم وأهل السنن: من طرق عن يزيد بن الأصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلال بسرف. لكن قال الترمذي: روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلأ أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة (٧). وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني الزاهد، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، ثنا مطر الوراق عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما. وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد به، ثم قال الترمذي حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلأ، ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلأ.

قلت: وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ويقال سنة ستين رضي الله عنها.

(١) والخبر في «سيرة ابن هشام» (١٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٤٣) باب الحديث (٤٢٥٨) «فتح الباري» (٥٠٩/٧).

(٣) في نسخ «البداية المطبوعة»: البيهقي.

(٤) هذا قول الجوهري في «الصحاح»؛ وقال القاضي وغيره: «يقال لمن هو في الحرم: محرم أي في الحرم ويعني أنه تزوجها في الحرم وهو حلال».

(٥) أخرجه البخاري في (٢٨) كتاب «الصيد» (١٢) باب. ومسلم في (١٦) كتاب «النكاح» (٤) باب الحديث (٤٦).

(٦) «فتح الباري» (٥١/٥) كتاب «الصيد» (١٢) باب.

(٧) أخرجه أبو داود في «الحج» باب المحرم يتزوج. وأخرجه الترمذي في «الحج» باب ما جاء في الرخصة في ذلك وقال: غريب. وابن حبان في «صحاحه» عن ابن خزيمة بسنده عن حماد بن زيد به. وقال وليس في هذه الأخبار تعارض، ولا ابن عباس، وهم لأنه أحفظ وأعلم من غيره ولكن عندي أن معنى قوله: تزوج وهو محرم أي داخل في الحرم.

ذكر خروجه ﷺ من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حويطب بن عبد العزى بعد مضي أربعة أيام^(١) ليرحل عنهم كما وقع به الشرط، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم وإنما أراد تأليفهم بذلك فأبوا عليه، وقالوا بل اخرج عنا، فخرج وكذلك ذكره ابن إسحاق وقال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عن البراء قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله قال «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله» ثم قال لعلي بن أبي طالب «امح رسول الله» قال لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله: لا يدخل مكة [السلاح]^(٢) إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها، فلما دخل ومضى الأجل أتوا علياً، فقالوا: قل لصاحبك فليخرج^(٣) عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم، فتناولها علي، فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك، فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها. وقال «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي «أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر «أشبهت خلقي وخلقي» وقال لزيد «أنت أخونا ومولانا»^(٤) قال علي ألا تتزوج ابنة حمزة، قال «إنها ابنة أخي من الرضاعة». تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد روى الواقدي قصة ابنة حمزة فقال: حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأما سلمى بنت عميس كانت بمكة، فلما قدم رسول الله ﷺ كلم علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال: علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرائي المشركين، فلم ينه النبي ﷺ عن إخراجها، فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة وكان وصي حمزة، وكان النبي ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين، فقال أنا أحق بها ابنة أخي، فلما سمع بذلك جعفر قال: الخالة والدة، وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس وقال علي: ألا أراكم تختصمون هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين؛ وليس لكم إليها سبب^(٥) دوني، وأنا أحق بها منكم فقال النبي ﷺ «أنا أحكم بينكم، أما أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله، [وأما أنت يا علي فأخي وصاحبي]^(٦) وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخلقي، وأنت يا جعفر أولى بها تحتك خالتها ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها» فقضى بها لجعفر. قال الواقدي: فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله ﷺ، فقال «ما هذا يا جعفر؟» فقال يا رسول الله كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله، فقال للنبي ﷺ تزوجها فقال «ابنة أخي من الرضاعة» فزوجها رسول الله ﷺ سلمة بن أبي سلمة، فكان النبي ﷺ يقول «هل جزيت سلمة»^(٧).

قلت: لأنه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوج رسول الله ﷺ بأمه أم سلمة، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة والله أعلم.

قال ابن إسحاق: ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة، وتولى المشركون تلك الحجة. قال ابن هشام: وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَأْمِينِينَ مَخْلِفِينَ رُءُوسِكُمْ وَمَقْصِرِينَ لَا يُخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] [يعني خبيراً]^(٨).

- (١) في «ابن هشام»: بعد ثلاثة أيام؛ وفي الواقدي: فلما كان عند الظهر يوم الرابع، أتى سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى.
- (٢) من «البخاري».
- (٣) من «البخاري»، وفي الأصل: اخرج.
- (٤) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٤٣) باب عمرة القضاء، الحديث (٤٢٥١) «فتح الباري» (٧/٤٩٩)، وابنه حمزة اسمها: عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب وأما سلمى بنت عميس.
- (٥) في «الواقدي»: نسب.
- (٦) من «الواقدي».
- (٧) من «الواقدي»، وفي الأصل أبا سلمة؛ وذلك أن سلمة كان قد زوج أمه، أم سلمة من رسول الله ﷺ.
- (٨) من «ابن هشام».

فصل

[سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم]^(١)

ذكر البيهقي هاهنا سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم، ثم ساق بسنده عن الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال: لما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضية رجع في ذي الحجة من سنة سبع، فبعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين فارساً فخرج العين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم فجمعوا جمعاً كثيراً وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدون، فلما أن رأوهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام، فرشقوهم بالنبل، ولم يسمعوا قولهم وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتكم إليه، فرموهم ساعة وجعلت الإمداد تأتي حتى أهدقوا بهم من كل جانب، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان^(٢).

فصل

قال الواقدي في الحجة من هذه السنة - يعني سنة سبع - رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع وقد قدمنا الكلام على ذلك، وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين وقد أسلمتا في الطريق، وغلाम خصي. قال الواقدي: وفيها اتخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعده، قال والثبت عندنا أنه عمل في سنة ثمان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رب يسرّ وأعن بحولك وقوتك
سنة ثمان من الهجرة النبوية

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي وذلك في سنة خمس من الهجرة، وإنما ذكره الحافظ البيهقي هاهنا بعد عمرة القضاء فروى من طريق الواقدي: أنبأنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه [قال] قال عمرو بن العاص: كنت للإسلام مجانباً معانداً، حضرت بدرأ مع المشركين فنجوت، ثم حضرت أحداً فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوت، قال: فقلت في نفسي كم أوضع^(٣)؟ والله ليظهرن محمداً على قريش! فلحقت^(٤) بمالي بالرهط وأقللت من الناس - أي من لقائهم - فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله ﷺ في الصلح، ورجعت قريش إلى مكة، جعلت أقول: يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه، ما مكة بمنزل ولا الطائف، ولا شيء خير من الخروج، وأنا بعد نائي عن الإسلام، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم، فقدمت مكة وجمعت رجالاً من قومي وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم، فقلت لهم: كيف أنا فيكم؟ قالوا: ذو رأينا ومدرهنا^(٥) في يمن نفسه^(٦) وبركة أمر، قال: قلت: تعلمون أني والله لأرى أمر محمد أمراً يعلو الأمور علواً منكرأ، وإني قد رأيت رأياً، قالوا: وما هو؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون معه، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي، نكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا، قالوا: هذا الرأي. قال قلت: فاجمعوا ما نهديه له - وكان أحب ما يهدى إليه من

- (١) عنوان استدركناه للايضاح؛ وابن أبي العوجاء اسمه الأخرم، له ترجمة في الإصابة. وقال الذهبي فيه: أبو العوجاء وهو بعيد.
(٢) «العبرة في الواقدي»: وأصيب صاحبهم ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ أما الطبري فقال: أصيب بها هو وأصحابه جميعاً. (١٠١/٣) أحداث السنة السابعة.
(٣) أوضع البعير راكبه: إذا حمله على سرعة السير «النهاية».
(٤) كذا في الأصل و«البيهقي»: وفي «الواقدي»: فخلفت مالي بالرهط، وأفلت يعني من الناس.
(٥) مدرهنا: المدره: السيد الشريف، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال «القاموس المحيط».
(٦) في «الواقدي»: مع يمن وبركة أمر.

أرضنا آدم - فحملنا أدماً كثيراً حتى قدمنا على النجاشي، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان^(١)، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك سرت قريش وكنت قد أجزأت عنها حتى قتلت رسول محمد، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك، أهديت لك أدماً كثيراً. ثم قدمته فأعجبه وفرق منه شيئاً بين بطارقتي، وأمر بسائره فأدخل في موضع، وأمر أن يكتب ويحتفظ به، فلما رأيت طيب نفسه قلت: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا، قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطنيه فأقتله، فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره، فابتدر منخراي، فجعلت أتلقى الدم بشيبي فأصابني من الذل ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك، قال فاستحيا وقال: يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول [رسول الله]^(٢) من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى. والذي كان يأتي عيسى لتقتله؟ قال عمرو: فغير الله قلبي عما كنت عليه، وقلت في نفسي: عرف هذا الحق والعرب والعجم وتحالف أنت؟ ثم قلت: أتشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم، أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه، فوالله إنه لعل الحق، وليظهروا علي^(٣) من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قلت أتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعني على الإسلام، ثم دعا بطست فغسل عني الدم وكساني ثياباً - وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم. فألقيتها - ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك، وقالوا: هل أدركت من صاحبك ما أردت؟ فقلت لهم: كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت أعود إليه، فقالوا: الرأي ما رأيت. قال: ففارقتهم وكأني أعمد إلى حاجة فعمدت إلى موضع السفن، فأجد سفينة قد شحنت تدفع^(٤)، قال فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعبة^(٥) وخرجت من السفينة ومعني نفقة، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مر الظهران، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدية، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحلتين، قال فنظرت فإذا خالد بن الوليد، قال قلت أين تريد؟ قال محمداً، دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طعم^(٦)، والله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبيع في مغارتها، قلت وأنا والله قد أردت محمداً وأردت الإسلام، فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي فنزلنا جميعاً في المنزل، ثم اتفقنا^(٧) حتى أتينا المدينة فما أنسى قول رجل لقيناه يبشر أبي عتبة بصيحه: يا رباح يا رباح يا رباح، فتفاءلنا بقوله وسرنا، ثم نظر إلينا فأسمعته يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين، وظننت أنه يعينني ويعني خالد بن الوليد وولي مدبراً إلى المسجد سريعاً فظننت أنه بشر رسول الله ﷺ بقدمونا فكان كما ظننت، وأنحنا بالحررة فلبسنا من صالح ثيابنا، ثم نودي بالعصر فانطلقنا على أظلعنا^(٨) عليه، وإن لوجهه تهلاً والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا. فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه. قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرنى ما تأخر، فقال «إن الإسلام يجب ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها» قال: فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزه منذ أسلمنا، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة وكان عمر على خالد كالعاتب. قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي: فذكرت هذا الحديث ليزيد بن [أبي]^(٩) حبيب فقال: أخبرني راشد مولى

- (١) تقدم عن ابن إسحاق: أنه جاء في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه. وقال السهيلي: أنه جاء بكتاب من النبي ﷺ إلى النجاشي يدعو فيه إلى الإسلام.
- (٢) من «الواقدي».
- (٣) في «الواقدي»: على كل ذين خالفه.
- (٤) في «الواقدي»: برقع؛ ورقع جمع رقعة: شجرة عظيمة «القاموس».
- (٥) في «الواقدي»: الشبية وهي على شاطئ البحر بطريق اليمن «معجم ما استعجم» (٢/١٨٤).
- (٦) في «الواقدي»: طمع.
- (٧) في «الواقدي»: تراقنا.
- (٨) في البيهقي: حتى أطلعنا عليه؛ وفي «الواقدي»: فانطلقنا جميعاً حتى طلعنا عليه.
- (٩) من «الواقدي» و«البيهقي».

حباب بن أبي أوس الثقفي عن مولاة حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت: كذلك رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن راشد عن مولاة حبيب قال حدثني عمرو بن العاص من فيه، فذكر ما تقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع، وسياق الواقدي أبسط وأحسن. قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد: فقلت ليزيد بن أبي حبيب: وقت لك متى قدم عمرو وخالده؟ قال: لا إلا أنه قال قبل الفتح، قلت: فإن أبي أخبرني أن عمراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان^(١)، وسيأتي عند وفاة عمرو من «صحيح مسلم» ما يشهد لسياق إسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام، وصفة موته رضي الله عنه.

طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي: حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال: لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام، وحضرتني رشدي، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ، فليس في موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أي موضع في غير شيء، وأن محمداً سيظهر، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعُسفان، فقامت بإزائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أماناً^(٢) فهمنا أن نغير عليهم، ثم لم يعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فاطلع على ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك منا موقعاً وقلت: الرجل ممنوع فاعتزلنا، وعدل عن سير خيلنا^(٣) وأخذ ذات اليمين، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعتهم قريش بالرواح قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين أذهب إلى النجاشي! فقد أتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون، فأخرج إلى هرقل فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيم في عجم، فأقيم في داري بمن بقي فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضية، فتغييت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضية، فطلبني فلم يجدي فكتب إلي كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألت رسول الله ﷺ عنك وقال: أين خالد؟ فقلت يأتي الله به، فقال: «مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين [على المشركين]^(٤) كان خيراً له، ولقد مناه على غيره» فاستدرك يا أخي ما قد فاتك [فقد فاتتك]^(٥) من مواطن صالحة. قال فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني، وأرى في النوم كأنني في بلاد ضيقة مجدبة فخرجت في بلاد خضراء واسعة، فقلت إن هذه لرؤيا، فلما أن قدمت المدينة قلت لأذكرها لأبي بكر، فقال: مخرجك الذي هداك الله للإسلام. والضيق الذي كنت فيه من الشرك، قال: فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت من أصحاب إلى رسول الله ﷺ؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب، أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن كأضراس^(٦) وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف؟ فأبى أشد الأباء فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً. فافترقنا وقلت: هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية، قلت فأكرم علي قال: لا أذكره. فخرجت إلى منزلي فأمرت براحلي فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت: إن هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو، ثم ذكرت من قتل من آباءه فكرهت أن أذكره، ثم قلت: وما علي وأنا راحل من ساعتني فذكرت له ما صار الأمر إليه فقلت إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر، لو صب

(١) مغازي الواقدي: (٧٤١/٢، ٧٤٤) و «سيرة ابن هشام» (٢٨٩/٣ - ٢٩٠) و «دلائل البيهقي» بسنده عن الواقدي (٣٤٣/٤) في

باب: ذكر إسلام عمرو بن العاص.

(٢) في «الواقدي»: «أماناً منا وفي «دلائل البيهقي» فكالأصل.

(٣) في «الواقدي»: «وافترقنا، وعدل عن سنن خيلنا: أي عن وجهه «الصحيح».

(٤) من «الواقدي».

(٥) من «الواقدي».

(٦) في «الواقدي»: «إنما نحن أكلة رأس».

فيه ذنوب من ماء لخرج، وقلت له نحواً مما قلت لصاحبي: فأسرع الإجابة، وقال^(١): لقد غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو، وهذه راحلتي بفتح^(٢) مناخة، قال فاتعدت أنا وهو يأجج، إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه، قال: فأدجننا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بياجج، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة، فنجد عمرو بن العاص بها، قال: مرحباً بالقوم فقلنا: وبك، فقال إلى أين مسيركم؟ فقلنا: وما أخرجك؟ فقال وما أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ، قال وذاك الذي أقدمني، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فأخبر بنا رسول الله ﷺ فسرّ بنا، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي: فقال أسرع فإن رسول الله ﷺ قد أخبر بك فسر بقدمك وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم إلي حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال «تعال» ثم قال رسول الله ﷺ «الحمد لله الذي هدانا لهذا كنا كنا لولا أن يرسل الله بنا لولا أن يرسل الله بنا لولا أن يرسل الله بنا» قال يا رسول الله على ذلك، قال: اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صدّ عن سبيل الله قال خالد: وتقدّم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ قال وكان قدومنا في صفر سنة ثمان، قال: والله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه.

سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن^(٣)

قال الواقدي: حدثني ابن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم، قال: بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن، وأمره أن يغير عليهم، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى جاءهم وهم غارين، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا تمنعوا في الطلب، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء، فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة^(٤) فكانت سهامهم خمسة عشر بغيراً كل رجل^(٥) [وزعم غيره أنهم أصابوا سبياً أيضاً وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة] ثم قدم أهلهم مسلمين فشاور النبي ﷺ أميرهم في ردهن إليهم، فقال نعم فردوهن وخير التي عنده الجارية فاخترت المقام عنده، وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بعث سرية قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر، قال فأصبنا إبلاً كثيراً فبلغت سهامنا اثنا عشر بغيراً ونفلنا رسول الله ﷺ بغيراً بغيراً أخرجاه في «الصحيحين»^(٦) من حديث مالك، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه. وقال أبو داود: حدثنا هناد، حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى نجد فخرجت فيها فأصبنا نعماً كثيراً فنفلنا أميرنا بغيراً لكل إنسان، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بغيراً بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع فكان لكل منا ثلاثة عشر بغيراً بنفله^(٧).

سرية كعب بن عمير إلى بني قضاة

قال الواقدي: حدثنا محمد بن عبد الله [عن] الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة

- (١) من الواقدي: وفي الأصل: وقلت له إني... وهو تحريف.
- (٢) من الواقدي: وفي الأصل بفتح وهو تحريف وفتح: وإد بمكة.
- (٣) في الواقدي: إلى هوازن: بالسبي قال ابن سعد: السبي ناحية ركة من وراء المعدن، وهي من المدينة على خمس ليال. «مغازي الواقدي» (٧٥٣/٢).
- (٤) زاد ابن سعد: واقتسموا الغنيمة.
- (٥) وتام العبارة في الواقدي: قال ابن أبي سبرة: فحدثت هذا الحديث محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان فقال: كانوا قد أصابوا نسوة فاستاقوهن، وكانت فيهن جارية وضيئة فقدموا بها المدينة...
- (٦) أخرجه البخاري في (٥٧) كتاب «فرض الخمس» (١٥) باب ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (١٢) باب ح (٣٥) ومالك في «الموطأ» في كتاب «الجهاد» باب جامع النفل في الغزو.
- (٧) الخبر في «دلائل البيهقي» (٣٥٦/٤).

عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من [أرض] الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، فارتث منهم رجل جريح في القتلى، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ، فهتم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر^(١).

غزوة مؤتة^(٢)

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أرض الشام. قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضية. فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفر وشهري ربيع وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة. فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال «إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس» فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف.

وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان بن عمر^(٣) بن الحكم عن أبيه^(٤) قال: جاء النعمان بن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس، فقال رسول الله ﷺ «زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن قتل عبد الله بن رواحة فليترض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم». فقال النعمان: أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سميت من سميت قليلاً أو أكثر أصيبوا جميعاً؛ وإن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا إذا سمو الرجل على القوم فقالوا إن أصيب فلان فلان، فلو سمو مائة أصيبوا جميعاً، ثم جعل يقول لزيد: اعهد فإنك لا ترجع أبداً إن كان محمد نبياً. فقال زيد: أشهد أنه نبي صادق بار. رواه البيهقي^(٥).

قال ابن إسحاق: فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم. ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿وَإِنْ مَنَكَرُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلست أدري حلف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا قال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة
وطعنة بيدي حران مجهزة
حتى يُقال إذا مروا على جدثي
قال ابن إسحاق: ثم أن القوم تهيئوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودعه ثم قال:
فثبت الله ما آتاك من حسن
إني تفرست فيك الخير نافلة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا^(٦)
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
أرشدته الله من غازٍ وقذ رشدا
تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرنا
الله يعلم أنني ثابت البصر^(٧)

(١) «مغازي الواقدي» (٧٥٢/٢) و «ابن سعد» (١٢٧/٢) و «دلائل البيهقي» (٣٥٧/٤). وقال الواقدي: في شهر ربيع الأول سنة ثمان. قال ابن سعد: وذات أطلاح من أرض الشام، وهي من وراء وادي القرى.

(٢) انظر في غزوة مؤتة. «سيرة ابن هشام» (١٥/٤) «طبقات ابن سعد» (١٢٨/٢) «أنساب الأشراف» (١٦٩/١) «تاريخ الطبري» (١٠٧/٣) «صحيح البخاري» كتاب «المغازي» «عيون الأثر» (١٩٨/٢).

وتسمى أيضاً غزوة جيش الأمراء، وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها وما لاقوه من قتال شديد مع الكفار وما عانوه في هذه الغزوة «الروض الأنف - شرح أبي ذر الخشني - النهاية».

(٣) من «الواقدي»، وفي الأصل عمرو.

(٤) سقط من الواقدي: وذكره البيهقي في روايته عن الواقدي.

(٥) الخبر في «الواقدي» (٧٥٦/٢) ونقله عنه البيهقي في «الدلائل» (٣٦١/٤).

(٦) ذات فرغ: واسعة. والزيد: هنا رغبة الدم «شرح السيرة».

(٧) في البيت إقواء.

أنت الرسولُ فمن يُحرّم نوافلَهُ والوجهُ منه فقد أزرى به القَدْرُ
قال ابن إسحاق: ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف، قال عبد الله بن رواحة:

خلفَ السلام على امرئٍ وذعته في النخل خيرُ مشبّعٍ وخَليل
وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو خالد الأحمر، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث إلى مؤتة فاستعمل زيدا، فإن قتل زيد فجعفر، فإن قتل جعفر فابن رواحة، فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي ﷺ فرآه فقال له ما خلفك؟ فقال أجمع معك قال: لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها. وقال أحمد: ثنا أبو معاوية، ثنا الحجاج عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، قال: فقدم أصحابه وقال: أتخلف لأصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم، قال: فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال «ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟» فقال أردت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم». وهذا الحديث قد رواه الترمذي من حديث أبي معاوية عن الحجاج - وهو ابن أرطاة - ثم علله الترمذي بما حكاه عن شعبة أنه قال لم يسمع الحكم عن مقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها.

قلت والحجاج بن أرطاة في روايته نظر والله أعلم، والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضي أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان في يوم جمعة. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لحم وجذام والقيين وبهراء وبلى مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى، ثم أحد أراشة يقال له مالك بن رافلة؛ وفي رواية يونس عن ابن إسحاق فبلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له، قال: فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور وإما شهادة، قال فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس، فقال عبد الله بن رواحة في محبهم ذلك:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَا وَفَرَع	تَعُرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ ^(١)
حَدَوْنَاهَا مِنَ الضُّوَانِ سَبَبَتَا	أَزَلُّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ ^(٢)
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ	فَأَعْقَبَ بَعْدَ فِتْرَتِهَا جُمُومُ ^(٣)
فَرُخْنَا وَالْجِيَادَ مَسُومَاتٍ	تَنْفَسَ فِي مَنَاخِرِهَا سَمُومُ
فَلَا وَأَبِي مَأَبٍ لِنَاتَيْنَاهَا	وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
فَعَبَانَا أَعْنَتَهَا فَجَاءَتْ	عَوَابِسَ وَالْقُبَارَ لَهَا يَرِيمُ ^(٤)
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ	إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ
فِرَاضِيَةَ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا	اسْتَثْنَانَا ^(٥) فَتَنَكَّحُ أَوْ تَثِيمُ

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلتئذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

- (١) من «ابن هشام» وفي الأصل: إلى العكوم. أجا: أحد جبلي طيء. فرع: موضع. قال ياقوت: أطول جبل بأجا وأوسطه.
- (٢) سبت: النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة.
- (٣) الفترة: الضعف والسكون. والجموم: اجتماع القوة والنشاط.
- (٤) بريم: كل ما فيه لونان مختلطان فهو بريم.
- (٥) في «ابن هشام»: أستنها. تميم: التي تبقى دون زوج؛ أمت المرأة: إذا لم تتزوج.

مسيرة أربع بعد الحساء
ولا أرجع إلى أهلي ورائي^(١)
بأرض الشام مشتهي الشواء
إلى الرحمٰن مُنقطع الإخاء
ولا نخل أسافلها زواء

إذا أدنيتني وحملت رحلي
فشأتك أنعم وخلاك ذم
وجاء المسلمون وغادروني
وردك كل ذي نسب قريب
هنالك لا أبالي طلع بغل

قال: فلما سمعتهم منه بكيت، فخفني بالدرة وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرحل؟ ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز.

يا زيد زيد اليعملات الذبل
تطاول الليل هديت فانزل^(٢)

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قري البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس، عندها فتعبي لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذرة يقال له قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك. وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكرع والديباج والحريير والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أرقم^(٣): يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت نعم! قال إنك لم تشهد بداراً معنا، إنا لم ننصر بالكثرة رواه البيهقي^(٤). قال ابن إسحاق ثم التقى الناس فاقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط^(٥) في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل، فكان جعفر أول المسلمين عقر في الإسلام. وقال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها^(٦) ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول:

يا حَبْذا الجئة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيده أنسابها علي إن لاقيتها ضرابها

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي إسحاق ولم يذكر الشعر، وقد استدل من جواز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تتبع في السير، ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تذبح وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك والله أعلم. قال السهيلي: ولم ينكر أحد على جعفر، فدل على جوازه إلا إذا أمن أخذ العدو له ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً. قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم: أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء، ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة، فقطعه بنصفين. قال ابن إسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف قال: فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول:

أقسمت يا نفس لتنزلت
إن أجلب الناس وشدوا الرثه
لتنزلن أو لشكرهنة
مالي أراك تكرهين الجئة

(١) ولا أرجع: قال أبو ذر في «شرح السيرة»: مجزوم على الدعاء.

(٢) اليعملات: النوق السريعة. الذبل: التي أضعفها وأوهنها السير.

(٣) كذا في الأصل والواقدي؛ وفي رواية البيهقي وابن إسحاق: أرقم. وهو ثابت بن أرقم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي ثم الأنصاري قتل في حرب الردة سنة إحدى عشرة وقيل سنة اثنتي عشرة.

(٤) «مغازي الواقدي» (٧٦٠/٢) و«دلائل البيهقي» (٣٦٢/٤).

(٥) شاط الرجل: إذا سال دمه فهلك.

(٦) في الواقدي: عرقبها: قال في «الصحيح»: أي قطع عرقوبها، وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شئنة
وقال أيضاً:

يا نفس إن لا تُقتلي تموتي هذا حُمام الموت قد صليت
وما تمئيت فقد أعطيت إن تفعلني ففلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرأ، ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهم منه نهسة. ثم سمع الحطمة^(١) في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا، ثم «القاء» من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. قال: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان. فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى^(٢) بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس. قال ابن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم قال: لقد رفعوا إلي [في]^(٣) الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت عم هذا؟ فقيل لي: مضياً وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى^(٤). هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً، وقد قال البخاري: ثنا أحمد بن واقد، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرغان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم^(٥). تفرد به البخاري ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر: وما يسرهم أنهم عندنا. وقال البخاري^(٦) ثنا أحمد بن أبي بكير، ثنا مغيرة بن عبد الرحمن المخزومي - وليس بالحرامي - عن عبد الله بن سعيد، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة، قال عبد الله كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من ضربة ورمية تفرد به البخاري أيضاً. وقال البخاري أيضاً: حدثنا أحمد، ثنا ابن وهب، عن ابن عمرو، عن [ابن] أبي هلال - هو سعيد بن أبي هلال الليثي - قال: وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره، وهذا أيضاً من أفراد البخاري. ووجه الجميع بين هذه الرواية والتي قبلها: أن ابن عمر اطلع على هذا العدد، وغيره اطلع على أكثر من ذلك، وإن هذه في قبله أصيبتها قبل أن يقتل، فلما صرع إلى الأرض ضربوه أيضاً ضربات في ظهره، فعد ابن عمر ما كان في قبله وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل رضي الله عنه. وما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي مسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخاري: ثنا محمد بن أبي بكر، ثنا عمر بن علي، عن إسماعيل بن أبي خالد^(٧) عن عامر قال: كان ابن عمر إذا حيي ابن جعفر قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين. ورواه أيضاً في «المناقب» والنسائي: من حديث يزيد بن هارون عن إسماعيل بن أبي خالد، وقال البخاري^(٨) ثنا أبو نعيم ثنا سفيان، عن إسماعيل، عن قيس بن

(١) الحطمة: زحام الناس، أراد هنا التحام الناس في النزال والقتال.

(٢) خاشى: من المخاشاة: وهي المحاجزة وهي مفاعلة من الخشية؛ يعني خشي على المسلمين لقله عددهم. وفي رواية: حاشى بهم: يعني انحاز بهم إلى ناحية. راجع «الروض الأنف».

(٣) من «ابن هشام».

(٤) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٤/٢١ - ٢٢).

(٥) أخرج البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٤٤) باب غزوة مؤتة ح (٤٢٦٢) «فتح الباري» (٧/٥١٢).

(٦) «فتح الباري» (٧/٥١٠).

(٧) من البخاري، في كتاب «المناقب» باب مناقب جعفر بن أبي طالب. وفي الأصل: خلاد وهو تحريف.

(٨) «فتح الباري» (٧/٥١٥).

أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية. ثم رواه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن إسماعيل حدثني قيس، سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت في يدي صفحة يمانية انفرد به البخاري. قال الحافظ أبو بكر البيهقي: ثنا أبو نصر بن قتادة، ثنا أبو عمرو مطر^(١) ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، ثنا سليمان بن حرب، ثنا الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير، قال: قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري، وكانت الأنصار تفقهه، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه فقال [حدثنا] أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، وقال عليكم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، قال: فوثب جعفر وقال: يا رسول الله! ما كنت أرهب أن تستعمل زيدا عليّ قال: امض فإنك لا تدري أي ذلك خير، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فأمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس على رسول الله ﷺ فقال: أخبركم عن جيشكم هذا، إنهم انطلقوا فلحقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قُتل شهيداً شهد له بالشهادة واستغفر له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قُتل شهيداً فاستغفر له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء، هو أمر نفسه ثم قال رسول الله ﷺ «اللهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره» فمن يومئذ سمي خالد سيف الله^(٢). ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك عن الأسود بن شيبان به نحوه، وفيه زيادة حسنة وهو أنه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع إليه الناس قال: باب خير باب خير وذكر الحديث. وقال الواقدي: حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزيرة، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال: لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معتركهم، فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فجاء الشيطان فحبب إليه الحياة وكره إليه الموت، وحبب إليه الدنيا فقال: الآن استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبب إلي الدنيا، فمضى قدماً حتى استشهد، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال استغفروا له، فقد دخل الجنة وهو شهيد. قال الواقدي: وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال لما قتل زيد: أخذ الراية جعفر بن أبي طالب. فجاء الشيطان فحبب إليه^(٣) الحياة وكره إليه الموت ومنه الدنيا فقال: الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين يميني الدنيا، ثم مضى قدماً حتى استشهد، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال استغفروا لأخيكم فإنه شهيد، دخل الجنة وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء في الجنة، قال: ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضاً. فشق ذلك على الأنصار، فقيل: يا رسول الله ما اعتراضه؟ قال: لما أصابته الجراح نكل. فعاتب نفسه فتشجع، واستشهد ودخل الجنة فسُرّي عن قومه. قال الواقدي وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل^(٤) عن أبيه قال: لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله ﷺ الآن حمي الوطيس^(٥). قال الواقدي: فحدثني العطاء بن خالد قال: لما قُتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد فلما أصبح غداً، وقد جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمته ميسرته [وميسرته ميمته]^(٦) قال: فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيتهم، وقالوا: قد جاءهم مددٌ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين، قال: فقتلوا مقتلة لم يُقتلها قوم. وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في «مغازيه»: فإنه قال: بعد عمرة الحديبية ثم صدر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فمكث بها ستة أشهر ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة، وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم، فانطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني

(١) في «الدلائل»: أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة، قال: أخبرنا أبو عمرو بن مطر، قال:

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٣٦٧/٤)، ورواه الحاكم في «المستدرک» عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وذكره الزهري وعروة، وموسى بن عقبة.

(٣) في «الواقدي»: فمناه.

(٤) في «الواقدي»: عبد الله بن الفضيل.

(٥) حمي الوطيس: من جوامع كلمه ﷺ يعني الآن اشتدت الحرب القاموس، وقال صاحب «النهاية» «الوطيس: التنور، وقيل هو الضراب في الحرب، وقيل هو الوطاء الذي يطس الناس أي يدقهم. وقال الأصمعي. هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطرؤها.

(٦) من «الواقدي» والخبر في «مغازيه» (٧٦١/٢ - ٧٦٢، ٧٦٤) ونقله البيهقي في «الدلائل» عن الواقدي (٣٦٩/٤ - ٣٧٠).

بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فأغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام، ثم التقوا^(١) على زرع أحمر فاقتتلوا قتالاً شديداً فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل، ثم أخذه جعفر فقتل، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو وأظهر المسلمين، قال: وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الأولى - يعني سنة ثمان - قال موسى بن عقبة: وزعموا أن رسول الله ﷺ قال مر علي جعفر في الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان. قال وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية^(٢) قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله ﷺ إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرك قال أخبرني يا رسول الله قال فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كله ووصفه لهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت. فقال رسول الله ﷺ «إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم» فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق من أن خالد إنما حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط. وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه. ورواه البخاري وهذا هو الذي رجحه ومال إليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث^(٣).

قلت: ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقر وهو أن خالد لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلعهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة، فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين، فلما حمل عليهم خالد هزمهم بإذن الله والله أعلم. وقد قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة قال: لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه [قال: ولقيتهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر. فأتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه]^(٤) فجعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل» وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة، وعندني أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين وهو على المنبر في قوله ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاماً، وإنما كان التأنيب، وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هنالك، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، ثنا زهير، ثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عبد الله بن عمر قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة قتلنا، ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: من القوم؟ قال قلنا نحن فرارون، فقال لا بل أنتم الكرارون، أنا فنتكم وأنا فئة المسلمين، قال فأتيناه حتى قبلنا يده ثم رواه غندر، عن شعبة، عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر قال: كنا في سرية ففررنا فأردنا أن نركب البحر، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله نحن الفرارون، فقال لا بل أنتم العكارون ورواه [أبو داود و]^(٥) الترمذي وابن ماجه: من حديث يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديثه. وقال أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، وأسود بن عامر قالوا: حدثنا شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فلما لقينا العدو انهزمنا في أول غادية، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاخففنا ثم قلنا لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه، فخرجنا إليه فلما لقيناه^(٦) قلنا نحن الفرارون يا رسول الله

- (١) في رواية البيهقي عن ابن عقبة: ثم خرجوا فالتقوا على ذرع أحمر، وفي نسخة: ردع: وهو الزعفران.
- (٢) في البيهقي عن ابن عقبة: يعلى بن مئنه.
- (٣) راجع «دلائل البيهقي» (٤/٣٧٥).
- (٤) ما بين معكوفين سقط من الأصل واستدرك من «ابن هشام».
- (٥) من سيرة «ابن كثير».
- (٦) في «نسخ البداية المطبوعة»: ثم التقيناه وهو تحريف.

قال «بل أنتم العكارون وأنا فثتكم» قال الأسود «وأنا فثة كل مسلم» وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير: أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن [العاص بن] المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فرار، فررتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته ما يخرج. وكان في غزوة مؤتة.

قلت: لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع [الروم - وكانوا على أكثر من أضعاف الأضعاف فإنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان] (٢) العدو على ما ذكره ماتني ألف، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله، ويؤيد ذلك ويشاكلة بالصحة (٣) ما رواه الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعي قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة، [ووافقني مددي] (٤) من اليمن ليس معه غير سيفه، فنحرت رجل من المسلمين جزوراً فسأله [المددي طائفة] (٥) من جلده فأعطاه إياه فاتخذته كهيئة الدرقة، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب، فجعل الرومي يغري بالمسلمين، وقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقبه فخر وعلاه فقتله، وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد يأخذ من السلب، قال عوف فأتيته فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى ولكنني أستكثر به، فقلت: به؟ فقلت: لتردنه إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يرد عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد فقال رسول الله ﷺ «يا خالد رد عليه ما أخذت منه» قال عوف: فقلت دونك يا خالد ألم أف لك؟ فقال رسول الله ﷺ وما ذلك فأخبرته فغضب رسول الله ﷺ وقال «يا خالد لا ترد عليه هل أنتم تاركوا أمرائي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره» قال الوليد: سألت ثوراً عن هذا الحديث فحدثني عن خالد بن معدان عن جبير بن نفيير عن عوف بنحوه. ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفيير عن عوف بن مالك به نحوه وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم، وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالداً رضي الله عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي إلا صفحة يمانية، وهذا يقتضي أنهم أنخنوا فيهم قتلاً ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم. وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي وحكاه ابن هشام عن الزهري. قال البيهقي رحمه الله اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا، قال وحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ «ثم أخذها خالد ففتح الله عليه» يدل على ظهورهم عليهم والله أعلم (٦).

قلت: وقد ذكر ابن إسحاق أن قطبة بن قتادة العذري - وكان رأس ميمنة المسلمين - حمل على مالك بن زافلة ويقال رافلة. وهو أمير أعراب النصارى فقتله وقال يفتخر بذلك:

- (١) من «ابن هشام».
- (٢) سقطت من الأصل ومن «نسخ البداية المطبوعة» واستدركت من «السيرة النبوية» لابن كثير.
- (٣) «العبارة في سيرة ابن كثير»: ومما يؤيد ذلك أيضاً ويزيده قوة ويشهد له بالصحة.
- (٤) من المسند؛ وفي الأصل مدوي تحريف. والمددي: رجلاً من المدد الذين جاءوا يمدون المسلمين، وصححت في الحديث كله المددي من «المسند» (٢٨/٦ - ٢٩) وفي الواقدي: رجل من إمداد حمير.
- (٥) من «المسند» و «الواقدي»، وفي الأصل: المدوي طابقة وهو تحريف.
- (٦) «دلائل النبوة» للبيهقي (٣٧٥/٤) و «مغازي الواقدي» (٧٦٤/٢).

قال وات في كتابه «محمد في المدينة»: ص (٧٩٨): وليست غزوة مؤتة الكبرى جزء من السياسة الخفية الشمالية فقط بل هي غريبة في ذاتها. اتجهت الغزوة نحو الشمال، وعلمت عند معان أن جيشاً قوياً بيزنطياً يضم عدداً من عرب القبائل كان بانتظارها، ومع ذلك قررت الاستمرار في السير. ويقال أن المسلمين فروا هارين ثم انضم إليهم ثابت بن الأقرم وخالد بن الوليد، فعادوا إلى القتال الذي انهزم فيه العدو وأركن للفرار. فقرر خالد العودة بالجيش إلى المدينة. ولم يتخذ خالد قرار العودة بسبب خطر العدو أو الهجن بل بسبب مدة الغياب عن القاعدة أو ربما لجهل خالد بالأسباب الحقيقية للغزو.

طعننث ابن رافلة بن الأراش
ضربت على جیده ضربة
وشقنا نساء بني عمه
برمح مضى فيه ثم انحطم
فمال كما مال عُصن السلم
غداة رقوقين سؤق النعم (١)

وهذا يؤيد ما نحن فيه، لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفر أصحابه، ثم إنه صرح في شعره بأنهم سبوا من نسايتهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله أعلم. وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلص من أيدي الروم وسمى هذا نصراً وفتحاً أي باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاتفهم عليهم، فكان مقتضى العادات أن يصطلحوا^(٢) بالكلية، فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام وهذا محتمل لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام «ففتح الله عليهم» والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال: وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن المجسر اليعمري يعتذر بما صنع يومئذ وصنع الناس يقول:

فوالله لا تثفك نفسي تلومني
وقفت بها لا مستحيزاً فثافذاً
على أنني آسيث نفسي بخالد
وجاشت إلي النفس من نحو جعفر
وضم إلينا حجزتيهم كليهما
على موقفي والخيل قابعة قبل (٣)
ولا مانعاً من كان حُم له القتل
ألا خالد في القوم ليس له مثل
بمؤتة إذ لا ينفع الثابل الثبل
مهاجرة لا مشركون ولا عزل

قال ابن إسحاق: فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقق انحياز خالد بمن معه. قال ابن هشام: وأما الزهري فقال - فيما بلغنا عنه - أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة^(٤).

فصل

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناً^(٥) وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم، فقال رسول الله ﷺ «أئتني ببني جعفر» فأتته بهم فشمهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال «نعم أصيبوا هذا اليوم» قالت: فقامت أصيح واجتمع إلي النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال «لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»^(٦) وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق، ورواه ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى، عن أم عون بنت محمد بن جعفر، عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام، والصواب أنها أم جعفر وأم عون. وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، ثنا جعفر بن خالد، عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي ﷺ «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم» وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة المخزومي المكي، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر وقال الترمذي حسن. ثم قال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن

(١) رقوقين: موضع: ويروى رقوقين.

(٢) في نسخ «البداية المطبوعة» يصطلحوا تحريف.

(٣) قابعة: منقبضة وتروى قاعة: يقال قاع الفحل على الناقة إذا وثب عليها قاله أبو ذر.

وقبل: جمع أقبل وقبلاء. وهو الذي يميل عينه في النظر إلى جهة العين الأخرى.

(٤) في «ابن هشام»: حتى قفل إلى النبي ﷺ.

(٥) من شرح أبي ذر وفي الأصل مناء. قال أبو ذر: المنا الذي يوزن به وهو الرطل. وتعني أربعين رطلاً من الدباغ. وفي «اللسان»

منية: معناه الجلد ما دام في الدباغ.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٢٢/٤) ونقله البيهقي في «الدلائل» عنه (٣٧٠/٤).

عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن. قالت فدخل عليه رجل فقال يا رسول الله إن النساء عييننا وفتننا، قال «أرجع إليهن فأسكتهن» قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك، قالت [يقول] وربما ضر التكلف - يعني أهله - قالت قال: فاذهب فأسكتهن فإن أبين فاحشوا في أفواههن التراب» قالت: وقلت في نفسي أبعذك الله! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ قالت: وعرفت أنه لا يقدر يحثي في أفواههن التراب. انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه وليس في شيء من الكتب^(١). وقال البخاري: ثنا قتيبة، ثنا عبد الوهاب: سمعت يحيى بن سعيد قال: أخبرني عمرة، قالت: سمعت عائشة تقول: لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الحزن، قالت عائشة: وأنا أطلع من صاير الباب - شق - فاتاه رجل فقال: أي رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن، فأمره أن ينهأهن قالت: فذهب الرجل [ثم أتى فقال: قد نهيتهن وذكر أنه لم يطعنه قال فأمر أيضاً فذهب] ثم أتى فقال: والله لقد غلبتنا، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال «فاحش في أفواههن من التراب» قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت أرغم الله أنفك، فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله ﷺ من العناء^(٢). وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة عنها. وقال الإمام أحمد: حدثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد، عن عبد الله بن جعفر قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال «إن قتل زيد أو استشهد فأمركم جعفر، فإن قتل أو استشهد فأمركم عبد الله بن رواحة» فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قُتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قُتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه، وأتى خبرهم النبي ﷺ فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قُتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قُتل أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قُتل أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه» قال ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتهم، ثم أتاهم فقال «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي» قال فجاء بنا كأننا أفرخ، فقال «ادعوا لي الحلاق» فجاء بالحلاق فحلق رؤوسنا، ثم قال «أما محمد فشبيهه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيهه خلقي وخلقي» ثم أخذ بيدي فأشالها وقال «اللهم اخلف جعفرأ في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» قالها ثلاث مرات. قال فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تُفرح له فقال «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟» ورواه أبو داود ببعضه، والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ثم نهاهم عنه بعدها. ولعله معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله بن شداد عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها لما أصيب جعفر «تسلي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت» تفرد به أحمد فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الإحداد ثلاثة أيام، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الإحداد المعتاد والله أعلم. ويروى تسلي ثلاثاً - أي تصبري ثلاثاً - وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم. فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، ثنا محمد بن طلحة، ثنا الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد، عن أسماء بنت عميس قالت: دخل رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال: لا تحدي بعد يومك هذا. فإنه من أفراد أحمد أيضاً. وإسناده لا بأس به ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره لأنه قد ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» فإن كان ما رواه الإمام أحمد محفوظاً فتكون مخصوصة بذلك أو هو أمر بالمبالغة في الإحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم والله أعلم.

قلت: ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها:

فأليث لا تنفك نفسي حزينه عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

(١) ما بين معكوفين في الحديث من «سيرة ابن هشام» (٢٣/٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» - باب غزوة مؤتة. وما بين معكوفين من «الفتح» (٤١٤/٧). زاد البيهقي في روايته: جلس رسول الله ﷺ في المسجد.

فلله عيناً من رأى مثله فتى أكر وأحمي في الهياج وأصبراً
ثم لم تشب أن انقضت عدتها فخطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة فكان فيهم
علي بن أبي طالب، فلما ذهب الناس استأذن علي أبو بكر رضي الله عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له،
فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها علي: - على وجه البسط - من القائلة في شعرها:

فأكيت لا تنفك نفسي حزينه عليك ولا ينفك جلدي أغبراً؟

قالت دعنا منك يا أبا الحسن فإنك امرؤ فيك دعاية، فولدت للصديق محمد بن أبي بكر، ولدته بالشجرة بين مكة
والمدينة ورسول الله ﷺ ذاهب إلى حجة الوداع، فأمرها أن تغتسل وتهل وسيأتي في موضعه، ثم لما توفي الصديق تزوجها
بعده علي بن أبي طالب وولدت له أولاداً رضي الله عنه وعنهما وعنهم أجمعين.

فصل

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: فلما دنوا من المدينة تلقاهم
رسول الله ﷺ والمسلمون، قال: ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة، فقال: «خذوا
الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر» فأتي بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه، قال وجعل الناس يحثون على الجيش
التراب، ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله! قال فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله»
وهذا مرسل. وقد قال الإمام أحمد: ثنا أبو معاوية، ثنا عاصم، عن مؤرق العجلي، عن عبد الله بن جعفر قال: كان
رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه، قال فحملني بين يديه ثم
قال «جئ بأحد بني فاطمة» إما حسن وإما حسين، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة. وقد رواه مسلم وأبو داود
والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الأحول عن مؤرق به. وقال الإمام أحمد: ثنا روح، حدثنا ابن جريج، ثنا
خالد بن سارة: أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال: لو رأيتني وقتماً وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب إذ
مر النبي ﷺ على دابة فقال «ارفعوا هذا إلي، فحملني أمامه وقال لقثم «ارفعوا هذا إلي» فجعله وراءه، وكان عبيد الله
أحب إلى عباس من قثم فما استحي من عمه أن حمل قثماً وتركه قال، ثم مسح على رأسه ثلاثاً وقال كلما مسح «اللهم
اخلف جعفرأ في ولده» قال قلت لعبد الله ما فعل قثم؟ قال استشهد؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم بالخير؟ قال: أجل.
ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من حديث ابن جريج به. [وهذا كان بعد الفتح فإن العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح
فأما الحديث رواه الإمام أحمد: ثنا إسماعيل، ثنا حبيب بن الشهيد، عن عبد الله بن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن
جعفر لابن الزبير: أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال: نعم فحملنا وتركك. وبهذا اللفظ أخرجه
البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الأجوبة المسكتة، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن
الزبير أيضاً، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه. والله أعلم.]

فصل

في فضل هؤلاء الأئمة الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن
عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن
حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله ﷺ. وذلك أن أمه^(١) ذهبت تزور أهلها
فأغارت عليهم خيل^(٢) فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل اشتراه رسول الله ﷺ لها فوهبته
من رسول الله ﷺ قبل النبوة فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه، فكان يقال له زيد بن محمد،
وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً، وكان أول من أسلم من الموالى، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى ﴿وَمَا
جَعَلَ آيَاتِهِمْ آيَاتِكُمْ﴾ [الاحزاب: ٤] وقوله تعالى ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الاحزاب: ٥] وقوله تعالى ﴿مَا

(١) اسمها سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت بن سلسلة من بني معن من طي.
(٢) خيل لبني القين بن جسر، وكان ذلك في الجاهلية.

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴿ [الأحزاب: ٤٠] وقوله ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴿ [الأحزاب: ٣٧] أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه، ومعنى أنعم الله عليه أي بالإسلام، وأنعمت عليه أي بالعتق، وقد تكلمنا عليها في «التفسير». والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره، وهداه إلى الإسلام وأعتقه رسول الله ﷺ وزوجه مولاته أم أيمن^(١) واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد، فكان يقال له الحب بن الحب، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش وأخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الأمانة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه. وقد قال الإمام أحمد والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة - وهذا لفظه - ثنا محمد بن عبيد عن وائل بن داود سمعت البهي يحدث أن عائشة كانت تقول: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليهم، ولو بقي بعد لاستخلفه. ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان عن محمد بن عبيد الطنافسي به. وهذا إسناد جيد قوي على شرط «الصحيح». وهو غريب جداً. والله أعلم. وقال الإمام أحمد: ثنا سليمان، ثنا إسماعيل، أخبرني ابن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في أمرته، فقال رسول الله ﷺ «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمره أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده» وأخرجاه في «الصحيحين» عن قتيبة عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه. ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه، وقال الحافظ أبو بكر البزار: ثنا عمر بن إسماعيل، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: لما أصيب زيد بن حارثة وجيء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فأخر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال «ألاقي منك اليوم ما لقيت منك أمس» وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم. وقد تقدم في «الصحيحين» أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب. ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه» قال وإن عينيه لتذرفان، وقال وما يسرهم أنهم عندنا. وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة. وقد قال حسان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة:

واذكري في الرِّحَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ
يَوْمَ رَاحُوا فِي وَقْعَةِ التُّغْوِيرِ
نَغْمَ مَاوَى الضَّرِيكِ وَالْمَاسُورِ^(٢)
سَيِّدِ النَّاسِ حُبَّهُ فِي الصُّدُورِ
ذَلِكَ حُزْنِي لَهُ مَعَاً وَسُرُورِي
لَيْسَ أَمْرَ الْمَكْذُوبِ الْمَغْرُورِ
سَيِّدَاً كَانَ ثُمَّ غَيْرَ نَزُورِ^(٣)
فِي حُزْنِ نَبِيٍّ غَيْرِ سُرُورِ

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمَنْزُورِ
وَإِذْ كَرِي مَوْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا
حِينَ رَاحُوا وَغَادَرُوا ثُمَّ زَيْدَاً
حُبِّ خَيْرِ الْأَنْامِ طُرَاً جَمِيْعَاً
ذَاكُمْ أَحْمَدُ الَّذِي لَا سِوَاهُ
إِنْ زَيْدَاً قَدْ كَانَ مَثَابَاً
ثُمَّ جُودِي لِلْخَزْرَجِيِّ بِدَمْعِ
قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله ﷺ وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين، أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة، ومقامات محمودة، وأجوبة سديدة، وأحوال رشيدة، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة والله الحمد، وقد قدم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام «ما أدري أنا بأيهما أسر، أبقدوم

(١) قال ابن سعد: تزوج زيد أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، فولدت له زيد ورؤية، ثم تزوج درة بنت أبي لهب ثم طلقها وتزوج هند بنت العوام ثم زوجه النبي ﷺ أم أيمن.

(٢) الضريك: الفقير.

(٣) الخزرجي: يقصد عبد الله بن رواحة. والبيت ليس في الديوان.

جعفر أم بفتح خبير» وقام إليه واعتنقه وقبل بين عينيه، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية «أشبهت خلقي وخلقي» فيقال إنه حجل عند ذلك فرحاً كما تقدم في موضعه والله الحمد والمنة. ولما بعثه إلى مؤتة جعل في الأمرة مصلياً - أي نائباً - لزيد بن حارثة، ولما قُتل وجدوا فيه بضعا وتسعين^(١) ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء فلما فقدتهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك. فيقال إن رجلاً من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله، وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد، فهو ممن يقطع له بالجنة. وجاء بالأحاديث تسميته بذي الجناحين. وروى البخاري عن ابن عمر، أنه كان إذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه، والصحيح ما في «الصحيح» عن ابن عمر. قالوا: لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين في الجنة وقد تقدم بعض ما روى في ذلك. قال الحافظ أبو عيسى الترمذي: حدثنا علي بن حجر، ثنا عبد الله بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال ﷺ «رأيت جعفرأ يطير في الجنة مع الملائكة» وتقدم في حديث أنه رضي الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثين سنة. وقال ابن الأثير في «الغابة» كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين، قال وقيل غير ذلك.

قلت: وعلى ما قيل إنه كان أسن من علي بعشر سنين يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر وعمره إحدى وعشرين سنة، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة والله أعلم. وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيار لما ذكرنا، وكان كريماً جواداً ممدحاً، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لإحسانه إليهم. قال الإمام أحمد: وحدثنا عفان بن وهيب، ثنا خالد، عن عكرمة، عن أبي هريرة قال: ما احتذى النعال ولا انتعل، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة وكأنه إنما يفضل في الكرم، فأما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه، وأما أخوه علي رضي الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو علي أفضل منه، وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم بدليل ما رواه البخاري: ثنا أحمد بن أبي بكر، ثنا محمد بن إبراهيم بن دينار، أبو عبد الله الجهني، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وأنى كنت أُلزم رسول الله ﷺ بشعب بطني خبز لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة، وكنت أُلصق بطني بالحصاء من الجوع، وإن كنت لاستقرى الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكّة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها. تفرد به البخاري وقال حسان بن ثابت يرثي جعفرأ:

جِبُّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَةِ كُلِّهَا
مِنَ اللَّجْلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظَلِّهَا^(٢)
ضَرْباً وَإِنْ هَالِ الرِّمَاحِ وَعَلُّهَا
خَيْرَ الْبَرِيَةِ كُلِّهَا وَأَجْلُّهَا^(٣)
وَأَعَزُّهَا مَتَّظِلُّمًا وَأَذْلُّهَا
كُذْبًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَقْلُّهَا

وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرِ
وَلَقَدْ جَزَعْتُ وَقَلْتُ حِينَ نُعِيْتُ لِي
بِالْبَيْضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أَعْمَادِهَا
بِعَدِ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرِ
رُزْءًا وَأَكْرَمَهَا جَمِيعًا مَخْتِئِدًا
لِلْحَقِّ حِينَ يَنْوِبُ غَيْرَ تَنْحُلِ

(١) قال في «الطبقات»: قال الفضل بن ذكوان: تسعين ضربه بين طعنة برمح وضربة بسيف.

وقال محمد بن عمر: اثنتين وسبعين ضربة.

وقال نافع عن ابن عمر: بضع وتسعون.

وعن عبد الله بن أبي بكر: أكثر من ستين جرحاً وطعنة قد أنفذته.

وعن عمر بن علي: ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين فوق أحد نصفيه في كرم فوجد في نصفه ثلاثون أو بضعة وثلاثون جرحاً.

(٢) العقاب: اسم راية رسول الله ﷺ.

(٣) فاطمة: هي فاطمة بنت أسد بن هاشم ثم أم جعفر وعلي ابنا أبي طالب.

فُحشاً وأكثرها إذا ما يُجْتدى
بالعُرف غيرَ محمدٍ لامثله

فضلاً وأنداها يداً وأبْلها^(١)

حي من أحياء البرية كلُّها^(٢)

وأما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمد ويقال أبو رواحة، ويقال أبو عمرو الأنصاري الخزرجي وهو خال النعمان بن بشير، أخته عمرة بنت رواحة أسلم قديماً وشهد العقبة وكان أحد النقباء ليلتذ لبني الحارث بن الخزرج وشهد بدرأ وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وكان يبعثه على خرصها كما قدمنا وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ وقيل بغرزاها - يعني الركاب - وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله

الآيات كما تقدم. وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم وقد شجع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في ذلك وشجع نفسه أيضاً حتى نزل بعدما قتل أصحابه، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة فهو ممن يقطع له بدخول الجنة. ويروى أنه لما أنشد النبي ﷺ شعره حين ودعه الذي يقول فيه:

فثبت اللُّهُ ما آتاك من حسنٍ
تثبيت موسى ونصراً كالذي نُصروا

قال له رسول الله ﷺ «وأنت فثبتك الله» قال هشام بن عروة: فثبته الله حتى قُتل شهيداً ودخل الجنة. وروى حماد بن زيد، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول «اجلسوا» فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال «زادك الله حرصاً على طواعة الله وطواعة رسوله» وقال البخاري في «صحيحه»: وقال معاذ: اجلس بنائز من ساعة. وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك. فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، عن عمارة، عن زياد النحوي، عن أنس قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعال تؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال: يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة، يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة! فقال النبي ﷺ «رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة» وهذا حديث غريب جداً. وقال البيهقي: ثنا الحاكم ثنا أبو بكر، ثنا محمد بن أيوب، ثنا أحمد بن يونس ثنا شيخ من أهل المدينة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار: أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له: تعال حتى تؤمن ساعة، قال أولسنا بمؤمنين؟ قال بلى ولكننا نذكر الله فنزداد إيماناً. وقد روى الحافظ أبو القاسم اللالكائي^(٣) من حديث أبي اليمان عن صفوان بن سليم عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول: قم بنا تؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر. وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول «شرح البخاري» والله الحمد والمنة. وفي «صحيح البخاري» عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر في حر شديد وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين، ومما نقله البخاري من شعره في رسول الله ﷺ:

وفينا رسولُ اللُّهُ نتلوا كتابه
إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطع

يبيت بجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلتُ بالمشركين المضاجعُ

أتى بالهدى بعد القمى فقلوبنا
به موقناتٌ أن ما قال واقِعُ

وقال البخاري: حدثنا عمران بن ميسرة، ثنا محمد بن فضيل، عن حصين، عن عامر، عن النعمان بن بشير قال:

أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي؛ واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئاً إلا

(١) وعجزه في الديوان: فضلا، وابذلها ندى، وأبْلها.

(٢) البيت في ديوانه:

على خير بعمد محمد لاشبهه
بشسر يُسمد من البرية جُلها

(٣) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الحافظ الفقيه، محدث بغداد، قال الخطيب كان يحفظ ويفهم صنف كتاباً في

السنة - وكتاباً في «رجال الصحيحين»، عاجلته المنية، خرج إلى الدينور مات في رمضان سنة (٤١٨ هـ). انظر ترجمته في

«تذكرة الحفاظ» (١٠٨٣/٣) «شذرات الذهب» (٢١١/٣) وفي الأصل اللاكائي، ولم نجده فيما بأيدينا من مراجع وأثبتنا من

مراجع وأثبتنا ما في «تذكرة الحفاظ»؛ وفي «اللباب» اللكي نسبة إلى اللك بلدة من نواحي بركة.

قيل لي أنت كذلك؟ حدثنا قتيبة، ثنا خيثمة، عن حصين، عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: أغمى على عبد الله بن رواحة، بهذا. فلما مات لم تبك عليه وقد قدمنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره. وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم:

كفى حزناً أني رجعت وجعفرُ وزيدٌ وعبدُ اللّٰه في رمسٍ أقبرُ
قضوا نحيبهم لما مضوا لسبيلهم وخلفتُ للبلوى مع المتغيرِ
وسياتي إن شاء الله تعالى بقية ما رثي به هؤلاء الأمرأ الثلاث من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهما وأرضاهما.

فصل في من استشهد يوم مؤتة

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة العدوي، ووهب بن سعد بن أبي سرح، فهؤلاء أربعة نفر. ومن الأنصار عبد الله بن رواحة، وعباد بن قيس الخزرجيان، والحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة النجاري، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني، أربعة نفر. فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية على ما ذكره ابن إسحاق. لكن قال ابن هشام: ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهري: أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف. ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً وقد قتل من المشركين خلق كثير^(١). هذا خالد وحده يقول لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا صفحة يمانية. فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟! دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصليان عليهم لعائن الرحمن، في ذلك الزمان وفي كل أوان. وهذا مما يدخل في قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣].

حديث فيه فضيلة عظيمة لأمرأ هذه السرية

وهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، قال الإمام العالم الحافظ أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازي نصر الله وجهه في كتابه «دلائل النبوة» - وهو كتاب جليل - حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي، ثنا الوليد، ثنا ابن جابر، وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ثنا الوليد وعمرو - يعني ابن عبد الواحد - قال: ثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخبائري، يقول أخبرني أبو أمامة الباهلي سمعت رسول الله ﷺ يقول «بيننا أنا نائم إذا أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا: اصعد، فقلت: لا أطيقه فقالا: إنا سنسهله لك قال فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل، إذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هؤلاء الأصوات؟ فقالا: عواء أهل النار ثم انطلقا بي فإذا بقوم معلقين بعراقيهم مشقة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً فقلت ما هؤلاء؟ فقالا: هؤلاء الذين يفترون قبل تحلة صومهم فقال خابت اليهود والنصارى» قال سليم سمعه من رسول الله ﷺ أم من رأيه؟ «ثم انطلقا بي فإذا قوم أشد شيء انتفاخاً وأنتن شيء ریحاً كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء؟ قال هؤلاء قتلى الكفار ثم انطلقا بي فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن شيء ریحاً كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء؟ قال هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلقا بي فإذا بنساء

(١) ذكروا في كتاب: «محمد في المدينة»: ص (٨١) «يمكن أن يكون تضخيم عدد العدو إلى (١٠٠) ألف جزء من الدفاع عن عمل خالد في رجوعه بالجيش إلى المدينة تبقى لدينا المسائل التالية: - حدث لقاء مع قوة للعدو. قتل زيد وجعفر وعبد الله ولم يقتل كثير غيرهم. عاد الجيش إلى المدينة بقيادة خالد دون أن يتكبد خسائر جسيمة. أما ما عدا ذلك فمشكوك فيه. ولم يحدث اللقاء مع مجموع الجيش المعارض. لأن الخسائر قليلة جداً في معركة بين (٣٠٠٠) رجل من رجل و (٢٠٠٠٠) أو (١٠٠٠٠) أو (٣٠٠٠) من جانب آخر فيمكن إذن أن يكون الاصطدام عبارة عن مناوشة.

ينهش ثديين الحيات فقلت ما بال هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن البانهن ثم انطلقا بي فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء ذراري المؤمنين ثم أشرفا بي شرفاً فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت من هؤلاء؟ قالوا: هذا جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ثم أشرفا بي شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك.

ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق: وكان مما بُكي به أصحاب مؤتة قول حسان:

وَهَمَّ إِذَا مَا نَوْمَ النَّاسِ مَسْهَرُ
سَفُوحاً وَأَسْبَابَ الْبِكَاءِ التَّذْكَرُ
وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يَبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ
شَعُوباً وَخَلْفاً بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ^(٢)
بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعْفَرُ
جَمِيعاً وَأَسْبَابَ الْمَنِيَةِ تَخْطُرُ
إِلَى الْمَوْتِ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةَ أَزْهَرُ
أَبِي إِذَا سَيِّمَ الظَّلَامَةَ مَجْسِرُ
بِمَعْتَرِكٍ فِيهِ الْقَنَا مَتَكْسِرُ^(٤)
جِنَانٌ وَمَلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَفَاءٌ وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
دَعَائِمَ عَزْلاً لَا يَزُولُنَّ وَمَفْخَرُ
رُضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ^(٥)
عَلِيٍّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمَتَخَيِّرُ
عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يَعْصُرُ
عَمَّاسٌ إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ^(٦)
عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمَطْهَرُ

تأوبني ليل بيثرب أعسرُ
لذكرى حبيب هيئت لي عبرة
بلى إن فقدان^(١) الحبيب بلية
رأيت خيار المسلمين تواردوا
فلا يُبعدن الله قتلى تتابعوا^(٣)
وزيد وعبد الله حين تتابعوا
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم
أغر كضوء البدر من آل هاشم
فطاعن حتى مال غير مؤسد
فصار مع المستشهدين ثوابه
وكننا نرى في جعفر من محمد
وما زال في الإسلام من آل هاشم
هموا جبل الإسلام والناس حولهم
بهاليل منهم جعفر وابن أمه
وحمزة والعباس منهم ومنهموا
بهم تُفرج اللاواء في كل مآزق
هم أولياء الله أنزل حكمه
وقال كعب بن مالك رضي الله عنه:

سحاً كما وكف الطباب المخضل^(٧)
طوراً أحن وتارة أتمهل^(٨)
بينات نعش والسماك موكل
مما تأوبني شهاب مدخل

نام العيون ودمع عينك يهمل
في ليلة وردت علي همومها
واعتادني حزن فبت كأنني
وكانما بين الجوانح والحشا

(١) في «الديوان»: بلاء وفقدان.

(٢) رواية المعجز في «الديوان»: شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر.

قال أبو ذر: شعوب بضم الشين: جمع شعب وهي القبيلة. وشعوب بالفتح: اسم للمنية.

(٣) في الأصل تبايعوا، وهي كذلك في البيت التالي، وما أثبتناه من «ابن هشام».

(٤) في الديوان: فيه القنا يتكسر.

(٥) الرضام: جمع رضم وهي حجارة يتراكم بعضها فوق بعض، ويهر، في «ابن هشام»: ويقهر.

(٦) اللاواء: الشدة. العماس: المظلم.

(٧) في الأصل وبعض نسخ ابن هشام: الضباب، وما أثبتناه من «شرح أبي ذر» و«السهيلي» والطياب: جمع طبابة وهي سير بين خريزتين في المزايدة فإذا كان غير محكم وكف منه الماء.

(٨) أتمهل؛ وفي «ابن هشام» أتململ: أي أنقلب متبرماً بمضجعي.

يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
وسقى عظامهم الغمام المسيل
حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
فنقّ عليهم الحديد المرقل^(١)
حيث التقى وعتّ الصفوف مجدل^(٢)
والشمس قد كُسفت وكادت تأفل
فرعاً أشمّ وسودداً ما يُنقل
وعليهم نزل الكتاب المنزل
وتغمدت أحلامهم من يجهل
وترى خطيبهم بحق يفصل
تئدى إذا اعتذر الزمان الممحل
وبجدهم^(٣) نصر النبي المرسل

وجدأ على التفر الذين تتابعوا
صلى الإله عليهم من فتية
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
فمضوا أمام المسلمين كأنهم
إذ يهتدون بجمعفر ولوائه
فتغير القمر المنير لفقده
قرم علا بنيانه من هاشم
قوم بهم عصم الإله عبادة
فضلوا المعاشر عزة وتكرماً
لا يطلقون إلى السفاه خباهموا
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم
ويهدبهم رضي الإله لخلقهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذي الحجة بعد عمرة الحديبية، وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضوع بعد غزوة مؤتة والله أعلم. ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول أبي سفيان لهرقل حين سأله هل يغدر فقال لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. وفي لفظ البخاري وذلك في المدة التي ماد فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ. وقال محمد بن إسحاق: كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام. ونحن نذكر ذلك هاهنا وإن كان قول الواقدي محتملاً. والله أعلم. وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المعني، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كتب قبل مؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه^(٤). وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس: حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال: كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله ﷺ لا نأمن إن وجدنا أمناً، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً إلا وقد حملني بضاعة، وكان وجه متجرنا من الشام غزة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام، فخرج منها يمشي متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين، حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها فأصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء، فقالت له بطارقه: أيها الملك لقد أصبحت مهموماً؟ فقال أجل، فقالوا وما ذاك؟ فقال أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر، فقالوا: والله ما نعلم أمة من الأمم تختن إلا اليهود وهم تحت يدك وفي سلطانك، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك منهم فابعث في مملكتك كلها فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه، فتستريح من هذا الهم. فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع إليهم، فقال: أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن

(١) فتق: جمع فتق، فحل الإبل.

(٢) وعت الصفوف: اختلاطها والتحامها حتى يصعب الخلاص من بينها.

(٣) بجدهم، قال أبو ذر: وتروى ويحدثهم معناه بشجاعتهم وإقدامهم.

(٤) أخرجه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٢٧) باب الحديث (٧٥) ص (١٣٩٧).

حدث كان ببلاده فأسأله عنه، فلما انتهى إليه قال لترجمانه: سل ما هذا الخبر الذي كان في بلاده؟ فسأله فقال: هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوامٌ وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن فخرجت من بلادي وهم على ذلك. فلما أخبره الخبر قال: جردوه فإذا هو مختتن فقال: هذا والله الذي قد أريت لا ما تقولون، أعطه ثوبه. انطلق لشأنك. ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له: قلب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه، قال أبو سفيان: فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا فسألنا ممن أنتم؟ فأخبرناه، فسأقنا إليه جميعاً فلما انتهينا إليه قال أبو سفيان: فوالله ما رأيت من رجل قط أزعج أنه كان أدهى من ذلك الأغلف - يريد هرقل - قال: فلما انتهينا إليه قال: أيكم أمس به رحماً؟ فقلت أنا، قال ادنوه مني، قال فأجلسني بين يديه ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي وقال: إن كذب فردوا عليه، قال أبو سفيان: فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا علي ولكني امرءاً أتكرم وأستحي من الكذب وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عني ثم يتحدثونه عني بمكة فلم أكذبه، فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم، فزهدت له شأنه وصغرت له أمره، [فوالله ما التفت إلى ذلك مني وقال: أخبرني عما أسألك من أمره]^(١) فقلت سلني عما بدا لك؟ قال كيف نسبه فيكم؟ فقلت محضاً من أوسطنا نسباً، قال: فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به؟ فقلت: لا قال: فأخبرني هل [كان]^(٢) له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه؟ فقلت: لا قال: فأخبرني عن أتباعه من هم؟ فقلت الأحداث والضعفاء والمساكين فأما أشرفهم وذووا الأنساب^(٣) منهم فلا، قال: فأخبرني عن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه؟ قلت: ما صحبه رجل ففارقه، قال: فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه؟ فقلت: سجال يدال علينا وندال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر فلم أجد شيئاً أغره به إلا هي، قلت: لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غدره فيها. فوالله ما التفت إليها مني قال: فأعاد علي الحديث، قال: زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت لا، وسألتك هل كان له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه فقلت: لا، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان، وسألتك عن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتداولون عليه وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر فلئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين، ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه، ثم قال: الحق بشأنك، قال: فقمت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول: يا عباد الله لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم^(٤). قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري قال: حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال: قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله ﷺ فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن أبيت فإن إثم الأكارين عليك.

قال: فلما انتهى إليه كتابه، وقرأه أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله ﷺ فكتب إليه: إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه، فأمر بعظماء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم أمر بها فأشرفت^(٥) عليهم واطلع عليهم من عليه له وهو منهم خائف فقال: يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحمد وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر ومجمل ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته وزمانه، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم فنخروا نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم، فخافهم، وقال: ردوهم علي فردوهم عليه فقال لهم: يا معشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف

(١) ما بين معكوفين سقط من نسخ «البداية المطبوعة».

(٢) من رواية البيهقي.

(٣) في رواية البيهقي عن ابن إسحاق: الأسنان.

(٤) الخبر نقله البيهقي في «الدلائل» (٤/٣٨٣).

(٥) في البيهقي عن الزهري: فأشرفت عليهم: أي أغلقت.

صلابتكم في دينكم؟ فلقد رأيت منكم ما سرتي فوقعوا له سجداً ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا^(١). وقد روى البخاري قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أخر أحببنا أن نوردتها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد. قال البخاري قبل الإيمان^(٢) من «صحيحه»: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ثنا شعيب^(٣) عن الزهري: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماذ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بايلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً، قال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه، [قال] فوالله لولا [الحياء من]^(٤) أن يؤثروا عني كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا قال: فهل كان من آباءه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزدون؛ قال: فهل يتردد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتهم؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وينال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمركم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آباءه [من ملك]^(٥) فذكرت أن لا فلو كان من آباءه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر^(٦)، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان كما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه؛ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلاماً على من اتبع الهدى أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين^(٧) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

(١) نقل الخبر البيهقي عن ابن إسحاق عن الزهري في «الدلائل» (٤/٣٨٤).

(٢) في كتاب بدء الوحي «فتح الباري» (١/٢٦).

(٣) شعيب: هو شعيب بن أبي حمزة دينار الحمصي وهو من أثبات أصحاب الزهري.

(٤) ما بين معكوفين من البخاري.

(٥) من البخاري.

(٦) قال المازني: هذه الأشياء التي سأل عنها هرقل ليست قاطعة على النبوة إلا أنه يحتمل أنها كانت عنده علامات على هذا النبي بعينه لأنه قال بعد ذلك: قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم. وما أورده احتمالاً جزم به ابن بطال وهو ظاهر.

(٧) الأريسيين: جمع أريسي وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل. قال ابن سيده: الأريس: الأكار أي الفلاح عند ثعلب؛ وعند كراع الأريس: الأمير. قال الجوهرى هي لغة شامية وانكر ابن فارس أن تكون عربية. وقال الخطابي: أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلّموا تقليداً له لأن الأصغر أتباع الأكبر.

[آك عمران: ٦٤] قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا لقد أمر ابن أبي كبشة^(١) أنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام، قال وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقه قد استنكرنا هيئتك؟ قال ابن الناطور: وكان هرقل خزاً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختن من هذه الأمم؟ قالوا ليس يختن إلا اليهود ولا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان فخبّرهم عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا يختن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه يختن، وسأله عن العرب فقال هم يختنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب إلى صاحب له برومية - وكان نظيره في العلم - وسار هرقل إلى حمص فلم يرهم بحمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وهو نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت. ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم؟ فتتابعوا لهذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي. وقال: إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل. قال البخاري: ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمّر عن الزهري. وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة في «صحيحه» بألفاظ يطول استقصاؤها. وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهري. وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا «لصحيح البخاري» بما فيه كفاية وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية والله الحمد والمنة. وقال ابن لهيعة: عن [أبي] الأسود عن عروة قال: خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش، وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله ﷺ فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه، يأمره أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان بن حرب، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها، فقال هرقل: أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما أمره؟ قالوا ساحر كذاب وليس بنبي، قال: فأخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً؟ قالوا: هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأخرجوا عنه ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره، قال أخبرني يا أبا سفيان؟ فقال هو ساحر كذاب، فقال هرقل: إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم؟ قال هو والله من بيت قريش، قال: كيف عقله ورأيه؟ قال لم يغب^(٢) له رأي قط. قال هرقل: هل كان حلفاً كذاباً مخادعاً في أمره؟ قال: لا والله ما كان كذلك، قال: لعله يطلب ملكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله؟ قال أبو سفيان: لا، ثم قال من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد؟ قال: لا، قال هرقل: هل يغدر إذا عاهد؟ قال: لا إلا أن يغدر مدته هذه. فقال هرقل: وما تخاف من مدته هذه؟ قال إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة، قال هرقل: إن كنتم أنتم بدأتهم فأنتم أغدر، فغضب أبو سفيان وقال لم يغلبنا إلا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب وهو يوم بدر، ثم غزوته مرتين في بيوتهم بنقر البطون ونجدع الأذان والفروج، فقال هرقل: كذاباً تراه أم صادقاً؟ فقال: بل هو كاذب، فقال: إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه فإن أفعال الناس لذلك اليهود، ثم رجع أبو سفيان^(٤). ففي هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخاري. وقد أورد موسى بن عقبة

(١) ابن أبي كبشة: أراد به النبي ﷺ. لأن أبا كبشة أحد أجداده وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض قال أبو الحسن النسابة الجرجاني هو جد وهب جد النبي لأمه. قال ابن حجر: وهذا فيه نظر لأن وهب جد النبي ﷺ اسم أمه عاتكة بنت الأوقص بن مرة، وقيل هو جد عبد المطلب لأمه وفيه نظر لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي ولم يقل أحد من أهل النسب أن عمرو يكنى بأبي كبشة. قيل هو أبوه من الرضاعة واسمه الحارث بن عبد العزى قاله أبو الفتح الأزدي وابن ماكولا. وكانت له بنت تسمى كبشة يكنى بها وقال ابن قتيبة هو رجل من خزاعة خالف قريش في عبادة الأوثان فعبد الشعري فنسبوه إليه؛ وكذا قال الزبير وقال: اسمه وجزب عامر بن غالب.

(٢) من «البيهقي» في روايته عن عروة.

(٣) في «البيهقي»: لم نعب له عقلاً قط ولا رأياً قط.

(٤) نقله البيهقي عن عروة في «الدلائل» (٣٨٤/٤)؛ ونقل رواية موسى بن عقبة من طريق ابن أبي أويس.

في «مغازيه» قريباً مما ذكره عروة بن الزبير والله أعلم. وقال ابن جرير في «تاريخه»^(١): حدثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم قال: إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ: والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وأنه الذي كنا نتظر ونجده في كتابنا ولكنني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى صفاطر الأسقف فاذا ذكر له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجود قولاً عندهم مني، فانظر ماذا يقول لك؟ قال فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل وبما يدعو إليه، فقال صفاطر والله صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحد يدعونا فيه إلى الله وأني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحد عبده ورسوله. قال فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه. قال: فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال: قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا، فصفاطر والله كان أعظم عندهم وأجوز قولاً مني. وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه، عن عبد الله بن شداد، عن دحية الكلبي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت استأذنوا لرسول الله ﷺ، فأتى قيصر فقيل له إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول الله ففزعوا لذلك وقال: أدخله، فأدخلني عليه وعنده بطارقه فأعطيته الكتاب فإذا فيه، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم، فنخر ابن أخ له أحر أزرق سبط فقال لا تقرا الكتاب اليوم فإنه بدأ بنفسه وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم، قال فقرأ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث إلي فدخلت عليه فسألني فأخبرته، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه - وكان صاحب أمرهم يصدر عن رأيه وعن قوله - فلما قرأ الكتاب قال الأسقف: هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا نتظر. قال قيصر فما تأمرني؟ قال الأسقف أما أنا فإني مصدقه ومتبعه، فقال قيصر: أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم. وبه قال محمد بن إسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء أهل الشام قال: لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي ﷺ جمع الروم فقال: يا معشر الروم إني عارض عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها؟ قالوا ما هي؟ قال تعلمون والله إن هذا الرجل لنبي مرسل نجده نعرفه بصفته التي وصف لنا فهل فلتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فقالوا: نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً، وأكثرها رجلاً. وأقصاه بلداً؟ قال فهل أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه. قالوا: نحن نعطي العرب الذل والصغار يخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً وأعظمه ملكاً، وأمنه بلداً، لا والله لا نفعل هذا أبداً، قال فهل فلأصلحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام، قال وكانت أرض سورية؛ فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب [من أرض] سورية، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام، فقالوا نحن نعطي أرض سورية وقد عرفت أنها سرية^(٢) الشام لا نفعل هذا أبداً، فلما أبوا عليه، قال: أما والله لترون^(٤) أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم. قال ثم جلس على بغل له فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال: السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية. والله أعلم.

إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى بالشام

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمه إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق^(٥). قال الواقدي: وكتب معه؛ سلام على من اتبع الهدى وآمن به، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك. فقدم شجاع بن وهب فقراه عليه فقال: ومن يتزعج ملكي؟ إني سأسير إليه.

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٨٧ - ٨٨).

(٢) من «الطبري»: (٣/٨٨).

(٣) من «الطبري» (٣/٨٨) وفي الأصل: أنها أرض سوريا والشام.

(٤) من «الطبري» وفي الأصل لتودن.

(٥) في «سيرة ابن هشام» وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ملك تخوم الشام. وفي رواية ابن هشام: بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني «السيرة» (٤/٢٥٤).

بعثه إلى كسرى ملك الفرس

وروى البخاري: من حديث الليث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزقه قال: فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزقوا كل ممزق^(١). وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهري حدثني عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: «أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى ابن مريم» فقال المهاجرون: يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وابعثنا، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لشجاع بن وهب، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه، فقال شجاع بن وهب: لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله ﷺ، فقال كسرى: ادنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه؛ من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس. قال: فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج، فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال: والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذ أدت كتاب رسول الله ﷺ. قال: ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يوجد، فطلب إلى الحيرة فسبق، فلما قدم شجاع على النبي ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «مزق كسرى ملكه»^(٢) وروى محمد بن إسحاق: عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة^(٣) بكتابه إلى كسرى؟ فلما قرأه مزقه، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال: «مزق ملكه» وقال ابن جرير^(٤) حدثنا أحمد بن حميد، ثنا سلمة، ثنا ابن إسحاق، عن زيد بن أبي حبيب قال: وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه؛ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فإن تسلم تسلم وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك. قال: فلما قرأه شقه وقال: يكتب إلي بهذا وهو عبدي؟! قال: ثم كتب كسرى إلى باذام^(٥) وهو نائبه على اليمن: أن ابعث إلى هذا الرجل [الذي] بالحجاز رجلين من عندك جَلْدَيْنِ فليأتياي به، فبعث باذام قهرمانه - وكان كاتباً حاسباً - بكتاب فارس وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخره^(٦)، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال لأبازويه^(٧): إيت بلاد هذا الرجل وكلمه واثني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة، واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش بهما - وفرحوا. وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل، فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه أبازويه فقال: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنتلق معي، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومغرب بلادك. ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالا أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله ﷺ «ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي» ثم قال «ارجعا حتى تأتياي غداً» قال وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله.

(١) أخرجه البخاري في كتاب «الجهاد» «فتح الباري» (١٠٨/٦).

(٢) نقل الخبر البيهقي في «الدلائل» بإسناده (٣٨٧/٤).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢٥٥/٤).

(٤) «تاريخ الطبري» (٩٠/٣) وما بين معكوفين في الخبر من الطبري.

(٥) في «الطبري»: باذان.

(٦) في «الطبري»: خرخره.

(٧) في «الطبري»: بابويه وهو قهرمان باذان.

قال: فدعاهما فأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام؟ قال: نعم أخبراه ذاك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى الخف والحافر، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء، ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذام، فأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول وليكونن ما قد قال، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل، وإن لم يكن فسرى فيه رأياً. فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد؛ فإني قد قتلت كسرى وما أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرفهم ونحورهم^(١) في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه. فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال: إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن. قال: وقد قال باذويه لبازام: ما كلمت أحداً أهيب عندي منه، فقال له باذام: هل معه شرط؟ قال: لا. قال الواقدي رحمه الله: وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة^(٢) من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها:

قلت: وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء:

قتلوا كسرى بليل محرماً
وقال بعض شعراء العرب^(٣):
فتولى لم يمتع بكفن

وكسرى اذ تقاسم بنوه
تمخضت المنون له بيوم
بأسيف كما اقتسم اللحم
أتى ولكل حاملة تمام

وروى الحافظ البيهقي: من حديث حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن أبي بكرة: أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن ربي قد قتل الليلة ربك» [يعني كسرى]^(٤) قال: وقيل له - يعني النبي ﷺ - إنه قد استخلف ابنته فقال «لا يفلح قوم تملكهم امرأة» قال البيهقي: وروى في حديث دحية بن خليفة [الكلبي] أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل كسرى^(٥)، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له: ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه، لتكفينه أو لأفعلن بك، فبعث إليه [فلما قرأ النبي ﷺ كتاب صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة ثم قال لهم: اذهبوا إلى صاحبكم]^(٦) أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة فوجدوه كما قال قال وروى داود بن أبي هند عن عامر الشعبي نحو هذا^(٧) ثم روى البيهقي: من طريق أبي بكر بن عياش عن داود بن أبي هند، عن أبيه عن أبي هريرة قال: أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن في وجه سعد خيراً» فقال يا رسول الله هلك كسرى فقال «لعن الله كسرى أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب».

قلت: الظاهر أنه لما أخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين يعني الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع جاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البيهقي رحمه الله. ثم روى البيهقي من غير وجه عن الزهري: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قبض له - عارض يعرض عليه الحق فلم يفتجأ كسرى إلا برجل يمشي وفي يده عصاً فقال: يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا؟ فقال كسرى: نعم لا تكسرهما، فولى الرجل فلما ذهب أرسل كسرى إلى حجابته فقال: من أذن لهذا

(١) في «الطبري»: وتجميرهم في ثغورهم.

(٢) في «الطبري» نقلاً عن الواقدي: جمادى الأولى.

(٣) ورد البيتان في الجزء الثاني من كتابنا ونسبا إلى خالد بن حق الشيباني.

(٤) من «دلائل البيهقي».

(٥) العبارة في «الدلائل»: وجد عنده رسل عامل كسرى على صنعاء وذلك أن النبي ﷺ قد كان كتب إلى كسرى فكتب كسرى إلى صاحبه بصنعاء يتوعد...

(٦) من «الدلائل»، وفي الأصل: فقال لرسوله.

(٧) «دلائل النبوة» (٤/٣٩٠ - ٣٩١) وفي رواية الشعبي سمي العامل الذي كتب إليه كسرى فقال: باذان.

الرجل علي؟ فقالوا: ما دخل عليك أحد، فقال: كذبتهم، قال: فغضب عليهم وتهدهم^(١) ثم تركهم. قال: فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا، قال: يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا؟ قال: نعم لا تكسرهما، فلما انصرف عنه دعا حجابها قال لهم كالمرة الأولى، فلما كان العام المقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له: هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا فقال لا تكسرهما لا تكسرهما فكسرهما^(٢)، فأهلك الله كسرى عند ذلك. وقال الإمام الشافعي: أنبأنا ابن عيينة عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، فوالذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»^(٣) أخرجه مسلم من حديث ابن عيينة وأخرجاه من حديث الزهري به. قال الشافعي: ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزقه، فقال رسول الله ﷺ «يمزق ملكه» وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضع في مسك، فقال رسول الله ﷺ: «ثبت ملكه» قال الشافعي وغيره من العلماء ولما كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده» قال فباد ملك الأكاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عظموا كتابه والله أعلم^(٤).

قلت: وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام. وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، والنجاشي لمن ملك الحبشة، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية، وفرعون لمن ملك مصر كافرأ، وبطليموس لمن ملك الهند ولهم أعلام أجناس غير ذلك وقد ذكرناها في غير هذا الموضع والله أعلم. وروى مسلم: عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «لتنفخن عصابة من المسلمين كنوز كسرى في القصر الأبيض»^(٥) وروى أسباط عن سماك عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد: وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم^(٦).

بعثه ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني الزهري، عن عبد الرحمن^(٧) بن عبد القاري أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرّحه إلى النبي ﷺ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجهما وجاريتين إحداهما أم إبراهيم وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد^(٨) بن قيس العبدي. رواه البيهقي. ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية، قال: فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله وأقامت عنده، ثم بعث إلي وقد جمع بطارقه وقال: إني سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عني، قال: قلت: هلم، قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟ قلت: بل هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال: فقلت: عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله؟ قال: بلى قلت: فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا؟ فقال لي: أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد وأرسل معك ببذرة يبذر قونك إلى مأمرك، قال: فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوارٍ منهن أم إبراهيم

(١) في «البيهقي»: وتلتهم.

(٢) في «البيهقي»: لا تكسرهما، فكسرهما. والخبر في «الدلائل» (٤/٣٩١ - ٣٩٢).

(٣) «صحيح مسلم» في (٥٢) كتاب «الفتن» ح (٧٧) (٤/٢٢٢٧) ونقله البيهقي في «الدلائل» (٤/٣٩٣).

(٤) نقل الخبر البيهقي من طريق الربيع بن سليمان باختلاف في ألفاظه.

(٥) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤/٣٨٨). ومسلم في (٥٢) كتاب «الفتن» (١٨) باب الحديث (٧٨).

(٦) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤/٣٨٩).

(٧) من رواية البيهقي: وفي الأصل عبد الله تحريف.

(٨) في «البيهقي» (٤/٣٩٥): جهم بن قيس فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر.

ابن رسول الله ﷺ، [وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدوي] (١) وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليه بطرف من طرفهم. وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم والأخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان.

قلت: وكان في جملة الهدية غلام أسود خصي، اسمه مابور، وخفين ساذجين أسودين وبغلة بيضاء اسمها الدلدل، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره (٢) باذي الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من عاداتهم ببلاد مصر، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصي حتى قال بعضهم إنه الذي أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتله فوجده خصياً فتركه والحديث في «صحيح مسلم» من طريق (٣).

قال ابن إسحاق: وبعث سليط بن عمرو بن عبدود أخا بني عامر بن لؤي إلى هوزة بن علي، صاحب اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمي إلى جيفر بن الجلندي وعمار بن الجلندي الأزديين صاحبي عمان (٤).

غزوة ذات السلاسل (٥)

ذكرها الحافظ البيهقي هاهنا قبل غزوة الفتح، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالاً: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلي وعبد الله (٦) ومن يليهم من قضاة. قال عروة بن الزبير: وبنو بلي أخوال العاص بن وائل، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين، وأمر عليهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح [قال عروة: وعمرو يومئذ في سعد الله وتلك الناحية من قضاة] قال موسى بن عقبة: فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أمددته، فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة [سعى لأمر رسول الله ﷺ عليه وعهده] قال: تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ أن قال: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا» وإنك إن عصيتني لأطيعنك. فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص (٧). وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام (٨) وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بلي فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يتألفهم بذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل - قال: فلما كان عليه وخاف بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه «لا تختلفا» فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه، قال له عمرو:

(١) سقطت من الأصل واستدركت من «دلائل البيهقي» (٣٩٦/٤). وقال ابن سعد: بعث إليه بجاريتين مارية وأختها سيرين (١) / (٢٦٠).

(٢) انظر ترجمته في «الإصابة» (٣٣٤/٣) ترجمته رقم (٧٥٨١).

(٣) بياض في الأصل، وفي «الإصابة»: رواه مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك.
(٤) العبارة في ابن هشام (٢٥٤/٤): وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال وهوزة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة. وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعاياذ ابني الجلندي الأزديين، ملكي عمان وفي ابن سعد: بعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، والملك منهما جيفر.

(٥) انظر في غزوة ذات السلاسل: «طبقات ابن سعد» (١٣١/٢) «سيرة ابن هشام» (٢٧٢/٤) «مغازي الواقدي» (٧٦٩/٢) «تاريخ الطبري» (١٠٤/٣) «عيون الأثر» (٢٠٤/٢) «الروض الأنف» (٣٥٩/٢) «السيرة الحلبية» (١٩٠/٣) «شرح المواهب» (٣) / (٢٧٨).

والسلاسل: السين الأولى مفتوحة جزم به أبو عبيد البكري: رمل بالبادية. قال ابن سعد كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان. في البيهقي: وسعد الله.

(٧) ما بين معكوفين من البيهقي؛ والخبر في «الدلائل» (٣٩٨ - ٣٩٩).

(٨) في «ابن هشام» إلى الشام؛ وفي «دلائل البيهقي» عن ابن إسحاق إلى الإسلام وهو الصواب.

إنما جئت مدداً لي، فقال له أبو عبيدة: لا، ولكنني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه. وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً، هيناً عليه أمر الدنيا. فقال له عمرو: أنت مددي؛ فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله ﷺ قد قال لي «لا تختلفا» وإنك إن عصيتني أطعتك، فقال له عمرو: فإني أمير عليك وإنما أنت مدد لي، قال: فدونك فصلى عمرو بن العاص بالناس^(١). وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان، عن يزيد بن رومان: أن أبا عبيدة لما آب إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطىء بلاد بلي ودوخها^(٢)، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير، فاقتتلوا ساعة، وتراموا بالنبل ساعة، ورُمي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه، وحمل المسلمون عليهم فهزموا، وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا ودوخ عمرو ما هناك، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم. فكانوا ينحرون ويذبحون. ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك، ولم تكن [لهم] غنائم تقسم^(٣). وقال أبو داود: ثنا ابن المنثى، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص. قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، قال: فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» قال: فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً، حدثنا محمد بن سلمة [حدثنا ابن وهب] ثنا ابن لهيعة وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص - وكان على سرية - ذكر الحديث بنحوه قال: فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم، فذكر نحوه ولم يذكر التيمم. قال أبو داود: وروى هذه القصة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية وقال فيه فتيمم^(٤). وقال الواقدي^(٥): حدثني أفلح بن سعيد، عن ابن عبد الرحمن بن رقيش، عن أبي بكر بن حزم قال: كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد، فقال لأصحابه: ما ترون؟ والله احتلمتُ فإن اغتسلت مت، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم، ثم قام فصلى بهم، فكان أول من بعث عوف بن مالك بريداً، قال عوف: فقدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته فسلمت عليه فقال رسول الله ﷺ «عوف بن مالك؟» فقلت عوف بن مالك يا رسول الله، قال «صاحب الجزور؟» قلت: نعم. ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ثم قال «أخبرني» فأخبرته بمكان من مسيرنا وما كان من أبي عبيدة وعمرو ومطاعة أبي عبيدة، فقال رسول الله ﷺ «يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح» قال: ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ^(٦)، فسكت رسول الله ﷺ فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته فأخبره فقال: والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمت، لم أجد برداً قط مثله. وقد قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ قال: فضحك رسول الله ﷺ ولم يبلغنا أنه قال شيئاً^(٧). وقال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، وهي غزوة ذات السلاسل، فصحبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها، وهم لا يقدرُونَ على أن يبعضوها، وكنت امرأة جازراً، فقلت لهم: تعطوني منها عشراً^(٨) على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني، وأخذت منها جزءاً، فحملته إلى أصحابي فاطبخناه وأكلناه، فقال أبو بكر وعمر: أتى لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما، فقالا:

(١) «سيرة ابن هشام» (٢٧٢/٤).

(٢) دوخ البلاد: قهرها واستولى على أهلها «الصحيح».

(٣) «مغازي الواقدي» (٧٧١/٢) وما بين معكوفين من رواية البيهقي عن الواقدي (٤٠١/٤).

(٤) الخبر نقله البيهقي في «الدلائل» من طريق أبي بكر بن داسة عن أبي داود (٤٠٢/٤ - ٤٠٣) وما بين معكوفين زيادة من «سنن أبي داود» (٥٦/١).

(٥) في «المغازي» (٧٦٩/٢) حدثني أفلح بن سعد، عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش...

(٦) في «الواقدي»: وتيمم.

(٧) «مغازي الواقدي» (٧٧٣/٢ - ٧٧٤) ورواه البيهقي عنه في «الدلائل» (٤٠٢/٤)؛ وفيه أفلح بن سعيد.

(٨) في «ابن هشام»: عشيراً، والعشير النصيب، فالجزور كانت تقسم على عشرة أجزاء، كل جزء منها عشير.

لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما منه، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ فجننته وهو يصلي في بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال «أعوف بن مالك؟» فقلت: نعم بأبي أنت وأمي فقال «صاحب الجزور؟» ولم يزدني على ذلك شيئاً. هكذا رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل. قال الحافظ البيهقي: وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن زهدم^(١) أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال: فعرضته على عمر فسألني عنه، فأخبرته فقال: قد تعجلت أجرك ولم يأكله. ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ولم يذكر فيه أبا بكر وتماه كنعوا ما تقدم. وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أبو سعيد بن أبي عمرو قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا علي بن عاصم، ثنا خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده، قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله من أحب الناس إليك قال «عائشة؟» قلت: إني لست أسألك عن أهلِكَ قال «أبوها» قلت: ثم من؟ قال «عمر» قلت: ثم من؟ حتى عدد رهطاً قال: قلت في نفسي لا أعود أسأل عن هذا^(٢)، وهذا الحديث مخرج في «الصحاحين» من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبي عثمان النهدي، واسمه عبد الرحمن بن مل، حدثني عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال «عائشة» قلت فمن الرجال؟ قال «أبوها» قلت ثم من؟ قال «ثم عمر بن الخطاب» فعدد رجالاً^(٣). وهذا لفظ البخاري وفي رواية قال عمرو. فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم.

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

قال الإمام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ بعضاً قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة قال جابر: وأنا فيهم، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله فكان مزودني تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني ولم يكن يصيبنا إلا تمرًا تمرًا، قال: فقلت: وما تغني تمرًا؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيته. قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب، قال: فأكل منه ذلك الجيش ثمان عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلعه فنصبا، ثم أمر براحلته فرحلت ثم مر تحتها فلم يصبهما. أخرجاه في «الصحاحين»^(٤) من حديث مالك بنحوه. وهو في «الصحاحين» أيضاً من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في ثلثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح، نرصد عيراً لقريش، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط^(٥)، قال: ونحر رجل ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثاً فنهاء أبو عبيدة، قال: وألقى البحر دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منها نصف شهر وادها حتى ثابت إلينا أجسامنا وصلحت ثم ذكر قصة الضلع^(٦) فقوله في الحديث نرصد عيراً لقريش دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية^(٧) والله أعلم. والرجل الذي نحر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما. وقال

(١) في «الدلائل»: هدم انظر الخبر (٤٠٤/٤) في باب ما جاء في الجزور التي نحر في غزوة ذات السلاسل.

(٢) «دلائل النبوة» (٤٠١/٤).

(٣) أخرجه البخاري في «المنقب» باب فضائل أبي بكر، ومسلم في كتاب «فضائل الصحابة»، باب فضائل أبي بكر الحديث (٨) (١٨٥٦).

(٤) الحديث رواه البيهقي في «الدلائل» (٤٠٧/٤) من طريق إسماعيل بن أبي أوس. وأخرجه البخاري في «الذبايح»، ومسلم في «الصيد» و«الذبايح» (٤) باب ح (٢١).

(٥) وردت في «ابن سعد» و«الواقدي» تحت عنوان: سرية الخبط، والخبط ورق ينفذ بالمخايط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره ويؤخذ بالماء. «القاموس». وكانت إلى سيف البحر، إلى حي من جهينة، قال «ابن سعد»: بالقبلىة وبينها وبين المدينة خمس ليالٍ.

(٦) البخاري في كتاب «المغازي» (٦٥) باب الحديث (٤٣٦١) «فتح الباري» (٧٧/٨) ومسلم في «الذبايح» (٤) باب الحديث (١٨) (١٥٣٦).

(٧) في «ابن سعد»: كانت في رجب سنة ثمان.

الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو بكر بن إسحاق، ثنا إسماعيل بن قتيبة، ثنا يحيى بن يحيى، ثنا أبو خيثمة، وهو زهير بن معاوية، عن أبي الزبير عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة نلتقى عيراً لقريش وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة تمر. قال: فقلت كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله، قال: فانطلقنا إلى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا به دابة تدعى العنبر، فقال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلثمائة حتى سمنا، ولقد كنا نعرف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقتطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في عينه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه، فأقامها ثم رَجَل أعظم بعير منها فمر تحتها وتزودنا من لحمها وشايق^(١) فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال «هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه تطعموننا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه^(٢). ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس وأبو داود عن النفيلي ثلاثهم عن أبي خيثمة، زهير بن معاوية الجعفي الكوفي، عن أبي الزبير، محمد بن مسلم بن تدرس المكي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري به.

قلت: ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله فإنه أوردتها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح والله أعلم. وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة فقال: حدثنا عمرو بن محمد ثنا هشيم، أنبأنا حصين بن جندب، ثنا أبو ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري وطعته برمي حتى قتله، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟»^(٣) قلت كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف. ثم روى البخاري من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما. ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الإسلام ونعي رسول الله ﷺ له إلى المسلمين وصلاته عليه. فروى: من طريق مالك، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات. أخرجاه من حديث مالك وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه. وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصحابه»^(٤) وقد تقدمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها والله الحمد.

قلت: والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير فإن في «صحيح مسلم» أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي وليس هو بالمسلم، وزعم آخرون كالواقدي أنه هو. والله أعلم. وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي^(٥)، عن موسى بن عقبة، عن أبيه، عن أم كلثوم قالت: لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة قال «قد أهديت إلى النجاشي أواق من مسك وحلة وإني لأراه قد مات، ولا أرى الهدية إلا سترد علي فإن ردت علي - أظنه قال - قسمتها بينكن أو فهي لك» قال فكان كما قال رسول الله ﷺ، مات النجاشي ورددت الهدية فلما ردت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية، من ذلك السك، وأعطى سائرته أم سلمة، وأعطاهما الحلة. والله أعلم^(٦).

(١) وشايق: هي من اللحم يؤخذ فيغلى، دون أن ينضج ويحمل في الأسفار.

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٤٠٨/٤) ومسلم في (٣١) كتاب «الصيد» (٤) باب الحديث (١٧).

(٣) «دلائل النبوة» (٤١٠/٤) وأخرجه البخاري في (٢٣) كتاب «الجنائز» (٤) باب ومسلم في (١١) كتاب «الجنائز» (٢٢) باب ح (٦٢) ومالك في «الموطأ» كتاب «الجنائز».

(٤) أخرجه البخاري في (٢٣) كتاب «الجنائز» (٦٥) باب ومسلم في (١١) كتاب «الجنائز» (٢٢) باب.

(٥) مسلم بن خالد الزنجي، وهو مسلم بن خالد بن سعيد بن قرفة وإنما سمي الزنجي لحمته وكان هو الذي يفتي بمكة بعد ابن جريج.

(٦) الحديث في «الدلائل» (٤١٢/٤). وقال البيهقي: قوله ولا أراه إلا قد مات يريد والله أعلم قبل بلوغ الهدية إليه وهذا القول

صدر منه قبل موته ثم لما مات نعاه في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

غزوة الفتح الأعظم

وكانت في رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مَنكَرٌ مَّنْ أُنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَ﴾ [الحديد: ١٠] وقال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر].

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن إسحاق: حدثني الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، أنهما حدثاه جميعاً قالا: كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فتواثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً. ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير وهو قريب من مكة، وقالت قريش ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد، فأعانوهم عليهم بالكرع والسلاح وقتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ، وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشدها إياه:

يا رب إنني ناشد محمداً	جلف أبيه وأبيننا الأتليدا
قد كنتموا ولداً وكنا والدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع يداً ^(١)
فانصر رسول الله نصراً أبدا	وادع عبادة الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفاً وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	فهم أذل وأقل عددا
هم بيئتونا بالوتير هجدا	وقتلونا زكعاً وسجداً ^(٢)

فقال رسول الله ﷺ «نصرت يا عمرو بن سالم» فما برح حتى مرت بنا عانة في السماء، فقال رسول الله ﷺ «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب» وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكتهم مخرجه وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى يبيغتهم في بلادهم.

قال ابن إسحاق: وكان السبب الذي هاجهم أن رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد، من حلفاء الأسود بن رزن خرج تاجراً، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من بني خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدثلي، وهم مفخر^(٣) بني كنانة وأشرفهم، سلمة وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم. قال ابن إسحاق: وحدثني رجل من الدثلي قال: كان بنو الأسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين [ونودي دية دية، لفضلهم فينا]^(٤) قال ابن إسحاق: فيينا بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الإسلام، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ. وكانت الهدنة، اغتتمها بنو الدثلي من بني بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثاراً من أولئك نفر، فخرج

(١) يريد أن بني عبد مناف أهم من خزاعة، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية.

(٢) الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة.

(٣) في «ابن هشام»: منخر: ويريد المتقدمين فيهم.

(٤) من «ابن هشام».

نوفل بن معاوية الدثلي في قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم، وليس كل بني بكر تابعه، فبيت خزاعة وهم على الوتير - ماء لهم - فأصابوا رجلاً منهم وتحاوزوا واقتلوا، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حاوزوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال: كلمة عظيمة لا إله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثاركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثاركم؟ ولجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له رافع، وقد قال الأخرز بن لعط الدثلي في ذلك:

رَدَدْنَا بَنِي كَعْبِ بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ^(١)
وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَخْبِيساً غَيْرَ طَائِلِ
شَفِينَا النَّفُوسِ مِنْهُمْ بِالْمَنَاصِلِ
نَفَخْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْعِبِ بَوَائِلِ
أَسْوَدُ تَبَارَى فِيهِمْ بِالقَوَاصِلِ
وَكَانُوا لَدَى الْأَنْصَابِ أَوْلَ قَاتِلِ
قَفَاثُورِ حُقَانِ النِّعَامِ الْجَوَافِلِ^(٢)
وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال:

لَهُمْ سَيِّدٌ يَنْدُوهُمْ غَيْرَ نَافِلِ
تُجَيِّزُ الْوَتِيرَ خَائِفاً غَيْرَ آيِلِ
لِعَقْلِ وَلَا يُحِبُّ لَنَا فِي الْمَعَاوِلِ
بِأَسْيَافِنَا يَسْبِقُنْ لَوَمَ الْعَوَاذِلِ
إِلَى خَيْفِ رِضْوَى مِنْ مَجْرِ الْقَبَائِلِ
عَبِيسٌ فَجَعَنَاهُ بِجَلْدِ حُلَاحِلِ^(٥)
بِجَعْمُوسِهَا تَنْزُونَ إِنْ لَمْ نَقَاتِلِ^(٦)
وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِي بِلَابِلِ

أَلَا هَلْ أَتَى قُصُوى الْأَحَابِيشِ أَنَا
حَبْسِنَاهُمْ فِي دَارِ الْعَبِيدِ رَافِعِ
بِدَارِ الذَّلِيلِ الْأَخْذِ الضَّمِيمِ بَعْدَمَا
حَبْسِنَاهُمْ حَتَّى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ
نُذِّبَهُمْ ذَبْحَ التِّيُوسِ كَأَنَّا
هُمْ ظَلَمُونَا وَاعْتَدُوا فِي مَسِيرِهِمْ
كَأَنَّهُمْ بِالْجَزَعِ إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ
قَالَ فَأَجَابَهُ بَدِيلُ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ سَلْمَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَجْبِ^(٣)
تَعَاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ وَلَمْ نَدْعِ
أَمِنْ خَيْفَةِ الْقَوْمِ الْأَوْلَى تَزْدَرِيهِمْ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو خَبَاءَنَا
وَنَحْنُ صَبَخْنَا بِالتَّلَاعَةِ^(٤) دَارَكُمْ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَيْنَ بَيْضِ وَعْتُودِ
وَيَوْمِ الْغَمِيمِ قَدْ تَكْفَتُ سَاعِيَاً
إِنْ أَجْمَرْتَ فِي بَيْتِهَا أَمْ بَعْضِكُمْ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمَا

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة» قال ابن إسحاق: ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا للذي صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بديلاً قال من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ فقال: سرت في خزاعة في هذا الساحل، في بطن هذا الوادي. قال: فعمد أبو سفيان إلى مبرك ناقته، فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟ فقالت: هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراشه، فقال: يا بنية والله لقد أصابك بعدي شر، [ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً] ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل،

- (١) الأحابيش: كل من حالف قريشاً ودخل في عهدها من القبائل.
- (٢) قفاثور: ثور: جبل بمكة وقفاه وراءه. وتروى فاثور: موضع بنجد.
- (٣) في «الاستيعاب»: الأخنس. وقال في نسبه: هو أحد المنسويين إلى أمهاتهم، وهو بديل بن سلمة بن خلف بن عمرو بن الأخنس بن مقياس بن حنبل بن عدي بن سلول بن كعب الخزاعي.
- (٤) من «ابن هشام»، وفي الأصل بالبلاغة دارهم، والتلعة: ماء لبني كنانة بالحجاز.
- (٥) تكفت حاد عن طريقه. والجلد: القوي. الحلاحل: السيد.
- (٦) الجعموس: العذرة. أجمرت: رمت به بسرعة.

ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال عمر: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد لكم إلا الذر لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها حسن غلام يدب بين يديهما، فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ! فقال: ويحك أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجبر بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: والله ما بلغ ببني ذلك أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على النبي ﷺ، فقال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحتني؟ قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، فقال: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد. فقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق، فلما أن قدم على قريش قالوا ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته، فوالله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدي عدو، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار علي بأمر صنعته، فوالله ما أدري هل يغني عنا شيئاً أم لا؟ قالوا: بماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت، قالوا هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت، فقال: لا والله ما وجدت غير ذلك^(١).

(فائدة) ذكرها السهيلي. فتكلم على قول فاطمة في هذا الحديث؛ وما يجبر أحد على رسول الله ﷺ على ما جاء في الحديث «ويجبر على المسلمين أدناهم» قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجبر واحداً ونفراً يسيراً، وقول فاطمة فمن يجبر عدداً من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك. قال كان سحنون وابن الماجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام لقوله لأم هانئ «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ» قال ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد وفي قوله عليه السلام «ويجبر عليهم أدناهم» ما يقتضي دخول العبد والمرأة والله أعلم وقد روى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو^(٢) عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قالت خزاعة^(٣):

اللهم إني ناشدُ محمداً
فانصر هداك الله نصراً أعتداً
جلفَ أبينا وأبيه الأتلداً
وادعُ عبادَ الله يأتوا مدداً

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة: ثم إن بني نفاثة من بني الدئل أغاروا على بني كعب، وهم في المدة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ، وكانت بنو نفاثة في صلح قريش، فأعانت بنو بكر بني نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق، واعتزلتهم بنو مدلج، ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ وفي بني الدئل رجلان هما سيدهم؛ سلمى^(٤) بن الأسود وكلثوم بن الأسود، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن أمية، وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمرو، فأغار بنو الدئل على بني عمرو وعامتهم - زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال - فألجؤهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بُذيل بن ورقاء بمكة، فخرج ركب من بني كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ فذكروا له الذي أصابهم، وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك، فقال لهم رسول الله ﷺ «ارجعوا فتفرقوا في البلدان» وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله ﷺ وتخوف الذي كان، فقال: يا محمد اشدد العقد وزدنا في المدة، فقال رسول الله ﷺ «ولذلك قدمت، هل كان من حديث قبلكم؟» فقال: معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل، فخرج من عند رسول الله ﷺ وأتى أبا بكر فقال: جدد العقد وزدنا في المدة؟ فقال أبو بكر: جوارى في جوار رسول الله ﷺ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر بن الخطاب: ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله، وما كان منه مثبتاً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعاً

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٣٨/٤)، ونقله عنه البيهقي في «الدلائل» (١١/٥ - ١٢).

(٢) وهو محمد بن عمرو بن وقاص الليثي.

(٣) من البيهقي، وفي الأصل بنو كعب. انظر «الدلائل» (١٣/٥).

(٤) في «البيهقي» عن موسى بن عقبة: سلم.

فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان : جزيت من ذي رحم شراً^(١) ، ثم دخل على عثمان فكلمه فقال عثمان : جوارى في جوار رسول الله ﷺ ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم ، فكلهم يقول : عقدنا في عقد رسول الله ﷺ ، فلما يشس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلمها فقالت : إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال لها : فأمرني أحد ابنيك ، فقالت : إنهما صبيان ليس مثلهما يجير ، قال : فكلمي علياً ، فقالت : أنت فكلمه ، فكلم علياً ، فقال له : يا أبا سفيان إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوارٍ ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها فأجر بين عشيرتك ، قال : صدقت وأنا كذلك ، فخرج فصاح ألا إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفني أحد ، ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يا محمد إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفني أحد ولا يرد جوارى؟ فقال «أنت تقول [ذلك]»^(٢) يا أبا حنظلة فخرج أبو سفيان على ذلك فزعموا - والله أعلم - أن رسول الله ﷺ قال حين أدبر أبو سفيان «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعوا بنا إلا فجأة» وقدم أبو سفيان مكة فقالت له قريش : ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال لا والله لقد أبي علي وقد تتبعته أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن علي بن أبي طالب قد قال لي : التمس جوار الناس عليك ولا تجير أنت عليه وعلى قومك وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا تخفر جواره فقامت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أني قد أجرت بين الناس ، وقلت : ما أظن أن تخفني؟ فقال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ، فقالوا - مجيبين له - رضيت بغير رضى ، وجئتنا بما لا يغني عنا ولا عنك شيئاً وإنما لعب بك علي لعمر الله ما جوارك بجائر وإن إخفارك عليهن لهين ، ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم فما جئت بخير ، قال ورأى رسول الله ﷺ سحاباً فقال «إن هذه السحاب لتبض»^(٣) بنصر بني كعب فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج [من عنده] أبو سفيان ، ثم أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفي ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى ، فقال لها : يا بنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت فقال : أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت . فقال : يريد بني الأصفر - وهم الروم -؟ [فذكر من ذلك أمراً فيه منهم بعض المكروه في ذلك الزمان] فصمتت قال : فلعله يريد أهل نجد [فذكر منهم نحواً من ذلك]؟ فصمتت . قال : فلعله يريد قريشاً؟ فصمتت قال : فدخل رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً؟ قال : نعم ، قال : فلعلك تريد بني الأصفر؟ قال : لا ؛ قال : أتريد أهل نجد؟ قال : لا ، قال فلعلك تريد قريشاً؟ قال : نعم ، قال أبو بكر يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة؟ قال «ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب»! قال : وأذن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب وذكر القصة كما سيأتي^(٤) . وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة : أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة فقال ما هذا؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز؟ قالت : نعم فتجهز ، قال : وإلى أين؟ قالت ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمر بالجد والتهيؤ وقال «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها» فتجهز الناس فقال حسان يجرض الناس ويذكر مصاب خزاعة :

رجال بني كعب تُحزُّ رقابها^(٥)
وقتلى كثير لم تجن ثيابها
سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فهذا أو أن الحرب شدَّ عصابها

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة
بأيدي رجال لم يسألوا سيوفهم
ألا ليت شعري هل تنالن نضرتي
وصفوان عوداً حز من شفر استه^(٦)

(١) في «البيهقي» عنه : سوءاً .

(٢) من «البيهقي» .

(٣) في رواية البيهقي : لينصب .

(٤) رواية موسى بن عقبة رواها ابن عبد البر مختصرة في «الدور» (٢١١ - ٢١٢) ونقلها البيهقي بتمامها في «الدلائل» ح (٩/٥) ،

(١٢) وصححت الرواية من «الدلائل» وما بين معكوفين فيها زيادات استدركت من «الدلائل» عن موسى بن عقبة .

(٥) صدره في الديوان : غنا فلم نشهد ببطحاء مكة . . . رعاة الخ .

(٦) في «ابن هشام» : وصفوان عوداً حز .

فلا تأمئنا يا بن أم مجالد إذا احتلبت صزفاً وأعصل نابها^(١)
ولا تجزعوا منها فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يُفْتَحُ بابها

قصة حاطب بن أبي بلتعة^(٢)

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر، عن عروة بن الزبير، وغيره من علمائنا قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال «أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم» فخرجا حتى أدركاها بالخليفة^(٣) حليفة بني أبي أحمد، فاستنزلاها فالتمساه في رحلها، فلم يجدا فيه شيئاً فقال لها علي: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبتنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجدم منه، قالت: أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال «يا حاطب ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكنني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق؟ فقال رسول الله ﷺ «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» وأنزل الله في حاطب ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ فِيهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ إلى آخر القصة. هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسله. وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب حاطب: أن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده. قال وفي «تفسير ابن سلام» أن حاطباً كتب؛ إن محمداً قد نفر فإما إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحذر^(٤). وقد قال البخاري: ثنا قتيبة، ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع سمعت علياً يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد^(٥) فقال «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ^(٦) فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها» فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجني الكتاب، فقالت ما معي، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الشياب. قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه

- (١) عجزه في الديوان: إن لقحت حرب وأعصل نابها. وابن أم مجالد هو عكرمة بن أبي جهل.
- (٢) الخليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة. وفي «ابن هشام»: خليفة ورواه أبو ذر «الخليفة» وتروى خليفة بالفاء قال أبو ذر: اسم موضع.
- قال ياقوت: خليفة: منزل على اثني عشر ميلاً من المدينة بينها وبين ديار بني سليم.
- (٣) حاطب بن أبي بلتعة من ولد لخم بن عدي يكنى أبا عبد الله وقيل يكنى أبا محمد واسم أبي بلتعة عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي حليف قريش قاله ابن عبد البر في «الاستيعاب» وقيل إنه من مذحج وقيل هو حليف للزبير بن العوام ويقال كان عبداً لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي فكتابه وأدى كتابته يوم الفتح.
- بعثه رسول الله ﷺ سنة ست بكتاب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية شهد بدراً والحديبية ومات سنة ثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عثمان بن عفان. انظر ترجمته في «طبقات ابن سعد» (١١٤/٣) «المستدرک» (٣٠٠/٣) «الإصابة» (٣٠٠/١) «شذرات الذهب» (٣٧/١) «مجمع الزوائد» (٣٠٣/٩).
- (٤) جاء في «مغازي الواقدي» كتب حاطب إلى ثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل: «إن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد بكتابي إليكم». ودفع الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العرج يقال لها كنود.
- (٥) اختلفت الروايات فيمن أرسل النبي ﷺ ليلحق بالمرأة ليأتي بكتاب ابن أبي بلتعة. ففي رواية: علي والزبير والمقداد، وفي رواية أبي عبد الرحمن السلمي؛ علي وأبا مرثد الغنوي والزبير. وفي رواية الواقدي: علي والزبير ووافقه الطبري في «تاريخه». وفي «ابن سعد»: علي والمقداد.
- (٦) روضة خاخ: على بريد من المدينة.

من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال «يا حاطب ما هذا؟» فقال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأً ملصقاً^(١) في قريش - يقول كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات [بمكة] يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون [بها] قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ «أما إنه قد صدقكم» فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال «إنه قد شهد بداراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بداراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(٢) فأنزل الله سورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة: ١] وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة. وقال الترمذي حسن صحيح. وقال الإمام أحمد ثنا حجين ويونس قالا: حدثنا ليث بن سعد، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله: أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله ﷺ أراد غزوهم، فدل رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب فأرسل إليها، فأخذ كتابها من رأسها وقال «يا حاطب أفعلت؟» قال نعم، قال أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً. قد علمت أن الله مظهر رسوله و متم له أمره غير أني كنت غريباً بين ظهرائهم وكانت والدي معهم فأردت أن اتخذ يداً عندهم، فقال له عمر: ألا أضرب رأس هذا؟ فقال «أنتقل رجلاً من أهل بدر وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم»^(٣). تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد وإسناده على شرط مسلم والله الحمد.

فصل

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري^(٤)، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد^(٥) بين عسفان وأمج أفطر، ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، وقال عروة بن الزبير: كان معه اثنا عشر ألفاً. وكذا قال الزهري وموسى بن عقبة، فسبعت سليم، وبعضهم يقول ألفت سليم، وألفت مزينة. وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم أحد^(٦). وروى البخاري: عن محمود، عن عبد الرزاق، عن معمر عن الزهري نحوه. وقد روى البيهقي: من حديث عاصم بن علي، عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهري: أخبرني عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان. قال: وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك، لا أدري أخرج في ليالٍ من شعبان، فاستقبل رمضان، أو خرج في رمضان بعدما دخل؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال: صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكديد - الماء الذي بين قديد وعسفان - أفطر، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر^(٧). ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن الليث غير أنه لم يذكر التردد بين شعبان ورمضان. وقال البخاري: ثنا علي بن عبد الله، ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن طاووس عن ابن عباس قال: سافر رسول الله ﷺ في رمضان، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فشرب نهاراً ليراه الناس، فأفطر حتى قدم مكة. قال وكان ابن عباس يقول: صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر فممن شاء صام، ومن شاء أفطر. وقال

(١) الملصق: الرجل المقيم في الحي والحليف لهم؛ وقال السهيلي: كنت عريراً؛ والعريز: الغريب.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «الجهاد» - باب الجاسوس ح (٣٠٠٧) وفي تفسير سورة المتحنة ح (٤٨٩٠) وفي كتاب «المغازي»

(٤٦) باب. وأخرجه مسلم في كتاب «فضائل الصحابة» (٣٦) باب ح (١٦١) وأبو داود في «الجهاد»، والترمذي في تفسير

سورة المتحنة، وأبو يعلى والحاكم وعبد بن حميد والواقدي وابن مردويه.

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٧٩/١).

(٤) في «ابن سعد»: عبد الله بن أم مكتوم.

(٥) الكديد: موضع بين مكة والمدينة بين منزلتي أمج وعسفان، وهو اسم ماء، وهو أقرب إلى مكة من عسفان.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٤٢/٤)، وأخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٤٧) باب الحديث (٤٢٧٦) ونقله البيهقي في «الدلائل» (٢١/٥).

(٧) «دلائل النبوة» (٢١/٥) والبخاري في كتاب «المغازي» (٤٧) باب الحديث (٤٢٧٥).

يونس عن ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وخرج لعشر مضي من رمضان، فصام، وصام الناس معه حتى أتى الكديد بين عسفان وأمع فأفطر، ودخل مكة مفطراً فكان الناس يرون آخر الأمرين من رسول الله ﷺ الفطر، وأنه نسخ ما كان قبله، قال البيهقي: فقوله خرج لعشر من رمضان مدرج في الحديث، وكذلك ذكره عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق، ثم روى: من طريق يعقوب بن سفيان، عن جابر^(١) عن يحيى عن صدقة عن ابن إسحاق أنه قال: خرج رسول الله ﷺ لعشر مضي من رمضان سنة ثمان. ثم روى البيهقي: من حديث أبي إسحاق الفزاري، عن محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان الفتح لثلاث عشر خلت من شهر رمضان. قال البيهقي: وهذا الإدراج وهم إنما هو من كلام الزهري، ثم روى: من طريق ابن وهب، عن يونس، عن الزهري قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح - فتح مكة - فخرج من المدينة في رمضان، ومعه من المسلمين عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمانين سنة ونصف سنة من مقدمه المدينة. وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان. وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر. فقال^(٢) الزهري: وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث. قال الزهري: فصبح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، ثم عزاه إلى «الصحيحين»^(٣) من طريق عبد الرزاق والله أعلم. وروى البيهقي: من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي، عن عطية بن قيس [عن قزعة بن يحيى]^(٤) عن أبي سعيد الخدري قال: أذننا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان، فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر، فأصبح الناس مرحى^(٥) منهم الصائم ومنهم المفطر، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقى العدو [فيه]^(٦) أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين^(٧). وقد رواه الإمام أحمد: عن أبي المغيرة عن سعيد بن عبد العزيز، حدثني عطية بن قيس، عن حدثه عن أبي سعيد الخدري قال: أذننا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر حتى إذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون.

قلت: فعلى ما ذكره الزهري من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان يقتضي أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة. ولكن روى البيهقي: عن أبي الحسين بن الفضل، عن عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن سفيان، عن الحسن بن الربيع، عن ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعمرو بن شعيب، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا: كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان^(٨). قال أبو داود الطيالسي^(٩): ثنا وهيب، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر عن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركباناً وذلك في شهر رمضان فقبل يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت؟ فدعا رسول الله ﷺ بقدر فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون، فصام بعض الناس، وأفطر البعض حتى

(١) في «البيهقي»: عن حامد بن يحيى.

(٢) في «البيهقي»: قال الأزهري وكان الفطر آخر الأمرين، وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر وهو أيضاً كذلك في البخاري.

(٣) في البخاري في كتاب «المغازي» (٤٧) باب الحديث (٤٢٧٦) ومسلم في (١٣) كتاب «الصيام» (١٥) باب ح (٨٨) وجاء في نسخ «البدية المطبوعة» في «الصحيحين» وهو تحريف.

(٤) سقطت من الأصل، واستدركت من «دلائل البيهقي».

(٥) وفي «البيهقي»: شرحين، وفي «سيرة ابن كثير» مرضى.

(٦) من «دلائل البيهقي».

(٧) الخبر في «دلائل النبوة» للبيهقي (٢٤/٥) وأخرجه الترمذي في «صحيحه» (٢٤) كتاب «الجهاد» (١٣) باب وقال: حديث حسن صحيح.

(٨) «دلائل البيهقي» (٢٤/٥).

(٩) في رواية البيهقي عن أبي داود قال: حدثنا وهيب، عن جعفر بن محرز عن أبيه عن جابر بن عبد الله.

أخبر النبي ﷺ أن بعضهم صائم فقال رسول الله ﷺ «أولئك العصاة»^(١) وقد رواه مسلم من حديث الثقيفي والدراوردي عن جعفر بن محمد. وروى الإمام أحمد: من حديث محمد بن إسحاق حدثني بشير بن يسار عن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان. فصام وصام المسلمون معه، حتى إذا كان بالكديد دعا بماء في قعب وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون يعلمهم أنه قد أفطر، فأفطر المسلمون، تفرد به أحمد.

فصل

في إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة.

قال ابن إسحاق: وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق، قال ابن هشام: لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهري. قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العقاب، فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله إن ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال «لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال»^(٢) قال فلما خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بني له فقال: والله ليأذنن لي أو لأخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض ثم نموت عطشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما^(٣)، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذر إليه بما كان مضى منه:

لَتَغْلِبَ خَيْلُ خَيْلِ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأَهْتَدَى
مَعَ اللَّهْ مِنْ طَرْدَتْ كُلَّ مَطْرَدٍ^(٤)
وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُسَلِّمُ وَيَفْتَدُ
مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدِ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ
وَقَلَّ لِثَقِيفٍ تَلِكِ عَيْرِي أَوْ عِدِي
وَمَا كَانَ عَنِ جَرِي لِسَانِي وَلَا يَدِي
نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ بِيْهَامٍ وَسُرْدُدٍ^(٥)

لَعَمْرُكَ أَنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةَ
لِكَا لِمُذَلِّجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
هَذَا بِي هَادٍ غَيْرِ نَفْسِي وَنَالِنِي
أَصْدُ وَأَنْأَى جَاهِدًا عَنِ مُحَمَّدٍ
هَمُوا مَا هَمُّوا مِنْ لَمْ يَقْلُ بِهَوَاهِمِ
أَرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَانِي
فَقَلَّ لِثَقِيفٍ لَا أَرِيدُ قِتَالَهَا
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرِ
قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بِعَمِيدَةٍ

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ ونالني مع الله من طردت كل مطرد، ضرب رسول الله ﷺ يده في صدره وقال «أنت طردتني كل مطرد».

- (١) في «مسلم»: «أولئك العصاة أولئك العصاة» هكذا هو مكرر مرتين. وهذا محمول على من تضرر بالصوم. أو أنهم امرؤ بالفطر أمراً جازماً، لمصلحة بيان جوازه، فخالفوا الواجب، وعلى التقديرين لا يكون الصائم اليوم في السفر، عاصياً إذا لم يتضرر به.
- (٢) قال له يومذاك: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا انظر؛ ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك. قاله السهيلي «الروض» (٢/٢٦٧).
- وقال الواقدي في «مغازيه»: لما بعث رسول الله ﷺ عاداه معاداة لم يعاد أحد قط. ولم يكن دخل الشعب وهجا رسول الله ﷺ وهجا أصحابه. ومكث على قول الواقدي عشرين سنة عدواً لرسول الله، لا يتخلف عن موضع تسير فيه فريش لقتال رسول الله ﷺ.
- (٣) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٤٢/٤) و«مغازي الواقدي» (٨١٠/٢) وقال الواقدي وجهاً آخر لإسلام أبي سفيان رواه من طريق عبد الرحمن بن سابط. راجع «المغازي» (٨٠٦/٢).
- (٤) لما التقى به رسول الله ﷺ في نيق العقاب ذكره به قائلاً: بل الله طردك كل مطرد. فقال: يا رسول الله هذا قول قلته بجهالة وأنت أولى الناس بالمعروف والحلم.
- (٥) سهام وسردد: موضعان من أرض عك.

فصل

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى مر الظهران نزل فيه فأقام كما روى البخاري: عن يحيى بن بكير عن الليث، ومسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب كلاهما عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران نجتني الكباث^(١)، وإن رسول الله ﷺ قال «عليكم بالأسود منه فإنه أطيب» قالوا: يا رسول الله أكنت ترعى الغنم؟ قال: «نعم وهل من نبي إلا وقد رعاها» وقال البيهقي: عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن سنان بن إسماعيل، عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال: لما فرغ أهل مؤتة^(٢) ورجعوا أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى مكة، فلما انتهى إلى مر الظهران نزل بالعقبة، فأرسل الجناة يجتنون الكباث، فقلت لسعيد وما هو؟ قال ثمر الأراك، قال: فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني، قال: فجعل أحدهم إذا أصاب حبة طيبة قذفها في فيه، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقى ابن مسعود وهو يرقى في الشجرة فيضحكون، فقال رسول الله ﷺ: «تعجبون من دقة ساقيه فوالذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد» وكان ابن مسعود ما اجتني من شيء جاء به وخياره إلى رسول الله ﷺ فقال في ذلك:

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلَّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ^(٣)

وفي «الصحيحين» عن أنس قال: أنفجنا أرنباً ونحن بمر الظهران فسعى القوم فلغبوا فأدركتها فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها وفخذها قبله. وقال ابن إسحاق: ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران، وقد عُمت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به^(٤). وذكره ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة أن رسول الله ﷺ بعث بين يديه عيوناً خيلاً يقتصون العيون وخزاعة لا تدع أحداً يمضي وراءها، فلما جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين وقام إليه عمر يجا في عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب وكان صاحباً لأبي سفيان^(٥). قال ابن إسحاق: وقال العباس حين نزل رسول الله ﷺ مر الظهران، قلت: واصباح قريش! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت: لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ يخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة، قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سفيان، وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً. قال يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، قال يقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة؟ فعرف صوتي، فقال أبو الفضل؟ قال قلت: نعم، قال مالك فدى لك أبي وأمي؟ قال قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس، فقال: واصباح قريش والله، فما الحيلة فذاك أبي وأمي؟ قال قلت: والله لئن ظفرك بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأسأمنه لك، قال فركب خلفي ورجع صاحبه^(٦). وقال عروة: بل ذهبنا إلى النبي ﷺ فأسلمنا وجعل يستخبرهما عن أهل مكة^(٧). وقال الزهري وموسى بن عقبة: بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ^(٨). قال ابن إسحاق: قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا؟ فإذا رأوا بغلة

(١) الكباث: النضيج من ثمر الأراك، حبة فويق حب الكزبرة في القدر.

(٢) من البيهقي: وفي الأصل: أهل مكة ولعله سهو من الناسخ.

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢٩/٥) ورواه الحاكم في «المستدرک» (٣١٧/٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٤٢/٤).

(٥) الخبر نقله البيهقي في «الدلائل» (٣٦/٥).

(٦) «سيرة ابن هشام» (٤٤/٤).

(٧) «الدرر» لابن عبد البر (٢١٦) ونقل الخبر البيهقي في «الدلائل» (٣٧/٥).

(٨) وهذه رواية الواقدي عن ابن عباس: قال: دخلوا مع العباس الثلاثة على رسول الله ﷺ فمكثوا عنده عامة الليلة يستخبرهم =

رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد؟ وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ في رقبة أبي سفيان وأراد قتله فممنعه منه العباس. وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمة جمالهم فقالوا من أنتم؟ قالوا وفد رسول الله ﷺ فلقبهم العباس فدخل بهم على رسول الله ﷺ فحدثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا وأن محمداً رسول الله ﷺ فشهد حكيم وبديل وقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح ثم سأله أن يؤمن قريشاً فقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلا مكة - ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن - وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابيه فهو آمن» قال العباس: ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقت الدابة البطيئة الرجل البطيء، قال: فافتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلاضرب عنقه؟ قال قلت: يا رسول إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأنه قال قلت: مهلاً يا عمر فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب [لو أسلم]^(١)، فقال رسول الله ﷺ «أذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به» قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي فلما أصبح غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلما [رآه قال] «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» فقال بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، قال «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك؟ قال: فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس: فقلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً؟ قال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» زاد عروة: ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن» وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري «ومن أغلق عليه بابيه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها» وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان وبديلاً وحكيم بن حزام كانوا وقوفاً مع العباس عند خطم الجبل، وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة. اليوم تستحل الحرم، فشكى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فعزله عن راية الأنصار وأعطاهم الزبير بن العوام^(٢) فدخل بها من أعلا مكة وغرزها بالحجون، ودخل خالد من أسفل^(٣) مكة فلقية بنو بكر وهذيل فقتل من بني بكر عشرين^(٤) ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهمزوا فقتلوا بالحزورة^(٥) حتى بلغ قتلهم باب المسجد قال العباس: فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه، قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول سليم فيقول ما لي ولسليم، ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء؟ فأقول مزينة فيقول ما لي ولزينة، حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألتني عنها، فإذا أخبرته قال ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة

= رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام فأما حكيم وبديل فأسلما، وأما أبو سفيان فأرجأها (٢/٨١٥).

- (١) من «ابن هشام».
- (٢) في «الواقدي»: أن رسول الله عزله وأعطاهم ابنة قيس بن سعد، وفي رواية أخرى له؛ قال: ويقال أن رسول الله أعطاهم علياً بن أبي طالب فغرزها عند الركن.
- (٣) في «الواقدي»: من الليط، وهو موضع بأسفل مكة «معجم ما استعجم».
- (٤) في «الواقدي»: قتل أربعة وعشرين رجلاً من قريش.
- (٥) الحزورة: سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه. «معجم البلدان».

عظيماً! قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: فنعلم إذن، قال قلت النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلا صوته يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قُبِح من طليعة قوم، فقال أبو سفيان: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله وما تغني عنا دارك؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لما مر بأبي سفيان قال له: إني لأرى وجوهاً كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه علي؟ فقال له رسول الله: «أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقوني، إذ كذبتُموني ونصروني إذ أخرجتُموني» ثم شكى إليه قول سعد بن عباد بن عباد حين مر عليه فقال: يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمه. فقال رسول الله: «كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة» وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس يجنحون للصلاة ويتشرون في استعمال الطهارة خاف وقال للعباس ما بالهم؟ قال إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة، فلما حضرت الصلاة ورأهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال: يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه؟ قال: نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه. وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضع رسول الله ﷺ جعلوا يتكففون، فقال يا عباس ما رأيت كالكعبة ولا ملك كسرى وقيصر^(١). وقد روى الحافظ البيهقي: عن الحاكم وغيره، عن الأصم، عن أحمد بن الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكائي عن ابن إسحاق منقطعة فالله أعلم. على أنه قد روى البيهقي: من طريق أبي بلال الأشعري عن زياد البكائي، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري عن عبيد الله بن عباس قال: جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ قال فذكر القصة إلا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» قال أبو سفيان وما تسع الكعبة؟ فقال «ومن دخل المسجد فهو آمن» قال وما يسع المسجد فقال «ومن أغلق عليه بابه فهو آمن» فقال أبو سفيان: هذه واسعة. وقال البخاري: حدثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه كأنها نيران عرفة؟ فقال بديل بن ورقاء بن نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك، فرأهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس «احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين» فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع رسول الله ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه؟ قال هذه غفار قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم يرد مثلها فقال من هذه؟ قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عباد بن عباد، فقال سعد بن عباد، يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عباد قال ما قال؟ قال كذا وكذا فقال «كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله الكعبة»، ويوم تكسى فيه الكعبة» وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون. قال عروة: أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: هاهنا أمر رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ قال: نعم، قال: وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلا مكة من كداء ودخل رسول الله ﷺ من كُدَى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حنيش بن الأشعر^(٢) وكرز بن جابر

(١) رواية عروة نقلها البيهقي في «الدلائل» (٣٨/٥) ورواية ابن عقبة أخرجها ابن عبد البر في «الدرر» (٢١٧) ونقلها عنه البيهقي في «الدلائل» (٤٠/٥).

(٢) في رواية البيهقي عنه: حبيش بن الأشقر وهو حبيش بن خالد بن ربيعة بن الأشقر الكعبي أخو أم معبد. وفي «ابن سعد» خالد الأشقر الخزاعي.

الفهري. وقال أبو داود: ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا يحيى بن آدم، ثنا [ابن] (١) إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران، فقال له العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئاً؟ قال «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» (٢).

صفة دخوله ﷺ مكة

ثبت في «الصحيحين» من حديث مالك عن الزهري عن أنس: أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فلما نزع جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتلوه (٣) قال مالك: ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى والله أعلم محرماً. وقال أحمد: ثنا عفان، ثنا حماد، أنبا أبو الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذي حسن صحيح. ورواه مسلم عن قتبية ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهني، عن أبي الزبير، عن جابر: «أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام» (٤). وروى مسلم من حديث أبي أسامة عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال: كآني أنظر إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه (٥). وروى مسلم في «صحيحه» والترمذي والنسائي من حديث عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء. وروى أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم عن شريك القاضي عن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر قال: كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب، وكانت قطعة من مرط مرجل (٦). وقال البخاري: ثنا أبو الوليد ثنا شعبة، عن عبد الله بن قررة قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت (٧).

وقال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء (٨)، وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عشونه ليكاد يمس واسطة الرحل. وقال الحافظ البيهقي: أنبا أبو عبد الله الحافظ، أنبا دعلج بن أحمد، ثنا أحمد بن علي الأبار، ثنا عبد الله بن أبي بكر المقدسي (٩) ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً. وقال أنبا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو بكر [محمد بن أحمد] بن بالويه، ثنا أحمد بن [محمد بن] صاعد ثنا إسماعيل بن أبي الحارث، ثنا جعفر بن عون، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس عن ابن مسعود أن رجلاً كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة، فقال [النبي ﷺ]: «هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل

(١) من «سنن أبي داود»، سقطت من الأصل.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» - كتاب «الخروج» و «الإمارة» باب ما جاء في خبر مكة الحديث (٣٠٢١) (٣/١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في (٢٨) كتاب «جزاء الصيد» (١٨) باب. وأخرجه مسلم في (١٥) كتاب «الحج» (٨٤) باب الحديث (٤٥٠) وأخرجه مالك في «الموطأ» في (٢٠) كتاب «الحج» (٨١) باب الحديث (٢٤٧) (١/٤٢٣) بالزيادة، ولم يذكرها صاحبها الصحيحين. ونقله البيهقي في «الدلائل» (٥/٦٣).

(٤) «صحيح مسلم» الحديث (٤٥١) من كتاب «الحج» (٨٤) باب ونقله البيهقي في «دلائله» (٥/٦٧).

(٥) «صحيح مسلم» - كتاب «الحج» - (٨٤) باب. حديث (٤٥٣) وأخرجه النسائي في «سننه» (٨/٢١١). والبيهقي في «الدلائل» (٥/٦٨).

(٦) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٤/١٩) ونقل الخبر البيهقي (٥/٦٨).

(٧) أخرجه البخاري عن أبي الوليد في «المغازي»، وعن مسلم بن إبراهيم في «التفسير» وعن حجاج بن منهال في كتاب «فضائل القرآن» وعن أحمد بن أبي سريج في كتاب «التوحيد» (٥٠) باب، وأخرجه مسلم في كتاب «الصلاة». باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة.

(٨) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٤/٤٧). والحبرة: ضرب من ثياب اليمن. ونقل الخبر عنه البيهقي في «الدلائل» (٥/٦٨).

(٩) من «دلائل البيهقي» (٥/٦٨). وفي الأصل: المقدسي.

القديد»^(١) قال: وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى بن زهير عن إسماعيل بن أبي الحارث موصولاً. ثم رواه عن أبي زكريا المزكي، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب، عن محمد بن عبد الوهاب، عن جعفر بن عوف عن إسماعيل عن^(٢) قيس مرسلأ وهو المحفوظ وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكة في مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم بخلاف ما اعتمده سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجدوا - أي ركع - يقولون حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون حنطة في شعرة. وقال البخاري: ثنا القاسم بن خارجة، ثنا حفص بن ميسرة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن عائشة أخبرته: أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلا مكة، تابعه أبو أسامة ووهب في كداء. حدثنا عبيد الله بن إسماعيل ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه: دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلا مكة من كداء وهو أصبح إن أراد أن المرسل أصبح من المسند المتقدم انتظم الكلام، وإلا فكداء بالمد هي المذكورة في الروايتين وهي في أعلا مكة وكذى مقصور في أسفل مكة وهذا هو المشهور والأنسب. وقد تقدم أنه عليه السلام بعث خالد بن الوليد من أعلا مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كذى وهو في «صحيح البخاري» والله أعلم. وقد قال البيهقي: أنبا أبو الحسن^(٣) بن عبدان، أنبا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا معن، ثنا عبد الله بن عمر بن حفص^(٤)، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح وأتى النساء يلطمن وجوه الخيل [بالخُمُر]^(٥) فتبسم إلى أبي بكر وقال: «يا أبا بكر كيف قال حسان؟» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

عَدِمْتُ بِنِيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ التُّقَعُ مِنْ كَتَفِي كِدَاءِ
يَنَازِعَنَّ الْأَعْنَةَ مَسْرَجَاتِ يَلْطُمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النَّسَاءِ

فقال رسول الله ﷺ «ادخلوها من حيث قال حسان». وقال محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية اظهري بي على أبي قبيس، قالت وقد كف بصره، قالت فأشرفت به عليه، فقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت أرى سواداً مجتمعاً قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: أي بنية ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله إذن دُفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، قال: وفي عنق الجارية طوق من وَرِقٍ^(٦) فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟» قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه. فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال: أسلم فأسلم، قالت: ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة بياضاً. فقال رسول الله ﷺ «غيروا هذه من شعره» ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي؟ فلم يجبه أحد؛ قالت^(٧) فقال: أي أختي احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل. يعني به الصديق ذلك اليوم على التعيين لأن الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربي والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي: أنبا [أبو] عبد الله الحافظ، أنبا أبو العباس الأصم، أنبا بحر بن نصر، أنبا ابن وهب، أخبرني ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر: أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة

(١) الخبر في «الدلائل». وما بين معكوفين فيه. زيادة استدركت منها انظر (٦٩/٥).

(٢) من «الدلائل»، وفي الأصل بن تحريف.

(٣) من «دلائل البيهقي»، وفي الأصل أبو الحسين.

(٤) العبار في «دلائل البيهقي»: ثنا عبد الله بن الصقر قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا معن قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن جعفر بن حفص.

(٥) سقطت من الأصل واستدركت من «الدلائل» (٦٦/٥).

(٦) ورق: أي قلادة من فضة. قال الواقدي واسم بنت أبي قحافة: قُريبة.

(٧) من ابن هشام وفي الأصل قال تحريف.

(٨) من «دلائل البيهقي» سقطت من الأصل.

فأتى به النبي ﷺ فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال «غيروه ولا تقربوه سواداً» قال ابن وهب وأخبرني عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم: أن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلام أبيه^(١). قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي نجيع أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذي طوى، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء^(٢)، وكان الزبير على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادَةَ أن يدخل في بعض الناس من كدى^(٣)، قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل [من المهاجرين]^(٤) قال ابن هشام يقال: إنه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله أتسمع ما يقول سعد بن عبادَةَ؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ لعليّ «أدرکه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها».

قلت: وذكر غير محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادَةَ حين مر به، وقال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة - يعني الكعبة - فقال النبي ﷺ «بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة» وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من سعد بن عبادَةَ كالتأديب له، ويقال إنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد. وقال موسى بن عقبة عن الزهري دفعها إلى الزبير بن العوام فإله أعلم.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار، ثنا عبد الله بن السري الأنطاكي، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد. وحدثني موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادَةَ فجعل يهزها ويقول: اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة. قال فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم، قال فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيره وأنشأت تقول^(٥):

حين ضاقت عليهم سعة الأرب	ض وعاداهم إله السماء ^(٦)
إن سعداً يريد قاصمة الظه	ر بأهل الحُجُون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغي	ظ زمانا بالنَّسِرِ والقَوَاءِ
فانهيئته فإنه الأسد الأس	ود والليث والغ في الدماء
فلئن أقحم اللواء ونادي	يا حماة اللواء أهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش	بُقعة القاع في أكف الإماء
إنه مصلت يريد لها الرأ	ي صموت كالحيّة الصماء

قال: فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادَةَ ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد، قال: فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا يخيبها إذ رغبت إليه واستغاثت به، وأحب أن لا يغضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه. قال ابن إسحاق: وذكر ابن أبي نجيع في حديثه: أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة

(١) «دلائل البيهقي» (٩٦/٥). ونقله الصالحي في «السيرة الشامية» (٣٥٢/٥) وخبر إسلام أبي قحافة في «مسند الإمام» والطبراني «برجال ثقات» والواقدي عن أسماء (٨٢٤/٢) و «نهاية الأرب» (٣١٠/١٧).

(٢) في «ابن هشام»: كدى وهو موضع بأسفل مكة. وكداء موضع بأعلى مكة وهي الثنية التي عند المقبرة وتسمى تلك الناحية المعلاة. ومنها «كداء» دخل النبي مكة.

(٣) في «ابن هشام»: كداء.

(٤) من «ابن هشام».

(٥) نسب السهيلي هذه الأبيات إلى ضرار بن الخطاب انظر «الروض» (٢٧١/٢).

(٦) بعده في «الروض»:

ونودوا بالصيلم الصلحاء

والتقت حلقتا البطان على القوم

بين يدي رسول الله ﷺ ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر^(١) حتى نزل بأعلا مكة فضربت له هنالك قبته^(٢). وروى البخاري: من حديث الزهري عن علي بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله أين تنزل غداً؟ فقال «وهل ترك لنا عُقيل من رباح» ثم قال «لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر»^(٣). ثم قال البخاري ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا أبو الزناد^(٤) عن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله، الخيف حيث تقاسموا على الكفر»^(٥) وقال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا إبراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر»^(٦) ورواه البخاري من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه. وقال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخدمة ليقاتلوا، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه، فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، فقالت: والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم ثم قال:

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلِيهِ

وَذُو غَرَارِيْنِ سَرِيْعُ السُّلْةِ

قال ثم شهد الخدمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحبيش^(٧) بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ وكانا في جيش خالد، فشذا عنه، فسلكا غير طريقه فقتلا جميعاً وكان قتل كرز قبل حبيش^(٨) قالوا: وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامرأته أغلق علي بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إِنْكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ
وَأَبُو يَزِيدٍ قَائِمٌ كَالْمَوْتَمَةِ وَاسْتَقْبَلْتَهُمْ بِالسِّيْفِ الْمَسْلَمَةِ^(٩)
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجَمَجَمَهُمْ ضَرْباً فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمُهُ
لَهُمْ نَهَيْتْ خَلْفَنَا وَهَمَمَهُمْ لَمْ تَنْطَقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات للرعاش الهذلي، قال وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الأوس يا بني عبيد الله. وقال الطبراني ثنا علي بن سعيد الرازي، ثنا أبو حسان الزيادي، ثنا شعيب بن صفوان، عن عطاء بن السائب، عن طاووس، عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام، وأنه لا يحل لأحد قبلي، وإنما حل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان» فقيل له هذا خالد بن الوليد يقتل؟ قال «قم يا فلان

(١) أذاخر: ثنية بين مكة والمدينة؛ «معجم ما استعجم».

(٢) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٤٩/٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» الحديث (٤٢٨٢)، وأخرجه مسلم في (١٥) كتاب «الحج» (٨٠) باب الحديث (٤٤٠) وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠١/٥ - ٢٠٢). وابن ماجه في كتاب «المناسك» (٢٦) باب.

(٤) من «صحيح البخاري»، وفي الأصل أبو الزبير تحريف.

(٥) أخرجه البخاري: «فتح الباري» (١٤/٨) الحديث رقم (٤٢٨٤).

- والخيف ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

- قوله تقاسموا على الكفر: أي قريشاً لما تحالفت أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يؤوهم وحصروهم في الشعب.

(٦) «مسند الإمام أحمد» (٢٠٢/٥).

(٧) في «ابن هشام»: خنيس، وفي المطبوعة: حنيس، والصواب كما تقدم حبيش.

(٨) في «ابن هشام»: قتل خنيس بن خالد قبل كرز، فجعله كرز بين رجله، ثم قاتل عنه حتى قتل.

(٩) أبو يزيد: يقصد سهيل بن عمرو. والمؤتمة: الاسطوانة من قولهم وتم وأتم إذا ثبت. وتروى المؤتمة. ومعناها الأيم التي مات عنها زوجها. قاله السهيلي في «الروض» (٢٧٢/٢).

فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل» فاتاه الرجل فقال إن النبي ﷺ يقول اقتل من قدرت عليه، فقتل سبعين إنساناً فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل إلى خالد فقال «لم أنك عن القتل؟» فقال: جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه، فأرسل إليه «لم أمرك؟» قال أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك، وما استطعت إلا الذي كان. فسكت عنه النبي ﷺ فما رد عليه شيئاً. قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم؛ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال «نعم» فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي قد صمت فيقتله» فقالوا يا رسول الله هلا أومات إلينا؟ فقال «إن النبي لا يقتل بالإشارة» وفي رواية «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين» قال ابن هشام: وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان.

قلت: ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته كما سيأتي بيانه. قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب.

قلت: ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمي عبد الله ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكان له قيتان فرتنى^(١) وصاحبتهما فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين، فلهذا أهدر دمه ودم قيتيه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، اشترك في قتله أبو برزة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي وقتلت إحدى قيتيه واستؤمن للاخرى^(٢). قال والخويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصي وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة نخس بهما الخويرث هذا الجمل الذي هما عليه فسقطتا إلى الأرض، فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب، قال: ومقيس بن صبابه لأنه قتل أخيه خطأ بعدما أخذ الدية ثم ارتد مشركاً، قتله رجل من قومه قال له نميلة بن عبدالله. قال وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمه بن أبي جهل لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكة.

قلت: وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة وكأنها عفى عنها أو هربت ثم أهدر دمها والله أعلم. فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمنها فعاشت إلى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت. وذكر السهيلي أن فرتنى أسلمت أيضاً. قال ابن إسحاق: وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم. وقال البيهقي: أنبا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمس الفقيه، أنبا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أنبا أحمد بن يوسف السلمى، ثنا أحمد بن المفضل، ثنا أسباط بن نصر الهمداني، قال زعم السدي: عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: لما كان يوم [فتح] مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين. وقال «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة» وهم عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابه، وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح. فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله. وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف فقال أهل السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجي في البر غيره، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم، وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يابى، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي كفت

(١) في الواقدي: أسماهما: قُرينا وقُرية، قال؛ ويقال: فرتنا وأرنية.

(٢) في «مغازي الواقدي» (٢/٨٦٠) قتل أرنية، واستؤمن لفرتنى وأمنت وعاشت إلى أيام عثمان، وكسر ضلع من أضلاعها فماتت منه فقضى فيها عثمان ثمانية آلاف درهم.

يدي عن بيعته فيقتله؟ فقالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومات إلينا بعينك؟ فقال: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»^(١). ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه. وقال البيهقي أنبا أبو عبد الله الحافظ، أنبا أبو العباس الأصم، أنبا أبو زرعة^(٢) الدمشقي، ثنا الحسن بن بشر الكوفي، ثنا الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: أمن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة إلا أربعة؛ عبد العزى بن خطل، ومقيس بن صُبابة. وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وأم سارة، فأما عبد العزى بن خطل فإنه قُتل وهو متعلق بأستار الكعبة، قال: ونذر رجل [من الأنصار]^(٣) أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح إذا رآه. وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، فأتى به رسول الله ﷺ ليشفع له، فلما أبصر به الأنصاري اشتعل على السيف ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه، فبسط النبي ﷺ فبايعه، ثم قال للأنصاري «قد انتظرتك أن توفي بنذرك؟» قال يا رسول الله هبتك أفلا أومضت^(٤) إلي؟ قال «إنه ليس للنبي أن يومض». وأما مقيس بن صُبابة فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك، قال وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش، فأنت النبي ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاه شيئاً ثم بعث معها رجل بكتاب إلى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة. وروى محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن مقيس بن صُبابة قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركاً فقدم مقيس مظهراً للإسلام ليطلب دية أخيه، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركاً، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قتل وهو بين الصفا والمروة وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله:

شفي النفس من قد بات بالقاع مسنداً
وكانت هموم النفس من قبل قتله
قتلت به فهراً وغرمت عقله
حللت به نذري وأدركت ثورتي
يضرج ثوبينه دماء الأخادع
تلم وتُنسِني وطاء المضاجع
سراة بني النجار أرباب فارع
وكنت إلى الأوثان أول راجع

قلت: وقيل إن القيتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صُبابة هذا وأن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة. وقال بعضهم: قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: حدثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مرة، مولى عقيل بن أبي طالب، أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلا مكة فر إلى رجلان من أحماني من بني مخزوم - قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة^(٣) - قال ابن إسحاق: وكانت عند هُبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت فدخل علي أخي علي بن أبي طالب فقال: والله لأقتلها فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إلي فقال «مرحبا وأهلا بأم هانئ ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال «قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنيت فلا يقتلها» وقال البخاري: ثنا أبو الوليد، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى قال: ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ فإنها ذكرت يوم فتح مكة [أن النبي ﷺ] اغتسل في بيتها ثم صلى ثمان ركعات، قالت ولم أره على صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود^(٤). وفي «صحيح مسلم» من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن أبي

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٥٩ - ٦٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥/٦٠).

- أبو زرعة: وهو عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي.

- ما بين معكوفين من «الدلائل».

- في «الدلائل»: أومات إلي بدلاً من أومضت في المكانين.

(٣) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي أبو عبد الرحمن شقيق أبو جهل من مسلمة الفتح استشهد في خلافة عمر.

والثاني زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أخو أم سلمة، كان ممن نقض الصحيفة أسلم وحسن إسلامه.

وقيل إنهما الحارث وهبيرة بن أبي وهب، والمعروف أن هبيرة هرب عند الفتح وقيل جمعة بن هبيرة، قال الزرقاني: كان صغيراً عام الفتح راجع «شرح المواهب اللدنية» (٢/٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في (٨) كتاب «الصلاة» (٤) باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحقاً به.

هند أن أبا مرة مولى عُقيل حدثه: أن أم هانيء بنت أبي طالب حدثته: أنه لما كان عام الفتح فرز إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتها، قالت فدخل علي علي فقال أقتلها، فلما سمعته أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكة فلما رأي رخب وقال «ما جاء بك؟» قلت يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أمهاني فأراد علي قتلها، فقال رسول الله ﷺ «قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء» ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوباً فالتحف به ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى^(١). وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، فقال «من هذه؟» قالت أم هانيء قال «مرحباً بأم هانيء» قالت: يا رسول الله زعم ابن أم علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجرتهما؟ فقال «قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء» قالت ثم صلى ثماني ركعات وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى. وقال آخرون بل كانت هذه صلاة الفتح وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين وهو يرد على السهيلي وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانياً بتسليمة واحدة، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين والله الحمد.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحته يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له فدخلها، فوجد فيها حمالة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف^(٢) له الناس في المسجد. وقال موسى بن عقبة ثم سجد سجدتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ والناس يبتدرون وضوءه والمشركون يتعجبون من ذلك، ويقولون ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به - يعني مثل هذا - وأخر المقام إلى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت. قال محمد بن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب» ثم تلا هذه الآية ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣] الآية كلها ثم قال «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك؟ فقال رسول الله ﷺ «أين عثمان بن طلحة؟» فدعي له، فقال «هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء»^(٣) وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن جدعان، عن القاسم بن ربيعة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة: «الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الإبل، وقال مرة أخرى «مغلظة فيها أربعون خلفه في بطونها أولادها، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى» وقال مرة «ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فإنهما أمضيتهما لأهلها على ما كانت»^(٤). وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني عن ابن عمر به. قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، ورأى إبراهيم والأزلام ﴿مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] ثم

= أم هانيء: هي بنت أبي طالب الهاشمية اسمها فاخنة، وقيل: هند، أسلمت عام الهجرة لها صحبة، بقيت إلى زمن معاوية ولها أحاديث «شرح المواهب للزرقاني» (٣٢٦/٢).

(١) «صحيح مسلم» في (٦) كتاب «صلاة المسافرين» (١٣) باب حديث (٨٢ - ٨٣).

(٢) استكف: في «اللسان» استكفوه: صاروا حواليه. واستكف به الناس: إذا أحذقوه به وقال أبو ذر: استكف له الناس: استجمع، قال ويجوز أن يكون المعنى: استدار.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٥٤/٤ - ٥٥).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (١٨٧/٢).

أمر بتلك الصور كلها فطمست. وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان، أنبأ عبد الرحمن، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير عن جابر قال: كان في الكعبة صور فأمر رسول الله ﷺ أن يمحوها فبَلَّ عمر ثوباً ومحاماً به. فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء. وقال البخاري حدثنا صدقة ابن الفضل، ثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد»^(١). وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة. وروى البيهقي عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم، فأخذ قضيبه فجعل يهوي [به] إلى الصنم وهو يهوي حتى مر عليها كلها^(٢)، ثم يروي من طريق سويد بن سعيد^(٣) عن القاسم بن عبد الله، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً فأشار إلى كل صنم بعصا وقال «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» [الإسراء: ٨١] فكان لا يشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه، ثم قال: وهذا [الإسناد]^(٤) وإن كان ضعيفاً فالذي قبله يؤكد^(٥). وقال حنبل بن إسحاق: أنبأ أبو الربيع، عن يعقوب القمي، ثنا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبيزى قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جاءت عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل، فقال رسول الله ﷺ تلك نائلة أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً^(٦). وقال ابن هشام: حدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس]^(٧) أنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي:

وفي الأصنام مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ لِمَنْ يَرْجُو الثَّوَابَ أَوْ الْعِقَابَا

وفي «صحيح مسلم» عن شيبان^(٨) بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسيتها فلما أتى على الصنم فجعل يطعن في عينه ويقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو. وفي «البخاري»: ثنا إسحاق بن منصور، ثنا عبد الصمد، ثنا أبي، ثنا أيوب، عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أتى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزام، فقال «قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط» ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل. تفرد به البخاري دون مسلم^(٩). وقال الإمام أحمد: ثنا عبد الصمد، ثنا همام، ثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سواري، فقام إلى كل سارية ودعا ولم يصل فيه. ورواه

- (١) أخرجه البخاري في (٤٦) كتاب «المظالم» (٣٢) باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٣٢) باب إزالة الأصنام الحديث (٨٧).
- (٢) «دلائل البيهقي» (٧٢/٥). وما بين معكوفين من «الدلائل» ورواه البزار باختصار، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٦/٦) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.
- (٣) بياض في الأصل، وفي البيهقي سويد. واستدرك النقص من «سيرة ابن كثير».
- (٤) سقطت من الأصل واستدركت من «الدلائل».
- (٥) الخبر في «دلائل البيهقي» (٧٢/٥) ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٦/٦) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» و «الكبير» بنحوه وفيه عاصم بن عمر العمري وهو متروك ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويخالف وبقيته رجاله ثقات.
- (٦) رواه البيهقي في «الدلائل» (٧٥/٥).
- (٧) من «سيرة ابن هشام» (٥٩/٤).
- (٨) من «صحيح مسلم»، وفي الأصل سنان تحريف. والخبر في «الصحيح» (٣٢) كتاب «الجهاد» الحديث (٨٤) (١٤٠٦).
- (٩) أخرجه البخاري في «المغازي» - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح. وفي كتاب «الحج» - باب من كبر من نواحي الكعبة.

مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بن يحيى العوذلي عن عطاء به . وقال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكيراً حدثه عن كريب عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال «أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة هذا إبراهيم مصوراً فما باله يستقسم؟» . وقد رواه البخاري والنسائي من حديث ابن وهب به . وقال الإمام أحمد : ثنا عبد الرزاق ، أنبأ معمر ، أخبرني عثمان الخزرجي أنه سمع مقسماً يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه ثم خرج فصلى ركعتين . تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد : ثنا إسماعيل ، أنبأ ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى في البيت ركعتين . قال البخاري : وقال الليث ، ثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ في المسجد فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهاراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة^(١) . ورواه الإمام أحمد ، عن هشيم ثنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأمر بلالاً فأجاف عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج . قال ابن عمر فكان أول من لقيت منهم بلالاً فقلت أين صلى رسول الله ﷺ ؟ قال هاهنا بين الأسطوانتين .

قلت : وقد ثبت في «صحيح البخاري» وغيره أنه عليه السلام صلى في الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربي مقدار ثلاثة أذرع : وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل أنبأ ليث ، عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى في البيت ركعتين . قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : «قد علمت الذي قلتم» ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخبرك^(٢) . وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثني والدي ، حدثني بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أمر بلالاً فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة^(٣) . وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب : قال : قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين سعد؟ فقال : دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره . وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه : أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين^(٤) . وقال محمد بن سعد : عن الواقدي^(٥) . عن محمد بن حرب ، عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق : أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه : لو جمعت لمحمد جمعاً؟ فإنه ليحث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال «إذا يخزيك الله» قال فرجع رأسه فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة . قال البيهقي : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أنبأ أبو حامد أحمد [علي] بن الحسن المقرئ ، أنبأ أحمد بن يوسف السلمي ، ثنا محمد بن يوسف القريابي ، ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السفر عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطئون عقبه ،

(١) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٤٧) باب «فتح الباري» (١٨/٨) .

(٢) «سيرة ابن هشام» (٥٦/٤) .

(٣) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٢٧/٢) ، ونقله البيهقي عنه في «الدلائل» (٧٨/٥) ؛ وفيه : قبل أن يرى هذا الأسود .

(٤) الخبران نقلهما البيهقي في «الدلائل» في باب ما روي في تأذين بلال بن رباح يوم الفتح على ظهر الكعبة (٧٨/٥ - ٧٩) .

(٥) هكذا في الأصل : وهو وهم من الناسخ ، والخبر رواه ابن سعد عن أبي إسحاق السبيعي عن محمد بن عبيد . . . والحاكم في

الإكليل عن ابن عباس . ونقله البيهقي في «الدلائل» (١٠٢/٥) .

فقال بينه وبين نفسه: لو عاودت هذا الرجل القتال؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال «إذا يخزبك الله» فقال أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به^(١). ثم روى البيهقي: من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبي حامد بن الشرقي، عن محمد بن يحيى الذهلي، ثنا [محمد] موسى بن أعين الجزري، ثنا أبي، عن إسحاق بن راشد [عن الزهري] عن سعيد بن المسيب قال: لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا، فقال أبو سفيان لهندي: أتري هذا من الله؟ قالت نعم هذا من الله، قال: ثم أصبح أبو سفيان فغدا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ «قلت لهند أتري هذا من الله؟ قالت نعم هذا من الله»^(٢) فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند. وقال البخاري: ثنا إسحاق، ثنا أبو عاصم، عن ابن جريج أخبرني حسن بن مسلم عن مجاهد أن رسول الله ﷺ قال «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها ولا يعضد شوكتها ولا يختل خلاؤها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد» فقال العباس بن عبد المطلب إلا الإذخر^(٣) يا رسول الله فإنه لا بد منه للدفن والبيوت؟ فسكت ثم قال «إلا الإذخر فإنه حلال» وعن ابن جريج أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - عن عكرمة عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا. ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ تفرد به البخاري من هذا الوجه الأول وهو مرسل، ومن هذا الوجه الثاني أيضاً. وبهذا وأمثاله استدل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة، وللوقعة التي كانت في الخندمة كما تقدم. وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهي ظاهرة في ذلك وهو مذهب جمهور العلماء. والمشهور عن الشافعي أنها فتحت صلحاً لأنها لم تقسم. ولقوله ﷺ ليلة الفتح «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل الحرم فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب «الأحكام» الكبير إن شاء الله تعالى. وقال البخاري: ثنا سعيد بن شريح عن المقبري عن أبي شريح الخزاعي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: إئذن لي أيها الأمير أحادثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجراً فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب» فليلق لأبي شريح ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيد عاصياً ولا ناراً بدم، ولا ناراً بخربة^(٤). وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد به نحوه. وذكر ابن إسحاق أن رجلاً يقال له ابن الأثوغ قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له أحمر بأساً^(٥)، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوغ وهو بمكة قتله خراش بن أمية، فقال رسول الله ﷺ «يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثر القتل إن نفع لقد قتلتم رجلاً لأدينه» قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي عن سعيد بن المسيب قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال «إن خراشاً لقتال» وقال ابن

(١) «دلائل النبوة» (١٠٢/٥) ونقله الصالحي عن البيهقي وعن الحاكم، في «السيرة الشامية» (٣٧٠/٥).

(٢) العبارة في «الدلائل»: إلا الله عز وجل وهند. «دلائل النبوة» (١٠٣/٥) وما بين معكوفتين في الخبرين - زيادات استدركت من «دلائل البيهقي».

(٣) الإذخر: نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح، له أصل مندفن وقضبان دقاق ينبت في السهل والحزن. وأهل مكة يسقفون به البيوت بين الخشب ويسدون به الخلل بين اللبنة في القبور ويستعملونه بدلاً من الحلفاء في الوقود.

(٤) بخربة: من «البخاري»: وفي الأصل بجزية تحريف.

والخربة بفتح الخاء واسكان الراء؛ وأصلها سرقة الإبل، وتطلق على كل خيانة. قال أبو عبد الله: الخربة البلية، وقال الخليل: هي الفساد في الدين من الخارب، وهو العاصي المفسد في الأرض.

والحديث أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» الحديث (٤٩٢٥) ورواه في كتاب «الحج» - باب لا يعضد شجرة الحرم، عن قتيبة. ومسلم في (١٥) كتاب «الحج» (٨٢) باب تحريم مكة وصيدها ح (٤٤٦).

(٥) أحمر بأساً: قال أبو ذر اسم مركب كتابط شراء. وابن الأثوغ في «ابن هشام» ابن الأثوغ وفي «الواقدي»: جنيد بن الأدع الهذلي.

إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزاعي قال: لما قدم عمرو بن الزبير^(١) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جثته فقلت له يا هذا إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال «يا أيها الناس إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجراً، ولم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاؤوا قدم قاتله وإن شاؤوا فعقله» ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة، فقال عمرو لأبي شريح: انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بحرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالغ طاعة، ولا مانع جزية، فقال أبو شريح: إني كنت شاهداً وكنت غائباً، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا، وقد أبلغتكم، فأنت وشأنك. قال ابن هشام: وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جنيد بن الأكوع قتله بنو كعب فوداه رسول الله ﷺ بمائة ناقة^(٢). وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن حسين، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال «كفوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر» فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال «كفوا السلاح» فلقى رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال - فرأيتوه وهو مسند ظهره إلى الكعبة قال - «إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية» وذكر تمام الحديث وهذا غريب جداً. وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث فأما ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر إلى العصر من يوم الفتح فلم أره إلا في هذا الحديث وكأنه إن صح من باب الاختصاص لهم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير والله أعلم. وروى الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد، سفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، ومحمد بن عبيد كلهم عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي، عن الحارث بن مالك بن البرصا الخزاعي سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة «لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة» ورواه الترمذي عن بندار عن يحيى بن سعيد القطان به وقال حسن صحيح.

قلت: فإن كان نهياً فلا إشكال، وإن كان نفيًا فقال البيهقي معناه على كفر أهلها وفي «صحيح مسلم» من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مطيع عن أبيه مطيع بن الأسود العدوي قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة «لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة»^(٣) والكلام عليه كالأول سواء. قال ابن هشام: وبلغني [عن يحيى بن سعيد]^(٤) أن رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو [الله] وقد أحذقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: «ماذا قتلتم؟ قالوا لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه. فقال رسول الله ﷺ «معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم» وهذا الذي علقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» فقال ثنا بهز وهاشم قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت. وقال هاشم حدثني ثابت البناني ثنا عبد الله بن رباح قال: وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك في رمضان، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام، قال وكان أبو هريرة يكثر ما يدعوننا، قال هاشم يكثر أن يدعوننا إلى رحله،

(١) قال السهيلي: هذا وهم من ابن هشام وصوابه: عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية وهو الأشدق. «الروض» (٢/٢٧٧).

قال ابن الأعمش في «الفتوح»: كان عمرو بن سعيد بن العاص أميراً على المدينة من قبل يزيد بن معاوية، وكان عمرو بن الزبير - أخا عبد الله بن الزبير - من أشد الناس عداوة له، وكان بنو أمية يكرمونه فدعاه عمرو بن سعيد فعقد له عقداً وضم إليه جيشاً كثيراً ووجه به لمحاربة أخيه عبد الله بن الزبير، واقتلا وكان عمرو فيمن أسر يومذاك فقال له عبد الله: قبحك الله من أخٍ وذو رحم (٥/٢٨٤ - ٢٨٥).

ونقل ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن المسعودي الخبر لكنه ذكر أن أمير المدينة كان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (٤/٤٩٥).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٥/٥٧ - ٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٣٣) باب الحديث (٨٨) والبيهقي في «الدلائل» (٥/٧٥ - ٧٦).

(٤) سقطت من الأصل واستدركت من «ابن هشام» (٤/٥٩).

قال فقلت ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي؟ قال فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من العشاء قال: قلت يا أبا هريرة الدعوة^(١) عندي الليلة قال استبقني^(٢) قال هاشم: قلت نعم فدعوتهم فهم عندي. فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار قال: فذكر فتح مكة قال أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة قال: فبعث الزبير على أحد المجنبتين وبعث خالداً على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر^(٣) وأخذوا بطن الوادي ورسول الله ﷺ في كتيبته، وقد وبشت قريش أوباشها، قال: قالوا نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم وإن أصيبوا أعطينا الذي سألنا، قال أبو هريرة فنظر فرآني فقال «يا أبا هريرة» فقلت لبيك رسول الله، فقال «اهتف لي بالأنصار ولا يأتيني إلا أنصاري» فهتفت بهم فجاؤوا فأطافوا برسول الله ﷺ قال: فقال رسول الله ﷺ «أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم؟» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى «أحصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفاء» قال: فقال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً، قال فقال أبو سفيان: يا رسول الله أبيعحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، قال فقال رسول الله ﷺ «من أغلق بابيه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» قال فغلق الناس أبوابهم، قال وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت قال وفي يده قوس أخذ بسية القوس، قال فأتني في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه قال فجعل يطعن بها في عينه ويقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» قال ثم أتى الصفاء فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه، قال والأنصار تحت قال يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فأدر كته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته. قال أبو هريرة: وجاء الوحي وكان إذا جاء لم يخف علينا، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي. قال هاشم: فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال: «يا معشر الأنصار أقتلتم أما الرجل فأدر كته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته؟» قالوا قلنا ذلك يا رسول الله، قال «فما أسمى إذاً، كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم قال: فأقبلوا إليه يبكون ويقولون والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله، قال فقال رسول الله ﷺ «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم» وقد رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة زاد النسائي وسلام بن مسكين ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثتهم عن ثابت بن عبد الله بن رباح الأنصاري نزيل البصرة عن أبي هريرة به نحوه. وقال ابن هشام: وحدثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عمير بن الملوح - يعني الليثي - أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ «أفضالة؟» قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال «ماذا كنت تحدث به نفسك؟» قال: لا شيء كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال «استغفر الله» ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه، قال فضالة فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت هلم إلى الحديث؟ فقال لا، وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا
أو ما رأيت محمداً وقبيلته
لرأيت دين الله أضحى بيئناً
يا أبا عليك الله والإسلام
بالفتح يوم تكسر الأصنام
والشرك يفسى وجهه الأظلام

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة^(٤) قالت: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فأمنه يا رسول الله صلى الله عليك فقال «هو آمن» فقال يا رسول الله فاعطني آية يعرف بها أمانك؟ فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال: يا صفوان فذاك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به، قال: ويملك أعزب عني فلا تكلمني قال: أي صفوان، فذاك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس، وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك؟ قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم ممن ذلك وأكرم. فرجع معه، حتى

(١) في الأصل: الدعوى.

(٢) في الأصل استبقني.

(٣) في «الواقدي»: على الحسر.

(٤) سقطت من ابن هشام.

وقف على رسول الله ﷺ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمتني؟ قال «صدق» قال فاجعلني بالخيار فيه شهرين؟ قال «أنت بالخيار أربعة أشهر» ثم حكى ابن إسحاق عن الزهري: أن فاختة بنت الوليد، امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم، فلما أسلما أقرهما رسول الله ﷺ تحتها بالنكاح الأول. قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال: رمى حسان بن الزبير وهو بنجران بيت واحد ما زاد عليه:

لا تَفْدَ مَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بِنْفُضِهِ
نَجْرَانٌ فِي عَيْشٍ أَحَدٌ لَتِيمٍ^(١)
فلما بلغ ذلك ابن الزبير خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال حين أسلم:

يا رسولَ المَلِيكِ إن لسانِي
إذ أباري الشيطان في سَنَنِ الغِيْبِ
أَمِنَ اللَحْمُ وَالْمَعْظَامُ لِرَبِي
إِنْنِي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيًّا
قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبير أيضاً حين أسلم:

مَنْعَ الرِقَادِ بِلَابِلٍ وَهَمُومِ
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَامِنِي
يا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيَّ أَوْصَالُهَا
إِنِّي لَمَمْتَدِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي
أَيَّامُ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خَطْبَةٍ
وَأَمْدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي
فَالْيَوْمَ آمِنُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
مَضَتْ الْعِدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَالَّذِي كَلَاهُمَا
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِيكِ عِلْمَةٌ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بِرَهَائِهِ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنْ دِينِكَ صَادِقٌ
وَاللَّهِ يَشْهَدُ أَنْ أَحْمَدُ مِصْطَفَى
قَرْمٍ عَلَا بِنْيَانِهِ مِنْ هَاشِمٍ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

قلت: كان عبد الله بن الزبير السهمي من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين، ثم من الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه.

فصل

قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف: من بني سليم سبعمائة ويقول بعضهم ألف، ومن بني غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة]^(٤) ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد^(٥). وقال عروة والزهري وموسى بن عقبة: كان المسلمون يوم الفتح

(١) أخذ: المنقطع القليل. وقد يكون معناه: عيش لئيم جداً «شرح أبي فر».

(٢) مفرور وتروى مشور أي هالك.

(٣) عيرانة: الناقة الشديدة والنشيطة والتي تشبه العير في نشاطه.

(٤) من «ابن هشام».

(٥) ذكر الواقدي: سبعمائة من المهاجرين وأربعة آلاف من الأنصار ومزينة في ألف وأسلم أربعمائة ومن جهينة ثمانمائة ومن بني كعب بن عمرو خمسمائة، قال وكانوا: عشرة آلاف.

الذين مع رسول الله ﷺ اثنا عشر ألفاً فالله أعلم. قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت^(١):

إلى عذراء منزلها خلاء^(٢)
تعففيها الروامس والسماء
خلال مروجها ناعم وشاء
يؤرقني إذا ذهب العشاء
فليس لقلبه منها شفاء^(٣)
يكون مزاجها غسل وماء^(٤)
فهن لطيب الراح الفداء
إذا ما كان مغت أو لخاء^(٥)
وأسداً ما ينهنها اللقاء
تشير النقع موعدها كداء
على أكتافها الأسل الظماء
يلطمهن بالخمر النساء
وكان الفتح وانكشف الغطاء
يعز^(٦) الله فيه من يشاء
وروح القدس ليس له كفاء
يقول الحق إن نفع البلاء
فقلتم لا نقوم ولا نشاء
هم الأنصار عرضتها اللقاء
سباب أو قتال أو هجاء
ونضرب حين تختلط الدماء
مغلغلة فقد برح الخفاء
وعبد الدار ساداتها الإمام^(٨)
وعند الله في ذاك الجزاء
فشركما لخيركما الفداء
أمين الله شيمته الوفاء
ويمدحه وينصره سواء
لعرض محمد منكم وقاء

عفت ذات الأصابع فالجواء
ديار من بني الحسحاس قفر
وكانت لا يزال بها أنيس
فدع هذا ولكن من لطيف
لشعشاء التي قد تيمته
كان خبيثة من بيت رأس
إذا ما الأشربيات ذكرن يوماً
نوليها الملامة إن المنا
ونشربها فتركنا ملوكاً
عدمنا خيلنا إن لم تروها
ينازعن الأعنة مصفيات
تظل جياننا متمطرات
فإما تعرضوا عنا اعتمرونا
وإلا فأصبروا لجلاد يوم
وجبريل رسول الله فينا
وقال الله قد أرسلت عبداً
شهدت به فقوموا^(٧) صدقوه
وقال الله قد سيرت جنداً
لنا في كل يوم من معد
فنحكم بالقوافي من هجانا
ألا أبلغ أبا سفيان عني
بأن سيوفنا تركتك عبداً
هجوت محمداً فأجبت عنه
أتهجوه ولست له بكفاء
هجوت مباركاً برأ حنيفاً
أمن يهجو رسول الله منكم
فلإن أبي ووالده وعرضي

- (١) القصيدة في ديوانه باختلاف. بزيادة أبيات، وتغيير في ترتيب بعض الأبيات واختلاف في الألفاظ وسنلاحظ ذلك فيما سيأتي.
- (٢) الأصابع والجواء والعذراء: مواضع بالشام. وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني.
- (٣) شعناء هي بنت سلام بن مشكم اليهودي كما في السهيلي، وقيل هي امرأة من خزاعة قاله ابن الأعرابي.
- (٤) بيت رأس: موضع بالأرض مشهور بالخمر الجيدة، وبعده في ديوانه:
- (٥) على أنيابها أو طعم غض
من التفاح مصره اجتناء
- (٦) المنا: فعلنا ما نستحق عليه اللوم. والمغت: الضرب باليد، اللحاء: السباب.
- (٧) وفي رواية: بعين الله.
- (٨) في الديوان: وقومي.
- (٩) البيت في الديوان وروايته فيه:

فأنت مجوف نخب هواء

ألا أبلغ أبا سفيان عني

لسانني صارم لا غيب فيه
قال ابن هشام: قالها حسان قبل الفتح.

قلت: والذي قاله متوجه لما في اثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال ابن هشام: وبلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخمير تبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زعيم الدثلي يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم:

أأنت الذي تهدي معذ بأمره
وما حملت من ناقة فوق رحلها
أحث على خير وأسبغ نائلها
وأكسى لبرد الخال^(١) قبل ابتذاله
تعلم رسول الله أنك مذركي
تعلم رسول الله أنك قادر
تعلم أن الركب ركب عويمر
ونبوا رسول الله أني هجوته
سوى أنني قد قلت ويل أم فتية
أصابهموا من لم يكن لدمائهم
وإنك قد أخبرت أنك ساعياً
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا
وسلمى وسلمى ليس حي كمثلها
فإنني لا ذنباً^(٢) فتقت ولا دماً

قال ابن إسحاق: وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح:

مزيننة غدوة وبنو خفاف
بي الخير بالبيض الخفاف
وألف من بني عثمان وافي
ورشقا بالمريشة اللطاف
كما انصاع الفواق من الرصاف^(٤)
بأرماع مقومة الثقفاف
وآبوا نادمين على الخلاف
مواتقنا على حسن التصافي
غداة الروع منا بانصراف

وقال ابن هشام وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة:

ألف تسيل به البطاح مسوم
وشعارهم يوم اللقاء مقدم
نصروا الرسول وشاهدوا آياته

(١) الخال: ضرب من يرود اليمن، وهو من رفيع الثياب.

(٢) في «ابن هشام»: لا ديناً.

(٣) الحبلق: قال السهيلي: أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس. والحبلق: الغنم الصغار ولعله أراد بقوله: أهل الحبلق: أصحاب الغنم. وبنو خفاف: بطن من سليم.

(٤) الفواق: هنا، طرف السهم الذي يلي الوتر، والرصاف: جمع رصفة وهي عصبة تلوى على فوق السهم.

في منزل ثبتت به أقدامهم
جرت سنابكها بنجد قبلها
اللُّه مكنه له وأذله
عود الرياسة شامخ عرنينه
وذكر ابن هشام في سبب إسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له ضمارة فلما حضرته
الوفاة أوصاه به، فبينما هو يوماً يجده إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول:
قل للقبائل من سليم كلها
إن الذي ورث النبوة والهدى
أودى ضمارة وكان يعبد مدة
قال فحرق عباس ضمارة ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم، وقد تقدمت هذه القصة بكمالها في باب هواتف الجان
مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة.

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث
رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب وسُلَيْم بن منصور،
ومدلاج بن مرة فوطنوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا
السلاح فإن الناس قد أسلموا: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا
خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا
الأسار، وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذ رجال من قومه، فقالوا: يا جحدم
أتريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضع الحرب وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع
القوم سلاحهم لقول خالد. قال ابن إسحاق: فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم
خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال
«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى
رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ «هل أنكر عليه أحد؟» فقال: نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه
خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما، فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا
رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة. قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر
قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال «يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر
الجاهلية تحت قدميك» فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء، وما أصيب لهم
من الأموال، حتى أنه ليدي ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال
لهم علي حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا، قال فإني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال
احتياطاً لرسول الله ﷺ عما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال «أصببت
وأحسن» ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبته يقول «اللهم إني أبرأ إليك
مما صنع خالد بن الوليد» ثلاث مرات. قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال: ما قاتلت حتى أمرني
بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام. قال ابن هشام:
قال أبو عمرو المديني: لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا: صبأنا صبأنا^(١). وهذه مرسلات ومنقطعات. وقد قال الإمام

(١) خبر إرسال خالد إلى جذيمة في «سيرة ابن هشام» (٧٣/٤).

قال ابن سعد في «الطبقات»: وكانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يلملم في شوال سنة ثمان، وهو يوم الغميصاء، وخرج خالد إليهم في
ثلاثمائة وخمسين رجلاً، من المهاجرين والأنصار وبني سليم. (١٤٧/٢) وفي رواية له: (٨٨٤) قال: قتل منهم قريباً من ثلاثين
رجلاً.

أحمد: حدثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال - جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً، قال ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره، قال فقدموا على النبي ﷺ فذكروا صنيع خالد فقال النبي ﷺ ورفع يديه «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين. ورواه البخاري^(١) والنسائي من حديث عبد الرزاق به نحوه. قال ابن إسحاق: وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد: يا بني جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه. قال ابن إسحاق: وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية في الإسلام؟ فقال إنما تأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن كذبت، قد قتلت قاتل أبي، ولكنك تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقت في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته» ثم ذكر ابن إسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن، ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت]^(٢) فأبوا عليه، فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهم وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام، وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة، فهتت قريش بغزو بني جذيمة فبعث بنو جذيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملامتهم وودوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهما^(٣)، يعني فلماذا قال خالد لعبد الرحمن إنما تأرت بأبيك يعني حين قتله بنو جذيمة، فأجابته بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ورد عليه بأنه إنما ثأر بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا في وقت المخاصمة وإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله وإن كان قد أخطأ في أمر، واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم صبأنا صبأنا، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم، وقتل أكثر الأسرى أيضاً، ومع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ بل استمر به أميراً وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك وودى ما كان جناه خطأ في دم أو مال فيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله والله أعلم. ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة، وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه، واصطفى امرأته أم تميم فقال له عمر بن الخطاب: اعزله فإن في سيفه رهقاً فقال الصديق: لا أغمد سيفاً سله الله على المشركين وقال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس، عن الزهري، عن ابن أبي حدرد الأسلمي قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال فتى من بني جذيمة، وهو في سني، وقد جُمعت يداه إلى عنقه برؤمة، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى، قلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرؤمة فقائدي إلى هذه النسوة، حتى أقضي إليهن حاجة ثم تردني بعد، فتصنعوا ما بدا لكم؟ قال: قلت والله ليسير ما طلبت، فأخذت برمته فقدته بها، حتى وقفته عليهن فقال: اسلمي جيش على نفي [من] العيش:

بحلية أو ألفتكم بالخوانق^(٤)
تكلّف إدلاج السرى والودائق^(٥)
أثيبي بوذ قبل إحدى الصفائق
وينأى الأمير بالحبيب المفارق

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم
ألم يك أهلك أن يُنوّل عاشق
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلكنا معا
أثيبي بوذ قبل أن يشحط النوى

(١) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٥٨) باب الحديث (٤٣٣٩)، ورواه الواقدي في «مغازيه» (٢/٨٨٠ - ٨٨١).

(٢) من «ابن هشام».

(٣) «سيرة ابن هشام» (٧٤/٤).

(٤) حلية والخوانق: موضعان بتهامة. حلية: واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة. والخوانق بلد في ديار فهم «معجم البلدان» - معجم ما استعجم.

(٥) الودائق: جمع وديقة. وهي شدة الحر في نصف النهار.

فلاني لا ضيعة سر أمانة
ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشييرة شاغل
عن الود إلا أن يكون التوامق^(١)

قالت: وأنت فحييت عشراً وتسعاً وترأ وثمانية تترى. قال: ثم انصرفت به فضربت عنقه. قال ابن إسحاق: فحدثني أبو فراس بن أبي سنبله الأسلمي، عن أشياخ منهم، عن كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه، فلما زالت تقبله حتى ماتت عنده^(٢). وروى الحافظ البيهقي: من طريق الحميدي، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له ابن عصام^(٣) عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال «إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً» قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا بذلك فخرجنا قبل تهامة، فأكدرنا رجلاً يسوق بطعائن فقلنا له أسلم، فقال: وما الإسلام؟ فأخبرناه به فإذا هو لا يعرفه، قال: أفرأيتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون؟ قال: قلنا نقتلك. فقال: فهل أنتم منطري حتى أدرك الطعائن؟ قال: قلنا نعم ونحن مدركوك، قال: فأدرك الطعائن فقال: أسلمي حبش قبل نفاذ العيش، فقالت الأخرى: أسلم عشراً وتسعاً وترأ وثمانياً تترى. ثم ذكر الشعر المتقدم إلى قوله: وبنأى الأمير بالحبيب المفارق، ثم رجع إلينا فقال شأنكم قال: فقدمناه فضربنا عنقه قال: فأنحدرت الأخرى من هودجها فجثت عليه حتى ماتت. ثم روى البيهقي: من طريق أبي عبد الرحمن النسائي، ثنا محمد بن علي بن حرب المروزي، ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي، عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل، فقال لهم: إني لست منهم إني عشقت امرأة فلحقتها، فدعوني أنظر إليها نظرة، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم، قال: فإذا امرأة أدماء طويلة، فقال لها: أسلمي حبش قبل نفاذ العيش، ثم ذكر البيتين بمعناهما. قال: فقالت: نعم فديتك، قال: فقدموه فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقع عليه فشقت شهقة أو شهقتين، ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فقال «أما كان فيكم رجل رحيم»^(٤).

بعث خالد بن الوليد لهدم العزى

قال ابن جرير^(٥): وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ. قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بيتاً بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر، وكان سدنتها وحجابها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، فلما سمع حاجبها السلمى بمسير خالد بن الوليد إليها علق سيفه عليها ثم اشتد^(٦) في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

أبا عز شدي شدة لا شوى لها
أبا عز إن لم تقتلي المرة خالداً
على خالد أقي القناع وشمري
فبوئي بإثم عاجل أو تنصّري

قال: فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ. وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال «ما رأيت؟» قال لم أر شيئاً فأمره بالرجوع فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول:

يا عزي كفرانك لا سبحانك
إني رأيت^(٧) الله قد أهانك

ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضي الله عنه وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال «تلك العزى ولا تعبد أبداً» وقال البيهقي: أنبا محمد بن أبي بكر الفقيه، أنبا محمد بن أبي جعفر، أنبا

(١) التوامق: الحب والود، في هذا البيت والذي قبله إقواء.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٧٦/٤) وروى الواقدي خبره مطولاً باختلاف بسيط (٨٧٩/٢).

(٣) في ابن سعد: عبد الله بن عصام المزني.

(٤) الخبران أخرجهما البيهقي في «الدلائل» (١١٧/٥ - ١١٨). وأخرج ابن سعد خبر ابن مساحق (١٤٩/٢) وفي نهايته: قال:

فجعلت ترشفه حتى ماتت عليه. وكانت امرأة كثيرة النحض - يعني اللحم.

(٥) «تاريخ الطبري» (١٣٣/٣).

(٦) في «الطبري» و«ابن هشام» و«الواقدي»: أسند: أي ارتفع فيه. وقال الواقدي: سادنها اسمه أفلح بن نصر الشيباني من بني سليم.

(٧) في «الواقدي»: إني وجدت. وانظر الخبر فيه مطولاً (٨٧٣/٢ - ٨٧٤).

أحمد بن علي، ثنا أبو كريب، عن ابن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، فأناها وكانت على ثلاثة سمرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون: يا عزي خبلية يا عزي عوريه وإلا فموتي برغم. قال: فأناها خالد فإذا امرأة هريانة ناشرة شعرها تحثوا التراب على رأسها ووجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى»^(١).

فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر، وهذا دليل من قال من العلماء: إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يقصر ويفطر إلى ثماني عشر يوماً في أحد القولين وفي القول الآخر كما هو مقرر في موضعه. قال البخاري: ثنا أبو نعيم، ثنا سفيان ح وحدثنا قبيصة ثنا سفيان، عن يحيى بن أبي إسحاق عن أنس بن مالك قال: أقمنا مع رسول الله ﷺ عشرأ يقصر الصلاة وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي البصري عن أنس به نحوه. قال البخاري ثنا عبدان، ثنا عبد الله أنبا عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين^(٢). ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر زاد البخاري: وأبو حصين كلاهما وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عاصم بن سليمان الأحول، عن عكرمة عن ابن عباس به وفي لفظ لأبي داود سبعة عشر يوماً^(٣). وحدثنا أحمد بن يونس، ثنا أحمد بن شهاب، عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال: أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة. قال ابن عباس: فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة، فإذا زدنا أتمنا. وقال أبو داود: ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا ابن علي، ثنا علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن عمران بن حصين قال: غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح فأقام ثماني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين يقول «يا أهل البلد صلوا أربعاً فإننا [قوم] سفر»^(٤) وهكذا رواه الترمذي من حديث علي بن زيد بن جدعان وقال هذا حديث حسن. ثم رواه: من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم قال رواه غير واحد عن ابن إسحاق لم يذكر ابن عباس^(٥). وقال ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر^(٦) وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة.

فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلم، عن مالك بن شهاب، عن عروة، عن عائشة عن النبي ﷺ وقال الليث، حدثني يونس، عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة، وقال عتبة إنه ابني، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة فأقبل به إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه عبد بن زمعة فقال سعد بن أبي وقاص: هذا ابن أخي عهد إلي أنه ابني، قال عبد بن زمعة: يا رسول الله هذا أخي هذا ابن زمعة ولد على فراشه، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص، فقال رسول الله ﷺ «هولك هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراشه» وقال رسول الله ﷺ «احتجبي منه يا سودة» لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص. قال ابن شهاب: قالت عائشة: قال

(١) «دلائل النبوة» (٧٧/٥) ونقل الصالح عن وعن الواقدي وابن سعد وابن إسحاق في «السيرة الشامية» (٣٠٠/٦).

(٢) «فتح الباري» (٢١/٨) حديث رقم (٤٢٩٩) كتاب «المغازي» - باب فتح مكة.

(٣) «فتح الباري» (٢١/٨) و «سنن أبي داود» (١٠/٢) الحديث رقم (١٢٣٠).

(٤) «سنن أبي داود» (٩/٢ - ١٠) الحديث (١٢٢٩).

(٥) «سنن أبي داود» (١٠/٢) الحديث رقم (١٢٣١).

(٦) الخبر في «دلائل البيهقي» (١٠٦/٥) وفيه: عاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي رهم.

رسول الله ﷺ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» قال ابن شهاب: وكان أبو هريرة يصرح بذلك^(١). وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث به. وابن ماجه من حديثه وانفرد البخاري بروايته له من حديث مالك عن الزهري. ثم قال البخاري: ثنا محمد بن مقاتل، أنبا عبد الله، أنا يونس، عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ وقال «أتكلمني في حد من حدود الله؟» فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال «أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها. فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة: كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ^(٢). وقد رواه البخاري في موضع آخر ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة به. وفي «صحيح مسلم» من حديث سبرة بن معبد الجهني قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهى عنها. وفي رواية فقال «ألا إنها حرام حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة» وفي رواية في «مسند أحمد» و«السنن» أن ذلك كان في حجة الوداع فإله أعلم. وفي «صحيح مسلم» عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد، عن عبد الواحد بن زياد، عن أبي العميس عن أبياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه أنه قال: رخص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس في متعة النساء ثلاثة ثم نهانا عنه، قال البيهقي: وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سبرة سواء^(٣).

قلت: من أثبت النهي عنها في غزوة خيبر قال إنها أبيحت مرتين، وحرمت مرتين، وقد نص على ذلك الشافعي وغيره. وقد قيل إنها أبيحت وحرمت أكثر من مرتين فإله أعلم. وقيل إنها إنما حرمت مرة واحدة وهي هذه المرة في غزوة الفتح، وقيل إنها إنما أبيحت للضرورة فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت وهذا رواية عن الإمام أحمد وقيل بل لم تحرم مطلقاً وهي على الإباحة هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحرير ذلك في «الأحكام».

فصل

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج، أنبا عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره: أن أباه الأسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح، قال: جلس عند قرن مستقبله^(٤) فبايع الناس على الإسلام والشهادة قلت وما الشهادة؟ قال أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه بايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله تفرد به أحمد^(٥) وعند البيهقي: فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام والشهادة. وقال ابن جرير: ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، قال: فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها، لما كان من صنعها بحمزة فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال «بايعني على أن لا تشركن بالله شيئاً» فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذ من الرجال؟ «ولا تسرقن» فقالت: والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - أما ما أصبت

- (١) رواه البخاري في كتاب «المغازي» الحديث (٤٣٠٢) «فتح الباري» (٢٤/٨) وفي بدايته قال: عبد الله بن مسلمة.
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٥٣) باب الحديث (٤٣٠٤) «فتح الباري» (٢٤/٨). وأخرجه في كتاب «الأنبياء» (٥٤) باب. وأخرجه في كتاب «الحدود» (١٢) باب. وأخرجه مسلم في (٢٩) كتاب «الحدود» (٢) باب قطع السارق الشريف وغيره الحديث رقم (٨).
- (٣) الحديث في «صحيح مسلم» في (١٦) كتاب «النكاح» (٣) باب نكاح المتعة الحديث (١٨).
- (٤) في البيهقي: مسفلة، وفي «أسد الغابة» مصفلة. وفي «مسند أحمد»: مسفلة، وفي «تاج العروس» مسفلة. وهي محلة بأسفل مكة. وقال البيهقي: وقرن مسفلة: الذي إليه بيوت ابن أبي ثمامة، وهو دار ابن سمرة وما حولها.
- (٥) «مسند الإمام أحمد» (٤١٥/٣) و«دلائل البيهقي» (٩٤/٥).

فيما مضى فأنت منه في حل. فقال رسول الله ﷺ «وانك لهند بنت عتبة؟» قالت: نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ثم قال «ولا يزينين» فقالت يا رسول الله وهل تزني الحرة؟ ثم قال «ولا تقتلن أولادكن» قالت: قد ربيناهم صغاراً حتى قتلتهم أنت وأصحابك بيدر كباراً^(١) فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق. ثم قال «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن» فقلت: والله إن إتيان البهتان لقبيح، ولبعض التجاوز أمثل. ثم قال «ولا يعصينني» فقالت^(٢): في معروف، فقال رسول الله ﷺ لعمر «بايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم» فبايعهن عمر وكان رسول الله ﷺ لا يوافق النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه. وثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط وفي رواية ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول «إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة» وفي «الصحيحين» عن عائشة أن هنداً بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل علي من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟ قال خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك. وروى البيهقي من طريق يحيى بن بكر، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خباء - الشك من أبي بكر - أحب إلي من أن يذلوا من أهل أخبائك - أو خبائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل أخبائك، أو خبائك. فقال رسول الله ﷺ «وأيضاً والذي نفس محمد بيده» قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح^(٣) فهل علي حرج أن أطعم من الذي له؟ قال «لا بالمعروف»^(٤) ورواه البخاري عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق بإسلام أبي سفيان وقال أبو داود: ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن طاوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم ألا فأنفروا»^(٥) ورواه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة، ومسلم عن يحيى بن جرير. وقال الإمام أحمد: ثنا عفان، ثنا وهب، ثنا ابن طاوس، عن أبيه، عن صفوان بن أمية: أنه قيل له إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر فقلت له: لا أدخل منزلي حتى أسأل رسول الله ما سأله فأتيته فذكرت له فقال «لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فأنفروا» تفرد به أحمد. وقال البخاري: ثنا محمد بن أبي بكر، ثنا الفضيل بن سليمان، ثنا عاصم، عن أبي عثمان النهدي، عن مجاشع بن مسعود قال: انطلقت بأبي معبد إلى النبي ﷺ ليايعة على الهجرة فقال «مضت الهجرة لأهلها أبايعة على الإسلام والجهاد» فلقيت أبا معبد فسألته فقال: صدق مجاشع^(٦). وقال خالد عن أبي عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد. وقال البخاري: ثنا عمرو بن خالد، ثنا زهير، ثنا عاصم، عن أبي عثمان قال: حدثني مجاشع قال: أتيت رسول الله ﷺ بأخي بعد يوم الفتح فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة قال «ذهب أهل الهجرة بما فيها» فقلت على أي شيء تبايعه؟ قال «أبايعة على الإسلام والإيمان والجهاد» فلقيت أبا معبد بعد وكان أكبرهما سناً فسألته فقال: صدق مجاشع. وقال البخاري: ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال: قلت لابن عمر: أريد أن أهاجر إلى الشام؟ فقال: لا هجرة ولكن انطلق فأعرض نفسك فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت. وقال أبو النصر أنا شعبة أنا أبو بشر سمعت مجاهداً قال: قلت لابن عمر فقال: لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله ﷺ - مثله. حدثنا إسحاق بن يزيد، ثنا يحيى بن حمزة، حدثني أبو عمرو الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبير أن عبد الله بن عمر قال: لا هجرة بعد الفتح. وقال البخاري: ثنا إسحاق بن يزيد أنا يحيى بن حمزة أنا الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشة مع عبيد ابن عمير فسألها عن الهجرة فقالت لا هجرة اليوم. وكان المؤمنون يفر

(١) العبارة في «الطبري»: قد ربيناهم صغاراً وقتلهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم.

(٢) العبارة في «الطبري»: ولا تعصينني في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف.

(٣) في «البيهقي»: رجل ممسك.

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (١٠٠/٥) وفيه لا إلا بالمعروف.

ورواه البخاري في (٨٣) كتاب «الإيمان» و «التلويح» (٨٣) باب الحديث (٦٦٤١).

(٥) الحديث أخرجه البخاري في (٥٦) كتاب «الجهاد» - (١٩٤) باب لا هجرة بعد الفتح. وأخرجه مسلم في (٣٣) كتاب «الإمارة»

(٢٠) باب الحديث (٨٥).

(٦) أخرجه البخاري في (٦٤) كتاب «المغازي» (٥٣) باب. وأخرجه مسلم في كتاب «الإمارة» حديث (٨٤).

أحدهم بدينه إلى الله عز وجل وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ولكن جهاد ونية.

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الكاملة أو مطلقاً قد انقطعت بعد فتح مكة لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وظهر الإسلام، وثبتت أركانه ودعائه فلم تبق هجرة؛ اللهم إلا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم فتجب الهجرة إلى دار الإسلام، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح، كما أن كلاً من الجهاد والانفاق في سبيل الله مشروع ورغبة فيه إلى يوم القيامة وليس كالانفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة. قال الله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مَنكَرٌ مِّنْ أُنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدَّلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِنَا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنُ وَاللَّهُ﴾ [الحديد: ١٠] وقد قال الإمام أحمد: ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى الطائي عن^(١) أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال لما نزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] قرأها رسول الله حتى ختمها وقال: «الناس خير وأنا وأصحابي خير» وقال «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» فقال له مروان كذبت، وعنده: رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رآيا ذلك. قالوا: صدق. تفرد به أحمد. وقال البخاري: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليربهم، فقال ما تقولون في قول الله عز وجل ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت لا، فقال ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] قال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما يقول^(٢). تفرد به البخاري وهكذا روي من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنعي رسول الله ﷺ في أجله. وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد: ثنا محمد بن فضيل، ثنا عطاء، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ «نعمت إلي نفسي» بأنه مقبوض في تلك السنة. تفرد به الإمام أحمد وفي إسناده عطاء بن أبي مسلم الخراساني وفيه ضعف تكلم فيه غير واحد من الأئمة وفي لفظه نكارة شديدة وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة، وهذا باطل فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها كما تقدم بيانه وهذا ما لا خلاف فيه. وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضاً، وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله: ثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي، ثنا أبي، ثنا جعفر بن عون، عن أبي العُميس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. فيه نكارة أيضاً وفي إسناده نظر أيضاً. ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم. وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة. وقال البخاري: ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عمرو بن سلمة - قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه فنسأله فلقيته فسألته - قال كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا. فكننت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يغري في صدري، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي حقاً. قال صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرأنا فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين

(١) هكذا سياق الحديث في نسخة دار الكتب والتميرية؛ أقول أبو البخترى لم يسمع من أبي سعيد والحديث نقله البيهقي بهذا الإسناد في «الدلائل» (١٠٩/٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «الضمير» (٤) باب الحديث (٤٩٧٠) «فتح الباري» (٧٣٤/٨).

أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص، تفرد به البخاري دون مسلم.

غزوة هوازن يوم حنين^(١)

قال الله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْيَنَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧]. وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه: أن خروج رسول الله ﷺ إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة، وهكذا روي عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره أحمد وابن جرير في «تاريخه». وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لست خلون من شوال فانتهى إلى حنين في عاشره. وقال أبو بكر الصديق لن تغلب اليوم من قلة!! فانهمزوا فكان أول من أنهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس.

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصرى، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال وهم قليل، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء. وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدا منهم أحد له اسم، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير^(٢)، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً، وفي ثقيف سيدان لهم؛ وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه أحمز بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ أحضر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس^(٣) اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار^(٤) له يقاد به، فلما نزل قال: بأي وإد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم، مجال الخيل! لا حزن ضرر، ولا سهل دهن، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قالوا: هذا مالك ودُعي له، قال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم، قال: ولم؟ قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فأنقض به^(٥)، ثم قال: راعي ضأن والله، هل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قال: لم يشهدا منهم أحد، قال: غاب الحد والجد، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدا منكم؟ قالوا عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران، ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ثم قال دريد لمالك بن عوف: ارفعهم إلى متمنع بلادهم وغلبا قومهم، ثم الق الصُّبَّا على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من ورائك، وإن كانت عليك الفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: والله لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، ثم قال مالك: والله

(١) حنين وإد بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ. وسميت بغزوة هوازن لأنهم الذين تجمعوا لقتال النبي ﷺ قال أبو الزناد: أقامت هوازن سنة تجمع الجموع وتسير رؤوساؤهم في العرب تجمعهم. انظر في هذه الغزوة: «سيرة ابن هشام» (٨٠/٤)، «مغازي الواقدي» (٨٨٥/٢) «طبقات ابن سعد» (١٤٩/٢) «هيون الأثر» (٢٤٢/٢) «شرح المواهب» للزرقاني (٥/٣) «صحيح مسلم - صحيح البخاري». «السيرة الحلبية» (١٢١/٣) «السيرة الشامية» (٤٥٩/٥). «زاد المعاد». «تاريخ الطبري» (١٢٥/٣). دار قاموس الحديث.

(٢) قال الواقدي: كان عمره مائة وستين سنة؛ وقد ذهب بصره يومذاك.

(٣) أوطاس وإد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين.

(٤) شجار نل في «النهاية»: مركب مكشوف دون الهودج.

(٥) في «الواقدي»: فأنقض بيده: أي صفق بإحدى يديه على الأخرى حتى يسمع لهما تقيض، أي صوت عن «النهاية».

لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي - فقالوا: أظعنك فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني:

يا ليتني فيها جَدَعٌ أخبب فيها وأضع
أقود وطفاء الزَمَع كأنها شاء صَدَع

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد. قال ابن إسحاق: وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث: أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم، فقال ويلكم ما شأنكم؟ قالوا رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد. قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد، فدخل فيهم، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر^(١)، فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال «يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غداً» فقال صفوان أغضباً يا محمد؟ قال «بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك» قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل^(٢). هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد. وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه. وعن عمرو بن شعيب والزهري وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم، وقصة الأدرع كما تقدم وفيه أن ابن أبي حدرد لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب، فقال له ابن أبي حدرد. لئن كذبتني يا عمر فربما كذبت بالحق، فقال عمر ألا تسمع ما يقول يا رسول الله؟ فقال «قد كنت ضالاً فهداك الله». وقد قال الإمام أحمد: ثنا يزيد بن هارون، أنبأ شريك بن عبد العزيز بن رفيع، عن أمية بن صفوان بن أمية. عن أبيه: أن رسول الله ﷺ استعار من أمية يوم حنين أدراعاً فقال أغضباً يا محمد؟ فقال «بل عارية مضمونة» قال: فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمها له فقال: أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب. ورواه أبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هارون به. وأخرجه النسائي من رواية إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعاً فذكره. ورواه من حديث هشيم، عن حجاج عن عطاء أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث. وقال أبو داود: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ قال «يا صفوان هل عندك من سلاح؟» قال عارية أم غضباً، قال «بل عارية» فأعار ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً وغزا رسول الله ﷺ حنيناً فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً، فقال رسول الله ﷺ لصفوان «قد فقدنا من أدراعك أدراعاً فهل نفرم لك؟» قال: لا يا رسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن فيه يومئذ. وهذا مرسل أيضاً. قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ مع ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً.

قلت: وعلى قول عروة والزهري وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما إلى هوازن أربعة عشر ألفاً، لأنه قدم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم وأضيف ألفان من الطلقاء. وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال قال واستخلف على أهل مكة عتاب بن أسيد^(٣) بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي.

(١) زاد في نسخة لابن هشام، وهو مذكور في «مغازي الواقدي» (٢/٨٩٣) و «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (٨/٣) فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب؛ فأخبره بما قال فقال: كذب ابن أبي حدرد. فقال ابن أبي حدرد لئن كذبتني لربما كذبت بالحق فقال يا رسول الله اسمع ما يقول ابن أبي حدرد قال: صدق، كنت ضالاً فهداك الله.

(٢) الخبر بتمامه في «ابن إسحاق» (٤/٨٠، ٨٣) و «مغازي الواقدي» باختلاف (٢/٨٩١، ٨٩٣).

(٣) في «الواقدي»: استعمل على مكة عتاب بن أسيد يصلي بهم، ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقهاء.

قلت: وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة، قال ومضى رسول الله ﷺ يريد لقاء هوازن وذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمي في ذلك منها قوله:

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها
إني أظن رسول الله صابحكم
فيهم سليم أخوكم غير تارككم
وفي عضادته اليمنى بنو أسد
تكاد ترجف منه الأرض رهبتة
مئي رسالة نصح فيه تبيان
جيشاً له في فضاء الأرض أركان
والمسلمون عباد الله غسان
والأجربان بنو عباس وذبيان
وفي مقدمه أوس وعثمان

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان قبيلة مزينة. قال: وحدثني الزهري، عن سنان بن أبي سنان الدثلي عن أبي واقد الليثي وهو^(١) الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال فسرنا معه إلى حنين، قال: وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدره خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله ﷺ «الله أكبر قلت والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، إنها السنن لتركين سنن من كان قبلكم»^(٢). وقد روى هذا الحديث الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان والنسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهري كما رواه ابن إسحاق عنه، وقال الترمذي حسن صحيح. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعاً. وقال أبو داود: ثنا أبو توبة ثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلوي أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأتنبوا السير حتى كان العشية، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم وبنعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله» ثم قال: «من يجرسنا الليلة» قال أنس^(٣) بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله، قال: فاركب، فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تغرن من قبلك الليلة» فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا يا رسول الله ما أحسنا، فتوب بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ يصلي ويلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال «ابشروا فقد جاءكم فارسكم» فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلاه هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً، فقال له رسول الله ﷺ «هل نزلت الليلة؟» قال لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة، فقال له رسول الله ﷺ «قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها»^(٤) وهكذا رواه النسائي عن محمد بن يحيى عن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة الربيع بن نافع به.

الوقعة وما كان أول الأمر من الفرار ثم العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال: فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله ﷺ إليها فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأحنائه وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عمية الصبح^(٥)، فلما انحط الناس ثارت في

(١) من رواية الواقدي، ورواية البيهقي. وفي الأصل أن وهو تحريف. فالحارث بن مالك يكنى بأبي واقد الليثي.
(٢) الخبر في «الواقدي» (٢/٨٩٠) و«دلائل البيهقي» (٥/١٢٤) و«سيرة ابن هشام» (٤/٨٤). وأخرجه الترمذي في كتاب «الفتن» (١٨) باب الحديث (٢١٨٠).
(٣) في «الواقدي»: أنيس.
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب «الجهاد» - باب في فضل الحرس. الحديث (٢٥٠١) ونقله البيهقي في «الدلائل» (٥/١٢٥ - ١٢٦).
(٥) عمية الصبح: ظلامه قبل أن يتبين.

وجوهم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول «أين أيها الناس؟ هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله» قال: فلا شيء^(١)، وركبت الإبل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته علي بن أبي طالب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبي سفيان، وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد، ومن الناس من يزيد فيهم قثم بن العباس ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر والعباس أخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها، قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، قال فبينما هو كذلك إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه، قال فيأتي علي من خلفه، فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أظن قدمه بنصف ساقه فانجفع عن رحله، قال واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ^(٢). ورواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهري، عن أبيه عن محمد بن إسحاق، قال ابن إسحاق: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو أخذ بثفر^(٣) بغلة رسول الله ﷺ فقال «من هذا؟» قال ابن أمك يا رسول الله. قال ابن إسحاق: ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعني وكان إسلامه بعد مدخولاً وكانت الأزام بعد معه يومئذ - قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة أنبأ إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك: أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم فجعلوها صفوفاً يكثرون على رسول الله ﷺ، فلما التقوا ولّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله ﷺ «يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله. ثم قال «يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله» قال: فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح. قال: وقال رسول الله ﷺ يومئذ «من قتل كافراً فله سلبه» قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم^(٤)، وقال أبو قتادة: يا رسول الله إني ضربت رجلاً على حبل العاتق وعليه درع له فأجهضت عنه فانظر من أخذها قال: فقام رجل فقال: أنا أخذتها فارضه منها وأعطنيها، قال: وكان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت فسكت رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله لا يفتها الله على أسد من أسد الله ويعطيها، فقال رسول الله ﷺ «صدق عمر»^(٥) قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال أبو طلحة ما هذا؟ فقالت إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه، فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سليم؟ فضحك رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك، فقال: «إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم»^(٦) وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم، وأبو داود قوله «من قتل قتيلاً فله سلبه» كلاهما من حديث حماد بن سلمة به. وقول عمر في هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا أبي، ثنا نافع أبو غالب، شهد أنس بن

(١) في «شرح المواهب»: فلاي شيء.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٨٧/٤ - ٨٨) وذكر النووي أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً؛ وقال الواقدي: عن الحارثة بن نعمان فحزرتهم مائة. قال الواقدي ويقال: ثلاثة وثلاثون من المهاجرين وسبعة وستون من الأنصار؛ ويفهم من شعر للعباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط قال:

(٣) نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه
وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
لما مسه في الله لا يتوجع
النفز: السير في مؤخر السرج.

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» من طريق عبد الواحد بن غياث عن حماد (١٥٠/٥).

(٥) روى البيهقي الخبر في «دلائله» (١٤٨/٥).

(٦) رواه مسلم في «الصحيح» (٣٢) كتاب «الجهاد» (٥٧) باب حديث (١٣٤) والبيهقي في «الدلائل» (١٥٠/٥).

مالك فقال العلاء بن زياد العدوي: يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بعث؟ فقال: ابن أربعين سنة، قال ثم كان ماذا؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة، ثم قبضه الله إليه. قال بسن أي الرجال هو يومئذ؟ قال كأشب الرجال وأحسنه وأجمله وأحلمه، قال يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمننا، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل فهزمهم الله فولوا، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح فجعل يجاء بهم أسارى رجل رجل فيبايعونه على الإسلام، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ إن علي نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمننا لأضربن عنقه، قال فسكت رسول الله ﷺ وجيء بالرجل فلما رأى نبي الله ﷺ قال: يا نبي الله تبت إلى الله؟ قال: وأمسك نبي الله ﷺ أن يبايعه ليوفي الآخر نذره. قال: وجعل ينظر إلى النبي ﷺ ليأمره بقتله ويهاب رسول الله ﷺ، فلما رأى النبي ﷺ إنه لا يصنع شيئاً ببايعه فقال يا نبي الله نذري؟ قال «لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك» فقال يا رسول الله ألا أومأت إلي؟ قال «إنه ليس لنبي أن يومي» تفرد به أحمد. وقال أحمد حدثنا يزيد ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين «اللهم إنك إن تشاء لا تعبد في الأرض بعد اليوم» إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه. وقال البخاري: ثنا محمد بن بشار، ثنا غندر، ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس أفرتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ - فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبينا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام. ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان^(١) أخذ بزمامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب، ورواه البخاري عن أبي الوليد عن شعبة به وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخاري: وقال إسرائيل وزهير عن أبي إسحاق عن البراء ثم نزل عن بغلته. ورواه مسلم والنسائي عن بندار. زاد مسلم؛ وأبي موسى كلاهما عن غندر به. وروى مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن البراء قال ثم نزل فاستنصر وهو يقول:

«اللهم نزل نصرك» قال البراء: ولقد كنا إذا حمي البأس نتقي برسول الله ﷺ وإن الشجاع الذي يحاذي به^(٢). وروى البيهقي من طرق أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «أنا ابن العواتك» [وقال الطبراني: ثنا عباس بن الفضل الأسفاطي، ثنا عمرو بن عوف الواسطي، ثنا هشيم، أنبا يحيى بن سعيد، عن عمرو بن سعيد بن العاص، عن شبابة، عن ابن عاصم السلمي أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك»]^(٣) وقال البخاري: ثنا عبد الله بن يوسف، أنبا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن كثير بن أفلح، عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل علي فضممني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر، فقلت: ما بال الناس؟ فقال: أمر الله، ورجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال «من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه» فقلت: من يشهد لي، ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله، فقلت: من يشهد لي، ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله فقلت: من يشهد لي، ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله فقلت فقال «ما لك يا أبا

(١) وهو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو ابن عم النبي ﷺ.

أخرجه البخاري في كتاب «الجهاد» الحديث (٢٨٦٤)؛ والحديث (٢٨٧٤)؛ وأخرجه في «المغازي» الحديث (٤٣١٥). ومسلم في (٣٢) كتاب «الجهاد» (٢٨) باب الحديث (٧٨).

(٢) مسلم في كتاب «الجهاد» الحديث (٧٩) (١٤٠٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «الدلائل» عن شبابة بن عاصم (١٣٦/٥) وأخرجه سعيد بن منصور، والطبراني في «الكبير» عن شبابة بن منصور: وما في الأصل عن ابن عاصم تحريف ولعل لإحمام عن وهم من الناسخ، قال المنذري: أنا ابن العواتك. جمع عاتكة من سيلم قال في «الصحاح»: العواتك من جداته تسع وقال الحلبي: لم يرد بقوله فخراً بل تعريف منازل المذكورات. وفي رواية لابن عساكر: أنا ابن الفواطم. قال السهيلي: امرأة عاتكة وهي المصفرة بالزعفران والطيب. وعند ابن سعد: العاتكة في اللغة الطاهرة.

قتادة؟ فأخبرته فقال رجل: صدق، سلبه عندي فأرضه مني، فقال أبو بكر: لاها الله^(١) إذا تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه؟ فقال النبي ﷺ «صدق فأعطه» فأعطانيه فابتعت به مخزافاً في بني سلمة فإنه لأول مال تأثله في الإسلام^(٢). ورواه بقية الجماعة إلا النسائي من حديث يحيى بن سعيد به. قال البخاري: وقال الليث بن سعد، حدثني يحيى بن سعيد، عن عمرو بن كثير بن أفلح، عن أبي محمد مولى أبي قتادة أن أبا قتادة قال: لما كان يوم حين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقته، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضمماً شديداً حتى تخوفت، ثم ترك فتحلل فدفعتته ثم قتله، وانهمز المسلمون فانهمز معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له ما شأن الناس؟ قال أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله «من أقام بينة على قتيل فله سلبه» فقامت لأتمس بينة على قتيلي فلم أر أحداً يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه مني. فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أضييع^(٣) من قريش ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال فقال رسول الله فاداه إلي فاشترت به مخزافاً^(٤) فكان أول مال تأثله، وقد رواه البخاري في مواضع آخر ومسلم كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به، وقد تقدم من رواية نافع أبي غالب عن أنس أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعة لأبي بكر الصديق ومساعدة وموافقة له، أو قد اشتبه على الراوي والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي: أنبأ الحاكم، أنبأ الأصم، أنبأ أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى «يا عباس ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة»^(٥) فأجابوه ليك ليك، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيه فلا يقدر على ذلك، فيقذف درعه عن عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة، فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار، ثم جعلت آخراً للخزرج وكانوا صبراً عند الحرب، وأشرف رسول الله ﷺ في ركابه فنظر إلى مجتلد القوم فقال «الآن همي الوطيس» قال: فوالله ما راجعه الناس^(٦) إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتفون، فقتل الله منهم من قتل، وانهمز منهم من انهمز، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالهم [ونساءهم]^(٧) وأبناءهم. وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة. وذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقر بها عينه، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركباً ومشاة حتى خرج النساء يمشين على غير دين، نظاراً ينظرون، ويرجون الغنائم، ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه، قالوا وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما، قالوا وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النصري ومعه دريد بن الصمة يرعش من الكبر، ومعه النساء والذراري والنعم، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد عيناً فبات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه: إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد، واكسروا أعماد سيوفكم واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً، فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة، وصف الناس بعضهم لبعض وركب رسول الله ﷺ بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال، وبشرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد، فجال المسلمون جولة ثم ولوا مدبرين، فقال حارثة بن

(١) لاها الله: قال الجوهرى: ما للتنبيه وقد يقسم بها يقال: ها الله ما فعلت كذا. وقال ابن مالك: فيه شاهد على جواز الاستغناء عن واو القسم بحرف التنبيه. قال: ولا يكون ذلك إلا مع الله.

(٢) أخرجه البخاري في «البيوع» (٣٧) باب «فتح الباري» (٣٢٢/٤) وأحمد في «مسنده» (٣٢٦/٥).

(٣) أضييع: تصغير أضييع، وهو القصير الضييع ويكنى به عن الضعيف. وتروى: أضييع: وهو نوع من الطيور القسطلاني (٦/٤٠٧).

(٤) مخزاف: السكة، والطريق بين صفيين من النخل.

(٥) في «الدلائل»: يا أصحاب الشجرة.

(٦) في «الدلائل»: ما رجعت راجعة الناس.

(٧) من «الدلائل» (١٢٩/٥).

النعمان: لقد حزرت من بقي مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس فقلت مائة رجل، قالوا: ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجتبرونها أبداً، فقال له صفوان: تبشرنى بظهور الأعراب، فوالله لرب من قريش أحب إلي من رب من الأعراب، وغضب صفوان لذلك. قال عروة: وبعث صفوان غلاماً له فقال: اسمع لمن الشعراء؟ فجاءه فقال سمعتهم يقولون: يا بني عبد الرحمن يا بني عبد الله، يا بني عبيد الله، فقال: ظهر محمد وكان ذلك شعارهم في الحرب. قالوا: وكان رسول الله ﷺ لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول «اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا» ونادى أصحابه وزمرهم^(١) «يا أصحاب البيعة يوم الحديبية! الله الكرة على نبيكم» ويقال حرضهم فقال «يا أنصار الله وأنصار رسوله، يا بني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة» وأمر من أصحابه من ينادي بذلك، قالوا: وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال «شاهت الوجوه» وأقبل أصحابه إليه سراعاً يتدرون، وزعموا أن رسول الله ﷺ قال «الآن حمي الوطيس» فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذريتهم^(٢)، وفر مالك بن عوف، حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشرف قومه، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله ﷺ وإعزازة دينه^(٣). رواه البيهقي: وقال ابن وهب: أخبرني يونس عن الزهري أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب، قال: قال العباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان ابن الحارث لا نفارقه. ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى الناس ولى المسلمون مدبرين فطلق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، قال العباس: وأنا أخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ وقال رسول الله ﷺ «أي عباس ناد أصحاب السمر» قال فوالله لكأنما عطفتم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا ليكاه يا ليكاه، قال فاقتلوا هم والكفار والدعوة في الأنصار وهم يقولون: يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال «هذا حين حمي الوطيس» ثم أخذ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار، ثم قال «انهزموا ورب محمد» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته فما زلت أرى حدهم قليلاً، وأمرهم مدبراً^(٤). ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه. ورواه أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه. وروى مسلم من حديث عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلوا ثنية، فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم، وتوارى عني، فما دريت ما صنع، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعموا من ثنية أخرى فالتقواهم وصحابة رسول الله ﷺ فوالله فوالله أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزماً وعلي بردتان متزراً بإحداها مرتدياً بالأخرى، قال فاستطلق إزارى فجمعتها جمعاً ومررت على النبي ﷺ وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء، فقال «لقد رأى ابن الأكوع فزعاً» فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال «شاهت الوجوه» فما خلى الله منهم إنساناً إلا ملاً عينيه تراباً من تلك القبضة فولوا مدبرين: فهزمهم الله وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين^(٥). وقال أبو داود الطيالسي في «مسنده»: ثنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن عبد الله بن يسار، عن أبي عبد الرحمن الفهري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حنين فسرنا في يوم قايظ شديد الحر فنزلنا تحت ظلال السمر، فلما زالت الشمس لبست لامتني وركبت فرسي فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قد حان الرواح يا رسول الله؟ قال «أجل» ثم قال رسول الله ﷺ «يا بلال» فنار من تحت سمره كأن ظله ظل طائر فقال: ليك وسعديك وأنا فداؤك؟ فقال «أسرج لي فرسي» فأتاه بدفتين

(١) زمرهم: أغرامهم بأعدائهم. وفي رواية البيهقي عنه: وذمرهم.

(٢) زاد البيهقي في روايته: وشاءهم.

(٣) رواية موسى بن عقبة رواها ابن عبد البر في باختصار ص (٢٢٦). ورواها البيهقي في «الدلائل» (١٢٩/٥، ١٣٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب «الجهاد» (٢٨) باب الحديث (٧٦) ورواه البيهقي في «الدلائل» (١٣٧/٥، ١٣٩).

(٥) رواه مسلم من طريق زهير بن حرب في كتاب «الجهاد». باب غزوة حنين الحديث (٨١).

من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر. قال: فركب فرسه فسرنا يومنا فلقينا العدو وتسامت الخيلان، فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فجعل رسول الله ﷺ يقول «يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله» واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه. وحدثني من كان أقرب إليه مني أنه أخذ حفنة من التراب فحشى بها وجوه العدو وقال «شاهت الوجوه» قال يعلى بن عطاء فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا: ما بقي أحد إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب، وسمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد فهزمهم الله عز وجل^(١). ورواه أبو داود السجستاني في «سننه»: عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه. وقال الإمام أحمد: ثنا عفان، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا الحارث بن حصين، ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: قال عبد الله بن مسعود: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة، قال ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدماً، فحادت به بغلته فمال عن السرج فقلت له ارتفع رفعك الله فقال «ناولني كفاً من تراب» فضرب به وجوههم فامتلات أعينهم تراباً قال «أين المهاجرين والأنصار؟ قلت هم أولاء قال «اهتف بهم» فهتفت بهم فجاؤوا سيوفهم بأيامهم كأنها الشهب وولى المشركون أدبارهم^(٢). تفرد به أحمد. وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري، ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاري، عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر، قال وأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى فرمى بها في وجوهنا فانهمزنا. ورواه البخاري في «تاريخه» ولم ينسب عياضاً. وقال مسدد: ثنا جعفر بن سليمان، ثنا عوف بن عبد الرحمن، مولى أم برثن، عمن شهد حنيناً كافراً قال: لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ حتى إذ غشيناه، فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا: شاهت الوجوه فارجعوا، فهزمنا من ذلك الكلام^(٣). رواه البيهقي. وقال يعقوب بن سفيان، ثنا أبو سفيان، ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم، ثنا الوليد بن مسلم، حدثني محمد بن عبد الله الشعبي، عن الحارث بن بدل النصري، عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان الثقفي قالوا: انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباس وأبو سفيان بن الحارث، قال: فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصاة فرمى بها في وجوههم، قال: فانهمزنا، فما خيل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا، قال الثقفي: فأعجزت على فرسي حتى دخلت الطائف^(٤). وروى يونس بن بكير في «مغازيه»، عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله ﷺ يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد. وروى البيهقي من طريق الكديمي، ثنا موسى بن مسعود ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال: عند انكشافه انكشافها المسلمون^(٥) يوم حنين فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال «ارجعوا شاهت الوجوه» فما أحد يلقي أخاه إلا وهو يشكو قذى في عينيه. ثم روي من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي، حدثني أبي السائب بن يسار سمعت يزيد بن عامر السوائي - وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد - قال: فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان؟ قال: فكان يأخذ لنا بحصاة فيرمي بها في الطست فيطن، قال كنا نجد في أجوافنا مثل هذا. وقال البيهقي: أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالوا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد [قال: حدثنا محمد]^(٦) بن بكير

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في «سننه» ونقله عنه بأسانيد البيهقي في «الدلائل» (٤/١٤١ - ١٤٢).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/٤٥٤) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٨٠) وقال: «رواه: أحمد والبخاري والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح، غير الحارث بن حصيرة، وهو ثقة».

(٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٥/١٤٢).

(٤) رواه مسدد في «سننه» وابن عساكر عن عبد الرحمن مولى أم برثن، والبيهقي في «الدلائل» (٥/١٤٣) ونقله الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» (٣/١٥).

(٥) في «البيهقي»: عند انكشافه انكشاف المسلمون.

(٦) سقطت من الأصل واستدركت من «الدلائل».

الحضرمي، ثنا أيوب^(١) بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله إني أرى خيلاً بلقاً، فقال «يا شيبة إنه لا يراها إلا كافر» فضرب يده في صدره ثم قال «اللهم اهد شيبة» ثم ضربها الثانية فقال «اللهم اهد شيبة» ثم ضربها الثالثة ثم قال «اللهم اهد شيبة» قال فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلي منه. ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهمزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين. وقال البيهقي: أنبأ أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، ثنا يوسف بن موسى، ثنا هشام بن خالد، ثنا الوليد بن مسلم: حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس، عن شيبة بن عثمان قال: لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عري: ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة إياهما، فقلت اليوم أدرك ثأري مع رسول الله ﷺ، قال فذهبت لأجيبه عن يمينه فإذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج، فقلت عمه ولن يخذله، قال ثم جثته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله، قال ثم جثته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفضت أن يمحشني، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقري، فالتفت رسول الله ﷺ وقال «يا شيب أدن مني، اللهم اذهب عنه الشيطان» قال: فرفعت إليه بصري ولهو أحب إلي من سمعي وبصري، فقال «يا شيب قاتل الكفار»^(٢) وقال ابن إسحاق: وقال شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار قلت اليوم أدرك ثأري [من محمد]^(٣) - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً، قال: فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي، فلم أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوع مني^(٤). وقال محمد بن إسحاق: وحدثني والذي إسحاق بن يسار عن حدثه عن جبير بن مطعم قال: إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتتلون إذا نظرت إلى مثل البجاد الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم، فإذا نمل منشور^(٥) قد ملأ الوادي فلم يكن إلا هزيمة القوم، فما كنا نشك أنها الملائكة^(٦) ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق به. وزاد فقال خديج بن العوجا النصري - يعني في ذلك -:

ولما دنونا من حنين ومائه
بملمومة شهباء لو قذفوا بها
ولو أن قومي طاوعتني سراتهم
إذا ما لقينا جند آل محمد

وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النصري رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغا يرتجز ويقول:

أقدم مجاج إنه يوم نكز
إذا أضيع الصف يوماً والدبر
كتائب يكل فيهن البصز
حين يذم المستكن المنجحر
لها من الجوف رشاش منهمز
مِثلي على مثلك يحمي ويكز
ثم احزالت زمر بعد زمر
قد أظعن الطعنة تقذي بالسبز^(٨)
وأظعن النجلاء تعوي وتهز
تفهق تاراتٍ وحيناً تنفجز

(١) من «الدلائل»: أيوب؛ وفي الأصل: أبو أيوب.

(٢) أخرجه البيهقي هذه الأخبار في «الدلائل» في باب: رمي النبي ﷺ وجوه الكفار والرعب الذي ألقى في قلوبهم (١٤٣/٥)، (١٤٦).

(٣) من ابن هشام.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٨٧/٤).

(٥) في «ابن هشام»: مبثوث. يعني متفرق رآه ينزل من السماء.

(٦) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٩١/٤) ورواه البيهقي في «الدلائل» (١٤٦/٥).

(٧) في «البيهقي»: من عود، بدل: من عروى. وفي ابن هشام: من عروى. وقال أبو ذر: عروى وهنا اسم رجل.

(٨) يكل فيهن البصر: يعيا عن إدراك نهايتها لكثرة عددها.

وثلعبُ العامل فيها منكيز
قد أنفذ الضرسُ وقد طال العمز
أنسي في أمثالها غيرُ عمز
وذكر البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولى أصحابه منهزمين
وذلك قوله بعدما أسلم وقيل هي لغيره:

أذكر مسيرهم والناس كلهم^(٢)
ومالك مالك ما فوقه أحد
حتى لقوا الناس حين البأس يقدمهم
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً
حتى تنزل جبريل بنصرهم
منا ولو غير جبريل يقاتلنا
وقد وفي^(٥) عمر الفاروق إذ هزموا
قال ابن إسحاق: ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خيل الله خيل اللات
قال ابن هشام: وقد أنشدني بعض أهل الرواية للشعر:
قد غلبت خيل الله خيل اللات

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، وكانت مع ذي الخمار^(٧)، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قتل، فأخبرني عامر بن وهب بن الأسود: أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال: أبعد الله فإنه كان يبغض قريشاً، وذكر ابن إسحاق عن يعقوب ابن عتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصراني، فجاء رجل من الأنصار ليسلبه فإذا هو أغرل، فصاح بأعلا صوته: يا معشر العرب إن ثقيفاً غرل، قال المغيرة بن شعبه الثقفي: فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب، فقلت لا تقل كذلك فذاك أبي وأمي إنما هو غلام لنا نصراني، ثم جعلت أكشف له القتل فأقول له ألا تراهم مختنين كما ترى؟ قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين؛ ورجل من بني غيرة يقال له وهب ورجل من بني كبة يقال له الجلاح^(٨)، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح «قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيذة» يعني الحارث بن أوس^(٩). قال ابن إسحاق فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت:

ألا من مبلغ غيلان عني
وعروة إنما أهدى جواباً
وسوف إخال يأتيه الخبيرُ
وقولاً غير قولكم يسيرُ

(١) في الأصل الحاضن وهي التي تحضن ولدها. وأثبتنا ما في «ابن هشام»: الحاصن: أي العفيفة الممتعة.

(٢) الصدر في البيهقي و«ابن هشام»: أذكر مسيرهم للناس إذا جمعوا...

(٣) عجزه في «ابن هشام»: من السماء فمهزوم ومعتق.

(٤) في البيهقي: الغلق، وفي «ابن هشام»: العتق: جمع عتيق، وهو النفيس.

(٥) في «ابن هشام»: وفاتنا.

(٦) في «ابن هشام» و«البيهقي»: بلّ منها.

(٧) ذو الخمار: وهو عوف بن الربيع. قال الواقدي: قتل منهم قريب من مائة رجل.

(٨) في «الواقدي»: اللجلاج؛ من بني كنة وقال: كانت كنة امرأة من غامد يمانية قد وُلدت في قبائل العرب وكانت أمة، فاعتق الحارث كل مملوك من بني كنة. قال أبو ذر الخشني: «كبة بالياء، وهو الصواب».

(٩) في «الواقدي»: الحارث بن عبد الله بن يعمر بن إياس بن أوس بن ربيعة بن الحارث.

لرب لا يفضل ولا يجوز
فكل فتى بخايره مخير
بوج إذا تُقسمت الأمور^(١)
أمير والدوائر قد تدور
جنود الله ضاحية تسير
على حنق نكاذ له تطير
إليهم بالجنود ولم يغوروا
أبحناها وأسلمت النصور^(٢)
فأقلع والدماء به تمور
ولم يسمع به قوم ذكور
على راياتها والخيل زور
لهم عقل يعاقب أو نكير
وقد باننت لمبصرها الأمور
وقتل منهم بشر كثير
ولا الغلج الصريرة الحصور^(٣)
أمورهم وأفلتت الصقور
أهين لها الفصافص والشعير
تقسمت المزارع والقصور
على يمن أشار به المشير
وأحلام إلى عز تصير
أنوف الناس ما سمر السмир
بحرب الله ليس لهم نصير
برهط بني غزية عنقفير
إلى الإسلام ضائنة تخور
وقد برأت من الإحن الصدور
من البغضاء بعد السلم عور

بأن محمداً عبداً رسول
وجدناه نبياً مثل موسى
وبئس الأمر أمر بني قسي
أضاعوا أمرهم ولكل قوم
فجئنا أسد غابات إليهم
نؤم الجمع جمع بني قسي
وأقسم لو هموا مكثوا لسرنا
فكنا أسدلية ثم حتى
ويوم كان قبل لدى حنين
من الأيام لم تسمع كيوم
قتلنا في الغبار بني خطيط
ولم يك ذو الخمار رئيس قوم
أقام بهم على سنن المنايا
فأفلت من نجا منهم خريضا^(٣)
ولا يغني الأمور أخو التواني
أحائهم وحيان وملكوه
بنو عوف يميخ بهم جياد
فلولا قارب وبنو أبيه
ولكن الرياسة عمموها
أطاعوا قاريا ولهم حدود
فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا
فإن لم يسلموا فهموا أذان
كما حكمت بني سعد وجرت^(٥)
كان بني معاوية بن بكر
فقلنا أسلموا إنا أخوكم
كان القوم إذ جاؤا إلينا

فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصري على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال: قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم. قال ابن إسحاق^(٦): فبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم، طويلة بوادهم، فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا نرى قوماً عارضي رماحهم أغفلاً على خيلهم، فقال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم، فلما انتهوا إلى أصل الثنية

(١) وج: اسم وإد بالطائف قبل حنين.

(٢) لية: موضع قريب من الطائف. والنصور: من هوازن، وهم رهط مالك بن عوف النصري قاله السهلي.

(٣) في «ابن هشام»: جريضا، يعني المختق بريقه.

(٤) الصريرة: تصغير الصرورة، وهو الذي لا يأتي النساء.

(٥) في «ابن هشام» صدره: كما حكمت بني سعد وحرب...

(٦) في «سيرة ابن هشام» قال ابن هشام.

سلكوا طريق بني سليم، ثم طلع فارس فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى فارساً طويلاً الباد واضحاً ربحه على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء^(١)، قال: هذا الزبير بن العوام وأقسم باللات ليخالطنكم فأثبتوا له، فلما انتهى الزبير إلى أصل الشية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها.

فصل

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق إلى الجعرانة فتحبس هناك، قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري.

فصل

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون^(٢) عليها فقال لبعض أصحابه «أدرك خالداً فقل له: إن رسول الله ﷺ - ينهك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً»^(٣) هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً. وقد قال الإمام أحمد: ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، ثنا المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، حدثني المرقع بن صيفي عن جده رباح بن ربيع أخي بني حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه رجع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فمر رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال «ما كانت هذه لتقاتل» فقال لأحدهم «الحق خالداً فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً» وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفي به نحوه.

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصراني فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا بها، وسارت فرقة فعمسكروا بمكان يقال له أوطاس فبعث إليهم رسول الله ﷺ سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلوهم فغلبوهم، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف كما سيأتي.

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم إلى نخلة، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبعته خيل رسول الله ﷺ من سلك الثنايا قال: فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهان^(٤) السلمي ويعرف بابن الدغنة - وهي أمه - دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه في شجار لهم، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، وإذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت! قال أنا ربيعة بن ربيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، قال: بش ما سلحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار، ثم أضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، قرب والله يوم منعت فيه نساءك، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشف، فإذا عجانه^(٥) وبطون فخذيته مثل القراطيس، من ركوب الخيل أعراء، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت: أما والله ولقد أعتق أمهات لك ثلاثاً. ثم ذكر ابن إسحاق ما رثت به عمرة بنت دريد أباه فمن ذلك قولها:

قالوا قتلنا دريداً قلتُ قد صدقوا
لولا الذي قهر الأقوام كلهم
إذن لصبّحهم غيباً وظاهرة
فظلّ دمعي على السربال ينحدرُ
رأت سليمٌ وكعبٌ كيف ياتمرُ
حيث استقرت نواهم جحفلٌ ذفرُ

(١) في «الواقدي»: ملاءة صفراء.

(٢) متقصفون: مزدحمون.

(٣) العسيف: الأجير، والعبد المستعان به.

(٤) في «ابن هشام»: ابن أهان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن شمال بن عوف بن امرئ القيس.

(٥) عجانه: ما بين الخصية والدبر.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعض من أنهزم، فناوشوه القتال، فرمى أبو عامر فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمه، فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وقال: إن تسألوا عني فإني سألته ابن سَمَادِير^(١) لَمَنْ تَوَسَّمَهُ أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْمُسْلِمِينَ

قال ابن إسحاق: وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه: أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر، ثم حمل عليه آخر، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقي العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر، فأقلت، فأسلم بعد فحسن إسلامه، فكان النبي ﷺ إذا رآه قال: «هذا شريد أبي عامر» قال: ورمى أبا عامر؛ أخوان: العلاء وأوفى ابنا الحارث، من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه، والآخر ركبته فقتلاه، وولى الناس أبا موسى، فحمل عليهما فقتلهما، فقال رجل من بني جشم [بن معاوية]^(٢) يرثيهما:

إن الرزيلة قتل العلاء
هما القاتلان أبا عامر
هما تركاه لدى مفرك
فلم ير في الناس مثليهما
وأوفى جميعاً ولم يسندا
وقد كان داهية أربدا^(٣)
كان على عطفه مجسدا^(٤)
أقل عثاراً وأرمى يدا

وقال البخاري: ثنا محمد بن العلاء، وحدثنا أبو أسامة، عن يزيد^(٥) بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمى أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأثبتته في ركبته، قال: فانتهيت إليه فقلت يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له، فلحقته فلما رأيته ولى فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي ألا تثبت؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت: لأبي عامر قتل الله صاحبك، قال: فانتزع هذا السهم، فترعته فترا منه الماء. قال: يا ابن أخي اقرئ رسول الله ﷺ السلام وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات، فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله: قل له استغفر لي، قال: فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر» ورأيت بياض إبطيه ثم قال «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك - أو من الناس» فقلت ولي فاستغفر، فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً» قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضي الله عنهما^(٦). ورواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن براد^(٧) عن أبي أسامة به نحوه وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأ سفيان - هو الثوري - عن عثمان البتي، عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج، فسألنا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] قال فاستحللنا بها

(١) سَمَادِير: أم سلمة بن دريد.

(٢) من «ابن هشام».

(٣) في «ابن هشام»: ذا هبة؛ وهبة السيف اهتزازه.

(٤) المسجد: الثوب المصبوغ بالجساد، وهو الزعفران.

(٥) من «البخاري» وفي الأصل يزيد بن عبد الله.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٥٥) باب الحديث (٤٣٢٣) «فتح الباري» (٤١/٨). ومسلم في كتاب «فضائل الصحابة»

(٣٨) باب. الحديث (١٦٥) ورواه البيهقي في «الدلائل» في باب ما جاء في جيش أوطاس: (١٥٢/٥ - ١٥٣).

(٧) من «صحيح مسلم» وفي الأصل عبد الله بن أبي براد وهو تحريف. وعبد الله بن براد هو أبو عامر الأشعري.

فروجهن. وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان البتي به. وأخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث شعبة عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري. وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة، زاد مسلم وشعبة والترمذي من حديث همام عن يحيى ثلاثتهم عن قتادة، عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد: أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك فكان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأنموا من غشيانهن، فنزلت هذه الآية في ذلك ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] وهذا لفظ أحمد بن حنبل فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمي وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم. وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الأمة طلاقها. روي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصري وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بريرة حيث بيعت ثم خيرت في فسخ نكاحها أو إبقائه، فلو كان بيعها طلاقها لها لما خيرت، وقد تقصينا الكلام على ذلك في «التفسير» بما فيه كفاية وسنذكره إن شاء الله في «الأحكام الكبير»، وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشتركة بهذا الحديث في سبايا أوطاس، وخالفهم الجمهور وقالوا هذه قضية عين فلعلهن أسلمن أو كن كتابيات وموضع تقرير ذلك في «الأحكام الكبير» إن شاء الله تعالى.

من استشهد يوم حنين وأوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ وهو أيمن بن عبيد، وزيد^(١) بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جمح به فرسه الذي يقال له الجناح فمات، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدي الأنصاري من بني العجلان، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أوطاس، فهؤلاء أربعة رضي الله عنهم.

ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بجير بن زهير بن أبي سلمى:

حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبانٍ^(٢)
وسوابحُ يكبُونُ للأذقان^(٣)
ومقطَّرُ بسنابكٍ ولَبَّانٍ^(٤)
وأعزَّنَا بعبادة الرحمن
وأذلَّهُم بعبادة الشيطان

لولا الإله وعبده ولئيم
بالجزع يوم حبالنا أقراننا
من بين ساع ثوبه في كفه
والله أكرمنا وأظهر ديننا
والله أهلكتهم وفرق جمعهم
قال ابن هشام ويروي فيها بعض الرواة:

يدعون: يالكتيبة الإيمان
يوم العريض وبئعة الرضوان^(٥)

إذ قام عم نبيكم ووليئه
أين الذين هم أجابوا ربهم
وقال عباس بن مرداس السلمي:

وما يتلو الرسول من الكتاب
بجنب الشعب أمس من العذاب
فقتلهم الذم من الشراب
وحللت بركها ببني رثاب

فلاني والسوابح يوم جمع
لقد أحببت ما لقيت ثقيف
هم رأس العدو من أهل نجد
هزمتنا الجمع جمع بني قسي

(١) في «ابن هشام»: يزيد، والواقدي وابن سعد لم يذكره بل ذكرا: رقيم بن ثعلبة بن زيد بن لوزان انظر «ابن حزم» و «مغازي الواقدي» (٩٢٢/٣) «طبقات ابن سعد» (١٥٢/٢).

(٢) جيان، وتروى جنان؛ والجنان: القلب.

(٣) الجزع: ما انعطف من الوادي.

(٤) مفطر: مرمي على قطره، وهو جنبه، والسنابك: جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر. واللبان: الصدر.

(٥) العريض: واد بالمدينة.

بأوطاسٍ تعمقُ بالتراب
لقيام نساؤهم والنقع كابي
إلى الأورال تنحط بالتهاب^(١)
كتيبته تفرض للضراب

بالحق كل هدى السبيل هداكا
في خلقه ومحمداً سماكا
جنذ بعثت عليهم الضحاكا
لما تكئفه العدو يراكا
يبغي رضا الرحمن ثم رضاكا
تحت العجاجة يدمغ الإشراكا
يفري الجماجم صارماً فتاكا^(٢)
ضرباً وطعنأ في العدو دراكا
أسد العرين أزدن ثم عراقا
إلا لطاعة ربهم وهو اكا
معروفة ووليتنا مولاكا

فمطلا أريك قد خلا فالمصانع^(٥)
رخي وصرف الدهر للحي جامع
لبين فهل ماض من العيش راجع
فلاني وزير للنبي وتابع
خزيمة والمرار منهم وواسع
لبوس لهم ممن نسج داود رائع
يد الله بين الأخشبين ثبايع
بأسيافنا والنقع كاب وساطع
حميم وأن من دم الجوف ناقع
إلينا وضاقبت بالنفوس الأضالع
قراع الأعادي منهم والوقائع
لواء كخذروف^(٦) السحابة لامع
بسيف رسول الله والموت كانع^(٧)

وصرمأ من هلال غادرتهم
ولو لاقين جمع بني كلاب
ركضنا الخيل فيهم بين بس
بذي لجب رسول الله فيهم
قال عباس بن مرداس أيضاً:

يا خاتم النبأ إنك مرسل
إن الإله بنى عليك محبة
ثم الذين وقوا بما عاهدتهم
رجلاً به ذرب^(٢) السلاح كأنه
يفشى ذوي النسب القريب وإنما
أنبئك أني قد رأيت مكره
طوراً يعانق باليدين وتارة
وبنو سليم معلقون أمامه
يمشون تحت لوائه وكانهم
ما يرتجون من القريب قرابة
هذي مشاهدنا التي كانت لنا
وقال عباس بن مرداس أيضاً^(٤):

عفا مجدلاً من أهله فمتالع
ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا
حبيبة ألوت بها غربة النوى
فإن تبتغي الكفار غير ملومة
دعانا إليه خير وفد علمتهم
فجئنا بألف من سليم عليهم
نبايعه بالأخشبين وإنما
فجئنا مع المهدي مكة عنوة
علانية والخيل يفشى متونها
ويوم حنين حين سارت هوازن
صبرنا مع الضحك لا يستفزنا
أمام رسول الله يخفق فوقنا
عشية ضحك بن سفيان معتص

(١) بس: موضع في أرض بني جشم؛ والأورال أجبل ثلاثة سود؛ وفي نسخ «البداية المطبوعة» أوراد وهو تحريف.

(٢) ذرب السلاح: حدته ومضاؤه، وفي نسخ «البداية المطبوعة» درب بالدال وهو تحريف.

(٣) بعده في ابن هشام:

منه الذي عاينت كان شفاكا

يفشى به هام الكماة ولو ترى

(٤) هذه القصائد من هنا إلى آخرها سقطت من نسخة التيمورية.

(٥) مجدل ومعال وأريك: أسماء مواضع.

(٦) خذروف السحابة: طرفها، يريد به: سرعة تحرك هذا اللواء واضطرابه.

(٧) معتص: ضارب؛ وكانع: قريب.

نذودُ أخانا عن أخينا ولو ترى^(١)
ولكنَ دينَ اللّٰه دینَ محمد
أقامَ به بعدَ الضلالة أمرنا
وقال عباس أيضاً:

تقطع باقي وصل أم مؤمل
وقد حلفت بالله لا تقطع القوى
خفافية بطن العقيق مصيفها
فإن تتبع الكفار أم مؤمل
وسوف ينبئها الخبير بأننا
وإنما مع الهادي النبي محمد
بفتيان صدق من سليم أعزة
خفاف وذكوان وعوف تخالهم
كان نسيج الشهب والبيض ملبس
بنا عز دين الله غير تنحل
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا
على شخص الأبرار تحسب بينها
غداة وطئنا المشركين ولم نجد
بمعتريك لا يسمع القوم وسطه
ببيض تطير الهام عن مستقرها
فكائن تركنا من قتييل ملخب
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي
وقال عباس أيضاً رضي الله عنه:

ما بال عينك فيها عائر سهر
عين تأوبها من شجوها أرق
كأنه نظم در عند ناظمه
يا بعد منزل من ترجو مودته
دغ ما تقدم من عهد الشباب فقد
واذكز بلاء سليم في مواطنها
قوم هموا نصروا الرحمن وأتبعوا
لا يغرسون فسيل النخل وسطهم
إلا سوابح كالعقبان مقربة

مصالاً لكتنا الأقربين نتابع
رضينا به فيه الهدى والشرائع
وليس لأمر حمة الله دافع

بعاقبة واستبدلت نية خلفاً^(٢)
فما صدقت فيه ولا برت الخلفا
وتحتل في البادين وجرّة فالعرفا^(٣)
فقد زودت قلبي على نأيها شغفا
أبيننا ولم نطلب سوى ربنا جلفا
وفينا ولم يستوفها معشر ألفا
أطاعوا فما يعضون من أمره حرفا
مصاعب زافت في طروقتها كلفا
أسوداً تلاقت في مراصدها غصفا
وزدنا على الحي الذي معه ضغفا
عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
إذا هي جالت في مراودها عزقا^(٤)
لأمر رسول الله عدلاً ولا صزفا
لنا زخمة إلا التذامر والنقفا
وتقطف أعناق الكماة بها قظفا
وأرملة تدعو على بعلمها لهفا
ولله ما يبذو جميعاً وما يخفي

مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر^(٥)
فالماء يغمرها طوراً وينحدر
تقطع السلك منه فهو منتثر
ومن أتى دونه الضمان فالحفر^(٦)
ولى الشباب وزار الشيب والزعر^(٧)
وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
دين الرسول وأمر الناس مشتجر
ولا تخاوز في مشتاهم البقر
في دارة حولها الأخطار والعكر^(٨)

(١) يريد أنه من بني سليم. وسليم من قيس: كما أن هوازن من قيس.

(٢) النية: ما ينويه الإنسان من وجه ويقصده. وقال السهيلي: النية من النوى: البعد.

(٣) العقيق ووجرة والعرف: أسماء مواضع.

(٤) مراود: جمع مرود وهو الوتد، قال السهيلي: يجوز أن يكون جمع مراد، وهو حيث ترود الخيل.

(٥) العائر: كل ما أعل العين من رمد أو قذى والحماطة: تين الذرة. والشعر: أصل منبت الشعر في الجفن.

(٦) الصمان والحفر: موضعان.

(٧) الزعر: قلة الشعر.

(٨) في نسخ «البلدانية المطبوعة»: مغربة اثبتنا مقربة من ابن هشام، والمكر: الإبل الكثيرة. والأخطار: الجماعات من الإبل.

وحى ذكوان لا ميل ولا ضجر^(١)
ببطن مكة والأرواح تُبتدر
نخل بظاهرة البطحاء منقعر
للدين عزاً وعند الله مدخر
والخيل ينجاب عنها ساطع كدر
كما مشى الليث في غاباته الخدر
تكاد تأفل منه الشمس والقمر
لله نصير من شئنا وننتصر
لولا المليك ولولا نحن ما صدروا
إلا وقد أصبح منا فيهم أثر

وجناء مجمرة المناسم عزمس^(٢)
حقاً عليك إذا اطمأن المجلس
فوق التراب إذا تُعد الأنفس
والخيل تُقدع بالكُماة وتضرس
جمع تظل به المخارم ترجس^(٣)
شهباء يقدمها الهمام الأشوس
بيضاء محكمة الدخال وقونس
ونخاله أسداً إذا ما يعبس^(٤)
عضب يقذ به ولدن مدعس^(٥)
ألف أمد به الرسول عرنديس
والشمس يومئذ عليهم أشمس^(٥)
والله ليس بضائع مع يحرس
رضي الآله به فينعم المحبس
كفت العدو وقيل منها يا احبسوا
ثدي تمدد به هوازن أيبس
عير تعاقبه السباع مفرس

رسول الإله راشد حيث يتمما
فأصبح قد وقى إليه وأنعما
يؤم بنا أمراً من الله محكما
مع الفجر فتياناً وغاباً مقوما^(٦)

تدعى خفاف وعوف في جوانبها
الضاربون جنود الشرك ضاحية
حتى رفعا وقتلاهم كأنهم
ونحن يوم حنين كان مشهدنا
إذ نركب الموت مخضرا بطائنه
تحت اللواء مع الضحك يقدمننا
في مازق من مجز الحرب كلكلها
وقد صبرنا بأوطاس أسئتنا
حتى تأوب أقوام منا زلهم
فما ترى معشراً قلوباً ولا كثروا
وقال عباس أيضاً رضي الله عنه:

يا أيها الرجل الذي تهوي به
إما أتيت على النبي فقل له
يا خير من ركب المطي ومن مشى
إنا وفينا بالذي عاهدتنا
إذ سأل من أفناء بهثة كلها
حتى صبخنا أهل مكة فيلقاً
من كل أغلب من سليم فوقه
يروى القنائة إذا تجاسر في الوغى
يفشى الكتيبة معلماً وبكفه
وعلى حنين قد وقى من جمعنا
كانوا أمام المؤمنين دريئة
نمضي ويحرسنا الإله بحفظه
ولقد حبسنا بالمناقب مخبسا
وغداة أوطاس شددنا شدة
تدعو هوازن بالأخوة بيننا
حتى تركنا جمعهم وكأنه
وقال أيضاً رضي الله عنه:

من مبلغ الأقسام أن محمداً
دعا ربه واستنصر الله وحده
سرينا وواعدنا قديداً محمداً
تمازوا بنا في الفجر حتى تبينوا

(١) خفاف وعوف وذكوان: قبائل.

(٢) الوجناء: الناقة الضخمة الوجنات؛ والمناسم: جمع منسم وهو مقدم طرف خف البعير. العرمس: الشديدة القوية.

(٣) بهثة: حي من سليم. والمخارم: الطرق في الجبال.

(٤) مدعس: السريع الطعن؛ وغصب: السيف القاطع.

(٥) دريئة: الكتيبة المدافعة.

(٦) الغاب: هنا الرماح.

وَرَجُلًا كَدَفَاعِ الْأَتِيِّ عَرْمَرَمَا
 سُلِيمٍ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا
 أَطَاعُوا فَمَا يَعْضُونَهُ مَا تَكَلَّمَا
 وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
 تَصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
 فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مَلْجَمَا
 وَحُبِّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمَقْدَمَا
 بِنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحْزَمَا
 وَحَتَّى صَبَخْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلْمَلَمَا^(١)
 وَلَا يَطْمِئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسْوَمَا
 وَكُلُّ تَرَاهِ عَنِ أَخِيهِ قَدْ أَحْجَمَا
 حُنَيْنًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَامِعُهُ دَمَا
 وَفَارَسُهَا يَهْوِي وَرَمَحًا مَحْطَمَا
 وَحُبِّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُحْرَمَا

على الخيلِ مشدوداً علينا دروغنا
 فإن سراً الحي إن كنت سائلاً
 وجند من الأنصار لا يخذلونه
 فإن تك قد أمرت في القوم خالداً
 بجند هداة الله أنت أميره
 حلفت يميناً برة لمحمد
 وقال نبي المؤمنين تقدموا
 وبتنا بنهي المستدير ولم يكن
 أطمعناك حتى أسلم الناس كلهم
 يضل الحصان الأبلق الورد وسطه
 سمونا لهم ورد القطا زفه ضحي
 لدن غدوة حتى تركنا عشية
 إذا شئت من كل رأيت طمرة
 وقد أحرزت منا هوازن سربها

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملامة، ثم أورد من شعر غيره أيضاً وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: قاتل رسول الله ﷺ يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان: وقال محمد بن إسحاق: ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حُنيماً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش^(٢) يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور^(٣): قال ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك في ذلك:

وَخَيْبَرٍ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السِّيُوفَا
 قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَا
 بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مَنَا أَلُوفَا
 وَتَصْبِخُ دَوْرِكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
 يَغَادِرْ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
 لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
 يَزْزِنُ الْمِصْطَلِينَ بِهَا الْحَتِوَقَا
 قِيُونَ الْهَنْدِ لَمْ تَضْرِبْ كَتِيفَا^(٤)
 غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيًا مَدُوفَا^(٥)

قَضِينَا مِنْ تَهَامَةَ كُلِّ رَيْبِ
 نَخْبُرَهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لِقَالَتْ
 فَلَسْتُ لِحَاضِنِ إِنْ لَمْ تَرُوهَا
 وَنَنْتَزِعُ الْعَرُوشَ بِبَطْنِ وَجْ
 وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلِ
 إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ
 بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مَرْهَفَاتِ
 كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا
 تَخَالُ جَدِيَّةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا

- (١) يلملم: ميقات الحاج القادم من جهة اليمن، وهو جبل على مرحلتين من مكة.
- (٢) جُرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة.
- (٣) الضبور: جلود يغشى بها خشب يتقى بها في الحرب عند الانسحاب قاله الخليل وفي «اللسان»: الضبير: جلد يغشى خشباً فيها رجال تقرب إلى الحصون لقتال أهلها. وقال: هي الدبابات التي تقرب للحصون، لتتقب من تحتها.
- (٤) كتيف: جمع كتيفة وهي الصفيحة الصغيرة.
- (٥) المدوف: المبلول، المخلوط بغيره. والجادي: الزعفران.

من الأقبام كان بنا عريفنا
عتاق الخيل والثجيب الطروفا^(١)
يحيط بسور حصنهم صفوفا
نقي القلب مصطبراً عزوفا
وجلم لم يكن نزقاً خفيفا
هو الرحمن كأن بنا رؤفا
ونجعلكم لنا عضداً وريفنا
ولا يك أمرنا زعشاً ضعيفا
إلى الإسلام إذعانا مضيئاً
أهلكننا التلاد أم الطريفنا^(٢)
صميم الجذم منهم والحليفنا
فجدغنا المسامع والأنوفا
نسوقهم بها سوقاً عنيفا
يقوم الدين معتدلاً حنيفاً
ونسليها القلائد والشنوفا
ومن لا يمتنع يقبل خسوفا

وقال ابن إسحاق: فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي:

قلت: وقد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد ثقيف فأسلم معهم. قاله موسى بن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد، وزعم المدائني أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتنصر ومات بها:

فإننا بدار معلّم لا نريمها
وكانت لنا أطواؤها وكرومها
فأخبرها ذو رأيها وحليمها
إذا ما أنت صغر الخدود نقيمها
ويعرف للحق المبين ظلومها^(٣)
كلون السماء زينتها نجومها^(٤)
إذا جردت في غمرة لا نشيمها^(٥)

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف:

وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
يظعن وليس بها من أهلها بشر

قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ - يعني من حنين إلى الطائف - على نخلة اليمانية^(٦) ثم على قرن^(٧) ثم على

أجدهم أليس لهم نصيح
يخبرهم بأنا قد جمعنا
وأنا قد أتيناهم بزحف
رئيسهم النبي وكان صلبا
رشيد الأمر ذا حكم وعلم
نطيع نبينا ونطيع ربا
فإن تلقوا إلينا السلم نُقبل
وإن تابوا نجاهدكم ونصبر
نجالد ما بقينا أو تنيبوا
نجاهد لا نبالي ما لقينا
وكم من معشر ألبوا علينا
أتونا لا يرون لهم كفاء
بكل مهند لين صقيل
لأمر اللّه والإسلام حتى
وتنسى اللات والعزى وود
فأمسوا قد أقروا واطمأنوا

(١) الطروف: الكرام من الخيل.

(٢) التلاد: القديم، والطريف: الجديد.

(٣) الشريس: الشديد.

(٤) دلاص: الدروع اللينة. محرق: يريد عمرو بن عامر وهو أول من حرق العرب بالنار قاله السهيلي.

(٥) لا نشيمها: لا نقيمها.

(٦) نخلة اليمانية: وإد يصب فيه يدعان وبه مسجد لرسول الله ﷺ وبه عسكرة هوازن يوم حنين «معجم البلدان».

(٧) قرن: قرية بينها وبين مكة أحد وخمسون ميلاً «معجم البلدان».

المليح^(١) ثم على بحرة الرغاء^(٢) من لية فابتنى بها مسجداً فصلى فيه. قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب أنه عليه السلام أقاد يومئذ ببحرة الرغاء، حين نزلها، بدم، وهو أول دم أقيده في الإسلام، رجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل فقتله به وأمر رسول الله ﷺ وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم. قال ابن إسحاق: ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة فلما توجه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال: ما اسم هذه الطريق؟ فقيل الضيقة فقال بل هي اليسرى، ثم خرج منها على نخب^(٣) حتى نزل تحت سدره يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك، فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ باخراجه. وقال ابن إسحاق: عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله ﷺ «هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه» قال فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن. ورواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن إسحاق به. ورواه البيهقي: من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن إسماعيل بن أمية به. قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فتأخروا إلى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنته ثقيف بعد إسلامها، بناه عمرو بن أمية بن وهب وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلا سمع لها نقيض فيما يذكرون، قال فحاصروهم بضعاً وعشرين ليلة، قال ابن هشام ويقال سبع عشرة ليلة، وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف وترك السبي بالجعرانة وملئت عرش مكة منهم، فنزل رسول الله ﷺ بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاثلونه من وراء حصنهم ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكر بن مسروح أخي زياد لأمه، فأعتقه رسول الله ﷺ وكثرت الجراح، وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغيظوهم بها، فقالت لهم ثقيف: لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أولكم. وقال عروة: أمر رسول الله ﷺ كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات^(٤) وبعث منادياً ينادي من خرج إلينا فهو حر، فاقتحم إليه نفر منهم فيهم أبو بكر بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه، فأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يعوله ويحمله^(٥). وقال الإمام أحمد: ثنا يزيد، ثنا حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا، وقد أعتق يوم الطائف رجلين. وقال أحمد: ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس، ثنا الحجاج، عن الحكم، عن مقسم عن ابن عباس قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فخرج إليه عبدان فأعتقهما أحدهما أبو بكر وكان رسول الله ﷺ يعتق العبيد إذا خرجوا إليه. وقال أحمد أيضاً: ثنا نصر بن رثاب، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الطائف «من خرج إلينا من العبيد فهو حر» فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكر فأعتقهم رسول الله ﷺ هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً، وقال آخرون إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عاماً ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام «من قتل قتيلاً فله سلبه» وقد قال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن المكرم^(٦) الثقيفي قال: لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم أبو بكر عبداً للحارث بن كلدة والمنبعت وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله ﷺ المنبعت، ويحنس ووردان في رهط من رقيقهم فأسلموا. فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك؟ قال: «لا أولئك عتقاء الله» ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله له^(٧). وقال البخاري: ثنا

(١) المليح: وإد بالطائف «معجم البلدان».

(٢) بحرة الرغاء: موضع في لية من ديار بني نصر «معجم ما استعجم».

(٣) نخب: وإد بالطائف.

(٤) في رواية البيهقي عنه: خمس نخلات أو حبلات من كرومهم.

(٥) رواية موسى بن عقبة ذكرها ابن عبد البر في «الدور» مختصرة ص (٢٢٨)، ورواها البيهقي في «الدلائل» (١٥٧/٥ - ١٥٨).

(٦) من «ابن هشام»: وفي الأصل المكرم وهو تحريف.

(٧) رواه البيهقي عن ابن إسحاق في «الدلائل» (١٥٩/٥).

محمد بن بشار، ثنا غندر، ثنا شعبة، عن عاصم: سمعت أبا عثمان قال سمعت سعداً - وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكره وكان تسور حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله ﷺ - قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام» ورواه مسلم من حديث عاصم به. قال البخاري: وقال هشام أنبا معمر، عن عاصم، عن أبي العالية أو أبي عثمان النهدي قال: سمعت سعداً وأبا بكره عن النبي ﷺ قال عاصم: قلت لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما، قال أجل أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف. قال محمد بن إسحاق: وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة^(١) فضرب لهما قبتين فكان يصلي بينهما، فحاصرهم وقتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل. قال ابن هشام: ورماهم بالمنجنيق. فحدثني من أثق به أن النبي ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق رمى به أهل الطائف. وذكر ابن إسحاق أن نفرأ من الصحابة دخلوا تحت دبابه ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف فأرسلت عليهم سكك الحديد محماة، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتلوا منهم رجالاً، فحينئذ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون، قال: وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة منادياً ثقيفاً بالأمان حتى يكلموهم فأمنوهم فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن إليهم وهما يخافان عليهن السباء إذا فتح الحصن، فأبين، فقال لهما أبو الأسود بن مسعود: ألا أدلكما على خير مما جئتما له؟ إن مال أبي الأسود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ نازلاً بوادٍ يقال له العقيق وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف وليس بالطائف مال أبعد رشاء، ولا أشد مؤونة ولا أبعد عمارة منه، وأن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم. فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم. وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده وقيل قدم به وبدبابتين فالله أعلم. وقد أورد البيهقي: من طريق ابن لهيعة، عن أبي الأسود عن عروة: أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ «ما قلت لهم» قال دعوتهم إلى الإسلام وأندرتهم النار وذكرتهم بالجنة، فقال «كذبت بل قلت لهم كذا وكذا» فقال: صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله وإليك من ذلك^(٢). وقد روى البيهقي: عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير عن هشام الدستوائي، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن سعدان^(٣) بن أبي طلحة، عن ابن أبي نجيح السلمي وهو عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف فسمعت رسول الله ﷺ يقول «من بلغ بسهم فله درجة في الجنة» فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً، وسمعت يقول «من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر، ومن شاب شيبه في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة وأيما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله جعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بعظم، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها من النار»^(٤). ورواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث قتادة به. وقال البخاري ثنا الحميدي، سمع سفيان، ثنا هشام عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة، عن أبي سلمة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي مخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية: رأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال رسول الله ﷺ «لا يدخلن هؤلاء عليكن»^(٥) قال ابن عيينة وقال ابن جريج: المخنث هيت. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به وفي لفظ وكانوا يرونه من غير أولى الأربية من الرجال، وفي لفظ قال رسول الله ﷺ «ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا

(١) ذكرهما الواقدي: أم سلمة وزينب.

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (١٦٣/٥) في باب استئذان عيينة بن حصن بن بدر في مجيئه ثقيفاً، ورواه أبو نعيم في «الدلائل» ص (٤٦٥) ونقله عنهما الصالحي في «السيرة الشامية» (٥٦٢/٥).

(٣) من «دلائل البيهقي» وفي الأصول معدان.

(٤) «دلائل البيهقي» (١٥٩/٥).

(٥) أخرجه البخاري في «المغازي» (٥٦) باب الحديث (٤٣٢٤) «فتح الباري» (٤٣/٨)، وأخرجه في كتاب «النكاح»، وفي «اللباس»، وأخرجه مسلم في كتاب «السلام» (١٣) باب الحديث (٣٢). وأخرجه ابن ماجه في «النكاح» وفي «الحدود». وأبو داود في الأدب كلاهما عن أبي بكر بن أبي شيبة.

يدخلين عليكن هؤلاء» يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل في قوله تعالى ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِهَيْبَتِهِ عِزًّا﴾ [النور: ٣١] والمراد بالمخنث في عرف السلف الذي لا همة له إلى النساء وليس المراد به الذي يؤتى إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً كما دل عليه الحديث وكما قتله أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومعنى قوله تقبل بأربع وتدبر بشمان يعني بذلك عكن بطنها فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أدبرت، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف، وهذا المخنث قد ذكر البخاري عن ابن جريج أن اسمه هيت وهذا هو المشهور. لكن قال يونس عن ابن إسحاق قال: وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته بنت عمرو بن عايد مخنث يقال له مانع يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته، ولا نرى أنه يفتن لشيء من أمور النساء مما يغلظن إليه رجال، ولا يرى أن له في ذلك إرباً فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد: يا خالد إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتن منكم بادية بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بشمان، فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه «ألا أرى هذا يفتن لهذا» الحديث ثم قال لنسائه «لا يدخلن عليكم» فحجب عن بيت رسول الله ﷺ^(١) وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي العباس الشاعر الأعمى عن عبد الله بن عمرو قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال «إنا قافلون غداً إن شاء الله» فنقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتح؟ فقال «اغدوا على القتال» فغدوا فأصابهم جراح فقال «إنا قافلون غداً إن شاء الله» فأعجبهم فضحك النبي ﷺ وقال سفيان مرة فتبسم^(٢). ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف في نسخ البخاري ففي نسخة كذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص. والله أعلم. وقال الواقدي: حدثني كثير بن زيد عن^(٣) الوليد بن رباح، عن أبي هريرة قال: لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدثلي فقال «يا نوفل ما ترى في المقام عليهم؟»^(٤) قال: يا رسول الله ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإنى تركته لم يضرك. قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفاً «يا أبا بكر إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ «وأنا لا أرى ذلك» قال: ثم إن خولة^(٥) بنت حكيم السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك حلى بادية بنت غيلان بن سلمة أو حلى الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف - فذكر أن رسول الله ﷺ قال لها «وإن كان لم يؤذن في ثقيف يا خويلة» فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما حديث حدثتني خولة زعمت أنك قلتها؟ قال: «قد قلتها» قال أو ما أذن فيهم؟ قال: لا، قال: أفلا أؤذن بالرحيل؟ قال: بلى، فأذن عمر بالرحيل، فلما استقبل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج: ألا إن الحي مقيم، قال: يقول عيينة بن حصن أجل والله مجدة كراماً، فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله يا عيينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره؟ فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلها تلد لي رجلاً فإن ثقيفاً [قوم]^(٦) مناكير. وقد روى ابن لهيعة: عن أبي الأسود، عن عروة قصة خولة بنت حكيم وقول رسول الله ﷺ ما قال. وتأذين عمر بالرحيل، قال وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا

(١) روى الخبر البيهقي عنه في «الدلائل» (١٦٠/٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٥٦) باب الحديث (٤٣٢٥) «فتح الباري» (٤٤/٧). وفي كتاب «الأدب» (٦٨) باب وفي (٩٧) كتاب «التوحيد» (٣١) باب. وفي جميع الروايات عن عبد الله بن عمرو. وأخرجه مسلم في كتاب «الجهاد» (٢٩) باب الحديث (٨٢) عن عبد الله بن عمرو.

قال ابن حجر: وقع في رواية الكشميهني والنسفي والأصيلي عبد الله بن عمرو والصواب عبد الله بن عمرو بن الخطاب. ورواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة وجاء في بداية روايته: قيل لسفيان - وهو يحدث - ابن عمرو؟ قال: لا، ابن عمرو... وتابع حديثه. وقول سفيان صراحة أنه عبد الله بن عمرو يقطع كل شك في أنه ابن عمرو بن الخطاب وليس ابن عمرو بن العاص. وقال البيهقي عن علي بن المديني: حدثنا بهذا الحديث سفيان ولم يقل مرة عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) من مغازي الواقدي؛ وفي الأصل بن تحريف.

(٤) هكذا في الأصل، وفي الطبري عن الواقدي؛ والعبارة في «المغازي» (٩٣٧/٣) ما تقول؟ أو ترى.

(٥) في «ابن هشام»: خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية. وفي ابن سعد: خولة. وذكر تمام نسبها.

(٦) من «ابن هشام» ومناكير: ذوي دهاء وفطنة.

يسرحوا ظهرهم فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ودعا حين ركب قائلاً فقال «اللهم اهدمهم واكفنا مؤنتهم»^(١) وروى الترمذي من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم فقال «اللهم اهد ثقيفاً» ثم قال هذا حديث حسن غريب. وروى يونس عن ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، وعبد الله بن المكدم^(٢) عن أهلكوا من أهل العلم قالوا: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم، فقدم المدينة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا. وسيأتي ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله. وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق فمن قريش: سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية. وعرفطة بن حباب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي من رمية رميها يومئذ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدي، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي وأخوه عبد الله، وجليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليث، ومن الأنصار ثم من الخزرج: ثابت بن الجذع الأسلمي، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة المازني، والمنذر بن عبد الله من بني ساعدة، ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية فقط^(٣)، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن إسحاق: ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف:

وغداة أوطاس ويسوم الأبرق
فتبذدوا كالطائر المتمزق
إلا جدازهم ويطن الخندق
فاستحصنوا منا بباب مغلّق
شهباء تلمع بالمنايا فيلق
حصناً لظل كأنه لم يخلق^(٤)
قدّر تفرّق في القياد وبلتقي
كالتّهي هبت ريح المنترق
من ننج داود وآل محرق^(٥)

كانت علالة يوم بطن حنين
جمعت بأغواء هوازن جمعتها
لم يمنموا منا مقاماً واحداً
ولقد تعرّضنا لكيما يخرجوا
ترتد حيراناً إلى رجراجة
ملمومة خضراء لو قذفوا بها
مشي الضراء على الهراس كأننا
في كل سبغة إذا ما استحصنت
جُدل تمس فضولهن نعالنا

وقال أبو داود: ثنا عمر بن الخطاب، أبو حفص، ثنا الفريابي، ثنا أبان ثنا عمرو - هو ابن عبد الله بن أبي حازم - ثنا عثمان بن أبي حازم عن أبيه عن جده صخر - هو أبي العيلة الأحسي - أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يمد النبي ﷺ فوجده قد انصرف ولم يفتح، فجعل صخر حيثذ عهد وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وكتب إليه صخر: أما بعد فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله وأنا مقبل بهم وهم في خيل فامر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعة فدعا لأحس عشر دعوات «اللهم بارك لأحس في خيلها ورجالها». وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبه فقال: يا رسول الله إن صخرأ أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون، فدعاه فقال «يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع إلى المغيرة عمته» فدفعها إليه وسأل رسول الله ﷺ ماء لبني سليم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء فقال: يا رسول الله أنزليه أنا وقومي؟ قال «نعم» فأنزله وأسلم - يعني الأسلميين، فأتوا صخرأ فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أسلمنا وأتينا صخرأ ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا، فقال «يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فدفع إليهم ماءهم» قال: نعم يا نبي الله فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير عند ذلك حرة

(١) نقل الخبر بتمامه البيهقي في «الدلائل» (١٦٨/٥ - ١٦٩).

(٢) من «دلائل البيهقي» (١٦٩/٥).

(٣) لم يذكره الواقدي، وذكر من بني أسد يزيد بن زمعة بن الأسود، جمع به فرسه إلى حصن الطائف فقتلوه.

(٤) في «ابن هشام»: حصناً بدل حصناً. وحصن: اسم جبل بأعلى نجد.

(٥) آل محرق: هم آل عمرو بن هند ملك الحيرة.

حياه من أخذه الجارية وأخذه الماء. تفرد به أبو داود وفي إسناده اختلاف.

قلت: وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ ليلاً يستأصلوا قتلاً لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموماً فلم يستفق إلا عند قرن الثعالب، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل فناده ملك الجبال فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله ﷺ «بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً» فناسب قوله بل أستأني بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا^(١) حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم فقال «اللهم اهد ثقيفاً واثت بهم» قال: ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى عدته. قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب وفي رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: كنا مع رسول الله ﷺ بحنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن سرد، أبو سرد، فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر من السبایا خالاتك وحواضنك^(٢) اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحننا^(٣) لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائلتهما وعطفهما وأنت رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

فإتتك المرء نرجوه وننتظر^(٤)
ممزق شملها في دهرها غير
على قلوبهم الغمء والغمر
يا أرجح الناس جلماً^(٥) حين يختبر
إذ فوك تملؤه من مخضها الدرر^(٦)
وإذ يزننيك ما تأتي وما تذر^(٧)
واستبق مئافينا معشر زهر
وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

أمئن علينا رسول الله في كرم
أمنن على بيضة^(٥) قد عاقها قدر
أبقت لنا الدهر^(٦) هتافاً على حزن
إن لم تداركها نعماء تنشرها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
لا تجعلنا كمن شالت نعمته^(١٠)
إننا لنشكر آلاء وإن كفرت

(١) دحنا: من مخاليف الطائف.

(٢) إشارة إلى حاضته، حليلة، وكانت من بني سعد بن بكر من هوازن وكانت ظنراً له.

(٣) ملحننا: قال ابن هشام: مالحننا، أي أرضعنا.

(٤) في روايتي الواقدي والبيهقي: وندخر.

(٥) في «الواقدي»: نسوة.

(٦) في «البيهقي»: الحرب؛ والبيت لم يذكره الواقدي.

(٧) في «الواقدي»: حتى.

(٨) في «الواقدي»: إذ فوك مملوءة من محضها الدرر؛ والمحض: الدفعات الكثيرة من اللبن.

(٩) البيت في «الواقدي»:

وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

اللائي إذ كنت طفلاً كنت ترضعها

وصدره في السهيلي: إذ كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها.

(١٠) شالت نعمته: أي تفرقت كلمتهم، أو ذهب عزهم «القاموس».

قال فقال رسول الله ﷺ «نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟» فقالوا يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال رسول الله ﷺ «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين؛ وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبائنا ونسائنا فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم» فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فقال «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم» فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وقال الأنصار: وما كان لنا، فهو لرسول الله ﷺ، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس بن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال: يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهتتموني؟ فقال رسول الله ﷺ «من أمسك منكم بحقه، فله بكل إنسان ستة فرائض، من أول فيء نصيبه» فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم. ثم ركب رسول الله ﷺ وأتبعه الناس يقولون: يا رسول الله أقسم علينا فيئنا، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال «أيها الناس ردوا علي ردائي فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفتهموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً» ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال «أيها الناس والله ما لي من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة» فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال: يا رسول الله، أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لي دبر» فقال رسول الله ﷺ «أما حقي منها فلك» فقال الرجل: أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لي بها فرمى بها من يده. وهذا السياق يقتضي أنه عليه السلام رد إليهم سبيلهم قبل القسمة كما ذهب إليه محمد بن إسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره. وفي «صحيح البخاري»: من طريق الليث، عن عقييل، عن الزهري، عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن تُرد إليهم أموالهم ونساؤهم فقال لهم رسول الله ﷺ «معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقه فاختروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال؟ وقد كنت استأنتيت بكم» وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: إنا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال «أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سببهم فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفيء الله علينا فليفعل» فقال الناس: قد طيبتنا ذلك يا رسول الله فقال لهم «إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بأنهم قد طيبوا وأذنوا. فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن^(١). ولم يتعرض البخاري لمنع الأقرع وعيينة وقومهما بل سكت عن ذلك والمثبت مقدم على النافي فكيف الساكت. وروى البخاري: من حديث الزهري أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين علققت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ ثم قال «أعطوني ردائي فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً» تفرد به البخاري. وقال ابن إسحاق: وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي: أن رسول الله ﷺ أعطى علي بن أبي طالب جارية، يقال لها ربيعة بنت هلال بن حيان بن عميرة، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان، وأعطى عمر جارية فوهبها ابنه عبد الله، وقال ابن إسحاق: فحدثني نافع عن عبد الله بن عمر قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمح، ليصلحوها لي منها ويبيتوها حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها، قال: فجئت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدون، فقلت: ما شأنكم؟ قالوا رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا، قلت: تلكم صاحبكم في بني جُمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا إليها فأخذوها^(٢). قال ابن إسحاق:

(١) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٥٤) باب «فتح الباري» (٢٦/٨ - ٢٧). وأخرجه البخاري في الوكالة، وفي كتاب الخمس، وفي كتاب «الهدية» مختصراً. وأخرجه أبو داود في كتاب «الجهاد»، باب: في فداء الأسير بالمال.
(٢) الخبر في أمر أموال هوازن وسباياها وعطاياها في «سيرة ابن هشام» (٤/١٣٢ - ١٣٣).

وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أوى عجوزاً إني لأحسب لها في الحي نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها، فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض^(١) أبي أن يردها، فقال له زهير بن صرد: خذها عنك فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد، ولا درها بماكد^(٢). إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفاً وثيرة فردها بست فرائض قال الواقدي: ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة^(٣). وقال سلمة عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر: أن رجلاً من شهد حنين قال: والله إني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقه لي، وفي رجلي نعل غليظة، إذ زحمت ناقتي ناقه رسول الله ﷺ ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه، فقرع قدمي بالسوط وقال: «أوجعتني فتأخر عني» فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني قال: قلت هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس، قال فجثته وأنا أتوقع فقال «إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها» فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني، والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن إسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سبيهم قبل القسمة، ولهذا لما رد السبي وركب علقمت الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له أقسم علينا فيتنا حتى اضطرروه إلى سمرة فخطفت رداءه فقال «ردوا علي ردائي أيها الناس فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاة نعماً لقسمته فيكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً» كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه. وكانهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم فسألوه قسمة ذلك فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة كما أمره الله عز وجل وأثر أناساً في القسمة وتآلف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطبيقاً لقلوبهم، وتنقد بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذي الخويصرة وأشباهه قبحه الله كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان. قال الإمام أحمد: حدثنا عارم، ثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي يقول: ثنا السميطة السدوسي عن أنس بن مالك قال: فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم النعم، قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف^(٤) وعلى مجنبة^(٥) خيلنا خالد بن الوليد، قال: فجعلت خيلنا تلوذ^(٦) خلف ظهورنا، قال: فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرت الأعراب، ومن نعلم من الناس، قال: فنادى رسول الله ﷺ يا للمهاجرين^(٧) يا للمهاجرين يا للأنصار؟ قال أنس هذا حديث عمية^(٨). قال قلنا ليك يا رسول الله قال: وتقدم رسول الله ﷺ، قال وأيم الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله قال فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا إلى مكة، قال فنزلنا فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة ويعطي الرجل المائتين، قال فتحدث الأنصار بينها أما من قاتله فيعطيه، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه! فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال «لا يدخلن علي إلا أنصاري - أو الأنصار» قال فدخلنا القبة حتى ملأناها قال نبي الله ﷺ «يا معشر الأنصار» أو كما قال «ما حديث أناني؟» قالوا ما أتاك يا رسول الله قال «ما حديث

- (١) الفرائض: جمع فريضة، وهو البعير المأخوذ في الزكاة، سمي فريضة لأنه فرض على رب المال، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة.
- (٢) ماكد: زهير.
- (٣) العبارة في الواقدي: أربع من الإبل أو أربعون شاة، فإن كان فارساً أخذ اثنتي عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم له (٩٤٩/٣).
- (٤) نقل الخبر البيهقي في «الدلائل» وعلمه على قوله ستة آلاف قال: أظنه يريد الأنصار، وقال القاضي: هذا وهم من الراوي عن الأنس.
- (٥) مجنبة: قال شمر: المجنبة هي الكتيبة من الخيل التي تأخذ جانب الطريق. وهما مجنبتان: ميمنة، وميسرة بحانسي الطريق، والقلب بينهما.
- (٦) في «مسلم»: تلوي.
- (٧) في «مسلم»: بال المهاجرين: بال بلام مفصولة مفتوحة. وفتح اللام في المستغاث به.
- (٨) من «مسلم»، وفي الأصل: عمته تحريف.

أتاني قالوا ما أتاك يا رسول الله، قال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله ﷺ حتى تدخلوه بيوتكم؟» قالوا: رضينا يا رسول الله، قال فرضوا أو كما قال^(١) وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان وفيه من الغريب قوله أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما كانوا في اثني عشر ألفاً، وقوله إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة فإله أعلم. وقال البخاري: ثنا عبد الله بن محمد، ثنا هشام، ثنا معمر، عن الزهري حدثني أنس بن مالك قال: قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟ قال أنس بن مالك: فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة آدم ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال «ما حديث بلغني عنكم؟» قال فقهاء الأنصار: أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ «فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتالفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به» قالوا: يا رسول الله قد رضينا فقال لهم النبي ﷺ «فستجدون أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الخوض» قال أنس: فلم يصبروا^(٢). تفرد به البخاري من هذا الوجه، ثم رواه البخاري ومسلم: من حديث ابن عون^(٣) عن هشام بن زيد، عن جده أنس بن مالك قال: لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا فقال «يا معشر الأنصار» قالوا: لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك. فنزل رسول الله ﷺ فقال «أنا عبد الله ورسوله» فانهمز المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرون ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالوا فدعاهم فأدخلهم في قبته فقال «أما ترضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ؟» [قالوا بلى] فقال رسول الله ﷺ «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار». وفي رواية للبخاري من هذا الوجه قال لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء، فأدبروا عنه حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال «يا معشر الأنصار؟» قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال «يا معشر الأنصار؟» فقالوا لبيك يا رسول الله نحن معك، وهو على بغلة بيضاء، فنزل فقال: «أنا عبد الله ورسوله» فانهمز المشركون، وأصاب يومئذ مغنم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء. ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال «يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني؟» فسكتوا فقال «يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى، فقال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار». قال هشام: قلت يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك؟ قال وأين أغيب عنه^(٤) ثم رواه البخاري ومسلم أيضاً: من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال «إن قريشاً حديثوا^(٥) عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتالفهم أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى، قال «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار»^(٦) وأخرجاه أيضاً: من حديث شعبة، عن أبي التياح يزيد بن حميد، عن أنس بنحوه وفيه فقالوا: والله إن هذا

= قال القاضي: ضبطت على أوجه: عُمِيَّة، وعُمِيَّة أي حدثني به عمي. وقال الخليل: العم: الجماعة وقال الحميدي: عُمِيَّة بتشديد الياء: وفسره بعمومي، أي حديث فضل أعمامي.

(١) الحديث في «مسند الإمام أحمد» (١٥٨/٣) ومسلم في الزكاة (٤٦) باب الحديث (١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في (٥٧) كتاب «الخمسة» (١٩) باب ومسلم في كتاب «الزكاة» (٤٦) باب الحديث (١٣٢).

(٣) من البخاري ومسلم وفي الأصل: ابن عوف تحريف.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٥٦) باب غزوة الطائف. ومسلم في «الزكاة» (٤٦) باب اعطاء المولفة قلوبهم الحديث (١٣٥).

(٥) حديث عهد بجاهلية: أي كانوا قريب عهد بجاهلية، يعني أن زمانهم قريب من زمان الكفر. قال ابن حجر: وقع بالافراد في «الصحيحين» «حديث عهد» والمعروف حديث عهد. وفعل يستوي فهي الافراد وغيره.

(٦) أخرجه البخاري في (٥٧) كتاب فرض الخمس (١٩) باب. ومسلم في كتاب «الزكاة» (٤٦) باب حديث (١٣٣) و (١٣٤).

لهو العجب إن سيوفنا لتقطر من دمائهم، والغنائم تقسم فيهم، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم. وقال الإمام أحمد: ثنا عفان، ثنا حماد، ثنا ثابت، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين، فقالت الأنصار: يا رسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقلن «فيكم أحد من غيركم؟» قالوا لا إلا ابن أختنا، قال: «ابن أخت القوم منهم» ثم قال «أقلتم كذا وكذا؟» قالوا: نعم، قال: «أنتم الشعار والناس الدثار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم؟» قالوا: بلى، قال «الأنصار كرشي وعييتي لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»^(١) وقال: قال حماد: أعطى مائة من الإبل فسمى كل واحد من هؤلاء. تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم. وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر الأنصار ألم أتكم ضللاً فهداكم الله بي؟ ألم أتكم متفرقين فجمعكم الله بي، ألم أتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال «أفلا تقولون جئتنا خائفاً فأمنناك، وطريداً فأوينناك، ومخذولاً فنصرناك؟» قالوا بل الله المن علينا ولرسوله. وهذا إسناد ثلاثي على شرط «الصحيحين» فهذا الحديث كالماتر عن أنس بن مالك. وقد روي عن غيره من الصحابة. قال البخاري: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى، عن عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكانهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصيبهم. ما أصاب الناس. فخطبهم فقال «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن، قال «لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شعار الناس دثار»^(٢)، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض». ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به وقال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال: لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش، وسائر العرب ما قسم ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه، فمشى سعد بن عباد إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم؟ فقال «فيم؟» قال: فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء، فقال رسول الله ﷺ «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي، قال: فقال رسول الله ﷺ «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فإذا اجتمعوا فاعلمني» فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فردهم، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال: يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم، فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «يا معشر الأنصار ألم أتكم ضللاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى ثم قال رسول الله ﷺ «ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟» قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ المن لله ولرسوله قال: «والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتنا طريداً فأوينناك، وعائلاً فأسينناك، وخائفاً فأمنناك، ومخذولاً فنصرناك» فقالوا: المن لله ولرسوله فقال رسول الله ﷺ «أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب»^(٣) الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»^(٤)، اللهم ارحم

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٢٢٢).

(٢) قال أهل اللغة: الشعار الثوب الذي يلي الجسد، والدثار فوقه. ومعنى الحديث أن الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء. والصق الناس بي من سائر الناس.

(٣) قال الخليل: الشعب هو ما انفرج بين جبلين، وقال ابن السكيت: هو الطريق في الجبل.

والمعنى أنه أراد أنه مع الأنصار قال الخطابي: ويحتمل أنه يريد بالشعب - الوادي - أي المذهب.

(٤) قال الخطابي: أراد: تأليف الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم. وقال القرطبي: معناه لتسميت باسمكم وانتسبت =

الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله رباً ورسوله قسماً ثم انصرف وتفرقوا^(١). وهكذا رواه الإمام أحمد: من حديث ابن إسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح وقد رواه الإمام أحمد: عن يحيى بن بكير، عن الفضل بن مرزوق، عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال رجل من الأنصار لأصحابه: أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو استقامت الأمور قد آثر عليكم، قال فردوا عليه رداً عنيفاً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها قالوا: بلى يا رسول الله، قال «وكنتم لا تركيبون الخيل» وكلما قال لهم شيئاً قالوا: بلى يا رسول الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم. تفرد به أحمد أيضاً. وهكذا رواه الإمام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بنحوه ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً وقال سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق، عن أبيه، عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج، عن جده رافع بن خديج: أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفلة قلوبهم من سبي حنين مائة من الإبل، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة. وأعطى صفوان بن أمية مائة، وأعطى عيينة بن حصين مائة. وأعطى الأقرع بن حابس مائة، وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة. وأعطى العباس بن مرداس دون المائة، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول:

أجعل نهبي ونهب العب
فما كان حصن ولا حابس
وما كنت دون امرئٍ منهما
وقد كنت في الحرب ذا تدرئ
قال فأتى له رسول الله ﷺ مائة. رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي^(٢) وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق فقال:

يد بين عَيْنَةَ والأقرع^(٣)

يفوقان مرداس في المجمع

ومن تخفيض اليوم لا يُرفع

فلم أعط شيئاً ولم أمنع

ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي^(٣) وفي رواية ذكرها

كانت نهباً تلافيتها

وإيقاظي الحي أن يرقدوا

فأصبح نهبي ونهب العب

وقد كنت في الحرب ذا تدرئ

إلا أفائل أعطيتها

وما كان حصن ولا حابس

وما كنت دون امرئٍ منهما

بكري على المهر في الأجرع^(٤)

إذا هجع الناس لم أهجع

يد بين عَيْنَةَ والأقرع

فلم أعط شيئاً ولم أمنع

عديداً قوائمها الأربع^(٥)

يفوقان مرداس في المجمع^(٦)

ومن تضع اليوم لا يُرفع

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له «أنت القائل أصبح نهبي ونهب العبيد

بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: ما هكذا قال يا رسول الله ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغي لك، فقال «كيف

قال؟» فأنشده أبو بكر فقال رسول الله ﷺ «هما سواء ما يضرك بأيهما بدأت» ثم قال رسول الله ﷺ «اقطعوا عني لسانه»

فخشي بعض الناس أن يكون أراد المثلة به وإنما أراد النبي ﷺ العطية، قال وعبيد فرسه^(٧)، وقال البخاري: حدثنا

إليكم لما كانوا يتناسبون بالحلف، لكن خصوصية الهجرة وترتيبها سبقت فمنعت ما سوى ذلك، وهي أعلى وأشرف فلا تبدل بغيرها.

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٤/١٤١، ١٤٣) ونقله البيهقي في «الدلائل» (٥/١٧٦، ١٧٨).

(٢) العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس.

(٣) رواه البيهقي في «الدلائل» (٥/١٧٨، ١٧٩) ومسلم في كتاب «الزكاة» الحديث (١٣٧).

(٤) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغتم، والأجرع: المكان السهل.

(٥) الأفائل: جمع أفيل. وهو الصغير من الإبل.

(٦) في رواية عروة وابن عقبة وابن إسحاق: شيخي بدلاً من مرداس. وحصن: هو أبو عيينة.

(٧) الخبر والآيات في «سيرة ابن هشام» (٤/١٣٦) ونقلها البيهقي في «الدلائل» عن ابن عقبة (٥/١٨١).

محمد بن العلاء^(١)، ثنا أسامة، عن بريد بن عبد الله، عن أبي بردة عن أبي موسى قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجرعانة بين مكة والمدينة^(٢) ومعه بلال، فأتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له «أبشر» فقال: قد أكثرت على من أبشرا فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال «رد البشرى فأقبلا أنتما» ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال: «اشربا منه وافرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا» فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستار أن أفضلا لأمكما. فأفضلا لها منه طائفة. هكذا رواه. وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، ثنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله، عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء. وقد ذكر ابن إسحاق الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذ مائة من الإبل وهم: أبو سفيان صخر بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث^(٣) بن كلدة أخو بني عبد الدار، وعلقمة بن علاثة، والعلاء بن حارثة^(٤) الثقفي حليف بني زهرة، والحارث بن هشام، وجبير بن مطعم^(٥)، ومالك بن عوف النصرى، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن، وصفوان بن أمية، والأقرع بن حابس، قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري^(٦)؟! فقال رسول الله ﷺ «أما والذي نفس محمد بيده لجعيل خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع، ولكن تألفتكما ليسلما، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه» ثم ذكر ابن إسحاق من أعطاه رسول الله ﷺ دون المائة ممن يطول ذكره. وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال: ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إلي حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه.

قدوم مالك بن عوف النصرى على الرسول

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال «أخبروه إنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل» فلما بلغ ذلك مالكا أنسل من ثقيف حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجرعانة^(٧) أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه، فرد عليه أهله وماله ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف رضي الله عنه.

في الناس كلهم بمثل محمد
ومتى تشأ يخبرك عما في غد^(٨)
بالسمهري وضرب كل مهندي^(٩)
وسط الهباءة خادراً في مرصد^(١٠)

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى
وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها
فكانه ليث على أشباله

- (١) من «صحيح البخاري»، وفي نسخ «البداية المطبوعة» يزيد وهو تحريف.
- (٢) قال القسطلاني: قال الداودي: وهو وهم والصواب بين مكة والطائف، وبه جزم النووي وغيره.
- (٣) وقال ياقوت: الجرعانة ماء بين مكة والطائف وهي إلى مكة أقرب. وقال الباجي: بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً.
- (٤) في «السيرة»: الحارث بن الحارث بن كلدة؛ وقال ابن هشام: نصير. وعند الواقدي: النصير.
- (٥) في «ابن هشام»: ابن جارية. وفي الواقدي: أعطاه خمسين بعيراً.
- (٦) لم يذكره ابن إسحاق في «السيرة»، ولا الواقدي. وذكر الواقدي: قيس بن عدي فيمن أعطوا مائة.
- (٧) قال السهيلي: نسب ابن إسحاق جعيلاً إلى ضمرة، وهو معدود في غفار لأن غفاراً هم بنو مليل بن ضمرة.
- (٨) جزم الواقدي أن النبي ﷺ كان قد ركب من الجرعانة.
- (٩) اجتدى: أي طلب منه الجدوى، وهو العطية «شرح أبي ذر».
- (١٠) عرّدت: عوجت قاله أبو ذر؛ وفي الواقدي بالمشرفي بدل بالسمهري. قال أبو عبيدة: نسب السيوف المشرفية إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف. قال في «الصحاح»: يقال سيف مشرفي ولا يقال مشارفي.
- (١٠) الهباءة: الغبار. الخادر: الأسد الداخل في خدره أي عرينه. والخدر هنا غابة الأسد.

قال: واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمالة وسلمة وفهم^(١)، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم. وقال البخاري: ثنا موسى بن إسماعيل ثنا جرير بن حازم ثنا الحسن حدثني عمرو بن تغلب قال: أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين فكانهم عتبوا عليه فقال «إني أعطي قوماً أخاف ملعهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب» قال عمرو: فما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم، زاد أبو عاصم عن جرير: سمعت الحسن ثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أتى بمال - أو سبي - فقسمه بهذا. وفي رواية للبخاري قال: أتى رسول الله ﷺ بمال - أو بشيء - فأعطى رجلاً وترك رجلاً فبلغه أن الذين ترك عتبوا فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «أما بعد» فذكره مثله سواء تفرد به البخاري وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنيمة:

سحاً إذا حَفَلتُهُ عَبرة دَرَزُ
هيفاء لا ذَنن فيها ولا خَوَرُ^(٣)
نزرأ وشُرُ وصال الواصل النَّزْرُ
للمؤمنين إذا ما عَدَدُ^(٤) البشر
قُدَّامَ قوم هموا آووا وهم نَصَرُوا^(٥)
دينَ الهدى وعوانُ الحرب تستعر
للنائباتِ وما خانوا وما ضَجِرُوا
إلا السيوفُ وأطوافُ القنناوَزِر
ولا نضِيع ما توحى به السور
ونحن حين تلطَّى نارها سُغَرُ
أهلَ النفاقِ وفينا ينزل الظفر
إذ حَزَبت بَطْرأ أحزابها مُضَرُ
منا عِشاراً وكلُّ الناس قد عَشَرُوا

ذر الهموم^(٢) فمَاء العَيْن منحدِرُ
وجداً بشمَاء إذ شمَاء بهكنة
دع عنك شمَاء إذ كانت موذُتْها
وائت الرسولَ وقل يا خير مؤتمنٍ
علامٌ تُدعى سليماً وهي نازحة
سماهم اللُّه أنصاراً بنصرهم
وسارعوا في سبيل اللُّه واعترضوا
والناس إلب علينا فيك ليس لنا^(٦)
تجالدُ الناس لا نُبقي على أحدٍ
ولا تهزُّ جُناة الحرب نادينا^(٧)
كما رددنا ببدرٍ دونَ ما طلبوا
ونحن جندك يوم النعفِ من أحدٍ
فما ونينا وما خُمنا وما خَبَرُوا

اعتراض بعض أهل الشقاق على الرسول

قال البخاري: ثنا قبيصة ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: لما قسم النبي ﷺ قسمة حين قال رجل من الأنصار: ما أريد بها وجه الله، قال: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فتغير وجهه ثم قال «رحمة الله على موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر». ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قال البخاري ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل عن عبد الله قال: لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ ناساً، أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناساً فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله. فقلت: لأخبرن النبي ﷺ، [فأخبرته]^(٨) فقال «رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر». وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به. وفي رواية البخاري: فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله، فقلت والله لأخبرن رسول الله ﷺ

- (١) قال الواقدي: هوازن وفهم. وقال السهيلي: «والمعروف في قبائل قيس سلمة بالفتح. إلا أن يكونوا من الأزدي، فإن ثمالة المذكورين معهم حي من الأزدي، وفهم من دوس وهم من الأزدي أيضاً».
- (٢) في ابن هشام: زادت هموم.
- (٣) ذنن، وفي ديوانه دنس. قال أبو ذر: ذنن القدر. وتروى دنن: معناه تطامن بالصدر.
- (٤) في «الديوان»: عدل.
- (٥) في «الديوان»: أمام بدلاً من قدام.
- (٦) في «الديوان»: ثم ليس لنا.
- (٧) صدره في الديوان: ولا يهر جناب الحرب مجلسنا؛ وما قبله غير مذكور في الديوان.
- (٨) من «صحيح البخاري».

فأتيته فأخبرته فقال «من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر»^(١). وقال محمد بن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم، أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلقاً نعله بيده، فقلنا له هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التيمي يوم حنين؟ قال: نعم جاء رجل من بني تميم، يقال له ذو الخويصرة، فوقف عليه وهو يعطي الناس فقال له: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله ﷺ «أجل فكيف رأيت؟» قال لم أرك عدلت، قال: فغضب النبي ﷺ فقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله؟ فقال «دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل، فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء، ثم في الفوق»^(٢)، فلا يوجد شيء سبق الفرت والدم» وقال الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل بالجمرة النبي ﷺ منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل، لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل» فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق؟ فقال «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية»^(٣) ورواه مسلم عن محمد بن ربح عن الليث. وقال أحمد: ثنا أبو عامر، ثنا قرّة، عن عمرو بن دينار، عن جابر قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم مغانم حنين إذ قام إليه رجل فقال اعدل. فقال «لقد شقيت إذا لم أعدل»^(٤) ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم عن قرّة بن خالد السدوسي به. وفي «الصحيحين» من حديث الزهري، عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال رسول الله ﷺ «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت، إذ لم أعدل فمن يعدل؟» فقال عمر ابن الخطاب: يا رسول الله إيذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصبه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قدذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس» قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت^(٥). ورواه مسلم أيضاً من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد به نحوه.

مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة عليه بالجمرة

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض بني سعد بن بكر: أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن «إن قدرتم على نجاد»^(٦).

- (١) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» - باب غزوة حنين، وفي كتاب «فرض الخمس» - باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم. ورواه مسلم في «الزكاة» باب (٤٦). الحديث (١٤٠).
- (٢) القدح: السهم. والفوق: طرف السهم الذي يياشر الوتر. والخبر في «سيرة ابن هشام» (٤/١٣٩).
- (٣) رواه مسلم في كتاب «الزكاة» (٤٧) باب ذكر الخوارج الحديث (١٤٢) ونقله البيهقي في «الدلائل» (٥/١٨٥ - ١٨٦).
- (٤) «مسند الإمام أحمد» (٣/٣٣٢).
- (٥) أخرجه البخاري في كتاب «المناقب» (٢٥) باب علامات النبوة في الإسلام. وأخرجه مسلم في كتاب «الزكاة» (٤٧) باب ذكر الخوارج الحديث (١٤٨).

في الحديث الرصاف: مدخل النصل من السهم. والنفي: السهم بلا نصل ولا ريش. والقدح: ريش السهم. وتدردر: تضطرب وتتحرك وتذهب وتجيء.

- (٦) في «ابن هشام» و«الواقدي» بجاد؛ وكان قد أتاه رجل مسلم، فأخذه بجاد فقطعه عضواً عضواً ثم حرّقه بالنار. فكان قد عرف جرمه فهرب، فأخذته الخيل، ثم ضمّوه إلى الشيماء. وبعد رحيل الشيماء إلى قومها عادت وكلمته ﷺ أن يهبها بجاد ويعفو عنه ففعل. «مغازي الواقدي» (٣/٩١٣).

رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتكنم» وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى، أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، قال: فعنفوا عليها في السوق فقالت للمسلمين: تعلمون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال: فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله إني أختك من الرضاعة، قال: «وما علامة ذلك؟» قالت عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك، قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال «إن أحببت فعندي محبة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعني إلى قومك فعلت؟» قالت بل تمتعني وتردني إلى قومي، فمتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول، وجارية، فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية^(١). وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك، عن قتادة قال: لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا أختك أنا شيماء بنت الحارث، فقال لها «إن تكوني صادقة فإن بك مني أثر لا يبلى» قال: فكشف عن عضدها فقالت: نعم يا رسول الله [حملتك]^(٢) وأنت صغير فعرضتني هذه العضة، قال: فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه، ثم قال «سلي تعطي واشفعي تشفعي». وقال البيهقي: أنبا أبو نصر ابن قتادة، أنبا عمرو بن إسماعيل بن عبد السلمى ثنا مسلم^(٣) ثنا أبو عاصم ثنا أبو عاصم ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان أخبرني عم عمار بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال: كنت غلاماً أحمل عضو البعير، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم نعماً بالجرعانة، قال: فجاءته امرأة فبسط لها رداءه، فقلت: من هذه؟ قالوا أمه التي أرضعته^(٤). هذا حديث غريب ولعله يريد أخته وقد كانت تحضنه مع أمها حليلة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عمرت حليلة دهرماً فإن من وقت أرضعت رسول الله ﷺ إلى وقت الجرعانة أزيد من ستين سنة، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته ﷺ ثلاثين سنة، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه والله أعلم بصحته. قال أبو داود في المراسيل^(٥) ثنا أحمد بن سعيد الهمداني، ثنا ابن وهب، ثنا عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه، وقد تقدم أن هوازن بكما لها متوالية برضاعته من بني سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن، فقال خطيبهم زهير بن سرد: يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامنن علينا من الله عليك وقال فيما قال:

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها دَرَرُ
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزيناك ما تأتي وما تذرُ

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً. وقد ذكر الواقدي: عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال: كان النضير بن الحارث بن كلدة من أجمل الناس فكان يقول: الحمد لله الذي من علينا بالإسلام، ومن علينا بمحمد ﷺ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء، وقتل عليه الأخوة، وبنو العم. ثم ذكر عداوته للنبي ﷺ وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهم على دينهم بعد، قال ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نغير عليه فلم يمكننا ذلك، فلما صار بالجرعانة فوالله إني لعل ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ فقال «أنضير»؟ قلت لبيك، قال «هل لك إلى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه»؟ قال فأقبلت إليه سريعاً فقال «قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع» قلت قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال رسول الله ﷺ «اللهم زده ثباتاً» قال النضير: فوالذي بعثه بالحق

(١) الخبر في «سيرة ابن هشام» (٤/١٠٠ - ١٠١).

(٢) من «الدلائل» وانظر الخبر فيها (٥/١٩٩ - ٢٠٠).

(٣) في «الدلائل»: أخبرنا نصر بن قتادة، قال: أنبانا أبو عمرو وإسماعيل بن نجيد السلمى، قال: أنبانا أبو مسلم.

(٤) «دلائل البيهقي» (٥/١٩٩) وأخرجه أبو داود في كتاب «الأدب» - باب في بر الوالدين (٤/٣٣٧). وقال في بذل المجهود (٢٠/٨١)

(٨١) هي حليلة السعدية، وبه جزم السيوطي في «شرح الترمذي».

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في «الأدب» (٤/٣٣٧) الحديث (٥١٤٥) في باب: بر الوالدين.

لكأن قلبي حجر ثباتاً في الدين، وتبصرة بالحق، فقال رسول الله ﷺ «الحمد لله الذي هدانا لهذا»^(١)

عمرة الجعرانة في ذي القعدة

قال الإمام أحمد: ثنا بهز وعبد الصمد المعنى قالا: ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك قلت: كم حج رسول الله ﷺ؟ قال: حجة واحدة، واعتمر أربع مرات. وعمرته زمن الحديبية وعمرته في ذي القعدة من المدينة، وعمرته من الجعرانة في ذي القعدة، حيث قسم غنيمة حنين، وعمرته مع حجته^(٢). ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من طريق عن همام بن يحيى به. وقال الترمذي حسن صحيح. وقال الإمام أحمد: ثنا أبو النضر، ثنا داود - يعني العطار - عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر؛ عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجته، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث داود بن عبد الرحمن العطار المكي عن عمرو بن دينار به. وحسنه والترمذي. وقال الإمام أحمد: ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - قال: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، كل ذلك في ذي القعدة يلبي حتى يستلم الحجر. غريب من هذا الوجه وهذه الثلاث عمر اللاتي وقعن في ذي القعدة ما عدا عمرته مع حجته فإنها وقعت في ذي الحجة مع الحجة وإن أراد ابتداء الإحرام بهن في ذي القعدة فلعله لم يرد عمرة الحديبية لأنه صد عنها ولم يفعلها. والله أعلم.

قلت: وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله ﷺ اعتمر من الجعرانة بالكلية وذلك فيما قال البخاري: ثنا أبو النعمان، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إنه كان عليّ اعتكاف يوم في الجاهلية فأمره أن يفي به، قال وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة، قال فمن رسول الله ﷺ على سبي حنين فجعلوا يسعون في السكك، فقال عمر: يا عبد الله انظر ما هذا؟ قال من رسول الله ﷺ على السبي، قال اذهب فأرسل الجاريتين. قال نافع: ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ولو اعتمر لم يخف على عبد الله، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السخيتاني عن نافع عن ابن عمر به. ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبدة الضبي عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع قال: ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة فقال: لم يعتمر منها. وهذا غريب جداً عن ابن عمرو عن مولاه نافع في إنكارها عمرة الجعرانة وقد أطبق النقلة ممن عداها على رواية ذلك من أصحاب «الصحاح» و«السنن» و«المسانيد» وذكر ذلك أصحاب «المغازي» و«السنن» كلهم. وهذا أيضاً كما ثبت في «الصحاحين» من حديث عطاء بن أبي رباح عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله إن رسول الله ﷺ اعتمر في رجب وقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو شاهد، وما اعتمر في رجب قط. وقال الإمام أحمد: ثنا ابن نمير، ثنا الأعمش، عن مجاهد قال سأل عروة بن الزبير ابن عمر في أي شهر اعتمر رسول الله ﷺ: قال في رجب، فسمعنا عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط إلا في ذي القعدة، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد به نحوه ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث زهير عن أبي إسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ فقال مرتين، فقالت عائشة لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجة الوداع. قال الإمام أحمد ثنا يحيى بن آدم، ثنا مفضل، عن منصور عن مجاهد قال: دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلون الضحى، فقال عروة: أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة؟ قال بدعة، فقال له عروة أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ فقال أربعاً إحداهن في رجب، قال وسمعنا استنان عائشة في الحجرة، فقال لها عروة إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله ﷺ اعتمر أربعاً إحداهن في رجب؟ فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر النبي ﷺ إلا وهو معه، وما اعتمر في رجب قط^(٣). وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن الحسن بن موسى عن شيبان عن منصور وقال حسن صحيح غريب. وقال الإمام أحمد: ثنا روح ثنا ابن

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢٠٥/٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٣٥) باب الحديث (٤١٤٨) ومسلم في كتاب الحج (٣٥) باب. الحديث (٢١٧).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (٢٠٦/٢) ومسلم في «صحيحه» في كتاب الحج. الحديث (٢٢٠).

جريح أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله عن مخرش الكعبي: أن رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً حين أمسى معتمراً فدخل مكة ليلاً يقضي عمرته، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف، حتى جاء مع الطريق - طريق المدينة - بسرف قال مخرش: فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس. ورواه الإمام أحمد: عن يحيى بن سعيد، عن ابن جريح كذلك وهو من أفراد. والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ومن نفاها لا حجة معه في مقابلة من أثبتها والله أعلم. ثم وهم كالمجمعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في «معجمه الكبير» قائلاً: حدثنا الحسن بن إسحاق التستري، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا محمد بن الحسن الأسدي ثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن عمير مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة فقسّم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال فإنه غريب جداً وفي إسناده نظر والله أعلم. وقال البخاري: ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا إسماعيل، ثنا ابن جريح أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه، قال فبينما رسول الله ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه إعرابي عليه جبة متضمخ بطيب، قال فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده، أن تعالی فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال «أين الذي يسألني عن العمرة آنفاً؟» فالتمس الرجل فأتي به، قال «أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك» ورواه مسلم من حديث ابن جريح وأخرجه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به. وقال الإمام أحمد: ثنا أبو أسامة، أنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل في العمرة من كدى. وقال أبو داود: ثنا موسى أبو سلمة، ثنا حماد، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا أربعاً وجعلوا أردبتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى. تفرد به أبو داود ورواه أيضاً وابن ماجه من حديث ابن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس مختصراً. وقال الإمام أحمد ثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريح، حدثني الحسن بن مسلم، عن طاوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال: قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقص أو قال: رأته يقصر عنه بمشقص عند المروة. وقد أخرجه في «الصحيحين» من حديث ابن جريح به. ورواه مسلم أيضاً: من حديث سفيان بن عيينة، عن هشام بن حجير، عن طاوس، عن ابن عباس عن معاوية به. ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني عمرو بن محمد الناقد، ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال: قصرت عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة. والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صد عنها كما تقدم بيانه، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله ﷺ بل خرجوا منها، وتغيّبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق، فتعين أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من رأى رسول الله ﷺ عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا والله تعالى أعلم. وقال محمد بن إسحاق رحمه الله. ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء^(١) الفيء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران.

قلت: الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة. قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل^(٢) يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن. وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ خلف معاذاً مع عتاب بمكة قبل خروجه إلى هوازن ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة. وقال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم

(١) في «ابن هشام»: ببقايا.

(٢) في الواقدي: أنه خلف معاذ وأبا موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والفقهاء في الدين.

أنه قال لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً فقام فخطب الناس فقال أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم فليست لي حاجة إلى أحد. قال ابن إسحاق: وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة. قال ابن هشام: قدمها لست^(١) بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المدني. قال ابن إسحاق: وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهي سنة ثمان. قال وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع.

إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى وذكر قصيدته: بانث سعاد

قال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجو ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش؛ ابن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب هربوا في كل وجه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض. وكان كعب قد قال:

فويحك^(٢) فيما قلت ويحك هل لكا
على أي شيء غير ذلك ذلك لكا
عليه وما تلقى عليه أباً لكا
ولا قائل إنا عشرت لعالكا
فأنه لك المأمون منها وعلكا^(٣)

ألا بلغنا عني بجيراً رسالاً
فبيّن لنا إن كنت لست بفاعل
على خلق لم ألف يوماً أباً له
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف
سقاك بها المأمون كأساً روية
قال ابن هشام: وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر:

فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
فأنه لك المأمون منه وعلكا
على أي شيء وتب غيرك ذلك لكا
عليه ولم تُذرك عليه أخاً لكا
ولا قائل إنا عشرت لعالكا

من مبلغ عني بجيراً رسالاً
شربت مع المأمون كأساً روية
وخالفت أسباب الهدى واتبعته
على خلق لم تُلف أمأً ولا أباً^(٤)
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف

قال ابن إسحاق: وبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيراً كره أن يكتبها رسول الله ﷺ فأنشده إياها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع سقاك بها المأمون «صدق وإنه لكذوب أنا المأمون» ولما سمع على خلق لم تُلف أمأً ولا أباً عليه. قال «أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه»^(٥) قال ثم كتب بجير إلى كعب يقول له:

تلوم عليها باطلاً وهي أحزم
فتنجدو إذا كان النجاء وتسلم
من الناس إلا طاهر القلب مسلم
ودين أبي سلمى علي محرم

من مبلغ كعباً فهل لك في التي
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
فدين زهير وهو لاشيء دينه

قال فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه وقالوا هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي فغدا به إلى رسول الله ﷺ في صلاة الصبح فصلي مع رسول الله ﷺ ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه، فذكر

(١) في «الواقدي»: ثلاث بقين من ذي القعدة يوم الجمعة.

(٢) في «ابن هشام»: فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا.

(٣) النهل: الشرب الأول. والعلل: الشرب الثاني. والمأمون: يعني النبي ﷺ كانت قريش تسميه به وبالأمين قبل مبعثه.

(٤) قال السهيلي: إنما قال ذلك لأن أمهما واحدة، وهي كبشة بنت عمار السحيمية، فيما ذكر ابن الكلبي.

(٥) زاد الزرقاني عن ابن الأنباري أن النبي ﷺ لما بلغه الأبيات أهدر دمه وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله.

لي: أنه قام إلى رسول الله ﷺ فجلس إليه ووضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن جئتك به؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم» فقال إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير. قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ «دعه عنك فإنه جاء تائباً نازعاً» قال: فغضب كعب بن زهير على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ:

متيم عندها^(١) لم ينفذ مكبول
إلا أغن غضيض الطرف مكحول^(٢)
لا يشتكي قصر منها ولا طول^(٣)
كأنه مهل بالراح معلول^(٤)
صاف بأبطح أضحي وهو مشمول^(٥)
من صوب عادية بيض يعاليل^(٦)
بوعدها أو لو أن التصح مقبول
فجع وولع وإخلاق وتبديل^(٧)
كما تلوون في أثوابها الغول
إلا كما يمسك الماء الغرابيل
إن الأمانتي والأحلام تضليل
وما مواعدها إلا الأباطيل^(٨)
وما لهن أخال الدهر تعجيل^(٩)
إلا العتاق النجيبات المراسيل
فيها على الابن إرقال وتبغيل^(١٠)
عرضتها طامس الأعلام مجهول^(١١)
إذا توقفت الحزان والميل^(١٢)
في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
وعمها خالها قوداء شمليل^(١٣)

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
هيفاء مقبله عجزاء مدبرة
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت
شجت بذى شيم من ماء محنية
تنفي الرياح القدى عنه وأفرطه
فيالها خلة لو أنها صدقت
لكنها خلة قد سيط من دمها
فما تدوم على حال تكون بها
وما تمسك بالعهد الذي زعمت
فلا يفرتك ما مننت وما وعدت
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً
أرجو وأمل أن تدنو موذتها
أمست سعاد بأرض لا تبلغها
ولن يبلغها إلا عذافرة
من كل نضاحة الذفري إذا عرقت
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهي
ضحم مقلدها فعم مقيدها
حرف أخوها أبوها من مهجنة

- (١) في «ابن هشام» والعقد الفريد: أثرها. ومتبول: أسقمه الحب وأضناه لبعده عن حبيته سعاد. قال الزرقاني: هي امرأته وبنث عمه.
- (٢) أغن: الظبي الصغير الذي في صوته غنة.
- (٣) سقط البيت من الأصل، واستدرك من ابن هشام والعقد الفريد.
- (٤) عوارض: جمع عارض أو عارضة وهي الأسنان. والظلم: ماء الأسنان ورقتها وبياضها.
- (٥) مشمول: الذي ضربته ريح الشمال حتى برد، وهي أشد تبريداً للماء من غيرها.
- (٦) الصوب: المطر. يعاليل: الحجاب الذي يعلو وجه الماء.
- (٧) سيط: أي خلط بلحمها ودمها.
- (٨) عرقوب: رجل اشتهر باخلاف الوعد، فضرب به المثل في ذلك.
- (٩) في ابن هشام: وما أخال لدينا منك تنويل.
- (١٠) عذافرة: الناقة الصلبة العظيمة. والإرقال والتبغيل: ضربان من السير السريع.
- (١١) النضاحة: الغزيرة. الذفري: النقرة التي خلف أذن الناقة.
- (١٢) المفرد: الثور الوحشي الذي تفرد في مكان. اللهق: الأبيض.
- (١٣) الشمليل: الخفيفة والسريعة. والحرف: الناقة الضامرة أو الصلبة والقوية.

منها لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلٌ^(١)
مرفقها عن بنات الزور مفتول^(٢)
عِتْقٌ مَبِينٌ وَفِي الْخَذْيَيْنِ تَسْهِيلٌ^(٣)
من خطمها ومن اللّحيين برطيل^(٤)
في غادز لم تخوننه الأحاليل^(٥)
ذوابل وقُغْمُهْنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلٌ^(٦)
كَأَنَّ ضَاجِحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَحْلُولٌ^(٧)
وَزُقُّ الْجِنَادِبِ يَرْكُضُنِ الْحَصَا قِيلُوا^(٨)
قَامَتْ فَجَاءَ بِهَا نُكْرٌ مَثَاكِيلٌ
لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولٌ^(٩)
مَشَقُّقٌ عَنِ تُرَاقِيهِهَا رَعَابِيلٌ^(١١)
إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سَلْمَى لِمَقْتُولٌ^(١٢)
لَا أَلْهَيْتُكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْفُولٌ
فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ
يَوْمًا عَلَى آلَةِ حُدْبَاءَ مَحْمُولٌ^(١٣)
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ^(١٤)
الْقُرْآنُ فِيهِ مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ
أَذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(١٥)

يمشي الفرداء عليها ثم يزلقه
عيرانة قذفت بالتخضض عن عرض
قنواء في خريتها للبصير بها
كأنما فات عينها ومذبحها
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل
تهوي على يسرات وهي لاهية
يوماً تظلل به الحرباء مصطخداً
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت
أوبٌ بدني فاقدي شمطاء معولة^(٩)
نواحة رخوة الضبعين ليس لها
تفري اللبان بكفيها ومدزعاها
تسمى الغواة جنابيهما وقولهم
وقال لكل صديقي كنت آمله
فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
نبيئت أن رسول الله أوعدني
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم

= وفي «ابن هشام» قبله بيتان:

في دفها سعه قدامها ميل
طلح بضاحية المتنين مهزول

غلباء وجناباء عليكم مذكرة
وجلبها من أطوم ما يؤيسه

- (١) الأقرب: الخواصر. والزهايل: جمع زحلول وهو الأملس.
- (٢) العيرانة: الناقة النشيطة السريعة. بنات الزور: ما يتصل بالصدر مما حوله من الأضلاع وغيرها.
- (٣) قنواء: محدودة الأنف وهو عيب في الفرس؛ وقد قاله الشاعر في موضع المدح.
- (٤) برطيل: حجر مستطيل صلب.
- (٥) وفي غارز: أي على ضرع الأحاليل: مخارج اللبن.
- (٦) تهوي، وتروى: تخدي أي تسرع يسرات: القوائم الخفاف. لاهية وتروى: لاحقة؛ أي غافلة عن السير فهي تسرع فيه من غير اغتراف ومبالاة.
- (٧) مصطخداً: محترقاً بحر الشمس. ضاحيه: ما برز للشمس منه. محلول: مذاب، وتروى محلول: وهو الموضوع في الملة. وهي الرماد الحار.
- (٨) ورق: جمع أوراق أو ورقاء التي يضرب لونها إلى السواد.
- (٩) رواية الشطر في ابن هشام: شد النهار ذراعاً عيطل نصف.
- (١٠) المثاكل: جمع مثكال: وهي الكثيرة الشكل. الشمطاء: التي خالطها الشيب. والمعولة: الرافعة صوتها بالبكاء.
- (١١) المدرع: القميص. رعابيل: جمع رعبول، قطع متفرقة؛ الممزقة.
- (١٢) جنابيهما: تشية جناب، حولها؛ وفيه إشارة إلى أن النبي ﷺ قد أهدر دمه. والبيت في البيهقي:
- (١٣) آلة حذباء: النعش الذي يحمل عليه الموت.
- (١٤) شرع الشاعر من هذا البيت في الدخول إلى ما قصد منه - بعدما مهد فيما سبق من الغزل والوصف - من هنا يبدأ في التنصل مما نسب إليه وما اتهم به، ويطلب العطف والرحمة ويرجو رسول الله أن يغفر له ذنبه ويعفو عن مساوئه وأخطائه.
- (١٥) في البيت تدلل وتضرع، وفيه رجاء ألا يستباح دمه بسبب أقوال الوشاة والمفسدين.

أرى وأسمع ما قد يسمع الفيل
من الرسول بإذن الله تنويل
في كف ذي نَقَمَاتِ قَوْلُهُ الْقِيلِ
وقيل إنك منسوبٌ ومسنول
في بطن عثر غيلٌ دونه غيل^(٢)
لحمٌ من الناس معفورٌ خراذيل^(٣)
أن يترك القرون إلا وهو مقلول
ولا تمشي بواديه الأراجيل^(٤)
مضرج البز والدرسان مأكول^(٥)
مهند من سيف الله مسلول
ببطن مكة لما أسلموا زولوا^(٦)
عند اللقاء ولا ميل معازيل^(٧)
ضرب إذا عرذ السود التنايل
من نسج داود في الهيجا سرايل
كانها خلقت القفعا مجدول^(٨)
قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
ولا لهم عن جياض الموت تهليل

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
لظل برعد من وجد موارده^(١)
حتى وضعت يميني ما أنزعها
فلهو أخوف عندي إذ أكلمه
من ضيفم بضراء الأرض مخدره
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
إذا يساور قرنأ لا يحل له
منه تظل حمير الوحش نافرة
ولا يزال بواديه أخو ثقبه
إن الرسول لنور يستضاء به
في عصبه من قريش قال قائلهم
زالوا فما زال أنكاس ولا كُشف
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم
شم العرانيين أبطال لبوسهم
بيض موابغ قد شككت لها خلق
ليسوا معاريج إن نالت رماخهم
لا يقع الطعن إلا في نحورهم

قال ابن هشام: هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً، وقد رواها الحافظ البيهقي في «دلائل النبوة» بإسناد متصل فقال: أنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدي بهمدان، ثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا الحجاج بن ذي الرقبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده قال: خرج كعب وبجير ابنا زهير، حتى أتيا أبرق العزاف^(٩) فقال بجير لكعب: أثبت في هذا المكان حتى آتي هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - فأسمع ما يقول فثبت كعب وخرج بجير ف جاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم فبلغ ذلك كعباً فقال:

على أي شيء وب غيرك ذلكا^(١٠)
عليه ولم تدرك عليه أخالكا
وأهلك المأمون منها وعلكا

أأبلغني بجيراً رسالته
على خلق لم تلفء أمأ ولا أبأ
سقاك أبوبكر بكأس روية

- (١) في «ابن هشام»: لظل يرعد إلا أن يكون له التنويل: التامين.
- (٢) ضراء الأرض: الأرض التي فيها شجر. عثر: اسم مكان مشهور بكثرة السباع. الغيل: الشجر الكثير الملتف.
- (٣) المعفور: الملقى في التراب. والخراذيل قطع صفار.
- (٤) في ابن هشام: منه تظل سباع الجو نافرة. الجو: اسم موضع. والأراجيل جماعات الرجال.
- (٥) البز: السلاح، والدرسان: الثياب الخلقة.
- (٦) زولوا: فعل أمر من زال. يريد تحولهم من مكة إلى المدينة.
- (٧) الأنكاس: جمع نكس وهو الجبان والرجل الضعيف. والكشف: جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه. المعازيل: الذي لا سلاح معهم.
- (٨) قفعا ضرب من الحسك تشبه به حلق الدار.
- (٩) أبرق العزاف: ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة، سمي العزاف لأنهم يسمعون فيه عريف الجن. «معجم البلدان» وقال البكري: ويقال أبرق الحثان وفي هامشه: العزاف من المدينة على اثني عشر ميلاً إلى المدينة «معجم ما استعجم».
- (١٠) في «دلائل البيهقي»: على أي شيء غير ذلك ذلكا.

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه وقال «من لقي كعباً فليقتله» فكتب بذلك بجير إلى أخيه وذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له: النجاء وما أراك تنفلت، ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه، وأسقط ما كان قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل، قال: فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه كالمائدة بين القوم [والقوم] متعلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم. قال كعب: فأنخت راحلتي بباب المسجد، [ثم دخلت المسجد] فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة، حتى جلست إليه فأسلمت، وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وإنك محمد رسول الله الأمان يا رسول الله، قال «ومن أنت؟» قال: كعب بن زهير، قال: «الذي يقول» ثم التفت رسول الله ﷺ [إلى أبي بكر] فقال «كيف يا أبا بكر؟» فأنشد أبو بكر:

سقاك بها المأمون^(١) كأساً روية وأنهلك المأمون منها وعلكا
قال يا رسول الله ما قلت هكذا، قال «فكيف قلت؟» قال قلت:

سقاك بها المأمون^(٢) كأساً روية وأنهلك المأمون منها وعلكا
فقال رسول الله ﷺ «مأمون والله» ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهي هذه القصيدة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم عندها لم يفد مكبول
وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقي^(٣) رحمهما الله عز وجل.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» أن كعباً لما انتهى إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف اللئ مسلول
نبئت أن رسول اللئ أوعدني والعفوة عند رسول اللئ مأمول

قال: فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا. وقد ذكر ذلك^(٤) قبله موسى بن عقبة في «مغازيه» والله الحمد والمنة.

قلت: ورد في بعض الروايات أن رسول الله ﷺ أعطاه برده حين أنشده القصيدة، وقد نظم ذلك الصرصري في بعض مدائحه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في «الغاية» قال وهي البردة التي عند الخلفاء.

قلت: وهذا من الأمور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه فالله أعلم. وقد روي أن رسول الله ﷺ قال له لما قال: بانت سعاد ومن سعاد؟ قال زوجتي يا رسول الله، قال لم تبين ولكن لم يصح ذلك وكأنه على ذلك توهم أن بإسلامه تبين امرأته والظاهر أنه إنما أراد البيئونة الحسية لا الحكمية والله تعالى أعلم. قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب - يعني في قصيدته - إذا عرد السود التنايل وإنما يريدنا معشر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به [ما صنع]^(٥) وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار، ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن:

مَن سَرَه كرمُ الحياة فلا يزل في مئنبٍ من صالحِي الأنصارِ^(٦)
ورثوا المكارمَ كابرأ عن كابرِ إن الخيَارَ هموا بنوا الأخيارِ
المكْرهينَ السمْهريِّ بأذرعِ كسوالفِ الهندي غيرِ قصارِ
والناظرينَ بأعينِ حمرةِ كالجمرِ غيرِ كليلَةِ الأبصارِ

(١) في «دلائل البيهقي»: أبو بكر.

(٢) في «دلائل البيهقي»: أبو بكر. ويميمون الثانية في البيهقي: المأمور. فقال رسول الله ﷺ مأمور والله.

(٣) الخبر في «دلائل النبوة» باب ما جاء في قدوم كعب بن زهير على النبي ﷺ (٢٠٧/٥) وما بعدها.

(٤) نقل البيهقي في «الدلائل» ما ذكره ابن عقبة، فذكر البيت الأول أما الثاني ففيه قوله: في فتية من قريش... الخ.

(٥) من «ابن هشام».

(٦) مقنب: الجماعة من الخيل. ويريد بهم القوم على ظهور جيادهم.

والبائعين نفوسهم لنبيتهم
يتطهرون يروونه نسكاً لهم
دربوا كما دربث بطون خفية
وإذا حلفت لينعموك إليهم
ضربوا علياً يوم بدر ضربة
لو يعلم الأقوام علمي كله
قوم إذا خوت النجوم فإنهم

للموت يوم تعائقي وكرار^(١)
بدماء من علقوا من الكفار
غلب الرقاب من الأسود ضواري^(٢)
أصبحت عند معاقلي الأعفار^(٣)
دانث لوقعيها جميع نزار
فيهم لصدقني الذي أماري
للطارقين النازلين مقاري^(٤)

قال ابن هشام: ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد «لو ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل» فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له. قال وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان: أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد بانت سعاد فقلبي اليوم متبول. وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني معن بن عيسى، حدثني محمد بن عبد الرحمن الأفتس^(٥) عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل. وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب «الاستيعاب» في معرفة الأصحاب بعدما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال: وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بجير وكعب أشعرهما وأبوهما زهير فوقهما ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
يسعى الفتى لأمر ليس يدركها
والمرء ما عاش ممدوداً له أمل

سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
فالنفس واحدة والهيم منتشر
لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر^(٦)

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يؤرخ وفاته، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب «الغابة في معرفة الصحابة» ولكن حكى أن أباه توفي قبل المبعث بسنة فالله أعلم. وقال السهيلي ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله ﷺ:

تجري به الناقة الأدماء معتجراً
ففي عطافيه أو أثناء بُردته

بالبُرد كالبدر جلى ليلة الظلم
ما يعلم الله من دين ومن كرم

الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة، وفي رمضان غزوة فتح مكة، وبعدها في شوال غزوة هوازن بحنين، وبعده كان حصار الطائف. ثم كانت عمرة الجعرانة في ذي القعدة ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة. قال الواقدي: رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليالي بقين من ذي الحجة في سفرته هذه. قال الواقدي: وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجلندي من الأزدي، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب، قال وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي في ذي القعدة فاستعادت منه عليه السلام ففارقها، وقيل بل خيرها فاخترت الدنيا ففارقها. قال وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً وكانت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ،

(١) بعده في «ابن هشام»:

بالمشرفني وبالقنا الخطار

والقائدين الناس عن أديانهم

(٢) دربوا: تعوذاً. غلب الرقاب: غلاظ الأعناق.

(٣) الأعفار: جمع عفر، وهو ولد الوعل.

(٤) المقاري: جمع مقراة، وهي الجفنة التي يصنع فيها الطعام للأضياف.

(٥) في «الدلائل»: الأوقص (٢١١/٥).

(٦) الأبيات في «الاستيعاب» على هامش «الإصابة» (٣/٣٠٠).

فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله ﷺ فأعطاه مملوكاً ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم برة^(١) بنت المنذر بن أسيد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبدول، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف وذلك لخمس بقين من رمضان منها قال الواقدي: وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد فيه هذيل برهاط، هدمه عمرو بن العاص رضي الله عنه ولم يجد في خزائنه شيئاً، وفيها هدم مناة بالمشلل؛ كانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه. هدمه سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه وقد ذكرنا من هذا فصلاً مفيداً مبسوطاً في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩].

قلت: وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تحريب خثعم البيت الذي كانت تعبد فيه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية^(٢) ولتلك - الكعبة اليمانية. فقال البخاري: ثنا يوسف بن موسى، ثنا أبو أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير قال قال لي رسول الله ﷺ «ألا تريجنني من ذي الخلصة»؟^(٣) فقلت: بلى فانطلقت في خمسين ومائة^(٤) فارس من أحس^(٥) وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» قال فما وقعت عن فرس بعد. قال وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة فيه نُضِبَ تعبد يقال له الكعبة اليمانية. قال: فأتاها فحرقها في النار وكسرها، قال: فلما قدم جرير اليمن. كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول الله ﷺ هاهنا فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك؟ فكسرها وشهد. ثم بعث جرير رجلاً من أحس يكنى أرطاة^(٦) إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، قال: فلما أتى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحس ورجالها خمس مرات. ورواه مسلم من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه^(٧).

تم الجزء الرابع من البداية والنهاية لابن كثير

ويتلوه الجزء الخامس وأوله ذكر غزوة تبوك في رجب منها

- (١) في «تاريخ الطبري» نقلاً عن الواقدي: أم برة بنت المنذر بن زيد بن لييد بن خدش.
 - (٢) وفي رواية لابن سعد: دفعه إلى أم سيف امرأة قين بالمدينة يقال له: أبو سيف.
 - (٣) الكعبة اليمانية والكعبة الشامية. قال ابن حجر: كذا فيه قيل وهو غلظ والصواب اليمانية فقط سموها بذلك مضاهاة للكعبة، والكعبة البيت الحرام بالنسبة لمن يكون جهة اليمن شامية، فسموا التي بمكة شامية والتي عندهم يمانية تعزيقاً بينهما. وكان يقال لها شامية باعتبار أنهم جعلوا بابها مقابل الشام.
 - (٤) ذو الخلصة: الخلصة نبات له حب أحمر كخرز العقيق. وذو الخلصة: اسم للبيت الذي كان فيه الصنم. وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم: ذو الخلصة.
 - (٥) قال الطبراني: كانوا سبعمائة وروايته ضعيفة.
 - (٦) أحس: وهم رهط جرير بن عبد الله وهم أخوة بجيلة ينتسبون إلى أحس بن الغوث بن أنمار؛ وهناك أحس أخرى ينتسبون إلى بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار.
 - (٧) واسم أبي أرطاة حصين بن ربيعة بن عامر الأزور البجلي له صحبة، لم يرد ذكره إلا في هذا الحديث.
- (٧) أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» (٦٢) باب غزوة الخلصة الحديث (٤٣٥٦) وفي مواضع الحديث (٤٣٥٥) والحديث (٣٠٢٠) وأخرجه مسلم في كتاب «فضائل الصحابة» (٢٩) باب - الحديث (١٣٧).

محتوى الجزء الرابع من البداية والنهاية

- ٥ سنة ثلاث من الهجرة في أولها كانت : غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أمر
- ٥ غزوة الفرع من بخران
- ٦ خبر يهود بني قينقاع في المدينة
- ٧ سرية زيد بن حارثة [إلى ذي القردة]
- ٧ مقتل كعب بن الأشرف
- ١٠ غزوة أحد في شوال سنة ثلاث
- ١٦ مقتل حمزة رضي الله عنه
- ٢٤ فيما لقي النبي ﷺ يومئذ من المشركين قبهم الله
- ٣١ دعاء النبي ﷺ يوم أحد
- ٣٢ الصلاة على حمزة وقتل أحد
- ٣٧ في عدد الشهداء
- ٣٩ خروج النبي ﷺ بأصحابه على ما بهم من القرع والجراح في أثر أبي سفيان
- ٤١ فيما تناول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار
- ٤٩ آخر الكلام على وقعة أحد
- ٥٠ سنة أربع من الهجرة النبوية
- ٥٠ غزوة الرجيع
- ٥٦ سرية عمرو بن أمية الضمري
- ٥٧ سرية بئر معونة
- ٦٠ غزوة بني التضير وفيها سورة الحشر
- ٦٤ قصة عمرو بن سعدى القرظي
- ٦٥ غزوة بني لحيان
- ٦٦ غزوة ذات الرقاع
- ٦٧ قصة غورث بن الحارث
- ٦٨ قصة الذي أصيبت امرأته يومذاك
- ٦٩ قصة بئر جابر
- ٧٠ غزوة بدر الأخرى
- ٧١ من الغزوات الواقعة سنة أربع من الهجرة
- ٧٣ غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

- ٧٣ غزوة الخندق أو الأحزاب
- ٨٧ فصل في دعاه عليه السلام على الأحزاب
- ٩١ فصل في غزوة بني قريظة
- ٩٨ وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه
- ١٠١ فصل في الأشعار في الخندق وبني قريظة
- ١٠٦ مقتل أبي رافع اليهودي
- ١٠٨ مقتل خالد بن سفيان الهذلي
- ١١٠ قصة عمرو بن العاص مع النجاشي
- ١١١ فصل في تزويج النبي ﷺ بأم حية
- ١١٢ تزويجه بزینب بنت جحش
- ١١٣ نزول الخجاب صيحة هرمس زينب
- ١١٥ سنة ست من الهجرة
- ١١٥ عمرة ذي فرد
- ١٢٠ عمرة بني المصطلق من خزاعة
- ١٢٣ قصة الإفك
- ١٢٦ عمرة اخديبية
- ١٢٢ سباق الحارثي لعمرة الخديبية
- ١٢٦ فصل في سرايا التي كانت في سنة ست من الهجرة
- ١٢٨ فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة
- ١٢٨ سنة سبع من الهجرة غزوة خيبر في أولها
- ١٤٩ ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية
- ١٥٠ فتح حصونها وقبيلة أرضها
- ١٥٦ ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة للمهاجرون
- ١٥٨ قصة الشاة المسومة والبرهان الذي ظهر
- ١٦٢ من استشهد بخيبر من الصحابة
- ١٦٣ خير الحجاج بن علاط البهزي
- ١٦٥ مروره ﷺ بوادي القرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم
- ١٦٧ سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة
- ١٦٧ سرية عمر بن الخطاب إلى نضرة وراه مكة بأربعة أميال
- ١٦٧ سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي
- سرية أخرى مع بشير بن سعد
- سرية بني حنظل إلى الغابة

- ١٦٩ السرية التي قتل فيها معلم بن جثامة عامر بن الاضبط
- ١٧١ سرية عبد الله بن حذافة السهمي
- ١٧١ عمرة القضاء
- ١٧٥ قصة تزويجه عليه السلام بميمونة
- ١٧٧ ذكر خروجه ﷺ من مكة بعد قضاء عمرته
- ١٧٨ [سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم]
- ١٧٨ سنة ثمان من الهجرة النبوية: إسلام عمرو بن العاص و خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة
- ١٨٠ طريق إسلام خالد بن الوليد
- ١٨١ سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن
- ١٨١ سرية كعب بن عمير إلى بني قضاة
- ١٨٢ غزوة مؤتة
- ١٩١ في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم
- ١٩٥ فصل في من استشهد يوم مؤتة
- ١٩٥ حديث فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السرية
- ١٩٦ ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة
- ١٩٧ كتاب بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم
- ٢٠١ إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى بالشام
- ٢٠٢ بعثه إلى كسرى ملك الفرس
- ٢٠٤ بعثه ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي
- ٢٠٥ غزوة ذات السلاسل
- ٢٠٧ سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر
- ٢٠٩ غزوة الفتح الأعظم وكانت في رمضان سنة ثمان
- ٢١٣ قصة حاطب بن أبي بلتعة
- ٢٢٠ صفة دخوله ﷺ مكة
- ٢٣٥ بعث عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة
- ٢٣٧ بعث خالد بن الوليد لهدم العزى
- ٢٣٨ فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة
- ٢٣٨ فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام
- ٢٤٢ غزوة هوازن يوم حنين
- ٢٤٤ الواقعة وما كان أول الأمر من الفرار ثم العاقبة للمظفرين
- ٢٥٣ غزوة أوطاس
- ٢٥٥ استشهد يوم حنين وأوطاس

٢٥٥ ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن
٢٥٩ غزوة الطائف
٢٦٥ مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن
٢٧١ قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول
٢٧٢ اعتراض بعض أهل الشقاق على الرسول
٢٧٣ مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة عليه بالجرعانة
٢٧٥ عمرة الجعرانة في ذي القعدة
٢٧٧ إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى وذكر قصيدته بانث سعاد
٢٨٢ الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

marfat.com

Marfat.com